



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية



قسم التاريخ

التوجهات الوحدوية في أدبيات الحركات الوطنية المغاربية

الجزائر أمودجا (1920-1954)

مذكرة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه (الطور الثالث) / تخصص: تاريخ الحركات الوطنية المغربية

إشراف الأستاذ الدكتور:

الطاهر جبلي

إعداد الطالب:

بن عبد المومن إبراهيم

لجنة المناقشة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	الإسم واللقب
رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ. د شعيب مقنونيف
مشرفا ومقررا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د. الطاهر جبلي
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د. معمر العايب
عضوا مناقشا	جامعة معسكر	أستاذ التعليم العالي	أ. د بن داهة عدّة
عضوا مناقشا	جامعة سطيف	أستاذ محاضر "أ"	د. سفيان لوصيف
عضوا مناقشا	جامعة وهران "1"	أستاذ محاضر "أ"	د. حميد آيت حبوش

السنة الجامعية: 1437-1438هـ / 2016-2017م

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

## شكر وتقدير:

لا يسعنا وقد أنهينا بحثنا هذا بعون الله وتوفيقه، إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل

إلى الدكتور المشرف "الطاهر جبلي" الذي تكرم بالإشراف على هذه الأطروحة

ولم يخل علينا أبدا بمساعداته ونصائحه، إلى أن أصبحت نسخة مطبوعة

فجزاه الله تعالى كل الخير.

كما نسجل فضل وشكر من ساعدنا طوال مشوارنا الدراسي ونخص بالذكر كل المعلمين

والأساتذة في كل الأطوار الذين ضحوا بالغالي والنفيس من أجل نجاحنا .

هذا وتقدم بالشكر الجزيل إلى كل عمال المكتبات، ودور الأرشيف الذين ساعدونا،

وذلكوا أمامنا الصعاب وأخص بالذكر مكتبة قسم التاريخ، جامعة تلمسان/مكتبة دار

الثقافة تلمسان/الأرشيف الوطني التونسي/مركز منوبة لتاريخ تونس المعاصر .

# إهداء

إلى شهداء الجزائر وبلاد المغرب عبر التاريخ

إلى كل المدافعين عن راية الوحدة والإسلام

إلى كل طلبة العلم

إلى عائلتي وأصدقائي

إلى كل المعذنين في الأرض

إلى الروح الطاهرة: حسين محمد الجبلي.

قائمة المختصرات:

العدد	ع
دون عدد	د.ع
المجلد	م
ج: الجزء	ج
س: السنة	س
سل: السلسلة	سل
دون تاريخ	د.ت

**LISTE DES ABREVIATIONS :**

<b>A.N.F</b>	<b>archives national de France-paris.</b>
<b>A.N.T</b>	<b>archives national de Tunis</b>
<b>AEMNA</b>	<b>association des étudiants musulmans nord africains</b>
<b>AWO</b>	<b>directions archives de wilaya d'Oran</b>
<b>Bob</b>	<b>bobine</b>
<b>Boi</b>	<b>boite</b>
<b>CAOM</b>	<b>centre d'archives d'autre mer (Aix en province-France).</b>
<b>Carna</b>	<b>comité d'action révolutionnaire nord-africaine</b>
<b>CIE</b>	<b>centre d'information et d'étude</b>
<b>ENA</b>	<b>Etoile nord-africaine</b>
<b>MTLD</b>	<b>Mouvement pour le triomphe des libertés démocratiques</b>
<b>PPA</b>	<b>Parti de peuple algérien</b>

# مقدمة

يعتبر الاستعمار الفرنسي للجزائر من بين الصدمات الكبرى التي تلقاها العالم الإسلامي في التاريخ المعاصر، فسقوط أول قطر من الخلافة العثمانية، جعل المسلمين عموماً والجزائريين والمغاربة خصوصاً، يستشعرون حجم الكارثة التي ألمت بهم جراء الانحطاط والتأخر الذي آل إليه الحال العربي والإسلامي في القرون الخمسة الأخيرة، فلقد نادى الأمير عبد القادر الجزائري عقب ذلك كل شيوخ القبائل وزعماء الأقطار الإسلامية نداء المستغيث والوحدوي من أجل التكتل، ومقاومة الهجمة الأوروبية الإمبريالية المباركة من طرف الكنيسة، لكن في الحقيقة قليلون هم الذين استجابوا لدعوته آنذاك، بينما لم يكلف كثيرون أنفسهم حتى عناء الردّ على رسائله، أو رسائل شيوخ المقاومة الشعبية الآخرين بعده، وهو ما سيكلف الأمة الإسلامية غالياً، لتتهاوى كل الأقطار الأخرى تقريباً، وبهذا رزحت الشعوب العربية و المسلمة لسنين تحت نير الاستغلال الأوروبي الممارس في أبشع صوره.

لم تتوقف الدعوات والنداءات الجزائرية في سبيل الوحدة، بل تواصلت من أجل مقاومة الجهاز الاستعماري الفرنسي، الذي ضرب البنى السياسية والاقتصادية والاجتماعية في العمق، فظلت القوى الوطنية بالداخل والخارج متشبثة بكل ما من شأنه تقديم يد العون للجزائريين، لأجل تجاوز تلك المرحلة الصعبة من تاريخ معاناة الأمة الإسلامية، لذلك كانت الدعوة للتآزر والوحدة، من أبرز الشعارات التي تمسكت بها تيارات الحركة الوطنية الجزائرية خاصة منذ الحرب العالمية الأولى (1918-1919)، فقد سمحت هذه الحرب للجزائريين باكتشاف عوالم جديدة، فتشبعوا بأفكار متعددة ومتضاربة نابعة من مختلف مناطق الشرق والغرب، فوظفوا إياها وهم بصدد المقاومة السياسية التي دامت لعقود.

ولأن سلطة النصّ هي أقوى وأبلغ دليل على الحراك الوطني الذي عرفته الساحة السياسية والفكرية الجزائرية، ولأن الأدبيات والمواثيق الأصلية للفاعلين التاريخيين أنفسهم، تعد من أهم احتياجات المؤرخ

لدراسة وفهم وتفسير الظاهرة التاريخية، كان اختيارنا لهذا الموضوع الموسوم بـ "التوجهات الوحدوية في أدبيات الحركات الوطنية المغاربية-الجزائر أنموذجا (1920-1954)، فهو موضوع يُعنى بكل تلك الأدبيات الجزائرية التي كانت وليدة الأحداث الحاصلة في الجزائر المستعمرة، فلقد ترك لنا الوطنيون الجزائريون رصيذا فكريا تاريخيا لا بأس به، يسمح لنا اليوم بدراسة وتحليل الوقائع انطلاقا من الأصل، وانطلاقا من الظروف الزمانية والمكانية التي صيغت فيها تلك الأفكار، فقد لعبت تلك النصوص دورا كبيرا في توجيه الرأي العام الجزائري، والفرنسي، وحتى الدولي بأن دعت للإصلاح والمقاومة من جهة، وللوحدة بشتى أشكالها من جهة أخرى.

هذا وأشار إلى أنه قد دفعني أسباب كثيرة لاختيار هذا الموضوع، لعل أبرزها هو إيماني الشديد بأن الجزائر كانت وستظل تسعى مثبتة انتمائها إلى الفضاء المغاربي، الذي هو جزء لا يتجزأ من الأمة العربية الإسلامية، خاصة في ظل الوضع المأساوي آلت إليه الشعوب المسلمة في كل الأقطار من تفرق، وحروب، يلزم هذه الأمة الوحدة والتكافل أكثر من أي وقت مضى، كما ينبع هذا من إيماني الشديد بضرورة اتحاد الشعوب المغاربية والمشرقية على الأقل على الصعيدين الاقتصادي والأمني، من أجل تجاوز الأزمات التي باتت تهدد أمة الإسلام والمسلمين، ثم إن من بين الأسباب التي حفزتني لهذا الموضوع هو أنه سبق لي وأن اشتغلت على المجال المغاربي من قبل في مذكرتي الليسانس والماستر، لذلك قد حاولت هذه المرة توسيع دائرة البحث من حيث طبيعة الموضوع لا من حيث المجال الجغرافي، فالبرغم من أن هذا الطرح يتعلق بالجزائر كقطر حارب الاستعمار، إلا أنه سعى ليتصل بالمغرب والمشرق وجميع أقطار الأمة، فموضوعي بالتالي ينطلق من الجزء ليصل إلى الكل، من القطر الجزائري إلى المغرب الكبير ثم المشرق، هذا بالإضافة إلى حبي للاشتغال على النصوص الأصلية والمواد الوثائقية، بغية تحليلها واستقراءها، واستنباطها لتفسير وتعليل ظواهر التاريخ.

لذلك ومن خلال الرصيد الوثائقي التاريخي الهام، تبين لي أن أشكال هذه الوحدة اختلفت وتضاربت، فهناك من كان يدعو لها في إطار الخلافة الإسلامية تحت راية الدولة العثمانية، وهناك من كان يدعو للوحدة تحت لواء الخلافة العربية في الحجاز، كما أن الغالبية دعت لوحدة مغاربية

في إطار الأمة العربية الإسلامية من جهة، في حين دعى آخرون من جهة أخرى لنفس الوحدة، ولكن في إطار اتحاد فدرالي مرتبط بفرنسا وأوروبا، وهذا ما سيخلف نزاعات، وحتى صراعات بين النخب الفكرية الجزائرية، أثر في الحركة الوطنية وتأثر بها، كما أثر ذلك على المجتمع الجزائري ولا زال، بحيث لا زلنا لحد الساعة نخوض أحداث قضايا الهوية، ونطرح سؤالات الانتماء والوجود .

وانطلاقا من هذا الاختلاف والتباين تقف علينا الإشكالية التالية:

إن التجاذبات الوحدوية التي ظهرت في خطابات ومواقف تيارات الحركة الوطنية الجزائرية، تكرست شيئا فشيئا لتصبح توجهات ساهمت في خلق تضارب وتعارض بين الوطنيين الجزائريين في كفاءات التموقع لمقاومة الاستعمار، خاصة لما لعبت فرنسا دورا كبيرا في اللعب على أوتار هذه التوجهات الوحدوية محاولة اختراقها لضمان وجودها في الجزائر والشمال الافريقي.

ومن هذه الإشكالية تتفرع لدينا الأسئلة التالية:

1. ماهي الأسباب العميقة التي جعلت الجزائريين يسعون لعقد تحالفات إقليمية ودولية، وهم بصدد مقاومة الجهاز الاستعماري؟
2. ماهي أبرز التوجهات الوحدوية التي طغت على المشهد السياسي والثقافي الجزائري؟
3. كيف رصدت لنا الأدبيات النضالية مواقف، ونزعات التيارات الوطنية، اتجاه الوحدة في بعديها المغاربي، أو العربي الإسلامي، أو في إطار الاتحاد الفدرالي؟
4. هل كانت الدعوات للوحدة بكل أشكالها، خيارات تملئها معطيات التاريخ والجغرافيا ومتطلبات الماضي، والحاضر، والمستقبل؟ أم كانت مجرد توجهات استراتيجية وتكتيكية تملئها ظروف مقاوماتية آنية لا غير؟
5. ماهي أهم السياسات الاستعمارية الفرنسية، التي مورست من أجل عزل الجزائر عن فضاءها الحيوي المغاربي والمشرقي؟

6. وكيف انعكست تلك السياسات الفرنسية، على بعض النخب الجزائرية، وقناعاتها الحاضرة

والمستقبلية اتجاه مصير الجزائر، وحلفائها الطبيعيين على المستويين القريب والبعيد؟

كانت هذه الإشكالية والتساؤلات ، كفيلة بأن تجعلني أقسم بحثي إلى خمسة فصول، كان أولها تمهيدا، خصصته لرصد الخلفيات التاريخية لهذا الموضوع الشاسع فعنوانته ب: " مشروع الوحدة تحت راية الخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية 1900-1920"، وقد تطرقت فيه لأهم الأسباب والعوامل الداخلية والخارجية التي أثرت على الذهنية الجزائرية، وجعلتها تنشد الوحدة القديمة التي عاشت تحت راية الباب العالي لقرون ، ثم تطرقت لأهم الشخصيات الجزائرية التي عُرفت في ذلك الميدان، معرجا على أبرز ما تركت لنا من نتاجات حول تلك النداءات الوحدوية للتمسك بهذا التيار، ومعطيا في الأخير خلاصة لهذا الفصل.

انتقلت بعدها إلى الفصل الأول الذي كان عنوانه ب: " مشروع الوحدة في إطار الأمة العربية - الإسلامية"، وقد تطرقت فيه لحشيات تغلغل المد القومي العربي إلى أقطار المغرب عامة والجزائر خاصة، ثم تكلمت عن أهم التيارات والأحزاب التي تفاعلت مع هذا الاتجاه الوحدوي، وبالخصوص التيارات ذوات النزعات الإصلاحية و الاستقلالية ، فذكرت بعض الانتاجات لروادها ومؤسسيها، كما رصدت أهم ما كتبه صحفها، ومنشوراتها باللغتين العربية والفرنسية، وأنهيته في الأخير بملخص.

خصصت الفصل الثاني للمجال المغربي الذي كان معنيا أكثر من بين كل التوجهات الأخرى، فجاء عنوانه ب " مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية"، وفيه تكلمت عن عوامل نشأة هذا التيار المرتبط أكثر بالتاريخ والجغرافيا والمصير المغربي المشترك، ثم عرضت أهم الكتابات، والخطابات، والمواثيق التي تعرضت لهذا الموضوع آملة في وحدة مغربية من أجل محاربة الاستعمار الواحد، مركزا على التيارين الاستقلالي والإصلاحي كالعادة، خاصة و أن الوحدة المغربية لم يكن ينظر

إليها في الحقيقة منفصلة عن وحدة الأمة العربية والإسلامية في تلك الفترة، واختتمت الفصل أيضا بـخلاصة صغيرة.

في الفصل الثالث حاولت الغوص فينتاجات الأقلام الأدبية الجزائرية، وخطابات الوحدة فيها، فجاء عنوانه كالتالي: " مشاريع الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري"، تكلمت باختصار عن مميزات الأدب الجزائري في تلك الفترة، ثم خضت مجال الكتابة التاريخية الجزائرية ونشأة مدرستها، فقد اتخذت هذه المدرسة طابعا مقاوماتيا ثوريا محضا معالجة الوحدة التي كانت تجمع المغرب والمشارك عبر عصور التاريخ، فكانت بحق من الأدبيات النظرية لتشكيل أسس التكتل والاتحاد، والتي اعتمدت عليها الحركة الوطنية نفسها فنهلا من بعضهما البعض، كما تعرضت لأهم الإبداعات القصصية والروائية والفنية عموما، والتي لم تنل حقها الوافي من الدراسة التاريخية للأسف الشديد، خاصة لما ركزت غالبية الدراسات على أدب النضال من حيث الأساليب والمحتويات في مرحلة الثورة التحريرية، متناسية فترة الحركة الوطنية التي نشأت فيها الحركة الأدبية والفنية الجزائرية الحديثة، وأعطت كثيرا للنضال الجزائري، وأعطيت في الأخير خلاصة لهذا الفصل أيضا.

الفصل الرابع والأخير جاء تحت عنوان: " السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب الجزائرية"، وقد خصصته لأهم السياسات الفرنسية المبرجة من أجل القضاء على أفكار الوحدة بشتى أنواعها، خاصة لما كانت تهدد وجودها في المستعمرات المغاربية، كما سلط الضوء على الانعكاسات السلبية التي بدت واضحة في فكر بعض النخب لا سيما الفرنكفونية المشارب، والتي وجدت نفسها شعوريا ولا شعوريا تحارب الهوية الجزائرية، وتسعى للحفاظ على الجزائر الفرنسية، وحتى أكثر الشخصيات والتيارات اعتدالا، طالبت باتحاد فدرالي مع فرنسا كأقصى حد، وهذا الفصل انتهى هو الآخر بـخلاصة.

في الأخير اختتمت الأطروحة بخاتمة استنتاجية عدت فيها لأهم من خلصت إليه من خلال الفصول الخمس السابقة، وأشير إلى أنني استعملت المناهج التاريخية والتحليلية، ولجأت كثيرا إلى

الاستقراء والاستنباط، للتعلم أكثر وتفكيك النصوص الأصلية، لأني تعاملت مع رصيد لا بأس به من الخطابات، والنداءات، والمقالات، والمنشورات، والتي تتطلب صراحة روية وتأني كبيرين في القراءة والتمعن من أجل الحكم على المواقف، والآراء، والتوجهات، لذلك حاولت دائما التحفظ أكثر عندما يتعلق الأمر بإصدار الأحكام بشأنها، كما حاولت قدر المستطاع احترام سلطة النصوص الأصلية، لذلك جعلتها بين عارضتين، ولم أضف عليها تعليقات كثيرة لكي لا تضيق معالمها الأساسية.

وقد استعت في هذه الدراسة بقدر كبير من الوثائق، والمصادر، والمراجع، التي نجدها في الأخير مفهسة ومنظمة، ولعلي أذكر هنا في المقدمة الأهم من المهم في استعمالاتي لها:

### المادة الأرشيفية:

#### • أرشيف ما وراء البحار بأكس أون بروفنس الموجود في المعهد العالي لتاريخ تونس المعاصر:

أفادني هذا الأرشيف بشكل كبير، فقط اضطلعت من خلال الأشرطة المصورة على كم هائل من الوثائق والتقارير والمراسلات والمذكرات الصادرة عن مخافر الشرطة، ومراكز الأمن، خاصة تلك التقارير التي كان يعدّها مركز المعلومات والدراسات (CIE) بقسنطينة والجزائر العاصمة، كما استطعت التحصّل على ملف كامل من إحدى هذه الأشرطة، يتعلق بالعلاقات التونسية الجزائرية قبل الحرب العالمية الثانية والتي فاقت المائة وثيقة أفادني كثيرا في قراءتي لتنامي المشروع الوحدوي المغاربي.

#### • الأرشيف الوطني التونسي:

من أحسن الأرشيفات تنظيما وهيكلية، استطعت أن أتحصل منه على كم هائل من الوثائق أيضا، خاصة السلسلة المتعلقة بالحركة الوطنية التونسية، فمن خلاله اضطلعت على مادة تاريخية كبيرة لا سيما نشاط الوطنيين التونسيين، وكذا علاقتهم بالوطنيين الجزائريين من مختلف التيارات، كما أفادني كثيرا في تتبع نشاط التيار القومي في المشرق وعلاقته بالمغرب العربي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية وتأسيس الجامعة العربية.

• مديرية أرشيف ولاية وهران:

بالرغم من العراقيل الإدارية الكثيرة التي واجهتني فيه، إلا أنني استطعت التحصل على بعض الوثائق، ولو أنها لا تتعلق مباشرة بالموضوع، إلا أنها أعطتني إحصائيات، وتقارير هامة عن النشاط الصحفي والوطني والسياسي بالعمالة الوهرانية، كما تحصلت منه على عدة نصوص أصلية من الجرائد القديمة.

• المصادر:

اعتمدت على مادة مصدريّة لا بأس بها تمثلت خاصة في تلك الصحف، والجرائد، والمجلات التي حوت تقريبا كل أدبيات الأحزاب والتيارات الوطنية، وتصريحات وكتابات الشخصيات الفاعلة فجرائد مثل الشّهاب، والبصائر لسان حال الحركة الإصلاحية والأمة، والمنار لسان حال الحركة الاستقلالية أفادتني كثيرا في الحصول على النصوص، كما اعتمدت على شهادات ومذكرات المناضلين في الحركة الوطنية، والتي على قلتها أعانتني كثيرا في الحصول على المادة الأولية، وبعض آراء المناضلين السياسيين وأذكر على سبيل المثال لا الحصر: كتب محمد قنانش عن الحركة الاستقلالية، ومذكرات مصالي الحاج، وأحمد توفيق المدني، وبن يوسف بن خدة، بالإضافة على كتابات فرحات عباس ك"ليل الاستعمار، و الشباب الجزائري" وكذا كتابات أحمد مهساس، ومحمد حرّبي، وأيضا كتابات الراحلين أبو القاسم سعد الله، ويحي بوعزيز القريبة إلى المصدر منها إلى المرجع، لاحتوائها على عديد النصوص الأصلية التي لم يسبق لها أن نشرت من قبل، وكل هذا وذاك نجده مفهرسا في الببليوغرافيا.

المراجع:

استعنت بمراجع كثيرة لسد النقص الذي وقفت أمامه، فعدت لكتابات محمد بلقاسم حول وحدة المغرب العربي والذي أورد نصوصا كثيرة في دراسته القيمة بعنوان "وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا"، كما استعنت بكتابات رابح لونيسي في تحليل أفكار ومنطلقات وآراء النخب الجزائرية، وخاصة كتابه "التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف"، كما عدت أيضا

لأطروحة أحمد مالكي "الاستعمار والحركات الوطنية في المغرب العربي"، وكذا الدراسة الحديثة التي أعدها نور الدين ثنيو بعنوان: "إشكالية الدولة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية"، هذا إضافة إلى مراجع وكتب ودراسات بيوغرافية عددها كثير وحصرها عسير هي موجودة في الببليوغرافيا.

وقد وقفت علي عدة صعاب لا ينكرها طالب علم وباحث في التاريخ، لعل أبرزها عدم التمكن من الدخول إلى بعض دور ومراكز الأرشيف، بالإضافة إلى كثير من الصعاب الموجودة في الأرشيف الوطني بالعاصمة على سبيل المثال، والذي نأسف لأننا لم نتحصل على أية وثيقة منه، نظرا للتعقيدات الإدارية الموجودة فيه، والتي لازالت تعيق عمل الباحثين إلى حدّ الساعة، بالإضافة إلى التعقيدات الموجودة في مديرية أرشيف ولاية وهران، بحيث أن جو العمل لا يساعد الباحث بكل صراحة، لذلك نتمنى من المعنيين بالأمر في هذه القطاعات التنبّه لهذه الإشكالية، ومعالجتها في أقرب الآجال من أجل مدرسة تاريخية جزائرية أكاديمية وواعدة، ومن جهة أخرى تلقيت صعوبات كبيرة في الوصول إلى الصحف والجرائد الخاصة بنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب نظرا للمضايقات التي مورست عليها في تلك الفترة من طرف الإدارة الاستعمارية، وحتى بعد الاستقلال حيث انصب الاهتمام بجمع وثائق الثورة، فيما أهملت فترة الحركة الوطنية نسبيا خاصة أدبيات حزب الشعب، وبالخصوص لما تحكمت الأيديولوجيا والذاتية في مسار الكتابة، لكن مع ذلك استطعت تحميل بعضها من موقع المكتبة الوطنية الفرنسية، والحصول على البعض الآخر من أصدقاء باحثين في الميدان.

لن أدعي أبدا وأقول أنني استطعت الإمام بالموضوع، فلكل عمل إذا ما تمّ نقصان، لكن أتمنى أن تكون هذه الدراسة محاولة جادة لسد إحدى الثغرات في تاريخنا الوطني الحافل والعميق، وأسأل الله العلي العظيم التوفيق والسداد، راجيا أن ينتفع بها طلبة العلم والباحثون، وكل غيور على هذه الأمة.

إبراهيم بن عبد المومن / زروانة، جباله

يوم 30-04-2017

# الفصل التمهيدي:

مشروع الوحدة تحت راية الخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية  
(1900-1920)

1- السياق التاريخي للمرحلة.

2- أسباب ومنطلقات نمو التوجه الوحدوي الإسلامي تحت راية الخلافة.

3- مظاهر تفاعل الأدبيات الجزائرية مع حركة الجامعة الإسلامية الوحدوية.

- خلاصة

## 1- السياق التاريخي للمرحلة (1900-1920):

بجول سنة 1900 كانت قد مضت سبعون سنة على احتلال الجزائر، وسقوط أول قطر إسلامي في قبضة الاستعمار الأوروبي الإمبريالي الحديث تحت رعاية الكنيسة المسيحية، فالجزائريون انتظروا دون جدوى المدد والعون من طرف العرب والمسلمين لإخراج الفرنسيين الذين عاثوا فسادا في أراضيهم فنهبوا ثرواتهم وممتلكاتهم وطردوهم إلى الصحاري والأقفار<sup>(1)</sup>؛ توالى الانتكاسات بعد ذلك بسقوط تونس عام 1881، ثم ليبيا في أيدي الإيطاليين سنة 1911، ثم المغرب الأقصى تحت الحماية الفرنسية-الاسبانية سنة 1912، وبالتالي اكتملت عملية فصل المغرب الإسلامي الذي عاش لقرون تحت حكم الدويلات المستقلة ثم الحكم العثماني (=ماعداء الاقليم المراكشي)، وبدى وكأن ظروفه ومستقبله راح يختلف اختلافا تاما عما هو حاصل في المشرق الذي كانت أقطاره تسقط هوي الأخرى في قبضة الفرنسيين والبريطانيين<sup>(2)</sup>.

ثم إن مشروع الدول الأوروبية الكبرى في اقتسام ممتلكات الرجل المريض، واختطاط مراكز تموقعها الجديد، ورسمها لخريطة العالم الإسلامي ومستقبل الشرق الأوسط، قد انحنى منحني خطيرا استوجب على المسلمين في العالم أن يستشعروا الخطر أكثر فأكثر لأن كل شيئا بات يهدد وجودهم

(1) لما اكتوت الجزائر بنار الاحتلال وحمل الأمير عبد القادر لواء المقاومة، راسل عديد الشخصيات وزعماء الأقطار الإسلامية لكن دون جدوى، والمتتبع لأدبيات الحركة الوطنية الجزائرية (=التيار الاستقلالي خاصة)، يلحظ الإشارة لهذه النقطة في عدة مناسبات، وهي قضية ترك الجزائر لوحدها تصارع الاستعمار الذي هو حملة على الإسلام قبل كل شيء، ونسوق في هذا الصدد مثلا بارزا وهو مذكرة أرسلها حزب الشعب لجامعة الدول العربية في دورته الرابعة مستغلا مجازر 8ماي 1945 وعمليات التنكيل التي طالت الجزائريين ومن جملة ما جاء فيها: "لقد قيل أن الأمير عبد القادر كان متشائما ساعة بعث بها صيحات استغاثة ونجدة، ورسائل تحذير من العواقب إلى بعض ملوك وأمراء العرب في القرن الماضي أن سلت الجزائر للعدو، ولقد تلقى هؤلاء الملوك رسائل الأمير-قدس الله ثراه-بعدم الاكتراث، ودون أن يهتموا حتى بالرد عليه ظنا منهم أن النكبة على فرض وقوعها إنما ستنزل على الجزائر، وعلى الجزائر وحدها، لكن ما أنتم أولاء - أيها السادة المحترمون تشاهدون تنبؤات الامير عبد القادر، وانتشار المصيبة، إذ باتت افريقيا الشمالية كلها تحت نير الاستعمار..." أنظر: بيان عام عن حوادث سطيف الدامية بالجزائر (مايو 1945): مذكرة حزب الشعب الجزائري إلى جامعة الدول العربية : مجلة الذاكرة: مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، السنة

الثانية، ع2، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، مارس 1995، ص ص 83، 84.

(2) واصلت الدول الأوروبية اقتطاع الاجزاء الاسلامية شيئا فشيئا فاحتلت بريطانيا قبرص عام 1878، ومصر عام 1882 .

هذه المرة، فكان لا بد من حلّ سريع وشمولي لاستنهاض العزائم، واستجماع القوى للدّوز عن الأرض والعرض.

ومن المعروف أنه قبل نهاية القرن التاسع عشر كانت الدولة العثمانية وبالرغم من ضعف هيكلها ماتزال قلب الخلافة، ونقطة الالتقاء السياسي والروحي بالنسبة لغالبية المسلمين، حتى ولو مع المظالم التي كانت واقعة من طرف ولائها (= في المشرق خاصة)، فالمغاربة عموما والجزائريون خصوصا كانوا لا يزالون متعلقين بالخلافة العثمانية<sup>(1)</sup>، فمع تنامي مصادر الخطر بالنسبة لمستقبل آل عثمان وممالكهم شرقا وغربا كان من المستعجل ومن الضروري الدعوة لإقامة وحدة شاملة، تنبع من قلب الخلافة وتعمل تحت رايتها لرأب الصدع واستعادة تلك العلاقات بين الأتراك وممالكها التاريخية للتصدي لمصدر الخطر الخارجي.

كل هذا وذاك سيولد مشروعا اصطلاح عليه بمشروع الجامعة الإسلامية (panislamisme)<sup>(2)</sup>، فقد تقوى هذا المشروع خاصة في مرحلة حكم السلطان عبد الحميد الثاني (1876-1909)، وكان يهدف لتجميع المسلمين واتحادهم في جبهة واحدة لمواجهة النفوذ الاستعماري الغربي<sup>(3)</sup>، وإعادة ربط

(1) يحي بوغزيز، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية: كتاب: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص ص 376، 377.

(2) يرى المرحوم أبو القاسم سعد الله أنه يجب على المؤرخين والمهتمين بفكر الجامعة الإسلامية أن يتمعنوا جيدا في المقاومة الجزائرية للاحتلال الفرنسي الذي يعتبر الصدام الأول بين الشرق والغرب في التاريخ الحديث، فعادة ما يربط المشاركة والاوروبيون فكر الجامعة الاسلامية بالمسألة الشرقية والصراع(العثماني-الأوروبي)، ويستبعدون الجزائر والشمال الافريقي(المغرب العربي) كعوامل جد هامة في تطور فكر الجامعة الاسلامية والقومية العربية، فالجزائريون هم الأوائل الذين نادوا بالتضامن بين المسلمين وبإصلاح الاسلام على غرار حمدان خوجة، والأمير عبد القادر المحارب المفكر والمصلح الاسلامي، ويرى سعد الله أن عملية الكتابة التاريخية التقسيمية والجزئية لكل قطر اسلامي منفردا، هي التي جعلت هذا المشكل لا يتراءى للأعين، وخاصة الجزائر التي عادة ما كُتبت تاريخها من طرف الفرنسيين على أنها جزء فرنسي، فعملية كتابة تاريخ اسلامي متكامل هي وحدها الكفيلة بفهم أحسن لفكر الجامعة الاسلامية. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الثاني، (1900-1930)، دار الغرب الاسلامي، ط4، لبنان، 1992، ص ص 109، 110.

(3) أنور الجندي، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة، ط2، لبنان، 1983، ص 161.

الصلات العاطفية والثقافية بين الشعوب الإسلامية ومد جسور التضامن المادي والمعنوي فيما بينها<sup>(1)</sup>. ونشير إلى أنه قد اختلفت الرؤى العلمية والعاطفية والسياسية حول قضية الجامعة الإسلامية، واختلفت معها أيضا زوايا رؤيتها من فكرة إلى مشروع وذلك عند دعائها ومنظريها الأوائل قبل اختلافها عند المؤرخين والمهتمين<sup>(2)</sup>.

ولعلنا نجد من بين أبرز دعائها جمال الدين الأفغاني (1838-1897)، ومحمد عبده (1849-1905)، ثم رشيد رضا (1865-1935)، وشكيب أرسلان (1869-1946)... الخ، وهي من بين الشخصيات الرئيسية التي لعبت دورا هاما في نشر مشروع الجامعة، والتعريف به والاتصال بالزعماء المسلمين في كل أقطار العالم الإسلامي لتبنيّه، والتنسيق بين الحركات الوطنية في الدول المستعمرة من أجل المقاومة والنضال في إطاره، وبالتالي تحت راية الخلافة العثمانية.

---

(1) علي مراد، الحركة الاصلاحية الاسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، ترجمة: محمد يجياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 447.

(2) اختلفت التعاريف والمفاهيم للجامعة الإسلامية من مؤرخ لآخر باختلاف منظريها، فإراها أرنولد توينبي الذي وصفها بالنائمة: على أنها أهم قضية من القضايا الخطيرة التي شعلت وتشغل بال الفكر الإسلامي الحرّ، وهي حلم قيام الدولة الإسلامية الجامعة الموحدة. وإراها السلطان عبد الحميد الثاني على أنها تجميع كل مسلمي العالم تحت سلطة الخليفة لمواجهة الاستعمار الغربي، فهي في نظره حركة تحرر سياسي. كما يراها جمال الدين الأفغاني أكبر وأشمل فإضافة إلى معناها التحرري في المجال السياسي، فهناك العمل التحرري الفكري والعقلي، على أن تقوم الوحدة على أساس دستوري شعوري على شكل وحدات أو خديويات لا مركزية ولهذا رفضه السلطان عبد الحميد الثاني، لأن الاختلاف واضح بين المصلح والحاكم: للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يرجى الرجوع إلى: الصادق دهّاش، مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي بين (1876-1919)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009، ص ص 09-64.

ونشير إلى أن المفهوم الذي جاء به السلطان عبد الحميد الثاني<sup>(1)</sup> كان وحدة المسلمين تحت لواء الخلافة وإن لم يكونوا أجزاء من الدولة العثمانية، وهو بذلك يفتح الطريق لإقامة جبهة مقاومة موسعة تضم مسلمين شتى على غرار الهنديين، والإيرانيين، والأفغانستانيين، والجزائريين والملاويين.<sup>(2)</sup>

ومن المؤكد تاريخياً أن تلك الطموحات الحميدية اصطدمت بضعف هياكل الدولة (=الرجل المريض) وتشتت قواها من جهة، وبالدهس الغريبة من جهة أخرى، وهي التي راحت تفكر في أي طريقة للتنفيذ من مشروعه، وخلق الفوارق والاختلافات بينه وبين الشعوب الإسلامية، وغرس بذور الثورات القومية والعرقية، ومن ثم إسقاط حكمه والتفرغ لاقتسام المجالات الحيوية في أراضي العرب والمسلمين.

ضعف الدولة (=الامبراطورية) العثمانية، و الدهس الغريبة المرتكزة على امتيازات حصلت عليها منذ قرون، لم تكن وحدها كفيلة بإسقاط السلطان عبد الحميد الذي دام حكمه 33 سنة، بل كانت أيضاً بتخطيط محكم من طرف اليهود الذين كانت علاقتهم جد سيئة بالسلطان، خاصة لما منعهم من الحصول على امتيازات في الأراضي الفلسطينية، بعدما كان قد وعدهم الإمبراطور الألماني "Wilhelm" بها، فتوالت مؤتمراتهم، وندواتهم، وتحالفاتهم، مع المنظمات السرية الأرمينية والمنظمات

---

(1) ولد في 16 شعبان 1842، تولى العرش وهو في سن الرابعة والثلاثين من عمره، تلقى تعليماً منتظماً في القصر السلطاني على أيدي عدة علماء، اشتهر باهتمامه بالسياسة العالمية، فكان متتبعا لأخبارها، أثرت الرحلة التي قام بها إلى أوروبا مع عمه كثيراً بحيث وقف على القوة التي أصبحت تتمتع بها الدول الكبرى، عرف بوقوفه ضد الديمقراطية والحكم بالدستور، مر عصر حكمه =بأزمات شديدة وتآمر عالمي على الدولة العثمانية، قام بإصلاحات عديدة في: التعليم والجيش والإدارة، خلف وراءه حوالي 15 ولداً، 6 ذكور و 7 بنات. عنه أنظر: علي محمد الصلابي، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة المصرية، ط1، بيروت، 2010، صص 12-21. وأيضاً: عبد القادر ده ده أغلو، السلاطين العثمانيين، ترجمة: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1990، صص 83، 84.

(2) أنور الجندي، المرجع السابق، صص 163.

الماسونية وطوائف الدونمة لإسقاطه، وكان لمجئى الاتحاديين ووقوفهم ضد عبد الحميد الأثر الكبير في تشويه صورته، ومن ثم سقوطه عام 1908<sup>(1)</sup>.

من جهة أخرى كان قد تزامن هذا الظرف ببروز ما يسمى باليقظة القومية العربية، والتي ينسبها الكثيرون للمصلح محمد بن عبد الوهاب (1703-1792) والتي كانت حركته من الإرهاصات الفكرية الأولى ذات الطابع العربي الإسلامي<sup>(2)</sup>، ووصولاً إلى حركة محمد علي وابنه ابراهيم اللذان أرادا تأليف دولة موحدة في شبه الجزيرة العربية والعراق والشام تستقل عن الخلافة العثمانية (1811-1832)، وبعدها نمو النزعات الاستقلالية والانفصالية، وتأسيس الدولة العربية للتخلص من مظالم الخلافة العثمانية التي باتت صغيرة في أعين العرب منذ اقتطعت منها الجزائر 1830، ولم تحرك ساكناً فتوالت السقطات والنكبات بعد ذلك<sup>(3)</sup>، فكل هذه أمور كانت تقتضي بالنسبة للعرب الأخذ

(1) لا نستطيع الإمام في هذه العجالة بقضية معقدة وكبيرة وهامة مثل هذه في سطور قليلة، للاستزادة في الموضوع: أنظر: مصطفى طوران، أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة: محمد كمال، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط4، بيروت، 1985، ص ص 17-23.

(2) تلتها بعد ذلك دعوات كل من محمد بن علي الشوكاني (1760-1834) في اليمن، ودعوة أبي الثناء شهاب الدين محمد الألوسي (1802-1853) في العراق، والحركة السنوسية تحت قيادة محمد بن علي السنوسي (1787-1859)، وحركة محمد = بن أحمد المهدي (1843-1885) في السودان والتي اعتبرت استمراراً للنهج الذي اختطه محمد بن عبد الوهاب في الإصلاح الديني والثورة على الظلم والفساد وتأكيد لوعي القومي بين العرب. أنظر: على محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية (1919-1945)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص ص 29، 28. نتفق مع رأي المرحوم سعد الله، فكلما أثرت قضايا الاستعمار أو المقاومة أو الوحدة أو الدعوات الإصلاحية فإن الجزائر تدرس على انفراد، فلا أحد يضم زعماء الجزائر وقادتها في دراسات متكاملة مع بقية الأقطار الإسلامية وهذا ما لاحظناه في عديد الكتب المشرقية.

(3) يرى المفكر عزمي بشارة أن فكرة القومية العربية ليست كما يدعي المستشرقون وبعض الإسلاميون على أنها جهد أقلياتي للانتماء إلى الأكثرية العربية في بلاد العرب ضد الهوية الإسلامية للإمبراطورية العثمانية. انظر: عزمي بشارة، في مفاهيم الهوية والديموقراطية والمواطنة، من ندوة الحوار القومي - الإسلامي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع المعهد السويدي بالإسكندرية، ط1، بيروت، لبنان، 2008، ص50. كما يرى أن العروبة وحدها لا تتحمل المسؤولية عن انهيار الإمبراطورية العثمانية، مستشهداً بما كتبه السلطان عبد الحميد في يومياته عندما قال أن العروبة كان آخر من تمرد على الإمبراطورية، وخلافاً للقومية التركية وقبلها الفارسية لم تنجح القومية العربية في إقامة دولتها، كما يرى أن ما يشاع عن عملية التتريك ونسبها لأتاتورك هو خاطئ فالبلاط العثماني في رأيه بدأ في تلك السياسة قبل ذلك بكثير. نفسه، ص 52.

بأسباب الحضارة والثورة على العثمانيين والغاء الخلافة المزعومة في نظرهم، ولا أحد أخذ في الحسبان أن تلك الثورة ستكون في يوم من الأيام نذير شؤم ووصمة عار في تاريخ العرب برعاية انجليزية - فرنسية لما سيستمر لاحقاً بثورة الشريف حسين 1916، واحتواء واختراق كل المحاولات النهضوية العربية بعدها.

قامت الحرب العالمية الأولى (1914-1918) فكانت ربما آخر فرصة للشمل، فتوالت الدعوات والنداءات العثمانية التركية للوقوف إلى جنب الاسلام والمسلمين وعدم الخروج عن الخليفة، كان الجو غامضاً والأمر غير مفهومة، فالجزائريون الذين أنهكت قواهم في المقاومات الشعبية التي لم تجد نفعا ولم تصل إلى حلّ يخرج المستعمر من أراضيهم، دخلوا في مرحلة جديدة وهم الذين كانوا معنيين بالحرب (=التجنيد الاجباري)، فكان لابد عليهم من تتبع كل صغيرة وكبيرة تحدث خارج الفضاء المغاربي، لربطه بمصير الجزائر حاضرا ومستقبلا، وهم في نفس الوقت أولئك الذين لم يشعروا قط بانفصالهم عن الجسد الإسلامي منذ اعتناقهم الإسلام عقب الفتوح، لذلك وبحكم أن الجزائر كانت أول الأقطار الإسلامية سقوطا تحت راية الصليب في العصر الحديث، ستعرف رواجاً كبيراً لفكرة الجامعة الإسلامية منذ الردود الفعلية الأولى للمقاومة، لتتوالى بعد ذلك نماذج الولاء للخلافة، والخليفة والعثمانيين وقبل كل هذا الولاء للإسلام، من أجل لمّ شمل الأمة الإسلامية بغض النظر عن مصدر الخلافة أو شكلها.

## 2-أسباب ومنطلقات نمو التوجه الوحدوي الإسلامي تحت راية الخلافة:

### 1-2-العوامل الداخلية:

يتفق غالبية المؤرخين أن السياسات المعتمدة من طرف السّاسة والحكام الفرنسيين في ظل الحكم العسكري(1830-1870) وبعده المدني لم تصل إلى حلول كافية لإرضاء الأهالي الجزائريين<sup>(1)</sup> وهم الذين عرفوا أشد أنواع الاستعمار<sup>(2)</sup> عبر التاريخ، وهو ما هدد أمنهم وزرع استقرارهم البشري، ومسّ مقدساتهم، فتعددت بذلك سبل مقاومتهم للغزاة، فمن انتفاضات وثورات شعبية، إلى قيام حركة وطنية اتخذت من الطابع السياسي السلمي شعارا لها، ووصولاً إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى (1954-1962).

فالجزائريون وجدوا أنفسهم مع السنوات الأولى للاحتلال مهددين في أملاكهم، وحرّياتهم، ودينهم وعاداتهم، وموروثاتهم التاريخية، ولعل السياسات التي اتبعتها الإدارة الفرنسية باختلاف الساسة والحكام العاقمين والعسكريين والإداريين المتوالين على حكم وتسيير الجزائر، قد أريد من خلالها ضرب النسيج الاجتماعي الجزائري بتفكيكه إلى فسيفساء عرقية وجهوية، واللعب على أوتار ثقافته التي صهرتها القرون بقيام الحضارات، ولعل من بين السياسات (=الثقافية) الأولى بعد عمليات التقتيل والتهجير، ومجازر الإبادة الجماعية، هي محاربة دين الإسلام بمختلف الطرق، واعتماد التنصير كفاعل خطير في ذلك، فقد كانت هذه الحركة بالنسبة لفرنسا فتحاً مسيحياً، وتحقيقاً للحلم القديم حلم إفريقيا المسيحية، ولعل من بين الأعمال الأولى التي قامت بها الكنيسة بعد انتصابها تحت حماية الجيش الفرنسي فوق أرض الجزائر، محاولة كتابة تاريخ الكنيسة الإفريقية؛ لذلك فإن القائمين على

(1) تفكر أساساً في: سياسات الإدماج والتجنيس والمساواة ولو انها كانت أكبر أكلوبة على الجزائريين. شارل روبر أجيرون، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، الجزء الثاني، نقله إلى العربية: م. حاج مسعود و ع. بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007، ص 917.

(2) كان المرحوم نايت بلقاسم يستعمل هذه الكلمة، لأنها حسبه تعبر عن الغزاة الفرنسيين الذين لم يعمرؤا أرض الجزائر كما ادعوا، بل دمرؤها وخربوها تخريباً.

سياسة التنصير يعتبرون أن الباعث الأول على نشاطهم، هو القضاء على الأجيال غير النصرانية وإنقاذ الشعوب البدائية من تأخرها، بإدخالهم في الحضارة العالمية المسيحية، والعمل على ادخالها في المسيحية لتلحق بالشعوب المتقدمة<sup>(1)</sup>.

سعى الاستعمار الفرنسي أيضا لتفريق الجزائريين عن بعضهم البعض بشتى الوسائل وذلك بخلق الشقاق، وتأجيج الصراعات بين القبائل والعروش، وأصحاب المصالح المشتركة، وخاصة المناطق المعروفة بتلاحمها (التاريخي-الثقافي) أو المقاوماتي، و نعني هنا أساسا على ما عرف بالمسألة البربرية<sup>(2)</sup>

(1) للمزيد من التفاصيل حول هذه الحركة انظر: خديجة بقطاش، الحركة التبشيرية في الجزائر، مؤسسة دحلب، (د.ت) ص12. لم يمض إلا شهران على احتلال الجزائر حتى أصدر المحتل أمرا يوم 8 سبتمبر 1830 يقضي بالاستيلاء على الأوقاف الإسلامية للمسلمين الجزائريين ووصل بهم الأمر إلى حد نبش القبور وقد ندد بذلك حمدان بن خوجة قائلا: "إن السلطة استولت على مساجدنا ومعابدنا ولم يبق منها إلا الربع" انظر: حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984، ص ص280، 281. وقد تلت محاولات الفرنسيين بمشاريع ومراسيم وأوامر وسياسات عديدة لا يسع ذكرها هنا كجميع الجنرال بيجو للأطفال وعرضهم على القس بغية تنصيرهم، أنظر: صالح فركوس، محاضرات في تاريخ =الجزائر الحديث والمعاصر، مطبعة جامعة قلمة، الجزائر، 2011، ص36. وكذا سياسات "لامورسيار" الذي حول مسجدا بوهراة على كنييسة. أنظر: شاوشي حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر، (1830-1962)، دار هومة، الجزائر، (د.ت)، ص26. عبد الجليل التميمي، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19، المجلة التاريخية المغربية، ع1، تونس، جانفي 1974، ص21. وقد تواصلت محاولات التنصير ومشاريعه حتى في القرن العشرين ونعني هنا خاصة الاحتفال المئوي الاستفزازي بالجزائر 1930 والذي أشهر فيه القساوسة صلبانهم عاليا وهناك صرح حاكم تبسة قائلا: "إننا جئنا إلى الجزائر لندفن القرآن". أنظر: الحبيب الجنحاني، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر، مجلة الأصالة: مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، س3، ع 16، سبتمبر -أكتوبر، الجزائر، 1973، ص40.

(2) كانت المسألة البربرية ضمن خطط الاستعمار الفرنسي الهدامة للتركيبية والبنية الاجتماعية المغاربية وبصفة خاصة الجزائر والمغرب الأقصى (=وصولاً إلى الظهير البربري 1930)، فوجدت إدارة الاحتلال بذلك حقل تجارب تمثل في المناطق القبائلية، فأنشأت فرقة الزواوة بقرار رسمي منذ 1857، فمنطقة القبائل حسبهم كانت قابلة لاستقبال الحضارة، بحيث يشهد التمدن فيها تقدما معتبرا. أنظر: أحمد بن نعمان، فرنسا والأطروحة البربرية: الخلفيات، الأهداف، الوسائل والبدائل، دار الأمة، ط2، الجزائر، 1997، ص29.

وهي السياسة التي تغلغت كثيرا بين الجزائريين، ولعل أزمة حركة الانتصار فيما عرف بالأزمة البربرية<sup>(1)</sup> سنة 1949 التي كادت تعصف بحزب حركة الانتصار (MTLD) خير دليل على ذلك.

إضافة إلى ذلك السياسة التعليمية الفرنسية التي تميزت بالازدواجية التناقضية الصارخة (=التجهيل/الفرنسة)، والتي أرادت من خلالها القضاء على المؤسسات العلمية التقليدية المتمثلة في المسجد، والزاوية، والكتاب، لاستئصال المجتمع من جميع مقوماته، لذلك فإن أول عمل قام به الاحتلال الفرنسي هو الاستيلاء على هذه المؤسسات وأوقافها وتحويلها إلى كنائس وثكنات وحرقت كل ما هو مكتوب باللغة العربية<sup>(2)</sup>، ومن جهة أخرى تعليم اللغة الدارجة والتدريس والكتابة بها لتحل محل العربية وبالتالي العمل على صياغة هوية جديدة للمجتمع واستنباتها في النفوس<sup>(3)</sup>، كل هذا في مقابل جعل اللغة الفرنسية اللغة الرسمية والدراجة بين الأهالي، حتى تقوم مقام العربية لاستمالة الجزائريين ودمجهم مع الفرنسيين حسب ما ورد في تقرير فرنسي لعام 1847<sup>(4)</sup>، ولعل هذه السياسة قد نجحت إلى حد بعيد في خلق اتجاه أو تيار تمثل في النخبة المثقفة ثقافة فرنسية نادى بالاندماج

(1) عنها انظر بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، تر: مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية، ط2، الجزائر، 2012، ص 235-237.

(2) الجنود الفرنسيون كانوا يظنون ان كل ما هو مكتوب بالعربي هو قرآن، وأنهم سوف يقضون على الثقافة العربية الإسلامية بتمزيقهم وإحراقهم لهذه الكتب. أنظر: قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى (1945-1954)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2002، ص 116.

(3) أنظر في هذا الصدد الدراسة القيمة للدكتور فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837-1937): المنطلق - السيورة - المآل، دار الخلدونية، الجزائر، 2013، ص 421. إذ يستشهد بعدة دراسات ووثائق ونصوص عن التعليم بالعامية واستعمال الفرنسيين له كأرضية للانطلاق في عملية الفرنسية حسب تعبير المستشرق الفرنسي "أ. كولان": "...إن فرنسا وظفت معطيات تاريخية ولغوية واجتماعية أحيانا للدفاع عن العامية ظاهرا وبغرض التمكين للفرنسة باطنا". نفسه، ص 421. نقلا عن: محمد الأوراسي، التعدد اللغوي: انعكاسه على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001، ص 87.

(4) لتفاصيل أكثر راجع: الطاهر زرهوني، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم للنشر، الجزائر، 1993، ص 12.

وذابت في الحياة الفرنسية<sup>(1)</sup>، فالفرنسيون مارسوا سياسة التضييل كثيرا بأن منعوا الجزائريين من ثقافتهم (=العربية)<sup>(2)</sup> بتحطيم مؤسساتهم العلمية والدينية، وفي نفس الوقت منعوهم من الوصول إلى ثقافة الفرنسيين، وهو الأمر الذي تسبب في وجود تناقض وتضارب وتباين ثقافي كبير<sup>(3)</sup>.

ولا يفوتنا أن نشير أيضا إلى سياسة التشويه، والتزوير التي طالت التاريخ الجزائري، باعتباره جزءا مهما من مقومات تكوين الشخصية الجزائرية التي نمت وانصهرت في إطارها الأمازيغي والعربي والإسلامي عبر قرون، فسياسة هدم المساجد والآثار وفتح الطرق وإنشاء الساحات<sup>(4)</sup> التي انتهجتها عدة حكومات تعاقبت على حكم الجزائر كان هدفها الأول طمس التاريخ الجزائري خاصة الإسلامي منه، والحفاظ في المقابل على المنشآت الرومانية المسيحية بالتنقيب عن آثارها، والاهتمام بشواهد<sup>(5)</sup>، أما من الناحية التعليمية كان التعليم فرنسيا بحثا فالفرنسية هي لغة الوطن، وبلاد فرنسا فيه هي الوطن وتاريخ فرنسا هو تاريخ الوطن<sup>(6)</sup>، فالبرامج المسطرة كانت تدعو الأطفال الجزائريين إلى

---

(1) حول السياسات الثقافية وانعكاساتها على النخب الجزائرية، أنظر الفصل الأخير من هذه الدراسة  
(2) يقول سعيدوني ناصر الدين عن هذا: «مما زاد في حقد الاستعمار الفرنسي على اللغة العربية كونها من امهات اللغات الناقلة للعلوم والتي تمت مجاها الحيوي من المحيط الاطلسي إلى المحيط الهادي باعتبارها لغة العبادة لكافة المسلمين، ورسمية للعديد من الدول ابتداء من العراق وحتى المغرب الأقصى». ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية"، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 2009، ص2008.

(3) (للاستزادة راجع أيضا: أحمد مهساس، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، 2007، ص27.  
(4) نستشهد هنا بمثال نموذجي وهو عملية الهدم الفظيعة التي تعرضت لها المدرسة التاشفينية التي بناها عبد الرحمن بن تاشفين الزياني في القرن 14م بتلمسان، والتي حول جزء منها إلى بلدية والنصف الآخر حوّل إلى ساحة عامة لا زالت إلى يومنا هذا موجودة مقابل المسجد الكبير وسط مدينة تلمسان، أما البلدية حوّلت في مناسبة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية سنة 2011 إلى متحف وطني عمومي للفن والتاريخ.

(5) اختلق الفرنسيون كذبة بأن زعموا أن المسجد الجامع الكبير المرابطي في الجزائر العاصمة مبني فوق هيكل ديني مسيحي قديم، فقاموا بتعرية أساساته وقد كانوا هائمين صراحة بين الحقيقة التاريخية والأسطورة. للاستزادة أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1992، ص16.

(6) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص141.

تمجيد الغرب على حساب الشرق، وتأييد الفكر الأوروبي على الفكر العربي<sup>(1)</sup>؛ فلقد كان الجزائريون حتى سنة 1951 يتعلمون أن أجدادهم هم الغاليون وبأن العرب هُزموا في "بواتيه-Poitier"، فالأطفال كانوا يصلون إلى غاية الجامعة وبالكاد يعرفون شيئا عن شمال إفريقيا (=المغرب العربي) أو المشرق العربي<sup>(2)</sup>، فالنظرية التاريخية الاستعمارية بخصوص الهوية الجزائرية، كانت تدّعي بأن الجزائر تاريخيا لم تعرف استقلالاً ولا اتحاداً، وهي مجرد رقعة جغرافية تعاقبت عليها الدول فقط، وحتى الإسلام لم يكن فتحاً وإنما حمل معه التعصب والعنف ليغرسه في الجزائريين<sup>(3)</sup>.

ثم إن التركيز كان بالأساس على اللغة والتاريخ والجغرافيا، فالتلقين كان على أن الجزائر هي امتداد طبيعي جغرافي لفرنسا ضمن نطاق ما وراء البحار<sup>(4)</sup>، وكثيرا ما كانت تحدث حتى مناقشات داخل الأقسام بين التلميذ والمعلم إذا تفتن التلميذ للخدعة أو المعلومة المفبركة كما يروي أحمد بن بلة<sup>(5)</sup>. فالسوسولوجيا الاستعمارية بذلك استهدفت أمرين مركزيين بذلك وهما: التشكيك في أصول المغاربة أولا (=الجزائريين خاصة بحكم طبيعة الاستعمار الاستيطاني) ونفي فاعليتهم الحضارية ثانيا<sup>(6)</sup>.

---

(1) نستحضر نموذج لشخص فرحات عباس خاصة عندما قال مقولته الشهيرة: "... فرنسا هي أنا ... بحث في المقابر ولم أجد أثرا للأمة الجزائرية". أنظر: يحيى بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه ووثائقه (1912-1948)، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 45. راجع للاستزادة الفصل الأخير من هذه الدراسة.

(2) قريشي محمد، المرجع السابق، ص 123.

(3) إبراهيم مهديد، الطرح الوطني للهوية الوطنية، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، ع1، جانفي، 2014، ص 12.

(4) رايح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها (1830-1962)، دراسة نظرية تحليلية، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر 2، 2011، ص 143.

(5) مذكرات أحمد بن بلة كما أملاها على روبر ميرل، ترجمة: العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، (د.ت) ص 34

(6) أحمد مالكي، صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، أعمال الملتقى الدولي حول: الاستعمار بين الحقيقة

التاريخية و الجدل السياسي، 02-03 جويلية / 2006، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007، ص 175.

إن كل هذه السياسات التي استهدفت البنى الثقافية، والاجتماعية للشخصية الجزائرية والتي طبقت على مدار فترات، قد تزامن معها أيضا سياسات تحقير، وتحجيم، وتقزيم لكل ما هو جزائري وإسلامي وعربي ومحلي بالخصوص، فالمفردات والأوصاف التي استعملها الأوروبيون والفرنسيون خاصة والأقدام السوداء بصفة أخص لوصف الإنسان الجزائري العربي، هي مفردات يتحرج الجزائريون اليوم من نطقها أو حتى الهمس بها، فتعابير مثل: «البيكو picou» و«الموتشو mout chou» الترافاي آراب «travail arabe» كانت تمتلأ بها الصحف والأدبيات الفرنسية<sup>(1)</sup>، من جهة أخرى كان تحقير الإنسان الأمازيغي واردا بكثرة فهو منعوت بالوحشية والبربرية، وهو بالنسبة للفرنسيين آخر الأقوام الهمجية المنتمية إلى الجنس الأبيض<sup>(2)</sup>.

كل هذا وذاك بالإضافة إلى النظرة الاستعمارية لمكانة الإسلام وقيمه الحضارية، اعتقاد مححف قوامه الجزم باستحالة بروز دولة جزائرية قادرة على تجسيد مكونات مجتمعها، سياسيا واقتصاديا وثقافيا، ولهذا كانت الأحكام الفرنسية الجائرة مسلّمة بفوضوية الجزائريين وتنافرهم، وانقسامهم واعتمادهم العنف والتمرد وسائل للتعامل، بهذا المعنى وفي نظرهم أصبحت الجزائر مجرد خليط من الأهالي المتباغضين يجب حكمهم بقسوة<sup>(3)</sup>.

فهؤلاء الذين لا يعرفون فكرة الجنسية أو الشعور بالانتماء إلى الوطن، أو حتى الجسد العربي أو الاسلامي هم في حكم التبعية، والاستلاب، والضياع إذا اعتبروا أنفسهم موصولين مع الشرق،

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، كتاب: إيمانويل سيغان، الاستعمار والثقافة الشعبية في الجزائر ترجمة: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الاسلامي، ج1، لبنان، 1948: عن مقدمة المترجم، ص 48.

(2) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص256.

(3) كثرة الألقاب ك: الأوباش- الحفنة من البدو : فقد كانت عبارات مألوفة و تتردد على ألسنة الكثير من الضباط آنذاك ، فالعنصرية كانت واضحة فيها ،فقد لجأ الضباط و القادة الفرنسيون إلى نظريات محكمة و تعليمات دقيقة و مشاريع إجرامية= تمهدف كلها إلى وضع مذهب يثبت تفوق أحد الأجناس أو إحدى الحضارات مع العمل على إهانة الخصم و إبادته ، و الإصرار على عدم الإعجاب بقدراته و كبت شعور الإعجاب و حتى و إن وجد، لضمان عدم التأثر بذلك ... أنظر: مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصة،الجزائر،2007،ص285،286.

فالروابط الطبيعية تقتضي التفكير في الغايات والمصالح المشتركة، وهو ما يتنافى في نظر الفرنسيين والشخصية الجزائرية والمغربية عامة وطموحاتها المستقبلية تجاه فرنسا والغرب<sup>(1)</sup>، لكن في واقع الأمر الاستعمار لم يكن يوماً ما موجوداً ليحقق مطامح الجزائريين، ولا يمكن اعتباره منظومة من الإجراءات القمعية فقط حسب ما عرف عنه، بل هو آلة كبت لتطلعات الشعب نحو الحرية والاستقلال، وقاطع لروح وعيها بمؤسسات الدولة المدنية الحديثة والتي كانت مستهدفة في مشاريعه وسياساته<sup>(2)</sup>.

ثم لا يفوتنا أن نسجل حالة الركود والانحطاط التي آل إليها المجتمع الجزائري والمغاربي والإسلامي عموماً منذ القرون الوسطى فأفرغ الدين من محتواه، وتغلغلت الطرق الصوفية<sup>(3)</sup> في النسيج الاجتماعي الجزائري منذ العهد العثماني، فبذ العقل والتفكير الفلسفي، وعاش الناس على عقلية القضاء والقدر لقرون يخدم اغلبيتهم الزاوية وشيخ الزاوية واتباع الطريقة، في شكل من أشكال العبادة الشخصية التي تظهت أياً تظهت في عدة مناسبات سهّلت على الفرنسيين عملية إطباق الإحكام على البلاد والعباد. فهذه الأحداث وغيرها كانت في مخيال الجزائريين الذين شعروا ومنذ خمود نار الثورات الشعبية، أنهم ضعاف يئسون وهنون وأن لا حلول لإخراج فرنسا التي جاءت بأسلحة حديثة

(1) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 83. كان الفرنسيون ولا زالوا يصرون على ان مستقبل المغرب العربي هو مع فرنسا في جميع المجالات، لأن لهذه المنطقة تاريخ خاص مع روما المسيحية القديمة، وشعوبها تختلف عن تلك الموجودة في المشرق وبقية المستعمرات الأخرى.

(2) نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، الدوحة، قطر، 2015، ص 31.

(3) لا نتعمد التعميم هنا فيما يخص الزاوية ودورها، فالمتعارف عليه هو دورها الإيجابي والسليبي في المجتمع الجزائري أثناء الاستعمار ولكن وبالرغم مما يعاب على شيوخها ومواقفها إلا انه لا يمكن اغفال الدور العلمي الحيوي الذي قامت به (=مع المؤسسات التقليدية العلمية الأخرى كالمسجد والكتاب) في نشر الثقافة في فترات جد صعبة من التاريخ الجزائري منذ العهد العثماني تميزت بفرغ رهيب وغياب تام لهيئة أو تنظيم رسمي خاص بتعليم الجزائريين فكانت تحضر هذه الزوايا والمؤسسات الطلبة للالتحاق بالمعاهد الإسلامية كالزيتونة والقرويين والأزهر والجامعات الأخرى. انظر: ابراهيم مهديد، مقارنة حول النخب والمثقفين الجزائريين خلال الحقبة الكولونيالية الأولى (1850-1912)، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع 3، مختبر الدراسات المغاربية، النخب

وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران 1- أحمد بن بلة، جوان، 2015، ص 17.

تغلب السيف والرمح والبارود، ولكن هذا الشعور السلي ذاته كان يجعل الجزائريين في تعطش دائم للاجتماع والالتفاف، والتعاون والاتحاد حول نظام قوي ينجيهم من البلاء.

يصرح السيد محمد بن رحال التدرومي<sup>(1)</sup> مخاطبا الفرنسيين قائلا: "سوف يشهد القرن العشرون لا محالة، ميلاد سياسة فرنكو اسلامية مناسبة، وإلا فسوف تحل الكارثة وإذا لم تتم ترقية الإسلام في إفريقيا الغربية على يد فرنسا ومن أجلها فإنه سوف يرتقي رغما عنها ويكون ضدها...الدول الإسلامية متخلفة ومنقسمة على نفسها، غير أن انتشار التعليم سوف يمكن من استعادة مكانتهم في العالم وسوف تساعدهم الروح العدوانية المسيحية على توحيد صفوفهم...سوف تقوم نهضة الإسلام تحت لواء المدافع المسيحية.."<sup>(2)</sup>.

هذا التصريح للسي محمد بن رحال كما يخلو للتدروميين مناداته، هو عينة لكثير من التصريحات الجزائرية المطالبة برد الاعتبار للإسلام في الجزائر، وهو الذي من شأنه أن يعطينا صورة واضحة عن

(1) محمد بن رحال التدرومي (1857-1928): من النخب ذات الثقافة المزدوجة والمتشعبة بالثقافة العربية الإسلامية والمساندة للتحضر والتطور والتعلم والنهل من الثقافة الأوروبية، رجل علم ودين، قائد ونائب برلماني، مؤلف وباحث وأديب يضمه سعد الله إلى الجيل الذي أرادته الفرنسيون أن يكون وسيطا بينهم وبين الجزائريين، وبالرغم من وظيفته عند فرنسا لم يتخل عن الأصول، يعتبره أجيرون عميد الشبان الجزائريين، من موافقه: دفاعة عن الاسلام في مؤتمر المستشرقين عام 1897، معارضة التجنيد الاجباري، المطالبة بإلغاء قانون الاهالي سنة 1921. للاستزادة عنه أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، مصدر سابق، ص 223-226. وعنه وعن بعض الشخصيات والنخب الثقافية من أقرانه وعن درسوا في المدرسة الشرعية-الفرنسية بتلمسان يقول الدكتور مهدي ابراهيم: " هو صنف المتعلمين الذين استفادوا من فرص التعليم الفرنسي وإن بدرجات متفاوتة، لكنهم ظلوا متشبثين بمظاهر الشخصية الوطنية حريصين على عدم الانفصال عن قاعدتهم الاجتماعية، ويشمل هذا التمسك بالشخصية العربية الإسلامية مظاهر مختلفة اجتماعيا وفكريا وسياسيا احيانا أخرى، تمثلت في الحفاظ على طابعهم العربي الاسلامي في لباسهم وسلوكهم داخل المدرسة =خارجها، بينما تمثل تمسكهم الفكري والسياسي في تأييدهم الحركات الاصلاحية الدينية أي تأييد حزب وطني قد يظهر مستقبلا". أنظر: ابراهيم مهدي، مقاربة حول النخب، المرجع السابق، ص14، نقلا عن: محمد الميلي، المسألة الثقافية، مجلة المستقبل العربي، ع45، ص39. في رأينا يكون بن رحال قد استفاد كثيرا من التراث الفكري لمدينة ندرومة ومن الجو العلمي الحيوي الذي تتميز به مساجدها وزواياها وخرابيشها، وكذا وجود ساكنة أندلسية ويهودية كبيرة بالمدينة كانت تؤمن بالعلم وسية للوصول إلى القوة، ثم إن ندرومة كانت تسمى عند الفرنسيين بالمشئلة « pépinière » فأغلب أطفالها وصلوا إلى المعاهد والجامعات ومعروفون بحبهم الشديد للعلم.

(2) مجلة القضايا الديبلوماسية والاستعمارية (01نوفمبر 1901)، نقلا عن أجيرون، المرجع السابق، ص703.

الجو العام السائد فيها على الأقل دينيا، فسياسة تهميش المسلمين الجزائريين وعمليات إهانة مقدساتهم ومؤسستهم الدينية<sup>(1)</sup> جعلت الاستعمار الفرنسي يخسر الحرب من الوهلة الأولى<sup>(2)</sup> وكان ذلك سببا رئيسا أدى إلى نمو نزعات شتى انضوت كلها تحت لواء الدفاع الدين الإسلامي، فكانت بذلك الطريق سهلا أمام التيارات الفكرية والدينية لدخول الجزائر مبكرا ونعني هنا أفكار التضامن والاتحاد الإسلامي والجامعة الإسلامية كما سنرى فيما سيلي.

## 2-2-العوامل الخارجية:

إن التضيق الذي عاشه الجزائريون طيلة عقود من الاستعمار، جعلهم يتطلعون لمعرفة الأحداث خارج الدائرة الاستعمارية التي كانوا يعيشون فيها، فقد بدأ الشارع خاصة مع مطلع القرن العشرين وبالأخص مع اندلاع الحرب العالمية الأولى، يتهافت على المعلومة في ظل تموقع وتشكل سياسي عالمي جديد، وحرب امبريالية اقتصادية شديدة بين القوى الأوربية الكبرى المتصارعة، فتعددت منابع معارفهم وقنوات اتصالاتهم لينفتحوا أكثر على العالم الخارجي، وهم الذين استفادوا من عدة عوامل نلخصها كالاتي:

## 1-2-2-رحلات الحج:

كان الحج ولايزال الملتقى العالمي الذي يجتمع فيه الناس، باختلاف أجناسهم، ومذاهبهم لعبادة الله عز وجل، وقد أصبح المؤتمر السنوي العام الذي يبتغي تحقيق وحدة المسلمين من مختلف البقاع، كما كان دائما وأبدا الرابطة التي تمتن أواصر الأخوة والتضامن والتكافل، وكذا تتناول أخبار المسلمين

(1) انظر في هذا الصدد القسم الأول من كتاب: شاوشي حباسي، المرجع السابق، ص ص 10-33.

(2) يقول الدكتور نور الدين ثنيو في هذا الصدد: "...ارتبط وعي النخبة الجزائرية بتاريخ فرنسا في الجزائر وصار وعيهم السياسي يزداد عند كلِّ حادث أو واقعة جديدة، أكانت تتعلق بالحياة الدولية أم المحلية، ولعلنا لا نعيد عن الصواب إذا قلنا إن سبب انخيار الوجود الفرنسي في الجزائر هو أنه في لحظات تزايد الوعي بما يلائمه من إصلاحات، بتعبير آخر إن سبب إخفاق تجربة الاستعمار في الجزائر يرجع إلى عدم احتمال مشروع الدولة التعامل بخطتين متناقضتين أو بوتيرتين مختلفتين، واحدة خاصة بالأهالي والأخرى تُعنى فقط بالمواطنين الفرنسيين". نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 12.

وأحوالهم في العالم، خاصة في ظل غياب شبه تام لوسائل تنقل المعلومة من إعلام سمعي أو بصري كما هو عليه الحال اليوم، فمن رحم الحج خرجت الدعوة الإسلامية وهي التي أوحى إلى جمال الدين الأفغاني بتأسيس جمعية أم القرى ثم العروة الوثقى<sup>(1)</sup>.

فالحاج كان بمجرد أن يعلن نفسه مترشحا للقيام بفريضة الحج، فإنه يغدو شخصية هامة في وسطه العائلي والاجتماعي، فالحج كان يظهر وكأنه عمل مستقل اتجه المحتل حسب الراحل مصالي الحاج وهو الذي يعطينا نظرة عامة عن الوسط التلمساني المعروف بتعلقه بالجامعة الإسلامية، وعنه يقول: "... كان يسمَح (=الحج) بإبقاء الاتصال بين الجزائر ومجموع العالم الإسلامي، فالحجاج من مختلف الأصول، كان في إمكانهم تبليغ الأخبار والأنباء عن جهتهم وبلداتهم، فالمشاكل السياسية والاقتصادية والثقافية ومسألة التعاون الإسلامي كانت كلها يتم النظر فيها بصفة جماعية. كل واحد يتحدث عن آلامه وآماله وكل واحد بعد العودة يصير ناشرا للدعاية ومناضلا من أجل عظمة الحضارة الإسلامية"<sup>(2)</sup>.

## 2-2-2- الهجرة إلى البلدان الإسلامية:

تعتبر الهجرة شكلا من أشكال المقاومة، وذلك تعبيرا من المهاجر عن عدم رضاه عن الأوضاع السائدة في بلده، وتختلف أسباب تلك الرحلات من شخص لآخر ومن عائلة لأخرى، فأغلبية الدراسات التي تناولت الهجرة الجزائرية إلى أوروبا<sup>(3)</sup> أو إلى البلاد الإسلامية العربية والمغاربية<sup>(4)</sup> أرجعت السبب الأول لذلك، سوء الأوضاع على جميع الأصعدة بالجزائر، ومهما كانت الأسباب، فإن

(1) محمد دراوي، الجزائر والجامعة الإسلامية (1876-1924)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008، ص 66.

(2) مذكرات مصالي الحاج (1898-1938)، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات anep، الجزائر، 2007، ص 30.

(3) أنظر في هذا الصدد الأبعاد العلمية والاقتصادية والنفسية والعسكرية للهجرة في كتاب: عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985، ص 35-51.

(4) خير الدين شترة، المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة بخمسينية الإستقلال، الجزائر، 2013، ص 131-137.

هجرات الجزائريين خاصة إلى المشرق كانت على مراحل، منذ 1830 هروبا من سياسة التسلط الاستعماري، والتي بلغت ذروتها عام 1911 تعبيرا عن رفضها لقانون التجنيد الإجباري، ولعل هجرة أهالي تلمسان وندرومة<sup>(1)</sup> هي أبرز مثال عن ذلك، فلقد هاجرت العديد من العائلات الجزائرية وهي مستقبلها، فما يجدر بنا الإشارة إليه أنه ومهما كانت لهذه الهجرة سلبيات عديدة، فإنه لا يمكن انكار إيجابياتها أيضا، فالهجرات إلى البلدان الإسلامية، سمحت باحتكاك الجزائريين بالعالم الخارجي، والتعرف أكثر على ما يحدث من تقلبات سياسية واجتماعية واقتصادية فتأثروا بها، وأثروا فيها، فقد ساهمت إلى حد كبير في تعلّم أبناء الجزائريين، وتحسين أوضاعهم المعيشية، وكذا تشبع العديد منهم بأفكار الإصلاح والصحوّة الإسلامية، وضرورة تغيير الأوضاع في الجزائر وسائر البلاد المستعمرة.

ونجد عائلات هامة كانت قد هاجرت كعائلة الأمير عبد القادر، وحمدان بن عثمان خوجة، والطيب العقبي، وأحمد رضا حوحو...ومن الذين زاروا عاصمة الخلافة آنذاك نجد الشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة مؤسس الطريقة العليوية الشاذلية في الجزائر وهي الطريقة الموالية لأفكار الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>، فهذه نماذج جد متواضعة من بين عديد الحالات العائلية التي فضلت الهجرة، على أن تبقى تحت

---

(1) يتطرق أجيرون في دراسته إلى الهجرة تلك مبينا دوافعها وأسبابها، ومعطيا عديد التفاصيل الهامة حولها فيبرز الموقع الحضاري لتلمسان كما يعرج على التلمسانيين وخاصة الكراغلة الحضرة الفخورين بأصولهم التركية والذين كانت تجمعهم روابط متينة ببلاد الشرق الإسلامي خاصة دمشق والقسطنطينية، وهم الذين كانت لديهم مراسلات مع سوريا خصوصا أبناء وأحفاد الأمير عبد القادر الجزائري، ولديهم أيضا روابط متينة مع العائلات المهاجرة إلى المغرب الأقصى. أجيرون، المرجع السابق ص 749-762. ونعتقد نحن بحكم انتمائنا للمنطقة أنه بالإضافة إلى الأسباب الدينية نضيف سببا آخر وهو عامل تواجد اليهود بالمنطقة والذين لعبوا دورا كبيرا في هذه الهجرة بأن حفزوا التلمسانيين والندروميين عن طريق شراء ممتلكاتهم وتجارتهم لإبعادهم عن منطقة جد مهمة بالنسبة لهم، فالمدينتان معروفتان بالوجود اليهودي منذ القدم فهما مدينتان روحيتان بالنسبة لهم، وما كثرة الأضرحة المسماة أسامي يهودية إلا خير دليل على ذلك: كسيدي ابراهيم، سيدي موسى، سيدنا يوشع. الخ وبالأخص تلمسان التي تضم ضريح الحاخام اليهودي "أفرايم عنقاوة"، فمما لا شك فيه أن الساكنة اليهودية التي تقوّت بتلمسان وندرومة بعد سقوط غرناطة لعبت دورا كبيرا في هذه الهجرة، فالأمر يحتاج إلى دراسة معمقة على ضوء المادة الأرشيفية قد نخوض غمارها مستقبلا انشاء الله.

(2) أمحمد دراوي، المرجع السابق، ص 72، 73.

بطش الاستعمار، الذي كان في نظر المخيال الشعبي بمثابة الفزاعة التي ستجتث الإسلام من صدور الجزائريين (1).

### 3-2-2-3- صحف وجرائد الجامعة الإسلامية:

استطاعت عديد الصحف (2) التسلل إلى الجزائر خاصة عن طريق تونس، فكانت تبث أفكار الجامعة الإسلامية و تحث المسلمين على ضرورة الالتفاف حول الخليفة العثماني ولعل أبرزها: العروة الوثقى (1884)، الكوكب العثماني (1898)، المعلومات (1898) جريدة طرابلس (1893)، ثمرات الفنون (1875)، المنار (1898-1939)، السلام، السعادة، الحضارة الصادرة بإسطنبول (3)، فقد لعبت هذه الصحف دورا بارزا في بث الوعي والحث على الأخذ بأسباب التقدم للخروج من نفق الجهل والامية، وبثت أفكار الوحدة وعرفت بها وخاصة مشروع الجامعة، كما تناقلت أخبار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وساهمت بشكل فعال في تشكيل الأنوية الأولى لظهور الصحافة الإصلاحية المؤمنة بالفكر الوحدوي الإسلامي في الجزائر.

(1) أصبحت النسوة ترددن أقوالا بأن أبنائهن البالغين من العمر 18 عاما سيؤخذون عنوة، فيضطرون لترك الإسلام ويُقرنسون. أجبرون، المرجع السابق، ص 757، الهامش رقم 01. كما أنه في الأرياف كان من الكفر والخطيئة الدراسة في المدارس الفرنسية أو التعامل مع الفرنسيين خاصة في المجال الديني والتعليمي، وحتى الألفاظ التي كانت تطلق على المنشآت الفرنسية كانت تضاف لها كلمات ذات دلالة دينية نصرانية فمثلا في منطقة جبالة، ولاية تلمسان حاليا، حتى الطريق المزقنة كانت تسمى "طريق النصرى"، ومن العيب السير عليها، وهذا دلالة على مقاطعة كل ما هو نصراني حتى لو كان نافعا. حوار مع السيدة حماد خديجة، ببيتها بزورانة، بلدية جبالة، بتاريخ: 20 مارس 2013.

(2) الصحافة في نظر الراحل مفدي زكريا: "ترجيع للأصدقاء التي تتجاوب في شتى ميادينها، ومرآة صقلية تنعكس فيها الأحداث السياسية والاجتماعية التي تضطرب بها آفاق البلاد في مختلف مراحل نموها وانبعائها". أنظر: (مقدمة أحمد حمدي) في كتاب: مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر: جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003، ص 11.

(3) عديد الصحف المصرية سربت للجزائر مثل: الهلال، المؤيد، الفلاح، اللواء. أنظر: محمد دراوي، المرجع السابق، ص 74.

#### 4-2-2-زيارات الشخصيات الدينية والسياسية إلى الجزائر:

لعل أول شيء يتبادر إلى أذهاننا عند تناولنا لموضوع الزيارات التاريخية للشخصيات الإصلاحية، هو تلك الزيارة التاريخية التي قادت الشيخ محمد عبده<sup>(1)</sup> إلى الجزائر سنة 1903، وحجم الآثار التي تركتها في الأوساط الجزائرية لا سيما النخب المثقفة السلفية والعصرية منها، والتي تجاوزت مع تلك الزيارة من خلال تبني الإصلاح الديني والاجتماعي، ويظهر أن هؤلاء الرواد الإصلاحيين الجزائريين المتأثرين بالشيخ محمد عبده، قد أثمرت جهودهم قبل سنة 1914 بطرح الشباب المثقف لفكرة انشاء "مجلس العلماء" والذي يهدف لإنقاذ العامة من سباتها العميق، وإعطائها أملا جديدا وثقة في النصر المبين الذي سيحققه الإسلام<sup>(2)</sup>؛ فشخصية محمد عبده لم تأثر على رجالات عصره فقط، بل تعدى ذلك التأثير على رجالات جمعية العلماء فيما بعد بالرغم أن معظمهم لم يلتق به، فقد أسهبوا في مديحه وذكر فضائله، ومن جملتهم الشيخ البشير الإبراهيمي، فتأثير عبده في الجزائر ورجالاتها كان أكثر وأقوى من تأثيره في تونس والمغرب وليبيا حسب الدكتور عبد الملك مرتاض<sup>(3)</sup>.

---

(1) محمد عبده (1849-1905): من كبار رجال الإصلاح والتجديد في العالم الإسلامي في التاريخ المعاصر، ورائد الفكر التربوي والاجتماعي في مصر، أصدر مع جمال الدين الأفغاني مجلة العروة الوثقى، ناصر الثورة العربية وكان مستشارا لها، سجن ثلاث أشهر ونفي إلى الشام، من نتاجه: رسالة التوحيد، الإسلام والنصرانية، الإسلام والعلم. أنظر: شوقي أبو خليل، الإسلام وحركات التحرر العربية، دار الرشيد، ط1، دمشق، 1978، ص44.

(2) بلبروات بن عتو، صدى فكر محمد عبد الإصلاح في الجزائر في مطلع القرن العشرين، الملتقى الدولي: عمر راسم،

مرجع سابق، ص200.

(3) عبد الملك مرتاض، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الاولى، الجزائر، 1982، ص74. قال فيه الابراهيمى: "... كان الأستاذ الإمام أعجوبة الأعاجيب في الألفية وبعد النظر وعمق التفكير..." ولكن لبعض المؤرخين الآخرين نظرة أخرى حول تأثير عبده في الجزائريين، فالكثير يعتبر أن تأثيره كان محتشما لأنه خطب في حشد قليل ومختار من طرف الإدارة الفرنسية، ولم يحتك ببرز رجالات المعارضة وذلك العصر وأن أغلب أفكار الجامعة = الإسلامية انتقلت عن طريق الصحف والجرائد والمجلات التي كانت تدخل من تونس، ومن هؤلاء المؤرخين نجد: شارل رويبر أجيريون، أبو القاسم سعد الله، عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون.

كما زار الجزائر في هذه الفترة عدة زعماء مسلمين وعرب نذكر منهم: محمد بيرم الخامس التونسي 1878، ومحمد فريد بك زعيم الحزب الوطني المصري، وخليفة مصطفى كامل سنة 1901، ومحمد الخضر حسين ذي الأصول الجزائرية، والمكي بن عزوز، وعبد العزيز الثعالبي، وسليمان الباروني، وسلطان محمد، وصدّيق أحمد، وعبد العزيز جاويش، وجورج أبيض... الخ<sup>(1)</sup> فبفضل هؤلاء انتعشت الدعوة الإصلاحية، وأفكار الأخوة والتضامن والتآزر الإسلامي، والذي كان يعني من طرف رواد الحركات الوطنية المغاربية غالبا الانتماء إلى الجامعة الإسلامية، وهم الذين لم يعملوا حسب رأي الدكتور أبو القاسم سعد الله في إطار الوطنية الضيقة الشمال إفريقية بل في إطار الجامعة<sup>(2)</sup>.

## 5-2-2- الرحلات العلمية للجزائريين إلى الجامعات والمعاهد الإسلامية:

يكتسي موضوع الرحلة العلمية، الذي يكتسي طابعا خاصا نوعا ما باختلافه عن الهجرة (=السياسية خاصة) في الدوافع والأسباب، والطرق والوسائل، والنتائج والآثار، فالرحلة العلمية كانت في القرون الوسطى وإلى غاية نهاية التاسع عشر نشطة تلعب دورا مهما في الحياة الفكرية والثقافية للشعوب المغاربية والإسلامية<sup>(3)</sup>، ولعلنا نجد كثيرا من الجزائريين الذين هاجروا إلى الزيتونة أو القرويين أو الأزهر الشريف وباقي المعاهد الأخرى، وهم الذين حملوا معهم ومن دون شك إلى بلدانهم أفكار تلك الصروح العلمية وتوجهاتها، بحكم الاحتكاكات التي تمت بينهم وبين عديد المصلحين والعلماء والساسة هناك، ولعلنا نستدل بمثال بسيط ألا وهو رحلتي الشيخ عبد الحميد ابن باديس العلميتين إلى تونس عام 1908 وعام 1938 واللتان أتاحتا له فرصة الاتصال بأهم الرجال الذين كانوا يمثلون العلم

(1) محمد دراوي، المرجع السابق، ص 83.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، (1830-1954)، دار البصائر، ط 6، الجزائر، 2009، ص 520.

(3) توجد عديد الدراسات التي تطرقت لموضوع الهجرة نذكر منها: الحاج صادق بعنوان: الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر الميلادي وأثرها على البيئة الحجازية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2012، ص ص 15-30.

والدين في المغرب العربي على ذلك العهد بجامع الزيتونة<sup>(1)</sup>، فقد ساهمت الحياة الفكرية التونسية المزدهرة في بث الوعي في عديد رجالات الحركة السياسية والإصلاحية، و الأدبية والفنية الجزائرية وذلك لأن الحياة الثقافية بتونس لم تتضرر كثيرا من نظام الحماية الفرنسي المفروض عليها مقارنة بالجزائر، بالإضافة إلى أن الزيتونة طغت عليها النزعة الإسلامية على نزعة العروبة<sup>(2)</sup>.

كانت هناك أيضا المدرسة الصادقية<sup>(3)</sup>، والخلدونية التي كانت تلقى بها مختلف المحاضرات باللغة العربية في التاريخ، والجغرافيا، والعلوم الطبيعية، والتي كان يقوم البشير صفر بإلقاء محاضرات قومية وحدوية بها قبل التوجيهات العلمية<sup>(4)</sup>، كما ارتقت بتونس المكتبات، والمطابع، والصحف، ودور النشر وانتشرت، والتي يعتبرها بن عاشور أقوى النواحي المؤثرة في تطور الحياة الفكرية والأدبية<sup>(5)</sup>، كما ننوه برحلة البشير الإبراهيمي إلى المشرق سنة 1908، والتي خاضها للتعليم وكذلك الاحتكاك بالعلماء والتعريف بخصوصيات القطر الجزائري، وأوضاعه وظروفه المأساوية وكذا إبراز انتمائه العربي القومي<sup>(6)</sup>

(1) إن ارتباط عديد الجزائريين بتونس عموما والزيتونة خصوصا سواء للعلم أو التجارة. قد جعل مهمة مراقبة تحركات العناصر المعروفة بانتمائها الوطني أكثر من ذي قبل خاصة على المناطق الحدودية بين القطرين من طرف الإدارة الاستعمارية، وهي التي كانت تتهم الوطنيين بركوب تيار البلشفية لإقامة مخططات مشتركة (جزائرية- تونسية) من أجل نشره في شمال إفريقيا، وحسب الدكتور علي الزيدي أن تلك التهم كانت توجه للوطنيين في تلك الفترة قصدا وعن غير قصد، فتعطيها الإدارة الاستعمارية أسماء ونعوت شتى، ويستدل الباحث بالرسالة التي وجهها الحاكم العام الفرنسي إلى المقيم العام بتونس في 16 فيفري 1921 بمراقبة الاتصالات التي تتم بين الجزائريين: عمر بن قدور ومحمد صالح بن جمال التاجر بقسنطينة. فيما يخص المراسلة الفرنسية أنظر: الأرشيف الوطني التونسي، صندوق 10، ملف 1/5، ص 6. بتاريخ: 1920/12/17، نقلا عن: مفيد الزيدي، الزيتونيون: دورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904-1945)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2007، ص 552.

(2) نفسه، ص 561.

(3) بالرغم من براجمها التي تعج باللغات الأجنبية كان البشير صفر الزعيم التونسي يحذر الشبان الصادقيين بصفته زعيمهم، داعيا إياهم للتعلم بالقومية والنظر والرجوع إلى دمائهم التي تسري بها أمجاد العروبة والإسلام، لا إلى ما يجري على ألسنتهم ولغة=الفرنسيين وفكرهم انظر: محمد الفاضل بن عاشور، الحركة الأدبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1983، ص 64.

(4) محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 71.

(5) محمد الفاضل بن عاشور، المصدر السابق، ص 42.

(6) جميل صليبا، في ذكرى الإبراهيمي، مجلة الثقافة، عدد 8-9، الجزائر، 1972، ص 100.

خاصة لما كان المشاركة يحملون أفكارا غامضة وجد شحيحة عن القطر الجزائري<sup>(1)</sup>، هذا إضافة إلى رحلات عدة علماء وشيوخ وطلبة قبل ذلك معلوماتنا عنها قليلة مثل : عمر راسم، عمر بن قدور، الشيخ ابراهيم أطفيش، أبو اليقظان.. إلخ في السنوات الأولى من القرن العشرين، فالرحلات العلمية هذه استطاعت أن تغرس في كثير الجزائريين العائدين إلى الجزائر روح الجامعة الإسلامية ووحدة المسلمين التي طال أمدها.

## 6-2-2-الدعاية العثمانية:

تكلمنا عن دور الصحافة وتأثيرها والتي تعتبر إحدى وسائل الدعاية، ولكن ما توجب علينا الإشارة إليه هو أن الدعاية الرسمية التي قادها السلطان العثماني عبد الحميد الثاني كانت خاصة، وقد أتت أكلها خاصة في خطبه الشهيرة التي كانت تصل إلى جميع أراضي المسلمين، فقد كان يسمي ذلك "بالاتحاد الإسلامي" حاثا الأمة الإسلامية على التعاضد والتآزر<sup>(2)</sup> وهي المرحلة الثالثة من مراحل الدعوة إلى الجامعة الإسلامية حسب الدكتور أبو القاسم سعد الله (=المرحلة الحميدية) والتي تبدأ منذ 1887م<sup>(3)</sup>، فقد كان السلطان يستقبل عديد الزعماء المغاربة والمشاركة المؤمنين بالفكرة بالأستانة<sup>(4)</sup>.

هذا وكان اندلاع الحرب العالمية الأولى فرصة للمم شمل المسلمين زمن السلطان محمد رشاد خليفة الذي خلف عبد الحميد الخلع من العرش منذ 1908، فوقف بعد ذلك وراء الدعاية للجامعة الإسلامية عدة منظرين وسياسيين ورجال دين وعلم، وهذا ما أدى إلى تهيّب فرنسا الكبير من النتائج الوخيمة

---

(1) كثر عتاب المغاربة للمشاركة لعدم عنايتهم بشؤونهم وعزوفهم وتجاهلهم لماض شعوب المغرب العربي، فكانت كتاباتهم حين يكتبون خجولة مقتضبة تتسم بالأخطاء التاريخية والجغرافية، في الوقت الذي كان المغاربة يعرفون عن المشرق العربي كل شيء: تاريخه وأدبه ورجاله وفنونه، ولقد لام عديد الجزائريين المشاركة على ذلك التقصير في العناية بشؤون المغاربة نجد منهم: توفيق المدني، فرحات الدراجي... أنظر في هذا الصدد ما كتبه: عبد الملك مرتاض، الثقافة الجزائرية، المرجع السابق، ص 11، 12، 13-18.

(2) الصادق دهاش، المرجع السابق، ص 84.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، المصدر السابق، ص 519، 518.

(4) علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط 5، الدار البيضاء 1993، ص 52.

التي قد تنتج جراء ذلك<sup>(1)</sup>، خاصة لما كانت توليها أهمية كبيرة للجامعة، و تعتبرها نهضة اصلاحية يحسب لها ألف حساب، بالخصوص وأن أعلن الجهاد هو السلطان العثماني بنفسه<sup>(2)</sup> فقد خاطب المسلمين قائلاً: "... عساكرنا الشجعان والأبطال، إن الدين والوطن صحا صيحة كبرى، وطلبنا منكم التضحية بأرواحكم من أجل نصرتهما... إن ثلاثة مائة مليوناً من المسلمين أنظارهم متوجهة إلى الله والكعبة ثم إليكم... فلتبرهنوا للأعداء أنه يوجد إلى الآن جيش وأسطول عثمانيين دافعان بقوة الأسلحة عن الراية الإسلامية والوطن والجنة...إننا انضمنا إلى أحسن وأقوى جيش في العالم، وبفضل الله نخرج من الذل والمقت..."<sup>(3)</sup>.

وقد عينت الدولة العثمانية آنذاك الأمير الجزائري علي باشا ابن الأمير عبد القادر نائباً لرئيس مجلسها الوطني، باسطة خيراتها على الجزائريين الموجودين في الشرق الأدنى<sup>(4)</sup> بهدف كسبهم إلى تيار الجامعة الإسلامية، والتأثير بصفة غير مباشرة على ذويهم في الجزائر، هذا بالإضافة إلى الفكري الدعوي لعديد الشخصيات ذات هذا التوجه مثل سليمان الباروني<sup>(5)</sup>، وشكيب أرسلان<sup>(1)</sup>، واجتماع عديد

---

(1) استطاعت الدعاية أن تأتي ثمارها بسرعة خاصة وأنها كانت تلعب على وتر دين الإسلام والمسلمين وبالتالي مصيرهم ومستقبلهم ويقول مصالي في هذا الصدد: "... كانت الصحافة تتحدث... وكذلك الجرائد المصورة كانت تنشر صوراً تحكي عن أعمال حرية...عندما تم اجتياح أراضي طرابلس واحتلال المملكة المغربية.. كانت تحكى لنا حكايات عجيبة عن قوة تركيا وعن القيمة العسكرية للبرابر المغاربة...". أنظر: مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص58.

(2) شارل روبر أجيرون، المرجع السابق، ص841.

(3) التليلي العجيلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي(1876-1918)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، دار الجنوب للنشر، ط1، تونس، 2005، صص 225، 226.

(4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار الغرب الإسلامي، ط4، لبنان، 1992، ص194.

(5) من مواليد جبل نفوسة بليبيا سنة 1870، من البارونيين الاباضيين، درس في تونس ومصر والجزائر عرف بطموحاته السياسية والادبية الدينية الكبيرة، رفض معاهدة الصلح المنعقدة بين ايطاليا وليبيا، إلا أنه لم يخف تطلعاته التحررية لأقطار العالم الإسلامي الأخرى واتحادها، لذلك تأثر كثيراً بفكر الجامعة الإسلامية وهو الذي اتصل به عبد الحميد الثاني وعينه نائباً عن طرابلس الغرب في البرلمان العثماني، كانت له علاقة بالشيخ اطفيش ابراهيم أبي اليقظان وعلماء وقادة ميزاب بغرداية، زار الجزائر عدة مرات، عرف بتقريبه من الفرنسيين في آخر عهده وخاصة بعد صراعه مع الدولة العثمانية، قام برحلة الحج عام 1924، عينه السلطان سعيد الثالث بن تيمور مستشاراً له سنة 1935، توفي سنة 1940. عنه راجع: أبو القاسم سعد الله، سليمان الباروني: أضواء

الظروف والأحداث الأخرى (=المساعدة-المتبّطة) كحادثة خلع السلطان العثماني عبد الحميد الثاني 1908، والحملة الإيطالية على ليبيا 1911، و التجنيد الإجباري 1912، والحملة الفرنسية والإسبانية على المغرب 1912، وحوادث الزلاخ والترامواي بتونس... الخ.

كل هذه الأحداث والعوامل بالإضافة إلى عدة أحداث أخرى لا نستطيع الإمام بها كلّها، كانت سببا رئيسيا في تشكيل وعي لنخبة جزائرية مثقفة متعددة المشارب، مختلفة الاتجاهات والمرجعيات وهي التي تأثرت بفعل عاملي الزمان والمكان؛ لذلك ننوه بأننا قد نجد أنفسنا بعض المرات لا نستطيع تصنيف هذه الرموز الفكرية الثقافية والسياسية في مرجعية فكرية محددة ودقيقة حسب الدكتور رابح لونيبي، ولكن نستطيع أن نصنف تلك التصانيف نسبيا حسب قرب الشخصية من المرجعية أو تلاقي أفكارها مع أفكار المرجعية (2).

فالشخصيات والرموز قد وجدت هذه الدوافع والأسباب فرصا في نفس الوقت للالتفاف حول مشروع الجامعة الإسلامية على الأقل عاطفيا(=في ظل عدم وجود حكومة جزائرية تمثل الجانب

---

وملاحظات، مجلة الثقافة، ع110-111، الجزائر، 1995، ص ص 231-258. أنظر: مير بصري، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، ط1، لندن، 1999، ص113.

(1) زعيم عربي قومي، أطلق عليه "أمير البيان"، ولد سنة 1869م في لبنان، نشأ في عائلة ارسقراطية، تعلم على يد الشيخ مرعي شاهين سلمان وأسعد أفندي، دخل بعدها مدرسة الأمريكان بالشويفات، دخل المدرسة السلطانية سنة 1887، ثم سافر الى مصر، رحل بعد ذلك إلى الأستانة فالتقى بجمال الدين الأفغاني، قام بعدة جولات إلى أوروبا، له رصيد هائل من الكتابات النضالية حول قضايا العالم الإسلامي والعروبة في عديد الصحف والمجلات: الأهرام، المقتطف. أصدر سنة 1930مجلة الأمة العربية "la nation arabe"، دافع عن قضايا المغرب العربي وحركاته الوطنية وكانت له علاقات ومراسلات بين رواد الإصلاح وزعماء الاحزاب المغاربية، شارك في الحرب الليبية ضد الطليان، توفي سنة 1946. أنظر: عبد الوهاب الكيالي، موسوعة السياسة، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981، ص488. أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963، ص15. يلوم العرب والمسلمين الذين قصرُوا عن دعم اخوانهم الفلسطينيين والريفين بالمغرب الأقصى والتي هي حرب صليبية على الاسلام ويدعو الامم الاسلامية للاعتبار من اتحاد الأوروبيين. أنظر: شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ مكتبة رحاب، ساحة بور سعيد، الجزائر، 1989، ص ص 45-53.

(2) رابح لونيبي، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف(1920-1954)، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2009، ص ص 30-34.

الرسمي)، وفي ظل وجود قوة المستعمر التي كانت بالمرصاد ضد تلك المحاولات، والتي وإن آزرت في فترة أولية الدولة العثمانية في بقاء وحدتها في الجهة الأوروبية لكنها كانت بعيدا عن شمال أفريقيا<sup>(1)</sup>، ولعل أكثر النخب الجزائرية التي نادى بفكرة الوحدة الإسلامية في إطار الخلافة، هي تلك التي تشبعت بالثقافة العربية الإسلامية، أو حتى جمعت مع ذلك اللغة الفرنسية في هذه الفترة، فقادت حسب رأي الدكتور ابراهيم مهديد حركة النهضة الثقافية والسياسية منذ نهاية القرن 19م، ووصولاً إلى الاحتفالات المئوية الفرنسية الاستفزازية سنة 1930، وكان لهذه الفئة دور جد فعال في خلق توازن داخل الحركة الوطنية الجزائرية، ليس ذلك فقط بل ميل الكفة لصالحها خاصة بعد تأسيس جمعية العلماء سنة 1931<sup>(2)</sup>.

### 3- مظاهر تفاعل الأدبيات الجزائرية مع حركة الجامعة الإسلامية:

ارتبطت المقاومة الجزائرية في محاولتها للدفاع عن شخصيتها وهويتها الوطنية في تطورها التاريخي، ارتباطاً وثيقاً بمفهوم التضامن الإسلامي والجهاد والقومية الإسلامية<sup>(3)</sup>، فالجزائر وبالرغم من محاولات عزلها عن العالم الإسلامي، فإنها بقيت كحلٍ لدعاية القومية الإسلامية منذ أواخر الثمانينات من القرن التاسع عشر<sup>(4)</sup>، فالجزائريون كانوا متعاطفين للوحدة أكثر من أي قطر إسلامي حسب رأينا بحكم أقدمية الاستعمار في بلادهم، فعبرت عن ذلك سواعدهم، وبنادقهم، وسيوفهم، قبل مشاعرهم

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المصدر السابق، ص519. آزرتمها للتصدي للأطماع الروسية والبريطانية خاصة، وهي التي كانت تسعى جاهدة للتحصيل على مراكز نفوذ أكبر، من خلال تدعيمها (=بريطانيا) للثورات القومية والانفصالية عن جسد الدولة العثمانية.

(2) ابراهيم مهديد، مقاربة حول النخب، مرجع سابق، ص11.

(3) ابراهيم مهديد، الطرح الوطني للهوية، مرجع سابق، ص18.

(4) إبراهيم مهديد، المرجع السابق، ص20. نسبت الكثير من الانتفاضات والمقاومات والثورات الشعبية الجزائرية إلى الجامعة الإسلامية منها مثلاً ثورة الشيخ بوعمامة بالجنوب الجزائري.

وعواطفهم وما دمنا نبحت في الأدبيات<sup>(1)</sup>، فحواها، ومعانيها، وتطلعاتها، وتوجهاتها، فإنه وجب الإشارة إلى أنه من الصعب العثور ببساطة عن كل الخطب<sup>(2)</sup> والمقالات<sup>(3)</sup> والتصريحات التي جادت بها قرائح الجزائريين في السنوات الأولى من القرن العشرين، في ظل انتشار الأمية الهائل، والإقبال المحتشم على النشاط السياسي والذي كان يقتصر في الفترات الأولى على بعض المدن، بالإضافة إلى القهر الجسدي والنفسي، والتعقيم الإعلامي الفرنسي على هذه القضية، وهي قضية الوحدة الإسلامية في إطار الخلافة، ثم إن غالبية الإنتاجات في هذا المجال كانت قد نشرت في الجرائد الإسلامية صاحبة نفس التوجه في مختلف الأقطار العربية الأخرى هروبا من المضايقات، فالاجتهادات التي قمنا بها مع ما قام به الباحثون السابقون في جمع الأدبيات المتناثرة هنا وهناك، قد أعطتنا رؤية واضحة عن مشاعر الجزائريين وتفاعلهم مع حركة الجامعة الإسلامية خاصة بشقها المعنوي والروحي (=في ظل عدم وجود سلطة جزائرية رسمية مسلمة حاكمة) أملا في وحدة سياسية شاملة، تحت سقف الخلافة.

### 1-3- التوجه الوحدوي الإسلامي لبعض الشخصيات الإصلاحية الجزائرية مطلع القرن 20م:

تفاعلت عديد الشخصيات الجزائرية مع حركة الجامعة الإسلامية آملة في وحدة المسلمين، لتخليصهم من براثن الاستعمار الذي أضر بكل شيء يتعلق بالإسلام والعروبة، ولعلنا لا نجد كثيرا المادة العلمية عن هذه الشخصيات، خاصة حياتها ومساراتها الدراسية والمهنية، وكذلك سفرياتهم وعلاقاتهم بالعالم

---

(1) الأدبيات: لم نجد شرحا أو تعريفا مفصلا للأدبيات، لذلك نشير إلى اننا نحاول أن نتطرق في دراستنا هذه للمنتوج الفكري والسياسي الجزائري (1900-1954) بشتى ألوانه وأشكاله النظرية والشعرية، الشفوية والمدونة، ونعني بذلك التطرق لأهم النماذج البارزة في: البرامج السياسية للأحزاب، البلاغات، البيانات، التصريحات، المذكرات، الموثائق، المقالات، الخطابات، الإعلانات، التصريحات، النشريات، البرقيات، المراسلات... كما ننوه إلى اننا نتطرق في فصل أخير إلى أدب النضال من شعر ورواية وقصة ومسرحية ووصولاً إلى بعض الفنون التي لم تخل من رؤى وطموحات وحدوية.

(2) الخطبة: في اللغة هي رسالة مقروءة غايتها الإقناع، والخطابة فن مشافهة الجماهير للتأثير عليها أو استماتها، والخطيب هو القائم بها.

(3) المقال: نوع من الأدب، فهو قطعة انشائية ذو طول معتمد يكتب نثرا، يهتم عادة بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة سريعة وقد تتناول موضوعا تاريخيا او ثقافيا أو سياسيا أو فكريا... الخ، اما المقالات الصحفية الجزائرية التي كانت تكتب في هذه الفترة فكانت أغنى وأقوى وأصدق تعبيرا تهدف إلى توعية الشعب.

الخارجي لعدة عوامل ذكرناها سابقا، ولكن نقتصر على أبرز النماذج التي يُشهد لها بالوقوف وراء التيار الوحدوي الإسلامي والتي عبرت بكل امكانياتها المادية والمعنوية عنه في الجزائر، وفعلت كل ما يمكن فعله لانتصار هذا التيار، لكن يجب قبل أن نتطرق لأهم مواقف هذه الشخصيات وجب علينا أن نشير لأمرين مهمين حسب رأينا وهما:

أولا: النخب المثقفة التي كانت تطمح لوحدة اسلامية شاملة، كانت من بين النخب السياسية والإصلاحية الأولى مطلع القرن 20م التي واجهت الاستعمار بالقلم واللسان أو ما اصطلح عليه بالنضال السياسي، لذلك تختلف نظرة الاستعمار اتجاهها، وتباين بذلك وسائل تعاملها معها باعتبار شكل ومضمون وطريقة نشاط هذه النخب (=المتطرفة/المعتدلة/المساندة) في نقد سياستها، فعالبا ما قوبل نشاطها(=النخب) بالتضييق أو التهميش أو السجن أو النفي حسب نشاط العيّنات النخبوية المذكورة سابقا، إذن هذا ما يدعنا نؤكد على عدم تواجد كل النخب المثقفة ثقافة عربية اسلامية أو مزدوجة الثقافة والتي عبرت عن هذا الاتجاه في كفة واحدة، بالنسبة لتكوينها، وانتمائها المكاني واشتغالها الظرفي، ووظيفتها في الحياة، ومكانتها بالنسبة للاستعمار فلا يمكن مثلا وضع بن سماية وبن رحّال في نفس الدرجة مع عمر راسم وبن قدور وأبي اليقظان..

ثانيا: كثيرة هي الأدبيات من مقالات، وخطابات، وعرائض، وشكاوي، اتبعت وانتهجت أسلوب "التقية"، فتعمدت تشفير المعاني، وتضمين الأفكار بين السطور، فيما يخص انتمائها للخلافة أو ذهابها وراء مشروع الجامعة الإسلامية وذلك بحكم استحالة المجاهرة بهكذا أفكار في هذه الفترة الجدل حساسة من تاريخ المستعمرة الجزائرية الاستثناء (=جزء لا يتجزأ من فرنسا) حسب القانون الفرنسي، لذلك قد تكون بعض التعابير لا تؤدي المعنى المطلوب في كثير من المرات، ولكن قارئها ومحللها يستنتج ما تحمله من مرامي بعيدة.

- لعلنا نشير قبل ذكر أهم الشخصيات إلى بعض المحاولات هنا وهناك، والتي حتى لو لم تشر صراحة إلى ضرورة وحدة المسلمين السياسية تحت كنف سلطة الخليفة، إلا انها كانت دائما ما تنوه

بضرورة استفادتهم في مشارق الأرض ومغاربهم، وتتناول المحاضرات<sup>(1)</sup> التي كانت تلقى بمقر الجمعية الرشيدية<sup>(2)</sup> وهي التي تساعد المؤرخ على فهم مسار الجمعية وإدراك ملامح النهضة الجزائرية حسب الراحل سعد الله، فقد كانت الجمعية نشطة تعمل على جمع المثقفين والرواد الإصلاحيين ولعلنا نذكر على سبيل المثال لا الحصر سلسلة من المحاضرات أقيمت بالجمعية سنة 1907<sup>(3)</sup>:

الشخصية	عنوان المحاضرة	اللغة المستعملة
ولد عيسى مصطفى	التضامن والأخوة بين المسلمين	عربية
عبد الحليم ابن سماية	تاريخ الأدب العربي	عربية
ابن زكري	الإسلام واللغات الأجنبية.	عربية
عبد القادر المجاوي	الحضارة العربية قبل وبعد الإسلام.	عربية
محمد بن رحال	التوفيق بين الإسلام والتقدم	فرنسية

من خلال هذا النموذج البسيط المتمثل في نشاط الجمعية الرشيدية، نستطيع أن نرى مدى اهتمام الجزائريين بعامل اللغة العربية والدين الإسلامي في تشكيل الهوية الجزائرية، وانتمائها للفضاء العربي والإسلامي، ونضطلع على البوادر الرسمية الأولى التي بادرت بها الجزائريون لرد الاعتبار لدينهم وثقافتهم، ومن ثم انتشار هذه المحاولات المقاومة إن صح التعبير للتأكيد على وجود أمة جزائرية ذات امتداد

(1) المحاضرة: هي عبارة عن تقديم موضوع وإلقائه صوتياً عن مشافهة الجمهور من قبل شخص عادي أو أستاذ أو معلم أو فقيه... بنيت التقاط وبت المعلومات، وأماكنها متعددة كالجوامع والمدارس النوادي والدوائر العلمية والدينية. أنظر:

wikipedia.org، مقال موضوع في: مارس 2016.

(2) تأسست سنة 1894 من طرف بعض الشباب الجزائريين من خرجي المدارس الفرنسية بالجزائر، وبتأييد من بعض المتعاطفين الفرنسيين على الجزائر، كانت لها نشرة بالعربية والفرنسية، عقدت سلسلة من الندوات والمحاضرات، كما ساعدت على نشر التعليم والأخوة، كان لها عدة في كل أنحاء الجزائر، وفرع العاصمة وحده كان يضم 251 سنة 1910 ومن بين أعضائها آنذاك نجد: ابن التهامي، والدكتور ابن بريهمات. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مصدر سابق، ص140.

(3) نفسه، ص141.

تاريخي واسع ويختلف تماما عما تدعيه فرنسا، لذلك ومن خلال هذه الخطوات الأولى، ستبرز عدة شخصيات تحمل لواء الدفاع عن اللغة والدين الإسلامي، وتطمح لحصول وحدة بين المسلمين ورد الاعتبار لماضيهم، وثقافتهم، وتاريخهم، ومن ثم النهوض ب حاضرهم.

### عبد الحليم بن سماية (1):

من أهم الدعاة البارزين للجامعة الإسلامية سرًا في هذه الفترة، وهو الذي كان مضيف محمد عبده سنة 1903 (2)، اتهمه الكاتب الفرنسي فيليب ميللي سنة 1913 بأنه كانت له علاقات مع القاهرة واسطنبول لزياراته المتكررة هناك (3)، له عدة مواقف فيما يخص محاربة التجنيس والإدماج، و المحافظة على الدين الإسلامي واللغة العربية في الجزائر، بالرغم من منصبه الوظيفي كمدرس في المدرسة الثعالبية، ولعلنا نسوق هنا وقفة من وقفات التاريخة الشجاعة والتي عبرت بشدة عن تمسكه بالمبادئ

(1) هو عبد الحليم بن علي بن عبد الرحمن بن حسن خوجة (1866-1933) من مواليد الجزائر العاصمة، ينتمي لأصول تركية عائلته من العائلات العريقة بالجزائر العاصمة، درس بالجزائر ثم بتونس، تولى خطة التدريس في العاصمة منذ ديسمبر 1896، ثم بالجامع الجديد في أكتوبر 1900، وكان مدرسا بارزا بالمدرسة الثعالبية حيث تخرج على يده عدة علماء ومثقفين وسياسيين جزائريين، مرض مرضا عقليا في أواخر عمره، له عدة مؤلفات: الكنز المدفون والسر المكتون، فلسفة الإسلام، وكتب عدة مقالات في جرائد: كوكب افريقيا، والإقدام. أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر: من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط3، بيروت لبنان، 1983، ص 178، 179.

(2) قد يتساءل البعض عن سرّ ضيافة محمد عبده من طرف بن سماية، فهناك من يرى أن تلك العملية قد شابها شوائب وأن المضيفين قد اختيروا بعناية من طرف الإدارة، فلم يسمح لمحمد عبده بالاحتكاك بالعامّة للاستماع إليها، فخاطب في حشد قليل، مما أدى لحمله نظرة متشائمة عن الجزائر المرتبطة بفرنسا ارتباطا وثيقا (=حالتها خاصة) ومادام ابن سماية متأثرا بالفكر العبدوي الذي يرى ضرورة الابتعاد عن السياسة، فقد يفسر لنا هذا عدم تعرضه لمضايقات من طرف الإدارة حسب أبو القاسم سعد الله. وربما بحكم عدم مجاهرته بالميل للجامعة الإسلامية نظرا لمنصبه الوظيفي، أو استعماله التقيّة كما أسلفنا الذكر، ولعل المتأمل في رأي عبد الرحمن بن العقون يلمس تناقضا نوعا ما في حكمه على ابن سماية خاصة عندما يعلق على زيارة محمد عبده واستقباله = من طرف نخبة معينة اختارها الإدارة بعناية، ونعلم أن ابن سماية كان منهم. العقون، المصدر السابق، ص 57. فهل نعتبر ابن سماية كذلك من المتواطئين؟ هو حكم مسبق وخاطئ هذا أكيد. وربما يوجد ما يفسر لنا عكس ذلك: وهو اختيار عمر راسم "محمد عبده" كشخصية مرجعية في صحفته ذو الفقار بينما في نفس الوقت يعارضه لعدم اشتغاله بالسياسة، لذلك نتجنب الحكم على مثل هذه المواقف الغامضة. انظر حول هذه القضية راجع المبحث المتعلق بعمر راسم في هذا الفصل والفصل الثالث.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، مصدر سابق، ص 149.

الدينية الإسلامية وميوله الوطنية، فقد وقف في خطبة حماسية ووطنية له رافضا قانون تجنيد الجزائريين خاصة ضد اخوانهم المسلمين في الحرب العالمية الأولى التي كانت على الأبواب، بحيث سجل عمر بن قدور تلك الوقفة في أحد مقالاته ونشرها في جريدة "الحضارة التركية" ونقلها عنها جريدة "المشير التونسية" بتاريخ 10 سبتمبر 1911<sup>(1)</sup> ومن جملة ما جاء فيها: "تريدون مني أن أتكلم بالنيابة أم لا تريدون فأصمت؟" فأجاب الملاء بلسان واحد: "تكلم أيها الأستاذ"، فتقدم وشرع في الكلام شروعا جميلا، واستدل بآيات قرآنية على أن المسلمين إذا أدوا الخدمة العسكرية للدولة الفرنسية لا يكونون مسلمين بجميع معاني الكلمة، ولو نالوا من الحرية ما نالوا، وقال إن الحرية والحقوق السياسية إذا منحت للمسلمين مقابل تجنيدهم تكون هنالك الضربة القاضية على القومية الدينية والجنسية، إذ يقع اندماجهم بالأمة الفرنسية نهائيا، وأسهب في خطابه معارضا ومحتجا... "وقد وافق المفتي الحنفي السيد "محمد بوقندوزة" كلام ابن سماية، وانتهى الاجتماع بقرار رفض التجنيد بنيل الحقوق أم بدونها. فهذا الخطاب الجريء من طرف ابن سماية الموظف وأمام الحاكم العام يعتبر جهادا كبيرا وجب الإشادة به في نظر عبد الرحمن بن العقون، خاصة في فترة جد صعبة مثل هذه<sup>(2)</sup>، ولعل اشتغال بن سماية بالتدريس قد أعاق الرجل عن الكتابة والتأليف، فلم يجد له المهتمون بحياته إلا بعض المقالات والرسائل في السياسة، والاجتماع، والأخلاق نشرت له خاصة في جريدة الإقدام، تبين مدى اهتمامه بالمسلمين وثورتهم على الاستعمار خاصة ثورة الزعيم المغربي عبد الكريم الخطابي التي علق عليها آمالا كبيرة<sup>(3)</sup>.

(1) كانت تلك الخطبة في اجتماع عام عقد بالجزائر العاصمة حضر فيه الحاكم العام وعدة شخصية فرنسية وجمع غفير من الجزائريين، وبحسب تقرير عمر بن قدور فإن ذلك الخطاب يقرب من الست صفحات، كأنه وثيقة وطنية صريحة لم يكن أجزأ منها ولا أثقل وطأة من أية معارضة في العهد الاستعماري لذلك العهد. انظر: عبد الرحمن بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر-الفترة الأولى (1920-1936)، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص36

(2) عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ص35.

(3) محمد علي دبو، نفضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج1، المطبعة التعاونية، ط1، الجزائر، 1965، ص124.

- عمر بن قدور الجزائري (1886-1932) (1):

من بين القلائل الداعين للوحدة الإسلامية، ومن المؤمنين إيماناً شديداً بالخلافة وضرورة الالتفاف حولها، مما لا شك فيه هو تأثيره بشيوخه الإصلاحيين خاصة "بن سماية" (2) فقد اتسم عمر بن قدور بالصراحة متخطياً الصفوف في جرأة صادقة، وصدع بمعتقده دون خوف أو وجل، وأخلص للدعوة القومية الإسلامية الإخلاص كله، وكرس لها طول عمر جريدته "الفاروق"، فهو الصحفي الرائد الذي كتب في عدة صحف مشرقية ومغربية، عالج فيها القضية الوطنية الجزائرية والمغربية وبصفة أكثر الإسلامية (3)، فكان يوقع مقالاته باسم مستعار هو "أبو الحفص الأصيل" (4).

أثرت رحلته إلى الزيتونة عليه كثيراً، فاستغل عمر بن قدور فرصة تواجده هناك فراح يكتب في الصحف والجرائد التونسية خاصة جريدة "التقدم" التي راسلها لسنتين (5)، فلم يغفل دور الواجب

(1) من مواليد الجزائر العاصمة، دخل إلى الكتاب في سن الخامسة أو السادسة، ثم دخل التحق بالمدرسة الشرعية الفرنسية التي سميت فيما بعد بالثعالبية، درس حسب سعد الله على عبد القادر المجاوي، وعلى الشيخ عبد الحليم بن سماية، وتبقى دراسته في الزيتونة بتونس ومصر بعد ذلك مجهولة المدة؛ عاد بعدها إلى الجزائر سنة 1908 تاريخ الانقلاب العثماني، والت تزامنت ودخول الصحافة والصحوة الثقافية خاصة أثناء حكم الحاكم العام شارل جونار، لعمر بن قدور عدة كتابات صحفية ومواقف وطنية ودعوات وحدوية، عبر مراحل نضاله. أسس سنة 1913 جريدة الفاروق، نفي أثناء الحرب العالمية الأولى إلى عين ماضي إلى غاية نهايتها، والمولود الزريبي، حسب أحمد الأكلحل المعاصر له قد تولى عمر بن قدور مدرسة الشيبية الإسلامية بالعاصمة والتي كانت الإدارة الفرنسية راضية عنها معترفة بها وهي التي نشطت في تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي، تحول إلى التصوف فترة إقامته بالأغواط حيث كتب سعد الله أن ذلك كان لحماية نفسه من بطش الاستعمار لا غير، وافته المنية عن عمر ناهز 46 سنة فقط. انظر عن حياته ما كتبه كل من: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المصدر السابق، ص 276-282. صالح خرفي، عمر بن قدور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 09-12.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ج5، ص 277.

(3) محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954)، البصائر الجديدة، ط1، الجزائر، 2013، ص 46.

(4) أنظر قائمة الأسماء المستعارة وأسماء أصحابها الحقيقيين الذين كانوا يكتبون في الجرائد بسبب تخوفهم من مضايقات الإدارة

الفرنسية في كتاب: محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 467.

(5) خير الدين شترة، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 180.

الوطني لكل شعب مستعمر، والدور الذي يجب أن يلعبه كل فرد في المجتمع قبل الدعوة إلى الشمولية والوحدة، بحيث كتب في هذا الصدد في جريدة التقدم الصادرة بتاريخ 27 فيفري 1908 مقالا بعنوان: "التقدم بقوة الوطنية" قائلا: "... نحن شباب الوطنية الجزائرية والذين علينا اعتماد مستقبل حياة الشعب الجزائري، نتألم من تكبد إخواننا لمشاق السقوط، ولا نرى فرضا يجب علينا قضاؤه من مطالبة سوى الأنشودة الوحيدة، لأن لا حياة لمن تنادي لمن لا يشرب نخب الوطنية الحقة ويهتف بحياتها... ألا حيا الله الوطنية وكل من يشجع القائمين على خدمتها من أي أمة وجنس لأنها القوة الفعالة في ترقية الأمم وكل أمة قوى ميلها إلى الوطنية فهي باقية لن تبدا ويخسر هناك المطلوبون فلتعش الوطنية"<sup>(1)</sup>.

كما كتب في جريدة "الحاضرة التونسية" و"الحضارة العثمانية" مقالات عدة، فاحتك برجال الصحافة، وهو ما سمح له بالرجوع إلى الجزائر متأثرا بالفكر القومي الإسلامي أكثر فأكثر، فقد كتب في "الحاضرة" موشحا معارضا فيه موشح "ابن سهل" بحيث يرى أن المسلمين قادرين على الاستيقاظ من سباتهم، وذلك لإبراز مكانتهم وقيمتهم التاريخية التي شكلتها لهم الحضارة الإسلامية منذ القدم، فهو يتأثر بكل الأحداث المحيطة وخاصة التي تضر بالعالم الإسلامي كغزو ليبيا والمغرب الأقصى، فدعا إلى تأسيس "جماعة التعارف الإسلامي" بين مفكري المسلمين في كل من الأقطار المغاربية الثلاث (=الجزائر والمغرب الأقصى وتونس) وضرورة ربطها بمثيلاتها في المشرق الإسلامي، وقد نشر هذه المبادرة في جريدته الفاروق<sup>(2)</sup>، وظل يكررها كل مناسبة إلى غاية 1920، والتي كان أول المستجيبين لها الصحافي التونسي حسن الجزيري، وهو الذي بعث بدوره مقالا إلى الفاروق بعنوان "التفرق داء والالتئام دواء" هلل فيه للمشروع متمنيا أن يرى هذا المشروع النور على أرض

(1) راحت السلطات الفرنسية في تونس تراقب نشاط عمر بن قدور، كما تبين في إحدى التقارير والذي يشير إلى أن هذا الأخير كان يتوافد على تونس للتشاور مع بعض الشخصيات منهم محمد باكير (=ذكرناه سابقا في التعريف الموجز) والذي ينحدر من =خنشلة وذلك لتأسيس مجلة الصديق. Ant, commissaire général au secrétaire général du gouvernement tunisien 04/04/1921, smnt-cM19-dos :2-dn :52 . نقلا عن: بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 77.

(2) الفاروق، عدد 22 جويلية 1914

الواقع<sup>(1)</sup>، كما كان من بين أوائل الملبّين لهذه الفكرة أيضا المناضل "بلقاسم خمار"<sup>(2)</sup> فكان من أشد الكتاب تحمسا لها ودفاعا عن أهدافها ومن أجرئهم مهاجمة لخصومها<sup>(3)</sup>، كما دعا عمر بن قدور كذلك إلى تكوين "جامعة الصحافة الإسلامية" منذ 1911 وهو الذي كان يمقت العمل الفردي لأنه في نظره محكوم عليه بالفشل مسبقا<sup>(4)</sup>.

انضم بعد عودته إلى العاصمة سنة 1919 إلى هيئة تحرير جريدة "الصديق" التي كان محررها محمد بن بكير لكن سرعان ما انفصل عنه<sup>(5)</sup>.

كتب سنة 1906 مقالا أرسله لصحيفة اللواء المصرية والذي لم ينشر إلى غاية 1908 مبرزا فيه أهمية اتحاد المسلمين لأن الاتحاد حسبه يحصّل السعادة العظمى، ويوصل إلى الهدف المرجوّ، كما يعزز روح الانتماء للدين والوطن<sup>(6)</sup>، فالوحدة الإسلامية في نظره كالوحدة المسيحية، مضمونها تضامن

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 50.

(2) سعد الدين بن بلقاسم الخمار (1885-1952): كاتب وشاعر وصحفي ورجل اصلاح من مواليد قرية ليانة ببسكرة، درس بزواوية طولقة، حاول أن يجدد مضامين الشعر الجزائري، له عدة مقالات في جريدة الفاروق، والإقدام، التحق بالجيش الفرنسي في الحرب العالمية الأولى، توفي في باريس وهو برتبة عقيد. عنه أنظر: عادل نويهض، المصدر السابق، ص 135.

(3) جريدة الفاروق، ع 66، بتاريخ: 22-06-1914.

(4) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ص 278، 279. يرى الدكتور محمد بلقاسم أن عمر بن قدور قد تراجع عن مشروعه العظيم "جماعة التعارف الاسلامي" خوفا من مضايقات المستعمر، وذلك عكس ما رآه المرحوم سعد الله الذي قال إن عمر بن قدور قد واصل في طرح فكرته إلى غاية 1920. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 50.

(5) ورد في أحد الوثائق الرسمية الفرنسية بتاريخ: 4 أبريل 1921 بأن عمر بن قدور ومحمد بن بكير التاجر الميزابي بخنشلة قد وقع بينهما خلاف بسبب رغبة ابن بكير استعمال دخل الجريدة في الدعاية الوطنية، ورغبة ابن قدور في الإبقاء عليه من أجل المحافظة على الجريدة، وانحلت شركتهما واحتفظ ابن بكير على الجريدة لنفسه. انظر: المذكرة الأمنية من كلايبي المحافظ المكلف بالاستخبارات إلى الكاتب العام للحكومة بتاريخ: 1921/04/04. الأرشيف الوطني التونسي، سلسلة الحركة الوطنية، صندوق 10، ملف 1/5، ص 21، نقلا عن: علي الزيدي، المرجع السابق، ص 553. ونرجح نحن أن الضغوط التي عاشها عمر بن قدور بعد حادثة نفيه في الحرب العالمية الأولى قد أثرت عليه فراح يستعمل المرونة والليونة في مسيرته للوضع، خاصة وأن جريدته الفاروق قد توقفت بسبب مواقفه الجريئة وعمله في إطار الجامعة الإسلامية.

(6) عمر بن قدور الجزائري "الشعور الإسلامي" إعداد وتعليق: صالح خرفي، مجلة الثقافة، ع 7، الجزائر، ص 116، 117.

الإحساسات الملية والقومية، وليس في تبادل الإحساسات المدنية العصرية كما يتوهم الغرب<sup>(1)</sup>، كما كتب مقالا أيضا عالج فيه الوضع بطرابلس الغرب في مجلة الحضارة الإسطنبولية في عددها رقم 132 عنونه ب"ليتقوا الله في طرابلس" ومن جملة ما قال فيه: "ضياح طرابلس الغرب وبرقة يؤدي إلى ضياح الشرق، وتصيح الأبعاد الإسلامية منصرفة عن مركز الخلافة"<sup>(2)</sup>، وقد ناصر كثيرا قضية طرابلس من خلال ما كتبه في الفاروق وهو الذي كان يرى "أن تلك الحرب هي بمثابة انقراض العقد الإسلامي، وبداية سقوط حباته الواحدة تلو الأخرى، وهي الفرصة الأخيرة للمسلمين ليحققوا وثبتهم من الكبوة التي هم فيها أو دخولهم مرحلة الانتحار"<sup>(3)</sup>.

ولعلنا نذكر بعضا من مقالاته<sup>(4)</sup> التي نشرها سواء في الفاروق أو في عاصمة الخلافة بمساعدة زميله الشخصي عبد الحميد الزهراوي الذي كان ينشر له في "الحضارة" فنجد مثلا: "مصيبة تركيا في عدم الاعتبار"، "تيار المطامع في الشرق"، "بين المسالك والمهالك"، "كوارث الفوضى الدينية والأخلاقية" "خطر الإحداث في القومية والدين"، "علام التخاذل"... الخ وهي المقالات التي سائر بها الأحداث الصاخبة التي رافقت تفهقر وتقاسم أملاك الرجل المريض من طرف دول أوروبا<sup>(5)</sup>.

كما نشر عمر بن قدور قصائد بالصحف التونسية منها: "في دمعة على الملة"<sup>(6)</sup>، و"الإسلام والمسلمون"<sup>(1)</sup>، و"الضمير و الأصداغ"<sup>(2)</sup> وهي القصائد التي عنت بمصير الأمة الإسلامية وبوادر

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 47.

(2) عمر بن قدور، ليتقوا الله في طرابلس، مجلة الثقافة، ع 1، الجزائر، مارس 1971، ص ص 151، 152.

(3) محمد دراوي، المرجع السابق، ص 88.

(4) تتمتع المقالة الأدبية القيمة العلمية عن سائر الأدوات التعبيرية الأخرى بخصائص عدة، والتي استعملها جلّ المثقفين الجزائريين تقريبا حسب الدكتور محمد ناصر، والذي اعتبرها الصلة الوثيقة التي ربطت بين الطليعة المثقفة والطبقة الشعبية، فكانت الصحافة بذلك السلطة الأولى وليس الرابعة في عملية توجيهه وتنقيف الشعب الجزائري وإعداده للمعركة الفاصلة، فواكبت المقالة الصحفية الجزائرية أحداث الجامعة الإسلامية، بل بالأحرى عبرت عن آمال الجزائريين في مختلف القضايا. أنظر: محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها-تطورها-أعلامها) 1903-1931، ج 1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص ص 6-27.

(5) صالح خريفي، عمر بن قدور، المرجع السابق، ص ص 40، 41.

(6) صحيفة المشير التونسية، بتاريخ 01-09-1911.

تشنت صرحها<sup>(3)</sup>، ومن قصائده في جريدته الفاروق نجد: "قلب الأوان"، "نفثات مصدور"، "أنين الضمير"، "يا شرق"، "فتاة طرابلس الغرب"، "حرب البلقان" وهي القصائد التي عبرت عن عمق التجاوب بين عمر بن قنور و قوميته الإسلامية<sup>(4)</sup>، فقد عرف بحق بالقضية الجزائرية في مختلف الصحف العربية والإسلامية، وكانت دعوته للوحدة الإسلامية مبكرة جدًا في ظل تواجد جيل كان يؤمن بأفكار الاندماج وقتها<sup>(5)</sup>.

- عمر راسم (1884-1959)<sup>(6)</sup>:

(1) المشير التونسية، بتاريخ 28-05-1911.

(2) نفسه، بتاريخ 06-09-1911.

(3) بوطيني محمد، المرجع السابق، ص 80.

(4) صالح خرفي، عمر بن قنور، المرجع السابق، ص 40.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ج 5، ص 282.

(6) هو راسم بن علي بن سعيد بن محمد، أصوله من قبائل بجاية ولد بالعاصمة، دخل إلى الكتاب فحفظ القرآن الكريم وهو ابن سبع سنوات، التحق بالمدرسة الفرنسية الشرعية التي سميت الثعلبية لاحقًا، تأثر بالبيئة والمحيط الذي عاش وترعرع فيها، فمما لا شك فيه ان وسطه العائلي قد أثر فيه كثيرًا لكي يتبنى الأفكار القومية الإسلامية فأبوه كان فنانًا مزخرفًا، ثم انه درس بالمدرسة الثعلبية التي كان قد انتدب للتدريس بهما عالمان كبيران وهما أبو القاسم الحفناوي ومحمد ابن أبي شنب، انتصر لآراء عبده وتحمس لها مما أثار سخط بعض المشايخ عليه فطرده منها، كتب في عدة صحف عربية إسلامية مغاربية ومشرقية كالتقدم، ومرشد الأمة، والمرشد...، ارتحل إلى مصر سنة 1909 للعلم والاضطلاع على ما يجري في العالم الإسلامي، أنشأ صحيفة الجزائر سنة 1908 والتي كان يدعمها بالرسومات الساخرة التي كان يرسمها بنفسه، والتي وصفتها مجلة العالم الإسلامي بأنها جريدة بالعربية علمية أدبية وتربوية وأضفت إلى أنها جريدة أنشأتها جماعة هدفها تنقيف وتهذيب الجزائريين وإثما جريدة دينية بدرجة أولى وبعدها أصدر "ذو الفقار" في أكتوبر 1913 تعاون مع عمر بن قنور زميله في إصدار جريدة الفاروق سنة 1913، أتم سنة 1915 بالتعامل مع العدو فألقي القبض عليه، عكف في السجن على تفسير القرآن الكريم ولم يخرج إلا سنة 1921. بعدها عاش متقلبا هنا وهناك بعدها اهتم بتعليم فن المنمنمات والخط والزخرفة والموسيقى وفقد ثقته بكل شيء وعاد يقتات من فنه يعمل في صمت حتى توفي سنة 1959 ودفن بالجزائر العاصمة. أنظر: توفيق مزارى عبد الصمد، أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر، الملتقى الدولي: عمر راسم الفنان المزخرف والمصلح الثائر، بقصر مفدي زكريا، الجزائر العاصمة يومي 14 و15 فيفري 2009، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط (الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، دار هومة، الجزائر، ص 90. محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، مجلة الثقافة، ع 30، ديسمبر، جانفي، 1976، ص 12. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5 المصدر السابق، ص 285-288. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 44. أنظر: محمد ناصر =

من الشخصيات الجزائرية القوية والشجاعة، لم يخفي عمر راسم اطلاقاً عواطفه وتوجهاته الإسلامية القومية والتي أفصح عنها في عديد المناسبات وبمختلف الطرق: مقالات، مراسلات، دعوات ونداءات، وحتى لوحاته الفنية الزخرفة والمنمنمة التي أبدع فيها ضمناً هي الأخرى روح الإسلام والوحدة والتضامن<sup>(1)</sup>، ولعلنا نذكر نماذجاً من نتاجه حول قضايا الإسلام والوحدة في إطار الخلافة العثمانية.

فلقد كتب عدة مقالات تأتي على ذكر نماذج منها، ففي الحقّ الوهراني مثلاً كتب مقالا بعنوان "نصيحة الأخ ودعوة الإصلاح" قائلا: "ما من بلاء نزل من السماء إلا من أولئك الذين شقوا عصي الأمة المحمدية... عادوا بلادهم وخرّبوا ديارهم، وخانوا ملتهم باسم المدنية والإصلاح، إلا أنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون"<sup>(2)</sup>، ويكتب في نفس الجريدة عموداً قائلاً: "... سحقا علينا ألا نتكل على غيرنا وألا نهمل أجدادنا، وتعاليم ديننا، وإلا فلنمت موتة جاهلية ولا نرى في بلادنا ولا بين اولادنا، نحن عرب، نحن مسلمون، نموت عرباً نموت مسلمين"<sup>(3)</sup>.

ونجده بالرغم من تأثره بالشيخ محمد عبده، إلا أنه وكما يبدو قد عارضه في عدة أمور خاصة المواقف السياسية التي وقفها عبده من الصهيونية، ونفوذ الاستعمار الإنجليزي في المشرق، والاستعمار الفرنسي في شمال إفريقيا، ويعبر راسم عن هذا بقوله: "... وهكذا كان سائر نبغاء الشرق مسموماً بداء الماسونية الذي قتله وقتل همم رجاله... فإنهم كانوا جلّهم يقدمون طاعة أوامر الماسونية على طاعة الله ولا جرم أن نقول أن الشيخ محمد عبده منهم لأنه كان يفضل اللورد كرومر على عباس حلمي والسلطان عبد الحميد،

---

=عمر راسم المصلح الثائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007. ص ص 05-12. وارجع أيضاً إلى: رغداء زيدان، الثائر على العصر وأهله عمر راسم، الملتقى الدولي: عمر راسم: المرجع سابق، ص ص 29-38.

(1) شرقي الرزقي، الصورة الفنية عند عمر راسم من الرمزية الواقعية إلى التجريد المطلق (تأملات واستنباطات حول بعض ابداعاته الخاصة)، أعمال الملتقى الدولي، المرجع السابق، ص ص 309-335. أنظر الفصل الثالث من هذه الدراسة حول أدب النضال.

(2) جريدة الحق الوهراني، بتاريخ: 11-03-1912

(3) نفسها، عدد 41، بتاريخ: 20-07-1912.

ويرضى أن تكون مصر انجليزية ولا تكون مستقلة عثمانية، وأنه صرّح لنا باعتقاده ان إنجلترا دولة البرّ والبحر ذات القوة والبطش وان المسلمين ضعفاء لا يمكنهم مقاومة بريطانيا العظمى<sup>(1)</sup>.

وربما قد لمس راسم كثيرا هفوات عبده في هذا المجال، خاصة وأن العالم الإسلامي كان يئن وقتها، و هو ربما ما يفسر لنا أيضا سماح السلطات الفرنسية لمحمد عبده بالدخول إلى الجزائر، والتي رأى الراحل أبو القاسم سعد الله أن أمرها مشكوك فيه، فحسبه كانت تلك الزيارة مخططا لها من قبل بهدف الحد من تأثير الجامعة الإسلامية في المغرب العربي، هذا من جهة، ومن جهة أخرى للاستفادة منه في العالم الإسلامي على حساب بريطانيا<sup>(2)</sup>.

ويقول عمر راسم في مقال آخر معطيا الحلول للعالم الإسلامي للنهوض بنفسه والتحرر من التقليد الأعمى: " لا خلاص الشرق من سيطرة الغرب إلا بإيمان الشرق<sup>(3)</sup> بشخصيته، واعتماده بنفسه، واعتماده على قوته، يستمد على كل ذلك من تاريخه الذهبي وبيئته من جديد بمواكبة متطورة أساسها العلم الصحيح، الذي لا ينبهر ببريق المدنية الخادع، فإنه ليس أضمر بالأمم الناهضة من التقليد والجمود"<sup>(4)</sup>، كما نراه يشجع الصحف التي تحمل نفس أفكاره، في إطار التعاون والتنسيق الصحفي بين الأقطار المغاربية خاصة مع تونس ولكن في إطار الخلافة العثمانية، فبمناسبة إصدار جريدة المشير للطيب بن عيسى يقول: "... أرجوكم نعم الأخ أن تجعل مشرب الجريدة انتقاديا وخادما للدولة العلية وأن تنتقد عليها في كل ما تراه حسنا..."<sup>(5)</sup>.

ولعل سبب دخوله السجن هو تلك الرسالة التي وجدتها المخابرات البريطانية في ظرف بريدي كان أرسله إلى مدير جريدة "الشعب" المصرية، والتي تضمنت دعوة لكافة المسلمين إلى ضرورة الالتفاف

(1) محمد قناش، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المكتبة الشعبية، الجزائر، 1985، ص 61.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المصدر السابق، ج 5، ص 588.

(3) نظن أن عمر راسم يعني بالشرق هنا كامل العالم الإسلامي وليس المشرق الإسلامي فقط.

(4) توفيق مزاري، المرجع السابق، ص 101.

(5) جريدة المشير التونسية، ع 26، بتاريخ: 06-08-1911.

حول الخليفة، والتنبيه على الأخطار الدائمة التي تهدد الأمة الإسلامية جمعاء من خلال سياسة "فرق تسد" بالإضافة إلى التحالف الفرنسي البريطاني فيما يخص اقتسام أقاليم النفوذ وزرع الشقاق بين الإخوة والأقطار، فالرسالة التي كان أرفقها عمر راسم بتوقعات من عدة جزائريين، قد كلفته غالبا بعد ضبطها، فحكم عليه بالسجن والأعمال الشاقة، بتهمة تشكيكه خطرا على أمن فرنسا والتجسس لصالح الدولة العثمانية عدو دول التحالف في الحرب، ومن جملة ما نجاء فيها: "... يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم وألا يعينوا أعدائهم..." فوجهت إليه التهمة بدعوى أن الخط خطّ يده (1).

بعد الإحباط الذي أصاب عمر راسم الذي عقب نهاية الحرب العالمية الأولى (2) وبالرغم من عزله، لم يتوان عن تتبع أخبار العالم الإسلامي، فقد بعث برسالة إلى شكيب أرسلان يعيب فيها عليه عدم ادراج قضية الخلافة الإسلامية في المؤتمر الإسلامي المنعقد سنة 1931 بالقدس (3)، وهذا ما يجعل نظرية الأفغاني سارية المفعول وهو الذي كان يرى وجوب عدم ربط الجامعة بالخلافة، خاصة فيما يخص "العُثمَنَّة" التي حاولت القضاء على الاتجاه العروبي العامل الأساسي المحرك للإسلام باعتبار العربية لغة النطق هي لغة الشعور، وذلك لكي لا تسقط فكرة الجامعة بمجرد سقوط الخلافة وهو ما حصل بالفعل فغالبية الأصوات سكتت و همدت وخفت بعد سقوط الخلافة أو قل بعد نهاية الحرب العالمية

---

(1) محمد ناصر، عمر راسم، المرجع السابق، ص 27، نقلا عن: محمد بن العابد الجليلي، قسنطينة، 1927، د.ص. يرى محمد ناصر أن التهمة لفقت له فقط، ولكن في رأينا لا نشك في ذلك فمن غير المعقول أن يزج شخص في السجن من دون مبرر، وحتى إن زج به فقد لا تطول مدة سجنه، وهذا الرأي ليس ابرازا لصفاء العدالة الفرنسية فكثيرون من قتلوا بغير سبب، ولكن ربما نفت عنه التهمة بهدف التدجين والاستمالة والاستفادة منه لا غير، وما زال الأمر يحتاج إلى دراسة وتحقيق.

(2) أبو القاسم سعد الله، عمر راسم بين نخبة عصره، الملتقى الدولي: عمر راسم، المرجع سابق، ص 258.

(3) محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، المرجع السابق، الهامش رقم 2، ص 27. شكل شكيب أرسلان شكا لدى عديد القادة المغاربيين. انظر الصراع بين ابن باديس والباروني حول شخصه في الفصل الأول من هذه الدراسة.

الأولى تقريبا<sup>(1)</sup> إلا بعض الأصوات هنا وهناك والتي كانت بين مؤيد ومعارض، ونقصد بصفة خاصة هنا التيار الإصلاحى الباديسى كما سنرى لاحقا.

لا يمكننا أن نلم بكل ما فعله راسم في هذه الفترة، فقد تعددت الدراسات حوله، ولكن يجب علينا أن ننوه بأنه ومهما بلغت تلك الدراسات لن تفي الرجل حق قدره لعدة اعتبارات، فعمر راسم من بين القلائل الذين كانت لهم الجرأة في المجاهرة بالانتماء للخلافة وضرورة اتحاد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وهو ما كلفه السجن والنفي على العكس من نخب عصره التي اتخذت من التقية كوسيلة لطرح أفكارها، وربما عدم اضطلاعنا على ما كتبه في المجالات العربية والمشرقية الإسلامية لا يكفي لأن نتبين كل مواقف الرجل من القضايا التي كانت تشعل الساحة السياسية والفكرية آنذاك.

فراسم الانسان الجزائري المغاربي القومي المسلم عندما ظهر على مسرح الحياة، لم تكن في الجزائر نخبة لها ذلك الوزن الفكري والسياسي التي كانت في في مصر أو تونس مثلا، فلا مدارس أو معاهد اسلامية على غرار القرويين أو الأزهر، ما عدا المدارس الشرعية الثلاث (قسطنطينة-الجزائر-تلمسان)، ثم أنه بالرغم من معاشته النخب المثقفة ثقافة فرنسية الداعية للتجنيس والإدماج (بلقاسم ابن التهامي - عمر بوضربة - الطيب مرسللي) لم ينساق وراء دعواتهم<sup>(2)</sup>، بل بالعكس لامهم على تلك الأخطاء التاريخية، فالدارس لشخص راسم يلحظ أن نبضه ظل عثمانيا، وتغريده ظل وحيدا مع قلائل (= كعمر بن قدور) خارج السرب في فترة جد حرجة وخطيرة مناديا بوحدة تلم الشمل، وتنهض بالجزائريين والمغاربة المسلمين جميعا من سباتهم العميق.

(1) أنظر مواقف الأفغاني من الجامعة الإسلامية، وكذا الاقتراحات والنظريات التي كان يقترحها ويراهها الأنسب منافيا لما يراه السلطان عبد الحميد : الصادق دهاش المرجع السابق، ص ص 80-108-109.

(2) أبو القاسم سعد الله، عمر راسم بين نخبة عصره، أشغال الملتقى الدولي: عمر راسم، المرجع السابق، ص 257.

كما يعتبر عديد المؤرخين أن الأمير خالد هو من أبرز الداعين للاتحاد تحت راية الخليفة، فلقد دعا كافة المسلمين عام 1925 للانضمام تحت راية الخلافة ولكن بتعيين خليفة لهم<sup>(1)</sup> فيقول: "... أصبحوا بعد التخلي عن الخلافة، والخليفة مثل القطيع بدون راع وتتطلب الضرورة اليوم انعقاد مؤتمر اسلامي في بيت الله الحرام بمكة لمناقشة إيجاد حلّ لمشكلة الخلافة، ودراسة كل القضايا التي تخص عالم الإسلام"<sup>(2)</sup>.

ويصنف علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي كل من السادة الجزائريين: المحامي أحمد بوضربة، والصحفي الصادق دندان<sup>(3)</sup>، والنائب المالي الحاج والذين طالبوا بإصلاحات على أساس قانون 1865 على أنهم انضموا إلى تيار الجامعة الإسلامية طامحين من الدولة العثمانية اعانتهم، وهم الذين علقوا آمالهم على رجالها<sup>(4)</sup> وهم المحسوبون على التيار المتقف ثقافة فرنسية.

## 2-3- المهاجرون الجزائريون والوحدة الإسلامية:

يقول الدكتور محمد بلقاسم في كتابه وحدة المغرب العربي: "... لا توجد لدينا المعلومات الدقيقة عن حركة انتقال الوطنيين المغاربة إلى أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى، وذلك راجع لكثرة تنقلاتهم المتتالية التي قاموا

(1) رابح لونيبي، الاتجاهات، المرجع السابق، ص 255.

(2) Mahfoud Kaddache ,histoire de nationalisme algérien ,tome1,enal edition,alger,1993,p120.

(3) كانت له جريدة "الإسلام" التي صدرت عام 1909، كان يشدد فيها الحملات ضد الإدارة الفرنسية، ويحتج بلهجة صادقة ضد السياسة العنصرية الفرنسية في الجزائر قصد بعث العداوة والبغضاء بين الطوائف الإسلامية في الجزائر، فكانت بذلك صحيفة ذات نزعة قومية صادقة. مفدي زكريا، الصحافة، المصدر السابق، ص 55. يمكن تحميل الجريدة من موقع: gallica.bnf.fr/bibliothèque nationale de France.

(4) علال الفاسي، المصدر السابق، ص 11. أُتِّهت العديد من الشخصيات بالانتماء للجامعة الإسلامية وهي لم تكن كذلك، ونجد كثيرا هذه الحالات والتي هي اتهامات مفبركة غير واقعية ومتناقضة في كثير من المرات، هدفها التشويش على مسار الشخصيات وتغليب العامة لمرجعياتها ومن المضايقة على نشاطها لا أكثر ولا أقل، وقد أشرنا سابقا لهذه القضية، للاستزادة أنظر: رابح لونيبي، التيارات الفكرية، مرجع سابق، ص 30-34. ويقول الدكتور علي الزيدي عن هذه القضية: "... الموظفون (في الإدارة الفرنسية)، كانوا يخلطون عن عمد وعن غير عمد بين مختلف التيارات الفكرية والسياسية التي تخص الرعايا التونسيين والجزائريين، ويلبسونها ما يشاءون من أسماء ونعوت...". علي الزيدي، المرجع السابق، ص 552. لذلك يكون المناضل الفاسي وقع في تلك المغالطة، فالشبان والتنويريون عرفوا بدعهم لأتاتورك في عملية اسقاط الخلافة.

بها بين الحواضر الأوروبية واستانبول وغيرها من البلدان كالحجاز ومصر وبلاد الشام، وقد تنقل بين هذه البلدان كذلك كثير من الوطنيين العرب، وخاصة أولئك الذين كانوا في تيار الجامعة الإسلامية، وتعلقوا بالخلافة العثمانية الإسلامية، وسواء تعلق الأمر بالمغاربة أو المشاركة، فإنهم كلهم سخرّوا أنفسهم خدمة للعالم الإسلامي.."<sup>(1)</sup>.

إن حركة الهجرة وكما أسلفنا من قبل كانت مكثفة ولعدة اعتبارات، ولهذا نحاول أن نسوق بعض النماذج الجزائرية المهاجرة من شخصيات وتجار وعلماء والذي غالبا ما استقروا بالمهجر وعملوا في إطار الجامعة الإسلامية أملا في وحدة المسلمين، ولعلنا نوه أن العديد من الجزائريين لم تكن له صلة كبيرة بالقطر الجزائري أو ينشط لصالح الحركة الوطنية بداخل الجزائر، ولكن ربما نستطيع أن نقول هو نشاط لصالح الحركة الإسلامية في سبيل الوحدة الشمولية.

فعديدة هي الشخصيات الجزائرية التي كانت تعيش خارج القطر الجزائري، بعضها منضوي تحت لواء الحركات الوطنية بذات الأقطار، والبعض الآخر متتبع لأحداث المغرب العربي والبعض لأحداث العالم الإسلامي فتعدد أمثلة الاستجابة من تعابير للأخوة، والتضامن، والاتحاد، والوحدة... كل حسب مفهومه وقراءته للوضع، فلا يسعنا ذكرها كلها هنا ولكن نعطي بعض الأمثلة الرائدة في هذا المجال والتي دعت صراحة لوحدة المسلمين والتشبث بالخلافة الإسلامية فنجد: أحمد توفيق المدني الذي أسس لجنة الخلافة بتونس بعد إلغائها من طرف كمال أتاتورك، وكان مؤمنا بها شديد الإيمان مدافعا عنها، و عنها يقول: "كنت ولا زلت ولن أزال إلى آخر نسمة من حياتي مؤمنا إيمانا قاطعا بوحدة العالم الإسلامي.. وكنت أرى أن الخلافة الإسلامية في اسطنبول هي الأداة الصالحة لجمع تلك الكلمة، ولم ذلك الشعث، والقضاء على كل عوامل الفرقة والشتات، وجعل المسلمين يدا واحدة، وعقيدة واحدة، وجسما

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص70.

واحدا" ويذكر أنه تطرق إلى ذلك في كتابه "تقويم المنصور" وكانت له عدة مراسلات مع الخليفة عبد المجيد بصفته رئيس لجنة الخلافة<sup>(1)</sup>.

كما نجد أيضا محمد مزيان التلمساني الذي كان عضوا مؤسسا في "لجنة استقلال الجزائر وتونس" ببرلين في 7 جانفي 1916، والتي كانت تضم عدة جزائريين وتونسيين<sup>(2)</sup>، والتي اهتمت بتحرير المنشورات وكتيبات الدعاية بالعربية والألمانية والفرنسية لصالح قضايا المغرب العربي والعالم الإسلامي<sup>(3)</sup>، ولعلنا نذكر أيضا حرب المنشورات<sup>(4)</sup> التي تدخل في إطار الدعاية والتي تعتبر من بين الوثائق الهامة والقيمة التي كانت تصدر بالمهجر وتخدم الخلافة العثمانية الإسلامية التي تحالفت مع ألمانيا، وتخدم أكثر قضايا التحرر في المغرب العربي و التي كانت تهرب إلى أفطار المغارب عن طريق اسبانيا وطرابلس، وقد برز في هذا المجال الجزائري رابح بوكابوية المعروف باسم الحاج عبد الله<sup>(5)</sup>.

كما لا يخفى علينا الدور الذي لعبه بعض أبناء وأحفاد الأمير عبد القادر في هذا المجال بحكم ارتباطهم بالدولة العثمانية ونذكر: محمد محي الدين الدين وعلي، فكان الأمير محمد (ت1913) الابن الأكبر مواليا للسلطان عبد الحميد وتيار الجامعة الإسلامية، وله علاقات مع محمد عبده وجمال الدين

- 
- (1) للاستزادة في الموضوع يرجى الرجوع إلى: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح: مذكرات (1905-1925) ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط1988، الجزائر، ص ص 324-328. أنظر عن كتابات المدني التاريخية الفصل الثالث من هذه الدراسة.
- (2) من بين المؤسسين: الشيخ صالح الشريف الذي كان عضوا في الجمعية الوطنية باسطنبول 1915، وإسماعيل الصفائحي.
- (3) اهتمت بأعمال ونشاط هذه اللجنة مجلة "المغرب" الناطقة باللغة الفرنسية التي أسسها باش حانية التونسي في ماي 1916، وكان الناشر الخفي للمجلة: جمعية عالمية إسلامية مقرها لوزان انظر للاستزادة: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص80.
- (4) حسب اجيرون كانت المصالح السرية الألمانية-العثمانية تهرب المنشورات إلى المغرب العربي في إطار المخطط السالف الذكر، وذكر أن نداءات الجهاد والانتقاد كانت تصل إلى المغرب العربي، ومن ذلك فإن المصالح الفرنسية، تمكنت في سبتمبر 1916 = من الاستحواذ على ثماني نشرات ألمانية بالعربية، وأحصت 110 نشرة انتقاد دعائية عثمانية-ألمانية في الجزائر وحدها: نقلا عن: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص102.
- (5) هو ضابط جزائري فر من الجيش الفرنسي مع بداية الحرب من أوروبا إلى إستانبول، وفي سنة 1915 أصدر هناك كتيباً بعنوان: "الإسلام في الجيش الفرنسي"، ثم كتابا آخر بعنوان: "الجهاد ومسلمو شمال افريقية" أصد على عاتق لجنة استقلال الجزائر وتونس. انظر: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص100.

الأفغاني<sup>(1)</sup>، أمّا الأمير علي فقد حارب في الجيش الإسلامي العثماني ضد الإيطاليين في ليبيا 1911-1912، وكان الداعم لجريدة "المهاجر" الناطقة باسم المهاجرين، وهو الذي كان يتلقى رسائل مساندة وتشجيع في أعماله ومهامه في إطار الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup>.

### 3-3- الوحدة الإسلامية في أعمدة الجرائد الجزائرية (1911-1915):

مما لا شك فيه أن الصحافة الجزائرية الناطقة باللغتين تأثرت بالحراك العالمي الحاصل في هذه المرحلة الجدد حساسة من التاريخ، والتي تزامنت واندلاع الحرب العالمية الأولى، وتصادم القوتين الإسلامية (=الدولة العثمانية) و الأوروبية مرة أخرى، الأمر الذي ألهب صدور الجزائريين، وجعلهم لا يترددون في إبداء مواقفهم وآرائهم، فبادروا إلى تأسيس صحافة وطنية والكتابة على صفحاتها، تعبيرا منهم على روح وقوة المشاعر الإسلامية الكامنة اتجاه قضيتهم الوطنية التي تسعى إلى الدفاع عن الشخصية الجزائرية ومميزاتها وكذا التعبير عن التضامن الواسع والعميق مع الشعوب الإسلامية المستعمرة (=ليبيا والمغرب الأقصى بالخصوص)، ولعلنا نسوق هنا أبرز النماذج الصحفية التي عرفت في مرحلة قصيرة جدا.

### 1-3-3- جريدة الحق الوهراني (1911-1912):

هي جريدة أسبوعية سياسية تعتبر لسان حال الدفاع عن المصالح الإسلامية للجزائريين لصاحبها "بول ابيان"، صدرت بوهران في 14 أكتوبر سنة 1911، كانت تصدر في حوالي 3000 نسخة، محرروها

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص552.

(2) من بين الذي راسلوه يذكر المرحوم أبو القاسم سعد الله: الأمير عبد المالك أخوه وسلطان مراكش حسب ماورد في النص المكتوب في 3 أبريل 1912: "...أهنئكم على المساعي التي بذلتموها في سبيل الاتحاد الإسلامي"، والأخرى من الامير خالد ابن أخيه يقول فيها: "... نصر الله المجاهدين، فقد كان بلاؤكم حسنا، جعل الله على أيديكم كل نفع للإسلام". أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ج5، ص554، 555.

من مزدوجي اللغة<sup>(1)</sup>، وقفت أمام قانون التجنيد الإجباري برحولة وثبات، يرجع محمد ناصر أن يكون سبب صدورها هو قانون التجنيد الإجباري (فيفري 1912)<sup>(2)</sup>، وينقل سعد الله عن أجيرون أنه قد صدر منها 26 عددا فقط<sup>(3)</sup> ويقول مرتاض أنه صدر منها 47 عدد<sup>(4)</sup>، تألفت لجنة تأسيسها من السادة: "بوعياد"، و"ابن عيسى"، و"ابن عواد"، و"ابن عبد الله" و"ابن سعد"، و"رزمة" و"الإدريسي"، وأشرف على تسييرها إداريا "شارل تايبيه-tapié"، أما لجنة تحريرها فقد ضمت كل من "رخال"، و"صلاح"، و"ثابتي"، و"بوري"، وكان حجم اخراجها 55 سم في خمس أعمدة وسط مساحة 47,5 سم عرضا، ويتم توزيعها عبر مدن القطاع الوهراني حيث يوجد مكاتب لها<sup>(5)</sup>، وبداية من العدد الواحد والثلاثين أضيفت لها صفحتان باللغة العربية، واتخذت من منهج محمد عبده منهجا لها معتبرة إياه المدير الروحي لها، ويلخصها الدكتور ابراهيم مهديد أهدافها كما يلي<sup>(6)</sup>: "اهتمت

(1) عبد القادر جغلول، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة: سليم قطون، دار الحدائق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص81.

(2) يرجع مفدي زكريا تاريخ صدورها إلى سنة 1902، وأن تاريخ إضافة الملحق العربي إليها كان سنة 1910 من طرف عمر راسم بطلب من "طايبيه"، أنظر: مفدي زكريا، المصدر السابق، ص36. نشير إلى أن مفدي ز أول من اهتم بدراسة التراث الفكري الصحفي الجزائري حسب الدكتور زهير احدادن، (نفسه، ص 11)، بصفته مصدر من مصادر تاريخ الجزائر (=مفدي)، ونشير إلى أن هذا الكتاب المصدري الجد هام هو في الأصل مجموعة من الحصص الإذاعية بثتها الإذاعة التونسية للشاعر والصحفي والأديب المناضل ما بين 1959-1961 لذلك اعتمدنا على المؤلف في دراستنا كمادة مصدرة في التأريخ لتاريخ الصحف. يقول محمد ناصر أن تاريخ صدورها (=الحق الوهراني) هو 1912، ونراه مخطئا أنظر: محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، المرجع السابق، ص 29. يعني أن هناك تناقضا رهيبا بين المعلومات جعلتنا لا نستطيع أن نقف على الحقيقة الرسمية لتاريخ الصدور، في ظل شح صحف هذه الفترة بسبب المضايقات الفرنسية وعدم الاهتمام بها لاحقا كمادة مصدرة خام لكتابة تاريخ الجزائر.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص249.

(4) عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2003، ص72.

(5) ابراهيم مهديد، الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية جريدة الحق الوهراني نموذج، (1911-1912)، مجلة عصور، ع6-7، جوان-ديسمبر، 2005، مخبر البحث التاريخي: مصادر وتراجم، جامعة وهران، الجزائر، ص15.

(6) ابراهيم مهديد، الطرح الوطني للهوية الوطنية، مرجع سابق، ص22.

بالدفاع عن حقوق المسلمين الجزائريين، كما عبرت عن رفضها التجنيد الاجباري ودفعت الجزائريين للوقوف ضده، كما تطرقت لنشاط الآباء البيض الهادف للإساءة للإسلام، ورفضت عملية التجنيس وحذرت من عملية تقسيم وتفارقة الجزائريين عن بعضهم البعض وخلق الشقاق بين الحضر وسكان الريف قائلة: "لا تسقطوا في هذا الفخ"<sup>(1)</sup>.

كما اعتبرت أول جريدة عربية في الجزائر فتحت اكتتابا للهِلال الأحمر العثماني في الحرب الطرابلسية<sup>(2)</sup>، والتي حملت لواء التضامن مع الإخوة الطرابلسيين في حربهم ضد الطليان<sup>(3)</sup>، وقد تغذت بما كان دائرا حول الجامعة الإسلامية، فكتبت في كثير من أعدادها عن ضرورة التفاف المسلمين حول جامعتهم ونسوق مثلا على سبيل الذكر لا الحصر فتقول: "لأن كل مسلم في أي قطر في العالم شرقا وغربا، لا تفصله أية قوّة عن الارتباط بهذه الوحدة المذهبية الدينية إن تمسك بدينه، أما إذا تصرف عن شريعة وسنن وهداية الرسول الأكرم وترك الارتباط بهذه الوحدة، لا يبقى للإسلام أثر، ولا يبقى لكلمة الاتحاد الإسلامي معنى الشمول والتعميم."<sup>(4)</sup>.

## 2-3-3- جريدة الفاروق (1913-1915):

جريدة أسبوعية صدرت في 18 فبراير 1913 بالجزائر وتعطلت سنة 1915، ثم ظهرت في سلسلة ثانية في 25 محرم 1339/18 أكتوبر 1920 وتوقفت يوم 7 رجب 1339/18 مارس 1921<sup>(5)</sup>، وقد احتفت صحيفة الحق الوهراني بقرب صدورها وبشرت بها في عددها التاسع وثلاثين وقالت عن ذلك: "إنها جريدة إسلامية سياسية علمية... والتي يجزّرها جمع من نوابغ كتاب العربية... نحث إخواننا قراء العربية ومن

(1) الحق الوهراني، الأعداد من 11 إلى 18 - 1911

(2) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، دار البصائر، طبعة بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2009، ص 458.

(3) محمد دراوي، المرجع السابق، ص 88.

(4) الحق الوهراني، عدد 38، من 09 إلى 29 جويلية 1912. نقلا عن: ابراهيم مهديد، الصراع حول الهوية، المرجع السابق، ص 12، 13.

(5) صالح خرفي، في رحاب المغرب العربي، دار الإسلامي، بيروت، 1985، ص 70.

يهم حال المسلمين، أن يساعدها ويسعوا في نشرها، حتى تعم فائدتها بين جميع طبقات الأمة الجزائرية - نحن الذين سطرنا- المحتاجة للتربية والإرشاد وعلى الله الاتكال"<sup>(1)</sup>.

ويرى مفدي زكريا أنها صدرت يوم 28 فيفري سنة 1913 وتوقفت في سلسلتها الثانية في 26 مارس 1921 ويقول عنها: "... هي جريدة عصامية علمية اخبارية اجتماعية أدبية مصورة تصدر كل يوم جمعة، اشترك في انشائها السيدان أبو حفص عمر بن قدور وعمر راسم، فالأول كان يحرر قسم الأخبار منها والثاني كان يحرر افتتاحيتها بدون إمضاء، وهو الذي اختار لها هذا الاسم حيث أن السيد عمر بن قدور كان يشتغل مصففاً بمطبعة كريناشو الإيطالي، رغب من زميله عمر راسم أن ينشئ جريدته بمساعدته فأجابه لذلك، إلا أن المعاشرة لم تدم بين الزميلين فانسحب عمر راسم تاركاً زميله عمر بن قدور وحده على رأس الجريدة إلى ان اندلعت نيران الحرب العالمية الأولى.. استأنف عمر بن قدور نشاطه بعد الحرب العالمية الأولى، وأصدر "الفاوق" من جديد في شكل مجلة، وكانت الجريدة والمجلة تطبعان بالمطبعة الإيطالية المذكورة وهي مطبعة حجرية"<sup>(2)</sup>.

ويقول عنها أحمد توفيق المدني: "...الفاوق الراقية، التف حولها الكثير من كتاب الجزائر وتونس، وكانت طيب الله ذكرها هي أول عهدي بالصحافة..."<sup>(3)</sup>.

ونجد تضاربا في المعلومات حول تاريخ الانشاء، والأرجح كما هو مبين في افتتاحيتها بتاريخ 18 فيفري 1913، و مهما يكن فإن المتفق عليه هو أنها لعمر بن قدور الذي كنا تناولنا جانباً من نضاله الصحفي سابقاً، والذي اهتم في جريدته هذه بالقومية الاسلامية وشؤون المسلمين، دون تناسي الشأن الجزائري كشأن جوهرى في كتاباته لكن دون فصل نضاله عن المبادئ الإسلامية،

(1) الحق الوهراني، ع39، بتاريخ 6-13 جويلية 1912، عن: ابراهيم مهديد، الطرح الوطني للهوية، مرجع سابق، ص31.

(2) مفدي زكريا، المصدر السابق، ص58.

(3) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص458.

وكتبت الفاروق في عددها الافتتاحي: "... ولعدم وجود جريدة اسلامية بكل معاني الكلمة في هذه العاصمة بل في كل القطر، أصدر عمر بن قدور الجزائري الفاروق الأسبوعية في 18 فيفري 1913"<sup>(1)</sup>. وقد تناغمت الفاروق مع مشروع الجامعة الإسلامية، وحثت الجزائريين على الوقوف وراء الخلافة، وضرورة الاتحاد والتضامن لكي لا تحدث فجوات بين المسلمين في المعمورة، فيكتب عمر بن قدور في أحد أعداد الفاروق بعنوان "دان النهوض ولم يدن" قائلا: "... إن كل مسلم في هذا الوقت ليس بمسلم حقيقة، بل هو تركي أو عربي أو بربري بحسب العناصر، أو مغربي أو جزائري أو تونسي أو سوري أو مصري بحسب الأوطان، وذلك التنافر أحدثه انحلال الرابطة الإسلامية التي كانت تربط كل مسلم بأخيه، وإن كان أحدهما بأقصى الشرق والآخر بأقصى الغرب، وتلكم أمة الإسلام التي مازالت تسمى بالأمة الحنيفية وواسطة عقد الأمم، أصبحت تابعة بمركزها الحالي، وراضية بأن تنسحب عنه إلى المراكز الأخرى التي تبصرها من تحتها في الدرك الأسفل..."<sup>(2)</sup>.

### 3-3-3-جريدة ذو الفقار (1913-1914):

أصدرها عمر راسم في أكتوبر 1913، باسم مستعار (أبو منصور الصنهاجي)<sup>(3)</sup> أحد قادة المغرب الكبير، ومن عنوان الجريدة نستطيع أن نفهم أنها إسلامية الاتجاه خاصة لما كانت تحمل اسم سيف علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، والتي اعتبرها محمد ناصر أول جريدة عربية جزائرية يقوم بأعبائها شخص واحد هو عمر راسم، وقد صرح في افتتاحية العدد الأول عن نزعتة العبدوية فيها قائلا: "... ذو الفقار جريدة عبدوية اصلاحية، وإنما لا تخرج عن الطريقة التي خطها لها رجال الإصلاح المخلصين، ومما اتخذته مبدأ لها بعدها عن السياسة لأنها مهما دخلت في شيء إلا أفسدته"<sup>(4)</sup>، وهذا دلالة على خطها

(1) عبد القادر كركيل، نشأة الصحافة في الجزائر، مجلة المصادر، ع11، عدد خاص بالمقاومة والحركة الوطنية، مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، السداسي الأول، الجزائر، 2005، ص229.

(2) دان النهوض ولم يدن، الفاروق، عدد 15، بتاريخ: 6 جوان 1913.

(3) يرى مفدي زكريا أن أبا منصور الصنهاجي هو منشئها، وعمر راسم هو محررها، ولكن وحسب العديد المؤرخين كان عمر راسم يتخفى وراء الاسم الأول لئلا يتعرض لمضايقات، يعني أنه هو منشئها ومحررها. أنظر: مفدي زكريا، المصدر السابق، ص57.

(4) محمد ناصر، عمر راسم المصلح الثائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007. ص ص 05-12.

المعارض لسياسة الإدارة الاستعمارية، وهي حسب أحمد توفيق المدني مجلة مصورة مطبوعة طباعة حجرية، وهي المجلة العربية التي اكتشفت الخطر الصهيوني ونبهت عليه<sup>(1)</sup>.

اتخذ منها عمر راسم وسيلة لإصلاح الأوضاع الاجتماعية ونشر الأفكار الإصلاحية في الجزائر، وقد قام بتحديد أهدافه الإصلاحية فجاء في مقدمتها: "لما سمعنا عن الإسلام يئنّ من طعنات أعدائه والوطن ينادي بالويل والحسرة على أبنائه، أنشأنا هذه الجريدة لمحاربة أعداء الدين وكشف أسرار المنافقين، وإظهار مكائد اليهود والمشركين للناس أجمعين، وانتقاد أعمال المفسدين"، كما تعتبر من الصحف الأولى التي نادى صراحة بفكرة القومية الإسلامية<sup>(2)</sup>، و يصفها مفدي زكريا قائلاً: "هي جريدة انتقادية متطرفة كانت تحمل الحملات الشعواء على الصهيونية والخونة المنافقين..". ولم يصدر من الجريدة سوى ثلاثة أعداد بين أوت 1913 وجوان 1914 حيث أوقفها الاستعمار متذرّعاً بالحرب العالمية الأولى<sup>(3)</sup>.

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 458.

(2) ابراهيم مهديد، الطرح الوطني للهوية الوطنية، المرجع السابق، ص 22.

(3) توفيق مزاري عبد الصمد، أهمية الإصلاح وعوامله في الجزائر، الملتقى الدولي: عمر راسم، المرجع السابق، ص 393. انظر أيضاً: بلبروات بن عتو، صدى فكر محمد عبد الإصلاحي بالجزائر في مطلع القرن العشرين، الملتقى الدولي: عمر راسم، المرجع السابق، ص 200.

### خلاصة:

الوحدة الإسلامية كانت في الحقيقة طرحا جزائريا منذ أن اصطدم المسلمون بالاستعمار الأوروبي الحديث، ثم أصبحت شيئا فشيئا طرحا عثمانيا تركيًّا خاصة لما تجاوزت عديد الأقطار التابعة للخلافة، وكان تميل إلى الجانب السياسي والعقائدي والروحي، أكثر من الميداني والعملي الحقيقي، وهذا ما أدى ربما إلى انقسام متبعية خاصة العلماء منهم، الذين رأوا ضرورة دمج كل مكونات ومدلولات الجامعة لفهم وعمل أكثر لها ومن أجلها، وبالتالي السير على المنهج الصحيح الذي يخطه منظورها، لئلا تسقط وتضعف بمجرد زوال الخليفة.

لعبت الجامعة الإسلامية سواء كمشروع سياسي أو كشعور ديني، في ايقاظ الوعي النخبوي والجماهيري الجزائري، فراح الجزائريون بالرغم من الصراعات التي كانت بينهم وبين العثمانيين منذ حكمهم للجزائر، وبالرغم من قلة امكانياتهم المادية وبساطة معارفهم، مظهرين الولاء للعثمانيين والخلافة آمليين في وحدة رايها الإسلام كما كانت منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وبعده الخلفاء الراشدون.

قد يتساءل الباحث عن موقع خلو العرائض والشكاوى من مطالب الوحدة الإسلامية أو أفكار الخلافة أو الجامعة في الفترة الأولى من مطلع القرن العشرين، فنقول إن هذا كان من بين المستحيلات في هذه الفترة، خاصة وأن بعض الشخصيات سبق ذكرها كعمر بن قدور وراسم قد دخلا السجن لمدة طويلة بسبب أفكارهما وميولهما لمساندة سلطة الخلافة في اسطنبول.

فعل وحسب اضطلاعنا المكثف للمصادر والمراجع، لا نجد تنظيم سياسي أو حزبي جزائري مهيكلا ومنظم اعترف صراحة بفكرة الانضمام إلى الجامعة الإسلامية، وذلك للخناق الكبير الذي كان مفروضا على الطبقة المثقفة هذه الفترة، إلا أن الشخصيات الأقل بروزا كراسم وبن قدور صعدت من لهجتها بخصوص الوحدة الإسلامية، في المقابل المحافظون كابن سماية وابن الموهوب وبن رحال

والمحسوبون على التيار المحافظ تعاملوا مع الظرف، ولم ينادوا مباشرة بالانتماء إلى الخلافة أو المناداة بالجامعة في كتاباتهم أو خطاباتهم الشعبية تفاديا للمضايقات (=التقية)، وكذلك لشدة مراقبة الإدارة الفرنسية لهم باعتبارهم مدرسين في المدارس الرسمية الفرنسية، وينشطون في النوادي والجمعيات وبحكم تأثيرهم في الوسط الاجتماعي، وهذا ربما ما يفسر عدم سجنهم .

ساهم مشروع الوحدة الإسلامية تحت راية الخلافة في التمهيد لكل المحاولات والدعوات الوحدوية التي أتت فيما بعد خاصة ذات الطابع العربي القومي أو المغربي، فكان من الضروري التنسيق بين قادة الحركات الوطنية المغربية لمقاومة مستعمر بنى وجوده على سياسة فترق تسد، ولكن انتهاء حلم الخلافة بسقوطها وإلغائها، جعل العرب والمسلمين يبحثون عن نقطة التقاء جديدة إذ لا يعقل أن لا يُفكر في مصدر خلافة ووحدة جديدة، خاصة وأن العالم الإسلامي كان يبدو أكثر ضعفا وأقل حيلة من ذي قبل، فقد ظهرت مشاريع وحدة جديدة تمثلت في الوحدة العربية الآتي مصدرها من شبه الجزيرة، وتنامى التيار القومي العروبي القادم من بلاد الشام ومصر خاصة، فيا ترى ما كانت مواقف الجزائريين من قضية إلغاء الخلافة الإسلامية بعد الحرب الكونية الأولى؟ وكيف تفاعل الجزائريون مع الدعوة القومية العربية الجديدة؟ وإلى أي مدى تناغمت الحركة الوطنية الجزائرية ممثلة في أديباتها مع الحراك الوحدوي العربي الإسلامي الجاري؟

هو ما سنحاول الإجابة عنه فيما سيلي في الفصل الموالي.

# الفصل الأول:

## مشروع الوحدة في إطار الأمة العربية - الإسلامية

- 1- مواقف رجال الإصلاح من مسألة إلغاء الخلافة العثمانية.
- 2 - الوحدة العربية - الإسلامية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية.
- 2-1- عوامل نموّ وتطوّر التيار الوحدوي العربي - الإسلامي في الجزائر.
- 2-2- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات التيار الإصلاحية.
- 2-3- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات التيار الاستقلالي.
- 3- القضية الفلسطينية محرّكة الشعور الوحدوي العربي الإسلامي في الحركة الوطنية الجزائرية:
- 4- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات الجمعيات الطلابية والكشفية.
- خلاصة

## تمهيد:

أحدثت عملية إلغاء الخلافة الإسلامية من قبل مصطفى كمال أتاتورك<sup>(1)</sup> لغطا سياسيا وإعلاميا كبيرا، وقد نجم عن ذلك حدوث انقسامات في الآراء، وتشتت في المواقف بالنسبة للعالم الإسلامي كله، ففي الجزائر لقيت هذه الخطوة ترحيبا من طرف النخبة المثقفة ثقافة فرنسية، واتخذت خطوة كمال أتاتورك هذه مثال للاقتداء وأبدت أيماء إعجاب بتلك العملية التجديدية والتي كانت تهدف لتطوير تركيا في مختلف المجالات<sup>(2)</sup>، أما التيار الإصلاحى وبالرغم من إعجاب أغلبية رجاله بشخص أتاتورك وانتصاراته الباهرة في اليونان، ولكن اعتبرت ذلك خزيا على الإسلام والمسلمين<sup>(3)</sup>.

وسنحاول فيما يلي أن نلقي الضوء على بعض الشخصيات الإصلاحية التي بدأت تبرز في هذه الفترة، والتي كان لها آراء في مسألة إلغاء الخلافة.

### 1- مواقف رجال الإصلاح الجزائريين من مسألة إلغاء الخلافة العثمانية:

#### - العلامة عبد الحميد ابن باديس<sup>(4)</sup>:

(1) ولد مصطفى كمال أتاتورك عام 1881، في مدينة سلانيك اليونانية، وكانت تابعة للدولة العثمانية وقتئذ، شغل ضابطا في الجيش العثماني، نظرا للانتصارات التي حققها في حربه مع اليونان تمت ترقيته إلى القائد الأعلى للقوات المسلحة بعد إلغاء الخلافة الإسلامية، تولى أتاتورك رئاسة الجمهورية التركية، توفي عام 1938.

(2) أنظر الفصل الرابع لرصد ردود فعل التيار اليميني من سقوط الخلافة.

(3) أمحمد دراوي، المرجع السابق، ص 97.

(4) عبد الحميد ابن باديس (1310-1359هـ/1889-1940م): هو عبد الحميد بن مصطفى بن باديس الصنهاجي أصلا القسنطيني نشأ ودارا، تلقى تعليمه الأولي بمسقط رأسه ثم ارتحل إلى تونس وأخذ عن مشيخة جامع الزيتونة واجيز بالأزهر ثم حج وزار البقاع المقدسة وحينما عاد إلى مسقط رأسه بدأ بإلقاء دروس بالجامع الكبير ثم بالجامع الأخضر، في سنة 1931 أسس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مع مجموعة من رجالات الإصلاح في الجزائر، والتي أخذت على عاتقها نشر اللغة العربية وتعاليم الدين الإسلامي والإصلاح في جميع أنحاء القطر الجزائري، فصار ابن باديس ينتقل من مدينة لأخرى ومن ريف لآخر خطيبا ومرشدا ومعلما إلى أن وافته المنية بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بقليل بمسقط رأسه، نشر عدة مقالات بالشهاف، البصائر.. الخ تخصص في نشر التفسير بروح عصرية نشر له تلاميذه كتاب "مجالس التذكير" سنة 1948... بتصرف انظر: محمد بن رمضان

اعتلى ابن باديس قمة الحركة الإصلاحية في الجزائر في هذه الفترة، وكانت له عدة مواقف وكتابات حول قضايا الإسلام والمسلمين ومنها مسألة الخلافة، فقد عارض ابن باديس في الأول عملية إلغاء الخلافة 01 نوفمبر 1922م-1341هـ في مقال نشره بجريدة النجاح قائلا: "إن الإسلام لا يقدر الرجال وإنما يسير الأعمال، فلئن والينا الكمالين بالأمس ومدحناهم فلأنهم يذودون عن حمى الخلافة وينتشلون أمة إسلامية عظيمة من مخالب الظالمين، وقد سمعناهم يقولون في دستورهم "إن دين الدولة الرسمي هو الإسلام، ولئن تبرأنا منهم اليوم وعاديناهم فلأنهم تبرؤوا من الدين وخلعوا خليفة المسلمين"<sup>(1)</sup>.

كما يرفض ابن باديس تعيين أي خليفة آخر تشتم منه رائحة الخداع للمسلمين والموالاتة للأجانب وربما كان يقصد الشريف حسين الذي عينه الإنجليز أو حتى الخليفة عبد المجيد عبد العزيز الذي بقي على كرسيه كخليفة روحي فقط<sup>(2)</sup> فيقول في هذا الصدد: "... قد زالت الخلافة بالمعنى الحقيقي والمعنى الصوري، فلنعلم أنه لا خلافة اليوم، ولنرفض كل خليفة تشتم منه رائحة الأجنبي كائنا من كان، ولتعمل كل أمة مسلمة على النهوض بفقهاها، والتعارف والتعاقد على الحق مع إخوانها حسب الإمكان، ولا يكون ما وقع مضعفا لعزائنا مثبطا لأعمالنا ما دام الإسلام ديننا، وهو الرابطة العظمى التي تربطنا والجامعة الكبرى

---

شاوش-الغوثنى بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، م2، ج3-4، دار البصائر، الجزائر، 2011، ص = ص270، 271. للاستزادة انظر ترجمته وآثاره في كتاب وقع في أربعة مجلدات (=جزئين): ابن باديس، الآثار، اعداد وتصنيف: عمار الطالبي، الشركة الجزائرية، ط3، الجزائر، 1997، صص72-97.

(1) ابن باديس، الفاجعة الكبرى أو جنائيات الكمالين على الإسلام والمسلمين ومروقهم من الدين، جريدة النجاح، عدد52، 28 مارس 1924. ص ص1، 2. للأسف لم نستطع التوصل للجريدة لكثرة المشاغل ولأن أعدادها تقريبا لم تتناول الموضوع الذي نبحث فيه إلا في بعض الإشارات والكتابات التي تخص أصحابها شخصا، وحتى ابن باديس كتب فيها مقالات قليلة تحت اسم مستعار هو "العيسى"، وله مقال آخر فيها بعنوان: الجمهورية التركية في نظر العالم الإسلامي ع130، 242 (30 أكتوبر 1925)، أنظر: عمار بوطبة، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح (1919-1956)، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث و المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010، ص54. أيضا: تليلاني أحسن، جريدة النجاح: حقيقتها ودورها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.

(2) محمد قن، عبد الحميد ابن باديس ومسألة إلغاء الخلافة الإسلامية، مقال علمي منشور في: [www.binbadis.net](http://www.binbadis.net)

التي تجمعنا، ومن كان أخا للمسلمين للخلافة والخليفة فليعلم أن الخلافة قد زالت، وأن الخليفة قد خلع، ومن كان أخا لهم في الله والإسلام فليعلم أن الله حي لا يموت، وأن الإسلام دين لا يزول..<sup>(1)</sup>

ثم يضيف ابن باديس في مقال آخر له بالنجاح متطرقا لموضوع الخلافة وأسسها قائلا: "... إن الإسلام دين الحقائق والعلوم، لا دين التقاليد والرسوم، فلنرفض الأوهام... ولنقل عن علم وإنصاف أن خلافة الكمالين باطلة من أصلها وأن لا خلافة اليوم، هذا وإن العالم الإسلامي، لا يسكت عن مسألة الخلافة، ولا يهمله أمرها..."، وقد أبان ابن باديس ميوله للحراك العربي الحاصل في مصر فقال: " وإن أعظم الرجاء معلق على الأمة العربية أمة كنانة الله، الأمة المصرية العزيزة مصدر العلم والتهذيب للعالم الإسلامي، أيام يؤسها ومصدر الحرية والنهوض، هذه الأيام أيام عزها واستقلالها، وقد خمل البرق نبأ تعلق علماء الأزهر الشريف على عقد مؤتمر إسلامي لهذا الأمر، وأنه يكون في شهر مارس من السنة المقبلة..."<sup>(2)</sup>. وربما عقد الآمال على العرب كان جريا تأثره بفكرة الخلافة العربية لعبد الرحمن الكواكبي<sup>(3)</sup>.

ولعل فكرة ضرورة استعادة مؤسسة الخلافة حسب الدكتور رابح لونيبي قد تراجعت لدى معظم التيارات الفكرية الجزائرية وليس ابن باديس وحده، سواء أكان ذلك عن اقتناع بضرورة التخلي عنها لأنها ما عادت تنفع لا الإسلام ولا المسلمين أو استلاما للأمر الواقع، ولعل ذلك التراجع حسبه يعود إلى الطفرة النوعية على مستوى التفكير الجزائري<sup>(4)</sup>، وكذا فشل المؤتمرات الإسلامية التي قل بعدها الحديث عن الجامعة (=مؤتمر القاهرة ماي 1926، ومؤتمر مكو المكرمة 7 جوان - 5 جويلية 1926)<sup>(5)</sup>، وبعدهما مؤتمر الجامعة الإسلامية بالقدس 8-17 ديسمبر 1931<sup>(1)</sup> في إيجاد حل

(1) ابن باديس، الفاجعة الكبرى، نفس المصدر السابق.

(2) ابن باديس، على مقالنا السابق في جنابات الكمالين وموقفهم، جريدة النجاح، ع 53، 04 أبريل 1924.

(3) رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 256 (الهامش رقم 02).

(4) نفسه، ص 256.

(5) revue de monde Musulman ,deuxième trimestre ,tome 64, les deux congrès généraux de 1926,proces,verbaux, analysés et traduits par :Achille Sekaly ,Editions Ernest leroux,paris,1926. Télécharger de site : www.bnf .Fr. mai 2016.

مناسب يعيد المسلمين إلى كانوا عليه، ضف إلى ذلك تلك الدسائس الإنجليزية، والفرنسية، والأجنبية بصفة عامة، وذلك للقضاء على حلم وحدة المسلمين التي شكلت خطرا على مستعمراتها ومراكز نفوذها.

لذلك نلمس تغيرا جوهريا في موقف الشيخ ابن باديس حول مسألة الخلافة، فقد استغل وفاة كمال أتاتورك ليتوجه إليه وإلى الأمة التركية بنعي له، مشيدا بفضائله على شعب الترك، وموافقا إياه في مسألة إلغاء الخلافة التي أصبحت حسبه متحكما فيها من طرف الغرب، وحاثا على كل أمة عربية مسلمة النهوض بنفسها والاعتماد على طاقاتها وقدراتها، ويقول فيها الصدد: "... في السابع عشر من رمضان المعظم ختمت أنفاس أعظم رجل عرفته البشرية في التاريخ الحديث... هو مصطفى كمال أتاتورك... لقد ثار مصطفى كمال حقيقة ثورة جامحة، ولكنه لم يثر على الإسلام وإنما على هؤلاء الذين يسمون بالمسلمين، فألغى الخلافة الزائفة وقطع يد أولئك العلماء على الحكم.. وقال للأمم الإسلامية عليكم أنفسكم وعلّي نفسي... فكونوا أنفسكم ثم تعالوا نتعاهد ونتعاون كما تتعاهد وتتعاون الأمم ذوات السيادة والسلطان..."<sup>(2)</sup>.

ولعل تغير موقف الشيخ ابن باديس جاء لتغير طبيعة الوضع القائم والتشكلات السياسية العالمية، ولزوم كل قطر أن ينهض بنفسه، خاصة وأن الجزائر كانت أول دولة مستعمرة وكان شعبها متشرذما فقيرا جاهلا يعاني كل أنواع المعاناة، فكيف يطمح لوحدة مع جميع المسلمين وهو غير متحد حتى مع بعضه بعضا؟، ولعل ابن باديس تأثر بفكرة شكيب أرسلان بضرورة قيام كل أمة عربية بنفسها حتى تتحرّر أولا ومن ثم يمكن التفكير في الخلافة أو الوحدة العربية<sup>(3)</sup> ولعل هذا الطرح قد مضى فيه غالبية

(1) علي مراد، المرجع السابق، ص 449.

(2) ابن باديس، مصطفى كمال رحمه الله، الشهاب، ج 9، م 14، نوفمبر 1938، دار الغرب الإسلامي، ط 1، لبنان 2001، ص ص 479-483.

(3) أنظر القسم المتعلق بالوحدة السياسية في: خطاب شكيب أرسلان حول الوحدة العربية، الشهاب، ج 11، م 13، ص ص 525، 526.

المصلحين الأوائل ودعاة وحدة المسلمين وعلى رأسهم عمر راسم والذي أصبح ناقما على الأوضاع ببلاده يحمل ذويه مسؤولية ما يحصل، مسميًا إياهم ببقر الله في أرض الله.

ولعل واقعية ابن باديس في عمله وفكره السياسي، جعلته يربط بين الجانبين النظري والعملي للخروج من المثاليات والأوهام، فيطرح ابن باديس قضية الوحدة الإسلامية ووجودها الروحي والأدبي والأخوي، ولكن هل تحققت عملياً؟ فسؤال كهذا جعل ابن باديس يؤمن بقاعدة: "عالمية التصور ومحلية العمل"<sup>(1)</sup>، وهو الذي تميز عادة بالواقعية في العمل والمرونة في التعامل والقوة في الطرح<sup>(2)</sup>، باعتباره من الأوائل الذين استنكروا الصورة السيئة التي انتهت إليها الخلافة مع الأتراك العثمانيين<sup>(3)</sup> فاعتبر بعد ذلك أن لا وجد لعصمة شخص بعد الرسول (ص) وهذا ما نتج عنه بالتالي عدم اعتبار الخلافة ذات طابع مقدس كما كانت في العهد العثماني، وإنما تعتبر فقط صورة من صور النظام الإسلامي، والتي من الممكن تعويضها بمؤسسة أخرى تستطيع الحفاظ على قيم الإسلام الخالدة<sup>(4)</sup>، فالخلافة في نظره أصبحت مسألة مشدودة إلى التاريخ، فميدانيا هي مستحيلة أما روحياً وشعوريا تظل ثابتة لا تتغير، وهو الذي كان قد أعطى رأيه في أصول الولاية في الإسلام وشروطها<sup>(5)</sup>.

(1) مسعود جباري، المرجع السابق، ص 96.

(2) نفسه، ص 96.

(3) نفسه، ص 115، نقلا عن: فهمي جدعان، أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث، ص 344.

(4) نفسه، ص 112. نقلا عن: أمين شريط، الدولة والتنظيم الدستوري للسلطة في فكر ابن باديس، مجلة الأمير عبد

القادر، د-ع، ص 216.

(5) من تجربة أي بكر الصديق يستمد ابن باديس تلك الشروط فيحصرها فيما يلي: لا أحد يقود أمر الأمة إلا برضاها- أن يكون أكفأ من في الأمة من دون ان يكون أفضلها أو أخيرها- للأمة حق في مراقبته- للوالي حق على الامة في بذل العون له- للوالي حق على الأمة في نصحه وإرشاده- حق الأم على الوالي في مناقشته ومحاسبته على اعماله- أن يقدم الوالي خطته إلى الامة- الامة تخضع للقانون والوالي ينفذ إرادتها- مساواة الجميع أمام القانون- صياغة حقوق الجميع من دون تمييز- حفظ التوازن بين طبقات الأمة- شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة. عبد الحميد ابن باديس، أصول الولاية في الإسلام، الشهاب، جانفي 1938، للاستزادة أنظر: نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، بيروت، 2015، ص 325.

يقول الدكتور علي مراد في تتبعه لمسار الحركة الإصلاحية في الجزائر: "... كان بإمكان الجامعة الإسلامية أن تظل مدة أطول في نظر الإصلاحيين الباديسيين كنظرية بسيطة مغدّاة من قبل عقول متوقّدة الحماس أو ذات خيال واسع، على شاكلة الأفغاني أو الكواكبي، غير أن هذه النزعة السياسية والدينية اتخذت منعرجا راهنياً مباشرة بعد سقوط الخلافة 1924، حينئذ كشف الفراغ الذي خلفته الخلافة تفكك العالم الإسلامي المقسم في مساحته الكبرى بين قوى أوروبية ذات مصالح متناقضة أحياناً. عن انقطاع هذا الرباط الرمزي الذي لم يأبه به العديد من المسلمين من قبل، ألقى بالعالم الإسلامي في قلق عظيم وجعله أكثر وعياً من ذي قبل بتشرذمه السياسي وتباعده المعنوي"<sup>(1)</sup>.

فعلل الشيخ ابن باديس راجع رأيه حول قضية الخلافة بعدما قرأ عنها وحولها كثيراً، فنجدته غير راض عنها ليس فقط في عهد الأتراك بل قبل ذلك بكثير، معتبراً إياها مجرد خيال، وقد راسل في ذلك شيخ الأزهر بضرورة إلغائها، مقترحاً عليه ما سماه بجماعة المسلمين<sup>(2)</sup> لكن دون أن يتلقى رداً منه فيقول: "إن الخلافة هي المنصب الإسلامي الأعلى... لقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد زمن الإسلام وزمننا بعده - على فرقة واضطراب - ثم قضت الضرورة بتعددده في الشرق والغرب، ثم انسلخ عن معناه الأصلي وبقي رمزا ظاهرياً تقديسياً من أوضاع الإسلام في شيء... لقد كنت كاتباً صاحب الفضيلة شيخ الأزهر الشريف بهذا المعنى (=جماعة المسلمين) ولكنني لم أتلّق منه جواباً، وعرفت السبب يوم بلغنا أن إخواننا الأزهريين هتفوا - يوماً - بالخلافة لملك مصر فاروق الأول، وسيرى الفضيلة الأكبر أن خيال الخلافة لن يتحقق وأن المسلمين سينتهون يوماً ما إن شاء الله إلى هذا الرأي"<sup>(3)</sup>.

(1) علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 448.

(2) انظر عنصر "جماعة المسلمين" من هذا الفصل.

(3) ابن باديس، الخلافة أم جماعة المسلمين، الشهاب، ج 2، م 14، ماي 1938، ص ص 71-73.

- الشيخ أبو اسحاق إبراهيم أطفَيْش<sup>(1)</sup>:

عاش الشيخ اطفيش في بلاد المشرق كثيرا، وهو الذي كان خبيرا بشؤون الأمة الإسلامية، محللا لها وفاهما لمسارها، واشترك في عدة جمعيات إسلامية كجمعية "الشبان المسلمين" و"الهداية الإسلامية" و"الرابطة الشرقية"، كما شارك في عدة مؤتمرات إسلامية، كالمؤتمر الإسلامي العام بالقدس سنة 1936<sup>(2)</sup>، وقد أسس بمصر مجلة "المنهاج"<sup>(3)</sup> مستعينا بالمساندة الأدبية والمعنوية لصديقه محب الدين الخطيب، الذي واكب معه حركة الصحافة العربية بكتاباتهِ عن قضايا العالم العربي والإسلامي، كما جمعته علاقة مع المصلح الشيخ محمد رشيد رضا صاحب المنار، وتأثر بمنهجهِ الإصلاحِ، واستشاره في عديد القضايا التي تهم مصير المسلمين، كقضية سقوط الخلافة الإسلامية<sup>(4)</sup>.

ولقد انتقد الشيخ أطفيش الكمالين بشدة لما ألغوا الخلافة بعدما اغتر بهم في الأول شأنه شأن عديدي رجالات الحركة الإصلاحية الجزائرية، ولكن تفتُن العالم الإسلامي لألاعيب أتاتورك وجماعته، قد قلب الموازين وجعل منتقديه كثيرا من بينهم الشيخ الذي كتب يقول: "... كانت الحركة

(1) هو ابراهيم بن محمد ابراهيم بن يوسف اطفَيْش أبو اسحاق، عالم اباضي، ولد ببني يزقن بوادي ميزاب (غرداية حاليا) سنة 1886م، تتلمذ واخذ على الشيخ محمد بن يوسف اطفيش لمدة طويلة، رحل للدراسة بالزيتونة، اضوى في الحركة الوطنية التونسية مناضلا مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي، نفي إلى القاهرة سنة 1923 وهناك انشأ مجلة "المنهاج"، عمل بعدها في دار الكتب المصرية، فشارك في تحقيق بعض المخطوطات هناك، عمل أيضا كممثل إمامة سلطنة عمان في جامعة الدول العربية وترأس وفدها الرسمي في هيئة الأمم المتحدة في دورة 1960، له عدة كتابات وأعمال في السياسة والاجتماع والدين نشر كثيرا منها في الصحف المصرية، توفي بالقاهرة عام 1965. عنه أنظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المرجع السابق، ص 19.

(2) مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية، المصدر السابق، ص 136.

(3) صدر العدد الأول من مجلة المنهاج في شهر محرم 1344هـ/1925م وكانت تطبع بالمطبعة السلفية لصاحبها محي الدين الخطيب، وهي مجلّة نصف شهرية، بدأت تصدر شهريا واجهتها صعوبات مالية بالدرجة الأولى، وكان الشيخ يعتمد على التبرعات المالية التي تصل إليه من محبيه وأصدقائه في إصدار أعداد مجلته من الجزائر وبعض أقطار العالم الإسلامي، شعارها الآية القرآنية الكريمة على غلافها "لكل جعلنا منكم شريعة ومنهاجا". أنظر: معمر شعشوع، الشيخ أبو اسحاق اطفيش وقضايا المشرق العربي في مجلة المنهاج (1925-1931)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، ص 23.

(4) معمر شعشوع، نفسه، ص 20.

الكمالية في ازدياد تحوطها قلوب المسلمين من أرجاء المعمورة بالعطف والتأييد وألسنتهم بالدعاء والنصر... كنا منذ ذلك الحين نرقب الحركة التركية وانقلابها بعين الإجلال والإكبار ونقول هذه الحركة مباركة وتفاءلنا بها... ولكن لم يلبثوا أن قطعوا أثرها وطردهوا الخليفة شرّ طرد فهوى من ذلك الشاهق إلى أسفل حظيظ فاضطرب العالم الإسلامي اضطرابا شديدا<sup>(1)</sup>.

فقد اهتمّ بالخلافة أيما اهتمام ورأى ضرورة انقاذها وبعثها من جديد<sup>(2)</sup>، شريطة أن تكون تركيا هي حاملة اللواء، ومعارضاً بذلك المنادين بفكرة تولية الملك فؤاد الأول بمصر خلافة المسلمين، لأنه حسبه كانت مصر آنذاك تحت الانتداب البريطاني وتستطيع التحكم بقرارات الخليفة، وهذا ما تأكد فعلا عندما منع الشيخ الباروني من طرف القوات الأمنية المصرية والبريطانية من حضور مؤتمر الخلافة سنة بمصر 1926.

(1) إبراهيم طفيش، الانقلاب التركي الاخير، المنهاج، ج1، ع03، ربيع الأول 1344/1925، ص196. نقلا عن: شعشوع، المرجع السابق، ص ص 75-77.

(2) كتب اطفيش مقالا عن الخلافة من جملة ما جاء فيه: "... الخلافة او الإمامة هي المسألة الشاغلة اليوم لأفكار العلماء المسلمين بل هي المسألة التي اتجهت إليها الأنظار من أقطار العالم وعلى الأخص الإسلامي." انظر: ابراهيم اطفيش، الخلافة، المنهاج، ج1، شعبان 1344هـ/1925، ص420. عن: شعشوع، المرجع السابق، ص85. ولعل التامل جيدا في كتابات اطفيش يلحظ تحمسه الشديد لمسألة الخلافة والوحدة الإسلامية ونرجع في نظرنا ذلك إلى أمرين أساسيين: أولهما هو أن الشيخ كان يعيش خارج الديار الجزائرية، والنطق بمكذا أفكار في الجزائر هذه الفترة كان جد صعب والدليل على ذلك سجن عمر بن قدير ورأسه خاصة في زمن الحرب الكونية الاولى، وثاني الأمور يتعلق بتكوين الشيخ اطفيش الاباضي الميزابي الذي يحثه على ضرورة وجود القائم بالأمر بالجماعة على غرار نظام العزابة عند الإباضين، فتلاحم مجتمع في مكون واحد تحت كلمة "تاجماعت" (= كلمة أمازيغية) هو السبيل الأمثل للحفاظ على وحدتهم، ولكن هذا لا ينفى أبدا ربطه بمصير الجزائر والمغرب العربي بمصير العالم الإسلامي وضرورة اتحاد هذا الجناح مع بعضه البعض، فقد ألقى محاضرة في جمعية تعاون جاليات شمال إفريقيا وكان موضوعها الاتحاد والتعاون ومن جملة ما جاء فيها: "... إن الشعوب الإسلامية لتشعر بشدة الحاجة إلى كل ما يفيد جامعتهما، وتشعر بقر عظيم إلى جمع شتاتها وإلى قوة ترأب صدعها وتحمي بما نفسها من كل عائلة ومن كل ما يهدم الشرف التليد الذي ورثته جيلا بعد جيل... انظر: ابراهيم اطفيش، محاضرة في الاتحاد والتعاون، جريدة المنتقد(1925)، دار العلاء للنشر والترجمة والتوزيع، الجزائر، 2015، ص155.

- الشيخ ابراهيم أبو اليقظان (1):

من الشخصيات ذات التوجه الوحدوي الإسلامي في إطار الخلافة، له مواقف عديدة في مختلف القضايا التي تهم البلاد الإسلامية، كان يتألم جدا لما يسمعه عن أخبار لوحشية الغزاة الإيطاليين في طرابلس، والحروب الدامية التي تقع في بلاد البلقان التي أهلكتها المسيحيون من جرّاء دولة إصابة الخلافة بالوهن والشيخوخة، وذلك حسب صهره الدكتور محمد ناصر الذي أعد حوله دراسة قيمة (2)، فأبو اليقظان كان قد انضم إلى الجمعية التي يرأسها عبد العزيز الثعالبي في تونس بدعوى من الجامعة الإسلامية، والتي أنشأ فرعها السري بالقرارة ووادي ميزاب الشيخ صالح بن يحيى في عام 1915، وترأسها الحاج بكير العنق، ويروي أبو اليقظان أحد المقربين من الثعالبي في هذه الفترة أن للشيخ صالح بن يحيى فرع من الميزابيين في تونس يتركب من ستة أعضاء هم: أبو اليقظان، يوسف بن بكير، عبد الله بن ابراهيم أبو العلا، الناصر بن صالح ملالي، أحمد بن الحاج إبراهيم بن كاسي، عمر

(1) هو ابراهيم بن عيسى بن يحيى بن داود (1888-1973) من عائلة ميزابية، ولد بالقرارة بغرداية، لقب نفسه بأبي اليقظان متأثرا بأبي اليقظان محمد بن أفلح بن عبد الرحمن بن رستم، دخل إلى الكتاب لحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ اللغة العربية، بدأ يظطلع على الصحف والمجلات العربية العربية مبكرا بالرغم من اعتبار مكان نشأته منطقة معزولة، سافر إلى تونس سنة 1912 للدراسة في الزيتونة، وبعدها عين كمشرف على الطلبة الميزابيين الذين يدرسون هناك، تأثر هناك بالحراك الوطني الجاري بتونس على يد عديد القيادات على غرار الثعالبي وعلي باش حانبة، انضم على إثرها ابو اليقظان إلى الحزب الدستوري الحر ليتعلم النشاط السياسي والصحفي. عاد إلى الجزائر سنة 1925، من صحفه: وادي ميزاب 1926، ميزاب 1930، المغرب 1930، النور 1931، البستان 1933، النبراس 1933، الأمة 1933، الفرقان 1938، وهي الصحف التي كانت تلقى مضايقات عدة وتغلق بعدها، كان كاتبها صحفيا وشاعرا ومصالحا بامتياز عرف بميوله الكبيرة للوحدة الإسلامية ودولة الخلافة، أصيب بالشلل في أواخر عمره فاعتكف في بيته إلى ان توفي مخلفا تراثا لا بأس به من الكتب والدراسات والمقالات. أنظر ترجمته وملخص انتاجه في: محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، 26-27، عادل نويهض، المرجع السابق، ص 356. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مصدر سابق، ص 290-299. أحمد محمد فرصوص، أبو اليقظان كما عرفته، دار البعث، قسنطينة، 1991، ص 15.

(2) محمد ناصر، أبو اليقظان، المرجع السابق، ص 13.

بن محمد بن حجام، كما يروي بأنه كانت لهم جلسات أسبوعية<sup>(1)</sup>، وهي الجلسات الإسلامية الرائعة على حد تعبير أحمد توفيق المدني، التي كانت تناقش أوضاع الشمال الإفريقي والاستعمار وأخبار الجامعة الإسلامية والأمة التركية وتتبع آخر الأحداث الحاصلة في العالم الإسلامي<sup>(2)</sup>، فمن كتاباته الصحفية والتي ألحّ فيها على ضرورة اتحاد المسلمين نجد مقالات مثل: "الإسلام يحتضر"، و "المسلمون يهزلون"<sup>(3)</sup> و "الإسلام بين شقي المقرض" والتي يستنكر خروج المسلمين عن الخلافة واستحداثهم أمورا في الإسلام وحياة المسلمين ما أنزل الله بها من سلطان مثل قضايا الطلاق، وتعدد الزوجات، والحجاب، والتجنيس وصولا إلى الطعن في اللغة العربية ويقول فيها: "وقد تولّى قيادة الكتائب مصطفى كمال وأشياعه في الأناضول، فبدأ أولا بإلغاء الخلافة الإسلامية من أصلها، ثم ثنى بإعلان اللاتينية وتبديل أحكام الإسلام بأحكام سويسرية، ثم هبت هذه الزوبعة في مصر يثيرها علي عبد الرزاق، وطه حسين، وسلامة موسى وغيرهم.. وأصبح دعاة التجديد يحدثون كل يوم حدثا في الإسلام"<sup>(4)</sup>.

ومقاله "أم مات الرجال أم رفع القرآن؟"<sup>(5)</sup> ومن أبرز المقالات التي كتبها في هذا المجال نجد أيضا مقال بعنوان: "إنما المؤمنون إخوة" والذي يقول فيه: "... يا لله العجب أيتألب أعداء الإسلام ويتحدون على تقويض معاملة وبينهم فراسخ من اختلاف اللغات والاديان والمذاهب، والمنازع والمشارب وتختلف نحن على صيانتة وحمايته والذود عن بيضته ودفع الكيد والأذى عنه وقد جمعت بيننا روابط الوطن، واللغة والدين ووحدت بين أهوائنا علائق المصالح والآلام؟ وحدوا صفوفكم رعاكم الله، وأجمعوا جهودكم وضموا

(1) خير الدين شترة، اسهامات النخبة الجزائرية، المرجع السابق، ص 101.

(2) أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ج 1، ص 158.

(3) وادي ميزاب، ع 17، بتاريخ: 21-01-1927.

(4) وادي ميزاب، ع 88، بتاريخ: 22-06-1926.

(5) وادي ميزاب، ع 119، بتاريخ: 01-02-1929.

قواكم، وسيروا إلى الأمام بقلوب مفعمة إيمانا ونفوسا طافحة صدقا واخلاصا، فإن الحالة للغاية والأمر في شدة الخطر"<sup>(1)</sup>.

وكان قد لقيَّ استحسانه مشروع سكة الحجاز الذي أعلنه السلطان عبد الحميد الثاني، كترجمة لتطبيق مشروع الجامعة الإسلامية على أرض الواقع، فقد اعتبره بمثابة الصرح الإسلامي العظيم وحبسا من أحباس المسلمين، والذي كانت له مهمة دينية حسب أبي اليقظان متمثلة في تيسير الأمور وتسهيل الطريق للحجاج الميامين لأداء فريضة الحج في أمن ويسر وراحة<sup>(2)</sup>.

فالتضامن الإسلامي يبرز عند أبي اليقظان أكثر من غيره من الكتاب من معاصريه، فمحمد ناصر يصنف عمر بن قنبر رائد هذا المجال قبل الحرب العالمية الأولى وأبي اليقظان بعدها، وهو الذي وضع مقارنة بينهما، فيرى أن عمر بن قنبر يريد القومية الإسلامية كغاية تجمع المسلمين حول قاعدة الخلافة، أما أبو اليقظان فهو يريد تضامنا إسلاميا بين كافة المسلمين شرقا وغربا، لمقاومة الغزو الفكري الغربي أمام جيوشه المتعددة المكونة من المنصرين والملحدن، فبعد الحرب حدث أن تم تراجع في المفهوم، فبدل التحدث عن القومية الإسلامية، أصبح الحديث عن الجامعة الإسلامية وقد تبع التطور في الاسم تطوّر في المفهوم<sup>(3)</sup>.

ونشير إلى أن كثيرا من رجال الإصلاح ودعاة الوحدة الإسلامية، راودتهم الفكرة مبكرا وتناغموا مع أحداثها، لكن لم يجدوا صحفا جزائرية تنشر لهم كتاباتهم وآرائهم، ثم أن الفرنسيين اضطهدوا عواطف الجامعة الإسلامية<sup>(4)</sup>، ونذكر من أبرزهم أبو يعلى الزواوي<sup>(1)</sup> و مبارك الميلبي الذي علق آمالا كبيرة على

(1) وادي ميزاب، ع116، بتاريخ: 11-01-1929. أنظر: محمد ناصر، أبو اليقظان، المرجع السابق، ص121.

(2) مقاله بعنوان: "ماذا يراد بسكة حديد الحجاز"، وادي ميزاب، ع70، بتاريخ: 17-02-1928. أنظر: الصادق دهاش، المرجع السابق، ص122.

(3) محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، مرجع سابق، ص174.

(4) أرغم الجزائريون على الاستعمال المباشر لأشكال التعبير وبالخصوص الشعر الشعبي. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مصدر سابق، ص111.

مؤتمر الخلافة الإسلامية بالقاهرة عام 1926 للفصل في القضية وإيجاد حل للأمة الإسلامية داعيا المسلمين للمشاركة فيه بقوة<sup>(2)</sup>، وقد كتب مقالا في الشهاب<sup>(3)</sup> دعا فيه لتشكيل وفد جزائري للمشاركة في المؤتمر، معبرا عن تخوفه من أن عدم الحضور قد يكون فرصة لدعاة الاندماج الداعين إلى الابتعاد عن العروبة والإسلام لفرض أفكارهم، وكذلك لتحسيس فرنسا بضرورة تكلم وتعبير الجزائريين المسلمين لمصلحتها<sup>(4)</sup>.

هذا وعبر الشيخ أحمد بلعابد الجليلي عن رأيه أيضا في القضية، ولو أنه كان أقل هجوما على كمال أتاتورك وحاشيته، داعيا إلى التثبث بالوحدة في إحدى مقالاته فقال: "...فليحذر المسلمون من مكائد أعدائهم، وليحافظوا على وحدتهم، وليحسنوا معاملة إخوانهم الأتراك، فإنهم لم يرفضوا عقيدة دينية ولا عقيدة إسلامية..."<sup>(5)</sup>.

فقد بقيت الفكرة راسخة في أذهان الكثير من الجزائريين رغم إلغاء الخلافة، لأن الوحدة الإسلامية في نظرهم تتعدى الخلافة كمشروع سياسي فقط، فلطالما كانت قضية شعور وجداني جماعي يقتسمه الكل منذ دخول الإسلام بلاد المغرب، بغض النظر عن الانتماءات السياسية أو العرقية، وهو ما كان يريده جمال الدين الأفغاني في دعوته لمشروع الجامعة<sup>(6)</sup>.

(1) أبو يعلى الزواوي، الخلافة أو الإمامة العظمى، الشهاب، ج1، 28 ماي 1926.

(2) معمر شعشوع، المرجع السابق، ص 86.

(3) مبارك الميلي، المؤتمر الإسلامي للخلافة، الشهاب، ج1، 22 أبريل 1926.

(4) سليم مزهود، الخطاب الإصلاحى عند مبارك الميلي، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2013، ص 401.

(5) أحمد بلعابد الجليلي، مجلس تركيا وأعداء الإسلام، جريدة النجاح، ع155، بتاريخ: 18 أبريل 1924، ص 2. نقلا عن:

عمار بوطبة، المرجع السابق، ص 56.

(6) عاجل جمال الدين الأفغاني في العروة الوثقى موضوع الجنسية والديانة الإسلامية، مؤكدا على أن الانتماء القومي مكتسب غير فطري، وتوصل إلى نتيجة مفادها أن المسلمين على اختلاف أقطارهم يعرضون عن التعصب العرقي، أو أية عصبية أخرى ويترفعون عن الروابط الخاصة ليتعلقوا بالرابطة العامة وهي رابطة المعتقد. ونرى نحن أن الجزائريين قد التزموا بهذا المبدأ منذ القدم حتى لما كان ولاه الأمويين يقسون على المغاربة في الحكم، وكذلك العثمانيين والمسلمين عامة الذين وبالرغم من محاسنهم الكثيرة لم يقفوا وقفا

## 1-1- جماعة المسلمين بديل الخلافة:

اقترح رجال الإصلاح في الجزائر نظاما جديدا لتعويض مؤسسة الخلافة، ولعل زعيم هذا التيار في الجزائر هو العلامة ابن باديس، الذي رأى في جماعة المسلمين بديلا للخلافة الإسلامية في ظل الضعف الذي دبّ في أوسارها، وخلصتها هو أن يقوم كل شعب مستقل<sup>(1)</sup> باختيار نظام حكم اسلامي بدل الخلافة الاسلامية الشاملة الغير مجدية حسب تعبيره في الوقت الراهن، فجماعة المسلمين كما يبينها ابن باديس: "...هم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون في مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية، ويصدرون عن تشاور ما فيه خير وصالح... فعلى كل الأمم الإسلامية جمعاء أن تسعى لتكوين هذه الجماعة من أنفسها، بعيدة البعد عن السياسة وتدخل الحكومات، لا الحكومات الإسلامية ولا غيرها، لقد كنت كاتب صااحب الفضيلة شيخ الأزهر الشريف بهذا المعنى، ولكنني لم أتلق منه جوابا، وعرفت السبب يوم بلغنا أن اخواننا الأزهرين هتفوا -يوما- بالخلافة لملك مصر فاروق الأول، وسيرى الفضيلة الأكبر أن خيال الخلافة لن يتحقق، وأن المسلمين سينتهون يوما ما إن شاء الله إلى هذا الرأي"<sup>(2)</sup>.

ولعل هذا الطرح يتوافق وآراء كل من رشيد رضا(1865-1935)، الذي رأى إيجاد نموذج جديد، وهو انتخاب إمام من طرف أهل الحل والعقد (=جماعة المسلمين)، وكذلك رأي محمد

---

حقيقيا مع الجزائر لما احتلت من طرف فرنسا، ومع ذلك لم يخرجوا عن الرابطة الاسلامية بل بالعكس زادهم ذلك تمسكا وإيمانا وهو ما سنراه في الفصول الآتية من الدراسة، وبدون مزایدات الجزائري معروف بإخلاصه لدينه وأمتة مهما كان الأمر، فقد ظل الاحساس وحدويا إلى آخر لحظة. انظر عن جمال الدين الافغاني وموقفه من القومية: جمال قنان، نظرة حول حركة الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر، مجلة المصادر، ع11، مرجع سابق، ص45.

(1) يؤكد ابن باديس على ضرورة تطبيق هذا النظام عند الشعوب المستقلة، يعني يستثني الجزائر من ذلك في تلك الفترة ويشترط استقلالها وكامل الأقطار المغاربية والعربية والإسلامية حتى تستطيع ان تسوس نفسها بنفسها. لكن يحرص على ذكر الأمم الإسلامية وليس الأمة الإسلامية، ويرى الدكتور رابح لونيبي أنه يكون قد تأثر بالمفهوم الفرنسي للأمة، مما جعله يناقض المفهوم القرآني، فهو يرى ضرورة إيجاد أمة جزائرية، ويخشى أن تضع هذه الأمة ضمن أمة اسلامية كبيرة بعض أقطارها مستقلة والأخرى مستعمرة. أنظر: رابح لونيبي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص259.

(2) ابن باديس، الخلافة أم جماعة المسلمين، الشهاب، ج2، م14، ماي1938، ص ص 71-73.

إقبال(1875-1938) الذي اقترح إرجاع الخلافة إلى جماعة من الناس العارفين أو مجلس منتخب<sup>(1)</sup> ، ومن بين المساندين لهذا الطرح نجد أبو يعلى الزواوي<sup>(2)</sup> الذي يرى أن اختيار كل جماعة إسلامية في كلّ حي أو قرية إماما تتوفر فيه شروط الإمامة هو الأنسب، شريطة توفر شروط الإسلام والعقل والبلوغ والحكمة فيه، فتتشكل بذلك وحدات قيادية في ظل غياب الإمام العام أو الخليفة، ففي كتابه "جماعة المسلمين" يرى ضرورة توسيع فكرة الجماعة (=تجماعت) في التقاليد الأمازيغية في كل المدن والقرى في العالم الإسلامي، ورغبته في التوفيق بين الخلافة التي تجمع المسلمين، ووفائه لفكرة الجماعة في التقاليد البربرية التي رغب أن تحتفظ بالأمركزية في إدارة شؤونها المحلية<sup>(3)</sup>.

كما يرى الشيخ البشير الإبراهيمي أن ضرورة وجود جماعة المسلمين، هو ضرورة خاصة في عدم وجود الخلافة التي كانت تقوم بمصالح المسلمين المادية، رافضا التعيينات التي تقوم بها الإدارة الفرنسية للأئمة الرسميين ويقول في هذا الصدد: "جمعية المسلمين الجزائريين بحكم أمانة الدين وعهد الله وشهادة الواقع، تعتبر نفسها مسؤولة أمام الله وأمام الأمة الجزائرية عن الإسلام ومعباده وتعليمه ولغته وجميع شعائره الحقيقية وأحكامه القضائية، وتعلم أن الحكم القاطع في الإسلام في مسألة المساجد هو أن التصرف فيها لجماعة المسلمين دون سواهم... في الاختيار والتولية والعزل والمراقبة..."<sup>(4)</sup>.

(1) محمد قن، المرجع السابق، ص 04.

(2) محمد السعيد، أبو يعلى الزواوي: يقول عنه عادل نويهض: كاتب صحفي إسلامي، خطيب، له اشتغال بالفقه والتاريخ، من أبرز أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائرية، ولد ببلدة عزازقة بالقبائل الكبرى، نزحت عائلته إلى الشام فنشأ وتعلم بدمشق، لجأ إلى مصر في مطلع الحرب العالمية الأولى، وكتب في جريدة المؤيد القاهرية، وثمرات الفنون البيروتية، والمعلومات الصادرة في الآستانة، والحاضرة التونسية، وعاد إلى الجزائر بعد الحرب فاشتغل بالتعليم والوعظ، وولي الغمامة في جامع سيدي رمضان، وهو من حارب الخرافات والبدع في كتاباته، توفي بالجزائر العاصمة، من آثاره المطبوعة "الإسلام الصحيح"، و"جماعة المسلمين"، و"ديوان خطب"، وله تاريخ زاوية لا يزال مخطوطا (آنذاك). انظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر (المصدر السابق)، ص 163.

(3) رابح لونيبي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 259، 260.

(4) التقرير الذي قدمه مجلس إدارة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الحكومة الجزائرية-الولاية العامة الفرنسية في الجزائر- (بعد اجتماعه المنعقد في أوت سنة 1944 في المسائل الدينية الثلاث: المساجد - التعليم - القضاء)، راجع النص كاملا في: الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص 138 - 146. يلاحظ القارئ أن الجمعية وعلى رأسها البشير الإبراهيمي قد اقتصررت في

## 2 - الوحدة العربية - الإسلامية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية:

### 2-1- نمو وتطور التيار الوحدوي العربي - الإسلامي في الجزائر:

لم تعرف بلاد العرب مفهوم القومية المتعارف عليها في العصر الحديث إلا مع نهاية القرن 19م، بحيث كانت الرابطة الإسلامية ولفترة جد متأخرة هي العامل الرئيسي المتحكم في العلاقات بين المسلمين في شتى الأقطار، منذ الخلفاء الراشدين ووصولاً إلى نهاية العثمانيين<sup>(1)</sup>. ومن الصعوبة بما كان الإمام بكل تلك الظواهر والأسباب التي سمحت ببروز ونشأة النزعة العاطفية العروبية القومية المصطبغة بالدين الإسلامي (= أو تعبر عن دين الإسلام في ظل عدم التفريق بين العروبة والإسلام عند المغاربة) في الجزائر وسائر بلاد المغرب العربي، ولكن الشيء المتفق عليه هو أن هذه النزعة قد تغلغلت في أوساط الجزائريين منذ مجيء الإسلام في أوساط العامة، فلا يمكننا أن نأتي اليوم ونقول أن حنين الجزائريين للشرق وبلاد العرب ودين الإسلام، وبالتالي الطموح لوحدة شاملة بين بني الملة الواحدة هو وليد الأمس، أو صنيعاً من صنيع الاستعمار، أو بالأحرى هو رد فعل و فقط جراء اضطهاد فرنسا للجزائريين في أموالهم وأرزاقهم ودينهم ولغتهم.

ولكن ما يجدر بنا الإشارة إليه هو أن أسباب وظروف عدة تهيأت وهيأت لتبني هذا الطرح خاصة منذ العشرية الأولى للقرن العشرين، وكنا تحدثنا عن ذلك في الفصل المتعلق بالجامعة الإسلامية، ولكننا

---

التقرير على ثلاث محاور فقط من الاجدر تحكّم جماعة المسلمين بها، ولم تتطرق لمسألة الحكم السياسي وضرورة قيام جماعة المسلمين بها، ولعلنا نقدر الظروف التي كانت تمر بها الجمعية في هذه الفترة بحيث الحرب العالمية تدور رحاها الطاحنة، وكان من الصعب النطق بمكثدا أفكار فرما التصريح بهذا كان سيشكل خطراً على الجمعية ويفهم أنها دعوة للانفصال أو الاستقلال، ثم أن الشيخ البشير الإبراهيمي لم يكن ليجازف مباشرة بنفسه في تقرير مقدم إلى الحكومة وهو الذي خرج من منفاه سنة 1943 أي بسنة واحدة فقط، ولكن المتمعن الجيد للتقرير يستكشف الرسائل القوية والواضحة بضرورة قيام جماعة جزائرية مسلمة (=غير معينة) بشؤونها في جميع المجالات حتى ولو كانت تزرع تحت الاستعمار.

(1) ناصر حيدر، العالم العربي بين القومية العربية والجامعة الإسلامية (دراسة تاريخية تحليلية حول تطور العلاقة بين التيار القومي العروبي والتيار الأممي الإسلامي في القرن العشرين)، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 15.

نشير إلى أنه ومع نهاية الحرب العالمية الأولى، وقعت تغيرات جذرية عظمى في موازين القوى العالمية، وبرز نور الأمل بالنسبة لعديد الأقطار والمستعمرات هذا من جهة، من جهة أخرى رسمت معالم جديدة للخارطة السياسية، وكيفيات ووسائل اقتسام ممالك النفوذ، والسيطرة على الثروات والخيرات وهو ما جرّ العالم إلى اندلاع الحرب الكونية الثانية.

### ● الثورة العربية الكبرى:

لم يكن العالم العربي-الإسلامي في منأى عن الصراع العالم الحاصل، و ربما كان المعني الأول في ذلك، فقد اصطدم المشروع العربي في إقامة امبراطورية عربية تحت قيادة الشريف حسين بن علي منذ مطلع القرن العشرين، بأطماع دول الغرب (روسيا وفرنسا وبريطانيا) طمعا في اقتسام تركة الرجل المريض، خاصة وأن بريطانيا اتفقت على مساعدة الحسين بن علي، في حال ساعدتهم على الثورة ضد الأتراك في شبه الجزيرة لتشتيت قواهم في الضفة الأخرى، ولقد انتهزت بريطانيا تلك الفرصة لتستفرد بتقسيم المشرق، وأصبح ميثاق دمشق بعد ذلك القاعدة التي سار عليها البريطانيون في العلاقات العربية، بأن ألغوا كل الامتيازات الأجنبية الأخرى واعترفوا باستقلال تلك الدولة<sup>(1)</sup>.

توالت بعد ذلك الانتكاسات وظهرت الخديعة التي وقع فيها عرب المشرق، خاصة بعد اتفاقية سايس بيكو 16ماي 1916، ووعد بلفور المشؤوم 1917، واضطرت أن تنظر لما سيسفر عنه مؤتمر الصلح يناير 1919، لينكر بعد ذلك مؤتمر سان ريمو 16-20أفريل 1920 وجود دولة عربية أو اتحاد عربي من الأساس<sup>(2)</sup>.

(1) علي محافظة، المرجع السابق، ص ص 39-42.

(2) نفسه، ص 88.

وتتعدد الكتابات في هذا الموضوع، والكثير منها يقول بأن العرب كانوا الخاسر الأكبر في ذلك المخاض بأن طردوا الأتراك من البلاد العربية وبالتالي الخلافة الإسلامية<sup>(1)</sup>، خاصة وأن الكثير ممن رأى ضرورة إقامة الخلافة القرشية، وربما الخسارة الكبرى أيضا هو فقدان العرب لفلسطين عندما أعطي الحق لليهود بإنشاء دولة قومية لهم هناك، كل هذا وذاك في ظل عدم قدرة العرب لا على الوحدة ولا على المقاومة، لذلك لم تكن بلاد المغرب العربي عامة والجزائر خاصة بمنأى عما يحصل من حراك سياسي وديني وقومي هناك، بصفتها دولة مسلمة مرتبطة روحيا بالخلافة التي انهارت هذا أولا، و من حيث أنها مستعمرة فرنسية هذا ثانيا، ففرنسا لعبت دورا كبيرا في ذلك المخاض والصراع بأن استغلت الصراع الهاشمي - السعودي فكانت أول من اعترفت بالملك عبد العزيز بن سعود حينما نودي به ملكا على الحجاز في يناير 1926، واعترفت السعودية مقابل ذلك بالانتداب الفرنسي على سورية ولبنان، وحصلت مقابل ذلك على إيرادات أوقاف الحرمين في تونس (150000 فرنك فرنسي)<sup>(2)</sup>.

لذلك وفي رأينا أن قليلا هم الجزائريون الذين تتبعوا ذلك المخاض، ليس من أجل التجاهل، ولكن لأن الطبقة المثقفة كانت جد قليلة في الجزائر، في ظل قلة الصحف والمعلومات في المجتمع القبلي الريفي الذي كان متخلفا عن الركب، ثم أن فرنسا كانت تمنع الحج لعدة سنوات، أو تختار الحجيج بعناية، والحقيقة أن المشاركة في ساحات ومعارك الحرب العالمية الأولى، قد اضطر الجزائريين لخوض

---

(1) يرى الدكتور عزمي بشارة أن العرب لا يتحملون كل المسؤولية مستشهدا برأي السلطان عبد الحميد الثاني فيقول: "... لم تتحمل العروبة المسؤولية عن انهيار الإمبراطورية العثمانية التي باتت هي ذاتها محل تأثير الاستعمار الغربي، وإملاء شروطه عليها بسبب ضعفها قبل تحالف حركة عربية تقليدية مع الإنكليز، بل أصبحت القومية العربية بعد انحلال عقد التحالف في القيادة العربية من الجزيرة والإنكليز قناة الصراع الرئيسي مع الاستعمار عموما في العقود التي تلت، أما الإمبراطورية العثمانية فقد تحولت إلى حكم تركي قبل اتانورك، ولم تختلق جمعية الاتحاد والترقي التتريك بفعل تأثير أقلياني يهودي هذه المرة كما يدعى، بل برزت أهم معالم التتريك في بنية السلطة والهيمنة عند السلاطين أنفسهم، ويؤكد عبد الحميد في يومياته كموقف: لقد كانت العروبة آخر من تمرد على الإمبراطورية، وخلافا للقومية التركية وقبلها الفارسية لم تنجح القومية العربية في إقامة دولتها"، عزمي بشارة، في مفاهيم الهوية والديموقراطية والمواطنة، ندوة الحوار القومي الإسلامي، المرجع السابق، ص 52.

(2) علي محافظة، المرجع السابق، ص 118.

غمار الصراع الداخلي أكثر فأكثر وضرورة الاستفاقة من السبات الذين كانوا يعيشونه منذ قرون، وحثمية الأخذ بالأسباب للتكيف مع الحراك العالمي الحاصل.

### • التيار القومي العربي بعد الحرب العالمية الأولى:

إن هذا المذهب تطور كثيرا بعد الحرب، وشاع أكثر بفضل العديد من المنشورات الشرقية المعربة وبفضل مجلة "الأمة العربية" لصاحبها شكيب أرسلان<sup>(1)</sup>، كما تعد الكتابات الصحفية المصرية والسورية ابتداء من 1936 حول المغرب العربي، رابطة وصل بين المشرق والمغرب، فكتابات محمد رشيد رضا في المنار مثلا، كانت محاولات جادة في الربط بين الإسلام والعروبة، فنجده يقول في إحدى كتاباته: "إن قلت إنني عربي مسلم، فأنا الأخ في الدين لألوف الألوف من المسلمين العرب وغير العرب، وأخ في الجنس لألوف الألوف من العرب المسلمين وغير المسلمين."<sup>(2)</sup>، ولعلنا كما أسلفنا سابقا نعلم حجم التأثير الذي تركه رشيد رضا والمنار في الجزائريين وخاصة الحركة الإصلاحية .

هذا ونشير إلى أن حراكا عربيا كان حاصلا قبل هذا التاريخ، فقد تشجع عدة مثقفين وناشطين عرب وقاموا بتشكيل لجان، ونوادي، وجمعيات في سبيل النهضة العربية والاستقلال عن الغطرسة العثمانية التي همشت العرب وحقوقهم (=حسب عديد كتابات القوميين العرب) ، كجمعية الإخاء العربي، والجمعية القحطانية، والمنتدى الأدبي، والعربية الفتاة، وحزب العهد، وحزب اللامركزية العثماني، كما انعقد سنة 1913 المؤتمر العربي الأول في باريس والذي طالب بمبدأ اللامركزية داخل إطار الدولة العثمانية، هذا ولعبت الأقليات الدينية خصوصا المسيحية منها، دورا كبيرا في بلورة هذا الاتجاه

(1) علي مزّاد، المرجع السابق، ص 443.

(2) علي محافظة، المرجع السابق، ص 142.

وتطويره<sup>(1)</sup>، والذي كان في الحقيقة مجموعة من الاتجاهات (= ليس فقط اتجاه) اختلفت وتعارضت فيما بينها فيما يخص نظرتها للتصوّر التحرّري الجديد<sup>(2)</sup>.

بعدما فُكّكت أملاك الرجل المريض، شقت القومية العربية شقا آخر عرف بعداء الغرب (= الاستعمار)<sup>(3)</sup>، كما قامت ثورات عدة كالثورة العراقية (1919-1920)، والثورة السورية (1925-1927)، والثورة المصرية (1919)، وطغى على المشهد السياسي العربي ثلاثة اتجاهات سياسية كبرى تقاسمت الساحة العربية: وهي الاتجاه القومي العربي الإسلامي وهو ما نستهدفه في هذا الفصل باعتباره الأكثر انتشارا في الجزائر وبلاد المغرب، والاتجاه القومي العربي العلماني، والاتجاه القومي الإقليمي أو الوطني<sup>(4)</sup>.

وقد ظلت هذه التيارات متصارعة فيما بينها تحاول اثبات الوجود، وتوسيع دوائر نشاطها في الأقطار العربية حسب الإمكانيات، وكثيرا ما كانت تحدث فيما بينها اصطدامات أثرت كثيرا على الساحة السياسية العربية (= والجزائرية-إطار البحث) لعقود<sup>(5)</sup>، كما أثرت في ذهنية الإنسان العربي، وبما أن الإنسان المغربي عموما والجزائري خصوصا كان مرتبطا روحيا وعرقيا بالعالم العربي والإسلامي يحاول

(1) ناصر حيدر، المرجع السابق، ص 44.

(2) كان هناك اتجاه يطالب بالاستقلال في نطاق الدولة العثمانية، واتجاه لامركزي في إدارة الدولة العثمانية، واتجاه ينادي بإنشاء مملكة عربية تتمتع بالاستقلال الذاتي وترتبط بالمملكة العثمانية، واتجاه آخر يعتبر الدولة العثمانية استمرار دولة الخلافة داعيا إلى التمسك بها، واتجاه يرفض الخلافة العثمانية معتبرا إياها غير شرعية، واتجاه آخر قطري انفصالي. للاستزادة أنظر: علي محافظة، المرجع السابق، ص ص 31-35.

(3) يقول الدكتور الهادي التيمومي: "يجب تأكيد الأصل الأوروبي لفكرة القومية كما اعتنقها العرب في النصف الثاني من القرن 19م وبداية القرن 20م. وقد كان الفكر الأوروبي هو المرجعية التي اعتمدها المثقفون العرب لصياغة رؤاهم القومية..." أنظر: الهادي التيمومي، في أصول الحركة القومية العربية (1839-1920): نحو إعادة التأصيل، ط2، دار محمد علي، تونس، 2006، ص 52.

(4) ناصر حيدر، المرجع السابق، ص 54.

(5) حوار مع الشيخ بن يونس آيت سالم (نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، دار الحديث تلمسان، 24 أبريل 2016.

اثبات انتمائه لذلك الجسد<sup>(1)</sup>، فقد تأثر بتلك التيارات ونهل منها، واستقى من تجاربها، واستثمر فيها أثناء خوضه الكفاح ضد للاستعمار، وإضافة إلى الأحداث المذكورة سابقا، نشير إلى أنه قد وقف وراء تنامي التيار الوحدوي العربي الإسلامي في الجزائر عدة أسباب أخرى نوجزها فيما يلي:

- الاستعمار الذي اضطهد الجزائريين في أملاكهم وأرزاقهم، وضرب بهويتهم عرض الحائط وحاول أن طمس كل ما له علاقة بالتاريخ الجزائري بجميع مكوناته ومنها العروبة والإسلام<sup>(2)</sup>.
- سقوط الخلافة الإسلامية التي كانت حمى قلاع الإسلام ولو بشكل صوري، ووقوع العالم الإسلامي بما فيه الجزائر في إشكالية شغور منصب الخليفة ومركز القيادة، فتجربة الخلافة ربما وبالرغم من فشلها، إلا أنها غرست روح الجماعة والتعاون في بني العرب عموما والجزائريين خصوصا، بحكم ولائهم الذي كان لا زال يحن للعثمانيين<sup>(3)</sup>.
- رجوع المهاجرين والمسافرين، والطلبة والعلماء من ديار المهجر (=المشرقية خاصة) بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، محملين بأفكار الإصلاح والدعوة، ومتأثرين بأفكار القومية العربية الإسلامية بعد سفريات العلم والتجارة والتبحر في الدين والدنيا<sup>(4)</sup>.
- التأثير بنشوء الأحزاب العربية القومية، والبعثية، والإسلامية في المشرق، والحاملة لفكرة الوحدة من المحيط إلى الخليج، ودخول الصحف المشرقية والعربية إلى الجزائر والمحملة بأفكار القومية العربية كجريدة "المنار" لمحمد رشيد رضا، و"الأمة العربية" لشكيب أرسلان، و"مجلة الرابطة العربية"<sup>(5)</sup>

---

(1) يرى المفكر محمد أركون أن مقاومة النفوذ الأجنبي في المدن الجزائرية على غرار (تلمسان، قسنطينة) باسم القيم العربية الإسلامية تحوّل إلى مطالبة قومية. أنظر: محمد أركون، الفكر العربي، ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، ط3، بيروت-باريس 1985، ص 161.

(2) أنظر الفصل التمهيدي من هذه الدراسة.

(3) الصادق دهاش، المرجع السابق، ص 316.

(4) أنظر للاستزادة الفصل التمهيدي من هذه الدراسة.

(5) يقول الدكتور صاح خرفي عنها: "كانت مجلة الرابطة العربية تنوي الدعوة إلى عقد مؤتمر عربي عامّ لمناقشة قضايا الوطن العربي ترويا وثقافيا واجتماعيا وسياسيا، يُعدّ له ويشارك فيه بصفة خاصة رجال العروبة والإسلام من أبناء مصر، وأبناء وأحرار الأقطار

ومطبوعات جماعة الإخوان المسلمين المصرية التي كانت الحركة الأم التي أسست آنذاك للخطاب الإسلامي المعاصر (1).

● توالي المؤتمرات الإسلامية الذي عزز روح الشعور والانتماء للقومية العربية الإسلامية في الجزائر خاصة منذ انعقاد مؤتمر القدس 1931، الذي انقاد لتوجيهاته غالبية الوطنيين الجزائريين لاسيما رجال الإصلاح (2).

● تطور أحداث القضية الفلسطينية، وتغلغل اليهود وتحركم لقيام دولة إسرائيل في قلب الوطن العربي في ظل الصمت العربي والإسلامي المطبق، أمام تعالي الأصوات الوطنية المطالبة بالوحدة لتحرير فلسطين وبقية الأقطار العربية من الاستعمار (3).

● إنشاء جامعة الدول العربية 1945، والتي حملت لواء الدفاع عن قضايا الأقطار العربية المستعمرة، بحيث أدرجت قضاياها في جلساتها ومؤتمراتها السنوية وكانت الجزائر من تلك الأقطار.

● تأثر الجزائريين ولا سيما الطلبة منهم بدروس جامع الزيتونة الكبير التي وجهت التعليم توجيهها أصيلا نحو العروبة والإسلام، بالرغم من أن الزيتونيين لم ينضموا سياسيا لحركة إسلامية معينة كحركة الإخوان في مصر، أو لحزب سياسي قومي عربي (1).

العربية الأخرى الذين اضطرتهم الظروف السياسية الاستعمارية إلى مغادرة أوطانهم، واللجوء إلى مصر ومواصلة نضالهم الوطني في القاهرة التي فتحت ذراعيها في الثلاثينات لهؤلاء الأحرار، وأتاحت لهم فرصة حرية التعبير و الإصداع في صحافتها الزاهرة في تلك الفترة وعلى منابر أنديةها ومحافلها وجمعياتها الفكرية والثقافية". أنظر: صالح خرفي، عبد العزيز الثعالبي (من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب)، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1995، الهامش 1، ص 130.

(1) أحمد الموصلي، جدليات الشورى والديموقراطية، ندوة الحوار القومي - الإسلامي، المرجع السابق، ص 335. كانت لرجال الجمعية عدة علاقات مع جماعة الإخوان المسلمين بمصر، وهي التي كانت ترى ضرورة المزج بين العروبة والإسلام لتحقيق الهدف، فنهلوا خاصة من أفكارها واستقوا من منابعها وحاضروا في ندواتها ونشاطاتها على غرار الشيخ البشير الإبراهيمي الذي حاول سد الثغرة التي حصلت بين جماعة الإخوان ورجال الثورة المصرية ذوو النزعة القومية أكثر من الإسلامية، ولما لم يستطع أصابه حزن كبير. انظر: آثار الإبراهيمي، ج4، مقدمة الشيخ محمد الغزالي، ص8.

(2) شارل روبري أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، منشورات عويدات، ط1، بيروت-باريس، 1982، ص 141.

(3) أحمد محمد كنعان، الإسلاميون والقوميون (جسور التلاقي والاختلاف)، ص1، بتاريخ: 10-08-2010: عن موقع:

- زيارة الشخصيات العربية والإسلامية للجزائر من شخصيات سياسية وأدبية وفنية في الثلاثينات والأربعينات والخمسينات، وبث روح الوحدة والتعاون وأفكار القومية في النوادي والجمعيات وفي الأوساط الطلابية والسياسية الجزائرية.
- ظهور النوادي الثقافية والجمعيات التي بدأت تهتم بالثقافة العربية والإسلامية وتنشط الحياة الفكرية في الجزائر<sup>(2)</sup>، خاصة وأنها كانت قد استفادت من قانون 1901 الذي صدر بالجريدة الرسمية والذي يسمح بتأسيس الجمعيات الغير سياسية بحيث اغتنم الجزائريون الفرصة آنذاك<sup>(3)</sup>، وكذلك مجيء الحاكم العام جونار الذي اهتم بالتراث العربي الإسلامي الجزائري.
- احتكاك رجال الحركة الوطنية الجزائرية خاصة رجال الجمعية<sup>(4)</sup> وحزب الشعب بشخصيات قومية مثل شكيب أرسلان الذي كان يهدف المغرب ونضاله بالمشرق العربي معتبرا شمال افريقية جزءا من الوطن العربي متفطنا لأهمية هذه المنطقة في رقعة الشطرنج العالمي<sup>(5)</sup>، ولعل أبرز هذه

(1) علي الزيدي، المرجع السابق، ص 549.

(2) يقول سعد الله عن النوادي والجمعيات: ". إن للنوادي والجمعيات رسالتها الكبيرة في تنمية الوعي وفي نشر المبادئ بين المواطنين. وهناك نوعان من الجمعيات والنوادي، فهناك النوادي والجمعيات التابعة للحركة الوطنية الجزائرية أيا كان مشربها، وهذه أنشئت بجهود الجزائريين، وهناك النوادي والجمعيات التي يشرف عليها ويديرها الاحتلال إما مباشرة أو بواسطة أتباعه ومؤيديه من الجزائريين أنفسهم ولكل من النوعين رسالة أو خطة. أنظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، عالم المعرفة، طبعة خاصة بأعمال الدكتور سعد الله بمناسبة تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية، الجزائر، 2011، ص ص 114، 115.

(3) عبد المجيد بن عدّة، الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005، ص 96.

(4) دعا الأمير شكيب أرسلان العلماء خلال شهر ماي 1931 للاهتمام أكثر فأكثر بالحركة الإسلامية والدفاع عنها. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، مصدر سابق، ص 152.

(5) شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1976، ص ص 33، 34.

الشخصيات التي كانت لها فرصة الاحتكاك به كالطيب العقبي<sup>(1)</sup>، وأحمد توفيق المدني، وعلى الحمامي<sup>(2)</sup>، ومصالي الحاج<sup>(3)</sup>.

## 2-2- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات التيار الإصلاحية:

لعلنا لا نستطيع الإمام بكل ما قامت به الحركة الإصلاحية منذ نشأتها في الجزائر وإلى غاية 1954، باعتبار أنها قد خلفت تراثا فكريا ومعرفيا وأرشيفيا كبيرا لو استنتقناه لاستطعنا الإجابة عن العديد من الإشكاليات التي تؤرق المؤرخ الجزائري والعربي اليوم، ولكن ما يمكن أن نقوله حول موضوعنا هذا، هو أن رواد الإصلاح في الجزائر كانوا من الأوائل الداعين والمتشبهين بفكرة الوحدة العربية شريطة مزجها بالعامل الديني الإسلامي إذ لا يعقل الفصل بينهما أبدا، فقد دافعت الصحافة الإصلاحية الجزائرية منذ العشرينات عن العروبة والإسلام مبينة الانتماء الروحي إلى الجسد العربي - الإسلامي، بالرغم من تجنب التصريحات المباشرة بضرورة تحقيق الوحدة السياسية في ظل ضبابية الأمور، والصراعات الواقعة بين بني العرب حول الزعامة في الشرق، خاصة وأن الجزائر كانت تترج تحت نير الاستعمار الفرنسي (=مقاطعة فرنسية في نظر القانون الفرنسي)، هذا ولعبت النوادي الثقافية والجمعيات دورا كبيرا في بث الروح القومية والدعوة للتعاون والاتحاد في ندواتها ونشاطاتها المختلفة،

---

(1) كانت بين العقبي وشكيب أرسلان عدة مراسلات وتمثلت في رسائل الود والأشعار، ويتساءل المرحوم سعد الله عن معرفة العقبي بأرسلان أكانت قبل انتقاله إلى الجزائر أم بعد، خاصة وأن العقبي قد نفى من طرف السلطة العثمانية من المدينة المنورة بسبب موقفه من الثورة العربية. انظر: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، مصدر سابق، ص121.

(2) كانت هناك صلات ومراسلات بين الرجلين، وتردد اسم الحمامي كثيرا في رسائل أرسلان، وقد كان أرسلان يتدخل لصالح الحمامي في أوروبا والشرق، لأن الحمامي كان رجلا فقيرا وبائسا بالرغم من وزنه الفكري والسياسي. انظر: سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، المصدر السابق، ص124، نقلا عن: الطيب بنونة، نضالنا القومي، ص300، 299.

(3) تعود بداية العلاقة بين مصالي وأرسلان إلى أيام المؤتمر الإسلامي الأوروبي سنة 1932، وقد تطورت العلاقة بين الرجلين فساند أرسلان حزب نجم شمال إفريقيا وزعيمه مصالي الحاج، ورسم له خطة للخروج من فلك الحزب الشيوعي العمالي إلى الفلك العربي الإسلامي. انظر: مذكرات مصالي الحاج، مصدر سابق، ص189. أيضا: يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، دار الأمة، الجزائر، 2013، ص80.

ولعلنا سنقف مطولا عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي وقفت وقفة الرجل الواحد في الدفاع عن الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية، وذلك عن طريق أديباتها(=موضوع بحثنا)، كما تجدر بنا الإشارة قبل الخوض في هذا الموضوع ابراز نقطة جد هامة وهي أن مواقف رجالات الإصلاح لم تكن دائما تتماشى وطروحات الجمعية كجهاز أو كجمعية دينية- ثقافية وحتى سياسية لها أهداف مسطرة من خلال قانونها الأساسي أو نشاطاتها المبرجة، لذلك سنحاول الكشف عن بعض الأمور والحقائق الهامة في هذا الفصل.

### 2-2-1- النوادي والجمعيات: لبنة الصحوة العربية الإسلامية:

اهتم الجزائريون بإنشاء النوادي الثقافية والجمعيات، فكانت صروحا أولى انطلقت منها الحركة الإصلاحية والسياسية، فبعدها كان الجزائريون يجتمعون في المقاهي أو المساجد أو الأماكن الضيقة، أصبحت لهم شيئا فشيئا مقرّات لتهديب الناشئة وتربيتها تربية جموعية للنهوض بالمجتمع، و نستطيع القول بأنه قد بدأت مرحلة جديدة بالنسبة لتطور الأدبيات الجزائرية في هذه المرحلة، والتي تمثلت في الخطابات، والمدخلات، والدعوات، والنداءات، والأشعار التي تغلغت تغلغلا واسعا في أوساط الجماهير بعدما كانت(=الأدبيات)<sup>(1)</sup> منحصرة في الغالب على الأقلام الصحفية، والكتابات القليلة

---

(1) يقول الدكتور رابح لونيسي: " إن الكاتب هو أيديولوجي، ويمكن أن يوصف بمصطلح المفكر المناضل، ويفرض علينا هذا الوضع الخاص بالحالة الجزائرية، العودة إلى الكتاب الذين عادة ما نجدهم أيضا مناضلين يشاركون بطريقة أو بأخرى في صياغة الوثائق الإيديولوجية للأحزاب التي ينتمون إليها، ولهذا السبب فإننا نعتبر مختلف هذه الوثائق الإيديولوجية مصدرا لدراسة مختلف الرؤى والأفكار " أنظر: رابح لونيسي، التيارات الفكرية، مرجع سابق، ص 31. لذلك في رأينا ينطبق هذا على الخطباء والفصحاء وحتى الشعراء من الذين ساهموا في النضال السياسي وعرفوا توجهات متشابهة ومتداخلة وأحيانا متناقضة بسبب احتكاكاتهم هنا وهناك ومحاولاتهم للتوفيق بين التيارات، ليس هذا فقط بل قد نجد مناضلا يحرر أو يخاطب(=تعاطفا وانتماء) باسم جمعية العلماء وباسم حزب الشعب وباسم الطلبة في نفس الوقت، على غرار أحمد توفيق المدني أو مفدي زكرياء.

كما أشرنا سابقا، والتي كان انتشارها محدودا خاصة وأن غالبية الكتابات كانت موالية للاستعمار ومستعملة للغته<sup>(1)</sup>.

ولقد نقل لنا الراحل أحمد توفيق المدني نشاطات جمعية الشبيبة الإسلامية التي خطت خطوطا ذهبية في سبيل اللغة والدين فيقول عنها: "... رأيت فوق خشبة المسرح أبناء الشبيبة الإسلامية ينشدون أناشيد العروبة والوطنية والإسلام، ويلقون الخطب الفصيحة المعبرة الهادفة"<sup>(2)</sup>، وقد ألقى توفيق المدني خطبة حارة في تلك المناسبة التي تزامنت مع ليلة القدر في شهر رمضان من سنة 1925، وهو الذي كان منفيا إلى الجزائر بعد مسيرة نضالية طويلة في تونس تشعب فيها بقيم الوحدة والتعاون، فحث في الخطبة على ضرورة التشبث بالعروبة والإسلام قائلا: "... ولكن شعاركم في حياتكم أيها الأحرار الأبرار: الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون"<sup>(3)</sup>.

ولعل قائمة النوادي طويلة في هذه الفترة ولكننا نذكر أبرزها: كنادي الاتحاد، والنادي الإسلامي بقسنطينة، ونادي الترقى بالبليدة، ونادي النجاح بسيدي بلعباس، ونادي فيليب فيل، ونادي الشبان المسلمين بقالملة... والقائمة تطول<sup>(4)</sup>، فهذه النوادي كانت مفتوحة لجميع الناس حسب الدكتور علي مرّاد، ولكنها جعلت أساسا لنيل تعاطف الشبيبة بغرض التأثير عليها ثقافيا وأخلاقيا، بحيث أن

---

(1) هذا لا يعني أن كلّ الخطابات كانت لا تستعمل الفرنسية، بل العكس ففي نادي السعادة بقسنطينة تذر ابن باديس لما سمع كثرة الخطابات بالفرنسية والغالبية كانت لا تفهمها، وقد كتب مقالا صغيرا حول ذلك. أنظر: ابن باديس، حول النادي لا تفاهم بغير العربية، المنتقد، ع9، الخميس 27 أوت 1925، ص ص 164، 165.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 83.

(3) نفسه، ص 84.

(4) للاطلاع على قائمة النوادي الوطنية أنظر: الوّاس الحواس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية (1927-1954)، دار شطايب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 80-137.

نشاطاتها كانت من أجل التوعية بمحاسن دين الإسلام، وجمال اللغة العربية، فكان رجال الإصلاح بذلك يأملون في توعية الشباب بشخصيتهم الجزائرية المرتبطة بالثقافة العربية الإسلامية<sup>(1)</sup>.

ولعل أبرز ناد ثقافي وفكري وحتى سياسي ظهر في نهاية العشرينات هو نادي الترقى الذي افتتح رسمياً بتاريخ 3 جويلية 1927<sup>(2)</sup>، مساهماً في اليقظة القومية العربية الإسلامية الجزائرية من خلال ما كان يعقد فيه من اجتماعات، وندوات، ومحاضرات، وكذلك احتضانه لعدد النشاطات الرياضية والفنية، فبه أُسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبه تم تأطير وتوفير المناخ للحركة الطلابية التي عقدت مؤتمرها الثاني به عام 1932<sup>(3)</sup>، وبه أيضاً تم تأسيس الكشافة الإسلامية الجزائرية<sup>(4)</sup>، لذلك اعتبر أعظم منبر ثقافي وسياسي صريح للشعب الجزائري<sup>(5)</sup>، ويقول الراحل أحمد توفيق المدني في شأنه: " ... لقد كان نادي الترقى صفحة بيضاء في تاريخ الجزائر، لا الجزائر العاصمة وحدها بل الجزائر الوطن المترامي الحدود. وأني لأعجب العجب كلّهُ لهؤلاء المؤرخين الجدد الذين يضربون بسهم في إنشاء تاريخ الجزائر الحديث، ويغفلون أو يتغفلون عن ذكر نادي الترقى، وعن ذكر آثاره، وعن ذكر ما ولده من حركات بناء صميمة كانت للجزائر بعثاً، وكانت للقومية الجزائرية نشورا"<sup>(6)</sup>.

ويقول عنه مفدي زكرياء الذي صدح بصوته فيه في عديد المناسبات: "... كان مركزاً لجميع الحركات القومية، وكانت قاعته الفسيحة ملتقى النخبة المفكرة كلها سواء بالعاصمة أو بداخل البلاد، وكانت

(1) علي مزّاد، المرجع السابق، ص 378.

(2) الوئاس الحواس، المرجع السابق، ص 154. ابتهجت جريدة الشهاب بافتتاحه والقاء الخطب فيه خاصة من طرف عبد الحميد ابن باديس الذي خاطب حول تاريخ النوادي في الإسلام، وأحمد توفيق المدني وذلك في مقالة نشرتها الجريدة لكتابها محمد العاصمي. انظر: الشهاب، م 13، ع 108، 4 أوت 1927، ص ص 152-155.

(3) راجع للاستزادة: رشيد ميّاد، اسهامات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في الحركة الوطنية الجزائرية، دار شطابي، الجزائر، 2013، ص ص 77، 78.

(4) الوئاس الحواس، المرجع السابق، ص 139.

(5) علي مزّاد، المرجع السابق، ص 111.

(6) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 109.

المحاضرات والمسامرات والحفلات الكبرى تتوالى فيه، ويقبل عليه الشعب إقبالا لاهفا. ورغم القوانين الصارمة والمراقبة المستمرة، كان نادي الترقى منبرا للدعوة الوطنية من جهة ومنبرا للدعوة الإصلاحية والعروبة من جهة أخرى، وقاوم النادي نزعات الاندماج، كما قاوم دعاية التجنيس التي كانت الحكومة تغري بها ضعفاء الإيمان قصد الحصول على الحقوق السياسية، وفي صدر هذا النادي المبارك تمكن أنصار الحركة الإصلاحية من تحقيق ذلك الحكم الذي كان يراود أحرار الجزائر، ألا وهو تأسيس حياة إسلامية عربية تنهض بالبلاد نهضة جبارة في نطاق عروبتها وقوميتها وإسلامها، فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(1)</sup>، ولعل أبرز من برز كخطيب وداعية بامتياز به هو الشيخ الطيب العقي<sup>(2)</sup> والذي ارتبط اسمه باسم النادي لفترة زمنية معتبرة<sup>(3)</sup>.

### 2-2-2- الوحدة العربية الإسلامية في صحافة العشرينات:

ذكرنا سابقا كيف أن الحركة الصحفية واكبت كل صغيرة وكبيرة حول ما يتعلق بشؤون العالم الإسلامي والعربي وأخبار الجامعة الإسلامية والقومية العربية... الخ، باعتبار الصحافة آنذاك هي المتنفس الوحيد للأدباء والسياسيين الجزائريين لإبداء آرائهم، وتعليقاتهم حول القضايا المصرية والهامة، وربما الحركة المحتشمة التي كانت تعيشها الصحافة الجزائرية في ظل الخناق المتواصل عليها، ونطق غالبيتها بالفرنسية

(1) مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة العربية، المصدر السابق، ص 80.

(2) الطيب بن محمد بن ابراهيم بن الحاج صالح العقي، خطيب كاتب صحفي له شعر، من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية، ولد في سيدي عقبة هاجر مع أسرته إلى المدينة المنورة عام 1895، نشأ بها وأخذ عن علمائها ثم درس في الحرم النبوي، وشارك في الحياة السياسية هناك، فاتهمه الاتراك بانه ساهم في الثورة العربية الكبرى التي اعلنها الشريف حسين بن علي ضدهم، فأبعد إلى تركيا، عاد بعد الخ ع 1 إلى مكة فولاه الشريف حسين رئاسة تحرير جريدة "القبلة" خلفا لمحّب الدين الخطيب وذلك إدارة المطبعة الأميرية، عاد إلى الجزائر سنة 1920 وسكن بسكرة فاعتقل بعدها بشهرين من طرف الشرطة الفرنسية، أطلق سراحه بعدها فعرف بمحاربتة البدع والخرافات بالمنطقة، وأصدر جريدة الإصلاح سنة 1928، تولى بعد ذلك منبر الوعظ والإرشاد بنادي الترقى بالجزائر العاصمة كما شارك في تأسيس جمعية العلماء، ثم انفصل عنها بسبب الخلاف الشهير الذي دب بينه وبين بعض أعضائها خاصة بعد اتهامه بالضلوع في قضية اغتيال الشيخ كحول. انظر: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، مصدر سابق، ص 238.

(3) الوئاس الحواس، المرجع السابق، ص 164.

قد جعلت كثيرا من الجزائريين يعولون على صحافة البلدان المغاربية المجاورة، أو المشرقية لتقصي الأخبار، و التعبير عما يختلج صدورهم من آلام وآمال، لذلك ستعد سنوات العشرينات والثلاثينات سنوات جد هامة في تاريخ الصحافة العربية بالجزائر، خاصة وأن الصحافة الإصلاحية التي كانت تنشط في هذه الفترة هي صحافة ذات تكوين مشرقي، خاصة لما استفادت من أقلام المتخرجين من الزيتونة والمتأثرين بتيارات الفكر الإسلامي المشرقي مثل الوهابية ومذهب مدرسة المنار، ومنهج حركة الإخوان المسلمين<sup>(1)</sup>، ولهذا سنحاول في هذه العجالة إلقاء نظرة خاطفة على بعض النماذج الرائدة منها، والتي جعلت للهوية العربية الإسلامية فضاء محترما على صفحتها بالرغم من المضايقات المستمرة.

يذكر الراحل أحمد توفيق المدني أنه لما دخل إلى الجزائر سنة 1925 كانت تنشط على انفراد تقريبا جريدة "النجاح" لعبد الحفيظ بن الهاشمي ومحررها مامي إسماعيل<sup>(2)</sup>، صدرت حسب مفدي زكرياء يوم 14 أوت سنة 1920، وهي الصحيفة التي كانت بمثابة "المبشر" في نشر الأخبار القضائية والترقيات الوظيفية، وناقلة للتصريحات التي يدلي بها المسؤولون الاستعماريون، فواكبت حركة الإصلاح والحركات التحررية السياسية وقاومت مقاومة الأبطال كل العراقيل التي وقفت في طريقها، عاشت إلى غاية سنة 1957، حيث ماتت بموت محررها مامي إسماعيل واشتغال مديرها الهاشمي بـخطة الإفتاء<sup>(3)</sup>.

(1) علي مراد، المرجع السابق، ص 51.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 10.

(3) يشير الأستاذ أحمد حمدي إلى أن الجريدة سلكت سلوكا مواليا للاستعمار بعد سنة 1932 أنظر: مفدي زكرياء، تاريخ الصحافة، مصدر سابق، ص 70/ تعليق الأستاذ حمدي أحمد، الهامش رقم 17، ص74(=من نفس المصدر)، وكذلك: أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر سابق، ص 459. أيضا: أحسن ثيلاني، جريدة النجاح، المرجع السابق.

أسس عبد الحميد ابن باديس تزامنا مع هذه الفترة جريدة **المنتقد**<sup>(1)</sup> التي واكبت أخبار العالم العربي والإسلامي وهي التي استفادت في نظرنا من عمق مدينة قسنطينة التاريخي والحضاري، وقربها من حاضرة تونس، وكذا هجرة غالبية علمائها إلى بلاد المشرق، فنجدها تتقصى أخبار حرب الريف وتحث على وجوب النهضة كما تتابع الحراك العربي الحاصل، وقد كتب ابن باديس عمودا فيها متقصيا أخبار جهود الصلح بين ابن السعود وابن الحسين<sup>(2)</sup>، ولعل أول مقال في المنتقد صرح مباشرة بانتفاء الجزائر إلى الجسد العربي الإسلامي كان لصاحبه محمد الصالح خبشاش<sup>(3)</sup> حينما كتب: ".. ليست الأمة الجزائرية حديثة عهد بجلول النكبات ... حتى لاح لها فجر الإسلام فعند ذلك رأت الشمس بازغة والقمر منيرا ... تمازجت الأمة الجزائرية بالأمة العربية الإسلامية تمازج الروح بالبدن، وتحلت بفنائها ووردت من يناييعها، واتخذت من آدابها ما أهلها لأن تكون أمة عربية إسلامية..."<sup>(4)</sup>.

كما لعبت صحيفة **المنهاج**<sup>(5)</sup> للشيخ إسحاق إبراهيم أطفيش أيضا دورا كبيرا في بث الأفكار الوجدانية والقومية في هذه الفترة، بالرغم من أنها كانت تصدر خارج الجزائر، وقد احتفت جريدة المنتقد بصدورها، باقتباسها جزءا من افتتاحيتها بحيث كتبت: "... لا نحرم إخواننا أهل المشرق من أبناء بلادنا بالمغرب، ليحصل الارتباط والتعارف التامان بين الأقطار الإسلامية وشعوبها، وليتحد العمل في إحياء

(1) **المنتقد 1925**: صدرت في 18 عددا وهي: جريدة سياسية تهذيبية انتقادية، شعارها: الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء: تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية صبيحة الخميس من كل أسبوع، مديرها السيد أحمد بوشمال، عطلتها الإدارة الاستعمارية. اطلع عليها على شكل كتاب مطبوع في: **المنتقد 1925**، دار العلاء، (طبعته بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية)، الجزائر، 2015.

(2) ابن باديس، شيء عن الحجاز، المنتقد، ع2، الخميس 9 جويلية 1925، ص32،33.

(3) محمد الصالح خبشاش (1904-1940): شاعر وكاتب وصحفي، من مواليد قرية وادي يعقوب بقسنطينة، لازم ابن باديس كثيرا وقرا عليه، ترأس جريدة الحق العسكرية، له عدة كتابات ومساهمات في عدة جرائد كالمنتقد، النجاح، الشهاب... الخ. أنظر: عادل نويهض، المصدر السابق، ص131.

(4) محمد الصالح خبشاش، نكبات الأمة الجزائرية، المنتقد، ع4، الخميس 23 جويلية 1925، ص65.

(5) عنها يقول مفدي زكريا: "... من الصحف الجزائرية التي قامت بدور مشرف في فجر اليقظة القومية بالجزائر... تعالج قضايا المغرب العربي والجزائر خاصة، وتخصص قسما كبيرا من صفحاتها لمعالجة القضايا الإسلامية. كانت صادقة اللهجة سلفية المنهج، عربية النزعة... " أنظر: مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية، المصدر السابق، ص135.

المجد المندثر للإسلام"<sup>(1)</sup>، فقد أدرك الشيخ اطفيش مبكرا حجم الخطر المحدق بالعالم الإسلامي وقد طرح قضية اتحاد الشعوب المشرقية قائلا: "... ولو كان العالم الإسلامي متّحدا، لما أتيح للإنجليز أن تمد سلطانتها إلى حدود بعيدة بداخل العرب..."<sup>(2)</sup>.

بعد توقف جريدة المنتقد عن الصدور شقت جريدة الشهاب<sup>(3)</sup> لعبد الحميد ابن باديس طريقها باتجاه الدفاع عن الأمة العروبة والإسلام<sup>(4)</sup> معتبرة اياها العنصرين الأساسيين اللذين تركز عليهم الأمة الجزائرية في سبيل الحفاظ على شخصيتها من أجل النهوض بها، فكانت تستذكر أيام العرب، وتكتب عن قصص الخلفاء الراشدين والصحابة، كما كانت تنقل أخبار العالم الإسلامي<sup>(5)</sup> من الندوات والمؤتمرات والجلسات التي كانت تناقش أمور المسلمين ومستقبلهم<sup>(6)</sup>.

(1) ابن باديس، أبناء الجزائر خارج بلادهم، أو تقرير مجلة المنهاج، المنتقد، ع7، الخميس، 13 أوت 1925، ص 119. أيضا: مفدي زكريا، المصدر السابق، ص ص 137، 138.

(2) ابراهيم اطفيش، عصبية الأمم، المنهاج، ج1، 1925، ص ص 133، 134. نقلا عن: معمر شعشوع، المرجع السابق، ص 65. كان طرحه يتعلق هنا فقط بقضية اتحاد دول المشرق العربي للتصدي للأخطار والمؤامرات الإنجليزية التي كانت تسعى إلى التغلغل بشبه الجزيرة وباقي الأقطار مستفيدة من الصراع العثماني الحسيني والثورة العربية ضد الأتراك في المنطقة، ويسمي اطفيش هذا الاتحاد بالعصبة الشرقية، فهو يرى ضرورة توحيد المشرق وضرورة توحيد المغرب بعد استقلاله وتشكيل الدولة الإسلامية القوية.

(3) جريدة الشهاب: (=مجلة) فكرية اصلاحية أصدرها عبد الحميد ابن باديس وكانت ملكا خالصا له، أصدرها بعد المنتقد في 12 نوفمبر 1925، تصدر أسبوعيا ثم مرتين في الأسبوع ثم أصبحت تصدر كل شهر نتيجة الأزمة المالية، تعتبر الشهاب من الجرائد الطويلة العمر في الجزائر، كانت تطبع بالمطبعة العربية الإسلامية، من شعاراتها: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها" وأيضا: "الحق والعدل والمؤاخاة، في إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات" أنظر عنها: عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة، ج2، المرجع السابق، ص ص 271-276. وأيضا: عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، م16، المقدمات والفهارس العامة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2001، ص ص 12، 13. وهذه النسخة من الشهاب التي طبعت من طرف دار الغرب الإسلامي 2001 هي التي اعتمدها في دراستنا هذه.

(4) أنظر مثلا: الإسلام دين الإنسانية (منقول)، الشهاب، م2، ع16: 47 أوت 1926، ص ص 215-217.

(5) أحوال المسلمين في روسيا (منقول)، الشهاب، م2، ع37-38: 12-15 جويلية 1926، ص ص 76-78-90-92

(6) أنظر: المؤتمر العام الإسلامي بمكة 1926 (منقول)، الشهاب، م2، ع7: 32 جويلية 1926، ص ص 8-10

ولعل الشهاب من أطول الصحف العربية في الجزائر عمرا نظرا لخطها المهادن، وتحفظها بعدم خوضها في الشؤون السياسية الصعبة التي تزعج الإدارة الفرنسية، هذا بالإضافة إلى السمعة الطيبة التي كان يملكها السي محمد بن مصطفى والد عبد الحميد الذي كان موظفا مرموقا في الدولة آنذاك، وهو ما جعل ابن باديس في حماية نوعا ما<sup>(1)</sup>، ولكن هذا لا ينفي أبدا القول أنها كانت صحيفة وطنية جريئة صريحة في معالجة كثير من القضايا، ثم إنها تعرضت لمضايقات عدة ومحاولات اغلاق وإيقاف وهو الأمر الذي اضطرها للرد على الإدارة في أحد الأعداد، مبينة خطها السياسي الذي انتهجته منذ تأسيسها<sup>(2)</sup>.

ولعل قضية الوحدة العربية على المستوى السياسي مع نهاية العشرينات كان أمرا لا يزال بعيدا أو مشوبا بالعراقيل بالنسبة للكثيرين من رواد الإصلاح، حتى ولو تحقق ذلك أدبيا أو روحيا، لأن مشاعر الخلافة وأحلامها كانت لازالت تعشش في أذهان الكثيرين من جهة، ولأن الكثيرين أيضا كانوا على علم ودراية بالتحركات الفرنسية والانجليزية في جزيرة العرب وتغلغلهم فيها من جهة أخرى، إذ لا يعقل عقد وحدة بين أقطار مستعمرة لا زالت لم ترق بعد إلى درجة الوعي بالتححرر أو الوحدة<sup>(3)</sup>، ولكن هذا لم يكن ليمنع الجريدة بالاهتمام بشؤون الوحدة العربية المشرقية، بل بالعكس كانت متتبعة لأخبارها ومتقصية لأحداثها مهتمة بشؤونها، وقد نشرت ونقلت عديد المقالات والحوارات لكتاب وزعماء مشاركة، وتتبع التحركات السياسية في المشرق التي كانت تسعى دائما للوحدة

(1) عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة الوطنية، ج2، ص ص 278، 279.

(2) نحن صرحاء والصريح لا يخاف (سياستنا واحدة من يوم التأسيس)، الشهاب، م2، ع2: 2 سبتمبر 1926، ص ص 282، 283.

(3) انظر: الجزائري، جزيرة العرب والنفوذ الإنجليزي الفرنسي، الشهاب، م2، ع6: 53 سبتمبر 1926، ص ص 304، 305.

العربية<sup>(1)</sup>، لذلك ستتحوّل الشهاب مع مرور الوقت إلى منبر دائم للعروبة من أجل جذب الفئة الشبانية وغرس روح الاعتزاز فيها بالتاريخ والثقافة والأخلاق العربية<sup>(2)</sup>.

هذا وقد اشتهرت صحف إصلاحية عدة في هذه الفترة عرفت بخطها العربي الإسلامي<sup>(3)</sup> والدفاع عن المقومين مثل جريدة صدى الصحراء للطيب العقبي (1925-1926)<sup>(4)</sup>، والإصلاح (بسكرة 1927-1930) له أيضا، وقد تداول عدة كتاب للكتابة في صفحاتها مثل: الأمين العمودي، ومحمد العيد آل خليفة، وحمد خير الدين، ومحمد سعيد الزاهري، ومبارك بن محمد المليي، وأحمد توفيق المدني<sup>(5)</sup>، واعتبرها الشيخ محمد علي دبوز أنها مهدت كذلك لقيام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(6)</sup>، كما اشتهرت أيضا في هذه الفترة جريدة وادي ميزاب (1926-1929) لصاحبها أبي اليقظان والذي عرف بمشاعره الكامنة التي تدعو للوحدة الإسلامية وتهتم بشؤون المسلمين<sup>(7)</sup> وكذا بنضاله على المستوى الداخلي بمقاومته الشرسة في ظل توقيف عدد كبير من جرائده، وقد اتخذت الجريدة خطا سليما في عملية بناء الذات الوطنية والتشبث بمقومات العروبة والإسلام<sup>(8)</sup>.

- (1) أحمد زكي باشا، في سبيل الله ومن أجل الوحدة العربية، الشهاب، م2، ع29:27 نوفمبر 1926، ص 588-592
- (2) علي مراد، المرجع السابق، ص 439. أنظر أيضا: تركي رابح، الشهاب: لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925-1939)، دورها في نهضة الجزائر الحديثة، مجلة الثقافة، ع81، ص 205.
- (3) انظر للاستزادة: عبد المالك مرتاض، أدب المقاومة، ج2.
- (4) يرى الدكتور عبد المالك مرتاض أن صاحبها هو أحمد بن العابد العقبي وليس الطيب العقبي. مرتاض، أدب المقاومة، ج2، ص 218.
- (5) نفسه، ص 227.
- (6) محمد علي دبوز، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ج2، ص 122.
- (7) افتتحت جيدة وادي ميزاب عددها الأول كالآتي: "جريدة وطنية إسلامية باسم وادي ميزاب... وهي عن كانت كلسان حال الأمة الميزابية إلا أنها قبل كل شيء لسان حال الفكر الإسلامي عموما والجزائري خصوصا". وادي ميزاب، ع1
- 1 أكتوبر 1926، ص 01.
- (8) صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919-1939)، دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012، ص 43.

لذلك يمكننا القول بأن الصحافة الإصلاحية قد لعبت دورا جد كبير في ترسيخ الشعور بضرورة الارتباط بالعالم العربي والإسلامي، باعتبار أن ذلك هو من عمق المقاومة لصد الهجمات الفرنسية المتكررة على مقومات الشعب الجزائري، ثم إن الحركة الصحفية في العشرينات والثلاثينات باعتنائها بقيم الثقافة العربية الإسلامية قد شكلت لوعي جزائري عربي إسلامي كان موجودا منذ القدم مع الحركة الصوفية، لكنه امتزج هذه المرة مع العقل والتفكير وحمية تحريره من المعتقدات القديمة الشائعة التي تمنعه من الرقي والتحرر، لكي يستطيع مجابهة الاستعمار الذي بنى وجوده عقيدة التفريق والتشتيت، ولعلنا سنضطلع على أهم الكتابات الصحفية عن الوحدة العربية أيضا في العنصر الموالي.

### 2-2-3- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

إن العوامل التي ذكرناها سابقا بالإضافة إلى تلك الحركة النشطة التي قادتها النوادي والجمعيات والصحف العربية الإسلامية، بالإضافة إلى انضمام عديد طلبة ابن باديس القدامى الذين استكملوا دراساتهم بتونس والجامع الأخضر ابتداء من سنوات (1926-1927) قد شكل مرحلة جديدة في حياة الحركة الإصلاحية<sup>(1)</sup>، ومهد الطريق لإنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي ستصبح صرحا قويا في الدفاع عن قيم الإسلام الصحيح، وإثبات روح الانتماء للأمة العربية الإسلامية ضد كل محاولات التجنيس، والإدماج، والتغريب، والعزل عن العالم الإسلامي التي كانت تقودها فرنسا والمحسوبون عليها في الجزائر<sup>(2)</sup>، خاصة مع الاحتفالات الاستفزازية بمئوية الاحتلال (1930) التي صرحت علنا أنها دفنت الإسلام في الجزائر مشيعة جنازته إلى الأبد<sup>(3)</sup>.

(1) علي مزاد، المرجع السابق، ص 164.

(2) يقول عبد الرحمن بن إبراهيم بن العقون في مذكراته: "ومن البديهي ألا يبقى العلماء المصلحون - وقد رجعوا من الخارج يحملون مؤهلات لا تسمح لهم بالسكوت والبقاء خارج المعركة، فقاموا بحركة كزملائهم في سائر البلاد العربية والإسلامية تتناسب مع وضعيتهم الثقافية والعلمية والدينية، وهي الحركة الإصلاحية الدينية التي تضطلع بمهمة التربية والتعليم، ونشر الفكر الإسلامي الصحيح... " عبد الرحمن بن العقون، المصدر السابق، ص 183.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 257.

يقول المرحوم أبو القاسم سعد الله معرفا بالجمعية: " تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يوم 5 ماي 1931، وضمت اثنين وسبعون (72) عالما جزائريا جاؤوا من مختلف أنحاء القطر ومن مختلف الاتجاهات الدينية، ولعل المرونة التي استعملتها الجمعية في جمع الكلمة وتوحيد الصفوف هي التي جعلت الإدارة الفرنسية تسارع إلى الاعتراف بالجمعية وتوافق على قانونها الأساسي بعد خمسة عشر يوما فقط من تقديمه (1).

ولعل ابن باديس ورجالات الإصلاح قد شقوا طريقهم لإثبات عروبة الجزائر، فتجاوزوا بمرور الزمن الواقع الجزائري ليتخذ طابع الإيديولوجية السياسية، والتي فسرت من طرف الإدارة على إنها عقيدة مستوحاة من الخارج (=المشرق) (2)، واتخذوا من شعار " الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا" تلخيصا ممتازا للأمامي الدائمة للشعب الجزائري الذي يشعر بأنه عربي مسلم (3)، فقد جاء في مقال في جريدة الشهاب في صدد ذكر أهدافها أيام تأسيسها ما يلي: " هذه الجمعية تسعى لنشر الرقي والأخوة على أساس الإسلام والقومية في دائرة الدولة والقوانين الفرنسية" (4)، فجريدة (=مجلة) الشهاب التي أصبحت اللسان الناطق لجمعية العلماء حسب ما جاء في أحد أعدادها (5) ستصبح كما ذكرنا سابقا منبرا صريحا يناقش كل ما يتعلق بالأمة العربية والإسلامية، ويدعو إلى التثبيت بها عن طريق ما

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص 83.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 256، 257.

(3) محمد أركون، المرجع السابق، ص 162. هذا الشعار ينسبه المؤرخون لقائله الأول أحمد توفيق المدني والذي صرح بما في مذكراته.

(4) مجالس التذكير، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: باكورة أعمالها، الشهاب، م7، أوت 1931، ص 537. يلاحظ

القارئ إضافة عبارة في دائرة الدولة والقوانين الفرنسية، وذلك لتجنب التعرض للمضايقات للجمعية والجريدة أيضا التي أصبحت بذلك منبرا للجمعية بعدما كانت حرة نوعا ما قبل تأسيسها، فتستصبح أكثر التزاما بعد هذا التاريخ.

(5) جاء في عدد سبتمبر 1931 ما يلي: " تلا واضع اللائحة الداخلية الأخ الشيخ البشير الابراهيمي على مجلس الإدارة في جلسته الأخيرة مادة تقتضي أولا- اعتبار مجلة الشهاب مجلة للجمعية تنشر فيها خطبها ومحاضراتها وفتاواها وجميع نشراتها العلمية... وتقتضي ثانيا- تعيين قدرا من المال لنفقات المجلة فتناول الأعضاء الأمر الأول وقرروا بعد المناقشة بأغلبية قوية قبوله على أن تكون المجلة مجلة لصاحبها ولكنها تخصص منها قسما لمنشورات الجمعية بحيث يكون ما ينشر في ذلك القسم على مسؤولية الجمعية دون ما عداه" أنظر: الشهاب وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشهاب، م7، ع سبتمبر 1931، ص 597.

كانت تنشره الجمعية من مقالات وأخبار في قسم نظرة عالمية والعالم الإسلامي عن القضية العربية<sup>(1)</sup>، والقضية السورية<sup>(2)</sup>، والمؤتمر الإسلامي العام بالقدس<sup>(3)</sup> الذي عقدت عليه آمال كبيرة<sup>(4)</sup>.

ولعل المتأمل في كتابات الجمعية خاصة كتابات الإبراهيمي يجد أهداف جمعية العلماء ومواقفها وتوجهاتها فيقول مثلاً مبيناً فلسفتها: "...الجمعية فيما وراء ذلك مرتبطة بالعالم الإسلامي أفراداً وشعوباً بما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم ومظاهره، وهذه ناحية ارتباط طبيعية، وصلة اشتباك روحية فطرية يلتقي عليها المسلمون كلّهم في مشارق الأرض ومغاربها... وفيما عدا ذلك فالجمعية جزائرية مربوطة بقانون الجزائر، لأن أعضائها كلّهم من أبناء الجزائر"<sup>(5)</sup>.

و لم يكن الاستعمار دائماً يسكت عن نشاط الجمعية وتحركاتها الخارجية واصفاً إياها بشتى الأوصاف ومتهما علمائها بالانتماء لحركة الجامعة الإسلامية والقومية<sup>(6)</sup>، وقد رد الشيخ البشير الإبراهيمي مدافعاً بقوة فقال: "...يقول عنها الاستعمار في معرض التبرم بها والسخط عليها إنها جمعية سياسية في ثوب ديني، وإنها تنشر القومية بستر الدين... ويتطعن في بعض نوباته العصبية فيقول عنها إنها

(1) أنظر مقال: القضية العربية (قسم نظرة عالمية)، الشهاب، م7، ع أوت 1931، ص 577.

(2) نحو الاستقلال السوري، الشهاب، م7، ع ديسمبر 1931، ص ص 844-853.

(3) المؤتمر الإسلامي العام بالقدس الشريف، الشهاب، م8، ع فيفري 1932، ص ص 88-103.

(4) في آخر المقال جاء تعليق لناشره (=جمعية العلماء): "...أما نحن فنقول: إن المؤتمر حقاً قد نجح أكثر مما كان يظن... وإذا اعتبرنا هذا المؤتمر عملاً ابتدائياً فإنه يحق لنا أن نعلق الآمال الواسعة الجسيمة على المؤتمرات الأخرى التي ستعقد بعده بحول الله في نفس مدينة القدس الشريف" أنظر: الشهاب، نفس المقال، نفس المصدر السابق، ص 103. يتبين لنا أن الجمعية كانت جد مهتمة بمصير العالم الإسلامي والعربي في هذه الفترة خاصة وإن كان انعقاد المؤتمر هو فلسطين التي تعتبر مركزاً روحياً، وثانياً لمكانة شكيب أرسلان الذي كان يحظى بسمعة طيبة في الأوساط العربية.

(5) الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص ص 199، 200. نقلاً عن: فلسفة العلماء، من كتاب سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بنادي الترقى بالعاصمة في سبتمبر سنة 1935، المطبعة الإسلامية الجزائرية، قسنطينة، ص ص 5-72.

(6) حسب الدكتور علي مزاد: لرفض الاندماج كان لا بد من التثبيت بالعروبة والإسلام، وهو ما أدى بالصحافيين الفرنسيين إلى اشهار فزاعة القومية الإسلامية والقومية العربية والصاقها بالجمعية، والذي كان في حد ذاته شكلاً من أشكال مقاومة الإسلام واللغة في الجزائر. أنظر: علي مراد، المرجع السابق، ص ص 176-180. لمزيد من التفاصيل حول الدعاية الفرنسية بشأن القومية والوهابية أنظر: الفصل الرابع من هذه الدراسة.

تخدم سياسة أجنبية، ويجاري الطبيعة أحيانا فيقول: إنها تعمل للجامعة العربية أو الإسلامية... فيرد الإبراهيمي قائلا: "إن الجمعية تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا... فإذا كانت هذه الأعمال في نظرك (=الاستعمار) سياسة فنحن سياسيون في العلانية والسر... مادام الإسلام عقيدة وشعائر وقرآنا وحديثا وقبله واحدة، فالمسلمون كلهم أمة واحدة، ومادامت اللغة العربية لسانا وبيانا وترجمانا، فالعرب كلهم أمة واحدة... فلا إسلام جزائري كما تريد ولا عنصرية بربرية"<sup>(1)</sup>.

لهذا نشير إلى أن كثيرا من أنصار الحركة الإصلاحية (=جمعية العلماء خاصة) لاسيما الشباب منهم أصبح يثني على الدور الكبير الذي لعبه هؤلاء الرواد بنهضتهم، فاتحين أبواب العالم العربي على الجزائر (كمصر، والسعودية، وسوريا، ولبنان، وفلسطين... والسبب في معرفتهم أكثر بشؤون القومية العربية واعتزازهم بها<sup>(2)</sup>)، خاصة وأن الجمعية أصبحت ترسل البعثات العلمية إلى الجامعات والمعاهد العربية وتشرف على نفقاته ومصاريفها.

فالجمعية كانت دائما مصوبة النظر اتجاه المشرق العربي مصدر الغذاء الفكري، واتهمت من الإدارة الفرنسية في عديد المناسبات بالانتماء للفكر الوهابي و القومي الإسلامي، والقومي العربي<sup>(3)</sup>، فقد اتخذت العروبة ابتداء من الاحتفال المتقوي الاستفزازي 1930، طابعا سياسيا خاصة بعد تنامي النزعة الاندماجية، فأصبحت أكثر وضوحا ونضالا، فعجت جريدة الشهاب بقضايا العروبة وتحولت بمرور الوقت إلى منبر دائم لها، فشرعت تمجد كل ما من شأنه أن يعلي من قيمة اللغة العربية وتمجيد أيامها الخالدة والشخصيات التي لعبت دورا في التاريخ العربي الإسلامي<sup>(4)</sup>.

(1) جمعية العلماء: أعمالها ومواقفها: موقفها من السياسة والساسة، ع3، جريدة البصائر، 8 أوت 1947. الإبراهيمي، الآثار ج3، ص 61-63.

(2) علي مزاد، المرجع السابق، ص 252.

(3) نفسه، ص 438.

(4) علي مزاد، المرجع السابق، ص 438، 439. لم تقتصر الصحف الإصلاحية التابعة للجمعية على محاربة البدع والخرافات الطرقية، وكان هدفها الأسمى هو محاربة الاستعمار، والعمل على احياء معالم الشخصية الجزائرية وربطها برباط وثيق بالوطن العربي

وقد كثفت الجمعية من حركتها التعليمية حماية للدين الإسلامي واللغة العربية<sup>(1)</sup> و طورت المناهج الدراسية في مدارسها، وأولتها اهتماما كبيرا وتسابقت إلى الخروج إلى القرى والمداشر مع حزب الشعب لبناء المدارس الحرة في الأربعينات والخمسينات<sup>(2)</sup> لتعليم الجزائريين ومقاومة مشروع التغريب الفرنسي، وقد ظلت الجمعية في جرائدها خاصة لما أنشأت البصائر الأولى (1935-1937) وفيه لبعدها الإسلامي العربي، وكثير هي المقالات والخطب والتصريحات أبانت ذلك بالرغم من التوجس والتخوف.

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (1939-1945)، والدخول فيما يسمى إعادة بناء الحركة الوطنية الجزائرية واصلت الجمعية نفس الاهتمامات خاصة بعد نشأة جامعة الدول العربية، فقد أصدرت الجمعية جريدة البصائر في حلتها الجديدة ابتداء من 1947، واهتمت كثيرا بقضايا الجامعة العربية ومشاريع الوحدة بين سوريا ومصر، والتصدي للنزعة القطرية وأزمة التفرقة بين الأقطار، وكذا العمل على إيجاد أجيال متشبعة بروح التقارب والتعاون والاتحاد<sup>(3)</sup>.

ويقول الدكتور حميدي أبو بكر في هذا الصدد: "... أدى انتشار موجة الاستقلال والتحول التي طرأت على المشرق العربي بعد الحرب العلمية الثانية كاستقلال سوريا ولبنان (1946)، واستقلال

---

الإسلامي، وكذا إبراز التاريخ الوطني منذ القدم، ولعلنا نجد كثيرا من الصحف قد نشرت بها فصول كاملة من الكتب والدراسات التاريخية حول ماضي الجزائر. أنظر: عبد الكريم بو الصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1945)، دار البعث للطباعة والنشر، ط1، قسنطينة، 1981، ص 201، 202.

(1) يروي لنا السيد يخلف البوعناني أنه لما تخر من الزيتونة ومر بالشرق الجزائري، التقى بالعربي التبسي وبعث إلى مدرسة جمعية العلماء بندرومة/تلمسان مدرسا فيها قال له: "أنت سفير الحرف العربي هناك"، شهادة تاريخية مع الباحث يوم 24 أبريل 2015.

### بمنزله بمغنية.

(2) جيلاني عبد القادر بلوفة، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران: الخروج من النفق/من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية 1954، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008، ص 147.

(3) حميدي أبو بكر الصديق، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي (1947-1956)، دار المتعلم للنشر والتوزيع، صدر الكتاب في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015، ص 49.

الأردن (1946)، وليبيا (ديسمبر 1951) ونجاح الثورة المصرية (1952) وأخرى عل وشك الاستقلال إلى بروز الوعي والشعور بضرورة التقارب بين الأنظمة العربية، فاتخذت البصائر من هذا الظرف أداة لتشجيع مبادرات التقارب والوحدة التي بدأت منها المباحثات السورية المصرية والعربية السعودية حول إمكانية إقامة حلف عسكري وسياسي واقتصادي وكذلك مساعي سوريا نحو الأردن محاولة منها لانتشالها من الهيمنة البريطانية<sup>(1)</sup>.

هذا وقد عبر رجالات الجمعية وقادتها في كثير من المناسبات عن مواقفهم اتجاه الوحدة العربية والإسلامية، وقد اختلفت المواقف وتباينت خاصة في عهد الشيخ ابن باديس حيث لم تكن الأمور بالنسبة للعالم العربي واضحة بعد، في ظل وقوع غالبية الأقطار تحت الاستعمار لذلك نحاول تسليط الضوء على أهم المواقف والآراء فيما سيلي.

#### • الشيخ ابن باديس:

عبر في أكثر من مناسبة عن عروبة الجزائر في إطار الحضارة الإسلامية، وراح مدافعا عنها بشدة، ولعلنا نأخذ بعض الاقتباسات من تلك الكتابات فيقول في مقال له مبينا أثر اللغة العربية في وحدة الأمة: "... ليس الذي يكون الأمة ويربط أجزائها ويوحد شعورها ويوجهها إلى غايتها هو هبوطها من سلالة واحدة، وإنما يفعل ذلك هو تكلمها بلسان واحد، لو وضعت... شاميا وجزائريا - مثلا - ينطقان باللسان العربي ورأيت ما بينهما من اتحاد وتقارب في ذلك كله لو فعلت هذا لأدرت بالمشاهدة الفرق العظيم بين الدم واللغة في توحيد الأمم.."<sup>(2)</sup>، ويستشهد في نفس المقال بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم مبينا أن للقومية العربية أثر إيجابيا كبيرا في التطور الحاصل منذ قرون: "... قال صلى الله عليه وسلم: (أيها الناس، الرب واحد والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي...)... أنظر بعد هذا إلى ما قرره هذا النبي الكريم رسول الإنسانية

(1) نفسه، ص 53.

(2) ابن باديس، محمد صلى الله عليه وسلم رجل القومية العربية، الشهاب، م 12، جوان 1936، ص 138.

ورجل القومية العربية.. ففضى بكلمته على العصبية العنصرية الضيقة فنّبه على تساوي البشر... حتى كان ثمرة اتحادها وتعاونها ذلك التمدن الإسلامي العربي... وبذلك كانت الأمة العربية اليوم تجاوز السبعين مليوناً عدداً...<sup>(1)</sup>.

ويكتب ابن باديس مقالا بعنوان كيف صارت الجزائر عربية؟ مبينا الالتحام الحاصل بين الشعب الجزائري بقدوم العرب و يقول فيه: "... فلما جاء العرب وفتحوا الجزائر فتحا اسلاميا... دخل الأمازيغ من أبناء الوطن في الإسلام وتعلموا لغة الإسلام العربية طائعين... فامتزجوا بالعرب بالمصاهرة... فأقام الجميع صرح الحضارة الإسلامية، يعربون عنها وينشرون لوائها بلغة واحدة هي العربية الخالدة... فأصبحوا شعبا واحدا عربيا متحدا غاية الاتحاد، ممتزجا غاية الامتزاج... لقد تعربت الأمة الجزائرية تعربا طبيعيا صادقا... وليس تكون الأمة بمتوقف على اتحاد دمها ولكنه متوقف على اتحاد قلوبها وأرواحها وعقولها اتحادا يظهر في وحدة اللسان وآدابه واشتراك الآلام والأمال..."<sup>(2)</sup>.

ولكن ابن باديس كان لا يرى بين العرب وحدة سياسية حتى لو كانت بينهم وحدة قومية وروحية نسجت عبر آلاف عدة قرون فيقول: "إذا قلنا العرب فإننا نعني هذه الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الأطلانطيقي غربا، والتي فاقت سبعين مليوناً عدداً تنطق بالعربي وتفكر بها وتتغذى من تاريخها وتحمل مقدارا عظيما من دمها وقد صهرتها القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة... ولكن هل بينها وحدة سياسية؟" ويضيف ابن باديس مجيبا ومبدئياً رأيه: "الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب

(1) نفسه، ص 139، 138.

(2) ابن باديس، كيف صارت الجزائر عربية؟، الشهاب، م13، فيفيري 1938، ص 565، 566. يدافع ابن باديس أيضا عن الشخصية الامازيغية في مقاله هذا، يعني أنه لم يستثني قط ذلك البعد، وربما ظروف الاستعمار آنذاك جعلته لا يفصح عن كل المطالب وهو المعروف باستعمال التقية لقضاء الغرض (=التوعية والتعليم والإصلاح وتحاشي الصراع المباشر مع الخصم)، ويرى ضرورة الالتفاف حول العربية كلغة وثقافة، وربما لم يكن يرى من الضروري التحدث عن البعد الامازيغي في تلك الفترة الجد حرجة لكي لا يزيد الطين بلّة، خاصة وأن الفرنسيين كانوا يلعبون على هذا الوتر (=فترق تسد)، فابن باديس الذي لقب نفسه بالصنهاجي نسبة لقبيلة صنهاجة البربرية الضاربة في التاريخ المغربي قد تحاشى الدخول في هذا الجدل سواء عن قصد أو عن غير قصد، ولكن ما يمكننا الإشارة هو أن الرجل كان يؤمن بفكرة وجود أمة جزائرية قديمة صهرتها السنون خاصة بعد دخول العرب، وقد ألقى خطابا بنادي الترقى ليضع حدا لما كان يحدث من حساسيات عن بني يعرب وبني ما زيغ.

تسوس نفسها، فتضع خطة واحدة تسير عليها في علاقاتها مع غيرها من الأمم وتتعاقد على تنفيذها... أما الأمم المغلوبة على أمرها فهذه لا تستطيع أن تضع أمرا لنفسها فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها؟... فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول. إذا نظرنا إلى الأمة العربية على ضوء هذه الحقيقة فإننا نجد منها شعوبا مستقلة استقلالاً حقيقياً فهذه تمكن بينها الوحدة السياسية وتجب...<sup>(1)</sup>.

فنظرة ابن باديس للوحدة العربية سياسياً كانت إلا بعد استقلال كل أقطار أمة العرب من الاستعمار، فهو يرى بأن الوحدة ممكنة فقط بين الدول المستقلة تمام الاستقلال، ويستثني الأقطار الواقعة تحت الانتداب أو الحماية (=تونس والمغرب في الشمال الإفريقي مثلاً)، ويخشى أن تتضرر وتضيع البلدان المستعمرة كالجائر في حال تحقيق الوحدة<sup>(2)</sup>، والواضح أن ابن باديس بالإضافة إلى رأيه العقلاني يكون قد تأثر حتى برأي شكيب أرسلان في استحالة وحدة العرب سياسياً وضرورة تتبع المرحلة في ذلك، فقد أعطى الأمير أرسلان تحليلاً موسعاً لكيفية تحقيق وحدة الأمة العربية، ورأى أن ظروف الاستعمار في المغرب العربي يفرض عدم السعي لإدخاله في الوحدة السياسية تفادياً لعداء الغرب<sup>(3)</sup>، وقد عارضه الزعيم الليبي سليمان الباروني في هذا متهما إياه بالخيانة وبأنه قد تملص

(1) ابن باديس، الوحدة العربية: هل بين العرب وحدة سياسية؟، الشهاب، م13، جانفي 1938، ص ص 524، 523.

أنظر النص كاملاً في الملحق رقم 01.

(2) رابح لوني، المرجع السابق، ص 259 (المهامش رقم 01).

(3) نشرت جريدة الشهاب النص المتعلق بالوحدة السياسية وبالعرب شمال إفريقيا لصاحبها شكيب أرسلان والذي يقول فيها: "... وأما شمالي إفريقيا فهو عبارة عن أقطار عربية متصلة دينها بالإسلام... ويشعرون مع العالم الإسلامي بشعور واحد في السراء والضراء، فنحن مع شمالي إفريقيا بجميع قلوبنا... ولكن وحدتنا معهم لا تتعدى الوحدة الدينية واللغوية والثقافية والاجتماعية... فأما الوحدة السياسية بيننا وبين شمالي إفريقيا فليس من الممكن البحث فيها بالنظر إلى أوضاع تلك البلاد = الحاضرة، وهي أوضاع تختلف اختلافاً بعيداً عن أوضاع البلاد الغربية الشرقية... وإن كنا لا ندخل هذه الأقطار في برنامج الوحدة العربية الشرقية فلم يكن ذلك من قبيل الاستئثار بمصلحة الشرق الإسلامي دون الغرب الإسلامي فإنهما واحد، وإنما كان ذلك لأن الحكم في الموضوع السياسي العائد إلى المغرب منوط بإدارة أهله..." أنظر: نص خطبة الأمير شكيب

أرسلان، الشهاب، م13، جانفي 1938، ص ص 525، 526.

من قضايا شمال افريقيا ونضال حركاتها الوطنية وآمالها في الوحدة بأن أقصاها من المشروع<sup>(1)</sup>، وقد برر ابن باديس رأيه ورأي أرسلان قائلًا: "والأمير شكيب أرسلان الذي تعده الدول المستعمرة ألد أعدائها وتنسب إليه ظلما وزورا كل حركة تقع في الأمم المصابة باستعمارها، يصرح في خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة لأنه - وهو أكبر مدافع عن العرب والإسلام في الغرب والشرق - رجل عملي ليس بخيالي وسياسي مجرب خبير يعرف ما يقول ويفرق بين العمل المثمر والقول الفارغ الذي يثير الضجيج.. هذا رأينا في الوحدة السياسية بين شعوب العرب ونحن نعتقد أنه هو رأي جميع اخواننا العاملين في هذا الشمال"<sup>(2)</sup>.

كما أبدى ابن باديس رأيه في الصراع بين الزعيمين<sup>(3)</sup>، وبعد نقله بتصريف التصريحات اللذان صدرا عنها قال دافع عن شكيب أرسلان<sup>(4)</sup> بقوة وشاطره الرأي فيما يخص استحالة الوحدة العربية سياسيا

---

(1) يقول سليمان الباروني في النص الذي اقتبسه الشيخ عبد الحميد ابن باديس من جريدة الرابطة العربية: "... وأما شكيب فيعلن (بدون داع وبدون أن يسئله أحد عن رأيه في الاتفاق مع المسلمين المصابين بالاستعمار) براءته من المغرب الأقصى. إذ دفع فيها (=الخطبة) شكيب بإحدى يديه طرابلس برقة معلنا البراءة منها لرضاء إيطاليا... ويدفع شكيب باليد الأخرى تونس والجزائر ومراكش والسودان توددا لفرنسا المسيطرة على بلاده معلنا براءته من الجميع... أما وقد تظاهر اليوم بإعلان براءته من المسلمين المستعمرة بلادهم، فلم يكن بد من الكلام إذ قد علل بأنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها ونسي الأخوة الإسلامية التي لا يغفل عن ذكرها... الإهانة التي صوبها إلى اخوانهم رجال شمال افريقيا الأخ الأرسلائي طلبا لرضاء إيطاليا وفرنسا" أنظر: ابن باديس، مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين، الشهاب، م13، ديسمبر 1937، ص488.

(2) ابن باديس، هل بين العرب وحدة سياسية؟، المصدر السابق، ص 524 (أنظر الملحق رقم 01).

(3) لم يكن ابن باديس وحده الذي أدلى برأيه في هذه القضية، بل نجد كثيرين منهم ونذكر على سبيل المثال الشيخ بيوض الذي كتب سلسلة من المقالات هو الآخر بعنوان "الفرقان بين أميري السيف والبيان الباروني وشكيب أرسلان" ونشرها في جريدة الأمة، وقد انحاز إلى طرح شكيب أرسلان الذي يرى استحالة عقد وحدة سياسية بين الأقطار المستعمرة خاصة أقطار المغرب. للاستزادة: انظر مقالات الشيخ بيوض تحت اسم مستعار هو أفلح: الاعداد 156 إلى غاية 161 من جريدة الأمة. نقلا عن عبد المجيد بن عدّة، المرجع السابق، ص 451، 452.

(4) كانت لشكيب أرسلان علاقات مع الشيخ أحمد المصطفى ابن عليوة، وكانت جريدة البلاغ التابعة للطريقة تنشر مقالات أرسلان، لكن بعد وفاة ابن عليوة اتهمت الجريدة أرسلان بالعمالة لصالح إيطاليا وموسوليني وذلك بعددها الصادر بتاريخ: 29 نوفمبر 1935، وهذا ربما ما يتفق والاتهامات الموجهة له من طرف سليمان الباروني حول هذه القضية من ناحية إيطاليا

فيقول: "...ماذا يقول القراء بعد وقوفهم على الكلامين؟ ... أما نحن فقد قضينا والله عجباً من هذا البهت والتحامل اللذين لا مبرر لهما... لكن مع هذا نلتمس لسعادة الباشا العذر من مرضه الذي هو في حالة نقه منه والحمد لله... ليس فيما قلناه من كلام الأمير شيء تشم منه رائحة الإهانة، وكيف يكون من يصرح بتلك الروابط ويشير بالوحدة السياسية لعرب شمال أفريقيا مهيناً إخوانه كلاً، وإنما هو خبير مجرب وسياسي محنك يفرق بين ما يمكن وما لا يمكن إلا بعد زمان..."<sup>(1)</sup>.

وفي رأينا يكون ابن باديس قد توجس من فكرة تكرار تجربة الخلافة التي فشلت في تحقيق أهدافها، والتي يتحكم خليفتها في شؤون الأمة كاملة، و الذي سيكون بدوره ألعوبة متحكّم فيه من طرف الغربيين، و ينجر عنه بالتالي تحكّم الغرب في كل البلاد العربية، أما إن انفصلت كل أمة لوحدها - سياسياً - واختارت كل أمة (=جماعة المسلمين)، فحتى إن تعرضت إحدى الأمم العربية لاعتداء أو ضرر يهيكلها السياسي، فإنها تتضرر لوحدها وبالتالي يتضرر جزء من الأمة فيسهل معرفة الخلل، ويسهل بالتالي علاجه ولا يأتي بالضرر كلّ الأمة العربية الإسلامية.

أما ما عدا ذلك فإن الشيخ ابن باديس كان مدافعاً عن الانتماء العربي الإسلامي للجزائر<sup>(2)</sup> ومن الأوائل الداعين له خاصة عندما دافع ردّ على فرحات عباس مدافعاً عن الأمة الجزائرية<sup>(3)</sup>، كما اعتبر من المنظرين لكيفيات الاشتغال على ذلك الانتماء بالتعليم، والوعظ، والإرشاد وبناء المدارس، والاهتمام بقضايا الشرق وجموع الأمم الإسلامية حبا في الإسلام وغيره على الأمة لا تعصبا للقومية العربية كعرق كما كان عند بعض المشاركة، وترسخ ذلك في اتصالاته المتعددة مع رجال الإصلاح

---

فقط، خاصة وأن الطريقة العليوية معروفة بتمسكها براءة الخلافة الإسلامية ووحدة الأمة في مواجهة الغرب، لذلك لا زالت هذه القضية في حاجة إلى تمحيص ودراسة معمقة. أنظر: أبو القاسم سعد الله أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ص 124.

(1) ابن باديس، مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين، الشهاب، ديسمبر 1937 المصدر السابق.

(2) يقول ابن باديس: "إننا أكدنا في الكلمة الصريحة رغبتنا في الاحتفاظ بكياننا العربي الإسلامي فوق أرض هي أرض أبائنا واجدادنا، مع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد". ابن باديس، حول كلمتنا الصريحة، م12، جوان 1936، ص 177.

(3) ابن باديس، كلمة صريحة، الشهاب، م12، أبريل 1936، ص ص 46-51.

العرب والمسلمين على غرار الأمير أرسلان ومفتي القدس الكبير الأمين الحسيني<sup>(1)</sup>، وكذا العمل الميداني الذي كان قائما في الجمعية على عهده في رئاسة الجمعية خاصة في لجنة الاتحاد العربي لشمال إفريقيا التي كان يشرف عليها الشيخ عبد العزيز الثعالبي<sup>(2)</sup>، ولعل الدارس لمقالاته في الشهاب وباقي الصحف الأخرى يلحظ ذلك، ولكن ربما بعض كتاباته كانت دائما لا تريد أن تتكلم عن الجزائر المستقلة إلا بمساعدة مع فرنسا، وهو ما أعيب عليه كثيرا من قبل كثيرين سيما من أنصار حزب الشعب، كما أن ذلك كان يتنافى في نظرنا مع السعي لإقامة وحدة عربية أو إسلامية مستقبلا خاصة وأن فرنسا كانت تعول على اتحاد فدرالي مغاربي يتعاون مع فرنسا (سياسيا واقتصاديا خاصة) في حالة إذا ما فلتت من بين أيديها الأقطار المغاربية مستقبلا بحيث يقول ابن باديس: "إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد... وليس من العسير بل أنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك إنجلترا مع استراليا واتحاد جنوب إفريقيا، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر، هذا هو الاستقلال الذي نتصوره - لا الاستقلال الذي يتصوره خصومنا المجرمون استقلال النار والدماء، وهذا هو الاستقلال الذي نستطيع أن نحرز عليه مع الوقت وبإعانة فرنسا وإرادتها، وإننا لا نخشاه ولا نخشى البحث فيه"<sup>(3)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، ص 114. أيضاً: علي مراد، المرجع السابق، ص 442.

(2) CAOM, a45-25h32, dossier3, renseignement sur l'activité du destour et a une agitation prochaine en Tunisie, Alger le 10octobre1936. تعرض هذه المذكرة الاستخباراتية. العلاقات التي تجمع بعض قادة حزب الدستور بجمعية العلماء، وخاصة زيارة المدعو السي الهاشمي بن أحمد إلى الجزائر العاصمة، وهو المكلف بالعلاقات بين جمعية العلماء وهيئة الاتحاد العربي لشمال إفريقيا بتونس، برفقة علي بن محمد الشريف، وأحمد حضرة، لكن مع كل الاتفاقيات وضرورة التعلق بالوحدة العربية، فإن المفاوضات والمشاورات كانت دائما جارية خاصة بين التونسيين والفرنسيين حول المطالب كما جاء في نفس المذكرة وهو ما كان يصعب في الحقيقة حلم الوحدة العربية والمغاربية، خاصة امام الوضع الجزائري الذي كان يبدو أكثر تعقيدا، فقد تزامنت هذه الفترة مع مناقشة مشروع بلوم فيوليت والمؤتمر الإسلامي.

(3) ابن باديس حول كلمتنا الصريحة، م12، جوان 1936، المصدر السابق، ص 177، 178.

• الشيخ محمد البشير الإبراهيمي (1):

الرجل الثاني في الجمعية وخليفة ابن باديس، الخطيب الأمامي الذي امتاز خطابه بالمبدئية (2) والواقعية (3) والانفتاح (4)، أيد بقاء الجامعة الإسلامية رمز الوحدة ابتداءً من أيام تدريسه بدمشق حسب شهادة ابنه طالب الإبراهيمي، فيروي الابن أنه لم يجد لأبيه كتابات في هذه الفترة رغم نشاطه العلمي والثقافي الكبير، الذي تشهد عليه عدة شخصيات أمثال: عبد الرحمن شهنندر والدكتور جميل صليبا (5)، فرحلة الإبراهيمي المشرقية الأولى قد أعطته تصورا للوضع العام العالمي والإسلامي خاصة، فكانت عودته إلى الجزائر كانت محملة بمشروع نهضوي يدخل الأمة الإسلامية في دائرة التقدم

(1) محمد البشير الإبراهيمي (1889-1965): ولد بقرية أولاد إبراهيم بنواحي سطيف، حفظ القرآن الكريم ودرس على علماء ومشايخ سطيف ومنهم عمه الشيخ محمد المكي الإبراهيمي، ارتحل إلى المشرق سنة 1912، فدرس بالأزهر ثم درس ودرّس بالمدينة المنورة ثم بدمشق، عاد إلى الجزائر بعد نهاية الحرب ع 1، انضم على رجالات الإصلاح في الجزائر وساهم بقدر كبير في نشر الثقافة العربية وبعث اليقظة العربية الإسلامية، يعد من أبرز المؤسسين لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931، والرجل الأول فيها بعد وفاة ابن باديس، أرغم على الإقامة الجبرية في الأغواط عقب اندلاع الحرب ع. 2، ارتحل إلى المشرق مرة أخرى عام 1952، وزار عدة دول عربية وإسلامية معرّفاً بالقضية الجزائرية، له عدة كتابات ومقالات وخطب في الجرائد منها: البصائر، والتي نشرت في كتاب بعنوان: "عيون البصائر" للاستزادة عنه انظر: آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، (1929-1940)، دار الغرب الإسلامي ط 1، لبنان، 1997. أيضا: مجلة الثقافة، ع 87، خاص بالإبراهيمي ماي-جوان، الجزائر، 1985.

(2) المبدئية: العمل بمبادئ المصدر الإلهي (القرآن والسنة النبوية الشريفة) منهما المنطلق وإليهما المرجع المعين الذي ترتشف منه الحركات التحررية منهجها في التغيير والإصلاح.

(3) الواقعية: الواقع مصدر من مصادر المعرفة فالحكم الشرعي لا ينزل حتى ينظر في ظروف وملابسات الحادثة أو القضية.

(4) الانفتاح: باعتبار أن الخطاب لا يحقق النجاح مالم يفتح على محاسن الآخر الذي له مآثر وأمور إيجابية يشترك فيها مع الدين الإسلامي ويقاسمها فيها الرأي والعمل.

أنظر هذه التعاريف والخصائص في: شهرة شفري، الخطاب الدعوي عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: دراسة مقارنة بين عبد الحميد ابن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الدعوة الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم أصول الدين، جامعة الحاج لخضر باتنة، 2009، ص 163.

(5) آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، المصدر السابق، ص 10.

والتحديث منطلقا من الإسلام (=المبدئية) فقد زواج هو الآخر بين ضرورة الاتحاد الداخلي والاتحاد الخارجي.

يكتب الإبراهيمي مقال بعنوان: "الإسلام والمسلمون: شجون من الحديث عنهما وعن الإصلاح الديني"، يؤكد فيه على توقع الجزائر في الأمة الإسلامية مستفيدة من عاملي الدين واللغة، شأنها شأن باقي الأمم الإسلامية الأخرى فيقول: الأمة الجزائرية هي قطعة من المجموعة الإسلامية العظمى من جهة الدين... فالأمم الإسلامية بهذا الدين وبهذا اللسان (=العربي) وحدة متماسكة الأجزاء يأبى لها الله أن تفرّق وإن كثرت فيها دواعي التفرّق ويأبى لها دينها- وهو دين التوحيد- إلا أن تكون موحدة... إن العصبية لأصل البلاء كلّ فنشأت فيهم (=المسلمون) العصبية إلى الجنس.. والعصبية إلى الرأى... والعصبية للآباء والتعصّب للأشياخ... لهذه العصبيات صارت الأمة الواحدة أما وصارت السبيل الواحدة سبلا... وتراخت حبال الأخوة الإسلامية"<sup>(1)</sup>.

ولعل الدارس لفكر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يلحظ بقاء الجامعة الإسلامية في فكره وضرورة وحدة المسلمين إن عاجلا أو آجلا تدور مرارا وتكرارا، فقد استغل فرصة بعث التعازي لعائلة الفقيد علي الحمامي الذي توفي إثر انفجار الطائرة التي كانت تقله إلى باكستان فكتب: "... إن البصائر لتحبي للمرة الثانية أرواح هؤلاء الشهداء، وتتقدم بتعازيها الخالصة أولا وأخيرا إلى أمة الباكستان الشقيقة والعالم الإسلامي الذي أثبت وحدته في هذا المؤتمر، وحقق فكرة الجامعة الإسلامية رغم المفترين الذين يقولون باستحالتها من عند أنفسهم... رحم الله شهدائنا جميعا، وهدى شبابنا إلى الاستنارة بتضحياتهم، والسير على ضوء بطولتهم وجهادهم حتى يتموا ما بدأوا، ويشيّدوا ما رفعوا من قواعد الجامعة الإسلامية"<sup>(2)</sup>.

فتمسك الإبراهيمي بجملة الجامعة الإسلامية هو ما يميزه في نظرنا عن الشيخ ابن باديس، فقد ظل ينشد بها وبوحدة المسلمين إلى آخر حياته بالرغم من انتهاء صلاحيتها، ويبدو أنه قد تأثر بزياراته

(1) جريدة السنة، ع4 بتاريخ: 1ماي 1933، أنظر: الإبراهيمي، الآثار، ج1، ص ص 107-110.

(2) كتب الإبراهيمي مقدمة لمقال الزعيم محي الدين القليبي الذي خصّه علي الحمامي، نشر بالبصائر، ع100، س3، سل2، بتاريخ: 26ديسمبر 1949، عن: آثار الإبراهيمي، ج2، ص333.

إلى المشرق وباكستان وإيران ودول العالم الإسلامي وكذا احتكاكه برجالات الإخوان المسلمين<sup>(1)</sup> بمصر والذين حملوا لواء التوجه الوحدوي الإسلامي ودافعوا عنه في أكثر من مناسبة ووقفوا حتى في وجه القومية التي تبناها عبد الناصر، وكما تأثر بزيارات الشخصيات العربية والإسلامي للجزائر من ذوات نفس الاتجاه فكتب مقالا بعنوان: "من ثمرات الأخوة الإسلامية... شخصية باكستانية تزور الجزائر" فيستبشر خيرا بها وبالمؤتمر الإسلامي الذي كان سيعقد في باكستان فيفري 1951<sup>(2)</sup>، كما نجده يكتب مقالا آخر بعنوان: "حركة الإسلام في أوروبا" يتأسف فيه على الجالية المسلمة في أوروبا والتي انبهرت بالحضارة الغربية ونست مبادئها الإسلامية وهدفها الرئيس وأضححت تفتخر بالانتماءات الإقليمية والقطرية والعرقية فيقول: "... إنك لترى للمسلمين وجودا في كل قطر... ولكنهم متفرقون في زمن أصبح فيه التكتل شرطا للحياة، ومتباعدون في وقت أصبح فيه التقارب أساسا للقوة، ومتناكرون في عصر أصبح فيه التعارف أقوى وسائل التعاون، ومنصرفون عن الجامعة الإسلامية إلى جوامع أخرى ضيقة الآفاق من جنسية وإقليمية..."<sup>(3)</sup>.

فالشيخ الإبراهيمي كان دائما من بين المؤكدين على ضرورة التشبث بالانتماء العربي الإسلامي وكذلك الجسد الشرقي وذلك من أجل الحفاظ على الهوية ومن ثم مقاومة الاستعمار، والإبراهيمي عكس ابن باديس يؤكد على الجزائر العربية أكثر من تركيزه على الجزائر المسلمة<sup>(4)</sup>، فقد ألقى خطابا

---

(1) حركة الإخوان المسلمين: جماعة إسلامية تأسست في 1928 بقيادة الأستاذ حسن البنا، تبنت الإصلاح العقائدي والسياسي وانتشرت أفكارها في عموم العالم الإسلامي، والمعروف ان البشير الإبراهيمي احتك بالإخوان كثيرا وخطب في نواديهم = وقد قام بمحاولة اصلاحية بينهم وبين جمال عبد الناصر ورجال الثورة ليقرب وجهات النظر فيما بينهم (الإسلام-القومية). أنظر شهادة محمد الغزالي في هذا الموضوع، الإبراهيمي، الآثار، المرجع السابق، ج4، ص7.

(2) البصائر، ع136، س4، بتاريخ: 8 جانفي 1951. الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص375.

(3) البصائر، ع147، س4، سل2، بتاريخ: 19 مارس 1951، الإبراهيمي، الآثار، ج2، ص386.

(4) أثرت الهجرة المشرقية التي قام بها الإبراهيمي كثير في تشبثه بالعروبة هذا من جهة أنظر: رايح لونييسي، التيارات الفكرية، ص339. من جهة أخرى تنامي التيار القومي في المشرق وتغلغله في الأقطار المغاربية بعد سقوط راية الخلافة وتداول مصطلح العروبة أكثر من الإسلام، وحسب رأينا ان الجمعية بعد ابن باديس لم تبق نفسها بعده فقد تغيرت الكثير من آرائها

أمام الوفود العربية والإسلامية في الأمم المتحدة بشعبة الجمعية بباريس من جملة ما جاء فيه: "... أيها الإخوان... أحييكم باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، أحييكم باسم الجزائر العربية المسلمة... وفرع من شجرة العروبة... وما زالت متصلة بالشرق الإسلامي... كانت وما زالت متمسكة بجبله إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... أيها الإخوان إن القوم درسونا وفهمونا، وتيقنوا أننا لن نضيع ولن نفنى ما دمنا متمسكين بالعرى القوية من الإسلام والعربية والشرق..."<sup>(1)</sup>.

وهذا الخطاب لم يكن الأول من نوعه ولا الأخير، فقد عُرف الشيخ البشير الإبراهيمي بترحاله في سبيل القضية الجزائرية والعربية الإسلامية، وعُرف بطلباته ليد المساعدة من ملوك ورؤساء الدول العربية من أجل دعم الثورة المسلحة، ومن ثم استغل ذلك في المناداة بالوحدة العربية الإسلامية، وضرورة مساندة الشعوب الرازحة تحت نير الاستعمار موظفا دبلوماسيته وحنكته وعلاقاته الواسعة بالعلماء والمفكرين، والرؤساء والزعماء<sup>(2)</sup>، فكان بذلك رجلا جزائريا وعربيا اسلاميا وحدويا بامتياز.

هذا ونجد عديد رجالات الجمعية ممن دعوا للوحدة العربية وأملوا في قيامها وإن كانت بعيدة المنال على الواقع، ونذكر بعض النماذج علس سبيل المثال لا الحصر:

---

ومواقفها وظهرت مواقفها السياسية بعد الحرب العالمية 2، فحاولت التعامل مع الظروف المحلية والإقليمية والعالمية المتسارعة خاصة بعد مجازر 8 ماي 1945، أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، مصدر سابق، ص89. فالبشير الإبراهيمي كان عكس ابن باديس الذي رأى استحالة عقد وحدة سياسية بين العرب، بل رآها أنها يجب أن تكون عاجلا أو آجلا وسعى من أجلها من خلال الزيارات التي كان يقوم بها وربط العلاقات بين الأقطار الإسلامية، خاصة بعد تأسيس جامعة الدول العربية، التي فتحت باب الأمل على تحقيق استقلال الدول، ومن ثم وحدتها هذا من جهة، وتأزم القضية الفلسطينية التي تجمع شمل العرب = من جهة أخرى. أنظر: نبيل بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، 1990، ص ص 129 - 136 .

(1) البصائر، ع 183، س 5، سل 5، بتاريخ: 18 فيفري 1952، الإبراهيمي، الآثار، ج 2، ص ص 464-472.

(2) بشرير وهبية، النشاط الإصلاحي والسياسي للإمام محمد البشير الإبراهيمي (1940-1962)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2012، ص 88.

نجد من بين الشخصيات الغامضة في الحركة الإصلاحية عامة والجمعية خاصة الشيخ "الطيب العقبي"، وذلك بسبب موافقه الحادة والقوية وكذا شخصيته الكارزمية المميزة، ومن بين أشد المتأثرين بضرورة قيام الوحدة العربية الكبرى، كان هذا الرجل قد تأثر بالبيئة الحجازية في رحلة عائلته إلى هناك<sup>(1)</sup>، ولما دخل إلى بسكرة عام 1920 سعى وهو محاط بعدد من أقربائه لنشر المذهب الديني على الطريقة الوهابية<sup>(2)</sup> وناقلا معه إلى الجزائر يقظة القومية العربية والقومية الإسلامية، فأصبح حلمه هو بعث الإمبراطورية العربية والخلافة الإسلامية العالمية<sup>(3)</sup>، انتقل بعدها إلى الجزائر العاصمة وبالخصوص إلى نادي الترقى، وأصبح مكلفا بالدعاية والخطابة فيه، متطرقا للأوضاع الاجتماعية والدينية والثقافية ومناقشا لأمر المسلمين، وقدّرت محاضرات العقبي الأسبوعية بالنادي أكثر من خمس محاضرات أسبوعيا، وهي التي لقيت اقبالا كبيرا من طرف الشباب والمحامين والأطباء والمتقنين حتى بالثقافة الفرنسية، بغية ربطهم أكثر بالهوية العربية الإسلامية<sup>(4)</sup>، لكن العقبي قد اصطدم بجملة من العراقيين حسب الدكتور علي مرّاد، فهو رجل تربى في بيئة حجازية جد صعبة ومتشددة، ولما انتقل للعاصمة<sup>(5)</sup>، وجد مجتمعا برجوازيا مثقفا ثقافة نسبية قد ضربت فيه الحضارة، وبالتالي وبالرغم من تأثير لهجته الإصلاحية الحادة لم تكن طريقته كفيلة بالتأثير على هذا الوسط العاصمي<sup>(6)</sup>.

(1) أنظر للاستزادة: كمال عجالي، من أعلام الجزائر في الحجاز: الطيب العقبي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة 1، ع

14، 2000، ص ص 139-157.

(2) علي مرّاد، المرجع السابق، ص 108.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 232: نقلا عن: desparmet, l'a.f.n7, 1937, p354،

(4) الوناس الحواس، المرجع السابق، ص ص 167، 168.

(5) كان للجزائر العاصمة وزن سياسي وثقافي كبير باعتبارها قلب الجزائر، وقريبة من مقرات الإدارات والمسؤولين، ومقرات الصحف ووكالات الأنباء، كانت المدينة التي يلتقي فيها كل البشر من جميع الأجناس، ومختلف الأعمار والمهن، لذلك اعتبر الموقع الذي أقيم فيه نادي الترقى مكانا راقيا يسهل منه بث الدعوة وتحريك النشاط، خاصة وأن طبقة برجوازية من العاصميين هي التي تكلفت بأعباء النادي، لذلك الأفكار أو النشاطات قد تلقى إما رواجاً أو نفورا بسبب اختلاف المشارب. أنظر حول الاجتماع لتأسيس نادي الترقى: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 2، ص 110. أيضا: الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 140.

(6) علي مرّاد، المرجع السابق، ص 112.

كما نجد أيضا نجد من بين الشخصيات البارزة الشيخ أبو يعلى الزواوي الذي أعطى رأيه في مسألة خلافة ووحدة المسلمين في كتاب بعنوان "الخلافة قرشية" ويوافق فيه طرح عبد الرحمن الكواكبي في جعل الخلافة الإسلامية عربية قرشية وفي قریش<sup>(1)</sup>، وهذا ما يتوافق وطرح الوهابيين في الحجاز، وربما رحلته المطولة إلى هناك قد جعلته يتبنى ذلك الطرح.

ونجد أيضا من بين رجالات الإصلاح البارزين في هذا الميدان الشيخ محمد السعيد الزاهري الذي عرف بوطنيته منذ كان من محرري جريدة الإقدام لصاحبها الأمير خالد، فتشبع بأفكار الوحدة خاصة لما كان الاستعمار الفرنسي يسعى للتفرقة بين العرب والبربر<sup>(2)</sup>، وقد دحض الإشاعات التي كانت تروج حول إفريقيا اللاتينية، وسهولة قابلية البربر لمشاريع الإدماج والفرنسة... الخ، فكتب مقالا يرد فيه على تلك الإشاعات والدسائس مبينا روح الانتماء القوية للجزائر لكل ما هو عربي إسلامي<sup>(3)</sup>، ليس ذلك فقط وإنما كل المغرب العربي متصل بالشرق ويشكلان معا أمة واحدة لها مقومات مشتركة ولا بد على شعوبه أن تتحد وتستقل من الاستعمار<sup>(4)</sup>.

- 
- (1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص ص176، 177.
- (2) حول هذا الموضوع راجع مثلا: أحمد بن نعمان، ابن باديس والمغالطة العرقية في القومية، مجلة الوعي: مجلة فكرية ثقافية شهرية تصدر عن دار الوعي، ع1، جويلية 2010، عدد خاص بعبد الحميد ابن باديس، الجزائر، ص ص56-58.
- (3) السعيد الزاهري، هل البربر عرب؟ وهل لغتهم لغة ضاد أخرى؟ الزمان، س6، ع221، بتاريخ: 14-08-1934، ص ص2، 3. نقلا عن: أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحى عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2006، ص 186.
- (4) السعيد الزاهري، نحن أمة واحدة في هذا المغرب العربي، المغرب العربي، س2، ع35، بتاريخ: 26-11-1948، ص1. يبين الزاهري مدى حب الجزائريين والمغاربة عموما للشرق ومدى حضور أقطاره في الوجدان خاصة مصر، وقد راسل جريدة الرسالة المصرية بمقال بعنوان: "مكانة مصر في المغرب العربي" يبين ذلك وكتب أشعارا حولها (راجع الفصل الثالث من هذه الدراسة حول أدب النضال). للاستزادة في الموضوع راجع: أحمد بلعجال، المرجع السابق، ص ص191، 192.

ونجد أيضا من الناشطين في هذا الميدان الأديب العالم فرحات بن الدراجي الذي كتب عديد المقالات والافتتاحيات في الشهاب، والبصائر الأولى والثانية، كما كتب في الجرائد الأولى التابعة للجمعية كالسنة والصراط والشريعة، معالجا مختلف المواضيع ومدافعا عن الانتماء العربي الإسلامي للجزائر<sup>(1)</sup>، كما برز الشيخ أبو اليقظان أيضا كمصلح يدعو إلى التضامن والاتحاد العربي، وهو الذي كانت له مراسلات عدة مع شكيب أرسلان حول مستقبل البلاد العربية والإسلامية وحاضرها مع الاستعمار، وداعيا حتى إلى إيجاد صيغ لتجديد الرأي العام الأوروبي لصالح الإسلام<sup>(2)</sup>، ويقول عنه الدكتور محمد ناصر: "...له غايات قومية وسياسية بعيدة وهو لا يتردد أن يصرح بها، ولا يخيفه أن يحاسبه المستعمر الفرنسي عليها فلطالما اتهم بأنه ينزع منزعا وهابيا له صلة بالحجاز أو يتشوف تشوفا عربيا له إجماعات من مصر..."<sup>(3)</sup>.

ونجد أيضا الشيخ مبارك الملي الذي عرف مؤرخا، وعالما، ومصلحا، والذي كان دائما يرى ضرورة التشبث بالتاريخ والأصول والتراث للحفاظ على الهوية وذلك من خلال التشبث بمقومات العربية والإسلام والانتماء الحضاري<sup>(4)</sup>، فقد سألته مجلة الرابطة العربية سؤالا عن إمكانية انشاء الإمبراطورية العربية، فردّ بمقال عن ذلك نشرته الشهاب ومن جملة ما جاء فيه: "الذي عندي في حالة العالم العربي الحاضرة أنها حسنة من ناحية الشعور بالآلام واليقظة إلى الآمال فيكاد العالم العربي يتحد في آلامه وآماله، ثم هي محتاجة إلى جهود جبارة، وأعين ساهرة لتثبيت ذلك الشعور وتلك اليقظة ووضع النظم العملية لاستغلالها تثقيفا واقتصادا حتى يعم الاتحاد سائر أسباب الحياة... واني استنكر لفظ الإمبراطورية لأنه من

(1) يقول عنه حمزة بوشوكة: "... لقد أبلى في سبيل جمعية العلماء البلاء الحسن، فاضطهد وسجن وله مواقف في الدفاع عنها مشهورة مشكورة، وأني أقسم أن صاحبنا لو عاش تحت سماء القاهرة لكان من أفذاذ زعمائها أو من هيئة كبار علمائها" أنظر: أحمد بن ذياب، فرحات بن الدراجي الأديب العالم، مجلة الثقافة، ص 6، ع 35، أكتوبر-نوفمبر، 1976، ص 40.

(2) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج 4، المصدر السابق، ص ص 123، 124.

(3) محمد ناصر، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المرجع السابق، ص 132.

(4) عن خطابة الإصلاحية راجع: سليم مزهود، المرجع السابق، ص ص 210-224. راجع العنصر المتعلق بكتابات التاريخية في الفصل الثالث من هذه الدراسة حول أدب النضال.

مواد القاموس السياسي... والرشد أن لا يمس وضع العالم العربي الحاضر من الوجهة السياسية بأدنى تغيير... وواجب الصحافة الصادقة الرزينة... هو العمل المنظم لتوحيد العالم العربي فإن الحياة السياسية أراها في وضعنا الحاضر نتيجة لا مقدّمة"<sup>(1)</sup>.

ويعطي مبارك الميلي الأسباب الكفيلة بتحقيق تلك الوحدة مستقبلا فيقول: "يبدأ العمل لوسائل العزة العربية بكل ما يربط بين الشعوب ويحقق الوحدة، وذلك بإنشاء الجمعيات والصبر على ما يعترض من عقبات في تحقيق ما نأمله للعرب من خيرات، أعمال الجمعيات متنوعة الوسائل متحدة الغايات أذكر منها: توحيد الثقافة... توحيد الأخلاق... توحيد الدين... هذه نواح ثلاث تتوقف عليها الوحدة العربية. فتجب المبادرة بالعمل لها، أما الأعمال الاقتصادية والصناعية وما يقرب علينا اللّهجات واللباس العادات فيمكن تأديتها مصاحبة للنواحي الثلاث إن لم يعجزنا فقر الرجال"<sup>(2)</sup>.

ونجد أيضا كتابات الأمين العمودي<sup>(3)</sup> والشيخ العربي التبسي وعديد الأدبيات لرجال الجمعية متناثرة هنا وهناك، عددها كثير وحصرها عسير تدعو لقيام وحدة بين العرب والمسلمين، ولكنها تختلف من شخص لآخر، وأغلبها مطالب وحدة قائمة على أسس منطقية وعملية بعيدا عن العواطف العمياء والشعارات الرنانة التي لا تجدي نفعا.

ولعل من خلال ما قلناه سابقا قد يتبادر لذهن القارئ الموقف المنافي الذي وقفته جمعية العلماء في المؤتمر الإسلامي المنعقدة جمعياته العامة في 7 جوان 1936<sup>(4)</sup>، وهي التي كانت إحدى أطرافه، فعدد

(1) رد الأستاذ مبارك الميلي عن الإمبراطورية العربية، الشهاب، م12، ديسمبر 1936، ص ص 455-458.

(2) ردّ مبارك الميلي، المصدر السابق، ص 458.

(3) عنه أنظر: حمزة بوشوكة، الأمين العمودي (شخصيات منسية)، مجلة الثقافة، س1، ع6، جانفي 1972، ص ص 46-62

(4) عنه يقول سعد الله: "... يعتبر أول تجمع من نوعه في الجزائر فلم تعرف الجزائر طيلة أكثر من قرن جمعا تشترك فيه كل الاتجاهات وتمثل فيه مختلف الطبقات وتبرز خلاله وحدة الصف والكلمة على مطالب معينة مثلما حدث في المؤتمر المذكور..." وقد اشتركت فيه عدة جهات مختلفة: الشيوعيون والاشتراكيون والعلماء وكتلة، والمرابطون، والفلاحون، لذلك كان من الصعب التوفيق بين المطالب في صياغة عريضة موحدة، وهذا ما استلزم التنازل والتسامح والتقارب. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص ص 151-153.

رجال الحركة الوطنية وحتى الدارسين للتاريخ الجزائري أتهمها بالخروج عن خطها ومسارها وارتكابها خطأ جسيماً، وهذا ما يتنافى ودعوات الوحدة الإسلامية والعربية وحتى المغاربية التي كانت تنادي بها منذ سنوات، فوجهت أصابع الاتهام إليها أكثر من الأطراف الأخرى المشاركة في المؤتمر طمعا في ليونة الجبهة الشعبية الواصلة حديثا إلى الحكم، فيقول بن يوسف بن خدة في هذا الصدد: " .. بالرغم من أن ابن باديس ينتمي إلى تيار العروبة والإسلام، إلا أن الخط السياسي الذي قرّر انتهاجه كان عديم الجدوى"<sup>(1)</sup>.

لا نستطيع أن نقول أكثر مما قاله الدارسون والباحثون المتخصصون في هذا الموضوع، ولكن العديد اعتبر أن الخطوة التي قامت بها الجمعية هي تراجع بخطوة إلى الوراء، فيما رأى العلماء أن المشاركة في المؤتمر كانت باسم رجال الجمعية وليس باسم الجمعية، كما رأى كثيرون أن مشاركة الجمعية كان إيجابيا لأنها لو لم تشارك لصيغت فقط المطالب الاندماجية والمساواتية الطامعة في مشروع فيوليت، فدخول الجمعية كان للمطالبة برفع الخناق على التعليم والدين الإسلامي في الجزائر، واعتبار اللغة العربية أساسية ورسمية شأنها شأن الفرنسية وهو المطلب الكلاسيكي القديم الذي التزمت به الجمعية إلى أن أصبح مطلبا ذو أبعاد سياسية واضحة<sup>(2)</sup>، فالإسلام الديانة الرسمية والأولى في الجزائر ، واللغة العربية لغته وكلاهما يضمن التشبث بجسد الأمة العربية ، فقد اعتبر ابن باديس أن المؤتمر هو انتصار وثالث رمز فخر له شخصيا بعد "المنتقد" و"الشهاب"<sup>(3)</sup>.

وفي نظرنا أن المرحلة في المطالب، و تغيير نظام الحكم ووصول الجبهة الشعبية إلى الحكم وبوادر الحرب العالمية قد دفع ابن باديس والجمعية لعقد مؤتمر وطني ظرفي علّه يعود بالفضل على الجزائريين بالخير بالرغم من التنازلات المقدمة، بالإضافة إلى أن ابن باديس كان قد تراجع تدريجيا عن فكرة الخلافة

(1) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، ط2، دار الشاطبية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012. ص92.

(2) نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص420

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المرجع السابق، ص161.

وكان يرى وجوب قيام كل رجال الأقطار خاصة المستعمرة بدورها في التعامل مع السلطات والحكومات لتغيير الأوضاع إلى الأحسن<sup>(1)</sup>، خاصة بعد الضعف والوهن الذي أصاب المسلمين وصعوبة وحدتهم التي راحت تبدو أكثر من مستحيلة خاصة وأزمة فلسطين التي بدأت تتفاقم.

## 2-3- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات التيار الاستقلالي:

قد يتهيأ للقارئ أننا عندما نقسم المواقف حسب التيارات فإن ذلك إنما يعود للتباين أو الاختلاف بينها فيما يخص نظرتها للقضايا العامة، أي نعم هو كذلك ولكن على مستوى الكيفيات والطرق لا غير، أما الدعوة إلى الوحدة العربية الإسلامية فإنها كانت متلازمة ولازالت مع الجزائريين بمختلف شرائحهم وانتماءاتهم الفكرية والسياسية منذ القدم، وبالخصوص عندما وطأت أرجل المستعمر أرضهم، لذلك عبروا وبشدة عن دفاعهم المستميت عن الوطن في إطار الدين الإسلامي، فلا شك ولا ريب أن جميع فصائل المقاومة الشعبية، والحركة الوطنية، والثورة كانت تحلم بوحدة العالم الإسلامي وتنشده دائما، وأن بوادر ظهور الجامعة الإسلامية كان من الجزائر لما اقتطع الصليبيون أول قطعة من جسد الأمة الإسلامية كما يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله<sup>(2)</sup>، ولكن ما يجدر بنا الإشارة إليه هو أن هذه النزعة عرفت تذبذبا جراء تغير الأحداث الحاصلة على المستوى العربي (=المشريقي) والمغاربي.

(1) مع ذلك كانت شيوخ الجمعية دائمي اللقاء مع القادة العرب والمغاربة، لمناقشة قضية الوحدة العربية، خاصة لما كانت الجمعية مشاركة في الاتحاد العربي لشمال إفريقيا الذي كان يترأسه الشيخ عبد العزيز الثعالبي، فتعد زيارة محي الدين القليبي للجزائر والتقاءه بجمعية العلماء وعلى رأسهم أحمد توفيق المدني دليل من ثمار العمل نخل الوحدة العربية وحتى الجامعة الإسلامية، ولكن على ما يبدو كانت مواقف أشخاص وليس موقف الجمعية الرسمي، وهو ما يشكل نوعا من الهلامية في اتجاه الجمعية هل مع فكرة وحدة مغاربية في إطار الأمة العربية الإسلامية، أم جزائر أو شمال إفريقي في إطار اتحاد فدرالي؟. أنظر عن زيارة القليبي:

CAOM, A46, 25h32، dossier n°12, rapport de (CIE) Alger : venus prochaine à l'Algérie de mahieddine elklibi président de vieux- deustour, Alger le1juillet1937.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المرجع السابق، ص514. نوافق من جهة أخرى رأي الدكتور عبد المجيد بن عدّة عندما يقول: "...نظر المثقفون الجزائريون إلى مسألة الوحدة العربية الإسلامية نظرة واقعية بعيدة كل البعد عن كل طرح

يرجع غالبية المؤرخين بروز التيار الاستقلالي في النضال السياسي الجزائري لتأسيس نجم شمال افريقيا بنونتيير سنة 1926<sup>(1)</sup>، ولعل تأسيسه من طرف الجالية المغاربية العاملة في فرنسا قد جعله مغتربا نوعا ما عن الثقافة الإسلامية، وبعيدا نوعا ما عن التأثيرات المشرقية التي عرفتتها الحركة الإصلاحية الجزائرية على سبيل المثال، بالإضافة إلى أن الفترة التي تأسس فيها الحزب تتزامن واطمحلال فكر الجامعة الإسلامية واهتبار الدولة العثمانية مع نهاية الحرب العالمية وتفرق عرب المشرق، لذلك راح العمل مغاربيا في الحزب لكن سرعان ما تجزأ (= الجزائر)، لكن مع الاحتفاظ بالرؤية المغاربية.

ولكن وبالرغم من نشأته في ديار المهجر لم يمنع ذلك المناضلين بالتفكير في كفاءات اتحاد العرب والمسلمين، ولكن ربما كانت تلك الصيحات والنداءات أكثر شدة من النشاط الوطني داخل الوطن حسب نظرنا ، وذلك لعدة اعتبارات، فالمهاجر كان دائم الحنين لكل ما يشتم من رائحة العروبة (=أو حتى البيئة الأمازيغية بالنسبة للقبائل الذين كانوا في المهجر وعددهم كثير) والإسلام والتاريخ والعادات والتقاليد<sup>(2)</sup>، خاصة وأنه يعيش في مجتمع لم ينشأ فيه وفي بيئة منافية تماما لما كبر عليه

---

طوباوي أو عاطفي...". أنظر: عبد المجيد بن عدة، المرجع السابق، ص 447. فبالرغم من أن الجزائريين بقيت معلقة قلوبهم بأمل الوحدة، إلا أن ضرورة اهتمام كل قطر بأمره بات أمرا محتوما لا مناص منه، وهكذا كان، بحيث أن جميع الشعوب التي تحررت تقريبا قد اعتمدت على ساستها واثقفيها وثورات شعوبها، بالإضافة إلى المساعدات العربية والإسلامية (=كحال الثورة الجزائرية مثلا)، لكن العامل الأول كان عاملا داخليا، وقد تفتنت الطبقة المثقفة (=الجزائر) لهذا الأمر مبكرا واستشهد العديد منها بالنص القرآني القائل: " إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ "، سورة الرعد، الآية 11.

(1) كان النجم ينشط تحت كنف الحزب الشيوعي الفرنسي، فظهر في إطار ما يسمى باسم اتحاد الشعوب المستعمرة الذي يضم في صفوفه العمال المهاجرين من مختلف المستعمرات، ويهدف إلى تكثيف الكفاح المناهض للإمبريالية على ضوء توجيهات الأمانة الشيوعية الثالثة. انظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 67. أنظر:

A .N.T, série : mouvement national, carton 18, dossier n° 1, rapport de président du conseil des affaires étrangères, n°1201, propagande communiste dans nos possessions da l'Afrique du nord, paris, le 11 septembre 1922. أنظر الملحق رقم 02

عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية، المرجع السابق، ص 16. أيضا: Amar imache, l'Algérie au carrefour ,la marche vers l'inconnu ,librairie de travail ,paris ,p4.

في وطنه الأصلي (=بلاد المغرب العربي)، ثم إن التقاء المغاربة هناك بعضهم بعضاً، ووصول الأخبار إليهم حول حرب الريف، وأمور الشرق العربي قد زاد من توهج التيار الإسلامي<sup>(1)</sup>، خاصة وأن الأفطار المغاربة كانت محتلة من طرف فرنسا التي يعتبرها أي شخص آنذاك بلدا نصرانيا جاء ليمحو عقيدة المسلمين ويغيرهم عن دينهم، وبالرغم من أنه يعيش مغترباً في نفس بلد المحتل إلا أنه يتذكر مرارا وتكرار الحال البائسة التي ترك عليها عائلته وأصدقائه قبل أن يهاجر.

فالنجم الذي كان يمثل الصوت المناادي باستقلال الجزائر والمغرب العربي (=الشمال الإفريقي) قد نشأ في بيئة غير البيئة الجزائرية، ولم يكن المنتمون إليه من النخبة أو الأوساط التقليدية المعروفة بمستواها الثقافي المرموق، بل نشأ بين أوساط عمالية تعيش حياة صعبة وتعرف كل أشكال الحرمان جراء هجرتها من بلدانها الأصلية تحت عامل الظلم والقهر<sup>(2)</sup>، ثم إن غالبية المناضلين المنتسبين لنجم الشمال الإفريقي هم عمال بسطاء، ثقافتهم محدودة يؤمنون بالشعارات التي يصدرها الحزب مهما كانت حدة لهجتها، وقليلو الخوض في المشاكل التي تعرفها النخبة فيما بينها مثلما كان حاصلًا في الأحزاب الجزائرية الأخرى، أو الجمعيات التي تعرف حضوراً نجوياً لا بأس به في مجالسها ومكاتبها وهياكلها.

### • نجم شمال افريقيا 1926-1937:

لا بد أن نشير أولاً وقبل كل شيء إلى تلك الدعوات والاجتهادات التي عمل عليها الأمير خالد الرئيس الشريف لحزب نجم شمال افريقيا، فقد صال وجال في سبيل اليقظة الإسلامية، والدعوة على النهضة والرجوع لعهد الخلافة<sup>(3)</sup>، فالأمير خالد الذي كان متشعباً بروح الثقافة العربية الإسلامية العربية كان لا يرى أبداً الجزائر ولا المغرب العربي بدون الشرق، خاصة وأنه من مواليد دمشق ومن

(1) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 17. (حديثه مع المناضل راجف بلقاسم).

(2) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، المصدر السابق، ص 65.

(3) عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، المصدر السابق، ج 1، ص 155.

أحفاد الأمير عبد القادر الذي كانت غالبية سلالته تعيش في بلاد الشام<sup>(1)</sup>، فمعالم العمل الوطني ارتسمت حسب الدكتور زوزو عبد الحميد بهجرة الأمير خالد إلى فرنسا سنة 1923<sup>(2)</sup>، وقد أنشأت هيئة إغاثة للمغاربة واصطبغت بصبغة دينية قومية، وبعثت هذه الهيئة بعدة برقيات إلى الأقطار المغاربية والعربية (=مصر)، وشكلت حسب المناضل علال الفاسي النواة الأولى والبرنامج الذي دافع عن المناضلون فيما بعد وهو الاستقلال التام، والتضامن مع الشعوب العربية كلها، والعمل على تحرير الشعوب المستعبدة في كل مكان<sup>(3)</sup>.

فبالرغم من أن النجم كان ينشط تحت كنف الحزب الشيوعي الفرنسي<sup>(4)</sup>، إلا أنه استقل تدريجيا منه، خاصة وأن عرف خلافات بين أوساطه ومناضليه حول خطة سير النجم المستقبلية<sup>(5)</sup>، وبالرغم من كل ذلك أيضا إلا أنه عرف في نظرنا وجود للتيار العربي الإسلامي بداخله لتشبع غالبية مناضليه بالقيم التاريخية والدينية لأقطارهم المغاربية، ولا نرى أنه انتظر حتى يأتي شكيب أرسلان في منتصف الثلاثينات كي يعطيه الصبغة العربية الإسلامية كما بالغ الكثيرون في ذلك الطرح<sup>(6)</sup>.

---

(1) عندما توفي الأمير خالد الجزائري رثاه احمد توفيق المدني بمقال في جريدة الشهاب ومن جملة ما جاء فيه: "...لقد خسرت الأمة الجزائرية زعيما محبوبا مخلصا... وخسرت العروبة فيه بطلا من خير أبطالها في هذا الزمن الأخير، وخسر العالم الإسلامي فيه رجلا من خير العاملين..." أنظر النص كاملا في: محمد قنانش، محفوظ قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص ص 17-24.

(2) عبد الحميد زوزو، الهجرة، المرجع السابق، ص 53.

(3) علال الفاسي الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص ص 13، 14.

(4) نشير إلى أن الشيوعيين قد استغلوا السمعة الكبيرة التي يتمتع بها الأمير خالد للتأثير أكثر في العمال الجزائريين. انظر: بكار العايش، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية (1937-1939)، دار شطايب، الجزائر، 2013، ص 120. نشير إلى أن هناك مركزا للبحث والدراسات في الحركات التروتسكية والشيوعية، يطرح الجرائد والوثائق في الموقع الالكتروني الخاص به، وهو بذلك يفيد الطالب في دراسة النجم ونشاته، خاصة وأن جنينة مصالي ابنة الراحل مصالي الحاج وضعت الكثير من الوثائق لدى المركز مؤخرا حسب ما أشار إليه الموقع. أنظر:

Centre d'Etudes et de Recherches sur les Mouvements Trotskyste et Révolutionnaires Internationaux, <http://cermtri.3.pagesperso-orange.fr/>

(5) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 63

(6) انظر العنصر المتعلق بشكيب أرسلان والمتوجع العروبي الإسلامي للنجم من هذا الفصل.

ولعل دعاة الاستقلال حسب رأي الدكتور رابح لوني سي هم الذين: "ينضون في التيارات والتنظيمات الوطنية والقومية في الإيمان بهدف أعلى، إما هو تحقيق الاستقلال، أو تحقيق وحدة الأمة (=مثل القومية العربية أو الألمانية)، أو استعادة أمجاد قومية ضائعة"<sup>(1)</sup>، كما أنه حسبه يصعب على الباحث تحديد المرجعية الفكرية الأساسية لهذا التيار، حيث أن خطبه، وموائقه، وصحافته تحوي كل المرجعيات والتيارات الفكرية، لكنها تعرف غلبه توجه معين في فترة وتراجعها في فترة أخرى<sup>(2)</sup>.

ولقد رأت بعض الكتابات بأن حزب نجم الشمال الإفريقي وبعده حزب الشعب الجزائري<sup>(3)</sup> ثم حركة الانتصار، لم تولي في أديباتها اهتماما بالعروبة، أو الوحدة العربية لا قريب ولا من بعيد، وارتكزت في مطالبها على المطالبة برّد الاعتبار للغة العربية لا غير<sup>(4)</sup>، وهو في نظرنا حكم مسبق، وقاسي نوعا ما وجب التحقيق فيه، والتعمق أكثر في الموضوع لإثبات أو نفي ذلك<sup>(5)</sup>.

إنه من خلال دراستنا لكيفية نشأة النجم، ومطالبه التي طالب بها أكبر قوة عسكرية آنذاك ليس بالشيء السهل، فمن المستحيل الإفصاح عن كل ما يختلج الصدور وتدوينه في الوثائق والمراسلات

(1) رابح لوني سي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 109.

(2) نفسه، ص 112.

(3) تشير إلى أن الفترة الفاصلة بين حل النجم 1929 وتأسيس حزب الشعب 1937 قد ظهرت تسميات كثيرة له، فلناضلون كانوا دائما يحاولون إيجاد تغطية مناسبة لإخفاء نشاطهم، فبعد حل النجم نشطوا تحت اسم "جمعية نجم إفريقيا الشمالية"، ثم "جمعية نجم إفريقيا الشمالية المجيد" بعد ملاحظتهم من طرف الإدارة نشطوا تحت اسم "الاتحاد الوطني لمسلمي = شمال إفريقيا"، ثم فترة "جمعية أحباب الأمة" ثم بعدها أسس حزب الشعب. للاستزادة في الموضوع راجع: أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 212، 213.

(4) عبد الله ركيبي، الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2009، ص 62.

(5) ربما الفترة التي أُلّف فيها المرحوم عبد الله ركيبي هذا الكتاب لم تكن بعد قد ظهرت كل أدبيات التيار الاستقلالي للمؤرخين والقراء، وكانت الدراسات قليلة حول الموضوع، ثم أن تهميش إشارات الحركة الوطنية وعلى رأسهم مصالي لم يسمح حتى للمثقفين أن ان يعرفوا على فكر كل التيارات التي كانت تنشط في الحركة الوطنية، هذا بالإضافة إلى حجم المضايقات التي كانت تعرفها المنشورات (=الأدبيات عامة) التابعة للأحزاب مصالي.

والبرامج بشكل مباشر، ولكن ربما مطلب الاستقلال الذي رُفِعَ مبكراً بالنسبة للحزب في ظل بساطة امكانياته قد جعل الدعوة الى إيجاد حل للوحدة العربية الإسلامية بعيدة المنال، أو لنقل مشروع لم يكن وقته بعد، ففرنسا كانت تعتبر الجزائر أرضاً فرنسية مقسمة لثلاث عمالات، و الدلي أن المطالب الراديكالية التي طالب بها النجم بالاستقلال قد كلفته الحلّ في 20 نوفمبر 1929<sup>(1)</sup>، ولكن هذا لم يمنع أبداً النجم المجاهرة بضرورة التضامن بين المسلمين عامة وليس المغاربة فقط، كما عرفت أدبياته حضوراً للنزعة العربية الإسلامية، فالحنين إلى أيام الخلافة كما تكلمنا سابقاً كان لا يزال موجوداً خاصة وأنها سقطت فقط قبل سنتين من انشاء النجم، ثم أنه شيئاً فشيئاً بدأ هذا التيار يهيكل نفسه جيداً، ويتفتح على العالم الخارجي، ويواكب الأحداث الحاصلة في العالم العربي - الإسلامي خاصة بدخول عناصر جديدة (=متشعبة بالثقافة الدينية والقومية) إلى الحزب وهو ما سنتكلم عنه لاحقاً.

يروى مصالي الحاج في مذكراته، أنه في اجتماع للعمال المغاربة تم تنظيمه في ربيع 1925 بدار النقابات من طرف الحزب الشيوعي، حضرت جموع المغاربة بكثرة، فارتحل مصالي الكلام مخاطباً: "إخواني الأعزاء أنا مسرور لوجودي بينكم اليوم، أعتقد أن هذا اليوم يوم عظيم نعيشه، إن الله معنا و أتمنى أن يكون معنا دائماً، إننا نريد الحرية والعدل لبلادنا، وفي تاريخنا قد كان لنا خليفة عظيم قد نصر العدل كل العدل وهذا الخليفة العظيم هو عمر بن الخطاب، فقد كان وما زال محترماً من طرف جميع المسلمين، فقد كنا امبراطورية كبيرة تنطلق من الأندلس في اسبانيا إلى الصين. واليوم نحن بؤساء ومفرقين وفقراء، نحن في ديارنا أقل قيمة من الأجانب. لماذا هذا؟ لأننا ابتعدنا عن الله وعن المبادئ الإسلامية. لا بدّ أن نرجع إلى الله إلى حضارتنا وإلى ماضيها التاريخي، ولذا لنحب بعضنا ولنتحد على الله الباقي... إخواني الأعزاء، إن الله قال بأنه يجب عليكم أن تتحركوا ولا بد أن تفعلوا شيئاً، إن الله لا يحب المتحجرين ولا يحب البائسين"<sup>(2)</sup>.

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 70

(2) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 126، 127.

فهذا الخطاب لخير دليل على تشبع مصالي خاصة بالروح العربية الإسلامية، والحنين إلى أيام الاتحاد والقوة من جهة، وهو من جهة أخرى يحاول أن يصل إلى أعماق المشاعر لشحن الهمم، خاصة وأن الخطاب كان ارتجاليا، لم يخضع للترتيبات أو التحضيرات المسبقة، كما يذكر مصالي أيضا أنه كان يجتمع مع مجموعة من المناضلين في بدايات عهد نجم شمال افريقيا لتحليل الأوضاع، وقد وضع مخططا يشرح فيه النشاط الذي كان معولا عليه في المستقبل ومن بين النقاط البارزة التي سجلها يذكر<sup>(1)</sup>:

✓ ذكر عظمة الحضارة الإسلامية واشعاعها في العالم، وذكر الحضارة العربية في اسبانيا والعرب في بواتيه.

✓ ابراز عظمة الثورة الكمالية وشخصية مصطفى كمال المرموقة.

✓ المبادئ الإسلامية والكفاح من أجل الاستقلال.

✓ يقظة العالم العربي الإسلامي.

✓ ماذا تريد نجمة شمال افريقيا؟

يتضح لنا من خلال هذا البرنامج المصغر وجود للنزعة العربية الإسلامية داخل الحزب منذ بداياته، خاصة لدى مصالي الحاج بالرغم من معرفته السطحية لتلك النقاط<sup>(2)</sup>، وهو ربما ما يتنافى تماما والحكم المسبق الذي رأى أن نجم الشمال غيب الأفكار الوحدوية العربية الإسلامية، ولم يقتصر إلا على مطلب اللغة، فنجم شمال افريقيا وهو يقاوم الاستعمار الفرنسي، قد اعتمد كثيرا على السلاح ذاته الذي استعملته المستعمر وهو المجال الرمزي من دين ولغة وتراث<sup>(3)</sup>، وعن النجم يقول المؤرخ محمد حربي: "... يعتبر الأمة كفنة حاملة للقيم الثورية، كما يعطي الأسبقية لمعيار الموقف السياسي إزاء الاستعمار،

(1) نفسه، ص ص 136، 137.

(2) مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 137.

(3) احمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط2، لبنان، 1994، ص ص 211، 212.

وليس الانتماء إلى طبقة، وبالتالي يشدد على مظاهر المساواة والعدل بالتراث الثقافي العربي الإسلامي...<sup>(1)</sup>.

لذلك نجد أن النجم استعمل في هذه الفترة بعض الآيات القرآنية الداعية إلى التضامن والاتحاد، لما لها من قوة تأثير في أذهان المناضلين والمستمعين والقراء، فنجد آيات مثل<sup>(2)</sup>:

- "وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا"<sup>(3)</sup>.
- "وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ"<sup>(4)</sup>.
- "إِنْ تَنْصَرُوا لِلَّهِ يَنْصُرْكُمْ، وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ"<sup>(5)</sup>.
- "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ"<sup>(6)</sup>.

وكذلك بعض الأحاديث النبوية الشريفة مثل:

- "المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً"<sup>(7)</sup>.
- "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"<sup>(8)</sup>.
- "كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"<sup>(9)</sup>.

(1) Mohammed harbi, le Fln mirage et réalité, des origines a la prise du pouvoir 1945-1962, pp 14-15.

(2) محمد قنانش، محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 37.

(3) سورة آل عمران، الآية 103.

(4) سورة المنافقون، الآية 80.

(5) سورة محمد، الآية 80.

(6) سورة آل عمران، الآية 110.

(7) أخرجه البخاري.

(8) صحيح البخاري رقم 6011، وصحيح مسلم رقم 2586.

(9) رواه البخاري ومسلم.

ومن دون شك فإن مصدري التشريع القرآن والسنة، كانا أفضل النصوص (=قبل الأدبيات) الموجهة للتعبة وشحذ الهمم، وجلب الأنصار والمحبين والمتعاطفين، ووسيلة جد قوية لخلق أجواء الألفة والتضامن والاتحاد، كما توالى خطب مصالي الحاج بعد ذلك، فألقى خطابا سنة 1934 يدعو فيه لضرورة التشبث بمبدأ الوحدة العربية الإسلامية قائلا: "لقد صمد شعب شمال افريقيا أمام تأثير المبشرين (المسيحيين) والفضل في ذلك إلى الدين الإسلامي" ثم أكد على الرجوع إلى الحضارة العربية الإسلامية والتمسك بمبادئها وعلى ضرورة اتحاد الشعوب العربية الإسلامية<sup>(1)</sup>.

### أ- تنامي النزعة العربية الإسلامية للنجم في الثلاثينات: إشكالية العروبة والإسلام ولقاء مصالي الحاج بشكيب أرسلان:

احتفلت فرنسا بمرور قرن على احتلالها الجزائر العاصمة سنة 1930<sup>(2)</sup>، وقد أقامت محفلا ضخما استعرضت فيها إنجازاتها على جميع المستويات، وقد شكل ذلك استفزازا كبيرا للجزائريين المسلمين وأحسوا بأن فرنسا ضربت في الصميم من أجل تحطيم هويتهم<sup>(3)</sup>، ليس ذلك فقط بل أقامت المؤتمر الأفخارستي (القربان المقدس) في نفس السنة واحتفلت بالخمسينية في بتونس<sup>(4)</sup>، وكذا شرّعت لما

(1) يوسف مناصرية، الاتجاه الثوري في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين العالميتين 1919-1939، دار هومة، الجزائر، 2014، ص ص 94، 95.

(2) نشير إلى أن هناك خطأ شائعا تعمدت فرنسا ترويجه، وهو أن فرنسا احتلت كلّ التراب الجزائري في 1830، وهو ما ترسخ للأسف في أذهان الكثيرين، والحقيقة عكس ذلك حيث أن هذا الاحتفال كان بمرور قرن على احتلال العاصمة فقط.

(3) يروي السيد بانون أكلي في شهادته لمحمد قنانش أن النجم حضر منشورا عن الحالة في الجزائر، بهذه المناسبة وأعطاه لمحمد معروف الذي كان مسؤولا عن مطابع النقابة، لكنه بدأ يسوّف ويختلق الأعذار لعدم نشره. انظر: قنانش-قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص 80.

(4) توجد عدة تقارير ومذكرات حول خمسينية الحماية في تونس ونشاط الوطنيين التونسيين أنظر مثلا:

A.N.T, série : mouvement national, carton24, dossier n°3, note n°252-6.A/S : du cinquanteaire, Tunis le 10 -2- 1931 **Et** : le rapport de directeur de la sûreté publique n°666-5 : affichage de placards contre le cinquanteaire, Tunis le 17- 3 -1931.

يسمى بالظهير البربري 1931 بالمغرب الأقصى<sup>(1)</sup>، لذلك شكلت هذه المشاريع الثلاثة تهديدا حقيقيا للأقطار المغاربية فيما يتعلق بعلاقتها بالشرق العربي الإسلامي، و عرّت أساليب الاستعمار الطامح للقضاء على المغرب العربي بكل مكوناته، لذلك تصاعدت مطالب النجم اتجاه الهوية، وتطور نشاطه السياسي<sup>(2)</sup>، خاصة بعد انشائه لجريدة الأمة، وهيكلته قواعده بشكل جيّد.

ساعدت عدة أحداث داخلية وخارجية نجم شمال إفريقيا، و جعلته يعطي لنشاطه البعد العربي الإسلامي، خاصة بعد المؤتمر الإسلامي بالقدس (13 ديسمبر 1931)، الذي اعتبره مصالي الحاج حدثا مهما تم انعقاده لينادي بوحدة المسلمين في الأرض، فهو المؤتمر الذي طرحت على طاولاته قضايا الشعوب المستعمرة والحركات الوطنية<sup>(3)</sup>، فأكدت قراراته على أن: "البلاد العربية وحدة تامة لا تتجزأ، وكل ما طرأ عليها من أنواع التجزئة، لا تقره الأمة ولا تعترف به"، كما دعا إلى توجيه: "الجهود في كل قطر من الأقطار العربية إلى جهة واحدة، هي استقلالها التام كاملة موحدة..."<sup>(4)</sup>. كما يتزامن هذا المؤتمر مع نفس الفترة تقريبا التي التقى فيها مصالي الحاج أول مرة بشكيب أرسلان أمير البيان (1932) بجنيف التي كانت ملتقى الناشطين السياسيين، وتوالت بعده اللقاءات ولعلنا نتوقف قليلا عند هذا اللقاء الذي يعتبر مهما في مسيرة النجم وتغيير محور نشاطه.

تذكر المصادر أن اللقاء تم بوساطة من طرف القاضي المصري الدولي محمد سالم باي والذي يعتقد الدكتور أبو القاسم سعد الله أنه صاحب فكرة المؤتمر الإسلامي الأوروبي<sup>(5)</sup>، فاتصال مصالي الحاج زعيم النجم بشكيب أرسلان، الذي كان مشرفا على لجنة سورية - فلسطين، وتدارسه معه القضايا

(1) محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، ج1، المرجع السابق، ص ص 261، 262.

(2) محمد مالك، الاستعمار والحركات الوطنية، المرجع السابق، ص 291.

(3) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 153. للاستزادة عنه أيضا راجع: عبد العزيز النعالي، خلفيات المؤتمر الإسلامي بالقدس 1350 هـ - 1931 م، إعداد: أحمد بن ميلاد، تقديم وتحقيق: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1988.

(4) محمد مالك، الاستعمار والحركات الوطنية، المرجع السابق، ص 291.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر (الأمير شكيب أرسلان والقضية الجزائرية)، ج4، المصدر السابق، ص 114.

العربية والإسلامية، قد أفاد الرجل كثيرا وأفاد سيرورة الحزب عامة، وسمح باحتكاك حقيقي للمشرق مع المغرب، وقد التقى الزعيمان مرة أخرى في المؤتمر الإسلامي الأوروبي<sup>(1)</sup> بجنيف 12 سبتمبر 1935 وتناقشا كثيرا على هامش المؤتمر<sup>(2)</sup>، وحسب إرسالان وقتها كانت المشاكل السورية واللبنانية والفلسطينية، والليبية قابلة لأن تعرف حلولا، أكثر منها في الجزائر التي كان استقلالها شبه مستحيل مع فرنسا بما أنها مجرد ثلاث عمالات، وقد نصح مصالي بأن لا يُصعد من لهجته مع فرنسا كي لا يصاب الحزب بالانكسار والتضرر، فردّ مصالي الحاج عليه قائلا بأن القضية تحتاج إلى كفاح وإرادة ووقت<sup>(3)</sup>.

وقد رأينا سابقا كيف ان شكيب أرسلان استثنى وحدة الشعوب المغاربية حتى فيما بينها، فالوحدة التي يكثر حولها الكلام والضجيج حسبه لن تفيد في شيء، وعلى كلّ قطر أن ينهض بنفسه، وهو ما أثر في شخص مصالي وأراد بذلك أن يجعل من النجم شيئا واقعيًا ولموسا أكثر<sup>(4)</sup>، واعترف في مذكراته بأن هذه اللقاءات مع أرسلان ومع زعماء ووطنيين آخرين قد أفادته كثيرا بحيث يقول: "إن هذه الاتصالات سمحت لي بتحسين رؤيتي السياسية عن الوضعية فتيقنت أن العالم العربي الإسلامي يتمتع

---

(1) استغل مصالي الحاج هذه المؤتمرات للدفاع عن كينيا، كما دافع عن القضية الاثيوبية والتدخل الإيطالي فيها، وهو ما يوضح لنا روح التضامن والاتحاد العميقة التي يملكها مصالي، ويتهجها الحزب، وهو بذلك يتجاوز البعد المغاربي والعربي الإسلامي إلى البعد الإفريقي، فهو بعد انساني قبل كلّ شيء يسعى لنشر الحرية في العالم. أنظر: مذكرات مصالي، ص 178.

(2) نفسه، ص 186.

(3) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 179. نلتمس من خلال هذا التصريح رأي أرسلان في الوحدة الذي بدا يتضح تدريجيا، وهو الذي رأى بأن بلاد المغرب لا زالت بحاجة إلى وقت لتتحرر وبعدها تفكر في الوحدة العربية، وهو ما أغضب قادة كثيرين (=سليمان الباروني) كما تحدثنا سابقا، ولم يصرح مصالي في مذكراته عن رأيه الواضح في القضية، وربما كان هو الآخر يتفق مع أرسلان كثيرا بحيث يستحيل آنذاك التفكير في الوحدة السياسية مالم يتحقق الاستقلال، خاصة كحالة الجزائر التي تعتبر أعسر حالة في العالم العربي بما أنها أول جسد ينتزع من الجسد الإسلامي، ثم أنه قد يتبادر إلى الذهن تساءل عن إمكانية تدجين واحتواء أرسلان من طرف فرنسا والسماح له بالنشاط في فرنسا، وتأسيس جريدة الأمة العربية مقابل كسب تحفظاته، وحتى عديد الكتابات الجزائرية رأت بأن مصالي تأثر كثيرا بلقاء أرسلان وخفف من حينها لهجته الحادة اتجاه الاستعمار، وبدا كأنه بدأ يتنصل من فكرة الميول للخيار العسكري.

(4) مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص 189.

بمعايير مهمّة، وكنّت أحسن أن آلية اندلاع العملية الموصلة إلى التحرر الوطني قد انطلقت في العالم العربي، كلّ لقاءاتي بواسطة الأمير مع سيّد ضياء الدين الوزير الأول السابق لإيران، ومع نوري سعيد الوزير الأول للعراق أو مع المغربي عمر بن عبد الجليل، أثبتت لي أن المغاربة والمشاركة يريدون أن يتعاونوا"<sup>(1)</sup>.

لذلك وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله فإن لقاء مصالي بشكيب أرسلان قد أخرج النجم من الفلك الشيوعي - العمالي الوحيد، وجعله يعتمد على تأييد مزدوج عربي-إسلامي من جهة وعالمي - يساري من جهة أخرى<sup>(2)</sup>، وربما قد بلغت العديد من الكتابات الفرنسية في لقاء شكيب أرسلان بمصالي وتبعتها في ذلك أقلام عربية وجزائرية، فقالت بأن مصالي اعتنق لفكر أرسلان القومي والديني، فرأى جان قانيج أن مصالي لو لم يلجأ (1936) إلى جنيف، لبقى شخصا مغمورا هاربا من المتابعات القضائية الفرنسية، وربما ذلك اللجوء كان سببا في لقائه بشكيب أرسلان الذي أدخله في فكرة القومية العربية<sup>(3)</sup>، وهو ما ذهب إليه شارل أندري جوليان أيضا<sup>(4)</sup>.

قد تكون هذه الآراء صحيحة بشكل كبير من جهة، لكنها من جهة أخرى وفي نظرنا قد تعتبر أيضا آراء مبالغ فيها، هدفها تحجيم وتقزيم النضال الجزائري والشخصيات الجزائرية، واتهامها بالابتعاد عن الاتجاه العربي والإسلامي لا غير، بغية تشويه صورتها قصدا أو عن غير قصد، لعدم دراسة جميع الجوانب وعدم الإمام بكلّ المعطيات، فمن ناحية أنها صحيحة يعترف مصالي الحاج أنه إلى غاية 1920 لم يكن يفقه في الشؤون السياسية الحاصلة بالشرق، وقضية اقتسام ممتلكات الرجل المريض

(1) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 189.

(2) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج4، المصدر السابق، ص126.

(3) مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص ص126، 127.

(4) يرى شارل أندري جوليان أن شكيب أرسلان قد تفضن مبكرا لأهمية افريقية الشمالية (=المغرب العربي) وتموقعها في رقعة الشطرنج العالمي، لذلك سعى دائما للربط بين المشرق والمغرب، فتتالت اتصالاته مع الوطنيين المغاربة، معتبرا أن الأقطار الثلاثة هي أجزاء من العالم الإسلامي. ويقول عنه: "... إنها شخصية عجيبة تلك لهذا الإقطاعي اللبناني الذي بث طيلة ثمانية عشر عاما من مكتبته بجنييف تعليماته الإسلامية في دول حوض البحر الأبيض المتوسط، وبرز ككاتب وداعية، وكان متضلعا في اللغة العربية حتى لُقّب بأمير البيان...". شارل اندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير: المرجع السابق، ص ص32، 33، 34.

شيئا فيقول: "... في أحد أيام ربيع 1920 وقع نظري على عناوين كبيرة لجريدة لم أكن قرأتها من ذي قبل، "اليوماني" ... كنت مستعجلا لقراءتها... كان الحديث فيها عن مصطفى كمال وعدم التفاهم بينه وبين الحلفاء الذين اقتسموا أجزاء من تراب الامبراطورية العثمانية-الرجل المريض- في الشرق فقد صعب علي فرز هذا الخليط لأفهم الوضعية بوضوح..."<sup>(1)</sup>، وحتى لما يذكر مصالي أنه التقى بكمشة صغيرة من مناضلي شمال افريقيا بدايات سنة 1926 وحضر مخططا يتمحور حول التاريخ والعروبة والإسلام، فإنه يعترف بضعفه بمعرفة تلك النقاط وبدرايته السطحية بها، فقرر بذلك دراستها بشكل جيد<sup>(2)</sup>، ثم إن الأمير شكيب أرسلان كانت له صولات وجولات ونضالات قبل ذلك بكثير، بالإضافة إلى جريدته الأمة العربية (1930) التي اهتمت كثيرا بشأن المغرب العربي، بعدما كان هذا الجزء شبه منسي من طرف المشاركة قبل ذلك، وربما نقول أن أرسلان حاول بلورة الجهود أو دعمها أكثر من أجل ارتباط نضال الجزائريين والمغاربة عموما بالبعد العربي والإسلامي، الذي يميز الحركات الوطنية بالمغرب والمشرق<sup>(3)</sup>، ولذلك فمن الطبيعي أن يتأثر به مصالي ويصفه بأنه أكبر زعيم في العالم العربي<sup>(4)</sup>، ولكن هذا لا يعني أبدا في نظرنا أن مصالي الحاج والنجم عامة قد انتظرا سنة 1936 لكي يضمنا البعد العربي الإسلامي في النشاط السياسي، فإن تتبعنا السير الذاتية لكثير من القادة الذين تدعّم بهم الحزب خاصة منذ بداية الثلاثينات سنجد عكس ما روّج له بصفة مبالغ فيها نوعا ما، وذلك كما ذكرنا لقيمة شكيب أرسلان على الساحة العربية والدولية وربما حتلا اتهامات الشيوعيين التي لم يسلم منها النجم.

فمصالي الحاج ابن مدينة تلمسان المحافظة على القيم، والعادات، والتقاليد، وعاصمة الزينيين لقرون كان قبل هجرته إلى أوروبا قد تشبع بمبادئ الإسلام والعروبة من خلال دروس الزاوية الدرقاوية<sup>(5)</sup>،

(1) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 94.

(2) نفسه، ص ص 136، 137.

(3) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 76.

(4) نفسه، ص 191.

(5) يوسف حميطوش، منابع الثقافة السياسية، المرجع السابق، ص 232.

كما كان شديد التعلق بالخلافة الإسلامية<sup>(1)</sup> و يروي لنا في مذكراته كيف أنه كان يقرأ لأبيه الجرائد التي تعالج أمور الشرق العربي الإسلامي<sup>(2)</sup>، بالإضافة إلى أنه بعد هجرته كان يحضر كثيرا المحاضرات الجامعية التي كانت تُلقى حول اللغات، والمحاضرات الشرقية، والعربية الإسلامية التي كان يلقيها أساتذة الاستشراق<sup>(3)</sup>، ضف إلى ذلك تعرفه على أعضاء من جمعية الأخوة الإسلامية بباريس سنة 1923 وهو ما أفاده كثيرا فيقول: " بعد انتسابي للجمعية لم أتغيب ولو مرة واحدة، فقد كان هذا بالنسبة لي اتصالا مفيدا، وكيفية للبقاء في الاتصال المباشر مع الشرق العربي الإسلامي الذي كان يسحرني"<sup>(4)</sup>، وفي الوقت نفسه، اتصل أيضا بالعمال المغاربة المهاجرين وانضم إليهم، وهو ما جعله يشعر بينهم بقيم الأصالة التي تربي عليها، كما عاش أجواء العادات والتقاليد والتكافل الاجتماعي المتمزجة بالحنين إلى الوطن<sup>(5)</sup>، خاصة وأن "الوطنية الجزائرية لها رموز شعبية امتزجت بتلك المتعلقة بالمشرق العربي وبالتالي فهي وطنية ذات قيم غربية وشرقية"<sup>(6)</sup>، وربما كان محور النزاع بين أعضاء النجم هو عدم التفاهم حول عديد الأهداف من بينها العروبة والإسلام والوحدة<sup>(7)</sup>، لذلك انفصل مصالي وقلائل

---

(1) يروي لي السيد البشير حاجيات أن أباه المؤرخ الجزائري السيد عبد الحميد حاجيات قد سُمته عائلته "عبد الحميد" نسبة للسultan عبد الحميد الثاني، خاصة وأنهم ينحدرون من عائلة تركية تعيش بتلمسان، وللعلم فإن جدة عبد الحميد الحاجيات هي أخت مصالي الحاج، وهو ما يبين لنا حجم تعلق التلمسانيين بالخلافة في تلك الفترة وإلى فترة متأخرة. حوار مع السيد البشير حاجيات بقلعة المشور، تلمسان، ديسمبر 2014.

(2) بنيامين سطورا، مصالي الحاج 1898-1947 (رائد الوطنية الجزائرية) ترجمة: صادق عماري-مصطفى ماضي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 20. أيضا: مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص 112، 113.

(3) يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 230.

(4) يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 118.

(5) كان المهاجرون المغاربة يلتقون في مقاهي باريس ومطاعمها في شهر رمضان، فيتذكرون مواعيد الإفطار بين عائلاتهم وفي بلدانهم، وتلك الأجواء الحميمية التي يتميز بها الشهر الكريم بين الأهل، لذلك من دون شك تتنامى النزعة الدينية فيما بينهم خاصة وأن رمضان هو شهر التوبة العبادية والغفران. انظر: بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 104.

(6) يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 234.

(7) عبد الرحمن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج1، المصدر السابق، ص 127.

بالنجم عن الشيوعية، التي كانت في وقت تدعم النجم لمصالحها أكثر من مصالح الشعوب المغاربية المستعمرة الطامحة إلى التحرر<sup>(1)</sup>، وهو ما اتضح بعد ذلك حيث تخلى الشيوعيون عن تلك الفكرة.

ثم أن عديد الأحداث والمتغيرات التي حصلت كان من شأنها أن تؤثر على العمل السياسي لمصالي ونجم شمال إفريقيا حسب رأي بنيامين سطورا، ومن بينها تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1931<sup>(2)</sup>، واهتمامها باللغة والدين الإسلامي وشؤون العالم الإسلامي، هذا إضافة إلى النشاط الذي كانت تقوم به كل من مساجد المغرب (القرويين) وتونس (الزيتونة)، و حتى تلك المناشير (=ميشيل) التي كانت قد حظرت المساجد الرسمية على العلماء والدعاة في 16 و18 فيفري 1933 قد دفعت بالاستقلاليين للنشاط أكثر<sup>(3)</sup>.

وبالتالي فإن النجم خلال الفترة (1930-1935) قد دافع أكثر عن مقومات الشعوب المغاربية مثبتا روح انتمائها للأمة العربية - الإسلامية، لذلك وفي نظرنا لا يمكن أن نحجّم نضال قرابة عشر سنوات ومنتظر لقاء مصالي بأرسلان سنة 1936<sup>(4)</sup> لنقول إن النجم انتهج أخيرا النهج العربي الإسلامي، فصحيح أنه كان لأرسلان دور كبير جدا في نشاط النجم وباقي الحركات الوطنية المغاربية الأخرى<sup>(5)</sup> في البعد العربي الإسلامي بحكم علاقاته الكبيرة مشرقا ومغربا، ونضاله القوي والطويل، إضافة إلى

(1) أحمد الخطيب، حزب الشعب الجزائري، المصدر السابق، ص 127.

(2) إن انشاء جمعية دينية في الجزائر واهتمامها باللغة والإسلام، ربما لم يكن لوحده دافعا لمصالي من أجل النشاط والاهتمام أكثر بتلك الأبعاد، لكن في نظرنا هو دافع عن شخصه أيضا، حيث يعترف في مذكراته أن بعض العلماء وبمساعدة بعض الشيوعيين كانوا يقولون بأنه رجل فقير وجاهل وكافر، ويقول أيضا: بأن بعض العلماء قالوا للأمير شكيب أرسلان أن مصالي رجل ضد الإسلام بحكم أنه متزوج بفرنسية، كما اتهموه أنه لا يصلي ولا يصوم رمضان. انظر: مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص 233، 234.

(3) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 103، 104.

(4) يقول الدكتور محمد بلقاسم: "والملاحظ أن وطنية النجم قد اكتسبت طابع القومية العربية أو الجامعة الإسلامية أو الأيديولوجيتين معا ابتداء من صيف 1933 بخلاف ما تذهب إليه بعض الدراسات الفرنسية". راجع كتابه: وحدة المغرب العربي، ج1، المرجع السابق، ص 367.

(5) كان شكيب أرسلان معجبا بتحركات مصالي وحماسه الشديد فحسه "لو كان للإسلام مثله في مختلف الأوطان لتغير الحال غير الحال". أنظر: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص 137.

الإعلام الذي كان يصنع الشخصيات كثيرا، ولكن تبقى الخصوصية التي تميز بها الحزب (=جمعية النجم) بحكم مكوناته، وظروف نشأته، وعناصر نشاطه، وبرامجه الجريئة، في التعاطي مع الأحداث الحاصلة هي من جعلته يتهيكل ويتطور إلى الأحسن.

والحقيقة أنه بداية من 1933 سينمو التوجه الإسلامي أكثر فأكثر داخل الحزب خاصة بانخراط مثقفين معربين إليه كمفدي زكريا ومحمد قنانش، وكذا التحاق بعض العلماء به، بعد دخوله وانتشاره في الجزائر<sup>(1)</sup>، كمحمد السعيد الزاهري، وعبد الرحمن العقون، والحسين بلميللي وغيرهم<sup>(2)</sup>، وخير دليل على ذلك هو أن برنامج النجم لسنة 1933 ركز على اجبارية تعليم اللغة العربية<sup>(3)</sup> ووحدة الإسلام ووحدة العالم الإسلامي، وأكد على ذلك في برنامج المؤتمر الأوروبي الإسلامي بجنيف (12 سبتمبر 1935)<sup>(4)</sup>.

أما سنة 1936 فلها في نظرنا خصوصيات عربية وإسلامية أشمل أوسع من لقاء شكيب أرسلان بمصالي، ولعل المناضل محمد قنانش يصفها على أنها السنة التي لا بدّ أن ننتقل منها في دراستنا لفهم الحركة الوطنية ومجازر 8 ماي 1945، واندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، لأن فيها منعطفات تاريخية جدّ هامة على الصعيد العالمي، والمشرقي، والمغاربي، والجزائري، فهي السنة التي عرفت بداية النكبة في فلسطين (1936-1939) وليس 1948 التي كانت مجرد تاريخ رسمي لإعلان قيام دولة

(1) رابح لونيسي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 112.

(2) بوجليدة بيمينه، الحركة الوطنية الجزائرية، مسار وتصور (1950-1954)، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008، ص 160.

(3) راجع البرنامج كاملا في: محمد قنانش - محفوظ قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص 56-58.

(4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، المصدر السابق، ص 126. استغل النجم وعلى رأسه مصالي الحاج فرصة المؤتمر لاستطلاع الاخبار عن الوحدة الإسلامية، والبحث عن حلفاء في العالم الإسلامي، لكنه ربما عاد خائبا لأن المؤتمر أعطى المجال للمسائل الاقتصادية والدينية والتنظيمية أكثر اهتماما من المسائل السياسية.

فلسطين<sup>(1)</sup>، كما تعد سنة 1936 بداية هزيمة جيوش العرب، وتاريخ انعقاد اتفاقية الانجليز مع مصر التي جمدت النشاط الوطني والدستوري، والعراق عرفت انقلابا عسكريا سوف يتحكم في الحياة السياسية لمستقبلها ومستقبل المجتمعات العربية كلها<sup>(2)</sup>، وفي رأينا يمكن أن نقول بأن إرسال استطاع أن يعرّف ويشرح لمصالي كل تلك المشاكل الدائرة هناك، وهو ما جعل مصالي والنجم يفتتح أكثر ويربط نضاله بما يحصل في المشرق.

### ب - العروبة والإسلام والوحدة في أدبيات النجم:

أدرك النجم مبكرا أهمية النشاط الإعلامي والصحفي، بحيث أنه له فعالية كبيرة للدعاية والتعريف بنشاطاته، ومختلف مواقفه من القضايا الداخلية والخارجية، كما يُعتبر من جهة أخرى مصدرا ماديا هاما للتمويل، لذلك أصدر عدة جرائد كجريدة "إقدام الشمال إفريقي" سنة 1927 مستفيدا من سمعة جريدة "الإقدام" للأمر خالد.

أصدر النجم بعد ذلك جريدة الأمة 1930 التي استمرت في الصدور بأشكال مختلفة إلى غاية 1939<sup>(3)</sup> وهي الجريدة التي استعملت شعار الآية القائلة: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"<sup>(4)</sup>، ونشير إلى أن كثيرا من المقالات التي اضطلعنا عليها في المصادر والمراجع، قد وُقِّعت بأسمي مستعارة

(1) يستشهد قنانش برأي غسان كنفاني الذي قال: "في اعتقادي بان هزيمة 1948 لم تكن الحلقة الأولى في الكارثة الفلسطينية، وأريد أن أشدد على القول أن الكارثة بدأت عمليا في الهزيمة التي منيت بها انتفاضة عام 1936 في فلسطين وما حدث كان نتيجة لتلك الهزيمة". أنظر: محمد قنانش، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945 (آفاق مغربية)، منشورات دحلب، (د.ت)، الجزائر، ص 48.

(2) نفسه، ص ص 48، 49.

(3) بكار العايش، المرجع السابق، ص 182.

(4) سورة آل عمران، الآية 103. عن الجريدة يقول الدكتور مرتاض عبد المالك: "كانت الأمة جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي إفريقية الشمالية... وكان مديرها السياسي الحاج أحمد مصالي" أنظر: مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة، ج2، المرجع السابق، ص 245.

أو مجهولة، لتفادي المضايقات والسجون، لذلك نادرا ما نجد مقالا لصاحبه الحقيقي، على عكس جمعية العلماء أو الأحزاب الأخرى، التي كان غالب كتابها معروفين، وقد دعا النجم سنة 1933 كل أهالي افريقية الشمالية أن يقرأوا جريدته الأمة لأنها: "تدافع عنكم، وتعلمكم، وتثقفكم، إنها ستكشف جميع الخونة وكل المتعاونين وكل أعداء وطننا وقضيتنا، إنها ستفودكم إلى الاتجاه الصحيح دون خوف أو هزيمة إنها ستصلكم بمعلوماتها بكل العالم الإسلامي..."<sup>(1)</sup>، فكانت بذلك مدافعة عن العروبة والإسلام بالرغم من أنها ناطقة بالفرنسية، وقد خصصت الجريدة فضاءا محترما على صفحاتها لتتبع أخبار العالم الإسلامي، عنوانه (عبر المشرق الإسلامي)، تصله أخبار الأقطار العربية والإسلامية من القاهرة، وبغداد، وأثينا، وبومباي، وقد وقعت هذه المقالات كثيرا باسم مصالي الحاج وعيماش<sup>(2)</sup>، وغيرها<sup>(3)</sup>.

وقد جاء في افتتاحية عددها السابع مقال بعنوان "الاتحاد واستمرارية وجود الجزائر ذات السيادة" يبين أن الجزائريين لن ينساقوا وراء الدعوات الفرنسية لتشكيل وحدة معهم، إنما تصوراتهم ومطامح منافية تماما لهذه الاقتراحات، ملمحين أن الجزائر دولة ذات سيادة وهوية، ومرتبطة بأوصال الوحدة مع الشرق العربي ومن أهم ما جاء فيه: "...أما الاتحاد بمختلف أشكاله سواء الوحدة الفرنسية أو المجموعة الإمبراطورية... فهو المعارضة الكاملة والتصادم التام مع المبادئ الديمقراطية والطبيعية، ولمسألة واحدة هامة وهي أن الاتحاد لا يحسب حسابا لإرادة شعوب هذه الإمبراطورية"<sup>(4)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المصدر السابق، ص 374.

(2) عمار عيماش: يقول عنه محمد قنانش: "اسمه الحقيقية ايمعاش ومن دوار بن عيسى (أربعا بني ايراثن) انضم إلى النجم سنة 1931 وشغل منصب كاتب عام سنة 1933، وتولى رئاسة تحرير جريدة "الأمة"، كان خطيبا وكاتبا قديرا له بعض كتب صغيرة =منها (الجزائر في مفترق الطرق)، سجن بفرنسا ستة أشهر، ولم يشارك في تأسيس حزب الشعب، وقد رجع إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية وتوفي بمسقط رأسه قبل الثورة. انظر: قنانش، قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص73.

(3) بكار العايش، المرجع السابق، ص187. راجع أعداد الأمة: 01-08-1937 والعدد الخاص أكتوبر 1937 والأعداد: 28-46-66-70--71-36.

(4) بوجليدة يمينة، المرجع السابق، ص 152. نقلا عن: عبد الرحمن بن العقون، حول تاريخ الصحافة الوطنية الجزائرية، ص53.

كما لعبت المظاهرات والتجمعات الشعبية دورا بارزا في لقاء الخطب بين الصفوف العمالية والطلابية والجماهيرية، فقد نظم النجم تجمعا ضم حوالي 200 شخص من بلاد المغرب العربي في لافالوا بييري "laValoisperiet" بتاريخ 23 ديسمبر 1933 وخطب مصالي الحاج داعيا للوحدة الإسلامية فقال: "...إن المسافة التي تفصل بين المسلمين واختلاف مصالحهم، لا يجب أن تكون عائقا أمام الوحدة الإسلامية، ولم يطمع الأوروبيون في الإمبراطورية الإسلامية ويقدموا على غزوها إلا بعد تجزئة قوتها... وإذا كان جزء كبير من العالم الإسلامي يوجد تحت السيطرة الأجنبية، فإن ذلك بسبب الغياب التام للتنظيم وللتحرر من نير السيطرة، يجب على المسلمين أن ينظموا أنفسهم، وإن نجم شمال إفريقيا موجود هنا لإرشادهم وقيادتهم إلى النصر"<sup>(1)</sup>.

وفي نفس السياق صرح مصالي أيضا سنة 1934 وأكد قائلا: "...علينا أن نتحد مع إخواننا، ليس فقط المراكشيين والتونسيين وإنما كذلك المصريين والسوريين، لتكوين شعب مسلم واحد"<sup>(2)</sup>.

وتوالت بعد ذلك اللقاءات والاجتهادات والتنديدات بغية الدفاع عن العروبة والإسلام، ومن بين ما فعله النجم في هذه الفترة<sup>(3)</sup>:

- (ديسمبر 1933): تنظيم دروس في اللغة العربية للمنخرطين في النجم كل يوم أربعاء في مقر النجم، بالإضافة إلى التمهيد لمناقشات يديرها مصالي الحاج حول قوة الإسلام وعظمته.
- (6 جانفي 1934): تدشين سلسلة من المحاضرات والدروس عن الدين الإسلامي، وعباداته، والاختتام بالدعوة إلى الثورة.
- (26 ماي 1934) لقاء خطاب من طرف مصالي حول الدين الإسلامي وضرورة استرجاع الهوية الوطنية أمام عديد من الجمعيات الإسلامية<sup>(4)</sup>.

(1) أنظر: بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 104-109.

(2) معمر العايب، التوجه المغاربي في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية: حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء نموذجاً، المجلة التاريخية المغربية، س 32، ع 119، جوان، 2005، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، ص 79.

(3) بنيامين سطورا، المرجع السابق، ص 105، 106.

- تنظيم أمسيات ثقافية فنية للموسيقى الشرقية والأندلسية.

ولعل مصالي بصفته رئيسا للنجم حسب الدكتور حميطوش، قد تبني البديل العربي الإسلامي إماماً متأثراً بأفكار الجامعة الإسلامية وأنباء سقوطها<sup>(2)</sup>، أو تحركات كمال أتاتورك، أو حتى قيام العرب في المشرق وانتشار أفكار القومية من جهة أخرى، فالبرغم من أنها متناقضات، إلا أن مصالي كان يحاول أن يرتبط بكل ما يساعده، وخاصة عندما يتعلق الأمر ببعث مجد الحضارة العربية الإسلامية، فالنجم حسب مصطفى الأشرف أصبح حركة تتضمن مزيجاً من ثلاثة أيديولوجيات، قشور الماركسية، والوطنية الجزائرية القائمة على العاطفة والتميزة بالحنين إلى البلد، والاتجاه الإسلامي السطحي<sup>(3)</sup>.

ولعله قد بصم (=النجم) على تمسكه في الدفاع عن الهوية العربية الإسلامية، عندما وقف مدافعاً ورافضاً لمشروع موريس فيوليت الاندماجي (1936)، فالمشروع القومي حسب الدكتور حميطوش كان يتعارض ومشروع بلوم فيوليت هذا من ناحية، ولتناقضه كذلك مع مطالب النجم المتمثلة أساساً في الاستقلال والحرية من ناحية أخرى<sup>(4)</sup>، فقد خاطب مصالي في 2 أوت 1936 جموع الجزائريين المجتمعين بالملعب البلدي للجزائر العاصمة محذراً من مشروع فيوليت ومؤكداً على ارتباط الجزائر بالمبادئ العربية الإسلامية قائلاً: "إن هذا المستقبل يخص الجيل الصاعد، فهو وحده الذي يملك الحق في تقرير مصيره وقدره... أقول أن الشعب الجزائري يجب أن يكون يقظاً. لا يكفي أن نبعث بوفد يقدم كراس

---

(1) من جملة ما قاله مصالي: "...إن الحكومة بسعيها إلى إيجاد وسائل قمع الصحافة العربية الناطقة بالفرنسية، لم تفعل سوى تجديد وزيادة سياسة القمع، والأخطر من ذلك هو أن تقنين التعليم القرآني يرمي إلى القضاء على تقاليد الثقافة الإسلامية، وأما بشأن حظر وعظ العلماء في المساجد فإن إجراء كهذا هو استفزاز حقيقي للإسلام". سطوراً، المرجع السابق، ص 110. يتبين لنا بصورة واضحة أن مصالي كان يسعى جاهداً لشحن وتزويد وتعبئة الرأي العام والمناضلين خصوصاً بالمقومات العربية العربية والإسلامية، لكي يهيأها لتقبل أفكار جديدة مستقبلاً خاصة أمام الحراك العربي الذي كان حاصلًا في المشرق (= مقاومة الاستعمار والقومية العربية بالخصوص).

(2) يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 256. رأي نؤيده ونراه تدعيماً لما قلناه سابقاً عن تقزيم صورة مصالي مقابل أرسلان.

(3) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007، ص 250.

(4) يوسف حميطوش، المرجع السابق، ص 260.

مطالب ولا نغتر بأهجة المقابلة ومنتظر تحقيق مطالبنا بوحدها... أهتمونا أكثر من مرة بكوننا شيوعيين، ووهابيين<sup>(1)</sup>، وعملاء ألمانيا وعملاء موسكو، وغيرها من البلدان، ونحن نقول لكم بأننا لم نكن عملاء لا لهؤلاء ولا لأولئك... وهنا التزم باسم منظمي وأمام الشيخ الجليل عبد الحميد ابن باديس أن أعمل ما في وسعي لتأييد هذه المطالب، ولخدمة القضية النبيلة التي ندافع عنها جميعا، لكننا نقول بصراحة وبشكل لا يقبل التراجع، بأننا نتبرأ من كراس المطالب بخصوص إلحاق بلادنا بفرنسا وبخصوص التمثيل البرلماني<sup>(2)</sup>.

ولقد بعثت بعد ذلك إدارة النجم برسالة إلى جمعية العلماء محذرة إياها من مغبة الوقوع في ذلك الخطأ الجسيم وهو المصادقة على مشروع بلوم فيوليت<sup>(3)</sup>، وحتى الأمازي التي كانت مزروعة في نفوس مناضلي النجم قد زالت بجلّ الحزب من طرف الجبهة الشعبية التي كان الأمل فيها كبيرا<sup>(4)</sup>، ولكن ذلك الخطاب الذي ألقاه مصالي جعل الجماهير تتعلق بالنجم وبرنامجه ومبادئ حركته، ومن ثم بدأ التحول نحو الوضع في الجزائر بالنسبة للحزب أكثر فأكثر<sup>(5)</sup>، فالمشروع حسب زعيم النجم كان يهدف إلى: "تحويل

---

(1) ربما لم يتأثر مصالي ورفاقه بالحركة الوهابية في الحجاز لعدة اعتبارات، لعل أبرزها هو أن مصالي ابن زاوية درقاوة الصوفية التي لا تلتقي مع التيار الوهابي أبدا، خاصة وأنها تعتبر الفزاعة التي أتت لتحارب الزوايا في بلاد المغرب، ويروي السيد قناش أن أباه كان يرى في دروس الإصلاح التي كانت تلقى بتلمسان خطرا على الدين، وأبوه ينسب لدرقاوة. أنظر: قناش - قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص 92. والحزب في نظرنا لم يكن في نهاية العشرينات خاصة يعترف بالملك السعودي خليفة للمسلمين لأنه عندما بعثت فرنسا لجنة رسمية بمناسبة الحج إلى السعودية وعلى رأسها العميل (= على حد تعبير بانون آكلي) جلّول بن لخصر وتكرمت عليه بلقب "خليفة" لرفع قيمته، وقد قابل الملك السعودي واستعرض الأعمال الفرنسية في الجزائر أمامه فيما يخص المسلمين، أجابه العاهل السعودي بعدم شكه في كلامه، وهو على علم بما تقوم به فرنسا اتجاه المسلمين في الجزائر، وقد نشرت جريدة لاديبش كولونيال سنة 1932 مقالا عن ذلك، وقد ردّت الأمة على ذلك قائلة: "...جلّول بن لخصر خليفة من؟ وما؟ الرمل أم الجراد؟" وهو خير دليل على أن مصالي ورفاقه كانوا يعلمون بالدسائس التي كانت تحاك، خاصة وأن فرنسا وقفت مع القومية العربية في بداية الأمر بغية إسقاط الخلافة وتفريق العرب لتسهيل عملية احتلالهم والتحكم فيهم. أنظر: شهادة بانون آكلي في: قناش - قداش، المصدر السابق، ص 81.

(2) قناش - قداش، المصدر السابق، ص 62، 63.

(3) قناش - قداش، المصدر السابق ص 64-66. أنظر الرسالة كاملة في الملحق رقم 03.

(4) نفسه، المصدر السابق، ص 68.

(5) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 385-387.

الجزائر إلى أرض فرنسية بمقدار 20 ألف جزائري، ويهدف أيضا إلى فصل بلادنا عن شمال إفريقيا وعن العالم العربي الإسلامي<sup>(1)</sup>.

### • حزب الشعب الجزائري (1937-1945):

لم يفقد أعضاء النجم المنحل أملهم في مواصلة طريق النضال فقام كل من مصالي الحاج، وعيماش عمار، وبلقاسم راجف، ورابع موساوي، ونحال محمد أرزقي بتأسيس حزب الشعب الجزائري يوم 11 مارس 1937<sup>(2)</sup>، ولكن هذه المرة بات من الخطر التصريح بأيدولوجية الحزب نظرا لتغير كثير من المعطيات، لذلك حسب زوز عبد الحميد أخذ الحزب يركز في مطالبه على الإصلاحات الفورية مراعيًا عاملين اثنين هما: الجو السياسي في الجزائر المغاير لفرنسا، ونشاط التشكيلات الوطنية الأخرى<sup>(3)</sup>، فقد حمل الحزب في هذه الفترة شعار: "لا اندماج، ولا انفصال، ولكن تحرر"، لكي يبعد الشكوك التي كانت تحوم حول اتصاله بالفاشية والنازية، وهو ما اعتبره كثيرون تنازلا عن مبادئ النجم وبرامجه السابقة<sup>(4)</sup>، وما يمكن ملاحظته هو أن المولود الجديد (=الجمعية سابقا) اتخذت طابع الحزب، وبدل شمال إفريقيا أصبحت كلمة "الجزائري"<sup>(5)</sup>، وذلك لعدة أسباب لعل أبرزها هو أن التونسيين أسسوا حزبا سياسيا بمفردهم (الحزب الدستوري الجديد 1934) والمراكشيون كذلك (كتلة العمل الوطني 1934)<sup>(6)</sup>، ويروي مصالي الحاج في مذكراته أنه يوم ألقى خطابه في نانثير في نفس اليوم

(1) أحمد الخطيب، حزب الشعب، ج1، المصدر السابق، ص195.

(2) يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص ص114، 115.

(3) عبد الحميد زوزو، الهجرة المرجع السابق، ص ص74، 75.

(4) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص84، 85. لكن الكثيرين اعتبروه تكتيكا وليس تراجعًا من طرف أعضاء الحزب. أنظر: بكار العايش، المرجع السابق، ص203.

(5) Mohamed harbi, aux origines du FLN, la session du Mtd, contribution à l'histoire du populisme révolutionnaire en Algérie, Christian Bourgois (éditeur), paris 1975, p12.

(6) أحمد الخطيب، المصدر السابق، ص 222. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص382.

الذي أسس فيه الحزب قال: "... إن هذا المولود هو ولد كل الجزائريين... إلى غاية هذا اليوم كان نجم شمال إفريقيا يفهم بأنه لا بد أن يكرس جهودهم للدفاع عن شمال إفريقيا كلها، ومع حزب الشعب الجزائري، أردنا أن تخص أنشطتنا الجزائر، مع إبقاء علاقتنا مع تونس والرباط"<sup>(1)</sup>.

ولكن السؤال الآن: بما أن الحزب قلص نشاطه وأصبح يعنى بالشؤون الجزائرية، هل بقي دائما متجها صوب الشرق أملا في الوحدة؟ أم أن هذا المطلب تأثر هو الآخر بتقلص مجال نشاط الحزب؟

إن الحزب (PPA) في هذه الفترة تعرض لكثير من المضايقات، كالسجن، والنفي، والتوقيف، فأغلبية أديباته تناثرت وتبعثرت هنا وهناك، وباتت قليلة للفترة الجدد حساسة التي مر بها خاصة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية<sup>(2)</sup>، ثم أنه في رأينا منذ سنة 1938، اهتم أكثر بعملية التعريف بنفسه، وتنصيب القسامات على مستوى العمالات، لذلك انصب اهتمامه بالشأن الداخلي الجزائري أكثر<sup>(3)</sup>، لكن هذا لا يمنعنا من القول أن الحزب بقي دائما على صلة بالعالم العربي والإسلامي.

فعملية البحث عن حلفاء أو اتحاد، خاصة بين الأقطار المستعمرة بقت جارية، فقد ظل الحزب يؤكد على انتماء الجزائر للفضاء العربي الإسلامي ويؤكد على أن: "الإسلام والعربية والتاريخ المشترك هي المقومات الرئيسية التي تضم ستة ملايين فرد، يتحدثون نفس اللغة ولهم نفس الدين ونفس التاريخ، ويبقى الشعب مرتبطا بها بكل وفاء، ولهذا لا يمكن أن يندمج أو ينمحي"<sup>(4)</sup>.

(1) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 224.

(2) كانت التهمة هي إعادة تأسيس جمعية منحلة، وبدأت المضايقات منذ 1937، ومن الذين ألقى القبض عليهم مصالي الحاج، مفدي زكرياء، خليفة بن عمار، إبراهيم غرافة، محمد مسطول، والحسين حول. أنظر: محمد قناش، الحركة الاستقلالية بين الحريين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص ص 92، 93.

(3) للاستزادة انظر: بكار العايش، المرجع السابق، ص ص 307-324.

(4) تصريح للمكتب السياسي لحزب الشعب الجزائري: أبريل 1937 نقلا عن: رابح لونيبي، التيارات الفكرية، المصدر السابق، ص 342. أيضا: collot ,mouvement national,opcit,p92

ويقول قنانش عن ذلك: " كانت استراتيجية حزب الشعب الجزائري تتركز على الإسلام والبلدان العربية، لأن الإسلام كان المحرك الكبير للدفاع عن الشخصية والكرامة، والارتباط مع التاريخ، وكان أول دافع ومكون للوحدة الجزائرية... وكان هناك شعور عربي واسلامي عند الشعب وتوجد في مقالات الحزب هذه المبادئ... ووحدة المغرب العربي تعدت إلى المشرق العربي" (1).

فباللجنة الإدارية للحزب بالإضافة إلى بعض القسمات تكفلت بمهمة اصدار البيانات، والمنشورات المعبرة عن مواقف الحزب من مختلف الأحداث والقضايا الداخلية والخارجية، وقد خصت بذلك جريدة « El ouma » و« le parlement algérien » خاصة قضايا الشمال الإفريقي والمشرق العربي، وبالخصوص حول القضية الفلسطينية، والتي خصصت لها جريدة الأمة مقالات كثيرة (2)، وقد استعمل الحزب أيضا المنشورات التي تندد بالاستعمار ومساوئه، وكذلك الكتيبات لشرح وجهة نظر معينة لنشر أخبار الحركات الوطنية الأخرى كحركة مصطفى كمال أو كفاح الشعب السوري (3) والشعوب الإسلامية الأخرى (4).

(1) محمد قنانش - محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري (1937-1939)، وثائق وشهادات لدراسة الحركة الوطنية الجزائرية، ترجمة: أوداينة خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص 65.

(2) بكار العايش، المرجع السابق، ص 220-485: أنظر: الأمة ع66 بتاريخ 27 أوت 1938

(3) في مقال في جريدة الأمة كتب عنوان "تضامن مع سوريا"، شرحت فيه الحالة الحاضرة في سوريا فيما يخص شؤون الطلبة السوريين وحيثيات الاحتلال العسكري لدمشق، والقوانين الاستثنائية الذي انجر عنه قفل للمدارس والجامعات ووقف للحركة الاقتصادية، ولكن من دون تلميح للوحدة العربية. الأمة، أبريل 1939. راجع المقال كاملا في: قنانش - قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص 109، 110.

(4) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 111-113. على سبيل المثال أرسلت فدرالية حزب الشعب بالجزائر العاصمة رسالة احتجاج إلى القنصل الإيطالي بالجزائر العاصمة بعنوان: "تضامن مع ألبانيا ضحية الفاشستية الإيطالية" تندد فيه بالممارسات الوحشية ضد دول إسلامية شقيقة وتقول: "الشعب الجزائري والعالم الإسلامي عامة غاضب بشدة على هذا القانون البربري لقطاع الطرق" راجع الرسالة كاملة في: قنانش - قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص 112.

كما أسس الحزب عدة جرائد أخرى منها "الشعب"<sup>(1)</sup> التي تعتبر أول جريدة تصدر كاملة باللغة العربية، والتي أعلنت بمجرد صدورهما على أنها "لسان الحركة الوطنية بالجزائر المسلمة العربية"<sup>(2)</sup>، وقد أشار تقرير من ولاية وهران عن توجهاتها قائلًا: "...تدعو الأهالي إلى الكفاح من أجل استعادة السيادة في الجزائر وتهاجم بشدة الشيوعية والصهيونية... ويتلخص في جمع كلمة الأهالي على أساس وحدة التراب والدين والتاريخ واللغة في إطار دولة عربية التوجه إسلامية العقيدة"<sup>(3)</sup>، ولقد احتوت صفحاتها القليلة على عناوين مثل: في بلاد العروبة، منبر شمال إفريقيا: الذي ورد فيه عنوان: ما يفيد عن تشكيل حزب الشعب لجنة الدفاع عن فلسطين العربية؟<sup>(4)</sup>.

ولقد أصر برنامج الحزب لسنة 1937 على ضرورة التمسك بالتعليم العربي وتطويره، والاهتمام أكثر بالثقافة العربية الإسلامية، وهو ما انتقل إليه حزب الشعب بعد تجربة مرحلية في فرنسا حسب الأستاذ بكار العايش<sup>(5)</sup>، وأكد على ذلك في التوصيات التي أقرها مؤتمره العام المنعقد بتاريخ 23 أوت 1939 ومن مجمل ما جاء فيه حول هذا الجانب:

"توصية من أجل توسيع التعليم العام، والمطالبة بالشرع الفوري في إنجاز برنامج واسع لبناء المؤسسات التعليمية... وإنشاء مدرسة ابتدائية في كل دوار ومدينة... وتأسيس مدرسة ابتدائية عالية وثانوية في كل مجموعة عشر مدارس... وإضافة كلية للآداب العربية في جامعة الجزائر... وتحويل المدارس الفرنسية الإسلامية إلى جامعات إسلامية، يقوم بتدريس العربية وآدابها فيها أستاذة مسلمون... وإصدار مرسوم يجعل تعليم اللغة العربية إجباريا في جميع المستويات، على غرار تونس

(1) عندما عطلت الشعب أنشأت جريدة بعنوان "صرخة الشعب"، وسرعان ما عطلت هي الأخرى.

(2) جريدة الشعب، ع1، بتاريخ: 27 أوت 1937 نقلا عن: أحمد الخطيب، المصدر السابق، ص252.

نقلا عن: بكار العايش، المرجع السابق، ص492. AWO/C2261/Refacture d'Oran (Cie) Oran de 16septembre1937 (3)

(4) أحمد الخطيب، المصدر السابق، ص252. انظر العنوان المتعلق بالقضية الفلسطينية من هذا الفصل.

(5) بكار العايش، المرجع السابق، ص ص 302، 303.

والمغرب والبلاد الخاضعة للانتداب في المشرق... وحثّ المسلمين على الاقبال على التعليم الحر وتشجيعه ماديا، لكونه يعوض بعض نقص التعليم الرسمي في كثير من المراكز" (1).

وفي رأينا أن حزب الشعب الجزائري قد تفتن لأهمية التعليم العربي لربط الجزائريين بماضيهم الحضاري خاصة وأن عديد الأقلام الشيوعية والاندماجية والتي تربت في مدارس فرنسية، كانت تنادي بالارتباط مع فرنسا في إطار اتحاد فدرالي، أو البقاء تحت سيطرتها تحت غطاء المساواة في الحقوق أو الاندماج مثلما حصل مع فرحات عباس عام 1936 عندما قال "فرنسا هي أنا".

لذلك قد اتخذ حزب الشعب الجزائري من العروبة شعارا متميزا في أدبياته، وقد اعترف مصالي الحاج بأن نطق اسم الحزب باللغة العربية كان جميلا جدا ويأخذ معناه الحقيقي (2)، كما سعى (=مصالي) أكثر في هذه الفترة لربط الجزائر بالزعماء العرب، خاصة لما كان يعتزم زيارة تونس لملاقاة الشيخ الثعالبي جويلية 1937، من أجل تدارس الشؤون العربية (3).

ولعلّ الحزب قد قاوم في هذه الفترة أيضا، أطروحات الفرنسيين حول تنافر البربر والعرب، محاولا تشويه تاريخ العرب، وعلى أنهم جاءوا غزاة لا فاتحين، ولم يخلفوا أية آثار، وكذلك حقيقة سكان شمال إفريقيا، المتخلفين الهمجيين الذين لم يبنوا أية دولة حقيقة عبر مرّ التاريخ (4)، لذلك سعى الحزب دائما: "لتحضير وثائق تاريخية هامة لإثبات أن الجزائر كانت وجدت كدولة حرة، ألم يكن لها علاقات دبلوماسية مع المملكة الفرنسية ومع الولايات المتحدة الأمريكية؟" (5).

(1) راجع البرنامج كاملا في: أحمد الخطيب، المصدر السابق، ص 294-298.

(2) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 227.

(3) CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE) Alger، messali hadj، Alger le 1juillet1937.

(4) أنظر الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(5) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 228.

لكن اندلاع الحرب العالمية الثانية، ودخول الجزائر في حسابات تلك المرحلة، قد جعل النشاط السياسي عسيرا جدا، ولم يتم الإلفات لمطلب الوحدة العربية تقريبا، خاصة في ظل نفي زعيمه مصالي الحاج، ودخول غالبية أعضائه إلى السجون والمعتقلات والتضييق عليهم.

### • حركة الانتصار للحريات الديمقراطية (1946-1954):

شمل مفعول قانون العفو الذي أقره البرلمان الفرنسي مارس 1946 جميع القادة السياسيين الذين كانوا يركون الساحة السياسية، بما فيهم أولئك الذين اتهموا على أنهم من دبروا مظاهرات (=العصيان) 8ماي 1945 كفريحات عباس على سبيل المثال، وقد تأجل إطلاق سراح مصالي الحاج إلى غاية أكتوبر 1946، حينما سمح له بمغادرة منفاه بزازا فيل، فقد حظي باستقبال شعبي بطولي بالجزائر العاصمة، وعين بعدها رئيسا لحركة انتصار الحريات الديمقراطية، التي أسست رسميا شهر نوفمبر 1946 وما كانت حقيقة إلا استمرار لحزب الشعب الجزائري (1).

اعتبرت هذه المرحلة مرحلة جديدة ليست كباقي المراحل التي سبقت، خاصة بعد مجازر شهر ماي 1945 التي غيرت مستوى التفكير، ووصلت بالجزائريين إلى قناعة مفادها أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، ليس هذا فقط، وإنما يجب لعب جميع الأوراق من أجل كسب هذه القضية العادلة، لذلك لاحظ عديد المؤرخين أن من بين هذه الأوراق الهامة هو أن "الحركة الاستقلالية تمكنت من استيعاب وفهم طبيعة مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وكان توجهها للمشرق العربي كاختيار استراتيجي" (2).

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص ص 159-161.

(2) عامر رخيطة، انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي (1945-1954)، مجلة المصادر، مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع6، مارس 2002، ص 21.

لذلك وبأمر من اللجنة المركزية للحزب والأمين دباغين نزل المناضل الشاذلي المكي بالقاهرة مبكرا (20 أكتوبر 1945) كممثل للحزب، ليلعب دورا بارزا في التعريف بالقضية الجزائرية من خلال ربطه علاقات مع زعماء الشرق، وكذا مساهما في تأسيس مكتب المغرب العربي، فراح "يعمل تحت إمرة الحزب يكتب المقالات، ويعقد الندوات الصحفية، ويربط العلاقات المتينة مع النخب العربية والإسلامية بالقاهرة"<sup>(1)</sup>، ولعل من بين أهم ما قدمته حركة الانتصار لجامعة الدول العربية في دورتها الرابعة ذلك البيان العام حول مجازر 8 ماي 1945 والمؤرخ في 20 أكتوبر 1946، فقد شرحت فيه وجهات نظرها من عدة قضايا، مطالبة بالتفاته صريحة من الجامعة لدعم القضية الجزائرية، ونظرا لطولها نقتطف منها هذا النص بتصريف، والذي اخترنا منه هذه المقاطع التي تصر على أن الجزائر جزء لا يتجزأ من الأمة العربية المسلمة :

"... حضرات السادة المحترمين، منذ غزت فرنسا الجزائر وإخوانكم الجزائريون يقاومون هذا الغزو... وأضاف بها الشرق العربي مجدا إلى عظمته وكبريائه... ولئن يقف الشرق العربي على كفاح الجزائر المستميت، وعلى تضحياتها الجسيمة في هذا العهد - فلأن الحواجز التي أقامتها فرنسا دون اتصالنا بالشرق - حواجز من حديد لا قبل الشعب بإزالتها بوسائل الأمس... وما وجودنا في مصر الشقيقة الحبيبة إلا خطوة ستتبعها خطوات حاسمة تحكم السدود الباغية... إن تاريخ اتصالنا بفرنسا يشهد أن هذه الدولة الظالمة تريد أن تجعل من الجزائر العربية غير ما أرادت الطبيعة... وتبذل جهدها في محاربة هذه الأمة العربية... لقد قيل أن الأمير عبد القادر كان متشائما ساعة بعث بصيحات استغاثة ونجدة ورسائل تحذير إلى بعض ملوك وأمراء العرب في القرن الماضي أن سلت الجزائر للعدو... ودون أن يهتموا حتى بالرد عليه ظنا منهم أن النكبة على فرض وقوعها إنما ستنزل على الجزائر وحدها... لكن ما أنتم أولاء... باتت إفريقيا الشمالية كلها تحت نير الاستعمار... وتشجع غاصبون آخرون... لاستعمار الأقطار العربية، فلم يمر حين مرّ من الزمن حتى أصبحت

(1) وصفه هنري بنازيت أحد وزراء شارل ديغول في كتابه إفريقيا الشمالية في خطر الصادر عام 1947 قائلا أن: "الشاذلي المكي هو محرك هذه الجبهة، وكّرس تأثيره في مصر للدعوة صراحة بالبووق والصياح بالصوت العالي للانفصال التام، والاستقلال الكامل لبلاد الجزائر" للاستزادة راجع: محمد الأمين بلغيث، الجزائر في باندونغ مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر، دار الغد للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007، ص ص 15، 16.

مصر وطرابلس وغيرهما في قبضتهم... هذا ما نرجو أيها السادة المحترمون أن تكون جامعتنا المحبوبة قد فهمته، إذ المسألة ليست بمسألة الجزائر وحدها وإنما هي مسألة العروبة في جناحها الأيسر بمثل ماهي المسألة الفلسطينية في الآخر الأيمن... فالقضيتان متشابهتان أيها السادة. وإن كلينا مهدد بالفناء والزوال فحذار من التفريط... إن الشعب الجزائري كان وما يزال قبل أن يتعدى عليه الفرنسيون في القرن الماضي شعبا عربيا له حضارته... أيها السادة المحترمون إن الشعب الجزائري لم يطلب قط ولن يطلب أبدا مشروع الاتحاد الفرنسي ولا مشروع الاندماج مشروع الفرنسية... فباسم الأمة الجزائرية العربية التي ضربت أكثر من مثل على تضحياتها في سبيل قوميتها وعلى شدة تمسكا بعروبتها نتقدم إلى حضراتكم راجين مساعدتنا في تحقيق أملنا"<sup>(1)</sup>.

لذلك فإن المتفحص الجيد لهذه المذكرة (=البيان العام)، يقف على أهم ما ورد فيها من دفاع عن الشخصية العربية للجزائر، وتفصيل لحال التعليم والمساجد، وتأكيد على ضرورة الاتصال بالمشرق وتخطي السدود التي بناها الاستعمار، وعدم تكرار أخطاء الماضي، ورفض لمشروع الاتحاد الفرنسي... الخ، لكن دون ربطه بأي طرح وحدوي أو قومي حسب الدكتور عامر رخيطة<sup>(2)</sup>، وكان ذلك لعدة أسباب في نظرنا نفسرها فيما سيأتي:

- بقاء مصالي الحاج فترة طويلة في المنفى وهو صاحب التوجه العربي الإسلامي بامتياز.
- الظروف القاسية التي ميزت الحرب العالمية الثانية، خاصة وعمليات الاعتقال والسجن والنفي لم تترك للمناضلين الجزائريين فرصا للاتصال بالشرق وكذلك العكس<sup>(3)</sup>.

---

(1) بيان عام عن حوادث سطيف الدامية بالجزائر ماي1945(مذكرة حزب الشعب الجزائري إلى أعضاء مجلس الجامعة العربية)، لجنة تحرير المغرب العربي، قسم الجزائر، مجلة الذاكرة: مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، س2، ع2، ربيع1995، ص ص 82-92.

(2) عامر رخيطة، انفتاح التيار الوطني الاستقلالي، المرجع السابق ص29.

(3) يقول الدكتور يحيى بوعزيز: "تحولت السجون والمعقلات إلى أماكن للقاء والتعارف والتدارس وتبادل الأفكار والآراء بين مختلف الأشخاص على اختلاف اتجاهاتهم ونزعاتهم السياسية وأوضاعهم الاجتماعية، وكان حشدهم في السجون من حماقات الاستعمار وجنونه وبركة بالنسبة للحركة الوطنية". يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المصدر السابق، ص160

- كانت الأحداث تحتم النظر أكثر إلى الداخل<sup>(1)</sup>، وحتى الجامعة العربية كانت لا زالت قيد التأسيس فلا يعقل التحدث عن الوحدة بدون استقلال، ثم إن الشاذلي المكّي ورفاقه هناك كانوا على اضطلاع أكثر من الأعضاء الموجودين بالجزائر على الأوضاع المشرقية، فالمذكّرة صيغت حسب الفترة (=مخاض ما بعد الحرب).
- تيقن الجزائريين كما تحدثنا سابقا بضرورة التجنّد بقوة هذه المرّة والدخول في طور جديد من الكفاح وعدم الاكتفاء بالشعارات فقط، فالواقعية كانت هي الأساس مع إعادة بناء الحركة الوطنية، وظهور فئة شبانية جديدة تؤمن بلغة الرصاص لا غير.

وحتى لما واصل مكتب المغرب العربي بمعية لجنة تحرير المغرب العربي التعريف بالقضية المغاربية وكان يرى ضرورة ربطها بالعالم العربي، اتهمت بعض الأطراف بأنها تسعى لكسب الحلفاء خدمة للقضايا القطرية لا غير (=بورقية)<sup>(2)</sup>، فالواضح أن مطلب الوحدة العربية كان أمرا سابقا لأوانه في هذه الفترة

---

(1) نفكر أساسا في تلك الخطوة التي قام بها بعض المناضلين كالأمين دباغين وحسين عسلة وفرحات عباس وأحمد بومنجل وأحمد توفيق المدني والعربي التبسي... الخ، لأجل القيام بعمل مشترك لصالح القضية الجزائرية (بيان الشعب الجزائري 1943).

(2) تتضارب الآراء حول بورقية وحول دوره في خدمة القضية المغاربية في المشرق وهو ليس موضوعنا الآن، ولكن هو يعتبر أن نشأة مكتب المغرب العربي كان بسبب نشاطاته هناك، فالغالبية اتهمته بأن لم يكن مقتنعا بالعامل الميداني وهو ما تسبب بصراع بينه وبين الأمير عبد الكريم الخطاطي الرجل الثوري، ولكن ربما حسب بعض المؤرخين تراجع عن فكرة شمال إفريقيا الفدرالية في إطار الاتحاد الفرنسي وأصبح يؤمن بمغرب عربي موحد في إطار الجامعة العربية، وقد دعا فرحات عباس إلى ذلك، خاصة لما كان ينشط مع جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، لكن الكثير من الكتابات سجلت له بأنه قال: "من الغباء الاعتقاد بأن الدول العربية سوف تدخل في نزاع مع فرنسا لنجدتنا"، وكان يثق في هذه الفترة بصفة كبيرة في الولايات المتحدة، إذ قام بزيارتها في هذه الفترة. أنظر: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، ج1، المصدر السابق، ص 524، 525. أيضا: عروسية التركي، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2011، ص 34، 35. ويبدو أن بورقية قد أعاب كثيرا على الجامعة العربية عدم الإدراج الرسمي لقضية الشمال الإفريقي، فرغم أنه أثنى على عملها ونشاطها في مقال له في جريدة الأهرام إلا أنه كتب يقول: "كيف تقف بلاد شمال إفريقيا وحيدة في صراعها من أجل نيل حريتها واستقلالها منتظرة في أمل وهلفة تأييد الجامعة العربية ومدد المعونة لها" جريدة الأهرام المصرية: 11-2-1945. أنظر المقال كاملا في:

A.N.T، série : mouvement national، carton 65، dossier n°، article de président

Bourguiba publier par le quotidien cairote « al ahram ».

لأن التباين الأيديولوجي كان واضحاً بين القادة السياسيين المغاربة هناك، حتى فيما يتعلق بالخطط التي ستسير عليها اللجنة، وبعدها الأقطار المستعمرة في كينيات التحرير (= خيار ثوري عسكري مقابل خيار سياسي سلمي) والعلاقة مع الاستعمار<sup>(1)</sup>، فكثير من القادة ربما كان فاقداً الأمل في الجامعة العربية قبل حتى أن تبدأ نشاطها، ومنهم من رأى أنها موثيقها وقراراتها لازالت تحتاج إلى عمق نظراً لعدم احتواءها بلاد المغرب العربي وادخاله ضمن نطاق الوحدة العربية<sup>(2)</sup>، فالحقيقة أن الفتور كان موجوداً خاصة كما اعتبر المناضل يوسف الرويسي بأن "القضايا العربية العامة كانت تستغرق نشاط الهيئات المختلفة، وتشغل جزءاً كبيراً من أذهان القادة والزعماء العرب، وتحظى بعطف الصحافة العربية وتأييدها، فيما كانت قضايا المغرب لا تحظى إلا بجزء يسير من العناية... ويرجع هذا إلى عدة أسباب، منها أن الاهتمام في كل قطر من الأقطار العربية كان موجهاً إلى عهد قريب إلى قضيته الخاصة قبل كل شيء، فكان كفاح كل قطر في سبيل تحرره واستقلاله يستأثر بمعظم جهوده، وإن

(1) أنظر مثلاً: معمر العايب، التباين الأيديولوجي لقيادات مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة يرهن مشروع مستقبل وحدة المغرب العربي السياسية، دورية كان التاريخية، ع16، يونيو، ص ص 73-78.

(2) أثنى علال الفاسي زعيم حزب الاستقلال المغربي على الدور الكبير الذي كانت تلعبه الجامعة العربية في مساعدة الشعوب المكافحة من أجل التحرر، لكن كان يعيب عليها بعض النقائص خاصة تلك المتعلقة بعدم الإدراج الصريح لبلاد المغرب العربي في مشروع الوحدة وعدم التعامل معها حالها كحال فلسطين فيقول (بتصرف): "لا نريد أن ننقص من قيمة الجهود الجبارة التي قامت بها الجامعة في عهدها الفتي المملوء بالمخاطر والمصاعب، كما لا نريد أن نغالي في تقدير هذه الأعمال أو في إطراء القائمين بها... فالمادتان الأوليان من ميثاق الجامعة التأسيسي ومن بروتوكول الإسكندرية تنصان على أن الجامعة العربية تتركب من الدول العربية المستقلة، وهذا يعني بصريح العبارة أن الدول العربية غير المستقلة لا محل لها في عضوية الجامعة... ومقدمات الملحق لا تحدد العالم العربي ولا تفسر المقصود منه تفسيراً رسمياً، ولقد ظل الكثيرون ينظرون إلى المغرب العربي كجزء بعيد عن العالم العربي على الأقل من وجهة التفكير السياسي الشامل، وظلت ظروف الاستعمار دائبة على اعتبار الشرق الأوسط المعني بالبلاد العربية، واعتبار الشمال الإفريقي جزءاً من المنطقة الإفريقية أو من الاتحاد الفرنسي، ولذلك فإن الملحق يظل غامضاً بالنسبة إلينا إذا لم تصدر الجامعة قراراً يقضي باعتبار المغرب العربي جزءاً لا يتجزأ من البلاد العربية...". علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص ص 525-528.

الشعور بالقومية العربية التي تجمع بلاد العروبة كلها، لم يكن قد تكامل بعد، فكانت الحركات العربية حركات - قومية - خاصة"<sup>(1)</sup>.

و في رأينا حتى عبد الرحمن عزام باشا الأمين العام لجامعة الدول العربية، المعروف بإخلاصه المتفاني للقضايا المغاربية<sup>(2)</sup>، عندما ترأس مؤتمر القاهرة (15-22 فيفري 1947)، وألقى خطابه على الحضور قد ملح إلى ضرورة اعتماد المغاربة على أنفسهم واتحادهم فيما بينهم للخروج بحل يخرج المستعمر عن أراضيهم، ولم يقدم عدا ذلك أي وعود بشأن انضمام بلاد المغرب إلى الوطن العربي (=سياسي في تلك الفترة الصعبة التي تميزت بفتوة الجامعة العربية)، واكتفى بالإصرار على التحرير فقط، ومن جملة ما قال: "... إن المغاربة هم الذين حملوا دعوة الإسلام إلى أوروبا، ونحن نذكر آثارهم بالأندلس وحضارتهم بها وسعة الصدر التي امتازوا بها، فهم عماد هذه الأمة في الماضي وهم عمادها في المستقبل... فما الذي قدمته الجامعة في هذا السبيل لعرب المغرب؟ إنه أقل ما علينا لأننا نعلم ونشعر بأن هذا الجناح الأيسر للعروبة جناح قوي... وقد تقدمنا إلى خصوم المغرب بالنصيحة أولا، ثم تقدمنا لهم بالخصومة ثانيا، وآخر قرار كلفني مجلس الجامعة بتقديمه، هو القرار الذي أرسلته أخيرا لفرنسا

---

(1) يوسف الرويسي، نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة الرابعة (دور مكتب المغرب العربي بدمشق في انعقاد مؤتمر المغرب بالقاهرة)، المجلة التاريخية المغربية، س6، ع15-16، مؤسسة عبد الجليل التميمي، تونس، جويلية 1979، ص 108.

(2) كان عزام باشا كثير التحمس لمساندة المغرب العربي في تحرره، وقد اضطلعنا على تقارير استخباراتية كثيرة موجودة في الأرشيف الوطني التونسي حول دعم عزام باشا للقضايا المغاربية التي اعتبر أن لها الحق في الاستقلال شأنها شأن سورية ولبنان وطرابلس، كما كان يبعث بالبرقيات إلى مجلس الأمن، والأمم المتحدة، حول قضايا المغرب وضرورة تحرير الشخصيات التي تعيش في المنافي والسجون على شاكلة عبد الكريم الخطابي مثلا. انظر التقارير:

A.N.T، série : mouvement national، carton 54، dossier n° 4، note n°1414A/S : ligue arabe، Tunis 3juin1946-et : note n°1515A/S : ligue arabe، Tunis 13juin1946.et : note n° :1536A/S : ligue arabe، Tunis 14juin1946.

أذكرها بحقوق المغاربة، وأنه لا يصح أن تبقى متمسكة بأفكار وآراء ترجع إلى القرون الوسطى في هذا العصر...أيها السادة هذا المؤتمر خاص بالمغاربة، وليس لي بصفتي أمينا عامًا للجامعة العربية أن أتحمل مسؤولية ما يصدرونه من قرارات، بصفتهم أفرادًا أو هيئات، وإنما أعمل وأتحمّل المسؤولية في سبيل الكفاح من أجل حرية جميع البلاد العربية، وفي مقدمتها بلاد المغرب العزيزة علينا"<sup>(1)</sup>.

فهذا الخطاب بالنسبة إلينا يحتمل عديد التأويلات، فهو من جهة يذكرنا بآراء شكيب أرسلان قبل أكثر عشر سنوات من هذا التاريخ، حينما استثنى بلاد المغرب العربي من الوحدة السياسية وقد تحدثنا عنه سابقا، ويمكن أن نذكر بأن غالبية الشخصيات قد وقفت مع رأي أرسلان على حساب رأي سليمان الباروني، فلا يجوز لنا كمؤرخين في هذه الحالة في ظلّ عدم الإمام بكل الزوايا توجيه أصابع الاتهام للجامعة العربية الفتية، الشائع على أنها تأتمر بأوامر المخابرات البريطانية والأمريكية مباشرة، ونقول أنها تنصلت عن التكلم بشأن وحدة سياسية شاملة مع المغرب<sup>(2)</sup>، خاصة وأنها رأت أن شخصيات مغربية قبلت بذلك الطرح قبل أن تعلنه الجامعة العربية وخاصة (الجزائر = ابن باديس من الجمعية والنواب والاندماجيون)، ثم إن أحداث ما بعد الحرب وما حدث من مجازر في الجزائر ماي1945 جعلت العرب يتيقنون أن الحالة الجزائرية ازدادت عسرا، فيما بدأت الحالتان المراكشية والتونسية وكأتهما ستعرفان حلولا خاصة بعد انزال الحلفاء (نوفمبر1942)، وبعدها مؤتمر أنفا بالدار البيضاء(1943)، وهو ما حدث بالفعل، فسرعان ما طفت الخلافات على قيادة لجنة تحرير المغرب

(1) راجع الخطاب في: يوسف الرويسي، نشاط مكتب المغرب العربي، المصدر السابق، ص ص 116-118.

(2) عالج مؤتمر القاهرة إحدى المحاور الهامة وهو "المغرب العربي والجامعة العربية" وخرج بمجموعة من القرارات في هذا المجال وقد جاء في الأسباب الموجبة لتلك القرارات ما يلي: "إذا كانت بلاد المغرب العربي طيلة عصورها التاريخية مرتبطة أشد الارتباط بالبلاد العربية في المشرق، فقد ظلت البقعة المحدودة بالخليج شرقا والمحيط الأطلسي غربا على مرّ الأيام مجالا فسيحا للأمة العربية مستقرا لها. وإذا كانت بلاد المغرب قد أتى عليها حين من الدهر عاشت فيه في شبه عزلة عن بقية البلاد العربية فإن الذنب في هذا ليس ذنبا بل هو ذنب الاستعمار الذي حال بينها وبين شقيقاتها العربيات في المشرق بكل ما يملك من وسائل، ومع ذلك فإن تلك الروابط التي جعلت من الأمة العربية أمة واحدة في المشرق والمغرب ظلت حقيقة ثابتة لا تقبل الزوال لأنها تستند إلى أسس تاريخية وجنسية ولغوية وجغرافية ترجع إلى مئات السنين". انظر: يوسف الرويسي، المصدر السابق، ص 107.

العربي، فالأهداف كانت مختلفة، وربما كل طرف كان يسعى للاستعانة بدعم الجامعة العربية<sup>(1)</sup> للتعريف بالقضية لا غير ، وربما يستثني المؤرخون الطرف الجزائري الذي ظل متشبثا بضرورة بقاء المغاربة والعرب متّحدين، لكي لا تتفرغ فرنسا للجزائر وحدها، لأنها كانت تشكل الاستثناء، وهو ما حدث بالفعل، لذلك وفي رأينا كانت آخر فقرة من خطاب عبد الرحمن عزام تستهدف عدم الخوض المباشر في شؤون المغاربة خاصة المستقبلية، فجعله يضمن المساعدة من أجل التحرير مبدئيا<sup>(2)</sup>.

لذلك يمكننا أن نقول مفهوم الوحدة العربية قد تأثر خاصة، بفعل السعي وراء تجسيد الوحدة المغاربية من أجل التحرير هذا أولا، والاهتمام بالشأن الداخلي أكثر (دخول الانتخابات -إنشاء المنظمة الخاصة) ثانيا، بالإضافة إلى أننا لن نغفل القول بأن تباطؤ حركة المناداة بالوحدة العربية - الإسلامية في الجزائر قد تأثر بفعل عوامل داخلية أخرى ، خاصة مع تراجع التوجه الإسلامي (=نخبذ أن نستعمل العربي) داخل حركة الانتصار منذ 1946، وبالخصوص بعد استقطاب الحزب لعديد المثقفين المتخرجين من المدارس والمعاهد الفرنسية، حاملين معهم بعض التأثيرات ذلك التكوين المدرسي الفرنسي، فأعضاء اللجنة المركزية أصبحوا يمثلون نسبة 23 بالمائة من خريجي الجامعات الفرنسية مقابل 4,1 بالمائة من خريجي الأزهر والزيتونة<sup>(3)</sup>، وهو الأمر الذي وصفه البعض أنه كان من

---

(1) يقول الدكتور محمد مالكي: "ستشكل مرحلة ما بعد التأسيس لجامعة الدول العربية 1945 حقبة هامة بالنسبة إلى النضال الوطني المغربي، وتجربة حركاته التحررية، كما سيكون للتغيرات التي تخللت الخطاب العربي حول القومية والوحدة، مفعول إيجابي =على صعيد إنضاج الشعارات السياسية للوطنيين الظرفية منها والاستراتيجية. راجع كتابه: الاستعمار والحركات الوطنية، المرجع السابق، ص 397.

(2) رجع الأمين دباغين بعد إحدى سفرياته من القاهرة محبّطاً حسب مارواه حسن آيت أحمد في مذكراته، حيث يقول: "...رجع الأمين دباغين دون أن يحصل على أي شيء ملموس. اكتفى عزام باشا الأمين العام للجامعة العربية بتقديم وعود مغربا عن ثقته التامة في المغرب والمغاربة الذين سيحرون أنفسهم وسيساهمون بمثلهم في تحرير شعوب الشرق الأوسط". أنظر: حسين آيت أحمد، روح الاستقلال-مذكرات مكافح (1942-1952)، ترجمة: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002، ص 210.

(3) Benjamin Stora, les sources du nationalisme algérien, parcours idéologique origine des acteurs, édition l'harmattan, paris, 1989, p137.

بين الأسباب المباشرة التي أدت إلى حدوث ما يسمى بالأزمة البربرية (1949)<sup>(1)</sup> والتي نتطرق إليها فيما يلي.

يقول عنها بن يوسف بن خدة: "كان دعاة النزعة البربرية يستغلون شعار -الجزائر الجزائرية- كبديل لشعار -الجزائر العربية -و-الجزائر الفرنسية- سعيا منهم إلى التعتيم على حقيقة مراميهم السياسية، ولا جدال في أن عبارة -الجزائر الجزائرية- لا معنى لها... لا مرأى إذن، لا يمكن فهم مدلول شعار -الجزائر جزائرية- إلا من حيث كونه محاولة متعمدة لطمس المقومات العربية الإسلامية للأمة الجزائرية"<sup>(2)</sup>.

فأزمات مثل الأزمة البربرية والتي أتت في فترة جد حساسة، خاصة وأن الجزائر وحركة الانتصار (MTLD) انفتحت أكثر على العالم العربي، كان من شأنه أن يحدث حرجا كبيرا وضربة موجعة لسياسة الحزب على المستوي الداخلي والخارجي، لذلك سارع لاحتواء الأزمة بإبعاد العناصر المتهمه في ذلك، ومنهم حسين آيت أحمد الذي كان قائد المنظمة الخاصة، ومتبوعا من طرف الإدارة الاستعمارية، وقد نفا ذلك متبرئا من العناصر المتهمه<sup>(3)</sup>، فأرسل بعدها إلى القاهرة لتدعيم كل من

---

(1) يقول الدكتور رابح لونيسي: "يبدو أن البعض من هؤلاء المنخرطين الجدد الذين تخرجوا من المدارس والجامعات الفرنسية كانوا وراء طرح النزعة البربرية داخل حركة الانتصار، كما أن البعض منهم أيضا وراء محاولة التمييز والفصل بين الوعي الوطني والديني عكس ما كان في السابق، وقد قام صائغوا إحدى الوثائق الأساسية للحزب عام 1951 بإبعاد العنصر الديني الإسلامي عن الوطنية الجزائرية بالقول: "أن الجزائري يفصل بوضوح بين الوعي الوطني والوعي الديني"، لكن دليلهم في ذلك ليس حقيقة المجتمع بل كفاح المسيحيين في الشام ضد الاستعمار الفرنسي" أنظر: رابح لونيسي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 113.

(2) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، المصدر السابق، ص 246.

(3) يقول آيت أحمد في مذكراته عن الأزمة وقضية اتهامه وزملائه وردوده عن ذلك: "قرر المكتب السياسي أخيرا أن يرسل لي موفدين هما شرشالي والنائب خيضر ليطلعا على موقفني بخصوص المؤامرة البربرية، أجبته باختصار -لا وجود لمؤامرة بربرية بل هناك استغلال مبالغ فيه لسلوكات علي يحي في باريس- وقلت إن الأزمة ناتجة عن عجز الحزب في القيام بالتكفل ببصيرة وحكمة بمسألة الهوية الجزائرية بكل مكوناتها. وقلت: "إذ لم أقم أنا ورفاقي بطرح المطالب الثقافية واللغوية البربرية حتى لا نقوض المسار الثوري، فهذا لأننا نقبل أن تكون الجزائر عربية بدل أن تكون فرنسية، ولاحظت أن هناك من يفضل الجزائر الفرنسية على الجزائر البربرية". ويضيف أنه لما استدعي جلسة عمل للمكتب السياسي كان يرأسها مصالي الحاج، سأله حسين حول حل الأزمة وعن ضلوع بعض الأطراف فيها كالأمين دباغين وبودة، فردّ حسين آيت أحمد قائلا: لن أدين =

محمد خيضر والشاذلي المكي<sup>(1)</sup>، وربما نعتقد في رأينا أن الحزب تعامل نوعا ما بقسوة اتجاه القضية ليس رغبة في تصفية الحسابات مع بعض الأشخاص المنتمين لمنطقة القبائل، بقدر ما كانت قيادة الحزب متخوفة من تيار ينمو بسرعة ويأخذ منحرجا خطيرا، خاصة وأن الأزمة كانت مسّت المغرب الأقصى (الظهير البربري) وأحدثت لغطا كبيرا هذا من جهة، من جهة أخرى ربما كان موقف بعض العروبيين الراديكاليين تحريضا استتصاليا ضد الهوية الأمازيغية التي لم يكونوا ليفهموها في سياقها الخاص، في ظل شح المعلومات عنها (= في رأينا التكوين المشرقي لم يكن ليكوّن فكرة جيدة عن الهوية الأمازيغية فكل شيء كان يرتبط بالعروبة لا غير)، فكثير منهم كان يعتقد أن المناداة بالأمازيغية هي حرب ضد الإسلام، خاصة وأن غالبية الكتابات حول البربر والأمازيغ والهوية والمجموعات الإثنية في شمال إفريقيا كانت بالفرنسية ومدعومة من طرف الجامعة والباحثين.

لذلك وفي رأينا قد تفتن حزب الشعب مبكرا إلى هذه القضية وهي الصراع حول الهوية وحاضر ومستقبل الجزائر، وخاصة فيما يتعلق بالمشاعر القومية التي كانت موجودة عند الجزائريين ولكنها كانت تحتاج إلى تحريك وتهذيب وتكامل، لذلك كان يسعى إلى الاهتمام أكثر بقضايا التعليم العربي الحر، و محاولات الرفع من مستوى اللغة العربية، ودليل ذلك تسابقه مع جمعية العلماء لبناء المدارس العربية الحرة ونشره للتقارير والمطبوعات التي مع بداية الخمسينيات، خاصة والتي تصف حالة التعليم العربي وتطالب بتحسينه<sup>(2)</sup>، والتي كانت في نظرنا من بين الأمور التي وجب القيام بها للنهوض

---

=أصدقائي لأربعة أسباب: أولا: لأنني لا أعتقد بوجود مؤامرة. ثانيا: لأنني أشاطرهم الأفكار بخصوص الثقافة واللغة البربرية. ثالثا: الأزمة وليدة رفض النقاش على مستوى هياكل الحزب لهذه المشاكل الأساسية. رابعا: عندما ظهرت الأزمة كانت كل الوسائل متوفرة لحلها لصالح الحزب والبلد، وقد اخترتم طريق القمع وهو طريق متطابق مع سياسة المستعمر".  
أنظر: حسين آيت أحمد، المصدر السابق، ص 211-213.

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 247.

(2) أنظر مثلا المطبوعات (=جزء هام من الأدبيات) التي أوردها الدكتور الراحل يحي بوعزيز المتعلقة بحزب الشعب في الخمسينات: المطبوعة الأولى بدون عنوان (قسم التعليم ص ص 96-104)، وتستنكر فيه الحال الذي وصل إليها التعليم العربي مقابل ازدهار التعليم الفرنسي لبعض الفئات فقط - المطبوعة الثانية حول التمييز العنصري في الجزائر (احصائيات حول نسب =

الفكري والثقافي (=المقاومة) أولاً، و للحاق بالركب القومي العربي (=الإسلامي) ثانياً، وثالثاً من أجل القضاء على كل محاولة تعريبية، أو نزعة انفصالية عنصرية، قد يستغلها الاستعمار الفرنسي للتفاوض وتحقيق مشروع الاتحاد الفرنسي الذي كان يسلكه بعد الحرب بقيادة ديغول وأنصاره<sup>(1)</sup>.

لذلك لم تفتأ جرائد حزب الشعب (=حركة الانتصار) نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات، من التكلم عن القضايا العربية مبينة مواقفها منها، ومؤكدة بأن القضية الجزائرية جزء لا يتجزأ من القضية العربية، خاصة وأن مصالي الحاج ذهب إلى الحج في سبتمبر 1951 أي غداة تأسيس الجبهة الوطنية للدفاع عن الحريات، وقام على إثرها بزيارة عدة أقطار عربية منها مصر، وعقد عدة اتصالات بقيادة مغاربة وعرب هناك<sup>(2)</sup>، وحتى بعد عودته ونفيه إلى مدينة في نيورت (niort) بفرنسا استغل عزله بخلق جو تضامني للحركة الوطنية منذ 1950، من قبل دول العالم العربي الإسلامي كما لعب دور الداعية معرفاً بالقضية الجزائرية هناك<sup>(3)</sup>.

---

=التلاميذ والطلبة والميزانيات وتقديم حوصلات كارثية ص ص 145-149) - المطبوعة الثالثة حول التعليم في الجزائر جاءت في 40 صفحة تناولت حال التعليم منذ الاحتلال والكيفيات التي تم بها القضاء على اللغة العربية. للاستزادة انظر المطبوعات كاملة في يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري، المصدر السابق، ص ص 65-288.

- (1) انظر الفصل الرابع حول سياسات فرنسا (الاتحاد الفرنسي) لاحتواء مشاريع الوحدة.
- (2) محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي (1910-1954)، ج 1، المصدر السابق، ص 499.
- (3) يحي بوعزيز، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني (1946-1962)، دار هومة، الجزائر، 2001، ص 56. يقول مصالي عن الرحلة: "بعد تأدية الفرائض في الأرض المقدسة والانتهاؤ من الحج إلى مكة زرت القاهرة. وهنا خصصت وقتي كله للتعريف بالمشكل الجزائري جميع مظاهره سواء لقادة الجامعة العربية أو لممثلي البلدان العربية الإسلامية وحرصت على الخصوص على توضيح الطموحات العتيقة للشعب الجزائري، وشرحت لمحدثي العديدين جميع أوجه المسألة وألححت خاصة على المساعدة المعنوية التي تنتظرها منهم" أنظر: بنيامين سطورا، مصالي، المرجع السابق، ص 205.

تكفلت بالتحسيس بأهمية العالم العربي الإسلامي، والدعوة إلى وحدة كاملة جرائد كالجرائد الحرة والمنار<sup>(1)</sup>، فهذه الأخيرة التي كانت تعبر عن آراء ومواقف حركة الانتصار بشكل غير رسمي<sup>(2)</sup> قد أكدت في أول عدد منها قائلة أن: "المنار يؤكد استنادا على الحقائق الجغرافية والتاريخية والجنسية أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب الذي هو جزء طبيعي من العالم العربي والإسلامي، ولذا يجاوز الوطنية الإقليمية إلى الوطنية العربية والإسلامية العامة"<sup>(3)</sup>، واهتمت الجريدة بشكل كبير بأخبار الدول العربية والإسلامية<sup>(4)</sup>، وشؤون المؤتمرات<sup>(5)</sup> والندوات التي تعقد لمناقشة حاضر ومستقبل الأقطار المستقلة والمستعمرة، كما نقلت الأحاديث<sup>(6)</sup>، والتصريحات، واللقاءات الصحفية، التي تهتم بشؤون الوحدة العربية على غرار مقال لكاتبه الملقب بالحارث بعنوان "في سبيل وحدة إسلامية"<sup>(7)</sup>، وهو ما يؤكد على أن الصحيفة ومعها حركة الانتصار كانت توضح ميولاتها وخياراتها الطامحة، في حلم تحقيق الوحدة، بالرغم من أنه كان يبدو واقعا بعيد المنال.

وفي نفس الجريدة كُتب مقال يوضح الأهداف المطلوبة من تعليم مادة التاريخ، قال صاحبه فيه: "...يجب أن نرمي في محاولاتنا إلى اقناع التلميذ بأن الوطن الجزائري مثلا ملك للأمة الجزائرية منذ أقدم

---

(1) مؤسسها المناضل محمود بوزوز بالجزائر العاصمة، وهي جريدة نصف شهرية ظهر أول أعدادها بتاريخ 29 مارس 1951 واستمرت في الصدور إلى غاية 1 جانفي 1954، وهي جريدة سياسية، ثقافية، دينية، حرة كانت تابعة لحركة الانتصار للحريات الديمقراطية بحيث تتحمل مصاريف طبعها وتوزيعها. أنظر: جريدة المنار، دار البصائر، ط1، الجزائر، 2007 (المقدمة).

(2) إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، دار هومة، الجزائر، 2013، ص162.

(3) محمود بوزوز، المنار وأهدافه، جريدة المنار، ع الجمعة 29 مارس 1951، ص1.

(4) من بين الأقطار العربية والإسلامية التي تكلمت عنها المنار نجد: مصر، باكستان، تركيا وأقطار المغرب العربي والدول الإسلامية الغير العربية.

(5) مؤتمر الشعوب العربية، المنار، ع الجمعة 1 فيفري 1952، ص3.

(6) نقلت المنار عن جريدة البعث حديث للمناضل التونسي يوسف الرويسي، ومن جملة ما قاله آنذاك: "الشعب العربي في المغرب يستلهم موقفه هذا من إيمانه بضرورة العمل لتحقيق الوحدة العربية الكاملة ومن نظرتة إلى قضايا العرب نظرة كلية شاملة فهو يعتبرها قضية واحدة". المنار، ع الجمعة 15 فيفري 1952، ص2.

(7) الحارث، في سبيل وحدة إسلامية، المنار، ع 26، 14 ديسمبر 1952.

العصور. لم تغتصبه بقوة الحراب ولم تهجر إليه فرارا من فقر أو ظلم. وأنه جزء من الوطن العربي الأكبر الممتد من الخليج الفارسي شرقا إلى بوغاز جبل طارق غربا"<sup>(1)</sup>. وكثيرة هي الأمثال عن مساعي المنار من أجل الوحدة العربية فعددها كثير وحصرها عسير، وقد أكدت بدورها في مقال عن انتهاء سنتها الأولى محصية ما تطرقت إليه وموضحة أهدافها التي كانت ترمي إليها فتقول: "المنار مسرورة بهذا التوحيد (=العمل المغاربي) الذي ساهمت في الدعوة إليه مساهمة خالصة، وترجو أن يتجاوز الحدود الإقليمية إلى الوحدة الإسلامية... لم تقتصر حملتنا على الاستعمار في بلادنا، بل شملت سائر الأقطار الإسلامية كالمغرب الأقصى، وتونس، ومصر، وإيران، وغير الإسلامية كالهند الصينية، والماليو، ومدغشقر، وأفريقيا السوداء... فأعلننا ابتهاجنا بتحرر الشعوب الإسلامية وغيرها... وكان موقف الجريدة من الأحزاب والهيئات الجزائرية موقف احترام وانصاف... مؤكدة ضرورة توحيد برنامج العمل مع مراعاة المطامح القومية والقيم الروحية إشارة إلى ان وجهتنا الطبيعية هي الشرق العربي والإسلامي..."<sup>(2)</sup>.

ولكن فترة الخمسينات اعتبرت فترة جد هامة في تاريخ الحركة الوطنية عامة والتيار الاستقلالي خاصة، هذا إذا أخذنا بعين الاعتبار الانسداد الحاصل بعد الأزمت المتتالية التي وصل إليها المصاليين والمركزيون، وظهور طرف ثالث يدعو للكفاح والثورة لا غير، خاصة وأن الثورة اندلعت في القطرين المراكشي والتونسي، ولكن هذا ربما لم يثن أعضاء الحزب عن خطهم الواضح وهو التوجه الوحدوي العربي الإسلامي، ولكن ربما هذه المرة في إطار التعاون لا غير، ففي التقرير العام الذي قدمته اللجنة المركزية في المؤتمر الثاني لحركة الانتصار بالجزائر أيام 4-5-6 أبريل 1953 قد أكدت على ضرورة التشبث بالمبادئ العربية الإسلامية فتقول: "علمنا التاريخ أن الجزائر كتونس ومراكش كانت ملتقى حضارات مختلفة، فكان للسكان يومئذ لغة ونظم وتقاليد خاصة، وقد نمت هذه النظم بعناصر جديدة لا سيما تلك التي جاء بها الإسلام الحنيف منذ 13 قرنا على أيدي العرب الذين اندمجوا مع أهل البلاد وكوّنوا

(1) كاتب مجهول اسمه (المطالع)، أهدافنا من تعليم التاريخ، المنار، ع الجمعة 1 فيفري 1952، ص 2.

(2) محمود بوزوزو، المنار تنهي سنتها الأولى (بتصرف)، المنار، ع الجمعة 28 مارس 1952، ص ص 1-4.

شعبا واحدا تتكلم أغليته اللغة العربية وأصبح له مفهوم للحياة وطريقة في التفكير واحدة وأصبحت جميع حركاته مطبوعة بطابع الإسلام"<sup>(1)</sup>.

ولعلنا نلاحظ أن ظلّ الأزمة البربرية كان لا يزال يخيم على الحزب، فبعد تلك الأزمة بدت الأدبيات أكثر تعقلا من أجل إرضاء مختلف الأطراف، فقد أكدت هذه الفقرة على أن الجزائر كانت تملك تاريخا محترما قبل الإسلام (=الممالك الأمازيغية)، ولما جاء الإسلام طوّرها وحسّنها (نمّاها وليس أنشأها)، وأن العرب الذين قدموا من شبه الجزيرة العربية، هم الذين اندمجوا بين البربر وليس العكس وهو ما كان يروّج له قبل ذلك، كما تصوّر الفقرة أيضا على أن لغة الأغلبية هي العربية، وهي من جهة أخرى هيّ تأكيد على أن هناك أقليات أيضا تتكلّم الأمازيغية (=مقارنة بنسمة السكان حوالي 10 ملايين) يجب أن تحترم، وكل هذه الأطراف تحت راية الإسلام.

كما أصر تقرير اللجنة المركزية أيضا على ضرورة التعاون (=لم يقل الوحدة) مع الكتلة العربية الآسيوية فتقول: "يجب ربط الصلات الودية للتعريف بالقضية الجزائرية في الميدان الدولي وخاصة مع بلاد الكتلة العربية الآسيوية"<sup>(2)</sup>. وتحي الجامعة العربية وتقول عنها أيضا: "يرجو الحزب أن تستمر الجامعة في تأدية الرسالة السامية التي اضطلعت بها بمضاعفة أعمالها لصالح قضية المغرب العربي الذي تتحد فيه تونس والجزائر ومراكش"<sup>(3)</sup>.

فالفقرتان توضحان بأن العروبة والإسلام والتواصل مع الدول العربية واجب من أجل التعريف أكثر بالقضية الجزائرية في المنابر الدولية، ولكن دون ربطه بمشاريع وحدوية غامضة خاصة وأن الثورة كانت على وشك الاندلاع، فكان الاهتمام منصبا على التحرير قبل كل شيء، لذلك أصبح المشرق حليفا

(1) يحي بوعزيز، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص 96.

(2) يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 164

(3) نفسه، ص 171.

موضوعيا واستراتيجيا وخاصة القاهرة، التي أصبحت ملجأ لغالبية المناضلين والفارين والثوريين كخضير وآيت أحمد وبن بلة<sup>(1)</sup>، الذين عقدوا علاقات مع الزعيم القومي جمال عبد الناصر للتزود بالأسلحة، وربما ستأخذ العلاقة بين عبد الناصر وبن بلة طابعا قوميا عروبيا أدى إلى ظهور عديد الرفضين للفكرة (=احتواء ناصر للثورة)، وعلى رأسهم عبان رمضان مهندس مؤتمر الصومام الذي طرحت بعده إشكالية الهوية والانتماء ومصير الجزائر كيف ستكون؟<sup>(2)</sup>.

### 3- القضية الفلسطينية محرك الشعور الوحدوي العربي لرواد الحركة الوطنية الجزائرية:

للقضية الفلسطينية مكانة عظيمة في قلوب العرب والمسلمين عامة، والجزائريين خاصة، ولن نكون مبالغين ونقول أنها لا يمكن أن تتكرر عند أي شعب عربي أو مسلم فيما يخص علاقة الجزائر بفلسطين، ويعود ذلك لعدة أسباب، وتراكمات وترسبات تاريخية وجدانية وروحية عميقة لا يمكن أن تتمحي بسهولة، والتي مهما عددناها لن نوفيها حقها في هذه الدراسة المبسطة، فالنص القرآني بين قدسية أرضها الطاهرة فيقول الله تعالى في محكم التنزيل: "سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ"<sup>(3)</sup>، ويقول الرسول عليه أفضل الصلاة والسلام: " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد: المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدي هذا"<sup>(4)</sup>، ففلسطين هي أرض الأنبياء، ومهد الرسالات، ومنبع الحضارات، وتعتبر أرضها وقفا إسلاميا لجميع أجيال المسلمين في الماضي والحاضر والمستقبل إلى قيام الساعة<sup>(5)</sup>.

(1) عامر رخيطة، المرجع السابق، ص 37.

(2) يتهم الراحل بن بلة عبان بأنه لم يلتفت للعروبة والإسلام في الصومام، وهو بالتالي تخلى عن مبادئ بيان أول نوفمبر

1954، شاهد: شهادة بن بلة لأحمد منصور، شاهد على العصر، قناة الجزيرة الفضائية، 2002.

(3) الإسراء، الآية رقم 01.

(4) متفق عليه.

(5) عبد الغني إبراهيم بلقيروس، صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين (1948-1949)، دار الخلدونية، ط1، الجزائر

، 2010، ص 35.

وقد سجّل التاريخ بأقلام من ذهب، مساهمة المغاربة في أحداث تعلّقت بالعرب وفلسطين خاصة عندما كانوا يشدون الرحال إليها للحج<sup>(1)</sup>، أو لطلب العلم أو الجهاد، مثلما كان مع الوالي الصالح سيدي أبي مدين شعيب دفين تلمسان، والذي شارك مع صلاح الدّين الأيوبي في معركة حطين الشهيرة (أكتوبر 1187م) و قطعت فيها يده ودفنت هناك<sup>(2)</sup>، بالإضافة إلى الهجرات الجماعية التي كانت من طرف المغاربة إلى بلاد الشام وبالخصوص فلسطين، والتي أدت إلى استيطان العديد منهم هناك خاصة فيما يعرف بحارة المغاربة الواقعة في الجهة الجنوبية في القدس، و بجوار الحرم القدسي الشريف<sup>(3)</sup>، ثم أن الجزائريين أصبحوا شديدي العداء مع اليهود الصهاينة خاصة، منذ تغيرت طبائعهم وقلبوا ظهر المجن، فقد آوآتهم العائلات الجزائرية والمغربية عموماً بعد فرارهم مع الأندلسيين من محاكم التفتيش، فوصل بهم الأمر إلى أن تغلغلو فيما بعد في الحكم العثماني في الجزائر وأحكموا قبضتهم على كثير من الامتيازات التجارية والاقتصادية فأدخلوها في متاهات الاستلاب والديون والصراعات مع الدول الأخرى فيما عرف بقضية بكري وبوشناق، وتسهيل احتلال الجزائر عام 1830<sup>(4)</sup>، هذا بالإضافة إلى مواقفهم المخزية العديدة ابتداء من قانون كريميو الذي منحهم الجنسية 1870، إلى أحداث قسنطينة 1934، وحتى لما حمّاهم الجزائريون والمغاربة عموماً في الحرب العالمية الثانية عقب سقوط باريس وتحالف حكومة فيشي مع النازيين، إلا أنهم عادوا للمكر وخرجوا

---

(1) وصلت الأمر إلى اعتبار البعض أن من حج ولم يصل المسجد الأقصى للتبرك به فإن حجه ناقص. أنظر: أحمد شنتي الجزائر والقضية الفلسطينية... صفحات من الجهاد المشترك، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع13، جانفي، ص 115.

(2) للاستزادة في الموضوع راجع كتاب: عبد الحليم محمود، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث ومراحجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1985.

(3) أحمد شنتي، المرجع السابق، ص 115.

(4) راجع للاستزادة: أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982، ص 14.

علانية ضد الثورة الجزائرية (1954-1962)، وساهموا في سلاسل التقتيل ضد الشعب الجزائري خاصة في منظمة الجيش السري (1961-1962)<sup>(1)</sup>.

لذلك فإنه نجزم أنه لا أحد يعرف مكر اليهود كما يعرفه الجزائريون الذين خولت لهم مناسبات التاريخ اختبارهم، لذلك عندما بدأت عملية الهجرات الجماعية إلى الأراضي الفلسطينية المقدسة وبدأ التكالب عليها خاصة بعد وعد بلفور 1917 وثورة البراق 1929، أطلق الجزائريون صرخات ونداءات التحذير والاستغاثة، لإنقاذ تلك الأرض الطاهرة منهم، وبالخصوص عندما أعلنوا عن مشروع إقامة وطن قومي لليهود بفلسطين، فاعتبرت بذلك القضية الفلسطينية انتكاسة أخرى في تاريخ العرب والمسلمين ومن أسباب انهيار الخلافة الإسلامية، وهو ما كان ربما حافزا لاستفاقة العرب واستجماع القوى، والدعوة إلى الوحدة العربية من أجل انقاذ تلك الأراضي الطاهرة المستعمرة، وهو ما عبر عنه الجزائريون مرارا وتكرارا.

فيا ترى كيف كانت أشكال هذه التعابير؟ وإلى أي مدى ساهمت الأدبيات الجزائرية في التعريق بالقضية الفلسطينية؟ وما دور فلسطين في تثبيت الاتجاه الوحدوي العربي الإسلامي في الجزائر؟

ذكرنا في الفصل التمهيدي من هذه الدراسة كيف أن عديد رجالات الحركة الوطنية الأوائل كعمر راسم<sup>(2)</sup> وعمر بن قدور، حذروا من التغلغل اليهودي والصهيوني والماسوني في الأنظمة الغربية والعربية

(1) راجع للاستزادة: أوليفي دارد، في قلب منظمة الجيش السري، مطبوعات سيديا، الجزائر، 2012.

(2) كان عمر راسم يسمي نفسه ب "عدو اليهود على الإطلاق"، فأغلب كتاباته كانت عن مخاطر الصهيونية على الوطن العربي والإسلامي، ويقول محمد ناصر: إننا لا نعرف كاتباً جزائرياً واحداً في ذلك الوقت المبكر انشغل بهذا الموضوع انشغال راسم به" لذلك انضم إلى عديد الجمعيات المناهضة للصهيونية. فيقول راسم عن اليهود وهو في سجنه سنة 1916: "اليهود أمة قاسية القلب، لا يلد لها عيش، ولا تطيب لها حياة إلا بإذيتها لغيرها فعلا، فإن لم تستطع فلسانا، ولو أردت سرد ما رأيته بعيني، وسمعت به بأذني مما يؤذون به أمتي، بل والمستعمرين في بلادهم لما كفتني الأوراق والمحابر، ولما كفتني الأيام التي عشتها مرتين لتسطير جميع، بل ولا بعض مكرهم ومكائدهم التي يقومون بها طبق طباعهم ومبادئهم... وهذا لا ينكر، ولا يمكن رفضه لأن جميع الأحزاب حتى الاشتراكي والفوضوي وغيرهما يعترفون بذلك... وما يهود الجزائر بالنسبة إلى يهود أوروبا وأمريكا إلا

لإسقاط الخلافة الإسلامية، لذلك بقيت التحذيرات متواصلة بين الجمعيات والأحزاب الجزائرية في الخطابات، والنداءات، والمقالات الصحفية، مبينة شرعية القضية، وبأن القضيتين الجزائرية والفلسطينية ما هي إلا قضية واحدة، ولن ندرس موقف كل تيار على حدى في هذا الفصل، ونحبذ أن نجمع مقتطفات عن أبرز ما كتب وقيل عن الموضوع لأن الموضوع شاسع أولا، و ثانيا لأن غالبية رجال الحركة الوطنية كانوا ينظرون إلى القضية نظرة واحدة، بل واتفقوا واتحدوا في جبهات بالرغم من اختلاف مشاربهم ونزعاتهم وأحزابهم لنصرة فلسطين.

فهذا الشيخ محمد السعيد الزاهري يقول في مقال له في جريدة البرق: "...نحن الجزائريون يسوؤنا والله أن نرى أموال بلادنا وخيراتنا ذاهبة إلى بلاد اغتصبها الصهاينة من يد إخواننا... يقول اليهود إن فلسطين ملك لهم بأمر من الرب؟... بل الحق الذي لا مرأى فيه هو أن استعمار فلسطين هو ظلم كسائر الاستعمار... وليعلموا أن فلسطين هي أرض عربية إسلامية، وأن أموالنا وأرواحنا التي أزهقت في الحرب الأخيرة لا تذهب وراء سعي المرابين"<sup>(1)</sup>.

كما اهتم الشيخ البشير الابراهيمي بالقضية الفلسطينية أيما اهتمام. فكتب كثيرا في البصائر مستعرضا تطورات القضية الفلسطينية مبينا أنها أرض عربية، وقد شبهها بأنها محنة امتحن فيها الله ضمائر العرب وهمتهم وأموالهم، وأن حقوق العرب تنال فيها بالتصميم، والحزم، والاتحاد، والقوة، وأن على العرب أن يقابلوا إرادة اليهود واتحادهم بإرادة واتحاد أقوى منهم"<sup>(2)</sup>، ويمكننا الجزم و القول بأن العلامة البشير الإبراهيمي<sup>(3)</sup> كان يمثل الاستثناء في تلك الفترة، متربعا على عرش الجزائريين المدافعين عن القضية

---

ضعفاء، فقراء، جهلاء، ومع هذا فإنهم يقومون بما تعجز عنه أكابر السياسيين، وذلك لارتباطهم مع أبناء جنسهم المقيمين في البلاد المتمدنة المتكلمين عليهم عند الحاجة" أنظر: محمد ناصر، عمر راسم: المصلح الثائر، ج2، مجلة الثقافة، السنة السادسة، ع34، أوت-سبتمبر 1976، ص ص 70، 71.

- (1) محمد ناصر، المقالة الصحفية، المرجع السابق، ص ص 406، 405.
- (2) نبيل بلاسي، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1990، ص 129.
- (3) للاستزادة راجع: زواوي سعد، القضية الفلسطينية في اهتمامات الشيخ البشير الابراهيمي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2011، ص 65.

الفلسطينية بالقلم، فمجموع كتاباته عن فلسطين جاوز العشر مقالات، هذا بدون ذكر الخطابات والدروس التي لم تسجل له، خاصة في النصف الأول من عام 1948، وهي الفترة التي تزامنت مع اعلان قيام دولة إسرائيل (15 ماي 1948)، فلو تتبعنا كتاباته الذي جمعها ونشرها نجله في الجزء الثالث من مجلد الآثار لوجدناه قد خصص قسما كاملا لفلسطين وحدها فقط<sup>(1)</sup>. فقد أصر قائلا بأن: "فلسطين هي قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العرب الصغير"<sup>(2)</sup>.

وقد ترأس الشيخ البشير الإبراهيمي الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، وأثنى على الأدوار التي لعبها رجال الجمعية في هذه الهيئة والتعريف بالقضية الفلسطينية على غرار الشيخ الطيب العقبي<sup>(3)</sup>، الذي كان له مواقف مشرفة أيضا فكتب يقول: "لبيك يا فلسطين فما أنت لأهلك ولكنك للعرب كلهم، وللمسلمين أجمعين"<sup>(4)</sup>، فقد أسس العقبي هو الآخر لجنة إغاثة فلسطين بناي الترقى، وقد ألقى فيه عديد المحاضرات والدروس حول الموضوع ومن بين المحاضرين كان: أبو بكر بن مصطفى الزاهري، وإبراهيم بوحميده، وأبو بكر جابر، ومحمد حسن الورتلاني، وقد راسل العقبي عدة شخصيات عربية وإسلامية

(1) المقالات نشر في البصائر الثانية وهي كالآتي: الهيئة العليا لإغاثة فلسطين (ج2، ع21، 41 جوان 1948) - فلسطين 1: تصوير الفاجعة (ع5، 5 سبتمبر 1948)، فلسطين 2: وصف قرار تقسيمها (ع22، 21 فيفري 1948) - فلسطين 3: العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء (ع9، 22 فيفري 1948) - فلسطين: ماذا نريد لها وماذا يريدون (ع16، 23 فيفري 1948) - فلسطين 5: التكليل حلقة الشر المفرغة (ع24، 23 فيفري 1948) - فلسطين 6: واجباتها على العرب (ع1، 25 مارس 1948) - فلسطين 7: أما عرب الشمال الأفريقي (ع25، 30 أبريل 1948) - فلسطين 8: قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا (ع7، 38 جوان 1948) - فلسطين 9: عيد الأضحى وفلسطين (ع18، 53 أكتوبر 1948).

(2) الإبراهيمي، فلسطين 1: تصوير الفاجعة، المصدر السابق.

(3) الإبراهيمي: رئيسا - فرحات عباس: كاتب عام - الطيب العقبي: أمين مال - إبراهيم بيوض: نائب أمين المال. أنظر: الإبراهيمي، الآثار، ج2 (الهيئة العليا لإغاثة فلسطين)، المصدر السابق، ص210.

(4) أحمد مريوش، القضية الفلسطينية واهتمامات الشيخ الطيب العقبي، مجلة الدراسات التاريخية، ع9، معهد التاريخ،

على غرار عزام باشا، والأمين الحسيني مفتي فلسطين مستنكرا ومعارضاً لسياسة التقسيم، ومؤكداً على أن الشعب الجزائري مع القضية العربية<sup>(1)</sup>.

كما لعب حزب الشعب هو الآخر دوراً كبيراً في الدفاع عن القضية الفلسطينية التي كانت دائماً وكما ذكرنا سابقاً معززة روح الانتماء إلى الإسلام والعروبة ومن بين الدوافع الأساسية للدعوة إلى الوحدة العربية من أجل الاستقلال<sup>(2)</sup>، فيقول أحد أعضاء الحزب في هذا السياق: "لقد كان اسم فلسطين ومأساتها ملتصقة بجيلنا وتتطور بتطوره، ففي الثانية عشر من عمري كنت أستمع إلى أحداثها وإلى ما تقوم به إنجلترا من أعمال لصالح اليهود وبعد الثلاثين بدأت أقرأ عنها في المجلات الشرقية، والغريب أن أغلب الأبحاث والمقالات كانت تستقص أمر اليهود وتعتقد بأن انشاء دولة يهودية في فلسطين من رابع المستحيلات، وكانت الأمبالاة والاستخفاف بالأشياء من تقاليدنا المرموقة، وهذا الموقف السلبي من طرف الصحافة العربية شجع الفلسطينيين على بيع أراضيهم للغزاة الجدد، ويظهر أن الدعاية لبيع الأراضي كانت تقوم بها منظمات وشخصيات ظاهرها النصيحة وباطنها الخداع... وبدأت معارك نسمع أسماء أبطالها ونتتبع أحداثها، وقد أعطيت أسماء أبطال فلسطينيين لأبناء جزائريين"<sup>(3)</sup>، ولعل اهتمام حزب الشعب بفلسطين قد بدأ مبكراً منذ عهد نجم شمال إفريقيا، وتزايدت الاهتمامات بتسارع الأحداث، بالإضافة إلى تلك اللقاءات التي جمعت مصالي بأعضاء اللجنة السورية الفلسطينية في جنيف (أفريل 1936)<sup>(4)</sup>، لذلك بدأ الحزب بتنظيم عديد المهرجانات مستغلاً إياها للتعريف بالقضية الفلسطينية ونستعرض هاهنا نموذجاً من اللوائح المقدمة<sup>(5)</sup>:

- (1) حميدي أبو بكر الصديق، جمعية العلماء وعلاقتها بالعالم العربي، المرجع السابق، ص 128، 129.
- (2) يقول أحمد توفيق المدني بان رجالات حزب الشعب ورجال الزوايا رفضوا الاشتراك في لجنة اعان فلسطين، وقد تأسفت اللجنة كثيراً على ذلك. أنظر: حياة كفاح، المصدر السابق، ج 1، ص 386.
- (3) بكار العايش، المرجع السابق، ص 522. نقلاً عن: أوراق قناناش.
- (4) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 190.
- (5) محمد قناناش - محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري (1937-1939)، وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري، : ترجمة أوداينية خليل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013، ص 106، 107.

## صوت الجزائر

### جدول الأعمال:

أكثر من ستين ألفاً من العرب في العديد من اللقاءات المنعقدة عبر الجزائر برعاية حزب الشعب الجزائري، بعد الاستماع لمصالي الحاج، والعديد من خطباء الحزب في القضية الفلسطينية، صوتوا على جدول الأعمال التالي:

- يدينون لسياسة الإمبريالية لإنجلترا بفلسطين العربية، التي تهدف لتأسيس موطن لليهود على حساب مصالح العرب.
- يعترضون بشدة على مشروع تقسيم فلسطين الذي أعدته اللجنة الملكية الإنجليزية والذي يشكل تهديداً لكامل البلدان العربية المجاورة.
- يعلنون تضامنهم مع الشيخ الأمين الحسيني واللجنة العربية العليا التي تعبر عن التطلعات الوطنية للشعب الفلسطيني، ويعملون بتفانٍ في نضال دائم من أجل تحقيقها.
- ينادون كامل مسلمي الجزائر، كافة البلدان العربية، وكامل الأمة الإسلامية للاعتراض على مشروع التقسيم هذا وللمطالبة بالاستقلال الكامل لفلسطين العربية.

### تفرقوا على وقع صحبات:

يحيى الأمين الحسيني / يحيى الأمير شكيب أرسلان / يحيى إحسان الجابري باي / يحيى رياض الصلح  
تحيا فلسطين العربية، الموحدة، القوية المستقلة.

### جريدة العمل التونسي 19 أوت 1937

ورغم أن هذه اللائحة لم تشر إلى أي مشروع وحدوي، لكنها تدعو إلى الوحدة بين العرب والمسلمين لتحرير الأراضي المقدسة، فالقضية الفلسطينية كانت دائماً محركاً للشعور الوحدوي وقد تطورت

المناداة بذلك بتطور الأحداث، فعنت بذلك جرائد الأمة<sup>(1)</sup>، والشعب<sup>(2)</sup>، والبرلمان الجزائري، وأكد الحزب على نفس الخط بعد الحرب العالمية الثانية بل زاد حدة اتجاه الحركة الصهيونية معتبرا أن القضية الفلسطينية قضية حيوية للأمة العربية والشعب الجزائري والمغربي<sup>(3)</sup>، مستعرضا ذلك في جرائد كالجرائد الحرة والمغرب العربي<sup>(4)</sup> ومن ثمركز الحزب على ضرورة تدعيم علاقته أكثر بدول المشرق، وشاركت حركة الانتصار بذلك في تشكيل الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، وحسب الابراهيمى فإن المشاركة فيها من طرفهم كانت من أجل الزعامة لا غير<sup>(5)</sup>.

وقد لعب النواب المنتخبون ودعاة الإدماج أيضا دورا بارزا في التعريف بالقضية الفلسطينية ولكن ربما بشكل أكبر بعد الحرب العالمية الثانية، لأنهم قبل هذا كانوا لا ينظرون بعين الرضا للوحدة العربية كمشروع "الغياب الرابطة القومية"<sup>(6)</sup>، ولا حتى للقضية الفلسطينية كقضية تحررية لأنهم كانوا يؤمنون بفكرة تعايش الشعوب والثقافات والديانات مثل ما كانوا ينادون به في الجزائر، ولأن العديد منهم أيضا كان لا يرى وجودا لأمة الجزائرية أصلا وهي "نظرة مستمدة من السياسة الفرنسية التي لا تعترف

(1) أنظر مثلا مقال: في فلسطين: أضرار الصهيونية، الأمة: 27 أوت 1938

(2) الشعب، ع 27: 1 أوت 1937. وقد اتخذت جريدة الشعب شعار سعد زغلول: "إرادة الشعب من إرادة الله وإرادة الله لا تقاوم" نقلا عن: بكار العايش، المرجع السابق، ص ص 524-531.

(3) شارك الشاذلي المكى سكرتير حزب الشعب بالقاهرة أيضا مع كل من الحبيب بورقيبة من حزب الدستور التونسي، وعمور الشويلي من ليبيا، وأحمد بن المليلح من حزب الاستقلال المغربي في التوقيع على المذكرة التي بعثت بها اللجنة المشكلة من أربع دول إلى لجنة التحقيق لفلسطين، والتي نددت بالانتهاكات الصهيونية وطالبت باستقلال فلسطين. أنظر:

A.N.T، série : mouvement national، carton 65، sans n° dossier، mémoire présenté a la commission d'enquête pour la Palestine 4 mars 1946 par une délégation des 4 pays arabes de l'Afrique du nord : tripolitaine-Tunisie-Algérie-Maroc.

(4) المغرب العربي، ضد تقسيم فلسطين، يجب أن تبقى عربية مستقلة، ع 15، بتاريخ: 15-12-1947.

(5) الابراهيمى، كيف تشكلت القيادة العليا لإعانة فلسطين، البصائر، ع 11، 52 أكتوبر 1948، نقلا عن الآثار، ج 2، ص 261.

(6) تقول إحدى الكتابات الصحفية للاندماجيين بأنه مثلما توجد صداقة حقيقية بين الدكتور ابن جلول الذي هو مسلم وليون بلوم رئيس فرنسا الذي هو مسيحي، يمكن أن تكون هناك صداقة وتعاون بين المسلمين واليهود في فلسطين أنظر: ابرير حمودي، المرجع السابق، ص 74.

بوجود أي هوية مشتركة بين الجزائريين الذين هم فرنسيون والفلسطينيون الذين هم عرب" (1)، ولكن اختلفت الرؤى بعد ذلك أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية، خاصة منذ تحرير بيان الشعب الجزائري الذي أكد على ضرورة تأسيس حكومة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة مرتبطة فدراليا مع فرنسا (2)، لذلك فقد أشارت جريدة (الجمهورية الجزائرية) التابعة لحزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري إلى الدور الذي لعبته الدعاية الإسرائيلية في الولايات المتحدة الأمريكية قبل انعقاد الجمعية العامة للأمم المتحدة للفصل في مشروع تقسيم فلسطين (3)، لذلك كتب تقول: "إن الجزائر تنضم للعالم العربي للتنديد بهذا الاعتداء على حقوق الشعوب، إنه تناقض صارخ الذي يزعم بأنه يريد حل نزاع بين سارق ومسروق في قيامه تقسيم موضوع الخلاف بين الاثنين، وهذا ما قرره هيئة الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين جزءا للعرب الملاك الشرعيين منذ أكثر من 13 قرنا، والجزء الآخر لليهود الذي استوطنوه عموما بطريقة غير شرعية منذ حوالي 30 سنة باسم خرافة دينية مقدسة لديهم، ولكن لا يمكنها أن تخلق لهم أي حق وطني" (4). فالنص يبين مساعي الحزب في إيجاد حل للأزمة الفلسطينية، وهو ربما ما دفع فرحات عباس لدخول الهيئة العليا لإغاثة فلسطين كنائب للشيخ الإبراهيمي (5)، ولكن البعض اعتبر أن مساندة هذا التيار للقضية الفلسطينية كان بدوافع إنسانية أكثر مما كان ينزع نزوعا قوميا عربيا إسلاميا (6).

(1) ابرير حمودي، المرجع السابق، ص 76.

(2) طالع البيان في: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نوصه ووثائقه (1912-1948)، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009، ص ص 65، 66.

(3) ميلود فتانة، نظرة الحركة الوطنية الجزائرية لقضايا التحرر في المشرق العربي (1930-1954) - مصر - سوريا - فلسطين، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، الجزائر، 2008، ص 134.

نقلا عن: ميلود فتانة، المرجع السابق، ص 135. république algérienne، n105، le 5-12-1947 (4)

(5) الإبراهيمي، الهيئة العليا لإغاثة فلسطين، الآثار، ج2، المصدر السابق، ص 210.

(6) ميلود فتانة، المرجع السابق، ص 136.

ولعلنا يمكن أن نقول أن القضية الفلسطينية قد دفعت كثيرا بالحركة الوحدوية العربية الإسلامية في الجزائر وهو ماعبر عنه الجزائريون والفلسطينيون دائما ولا يزالون، ولعل الأسباب العميقة هو تقاسمهم حلاوة العروبة، والإسلام، والمصير المشترك من جهة، ومرارة الاستعمار، وانتهاك الأرض والعرض من جهة أخرى، لذلك لم تفتأ سائر الأدبيات الجزائرية بذكر فلسطين وشعبها المقاوم، وحتى الدبلوماسية الجزائرية في تعاملها مع الدول العربية، أصبحت دائما ما تركز على وجوب عدم نسيان قضية فلسطين، باعتبارها أرضا لجميع العرب والمسلمين، وتجسد ذلك أكثر غداة الاستقلال وبناء الدولة الوطنية.

#### 4- النزعة العربية الإسلامية في أدبيات الجمعيات الطلابية والكشفية:

تأثرت التنظيمات الطلابية والشبانية والكشفية كثيرا بالحركة السياسية السائدة في الجزائر، وخارج الجزائر، فإن تحدثنا عن جمعيات الطلبة سنقف مباشرة على تأسيس جمعية الطلبة بالجزائر العاصمة بتاريخ 18 مارس 1919 تحت اسم الجمعية الودادية للتلاميذ (كذا) المسلمين لأفريقيا الشمالية، والتي كانت تابعة في بادئ أمرها للاتحاد الوطني للجمعيات الطلابية بفرنسا، وترأس مجلسها الإداري الأول السيد بلقاسم بن حبيلس بمساعدة الهادي بن سماية<sup>(1)</sup>، فالملحوظ أن التسمية جاءت فيها كلمة "المسلمين" والتي ترتبط ارتباطا مباشرة بعقيدة الجزائريين ودين الإسلام، الذي يعتبر الشرط الأساسي الأول الذي لا يمكن التخلي عنه أبدا، وحسب الدكتور أبو القاسم سعد الله أصدرت الجمعية مجلة التلميذ سنة 1931 وقد جاء في أحد أعدادها "أن من أغراض الجمعية التعاون بين الطلاب المسلمين الجزائريين ونشر العلم والثقافة العربية الإسلامية في الجزائر"<sup>(2)</sup>، وقد تأثرت الجمعية مما لا شك فيه بآراء فريق نادي الترقى خاصة فيما يتعلق بالعروبة والإسلام، وهو الذي كان مقر جريدة التلميذ<sup>(3)</sup>.

انصهرت هذه الجمعية في جمعية الطلبة المسلمين لشمال افريقيا (AEMNA) التي تكونت من طلبة من تونس، والجزائر، ومراكش فارتبطت بحقل يعتبر من أخطر المجالات فعالية وتأثيرا، سواء على صعيد استراتيجية الاستعمار، أو على مستوى تفكير ووعي النخب الوطنية المغاربية<sup>(4)</sup>، إنه حقل

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 281.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المصدر السابق، ص 106.

(3) نفسه، ص 106 (الهامش رقم 01). أيضا: الوناس الحواس، المرجع السابق، ص 315.

(4) كثرت المبادلات والزيارات الطلابية بين الجزائريين، والتونسيين انتقالا بين الأقطار المغاربية، خاصة من أجل التنديد بمغوية الاحتلال الفرنسي للجزائر، وخمسينية الحماية على تونس، وفي هذا زار الطالب التونسي أحمد ميلاد الجزائر. أنظر:

A.N.T، série : mouvement national، carton 24، dossier n°3، note n°322-6 : politique musulmane، lettre de ampliation a la résidence général، Tunis le 1aout1930.

التعليم بكل مظاهره وتجلياته وأدواته<sup>(1)</sup>، ولن نعوص في نشاط الجمعية عامة، بقدر ما سنبحث عن دور العنصر الجزائري فيها، ودفاعه عن العروبة والإسلام والوحدة.

رحب العلماء الجزائريون منذ الوهلة الأولى بقرار طرد الطلبة المتجنسين من الجمعية، واعتبروا ذلك بمثابة انتصار لمبادئهم<sup>(2)</sup>، وفي أول مؤتمر للجمعية في تونس (20-22 أوت 1931) فإن سبعة طلبة جزائريين شاركوا فيه برئاسة فرحات عباس<sup>(3)</sup>، فقد أوصت قراراته بضرورة تدريس اللغة العربية وتاريخ الإسلام وتاريخ المغرب العربي في مدارس شمال افريقية<sup>(4)</sup>.

أما في المؤتمر الثاني الذي انعقد بالجزائر (25-29 أوت 1932) بمقر نادي الترقى<sup>(5)</sup>، كان رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر هو السيد قدور ساطور الكاتب العام لجمعية طلبة شمال افريقيا بالجزائر، بالإضافة إلى رئاسة السيد فرحات عباس<sup>(6)</sup>، وقد احتضنه العلماء الجزائريون خاصة لما كان في نادي الترقى الذي هو مكون أصلا من مجموعة من العلماء الإصلاحيين الجزائريين، بالإضافة إلى حضور

---

(1) رشيد مياد، اسهامات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين في الحركة الوطنية الجزائرية، دار شطايبي، الجزائر، 2013، ص 17.  
(2) كتبت الشهاب عن ذلك (أفريل 1930). سعد الله، المصدر السابق، ص 107. محمد بلقاسم، المصدر السابق، ص 107.  
(3) رشيد مياد يقول شارك تسعة وأسماءهم هي: فرحات عباس، محي الدين الشرقي، الشريف بن الحاج، سعيد عباس القلي، عبد الرشيد مصطفىوي، بوعلام علوش، الهادي مصطفىوي. أنظر: رشيد مياد، المرجع السابق، ص 149.  
(4) يذكر سعد الله ويحي بوعزيز أن المؤتمر الأول كان في أفريل بينما بعض الدراسات المرجعية تقول أنه كان في شهر أوت من نفس السنة. أنظر: أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 108. أيضا: يحي بوعزيز، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة منقحة ومزيدة، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 430. أنظر أيضا: رشيد مياد، المرجع السابق، ص 149. أيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 286.

(5) A.N.T، série: mouvement national، carton 25، dossier n° 4، lettre de direction de sûreté générale ; nationalisme arabe، paris le 9 juin 1932. أنظر الملحق رقم 04.

(6) يرى رشيد مياد أن الكاتب العام هو مصطفىوي عبد الرشيد وهو ما يتنافى مع ما قاله سعد الله، وقد وقفنا على عديد الاختلافات في المعلومة بين المصدر والمرجع وهو ما صعب مهمتنا، وكان على رشيد مياد أن يظهر التباين والاختلاف الذي وجده ولا يسكت عنه خاصة وأنه تخصص في دراسة الجمعية الطلابية. أنظر: رشيد مياد، المرجع السابق، ص 86. أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 108.

عدد كبير من الشخصيات التي لعبت دورا هاما في الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر حسب شهادة أحمد توفيق المدني<sup>(1)</sup>، ولذلك جاءت توصياته مطابقة لمبادئ جمعية العلماء وأهدافها الداعية للارتباط بالعروبة والإسلام، خاصة لما كان الطلبة مهددين بفقدان ثقافتهم لما كانوا يدرسون بالمعاهد والجامعات الفرنسية، ولقد ألقى مفدي زكرياء ومحمد العيد قصائد في المؤتمر، كما ألقى الشيخ الطيب العقبي وأحمد توفيق المدني محاضرات قيمة تتعلق باللغة العربية والإسلام، وخطب فيهم حتى الشيخ عبد الحميد ابن باديس لما مروا بقسنطينة<sup>(2)</sup>.

تجول الوفد الطلابي أيضا في شوارع مدينة الجزائر، وقد كتبت الصحافة عن استيائه لما بدا على مدينة الجزائر من عمران أوروبي، وزوال المعالم الأثرية للحضارة العربية الإسلامية، عكس تونس أو المغرب، وخطب في الوفد أيضا السيد محمود شكيكن نائب مدينة الجزائر باللغة الفرنسية مقدما اعتذاره عن جهله بلغة الإسلام والأجداد، وحثهم على التمسك بالحضارة العربية الإسلامية، و أثنت صحيفة البلاغ التابعة لجمعية العلماء على المؤتمر معتبرة على أنه انعقد " تحت راية الإسلام ويهدف إلى الوحدة التي مزقتها السياسة"<sup>(3)</sup>، ولقد كانت المداخلات التي قام بتقديمها المتدخلون الجزائريون كعبد الرشيد مصطفىاوي وسعد الدين بن أبي شنب ومفدي زكرياء وآخرون تحث على الدعوة لإصلاح وضعية التعليم العربي في الزوايا والاستعانة بالخبرة المصرية وبلاد الشام في ذلك<sup>(4)</sup>، ودعوة الحكومة لإدراج مواد في التاريخ العربي والإسلامي والفلسفة الإسلامية للطلبة والتلاميذ، وتمثيل

---

(1) المدني كان يقصد الشخصيات المغاربية عامة، أما المشاركين الجزائريين الحضور فقد ذكر: الدكتور سعدان، سليمان العظفاوي، سليمان بن يوسف، عمار اوزقان. أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص114.

(2) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص109.

(3) نفسه، ص109.

(4) منذ ذلك الحين فإن الطلبة أصبحوا ينسقون مع جمعية العلماء لإرسالهم إلى المعاهد المشرقية، ففي سنة 1939 كان المصري محمود نسيم والتونسي محمد لين المكلفين بذلك. أنظر:

CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE)، liaisons entre oulémas et milieux nationalistes tunisiens، Constantine le 7 février 1939.

الروايات التاريخية التي تمجد الشخصيات الإسلامية والخلفاء<sup>(1)</sup> والذي كان هدفه حسب رأينا خلق تقارب وتعريف واحتكاك أكبر بالحضارة العربية الإسلامية لربط الجزائر بالمشرق، ومن ثم مقاومة الغزو الثقافي ودعاة الاندماج خاصة في هذه الفترة الجد حساسة التي تزامنت مع بداية الثلاثينات واحتفال الفرنسيين بمرور مائة عام على احتلال مدينة الجزائر<sup>(2)</sup>، ونشر الكنسية لمبادئ المسيحية في مستعمرات روما القديمة حسب ما كان يروج له، لذلك كان من بين أهم التوصيات في هذا المؤتمر هو تنظيم عملية بعث الطلبة المغاربة لمعاهد الشرق العربي وأوروبا للدراسة<sup>(3)</sup>.

ركز المؤتمر الثالث المنعقد ما بين (20-29 ديسمبر 1933) بباريس أيضا على الثقافة القومية، وضرورة التشبث بمبادئ العروبة والإسلام، وعلق الآمال على الشبيبة الطلابية من أجل الوحدة في إطار الأصالة والحضارة العربية الإسلامية<sup>(4)</sup>، وقد شارك فيه عدة طلبة جزائريون مثل فرحات عباس، وعبد الحميد قلووش، وعبد الرحمن ياسين، وبوعلام علواش، وإبراهيم بن عبد الله... وغيرهم، كما حضره وفد من نجم شمال إفريقيا، وعلى رأسهم مصالي الحاج حسب قنانش<sup>(5)</sup>، وخرجت لجان المؤتمر بعدة توصيات لعل أبرزها هو تعزيز البعثات العلمية إلى المشرق، وأن يكون التعليم في أيدي معلمين ومدرسين من أهالي المغرب العربي بهدف المحافظة على الثقافة القومية العربية الإسلامية... الخ<sup>(6)</sup>.

(1) رشيد ميّاد، المرجع السابق، ص ص 92-108.

(2) كانت الشرطة تصنف نشاط الطلبة على نشاط ضمن عمل الجامعة الإسلامية، والنهضة العربية أنظر:

A.N.T، série : mouvement national، carton 25، dossier n° 4، lettre de direction de sûreté générale ; nationalisme arabe، opcit. أنظر الملحق رقم 04

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 291.

(4) ركنر علال الفاسي المناضل المغربي على الحضارة العربية الإسلامية كثيرا في هذا المؤتمر، خاصة لما أثرت القومية العربية كثيرا في المغرب الأقصى أكثر من غيره من الأقطار المغاربية الأخرى. أنظر: رشيد ميّاد، المرجع السابق، ص 154. محمد بلقاسم، ص 293.

(5) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 61.

(6) رشيد ميّاد، المرجع السابق، ص ص 154-158.

أما المؤتمر الرابع للجمعية الذي انعقد بتونس بقاعة المطالعة الخلدونية (2 أكتوبر 1934)، حضره مجموعة من الجزائريين على رأسهم محمد السعيد الزاهري عن جمعية العلماء، والشاعر مفدي زكريا، والطالبان محمد ابن الأشرف ومحمد بن محمد (1)، وقد أكد المؤتمر الوحدة المغاربية في إطار التشبث بالمبادئ العربية الإسلامية، وخطب مفدي زكريا خطبة جد هامة اشتملت على عشر نقاط أساسية سميت فيما بعد بعقيدة التوحيد لشباب شمال افريقيا من بين ما جاء فيها حول الوحدة العربية الإسلامية: " وطننا شمال افريقيا جزء لا يتجزأ من جسم الشرق العربي تفرح لفرحه ونتحرك لتحركه ونسكن لسكونه، تربطنا به إلى الأبد روابط اللغة والعروبة والإسلام" (2).

انعقد المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بتلمسان (6-10 سبتمبر 1935) (3)، وقد بدأت دعايته منذ شهر جوان من نفسة السنة، و حضره حوالي 2000 شخص من مختلف الفئات والشرائح، وقد انطلقت أشغاله تحت إشراف الشيخ البشير الإبراهيمي الذي كان حينها ممثل جمعية العلماء في الغرب الجزائري، فتناول الكلمة وألقى محاضرة أبحر بها الحضور، بأن عرّج على تاريخ تلمسان والمغرب العربي، وحث الحضور على التمسك بالقيم الحضارية للدين الإسلامي، والاحتفاظ باللغة العربية لغة الأسلاف ولغة القرآن (4)، كما أكدّت التوصيات في مجملها على دعوة الحكومة إلى تدريس التاريخ العربي الإسلامي، واللغة العربية وتوحيد التعليم العربي، ودعوة الجمعيات الثقافية لذلك أيضا، وكل ذلك كان تقريبا يصب في نفس القرارات السابقة التي أقرتها مؤتمرات الطلبة (5)، التي ركزت دائها على ضرورة تعلم اللغة العربية والثقافة الإسلامية التي سعى الاستعمار الفرنسي والإسباني لمحوها

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص111. أيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص294.

(2) راجع النقاط كاملة في: محمد قنانش، محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري، المصدر السابق، ص92-93.

(3) ذكر أبو القاسم سعد الله أنه دام إلى غاية 15 سبتمبر 1935، وربما لم يصب في المعلومة لأنه يعترف بأنه لا يملك معلومات كافية ووافية عن المحاضرين والمحاضرات التي ألقىتها حينها في المؤتمر انظر: سعد الله، المصدر السابق، ص111.

(4) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص300.

(5) رشيد ميّاد، المرجع السابق، ص139-145.

من المغرب العربي، وبالتالي عزله عن فضائه الذي ينتمي إليه، خاصة وأن أفكار مقاومة الاستعمار باسم العروبة والإسلام والقومية قد انتشرت في هذه الفترة، ويمكن أن نقول أن هؤلاء الطلبة الجزائريين خصوصا والمغاربة عموما قد توزعوا فيما بعد لينشطوا الحركة السياسية والثقافية في أقطارهم، وأصبح غالبتهم إطارات قاومت الاستعمار من أجل نيل الحرية والاستقلال واثبات عروبة وإسلام المغرب، هذا وأكد مؤتمر الجمعية السادس (21 أكتوبر 1936) بتطوان والسابع (فبراير 1937) بفاس على نفس الأهداف تقريبا (1).

أما فيما يخص الكشافة الإسلامية الجزائرية التي تأسس أول فوج جزائري لها سنة 1935 تحت قيادة المناضل محمد بوراس (2)، فقد رفعت شعار العروبة والإسلام مبكرا هي الأخرى، خاصة عندما قرّرت معظم فرقها وأفواجها الانفصال عن الفرق الكشفية الفرنسية التي كانت بالجزائر، ورفضت الاندماج فيها، فتسمية الكشافة كانت شبيهة بتسمية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وذلك باتخاذ الصفتين المميزتين للجمعيات الوطنية وهما "الإسلامية" و"الجزائرية" (3)، خاصة وأن الحركة الكشفية قد ترعرعت في أحضان الحركة الإصلاحية التي تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (4)، وكنا قد عرجنا سابقا على التوجه الوحدوي العربي الإسلامي لجمعية العلماء، ففي سنة 1939 انعقد بالعاصمة المؤتمر الكشفي الجزائري الأول برئاسة محمد بوراس، وحسب أبو القاسم سعد الله فإن غالب شبابه كانوا من عناصر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ولما كانت منظمات الشباب غير سياسية

(1) راجع جدول مؤتمرات الجمعية في: محمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار، المرجع السابق، ص 309.

(2) محمد بوراس، ابن مدينة مليانة ولد في 26 أبريل 1908، كان متعاطفا ومخالطا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ونادي الترقى بالجزائر العاصمة، قام بمظاهرات عديدة لما كان طالبا، أسس فريق الفلاح الكشفي 1935، ألقى القبض عليه من طرف السلطات الفرنسية بتاريخ 28 ماي 1941، وأعدم في نفس السنة بتهمة التعامل مع النازيين الألمان. أنظر للاستزادة:

Mohamed Derouiche, le scoutisme école du patriotisme, office des publications universitaires, Alger, 2010 pp42-45

(3) أبو عمران الشيخ-محمد جيجلي، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، دار الأمة، الجزائر، 2007، ص 15.

(4) محمد الصالح رمضان، تاريخ وتطور الحركة الكشفية بالجزائر، مجلة الثقافة، ع ماي-جوان 1982، ص ص 27-28.

في مظهرها، فقد التقت في كثير من النقاط من برامجها مع خطط وبرامج العلماء<sup>(1)</sup>، فمما لا شك فيه أنها نقلت هذا التوجه وغرسته في صفوف الناشئة الكشفية.

لعل الأدبيات الكشفية لم تكن لتحتوي خطبا، أو مقالات معقدة ومركبة لا يفهمها الكشاف الصغير السن، ولكن كان عبارة عن منشورات، ودعائيات مبسطة، تتداولها الأيدي لتعزيز ثقافة الطفل في التربية الإسلامية الصحيحة، والأخلاق، والفضائل، كما تعلمه الصبر على المحن والشدائد، وتقوي لديه الإحساس بالآخر، ومن ثم الميول للتضامن والاتحاد وتقديم يد المساعدة له، فكانت تتعد في مقرات الجمعيات الكشفية كل أسبوع تقريبا اجتماعات تضم أفرادا من الأفواج للتكوين والتربية والترفيه، يقوم المرشد المعرب غالبا بمسائل التربية الإسلامية، كما تقوم الفرق بمناسبة الأعياد الدينية أو غيرها من المناسبات بتنظيم حفلات، أو تمثيل روايات أغلبها تاريخية، لتعزيز صلة الكشاف بتاريخه وماضيه وهويته، فالشبان الجزائريون كانوا يتعلمون في تلك الاجتماعات تاريخ حضارتهم وأعلامهم وذلك لمقاومة سياسة الاندماج، والذوبان في الثقافة الفرنسية<sup>(2)</sup>، وبالإضافة إلى هذا قدمت الكشافة خدمات عدة في المجال النظامي، إذا كان يرى فيها الكثيرون على أنها مدرسة للتكوين العسكري، وعناصرها جنودا للعروبة والإسلام<sup>(3)</sup>.

وبالإضافة إلى التنظيم والتهيكل في الداخل، فإن الكشافة الإسلامية الجزائرية سعت لتوطيد علاقتها بأوروبا والمشرق العربي، خاصة لما كانت القضية الجزائرية في أمس الحاجة إلى التعريف بها في الخارج، فاستثمرت الكشافة في الرحلات والمخيمات التي كانت تقوم بها، من أجل الدفاع عن القضية الجزائرية من جهة، والتعارف وخلق علاقات وشبكات جديدة من جهة أخرى، فشاركت في المهرجان العالمي

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص107.

(2) أبو عمران-محمد جيجلي، المصدر السابق، ص17.

(3) مصلحة البحوث والتوثيق بالمركز الوطني للبحوث، دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية الجزائرية،

الكشافة الإسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول الكشافة الإسلامية الجزائرية، المركز الوطني

للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999، ص34.

للشباب في براقا جويلية 1947، ووثقت علاقاتها هناك بشبيبة عدة أقطار مثل: إيران، وسوريا، ومصر والمغرب، ومدغشقر، وفيتنام<sup>(1)</sup>.

كما شاركت الكشافة أيضا بوفد من 34 مشاركا في مخيم مواسون (70 كلم عن باريس) 1947، بحيث تميز الوفد الكشفي عن غيره حسب شهادة عبد الحكيم بن الشيخ الحسين بأنه اتخذ مبادرة وأنشأ مصلى للصلاة داخل المخيم، وكانت تأتيه كثير من الفرق الكشفية الأخرى لأداء الصلوات الخمس به، وشاء أن حلّ عيد الفطر وهم لا زالوا مخيمين، فصلى وألقى خطبة صلاة العيد الأستاذ محمود بوزوزو (=مؤسس جريدة المنار في الخمسينات)، الذي سيصبح فيما بعد المرشد العام للكشافة الإسلامية<sup>(2)</sup>، واعتبر الشيخ حسين أن هذه المبادرة كانت جد رائعة حملت دلالات كبرى أهمها أن الإسلام متجذر في الأمة الجزائرية المتدينة بطبعها منذ الفتوح العربية الإسلامية<sup>(3)</sup>، كما اعتبر المناضلان محمد جيجلي وأبو عمران الشيخ أن هذه الالتفاتة كانت لإقامة الدليل على أن الإسلام مازال في أعين الجزائريين المعتقد الجامع، والأداة التي لا بديل لها لتوحيد الشعوب الإسلامية<sup>(4)</sup>.

وقد توالى الزيارات الكشفية إلى الأقطار المشرقية، منها زيارتان قادت أعضاء من الكشافة الجزائرية إلى المشرق الأولى في 1952، والثانية في 1953، وقد أتاحت الزيارة الأولى الفرصة لأعضاء الوفد القيام بفريضة الحج، أما الثانية فقد خولت للوفد الذهاب للقاهرة بدعوة من الكشافة المصرية، وقد ترأس الرحلة القائد العام التيجيني مرفوقا بالقائدين ابن محمود والعسيري، وزار الوفد الكشفي محمد نجيب والشيخ البشير الابراهيمي الذي كان مقيما هناك، كما استقبل الوفد في طريق عودته من طرف

(1) أبو عمران الشيخ-محمد جيجلي، المصدر السابق، ص 65.

(2) عبد الحكيم بن الشيخ، محطات مضيئة من تاريخ الكشافة الإسلامية الجزائرية، دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية الجزائرية، الكشافة الإسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول الكشافة الإسلامية الجزائرية، المرجع السابق، ص 134.

(3) عبد الحكيم بن الشيخ، المصدر السابق، ص 135.

(4) أبو عمران الشيخ-محمد جيجلي، المصدر السابق، ص 70.

الكشافة الليبية أيضا<sup>(1)</sup>، لذلك كانت هذه اللقاءات والمخيمات والمؤتمرات فرصة لتوطيد العلاقات والتعرف على المشرق الإسلامي وربط الجزائر بهويتها العربية الإسلامية.

وشاركت أيضا الكشافة الإسلامية الجزائرية بقيادة عمر لاغا، وممثلي حزب الشعب الجزائري / حركة الانتصار في أول مؤتمر كشفي عربي بسوريا في أوت 1954، ولكن فرنسا آنذاك خلقت عدة عراقيل لئلا يذهب الوفد إلى المشرق، لكن استطاع الوفد أن يذهب للمؤتمر الذي حضرته عدة أقطار عربية وإسلامية كالسعودية، ومصر، والعراق، والأردن، ولبنان، وفلسطين، وتونس، واليمن... ويروي محمد إسكندر أن الوفد الجزائري كان غريبا عند الأشقاء العرب، "لأننا ونحن نقول لهم أننا من الجزائر يقولون لهم: آه تونس، بورقية، محمد الخامس..." لأن الصحافة آنذاك كانت تتكلم عن هذه الشخصيات فقط أما الجزائر فلا تذكر إلا نادرا<sup>(2)</sup>، وقد رفع في هذا المؤتمر العلم الجزائري، كما شارك الوفد الكشفي في اعداد برنامج الكشافة العربية<sup>(3)</sup>.

ولعل صحيفة المنار لصاحبها بوزوزو المرشد العام للكشافة الإسلامية الجزائرية قد نقلت لنا كما هاما من الوثائق والأدبيات بصفة عامة، وعن تحركات وأخبار الكشافة وفروعها في مختلف أنحاء الجزائر هذا

(1) نفسه، ص 98.

(2) محمد إسكندر المختار أول، مؤتمر كشفي عربي (شهادة)، الكشافة الإسلامية دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى،

المرجع السابق، ص 164. في كلام إسكندر شيء من المبالغة لأن العرب مستحيل أنهم لم يكونوا يعرفوا الجزائر بتاتا أو القضية الجزائرية، ربما الكشفيون الصغار لم تكن لديهم معرفة بأقطار المغرب، ثم أن شخصيتي بورقية ومحمد الخامس كانتا معروفتين لان نظام الحماية المطبق على القطرين كان قد أبقى على هذه الزعامات عكس الجزائر التي كان زعمائها وقادتها مضطهدون ومغمورون في غياهب السجون.

(3) مصلحة البحوث والتوثيق بالمركز الوطني للبحوث، دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية الجزائرية،

الكشافة الإسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول الكشافة الإسلامية الجزائرية، المرجع السابق،

ص 47.

من جهة (1)، من جهة أخرى كانت هذه الصحيفة من بين أكثر الصحف ذات التوجه الوحدوي العربي الإسلامي وقد رأينا ذلك سابقا، وبما أن توجه الصحيفة هكذا فهو يعكس صورة الكشافة الإسلامية الجزائرية التي سعت جاهدة لإثبات أن الجزائر جزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي.

### خلاصة:

إنه ومن خلال ما سبق نستطيع القول:

- أن الجزائريين كانوا السابقين في الدفاع عن اللغة العربية والإسلام بحكم أقدمية الاستعمار وباعتبارهما مكونين أساسيين للهوية الجزائرية، في ظل التهجمات المتكررة من طرف الاستعمار على اللغة والدين، بغية إحالة اللغة الفرنسية والدين المسيحي محلّهما، وعزل الجزائر عن العالم العربي والإسلامي.
- استطاعت الحركة الوطنية الجزائرية مقاومة الدسائس الفرنسية، التي تدعو للجهوية، والانفصالية مدعمة جنسا أو عرقا على آخر، من أجل تفكيك البنى الاجتماعية التقليدية التي عاش بها المجتمع الجزائري، والمغاربي عامة لعصور طويلة، لذلك كانت تلك النداءات دائما ترى في تشكيل جبهات داخلية موحدة خطوات أساسية وضرورية قبل المناداة بوحدة خارجية.
- كانت مطالب الوحدة بين الأمة العربية - الإسلامية شديدة في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية أكثر من أي قطر آخر، ليس بدافع عرقي أو قومي بقدر ما هو دافع جهادي - مقاوماتي بحكم أقدمية الاستعمار، يسعى إلى التحرر واستعادة أمجاد العرب والمسلمين.
- تذبذب مطلب الوحدة العربية الإسلامية في الجزائر بتذبذب الأوضاع في المشرق، وتحكمت فيه أمور كثيرة على غرار سقوط الخلافة الإسلامية وانقسام الآراء، والنكبات التي تعرضت إليها

---

(1) أنظر على سبيل المثال لا الحصر: نشاط الكشافة الإسلامية الجزائرية، المنار، س1، ع3، الجمعة 4 ماي 1951 - بلاغ

من الكشافة الإسلامية الجزائرية، نفسه، س1، ع18، الجمعة 14 مارس 1952. الكشافة الإسلامية الجزائرية بسبيدي

بلعباس، نفسه، س2، ع3، الجمعة 9 ماي 1953.

الدول العربية كسوريا، ولبنان، والعراق، ومصر، وفلسطين، بحيث خرجت من سيطرة الأتراك إلى استعمار أجنبي جديد، فبدل العمل على تطبيق مشروع الوحدة العربية انصب الاهتمام على التحرير.

● تأثر مطلب الوحدة العربية الإسلامية كثيرا، بالنظرة المعقدة والمربية التي كان يحملها العالم العربي والإسلامي للقضية الجزائرية، باعتبارها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي، فقضيتها كانت بالنسبة لكثير من القادة والزعماء العرب تختلف تماما عن سائر الأقطار الأخرى بما فيها الأقطار المغاربية، لذلك كان مقصية عادة من مشروع الوحدة العربية.

● بقيت الجزائر بعيدة كل البعد خلال خوضها مرحلة الكفاح عن الصراع القومي-الديني (=الإسلامي باعتباره الديانة الرسمية لدى عموم الجزائريين) وذلك نقيض المشرق الذي عرف صدامات وصراعات حادة بين التيارين، فمفهوم العروبة والإسلام كان شيئا واحدا بالنسبة للجزائريين.

● بالرغم من اكتشاف الهوة الكبيرة بين المشرق والمغرب لعدم اهتمام المشاركة بشأن المغرب العربي، فإن رواد الحركة الوطنية استطاعوا أن يميزوا جيدا بين الخطابات الديماغوجية، والشعارات الملفقة والرنانة وبين العمل الميداني، فمطلب الوحدة العربية الإسلامية، بالنسبة للنخب الجزائرية، كان يتطلب محلية العمل أولا والوحدة داخليا لطرد الاستعمار، ثم التفكير في وحدة مغاربية في إطار الأمة العربية الإسلامية.

فيا ترى كيف تعامل الوطنيون الجزائريين مع هذا الطرح؟ وكيف عبرت الأدبيات ونظرت لمشروع

وحدة المغرب؟

# الفصل الثاني:

## مشروع الوحدة في إطار الأمة المغاربية

- 1-أسباب وعوامل تنامي النزعة الوحدوية المغاربية لدى الجزائريين.
- 2-الوحدة في أدبيات التيار الإصلاحى.
  - 2-1-مرحلة ما قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1920-1930).
  - 2-2-الوحدة المغاربية في أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931-1954)
  - 2-3-اسهامات إصلاحية أخرى عن الوحدة المغاربية.
- 3-الوحدة في أدبيات التيار الاستقلالى:
  - 3-1-الوحدة المغاربية في أدبيات نجم شمال افريقيا (1926-1936).
  - 3-2-الوحدة المغاربية في أدبيات حزب الشعب الجزائري(1937-1945).
  - 3-3-الوحدة المغاربية في أدبيات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية(1946-1954).
- 4-الوحدة المغاربية في أدبيات الجمعيات الطلابية والشبانية والكشفية

خلاصة

## 1-عوامل وأسباب تنامي النزعة المغاربية لدى الجزائريين:

دراسات عديدة تلك التي تطرقت للمغرب العربي ككيان موحد الخصائص الجغرافية والتاريخية، وتسميات كثيرة تلك التي أطلقها المؤرخون العرب والأجانب، على هذه الرقعة الاستراتيجية الهامة من العالم ككل، فقد سماها العرب المسلمون قديما بلاد المغرب، وجزيرة المغرب، والمغرب الإسلامي وأفريقية<sup>(1)</sup>، كما سماها الأجانب بلاد المغرب الكبير أو شمال أفريقيا، وتغالي بعض المستشرقين والعسكريين ذوو النظرات الاستعمارية في تعاريفه، فقالوا جنوب أوروبا، أو مستعمرات ما وراء البحار<sup>(2)</sup>، وعلى كلّ ليس هنا مكان لنذكر كل ذلك في هذه العجالة وندخل في مشكل المصطلح الذي لازال لحد الساعة محل صراع ونقاش، ولأن عديد المؤرخين والرحالة والجغرافية تطرقوا إلى ظروف نشأة وتكوين هذا الفضاء الجيوسياسي الهام وأعطوا آرائهم في أصول الساكنة المغاربية (=المغربية) وحياتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية، منذ عصور ما قبل الميلاد ثم تاريخ البربر، ثم الفتوحات الإسلامية، ووصولاً إلى قيام الدويلات المستقلة بالأقطار المغاربية، التي كانت تعرف بينها تنافسا شديداً، إلى غاية بداية عصر الاستعمار الحديث، وضعف شوكة المسلمين خاصة بعد سقوط

---

(1) نفكر أساساً في كتابات الرحالة والجغرافيين والمؤرخين مثل: أبو عبيد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد أفريقية والمغرب من كتاب المسالك والممالك، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، (د.ت). أيضاً: بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تحقيق: شارلز توري، الأمل للطباعة والنشر، مصر، 1999. أيضاً: ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة: ج.س. كولان وليفي بروفينصال، دار الثقافة، ط3، بيروت، لبنان، 1983. أيضاً: الرقيق القيرواني، تاريخ أفريقية والمغرب، تقديم وتحقيق وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة، 1994.

(2) "أنكر جوتيه على المغرب العربي حتى اسمه التاريخي، وهذا أشد ما يمكن من المغالطات، فقد عرف المغرب من قبل أن يعرف الإفنج ببلاد إمازيغ أي الوطن الحر..." أنظر: علاّال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص ز.

الأندلس (=1492 سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين هناك)، واحتلال بلاد المغرب في القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين<sup>(1)</sup>.

ولكن ما يجب أن نتفق عليه هو أن "وحدة المغرب العربي ضرورة تاريخية، لأنها إحدى معطيات التاريخ والجغرافيا"<sup>(2)</sup>، وقد صقلتها عبر العصور تلك الخصائص المشتركة المتمثلة في وحدة اللسان (الأمازيغي والعربي المتواجد في كل الأقطار المغربية)، والدين الإسلامي، والعادات والتقاليد، لكن ما زاد ترابط وتضامن هذه الشعوب فيما بينها، هو تشاركها في الأزمة (=الاستعمار الفرنسي) خاصة وأنه طبق نفس السياسات تقريبا في الأقطار الثلاثة رغم، وهو ما جعلها تطلب يد المساعدة فيما بينها زمن المقاومات الشعبية .

فاحتلال الجزائر 1830 جعل الأمير عبد القادر يطلب العون والمساعدة من الملوك والرؤساء المغاربة والعرب<sup>(3)</sup>، وبعده كثيرون على غرار بوعمامة، ثم عبد الكريم الخطابي قائد ثورة الريف<sup>(1)</sup>... الخ.

(1) ليس بوسعنا ذكر كل الخصائص التي تمتعت بها الأمة المغربية منذ القدم إلى عصورنا اليوم في هذا العجالة لأننا قد نخطأ التقدير، أو نتجاهل فترات جد هامة من تاريخها الذي كان حلقة أساسية في الربط بين الشرق والغرب، وكان أهله من صناع التاريخ عبر الأزمنة والعصور بأن حملوا راية الدفاع عن الإسلام والمسلمين في الضفة الأخرى، لذا نرى أنه من الأحسن أن يذهب =الباحث مباشرة إلى الدراسات المعمقة في هذا المجال والتي رصدت لنا تلك التكوينات والتغيرات التي طرأت عليها المنطقة في مختلف المجالات أما نحن سنحاول الدخول مباشرة في الموضوع ولنترجم بذلك بالفترة التي تعيننا (1920-1954) في هذا البحث.

(2) أحمد مالكي الحركات الوطنية والاستعمار، مقدمة: عبد الله إبراهيم، المرجع السابق، ص أ.

(3) عندما تمت محاصرة الأمير عبد القادر من طرف الفرنسيين، التجأ إلى المغرب الأقصى عام 1841، إلا أن سلطان المغرب مولاي عبد الرحمن تخلى عنه مرغما بالرغم من أنه ناصره في البداية نظرا لقصف مدينتي الصويرة وطنجة. والملاحظ أن حزب الشعب مثلا قد استند كثيرا للبعد الوحدوي الذي كان يحمله الأمير عبد القادر في معاملاته مع المغاربة والعرب عموما، فلقد ذكرنا سابقا كيف أن الحزب بعث برسالة إلى الجامعة العربية من جملة ما جاء فيها: "لقد قيل أن الأمير عبد القادر كان متشائما ساعة بعث بصيحات استغاثة ونجدة ورسائل تحذير إلى بعض ملوك وأمراء العرب في القرن الماضي أن سلت الجزائر للعدو... ودون أن يهتموا حتى بالرد عليه ظنا منهم أن النكبة على فرض وقوعها إنما ستنزول على الجزائر وحدها... لكن ما أنتم أولاء... باتت افريقيا الشمالية كلها تحت نير الاستعمار... وتشجع غاصبون آخرون... لاستعمار الأقطار العربية" أنظر: بيان عام عن حوادث سطيف الدامية بالجزائر ماي 1945 (مذكرة حزب الشعب الجزائري إلى أعضاء مجلس الجامعة العربية)، المصدر السابق، ص ص 82-92.

ثم جاءت فترة النضال السياسي (=موضوعنا) أين اجتهد القادة المغاربيون في بلاد المهجر<sup>(2)</sup>، وفي الداخل لتنسيق الجهود السياسية ضد الاستعمار، الذي راح يفكك البنى التقليدية للمجتمع المغاربي المسلم، ثم إلى اندلاع الثورات المسلحة في تونس والمغرب والجزائر، والتي عرفت ميلاد جيش تحرير المغرب العربي 1955، وهو المولود الذي لطالما حلم به الجميع لعقود.

ولا نعتقد أننا سنتهم بالذاتية عندما نقول بأن الجزائريين أوائل رفعوا شعار وحدة المغرب العربي في التاريخ المعاصر، وذلك بحكم سقوطهم المبكر بين أيدي الاستعمار، ويُعتبرون الأكثر تحمسا لها، لأن الجزائر كانت ولا تزال تشكل القلب النابض للمغرب، لذلك لن تكفينا الكتب والمجلدات لكي نرصد كل تلك الانتاجات الجزائرية الغزيرة التي سعت للوحدة المغاربية، ولكننا نحاول في هذا الفصل تسليط الضوء على أهم ما جادت به أدبيات الحركة الوطنية حول هذا المطلب الوحدوي الهام، فترة خوض الكفاح السياسي محاولين الالتزام بالحيز التاريخي (1920-1954).

(1) وحدث في مدينة بجاية عام 1925 رسالة بعث بها عبد الكريم الخطابي إلى الجزائريين والتونسيين يتأسف فيها على مشاركة البعض منهم في الحرب مع الفرنسيين على الريف، ويدعوهم إلى الاتحاد لقهر المستعمر ونقتطف منها ما يلي: "...يا أيها المسلمون التونسيون والجزائريون إن الأمر الذي يشق علينا تحمله هو أن نرى أبنائكم يساقون قهرا لمحاربتنا... فيا إخواننا الجزائريين والتونسيين فلقد آن أوان تخليص نفوسنا من نير الاستعمار الفرنسي، فلنستفز همنا ولنقم بمعاوضة بعضنا بعضا فنسترد مجدنا ونعيد استقلالنا...ولنكن عصبية واحدة...وليتهيئا لنا تشكيل جمهورية ضخمة تكون أركانها جميع بلاد افريقيا الشمالية" أنظر الرسالة كاملة في: محمد قناش-محفوظ قداش، المصدر السابق، ص ص 26-30.

(2) نشير إلى أن كثيرا هي المحاولات التي سعت توحيد الجهود المغاربية ببلاد المهجر قبل سنة 1920 على غرار: المناضل التونسي على باش حامية أحد قادة الشبان التونسيين والذي كان يناضل من إسطنبول 1912 مظهرا ميولا مغاربية، والجزائري الشيخ المكي بن عزوز والشريف صالح التونسي، وقد أصدر بعض المغاربة وعلى رأسهم الجزائري محمد التهامي شطة في بلاد المشرق العربي جريدة اسمها "المهاجر" جانفي 1912، كما تأسست عدة جمعيات مغاربية تنشط في هذا المجال على غرار جمعية الأخوة والمساعدة والدعم المعنوي بين الجزائريين والتونسيين، كما تأسس بالقاهرة الاتحاد المغربي (=المغاربي)... لكننا نشير إلى أن أغلب هذه الجمعيات في هذه الفترة كانت تنشط تحت لواء الجامعة الإسلامية. للمزيد من التفاصيل حول النشاط المغاربي في المهجر قبل العشرينات راجع: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا، ج1، المرجع السابق، ص ص 43-160.

شكلت وحدة التاريخ والجغرافيا الطبيعية عبر الزمان تسهيلات عديدة للتواصل، عززتها وحدة اللغة والدين، والعادات والتقاليد، في بلاد المغرب الكبير، فلا يمكننا أن نجد مثيلا آخر في التجانس والتناسق لهذه المساحة الجغرافية الواسعة في أي منطقة في العالم، وذلك بشهادة عديد الجغرافيين والباحثين الأنثروبولوجيين<sup>(1)</sup>، وقد عرفت الشعوب المغربية التي سكنت هذه الرقعة عبر العصور صفحات تاريخية مشتركة منذ أيام الأمازيغ، الذين قاوموا الغزاة المستعمرين، من الرومان والبيزنطيين والوندال، وقد عرفت المنطقة اتحاد القبائل والعشائر فيما بينها في أكثر من مناسبة، حينما استشعرت الخطر المحدق بها وبوجودها، هذا و مارس الاستعمار الفرنسي بصفة لاشعورية دورا هام في تلك الوحدة من خلال سياساته المختلفة في المغرب العربي كما ذكرنا سابقا، فكان من اللازم رفع شعار الوحدة لأن الآخر (=الاستعمار) كان يوحد المقاومة ويوحد الرؤى ويوحد الطموحات<sup>(2)</sup>، وكانت الجزائر أكبر المتضررين من تلك السياسات، بحكم أقدمية الاستعمار وشراسة المقاومة، لذلك كان ردّها أعنف سوأءا فيما يخص المقاومات الشعبية، أو الحركة الوطنية، والثورة التحريرية المسلحة، لذلك فإنه من الطبيعي جدا أن تحاول دائما التمسك بقوميتها المغربية، ويدعو أبنائها إلى تشكيل وحدة للمقاومة، فترسخت فكرة الدفاع عن الأمة الجزائرية، وتطلع المقاومون خاصة في الحركة الوطنية والثورة إلى انجاز نهضة عصرية ومتقدمة، في إطارها المغربي والعربي الإسلامي<sup>(3)</sup>.

كما لا يمكن أن ننكر أبدا بعض العوامل الأخرى التي ذكرناها سابقا كالهجرة من الداخل إلى الخارج والعكس، بالإضافة إلى الاستفادة من تجربة الجامعة الإسلامية وحتى مشاريع الوحدة العربية التي أحييت البعد العام والتصور الكلي (=عكس القطري) لدى الجزائريين بأن اعتمدوا بدرجة كبرى على

(1) راجع سبيل المثال محمد أركون، الفضاء الاجتماعي والتاريخي للمغرب العربي، وحدة المغرب العربي (ندوة)، مركز دراسات الوحدة العربية-مركز الدراسات العربية المتوسطية، ط1، لبنان، 1987، ص ص 31-38.

(2) مقدمة مركز الدراسات العربية المتوسطية، نحو إعادة تأسيس فكرة المغرب العربي، وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 9.

(3) محمد عابدي الجابري، فكرة المغرب العربي أثناء الكفاح من أجل الاستقلال، وحدة المغرب، المرجع السابق، ص 17.

توظيف التراث من لغة عربية ودين إسلامي يحول التمسك أكثر بالجسد المغربي والإفريقي والعربي الإسلامي<sup>(1)</sup>.

## 2- الوحدة المغربية في أدبيات التيار الإصلاحية:

رفع رجال الإصلاح شعار الوحدة في إطار الأمة المغربية باكرا، ولا نعلم متى بالتحديد حتى لا ندخل في جدلية من الأسبق ومن الأولى لأنه لا شيء مطلق في التاريخ، ولكن المتتبع لمسيرة الحركة الإصلاحية الجزائرية يلاحظ أن رجال الإصلاح دافعوا عن الوحدة (= في إطار الخلافة الإسلامية ثم في إطار الأمة العربية الإسلامية) منذ بدايات القرن العشرين ونرجعه نحن لسببين هاميين:

- يعتبر رجال الإصلاح كلهم من خرجي الزوايا والمساجد، فهم ذوو ثقافة عالية ومن الأوائل إلى جانب المثقفين والقادة الفرنسيين والأجانب من الذين اضطلعوا على كتب التاريخ والجغرافيا والرحالة، لذلك كانوا أعرف الناس حينها بالفضاء المغربي الواحد ومصائبه، والذي تعززت وحدته بدخول الإسلام، وانصهرت مكوناته في الأربعة عشر قرنا الماضية.
- رجال الإصلاح من الأوائل الذين كانوا دائمي الترحال إلى الأقطار الأخرى للدراسة في المعاهد والمدارس والجوامع كالقرويين والزيتونة والأزهر ودمشق وبغداد... الخ في إطار الرحلات العلمية للتحصيل على الإجازات والبحث عن المعرفة، لذلك اختلطوا بكثير من الأقاليم التي كانت تسمى المغربي والتونسي والجزائري بالمغربي (=المغربي)، واكتشفوا قلة أو لنقل إهمال معرفة المشاركة بالمغرب والمغاربة، وهو ربما ما سبب لهم في نظرنا مركب نقص نمت بالتدرج، لذلك كانوا على قناعة بأنهم

(1) يرى المفكر محمد أركون أن التعبئة التي قام بها المغاربة للتراث المكتوب أثناء خوضهم الكفاح ضد الاستعمار كانت في سبيل مواجهة الفكرة بالفكرة، فكانت تعبئة فكرية أيديولوجية للمعركة ولم تكن تعبئة فكرية وعلمية مسؤولة. للاستزادة راجع: محمد أركون، الفضاء الاجتماعي والتاريخي للمغرب العربي، المرجع السابق، ص 34.

أمة واحدة (=قومية مغربية اسلامية خاصة)<sup>(1)</sup> منذ القدم هذا من جهة، من جهة أخرى سمحت لهم تلك الرحلات بالاضطلاع على ما يجبك من دسائس حول العالم الإسلامي، خاصة وأن بلاد المغرب العربي آنذاك كانت من أكبر البلاد المستهدفة من طرف أمة الصليب.

### 2-1- مرحلة ما قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1920-1930):

إن البحث في النشاط الإصلاحى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى صعب جدا ذلك لعدة اعتبارات، فشح الحركة الصحفية الإصلاحية في هذه الفترة كان واضحا، والانتاجات المكتوبة كانت قليلة في ظل عدم وجود تشكيلة، أو جمعية، أو حزب ينشط تحته العلماء هذا من جهة، من جهة أخرى حتى النداءات بوحدة المغرب العربي تكاد تكون معدومة عند رجال الإصلاح لأن الغالبية منهم كان ينتظر ما تسفر عنه فترة ما بعد الحرب، ثم أن الغالبية آنذاك كانت تنظر في الجامعة الإسلامية القدوة

(1) يقول الدكتور رابح لونيسي في تحليله ونقده للمفكر المغربي محمد عابد الجابري: "يعد الإسلام مقوما رئيسيا في نفس درجة الأمازيغية (=بالنسبة للأمة المغربية)، بل يمكن لنا القول أنه دخل في جدلية مع الثقافة الأمازيغية للسكان، فأعطى الأول للثانية طابعها الديني، كما صبغت الأمازيغية الإسلام، فتولد إسلام مغربي... كما أعطى الإسلام اللغة العربية لهؤلاء والتي هي ضرورية لفهم الدين فاعتبروها لغة الدين... هذا ما يجعلهم يختلفون في هذا المجال عن المشرق العربي الذي لا يشكل الإسلام عاملا موحدًا لهم عكس المغرب الإسلامي... يبدو أن الجابري لم يدرك مدى المركزية المشرقية وتعاليمهم على كل ما يأتي من بلاد المغرب لأن المغاربةين أمازيغ أي من الموالي حسب تصنيف في الماضي و يواصله اليوم الأمويون الجدد تحت غطاء القومية العربية... رغم محاولات بعض هؤلاء الأمازيغ إنكار قوميتهم ونسب أنفسهم إلى العرب" لونيسي يتكلم عن بقاء هذه النظرة حتى الوقت الحالي وربما في نظرنا بدأت قليلا تتبدد بالإعلام الذي جعل من العالم قرية صغيرة وبإثبات المغاربة جدارتهم في المسابقات العلمية والفكرية في الشرق في أكثر من مناسبة) ". أنظر: رابح لونيسي، محمد عابد الجابري وتنظيره اللاشعوري للقومية المغربية، الحوار المتمدن، العدد 4492 بتاريخ: 24-06-2014 ولكن للشيخ البشير الإبراهيمي رأي آخر في الإسلام المغاربي (=الجزائري) فبالرغم من أن الفترتين تختلفان فظروف الاستعمار الذي شجع فصل المغرب عن المشرق وتأسيس الجامعة العربية وتنامي الأفكار القومية العربية كانت يحتم التمسك بالشرق فيقول حول ذلك: " ماد الإسلام عقيدة وشعائر وقرآنا وحديثا و قبلة واحدة فالمسلمون كلهم أمة واحدة، ومادامت اللغة العربية لسانا وبيانا وترجمانا فالعرب كلهم أمة واحدة... فلا إسلام جزائري كما تريد، ولا =عنصرية بربرية" أنظر: جمعية العلماء: أعمالها ومواقفها من السياسة والساسة، العدد 3، جريدة البصائر بتاريخ: 8 أوت 1947. نقلا عن: الآثار، ج3، المصدر السابق، ص63.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

ومسلك النجاة، منتظرة المخاض التي كانت تعيشه سنوات قليلة بعد إلغائها، أما غالبية الكتابات والتصريحات عن الوحدة المغربية خاصة قبل سنة 1925 نجدتها إما من شخصيات تنشط بالمهجر وتبدي آرائها حول الوضع الداخلي الجزائر، خاصة وأن عديد رجالات الإصلاح شاركوا في تأسيس الحزب الدستوري التونسي الحر عام 1920 ونشطوا مع الشيخ عبد العزيز الثعالبي أحد رواد الوحدة المغربية، كالشيخ أطفيش الذي كان من أعضائه الإداريين، وأبي اليقظان الذي كان في دعايته<sup>(1)</sup>، وأحمد توفيق المدني أحد أبرز قياديه أيضا<sup>(2)</sup>، أو دخلت إلى الجزائر محملة بتلك الأفكار من خلال الرحلات التي قامت بها إلى المشرق خاصة<sup>(3)</sup>، وسنحاول تسليط الضوء فيما سيلي على بعض تلك المحاولات والنداءات والكتابات<sup>(4)</sup>.

(1) معمر العايب، المرجع السابق، ص 70. كان أبو اليقظان من الأوائل الداعين لفكرة الوحدة المغربية، ومما لا شك فيه أنه تأثر كثيرا بلقاء الزعيم سليمان الباروني الذي كان من أشد المدافعين عليها على حد وصل به إلى الصدام مع شكيب أرسلان كما رأينا سابقا، كما أن انضمام أبي اليقظان لحركة الشيخ عبد العزيز الثعالبي قد أفاده كثيرا بالإضافة على احتكاكه برجال الحركة الصحفية في تونس بأن كتب عدة مقالات في جرائد المنير، والاتحاد، ولسان الشعب، ومرشد الأمة وحتى الجزائرية كالفاروق والنجاح والمنتقد وغيرها، واهتمت جريدته "وادي ميزاب" التي أسسها عام 1926 بالمغرب العربي عموما والجزائري خصوصا. محمد ناصر، أبو اليقظان، المرجع السابق، ص ص 14-16.

(2) راجع: أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج 1، المصدر السابق.

(3) كانت الكتابات محتشمة وكان من المخاطرة النداء بوحدة المغرب العربي الذي كان يعتبر ثورة في نظر فرنسا، التي وبالرغم من أنها كانت تشجع قيام الوحدة في إطارها المغاربي، ولكن لصالح فرنسا وليس لصالح الجامعة الإسلامية، لذلك نرى أن كثيرا من الشخصيات الإصلاحية داخل الجزائر تحفظت، وحاولت الإبقاء على العلاقة الطيبة مع فرنسا على غرار الشيخ عبد الحميد ابن باديس كتب مقالا بعنوان "نعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية"، والذي كان في نظرنا متخوفا كثيرا من تعطيل جريدته بسبب الاتهامات والشايات التي كانت تصل الإدارة حول المنتقد، وبالتالي اجهاض حلمه البعيد النظر ألا وهو النهوض بالأمة الجزائرية من تخلفها العلمي والفكري ومن ثم المقاومة. أنظر المقال في: المنتقد، ع14، بتاريخ: الخميس 1 أكتوبر 1925، ص ص 251-253.

(4) تساءل أحمد توفيق المدني عندما اجتمع بابن باديس وآخرين حول إمكانية وجود حزب أو عمل سياسي ينشط في الجزائر لكي يصله بنظيره في تونس ثم المغرب، لكن لم يجد، والتساؤل دليل على أن الأمور كانت هادئة، ولا نشاط إلا بعض المحاولات هنا وهناك، وحتى الحركة الاستقلالية كانت تتزعزع بالمهجر، وربما قد وجد المدني تفسيرات عدة لذلك أوجزها له الحضور في خمس

• الشيخ إبراهيم أبو إسحاق أطفيش:

نعتقد في نظرنا أن من بين الشخصيات الإصلاحية الأولى التي دعت لوحدة المغرب العربي ولكن في إطار الجامعة الإسلامية<sup>(1)</sup>، هو إبراهيم أطفيش الذي كان يؤمن إيمانا شديدا بضرورة التضامن لتحقيق الأهداف المرجوة، خاصة وأنه عاش في المشرق كثيرا، ورأى مغبة الفرقة والشتات اللذان يسهلان الطريق للمستعمر، وفي هذا المجال ألقى خطبة حول الاتحاد والتعاون في جمعية تعاون جاليات شمال افريقيا سنة 1925، والتي نقلتها جريدة المنتقد للشيخ عبد الحميد ابن باديس، ومن جملة ما جاء فيها: "إن حياة الأمم والشعوب لها أمور تتوقف عليها، إلا أن بعضها ضروري، وهو كالأساس للبناء المشيد الثابت... فالأمم الأساسيان هما الاتحاد والتعاون، ما ظهر في أمة إلا ونالت مبتغاها من العظمة والكمال... إن شعوب شمال افريقيا اجتمعت لأول مرة كتلة واحدة بعد أن كانت متباعدة، بل كانت لا تعرف ما هو الالتفاف حول كلمة واحدة، فما على هذه الكتلة إلا أن تعمل ما يفيد أبناء أوطانها الذين هم أمة واحدة، تجمعهم رابطة واحدة عظيمة، إذا تمكنت من النفوس استعصى انفكاكها على كل قوة تحاول فصمها، ألا وهي رابطة الإسلام ثم كذلك رابطة اللغة ورابطة الجنس"<sup>(2)</sup>.

نقاط حتى اضطلع على الوضع القائم آنذاك وهي: 1-القوانين الفرنسية الجائرة لا تسمح بتكوين حركة سياسية. 2-وجود خلاف حول المناهج والأهداف بين المثقفين بالفرنسية وبالعربية. 3-تغلغل الطرق الصوفية في المجتمع واستعمالهم من طرف فرنسا كحلفاء. 4-انتشار الفقر والجهل والظلم الذي سببه فرنسا طيلة عقود. 5-تحافت النخبة المفكرة على المناصب الانتخابية القليلة ونسيانهم مشاكل اخوتهم. أنظر للاستزادة حول هذه النقاط أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص ص 15، 16.

(1) معمر شعشوع، المرجع السابق، ص 109.

(2) إبراهيم أطفيش، في الاتحاد والتعاون، المنتقد، ع 09 بتاريخ: 27 أوت 1925، ص ص 155-158 (نقلا عن المنهاج).

ولقد أثنى الشيخ عبد الحميد ابن باديس كثيرا على هذه المحاضرة قائلا بأنها ساهمت كثيرا في الاتحاد المتين بين المالكية والإباضية في الجزائر. أنظر: المنتقد، (ملاحظات لعبد الحميد ابن باديس)، نفس العدد، ص 169.

• محمد السعيد الزاهري:

كان الزاهري من بين أشد رجال الإصلاح الداعين للوحدة في هذه الفترة، فقد دعا سنة 1929 إلى ضرورة الإسراع إلى الوحدة المغربية في رسالة بعث بها من تلمسان إلى الطيب بن عيسى بتونس لينشرها في جريدة الوزير، وقد مهد لها هذا الأخير تحت عنوان "حول مقالة قيمة" نشرها في 21 فيفري مبشرا ومتفائلا بدعوة الزاهري إلى إيجاد وحدة مغربية التي تحمل على حد قوله إيجابيات كثيرة<sup>(1)</sup>، وهو العمل الذي من شأنه "أن يبلور الإرادة الجماعية، والكفاح المشترك والتصميم الموحد لمقاومة الاستعمار الجاثم على الأرض... إن الشباب المغربي الناهض، لا فرق بين الجزائري منه والتونسي، ولا بين أحد منهما وبين المراكشي، بدأت عقليته تتجه اتجاهها واحدا، وبدأ شعوره يكون شعورا مغربيا واحدا، وإذا تم ذلك -وسيتم انشاء الله- فسيكون كل مفكر يفكر في المغرب لا بخصوص جهته، وسيكون كل عامل في واحدة من هذه البلاد يعمل لخير المغرب كله... ويومئذ تتوجه جهودنا التي نجدها لصالح هذه البلاد المغربية"<sup>(2)</sup>.

فالزاهري كان يقول بأن له فضل السبق في ابتكار مصطلح المغرب العربي خلال العشرينات "بعدها كانت الألسنة والأقلام تخلط في تسميته خلطا يبعث العجب، فالمشاركة مثلا كانوا يطلقون تسميات العواصم على بلدان هذا المغرب، فكانوا يقولون: مراكش عن المغرب الأقصى والقيروان عن تونس، وتلمسان للجزائر. أما الجغرافيون والصحفيون فكانوا يطلقون عليها اسم افريقيا الشمالية أو الشمال الإفريقي، وهي ترجمة حرفية عن الفرنسية لكلمة (**l'Afrique du nord**) لا فريك دينور، أما عرب الإسلام القدماء فكانوا يقولون بلاد المغرب أو المغرب وإذا أرادت أحد أقطارها قالت: المغرب الأدنى

(1) أنظر صالح خرفي، محمد السعيد الزاهري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص ص 161-165. وأيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 240.

(2) الزاهري، إلى الوحدة المغربية، ج1، الوزير، ع270 بتاريخ: 21-03-1929، ص3. نقلا عن: أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحية عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، المرجع السابق، ص ص 189، 190.

لتونس وليبيا، والمغرب الأوسط للجزائر والمغرب الأقصى لمراكش<sup>(1)</sup>. فمقال الزاهري حسب الدكتور محمد بلقاسم كان دعوة صريحة للوحدة المغربية المبنية على أسس حضارية، خاصة وأن جاء في نهاية العشرينات، وهو قمة ما كانت تدعو إليه الحركة الإصلاحية في الجزائر في مجال وحدة المغرب العربي خاصة وأن الزاهري كان أحد أقطابها<sup>(2)</sup>.

### ● أحمد توفيق المدني:

يعتبر أحمد توفيق المدني من بين المنظرين لفكرة الوحدة المغربية، وربما قد ساعدته عوامل كثيرة في ذلك لعل أبرزها هو أنه من أصول جزائرية، وعائلته قد هاجرت إلى تونس، لذلك ترعرع ونما هناك وانخرط مبكرا في العمل السياسي بالحزب الدستوري الحرّ، و عندما نفي عام 1925 إلى الجزائر وجد جوا مغايرا هناك، عكس ما كان يعيشه في تونس، لذلك حمل معه أفكاره وطروحاته المغربية، وعمد دائما لربط الصلة بين الجزائريين والتونسيين، ونقل أخبار الحركة الوطنية التونسية للحركة الإصلاحية الجزائرية<sup>(3)</sup>، فقد قال المدني لمبارك المليي يومها: "ما دمت في الجزائر فسأكون بين العاملين، وإن رجعت لتونس فسيكون كفاحي رسميا قولاً وعملاً لفائدة المغرب العربي كافة، لانفراق بين جزء من أجزائه"<sup>(4)</sup>.

كما يروي لنا المدني في مذكراته، بأن نقاشا موسعا وساخنا دار بين الحضور الذين كانوا في جلسة ترأسها الشيخ عبد الحميد ابن باديس وحضرها آخرون مثل: مبارك المليي، وخبشاش، ودويده،

(1) الزاهري، نحن أمة واحدة في هذا المغرب العربي، المغرب العربي، ع35، بتاريخ: 26-11-1948. نقلا عن: أحمد بلعجال، المرجع السابق، ص189.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص242. أنظر الفصل الرابع حول مضابقة جرائد الزاهري من قبل الشرطة.

(3) يروي المدني قائلا في مذكراته أنه لما دخل الجزائر التقى بمبارك المليي بقسنطينة والذي كانت له علاقات من قبل، وقد تحدثا كثيرا حول الأوضاع في البلدين، فكان ذلك حسب المدني: "أول لقاء بين روح تونسية نائرة وروح جزائرية نائرة... وقيلت له: إني لست بمفروق والله بين الجزائر وتونس، فتلك أرض الأجداد، وهذه وطن الميلاد". أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، صص8،9.

(4) نفسه، ص9.

ومالك بن نبي، وشابان من الحزب الشيوعي وآخرون، فكان الموضوع حول وحدة المغرب العربي وكيفيات تجسيدها، وعوائقها، وحسب المدني فإنه قال يومها: "...أنا مؤمن بوحدة المغرب العربي جنسا ولغة وأخلاقا، وإنه تحت موطئ أقدام مستعمر متجبر... فهل من عمل سياسي ممكن في هذه الأرض الجزائرية التي طال جهادها وشاعت وذاعت أمجادها، يربط بين القطرين، ويوحد بين الجهادين؟ ريثما نتصل بالجزء الثالث المغرب الأقصى لنضم قوته لقوتنا فنوحد جهادنا ونواصل كفاحنا؟، ومادام عدونا في الأقطار الثلاثة واحدا، له هدف واحد ويسعى بوسائل موحدة إفنائنا وقهرنا جميعا، فكيف لا نسعى لتوحيد الجهود وتوحيد الكفاح وتوحيد الهدف؟"<sup>(1)</sup>، ويشير عديد الباحثين إلى أن المدني فتح جسور التواصل بين الإصلاحيين في الجزائر والدستوريين التونسيين باستضافتهم في منبر نادي الترقى منذ جويلية 1927، فقد أتى عديد الشعراء والأدباء والكتاب إلى هناك في مختلف المناسبات أمثال الأديب إبراهيم راجح الأكوادي، والشاذلي خزنة دار والناصر الصدام وغيرهم<sup>(2)</sup>.

ولقد ساهمت الجرائد والصحف الإصلاحية كثيرا في الدعوة إلى الوحدة المغربية في هذه الفترة، ولكن ربما بشكل غير مباشر (=التقية)، وذلك بتتبعها أخبار الأقطار الأخرى، كحرب الريف بقيادة عبد الكريم الخطابي<sup>(3)</sup>، أو الحرب في طرابلس الغرب<sup>(4)</sup>، فقد كانت إدارة جريدة "المنتقد" بقيادة ابن باديس متتبعة لأخبارها، فقد أبدى عدة مرات ملاحظاته حولها، رغم تحفظه الشديد عن الكلام حول الوحدة، لأنها قد تفهم أنها دعوة صريحة ومباشرة للاتحاد والثورة على فرنسا في المغرب العربي، وربما

(1) أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 12-14-15.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 244، 245. نقلا عن: الجابري، ص 290.

(3) من المقالات والاقبسات خاصة في خانة أبناء عن العالم، نذكر: الخطاب المفتوح من ابن عبد الكريم إلى مجلس الأمة الفرنسي بباريس، المنتقد، ع 11 بتاريخ: 10 سبتمبر 1925، ص 191-195. عبد الكريم يقول، المنتقد، ع 12، بتاريخ: الخميس 11 سبتمبر 1925، ص 224، 225. ومقالات أخرى.

(4) الحرب في طرابلس الغرب: الثورة مندلعة اللهب في إيطاليا-الحكومة ترسل عشرين ألف جندي و300 طائرة، المنتقد، ع 16، بتاريخ: الخميس 15 أكتوبر 1925 (عن جريدة البيان)، ص 294.

كان ذلك أيضا، تخوفا لتعرض جريدته الفتية للمضايقات، خاصة وأنها كانت لاتزال حديثة النشأة، لكننا لا نعرف ما كان يلمح إليه بالتحديد عبد الحميد ابن باديس، عندما قال في أولى أعداد الجريدة عن الحرب الريفية: "...وأما مسألة استيلاء عبد الكريم على المغرب إذا اعترف باستقلاله والخوف من ثوران الشمال الإفريقي فبعيدة عن الصواب، فإن الأمير أعقل من أن يغامر تلك المغامرة العقيمة ورعايا فرنسا أصدق لها وأعرف بخيرهم من أن يقابلوها بالعدوان"<sup>(1)</sup>.

فابن باديس يرى أن عبد الكريم لن يقوم بدعوة أبناء الشمال الإفريقي للثورة على فرنسا في حال تم إعطائه الاستقلال، لأنه يرى فيه شخصا عاقلا(=متبصرا)، ويعتبر أنها محاولة عقيمة إذا ما وقعت، وابن باديس في رأينا قد أخطأ في حدسه، بدليل أن الأمير عبد الكريم الخطابى أرسل للتونسيين والجزائريين رسالة يدعوهم فيها للوحدة من أجل دحر الاستعمار، وتشكيل جمهورية ضخمة أركانها جميع بلاد افريقيا الشمالية<sup>(2)</sup>، وقد وجدت نسخة من الرسالة في بجاية ديسمبر 1925، أي بعد أشهر قليلة من مقال ابن باديس، رغم أن الحالة تختلف ففرنسا لم تعط الاستقلال لعبد الكريم، ولكن فكر الخطابى كان وحدويا سوأءا بالاستقلال أو بغيره، وهو ما سنلاحظه بعد سنين في نشاطه بلجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة 1948 هذا من جهة، من جهة أخرى في قول ابن باديس بأن رعايا فرنسا لن يقابلوها بالعدوان ويقصد الجزائريين والتوانسة، فهو في نظرنا إما دعوة لتهدئة الأوضاع وعدم المغامرة، وبالتالي المحافظة على الوضع القائم، أو يقين من لدنه بأن الأهالي لن يثوروا لأنهم استسلموا للأمر الواقع ورضخوا لفرنسا التي تحكمهم منذ عقود، وهو ما يشكل نوعا ما هلامية في رأي الشيخ ابن باديس.

لكن مع مرور الوقت وتعاقب الأحداث، نجد الشيخ عبد الحميد يدافع عن أبناء المغرب العربي(=شمال افريقية)، في مقال ردّ به على الكاتب الفرنسي "ريجنالد كان" الذي اتهم الشمال

(1) عبد الحميد ابن باديس، الحرب الريفية، المنتقد، ع:01، بتاريخ:2 جويلية 1925، ص ص 09-11.

(2) أنظر الرسالة كاملة في قنانش - قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص ص 26-30.

افريقيين بالناكرين للمعروف، ويقول ابن باديس في ذلك: "من هؤلاء الكتاب ريجنالد كان المذكور، فهو يعلم أن افريقيا الشمالية أما كثيرة مؤالة لأمته في الحرب والسلم، وإن جنودها وأموالها وصادراتها المتنوعة، بما كان الانتصار في الحرب الكبرى، التي أخذت النفوس والأموال وتركت الوعود... والآمال... ويعلم أيضا أن الحرب الريفية الإفريقية التي تواجهها فرنسا واسبانيا اليوم، إنما يصلى نارها في الأكثر أبناء افريقيا الشمالية الناكرة للمعروف، إذا كانت فرنسا رقت البلاد اقتصاديا ترقية استثمارتها الفئة الاستعمارية قبل كل أحد وإذا كانت فرنسا رقت الحالة الأدبية على قلة حظ الأهالي منها، فإننا دفعنا ثمن ذلك بأبنائنا وأموالنا وهل شيء أعز من الأرواح والأموال"<sup>(1)</sup>.

فابن باديس في هذا الردّ يدافع بشدة عن شمال افريقيا وأبنائها المسلمين، الذي يتقاتلون فيما بينهم في ساحات المعارك، ويقدمون الصفوف الأمامية في الحرب الريفية التي تخوضها فرنسا واسبانيا، وهذا المقال وإن لم يكن دعوة صريحة للوحدة المغاربية، فهو استنكار لما يحدث من طرف فرنسا التي نهبته الخيرات، واستفاد أبنائها من التعليم والثقافة خاصة في الجزائر، مقابل أبناء المغرب العربي الذين يقتلون بعضهم بعضا لصالح فرنسا والدول الاستعمارية الأخرى.

ولما تأسست الشهاب عام 1926 من طرف صاحبها ابن باديس أيضا، فإننا قلّما نجد قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نداءات صريحة وواضحة تدعو لوحدة المغرب العربي، وإنما توجد مقالات أصحابها من المغرب أو تونس، ينقلون الحال الحاضرة في بلدانهم، أو يثنون على الشهاب وفريقه أو يوافقون آرائه ومواقفه<sup>(2)</sup>، أو إما جزائريين يصفون الأحداث أو الأخبار في القطرين

(1) ابن باديس، افريقيا الشمالية الناكرة للمعروف، المنتقد، ع16، بتاريخ: الخميس 15 أكتوبر 1925، ص 291.

(2) منشور من حزب الإصلاح الديني بالمغرب الأقصى، مالكم كيف تحكمون؟ أفلا تذكرون؟، الشهاب، م3، ع102،

بتاريخ: 23 جوان 1927، ص ص 30-35.

الشقيقتين ، ونستثني ربما بعض الكتابات التاريخية التي كانت تتحدث عن التاريخ الموحد لشمال افريقية عبر العصور، كعرض مؤلفات بعض المؤرخين كأحمد توفيق المدني مثل تقويم المنصور<sup>(1)</sup>، أو قرطاجنة في أربعة عصور<sup>(2)</sup>، أو الرحلات التي قام بها بعض رجال الإصلاح الجزائريين في المدن والحواضر المغربية، ووصفوا بعد ذلك جمال تلك الرحلات على صفحات الشهاب<sup>(3)</sup>.

لذلك يمكننا أن نقول أن رجال الإصلاح انتقلوا إلى المناداة بوحدة المغرب العربي بعد تجربة مرحلية دامت عدة سنين كانت فيها القوى مشتتة والجهود متفرقة، فكان الشغل الشاغل هو توحيد الجهود الداخلية لتكوين جمعية ينشطون تحت اسمها وهو ما حدث في 1931، ثم بعد ذلك المناداة بوحدة الجزائر (=القوى السياسية خاصة) بكل أطيافها، وبعد ذلك التكلم عن وحدة المغرب العربي التي بالرغم من أنها لم تنل حظها كثيرا في هذه الفترة (=أي قبيل تأسيس جمعية العلماء)، لكنها كانت دائما حاضرة في المخيال الشعبي، وأذهان رجال الحركة الإصلاحية الجزائريين.

### 2-الوحدة المغربية في أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931-1954):

تزامن تاريخ تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931 بأحداث محلية وإقليمية خطيرة انعكست تدريجيا على البنى الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية للمجتمعات المغربية، فكما أشرنا

---

(1) تقويم المنصور وشعاره الصادق، الشهاب، م2، ع51، بتاريخ:30أوت1926، ص ص 275، 276. لقد صادرت السلطات الاستعمارية هذا الكتاب في جميع أقطار المغرب العربي في 8 فبراير 1926، وذلك لاحتوائه أفكار قومية وتحررية. عنه أنظر: عبد القادر خليف، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر(1899-1983)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص105.

(2) قرطاجنة في أربعة عصور (تاريخ شمال افريقيا للسيد أحمد توفيق المدني) وأضاف المعلق في الأخير عبارة "حاجة كل افريقي إلى هذا الكتاب أكيدة" ونلاحظ عدم تواجد مصطلح المغرب العربي هنا وهو الذي لم يكن متداولاً بعد حسب علمنا، أنظر: الشهاب، م3، ع115، بتاريخ:29سبتمبر1927، ص 313. راجع الفصل الثالث عن المدني والكتابات التاريخية.

(3) نذكر على سبيل المثال لا الحصر مقال الأمين العمودي، شهر في تونس أو تونس في شهر، الشهاب، م2، ع38، بتاريخ: 15 جويلية 1926، ص ص 94، 95.

سابقا احتفلت فرنسا بالاحتفالات المئوية الاستفزازية على مرور قرن عن احتلالها لمدينة الجزائر<sup>(1)</sup>، كما سنّت الظهير البربري في المغرب الأقصى<sup>(2)</sup>، وأقامت المؤتمر الأفخارستي في تونس عام 1931 حيث رفع الصليب عاليا، فأحس المغاربة عموما والجزائريون خصوصا بالذل والمهانة، وأنهم مهددون أكثر من أي وقت مضى في فقدان هويتهم وديانتهم التي اكتسبوها منذ قرون، ونقول الجزائر بالخصوص لأن "الجزائر هي الدولة التي تعرضت شخصيتها لأعمق الشروخ دينيا ولغويا وثقافيا، ويقدر ما كان الإجهاز عميقا وعنيفا من جانب المستعمر، استنهض لدى المستعمر تمسكه بمقومات

(1) نشير إلى أن الفرنسيين لم تتوقف احتفالاتهم الاستفزازية في تلك السنة، بل استمرت لفترة طويلة، فقد احتفلوا سنة 1933 بمرور مائة سنة على احتلال بجاية، واحتفلوا قبلها باحتلال عنابة، وفي هذا عرضت الشهاب بالمختصر الأحداث التاريخية التي وقعت آنذاك ناقلة إياها من مقال لأحد الفرنسيين، لكننا لم نرى أن كاتب الشهاب كان وطنيا أبدا في عرض الحدث المسيء لتاريخ الجزائر، بحيث وصفت الشهاب بأن مقالا كتبه مسيو ليون بريتشو نشر في جريدة لاديبش ألجريان عن احتلال بجاية بالطرافة وصاحبه الإنصاف، ولعل المتأمل في المقال ربما يشك في أن الشهاب آنذاك كانت لترضى بنشر مقال عن ذلك والأدهى والأمر أنه وصف بالمتع كما أثني على الخطاب الحماسي - كما قيل - الذي ألقاه الباشا آغا عبد الرحمن أورابح الذي ضمنه كل ما انطوى عليه قلبه من حب فرنسا، والإخلاص لها والتفاني في خدمتها، والاعتراف لها بالجميل حسب ما ورد؟؟؟؟. وهذا في نظرنا لا يتطابق أبدا ما مع يقال عن تاريخ تأسيس الجمعية بمناسبة مرور قرن عام على الاحتفالات المئوية الاستفزازية؟ أنظر: عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى (1931-1945) دراسة تاريخية وبيولوجية مقارنة، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 160. ويجب أيضا الإشارة إلى أن المقال ربما عبر عن صاحبه فقط وليس عن رأي المجلة ولا الجمعية، وهو أمر لا يزال يحتاج لدراسة أعمق. للاستزادة راجع: ذكرى مرور مائة عام على احتلال الفرنسيين لبجاية، الشهاب، م9، ماي 1933، ص ص 272-277.

(2) نددت به جمعية العلماء في أكثر من مناسبة، واعتبرته الشهاب بأنه الحد المفصلي للتغير في مطالب الحركة الوطنية المراكشية فقالت عنه: "لقد كانت حادثة الظهير البربري الشهير هي الحد الفاصل في فترة الوجود ودور الإقدام والنضال في تاريخ المغرب بعد الاحتلال، فتلك السياسة البربرية الخرقاء التي سلكتها حكومة فرنسا بالمغرب الأقصى رائمة من ورائها اجتثاث شجرة الإسلام التي أثبت أصلها بتلك البلاد وامتدت فروعها للسماء، هي التي أسفرت عن النهضة الوطنية المليبة بالمغرب، وهي التي تمخضت فولدت طردا شامخا لا ترعزعه الأعاصير هو كتلة العمل الوطني". للاستزادة أنظر: الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث، الشهاب، م12، جانفي 1937، ص 544. عن الظهير البربري وانعكاساته على المغرب الأقصى راجع: بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية، المرجع السابق، ص ص 269-341.

شخصيته ودفاعه عنها، وتمثلت خاصة في جمعية العلماء التي كانت حزبا سياسيا أكثر منها جمعية و فقط" (1).

لذلك فإن من بين أهم الركائز الأساسية التي انتهجتها جمعية العلماء في عملية الدفاع عن الشخصية الجزائرية، هو تبيان وإثبات مكانتها الطبيعية ضمن مساحة شمال إفريقيا (=المغرب العربي)، لذلك راحت أدبياتها تعنى بكل ما يتعلق بالشمال الإفريقي، فقد خصص الشهاب ركنا هاما لقضايا المغرب، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن شيبان في مقدمة مجلة الشهاب التي أعيد طبعها بعد الاستقلال: "وأما عن وحدة المغرب العربي فقد كانت شغله الشاغل، والركن الركين الذي قامت عليه دعوته، فجعل من الأركان الثابتة وأبواب القارة لمجلته الشهاب ركنا بعنوان-الشمال الإفريقي- يتتبع فيه ما يجري في أقطار المغرب العربي من أحداث، ويتفاعل مع قضاياها إيمانا منه بوحدة أقطار المغرب العربي" (2)، هذا إذا علمنا أنه إلى غاية 1935 لم يكن للجمعية جريدة رسمية ناطقة باسمها، لذلك فإنها رجالات الإصلاح لم يجدوا إلا الشهاب، أو بعض الجرائد الأخرى المحسوبة على تيار الإصلاح في الجزائر، كالسنة، والشريعة، والصراط، والإصلاح، وصدى الصحراء...

ولقد اهتمت الشهاب في بدايات نشاط جمعية العلماء، بالشؤون السياسية والثقافية التي تهم المغرب العربي ومستقبله، فكانت تشيد مثلا ببعض الشخصيات المغربية، مثل إشارات على سبيل المثال بأبي شعيب الدكالي، وابن زيدان وموقفهما من إحدى القضايا الدينية، وأشادت في مناسبة أخرى أيضا بالزعيم الليبي الكبير عمر المختار (3)، ودور الزعيم التونسي الثعالبي (1) في تونس والمشرق وإحدى

(1) أحمد مالكي، الاستعمار والحركات الوطنية، المرجع السابق، ص 243.

(2) عبد الرحمن شيبان، مقدمة مجلة الشهاب، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 90.

(3) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء، ج 4، المرجع السابق، ص 150.

مواقفه من إصلاح التعليم في الأزهر، بأن دافعت عنه لما هوجم من بعض علمائه<sup>(2)</sup>، ولعل علاقات المصلحين الجزائريين مع الوطنيين المغربية والتونسيين عن طريق الاتصال المباشر أو المراسلات قد ازدادت خلال الثلاثينات لنشر الأفكار الإصلاحية في الصحف، فكانت انتاجات جمعية العلماء منتشرة في الأوساط المراكشية والتونسية<sup>(3)</sup>، كما كانت الشهاب والبصائر منبرا مفتوحا لعدة كتاب مغاربة خاصة من مراكش وتونس<sup>(4)</sup>، وهو ما خلق جوا تضامنيا مغاربيا أكثر من ذي قبل، خاصة وأن القوى السياسية الوطنية كانت تتجذر وتتحد يوما بعد يوم لمقاومة الاستعمار.

كما اهتمت الشهاب أيضا بالقضايا المغربية بصفة عامة، كالقضية الليبية، والتونسية، والمراكشية وتطوراتها على جميع الأصعدة، فركن الشهر السياسي الذي كان أحمد توفيق المدني متكفلا به،

(1) عبد العزيز الثعالبي (1874-1944): من أصول جزائرية ولد في تونس 1874، من العلماء الزيتونيين، ساهم بشكل كبير في الحركة الوطنية التونسية وكتب عدة مقالات في صحف وجرائد تونسية وعربية، ترأس الحزب الدستوري الحر لعدة سنين، توفي عام 1944 للاستزادة عنه أنظر: موسوعة السياسة، ج1، ط2، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1985، ص44.

(2) مما جاء في المقال: "الثعالبي الذي طالما هز تونس بلسانه وقلمه هزا حتى أقام دولة الحماية العظمى وأقعدتها... يحاول هذا العالم الأزهري أن ينفي الزعامة عنه، وقد اعترفت له بما ضمنا دولة عظمى (=فرنسا) بتلك المعاملة واعترفت له بما أمته وأمم الشرق كلها التي زار أكثرها الثعالبي فعرف ديارها وقتل أخبارها وأحسب أن كثيرا منها لا يزال مجهول المكان في خريطة الجغرافية عند سيدي فكري (=العالم الذي تهجم على الثعالبي) إلى اليوم" أنظر: رأي الأستاذ الثعالبي في إصلاح الأزهر، الشهاب، م7، د.ع. أبريل 1931، ص ص 280-284. ظلت نظرة المشاركة للمغاربة دائما نظرة قصور كما تكلمنا سابقا، لذلك فإن العديد من رجال الجمعية أو النخب الوطنية المغربية بصفة عامة، لم يتوانوا في الدفاع عن الشخصيات، وهم بهذا الدفاع خلقوا تدريجيا ذلك الاهتمام الواجب بخصوصيتهم المغربية الخاصة التي أهملها استعلاء المشاركة بالإضافة إلى وعيهم بخيالية مزاعم القومية العربية كما يقول أحد الباحثين. أنظر علي مراد، المرجع السابق، ص446.

(3) أبو اليقظان، صدى جمعية العلماء وآثارها في المغرب والخارج، الأمة، ع4، بتاريخ 9-10-1934 نقلنا عن: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، ج1، المرجع السابق، ص271.

(4) نفسه، ص270، 271. نشرت البصائر مقالا بعنوان: البصائر كيف يراها إخواننا بالمغرب الأقصى؟ وهو لأحد الكتاب من فاس اسمه الحسن الرامي، البصائر الأولى، ع9، بتاريخ: 28-02-1936 ص 65. استعملنا الطبعة التي نشرتها دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، (د-ت).

كان دائما يتكلم عن القضية التونسية مدافعا عنها ومقارنا إياها بنظيرتها الجزائرية<sup>(1)</sup>، كما خصصت الجريدة (=المجلة) على صفحاتها كثيرا تاريخ الحركات الوطنية الوطنية المغربية، ومطالبها، وبرامجها وأنشطتها، فكانت تتحدث عن الحزب الدستوري الجديد فتقول مثلا: "ما كادت تنتهي المحنة القاسية التي نكبت تونس في خيرة رجالها وزهرة شبابها، فرجعوا من مفاهم بأقصى الجنوب مرفوعي الرأس موفوري الكرامة، لم تزد لهم النكبات إلا قوة في العزيمة... وما كاد يزول عن تونس ذلك الكابوس القاسي... حتى هبت تعمل من جديد... فهي توحد صفوفها وتستعيد قوتها... ثم هي في الخارج تفتح مفاوضات جديدة مه ممثلي السلطة الفرنسية"<sup>(2)</sup>.

كما تناولت قضية المغرب الأقصى مثنية على الدور الكبير الذي تقوم به الكتلة الوطنية من أجل المغرب، خاصة وأن رجال الجمعية كانوا يحترمون المملكة والملك، ويشجعون وحدة القطر المراكشي فوحدته من وحدة المغرب الكبير وتقول في ذلك: " اغتنم إخواننا الأبرار المجاهدون في بلاد المغرب الأقصى وهم الذين تجمعهم هيئة-الكتلة الوطنية - فرصة قيام هذه الحكومة الشعبية، وقدموا لها كما قدموا للحكومات التي قبلها مطالبهم العديدة... ولقد قام إخواننا المغربية من رجال الكتلة الوطنية المباركة بأعمال جليلة هائلة، في سبيل لوطن المغرب الماجد..."<sup>(3)</sup>.

و قد جاء في مقال قوي للشهاب بعنوان "الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث" نعتقد أنه لأحمد توفيق المدني، أو للشيخ عبد الحميد ابن باديس ما يلي: "إننا إذ نمد من وراء هذه الحدود الوضعية، يد الإخلاص والولاء إلى رجال المغرب الأبرار، وإلى مجاهديهم الكرام الأحرار إلى رجال الفداء والتضحية منهم

---

(1) أنظر على سبيل المثال لا الحصر ركن الشهر السياسي في عالمي الشرق والغرب وتناوله للقضية التونسية: حوادث سوريا وحوادث تونس، الشهاب، م9، جوان 1933، ص ص 320-327 - الحوادث التونسية، الشهاب، م9، جويلية 1933 وهذه الفترة جد هامة في تاريخ الحركة الوطنية التونسية بحيث كانت تعرف محاض تأسيس الحزب الدستوري الجديد (=1934).

(2) الحزب الدستوري والمطالب التونسية، الشهاب، م12، جويلية 1936، ص ص 277-281.

(3) في المغرب الأقصى، الشهاب، م12، جويلية 1936، ص 281. أنظر أيضا: العنف والاضطهاد ببلاد المغرب

الأقصى، الشهاب، م12، ديسمبر 1936، ص ص 469-473.

على الأخص، إنما نمدتها إلى إخواننا من الأم والأب، وإلى شركائنا في الأصل والنسب، وإلى الذين خلقنا الله معهم أمة واحدة، تشترك في وطن يربط الأطلس بين أجزائه رباطا وضعت يد الله فلا تستطيع أن تحله يد البشر، وتشترك في لغة ودين، وعوائد وتقاليد، وتشترك في أيام خالدة مرسومة على صفحات التاريخ، ثم هي شريكة في المحن والآلام، وتصرفات الأيام وشريكة في كل المصالح الدينية والدنيوية، وشريكة في الآمال الفسيحة والنظر في المستقبل باعين متفائلة مغتبطة، وشريكة فوق كل ذلك في ميدان الجهاد الوطني في سبيل الحرية والتحرير"<sup>(1)</sup>.

● عبد الحميد ابن باديس:

كان الشيخ عبد الحميد ابن باديس من الداعين إلى وحدة المغرب العربي من خلال كتاباته وخطاباته المتنوعة، وهي استراتيجية جمعية العلماء خلال الثلاثينات، فاهتمامه بالمغرب العربي كان كبيرا جدا لدرجة أنه لم يكن ليرى نجاحا للجزائر دون المغرب الكبير خاصة، والعالم الإسلامي عامة<sup>(2)</sup>، فقد ألقى ابن باديس محاضرة في أواخر سنة 1936 بعنوان لمن أعيش يقول فيها: "أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص... نعم إن لنا وراء هذا الوطن الخاص أوطان أخرى عزيزة علينا هي دائما منا على بال... وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى والمغرب الأقصى اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآدابا وأخلاقا وتاريخا ومصالحة"<sup>(3)</sup>. وقد ترك هذا المقال (=المحاضرة في الأصل) صدى كبيرا بين الأوساط التونسية، إذ هلت له جريدة الزهرة، واستقبل بعدها العلامة ابن باديس في تونس من طرف جمعية الطلبة الجزائريين

(1) الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث، الشهاب، م12، جانفي 1937، ص543.

(2) عبد العزيز فيلاي وآخرون، المواقف السياسية للعلامة عبد الحميد ابن باديس، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2015، ص138.

(3) ملخص محاضرة ألقاها عبد الحمي على أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية، الشهاب، م12، جانفي 1937، ص

التونسيين استقبالا حافلا، وأشاد الشيخ التونسي محمد الصادق بسّيس أحد أقطاب الثقافة الإسلامية في تونس بمقال "لمن أعيش؟" داعيا لا تحاد المغرب العربي (1).

هذا وقد ساهمت الزيارات التي كان يقوم بها ابن باديس برفقة أعضاء من مكتب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في توطيد العلاقات بين الحركة الإصلاحية الجزائرية، مع الحركات المغاربية الأخرى وخاصة التونسية منها، فقد التقى الشيخ ابن باديس هناك بالثعاللي، والباوندي القيرواني وغيرهم (2)، كما حضر في النوادي والمجالس والجمعيات التونسية فأثر في الشارع التونسي كثيرا (3)، ومنها ذلك الخطاب الذي ألقاه بقصر الجمعيات الفرنسية تحت إشراف كل من جمعيتي الطلبة الجزائريين بتونس، والجمعية الودادية الجزائرية الإسلامية بتونس، وقد نقلت الخطاب مجلة الشهاب عن جريدة الزهراء التونسية بحيث قال الشيخ ابن باديس متحدثا بروح مغاربية: "إن الجمعيتين اختارتا أن يكون الكلام عن الجزائر، وأنا أحب أن يكون الحديث عن عموم المغرب العربي، لأني أؤمن بأن هذا الشمال الإفريقي، لا ينهض إلا بتضامنه مع بعضه بعضا" (4)، وكانت قد أمنت جريدة الزهراء على تلك اللقاءات قائلة: "من

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 273.

(2) مومن العمري، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ص 299.

(3) في مذكرة استخباراتية صادرة بالعاصمة حول زيارة ابن باديس إلى تونس أوائل 1937، قالت بأن مجموعة من التونسيين تأثروا بنشاط جمعية العلماء ويريدون ان يؤسسوا جمعية مثلها في تونس أنظر:

- CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, renseignement, associations d'ulémas Tunisie, Alger le 19 février 1937.

(4) عبد الحميد ابن باديس، الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري، الشهاب، م 13، بتاريخ 10 جويلية 1937، ص

ص 260. (نقلا عن جريدة الزهراء التونسية).

المؤكد أن العلاقات بين العلماء الجزائريين والتونسيين ستؤدي إلى الوحدة الدينية والاجتماعية والسياسية في شمال إفريقيا"<sup>(1)</sup>.

كما كتب ابن باديس مقالا قويا آخر عن أهم الشخصيات الجزائرية ذات الأبعاد الوحدوية المغربية، بحكم جهادها لصالح المغرب العربي أولا، أو بحكم أصولها الجزائرية وترعرعها وجاهدتها في الأقطار المغربية الأخرى أو حتى العكس ثانيا، أو بحكم تعريفها بالمغرب العربي في بلاد المشرق العربي الذي تناسى وتجاهل أبنائه اخوتهم المغاربة ثالثا ومما جاء في المقال: "حيث توجهنا إلى ناحية من نواحي التاريخ وجدنا هذا المغرب العربي في الشرق العربي-طرابلس، تونس، الجزائر، مراكش يرتبط بروابط متينة روحية ومادية تتجلى بها وحدته للعيان، ولسنا نريد هنا أن نتحدث عن التاريخ القديم، وإنما نريد أن نعرض صفحة من التاريخ الجزائري الحديث الجاري...ولكن هذا المغرب العربي رغم التجاهل والتناسي من إخوانه المشاركة، كان يبعث من أبنائه من رجال السيف والقلم من يذكرون به، ويشيدون باسمه...ناهيك بالأمير عبد القادر المجاهد الجزائري وأبنائه...وبخفيده الأمير خالد...وسليمان باشا الباروني الطرابلسي والشيخ السنوسي الطرابلسي الجزائري الأصل، وبالشيخ طاهر الجزائري الأصل، وبالشيخ عبد العزيز الثعالبي زعيم تونسي جزائري الأصل، والشيخ الخضر حسين التونسي الجزائري الأصل، والشيخ تقي الدين الهلالي المراكشي وغيرهم، فقد كان هؤلاء السادة الأعلام كما يرفعون اسم المغرب العربي في الشرق يمثلون وحدة هذا المغرب"<sup>(2)</sup>.

لكن الشيخ ابن باديس كان يرى أن الأمل معقود على الجبهة الشعبية منذ انعقاد المؤتمر الإسلامي 1936 فكان لا يتجاهل دائما الأوضاع الداخلية للبلد وطالب بمحافظة فرنسا على صداقة الشمال

(1) مومن العمري، المرجع السابق، ص299. أنظر للاستزادة عن زيارة الشيخ ابن باديس على تونس تقارير مصلحة المعلومات والدراسات(قسنطينة)، واهتمام جريدة الزهرة بها.

CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE) Constantine، analyse de journal ez Zohra، Constantine le10aout1937.

(2) ابن باديس، وحدة الشمال الإفريقي: أبناء المغرب العربي في الشرق العربي، مجلة الشهاب، م13، بتاريخ: 10 جويلية 1937، ص ص 247.248.

الأفريقي فيقول: "... لو كانت الحكومة الفرنسية تقبل نصيحتي كإنسان لنصحتها باستعمال الإحسان الذي يمكنها بها المحافظة على صداقة الشمال الإفريقي، والخلاصة أننا قلنا: نحن لنا ثقة في الواجهة الشعبية ولا زلنا نقول ذلك، وقلنا ننتظر، وها نحن ننتظر، ولكن للانتظار حدّ محدود، وإذا خاب أمل الأمة الجزائرية فإننا لا نخيب وحدها، بل نخيب معها فرانسة أيضا"<sup>(1)</sup>.

ويبدو أن فرنسا كانت تراقب تحركات الجمعية وابن باديس في هذه الفترة<sup>(2)</sup>، لذلك كانت تسارع دائما لخلق معرفقات ومعوقات بين قادة الأقطار المغربية من جهة، ومن جهة أخرى تحاول استمالتهم، لأنها كانت تتخوف كثيرا من تلك الوحدة العربية والإسلامية، أو المغربية بصفة أخص والتي كانت بعض الأطراف الإعلامية والبوليسية تتهمها أنها مدعومة من طرف النازية، أو دعاة الجامعة الإسلامية، والقومية العربية لخلق ثورة في المغرب العربي، لذلك فإن بعض الدعوات لوحدة الشمال الإفريقي من ابن باديس والجمعية عامة، كانت لا تخرج من فلك الصداقة والتعاون مع فرنسا، كي لا تحسب أنها محاولة انفصالية لاستغلال الحرب العالمية وطلب مساعدة ألمانيا أو إيطاليا للتححرر، ويقول في هذا الصدد ابن باديس محاولا تخفيف الضغوط: "يقلق بال السياسة الفرنسية اليوم اهتزاز الشمال الإفريقي واضطرابه، وتذمره واحتجاجه ويقلق بال السياسة ذلك من القطر الجزائري على الخصوص... قال قوم هو اليد الأجنبية، وقال آخرون هو الشيوعية الفرنسية، وقال غيرهم هو الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية، وماذا نقول نحن في هذه الآراء؟... إن هذه اليد الأجنبية التي يعنون هي يد

(1) ابن باديس، الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري، المصدر السابق، ص 263.

(2) في مذكرة استخباراتية حول زيارة بعض المشايخ التونسيين إلى الجزائر، ردا لجميل زيارات ابن باديس إلى تونس في منتصف الثلاثينات، وهؤلاء الشيوخ هم: السي الحاج أحمد العياري، والسي الحاج أحمد البناني، والشيخ البشير البكري، والسي محمّد بن خوجة، وقد التقوا بابن باديس والمليبي والعقي والبشير الابراهيمي بكل من قسنطينة، والجزائر، وتلمسان، وتدارسوا سبل التعاون الشمال الإفريقي، وتوحيد الجهود، كما تناقشوا إمكانية إقامة مؤتمر مغربي للعلماء المصلحين مناوبة بين تونس والجزائر العاصمة وفاس، يكون مشابها لمؤتمر القدس 1931. انظر:

-CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، renseignement Tunisie: déplacement d'intellectuels tunisiens en Algérie، Alger le 8mai1937.

موسولوني وهتلر، بعدما كانوا يعنون بما قبل التحالف الفرنسي - الروسي يد موسكو... وأنا على يقين تام من أن الأوطان الأفريقية الثلاث التي تم فرنسا لم تتصل يوماً بيد أجنبية لا من موسكو، ولا من روما ولا من برلين، وأعرف عن نفسي وهن رجال هذا الشمال الإفريقي اخواني-أننا نأبى أن نكون آلة في يد أي كان من الأمم التي تكيد لفرنسا إباءاً وترفعاً يمليهما علينا عزة الإسلام وشيم العروبة... وإن الشيوعية الفرنسية وإن فسحت لها الواجهة الشعبية المجال، فإنها لم تستطع، ولن تستطيع أن تتمكن من أوساط شعبنا... ما دام الشعب يعتقد أن مبادئها الأساسية لا يتفق كثير منها مع الإسلام...<sup>(1)</sup>.

ويضيف ابن باديس عن الوحدة العربية والإسلامية وعدم إمكانية الشمال الإفريقي الدخول في تلك الوحدة (=سياسياً) قائلاً: "إن الاتحاد الإسلامي والوحدة العربية بالمعنى الروحي والمعنى الأدبي والمعنى الأخوي، هما موجودان تزول الجبال ولا يزولان بل هما في ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل في الغرب ضد العروبة والإسلام، وأما بالمعنى السياسي والمعنى العملي فلا وجود لهما إلى اليوم"<sup>(2)</sup>، ويقول أيضاً عن نظرة الشعوب الشمال إفريقية لمستقبلها والجزائر خصوصاً قائلاً: "أما نحن-ونحن أعرف بأنفسنا فإننا نتيقن أن هذه الأمم الإسلامية العربية استيقظت من سباتها، وهبت للنهوض من كبوتها، وشعرت بكرامتها، وأخذت تذكر ماضيها أيام حريتها واستقلالها، وهو غير بعيد في الماضي عنها، فانبعثت تعمل لفك قيودها ونيل حريتها... غير أنها تريد أن تكون مع فرنسا وتكون فرنسا معها كأستاذ نصوح وتلميذ بارّ يتبادلان الصداقة والاحترام ويتعاونان في الرخاء والشدة"<sup>(3)</sup>.

لذلك فإن المتأمل في كتابات ابن باديس يلحظ تعمقه في إشكالية الوحدة المغربية التي كان يراها ابتداءً من صعود الجبهة الشعبية على شكل اتحاد منسق بين فرنسا والشمال الإفريقي، وهو ما يتناقى والوحدة العربية الإسلامية، أو لنقل أن الروابط الروحية بين العرب والمسلمين كان قد اعترف الشيخ ابن باديس بوجودها مراراً وتكراراً، لكن الظروف السياسية العالمية، والقلق الذي كان يسود الدول

(1) ابن باديس، الشمال الإفريقي: كيف يجب أن يعالج، الشهاب، م13، نوفمبر 1937، ص ص 441-443.

(2) ابن باديس، الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص442. راجع رأيه عن الوحدة العربية الإسلامية في الفصل الأول.

(3) نفسه، ص443.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغاربية

المعنية التي تنأهب لحرب عالمية ثانية، جعلت ابن باديس وكأنه يطمئن فرنسا عن عدم التفكير اطلاقاً في ثورة جزائرية أو مغاربية لأي جهة كانت ضد فرنسا، خاصة وأن فرنسا كانت تتهم كل من يسعى للتشويش بعمالته للنازية مثل ما حصل لقائد الكشافة الإسلامية الجزائرية محمد بوراس، لذلك فإن المتأمل في كتاباته يلحظ تركيزه على مساعدة الشعوب المغاربية لفرنسا، وهذا على كل حال كان رأي كل الأحزاب الجزائرية الأخرى في هذه الفترة، ولكن بتفاوت واختلاف في الطرق.

ولعل المتأمل أيضاً في الصراع الذي كان بين الزعيمين سليمان الباروني وشكيب أرسلان والذي تحدثنا عنه في الفصل الأول، يلاحظ بأنه قد حتم على ابن باديس التدخل فيه، ففي نظرنا هو من جهة إبداء رأيه في قضية مصيرية بين رجلين لهما أهمية كبيرة على الساحة السياسية العربية، ومن جهة أخرى رسالة مشفرة لتوضيح رأي ابن باديس والجمعية من قضية الوحدة المغاربية والعربية والإسلامية التي تستحيل في تلك الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الأمة قاطبة، وتمر بها فرنسا التي كانت بحاجة إلى مستعمراتها أكثر من أي وقت مضى، ثم أن ابن باديس لم يكن ليقول ذلك لولا اضطراره على غالبية آراء رجال الحركات الوطنية ببلاد الشمال الإفريقي التي كانت تساند فرنسا خوفاً من إصاق التهم بها، وقد ثبت ذلك فعلاً في الحرب (1939-1945) بحيث ساندت الحركات الوطنية فرنسا في حربها واستغلت الحركة الوطنية الجزائرية على سبيل المثال انزال الحلفاء لتقديم بيان الشعب الجزائري.

لذلك كان التكلم عن شيء آخر في تلك الظروف هو بمثابة تغريد خارج عن السرب قد يكلف صاحبه والجمعية ثمناً باهظاً، ولهذا كتب ابن باديس مقالا عن الوحدة السياسية بين العرب والمغاربية مبدياً رأيه قائلاً: "...الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها، فتضع خطة واحدة تسير عليها في علاقاتها من الأمم، وتتعاقد على تنفيذها، وتكون كلها في تنفيذها والدفاع عنها يداً واحدة، فهي مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة في وضعها. وأما الأمم المغلوبة على أمرها، فهذه لا تستطيع أن تضع أمراً لنفسها فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها؟ ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها في داخلتها، فكيف

يعتمد عليها في خارجيتها؟ فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول... ثم نجد شعوبا أخرى وهي شعوب الشمال الإفريقي المصابة بالاستعمار، فهذه لا وحدة سياسية بينها ولا بين غيرها ولا يتصور أن تكون. ومن الخير لها أن تعمل كل واحدة منها في دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبها من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة الموصلة، مع الشعور التام بالوحدة القومية والأدبية العامة والمحافظة عليها والمجاهرة بها، ونحن نعلم أن الواقع اليوم في شمالنا الإفريقي العربي هو هذا بعينه. فنقول- بكل صدق وصراحة- أن كل شعب من شعوب هذا الشمال مستقل تمام الاستقلال بخططه في سياسته لا نعرف هيئة منهم تتصل بهيئة مع عمل الجميع على تغذية الشعور بالوحدة القومية والأدبية العامة... هذا رأينا في الوحدة السياسية بين شعوب العرب ونحن نعتقد أنه هو رأي جميع إخواننا العاملين في هذا الشمال<sup>(1)</sup>.

ولذلك حتى ولو كانت فكرة الوحدة المغربية عالقة في ذهن ابن باديس فإنها كانت لا تخرج في هذه الفترة عن نطاق البحث على حلّ مع فرنسا والتعاون معها لخلق مغرب عربي جديد، متعاون ومتآخي مع فرنسا بشرط أن تغير سياستها القديمة التي لا تنفع<sup>(2)</sup>، وربما كان ذلك رأي الجمعية كلها في هذه الفترة، فحتى بعد وفاة ابن باديس رحمه الله عام 1940 فإنها بقيت على ذلك الطرح في الحرب العالمية الثانية بأن أمضت على بيان الشعب الجزائري مع التيارات الأخرى<sup>(3)</sup> والذي كان يدافع عن الأمة الجزائرية وبدستور جمهورية مستقلة مع اتحاد فدرالي مع جمهورية فرنسا المضادة للاستعمار

(1) ابن باديس، الوحدة العربية: هل بين العرب وحدة سياسية؟، الشهاب، المصدر السابق. أنظر الملحق رقم 01

(2) كتب الشيخ ابن باديس في نفس المقال السابق عن الشمال الإفريقي قائلا: "وما من علاج بعد هذا-والله- إلا تبديل السياسة العتيقة الرثة البالية بسياسة جديدة تعترف لهذه الشعوب بكيانها القومي وتفسح أمامها مجال العمل للتقدم والرفق، وتنبئها أعظم قسط من التحرير وتشعرها بأنها تساندها لتبلغ رشدها فتكون بدورها يوم رشدها التام عضدا- وأي عضد- لها... فهل يستطيع الساسة هذا العلاج؟".

(3) أمضى عن جمعية العلماء: العربي التبسي، أحمد توفيق المدني، والشيخ خير الدين. أنظر: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه ووثائقه (1912-1948)، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 66.

والامبريالية<sup>(1)</sup>، عاقدة الآمال على انزال الحلفاء بالجزائر، لكن مجازر 8 ماي 1945 وتكر فرنسا للجزائريين قد غير الآراء والطروحات والمطوحات وهو ما سنراه مع الشيخ البشير الإبراهيمي. ولكن هذا لا ينفي أن الشيخ ابن باديس كان لا يعتقد بضرورة وجود وحدة بين هذه الأقطار، لكن حسبه لا وحدة بدون استقلال خاصة وأنه كان رجل ميدان وأفعال لا رجل أقوال<sup>(2)</sup>، وفي رأينا لو عاش الشيخ عبد الحميد ابن باديس، وعاش التحركات والمبادرات والمشاريع الوحدوية التي أقامتها الأحزاب والجمعيات المغاربية فيما بعد لكانت له كلمته الفاصلة والفعالة، ولكن مفارقتة الحياة في فترة صعبة من تاريخ الجزائر والعالم (الح.ع 2) ربما لم تسمح للرجل باستكمال ما بدأه من مشاريع إصلاحية نهضوية كانت ستعود بعدة إيجابيات ليس للجزائر فقط وإنما للعالم العربي والإسلامي.

### • الشيخ البشير الإبراهيمي:

يعد الشيخ البشير الإبراهيمي من أبرز رجال جمعية العلماء الداعين إلى الوحدة المغاربية في إطارها العربي والإسلامي، ولقد تكلمنا سابقا كيف أنه لم يتخل عن حلم إقامة الجامعة الإسلامية، لذلك كان كلما يتحدث عن الشمال الإفريقي، إلا ويتكلم عن العروبة والإسلام اللذان كانا العاملين الأساسيان في وحدة الشعوب التي تسكن هذه المنطقة، بأسبقية مبالغة للعروبة نوعا ما<sup>(3)</sup>، ونحن نعتقد أن ذلك كان حسب الظرف الذي كانت تعيشه الجزائر وبلاد المغرب عامة (=السياسة البربرية

---

(1) جاء في البيان ما يلي: "إن تشكيل الدولة الجزائرية لا يستبعد من جهة أخرى الانضمام مع المغرب الأقصى وتونس، لاتحاد فدرالي لدول الشمال الإفريقي الذي يبدو لكثير من الأذهان كأحسن قاعدة للمستقبل" أنظر: يحي بوعزيز، نفسه، ص 91.

(2) يروي محمد قنانش مناضل حزب الشعب أنه في أواخر سبتمبر "تقابل وفد من حزب الشعب يضم الأخ أرزقي كخال ومحمد قنانش مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس في نزل قصر الشتاء، وبعد تحليل للحالة السياسية صرح الشيخ على إثرها بأنه يتوق إلى استقلال الجزائر وأن الجهة الشعبية كانت أحسن درس، واتفق الطرفان على أن يلتزم حزب الشعب وجمعية العلماء بإعطاء تعاليم الخاصة لوقف الانتقادات وللتقارب فيما بين المنظمين". محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص 96.

(3) رابع لونيبي، المرجع السابق، ص 338.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

ومحاولة عزل بلاد المغرب عن الفضاء العربي الإسلامي<sup>(1)</sup>، لذلك كان دائما ما يخصص كتاباته عن الأقطار المغربية منفردة في جريدة الشهاب أو البصائر، فكتب عن كل الأقطار برجالها وقضاياها ومطالبها وسياسات فرنسا فيها، لذلك هو شخصية مغربية مقاومة بامتياز.

اهتمّ الشيخ الابراهيمي بالقضية التونسية كثيرا خاصة لما كان من بين الذين زاروها، ثم إن هناك تعلقا خاصة لرجال الحركة الإصلاحية الذين ينحدرون من الشرق الجزائري بتونس، وهو كذلك بالنسبة للشخصيات التي تنحدر من الغرب فليديها تعلق كبير بالمغرب الأقصى، وهي ظاهرة اجتماعية ثقافية مغروسة في الجزائريين بل وفي كل الشعوب تقريبا فقرب المسافة يخوّل حركة الهجرة، والتعلّم، والتجارة وعلاقات المصاهرة كما صرح بذلك الشيخ ابن باديس<sup>(2)</sup>، لذلك نجد الشيخ البشير الابراهيمي مهتما بالشأن التونسي كثيرا فيقول متأسفا لعدم مواكبة صحيفة الجمعية حدثا بارزا في تونس: "فات البصائر بسبب عطلة المطبعة أسبوعين في آخر رمضان، أن تشارك الأمة التونسية العزيزة في إعلان الحزن على ما أصابها في العهد الأخير، من كوارث الاستعمار التي تجلت في الحادثتين الداميتين حادثه (جبل الجلود)

---

(1) يقول الدكتور رايح لونيبي: "الواقع البربري كان مشكلة لدى الاتجاه الإصلاحية الذي عمل على إظهار الجزائر كأمة عربية إسلامية مميزة عن الأمة الفرنسية، فسعى إلى طمس هذا الواقع باستخدام روايات تاريخية مشكوك في صحتها، وتحتاج إلى التدقيق والبحث العلمي العميق وإعادة النظر فيها مادام أن الاستعمار قد انتهى". نفسه، ص 339. ولكن في رأينا أن الأساليب الخبيثة التي استعملتها فرنسا في هذا الجانب ووقوفهم على حقيقة الجزائريين الذين دخلوا المسيحية، والطلبة المتفرنسين الذين أصبحوا يرفضون الانتماء للأمة العربية واخلطوا معها حتى الإسلام، كان يفرض التضحية بالمكون الأمازيغي حتى ولو كان هؤلاء المضحين نابعين منه، كالشيخ الفضيل الورثاني الذي كان أمازيغيا ويتقن جيدا الأمازيغية، وصرح لجريدة بيروتية قائلا: ليس في المغرب العربي بربر... لأن البربر استعربوا استعرابا تاما. الورثاني، الجزائر الثائرة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 1992، ص 61.

(2) يقول الشيخ ابن باديس: "وأقرب هذه الأوطان إلينا هو المغرب الأدنى (=تونس) والمغرب الأقصى اللذان ما هما والمغرب الأوسط إلا وطن واحد لغة وعقيدة وآداب وأخلاقا وتاريخا ومصالحة" أنظر: ملخص محاضرة ألقاها عبد الحميد علي أعضاء

وحادثة(صفاقس)...ومحال أن يتألم عضو من جسد ولا تتألم له سائر الأعضاء، وقد ألفت هذه المصائب المتوالية، وهذه المظالم المتحدة المصدر بين قلوبنا تأليفا جديدا"<sup>(1)</sup>.

ولعل الشيخ البشير الإبراهيمي نشط كثيرا خاصة بعد الحرب العالمية الثانية في الميدان الصحفي، وكان ذلك في نظرنا لاعتبارات عدة، لعل أبرزها هو أنه كان مشغولا في نهاية الثلاثينات ببناء دار الحديث بتلمسان، وتأسيس الفروع والشعب للجمعية في المناطق الغربية المجاورة، أما بعد الحرب العالمية ومجازر 8ماي فإن تصعيد اللهجة كان واضحا في كتابات الجمعية عامة والإبراهيمي خاصة، لذلك واكب الأحداث المغربية باهتمام واسع، وهو الرجل الذي ترأس الجمعية بعد عبد الحميد ابن باديس، فلم يكن ليتنازل عن مبادئ الجمعية أبدا، بل بالعكس سعى إلى تطويرها.

حزن الشيخ الإبراهيمي كثيرا بعد حادثة نفي المنصف الباي، وبعث ببرقية تعزية باسم جمعية العلماء إلى نجله بعد وفاته(01-09-1948) يقول فيها: "إن وفاة صاحب الجلالة سيدي محمد منصف كارثة عامة يشارككم في الحزن عليها المسلمون عموما وسكان شمال افريقيا خصوصا"<sup>(2)</sup>، ولما اغتيل المناضل النقابي فرحات حشاد من طرف عصابة اليد الحمراء الفرنسية، بعث أيضا ببرقيات عدة لشخصيات وهيئات (سياسية أمريكية خاصة)، يعنى فيها الرجل ويحث الأمم المتحدة على النظر في القضية التونسية نظرة إنسانية عادلة<sup>(3)</sup>.

هذا ولم يغفل الشيخ البشير الإبراهيمي الإقليم المراكشي الذي ربما كتب عنه أكثر بصفته كان رئيس الشعبة في دار الحديث بتلمسان كما قلنا، وهي المدينة الحدودية والتي تلتقي ثقافتها مع الثقافة المراكشية كثيرا، فكانت تأتي إليه شخصيات عديدة من هناك وترده رسائل كثيرة من المراكشيين،

(1) الإبراهيمي، كوارث الاستعمار، البصائر، ع5، بتاريخ:5 سبتمبر 1947، نقلا عن الآثار، ج2، ص169.

(2) الإبراهيمي، برقية تعزية في وفاة المنصف باي، البصائر، ع49، بتاريخ:13 سبتمبر 1948، نقلا عن الآثار، ج2، ص242.

(3) الإبراهيمي، اغتيال الزعيم التونسي فرحات حشاد(برقيات)، 5 ديسمبر 1952 نقلا عن: الآثار، ج4، ص ص 154، 153.

لذلك لطالما اعتبر أن القضية المراكشية هي جزء لا يتجزأ من القضية المغاربية العادلة، فقد احتج على قرار استصدار الظهير البربري (16 ماي 1930)، معتبرا إياه قانون ينكر عروبة الشمال الإفريقي بالقول ويعمل لمحوها بالعمل، وهو قانون يهدف إلى ضرب المقومات المغربية العربية، ودمج المغرب العربي في العائلة الفرنسية تنفيذا لسياسة فرق تسد<sup>(1)</sup>.

كما اهتم الشيخ أيضا بأولوية بقاء الحكم العلوي في المغرب بحيث أن بقاءه يضمن بقاء المغرب في الحضيرة الإسلامية، كما يضمن التواصل بين كل الأقطار المغاربية، فيقول بمناسبة عيد العرش الحمدي العلوي: "...أيها الإخوان في المغرب الأقصى نحييكم على بعد الدار، وحيلولة الجدار، ومعاكسة الأقدار تحية و..."<sup>(2)</sup>، لذلك نجده يندد بالسياسات الفرنسية العرجاء المنتهجة من طرف الإدارة الفرنسية في المغرب الأقصى وجموع المغرب العربي فيقول: "ليس في أبواب السخرية بالإسلام، أسمح من هذه الفصول السخيفة التي تقوم بتمثيلها السياسة الفرنسية في شمال إفريقيا... ولكن القائمين على هذه السياسة لا يتوبون ولا هم يذكرون، وإن بين القطرين دينا جامعا وأرحاما متشابكة، فما جرب هنا وخاب، محكوم عليه بالخيبة هناك..."<sup>(3)</sup>.

كما كان يعتبر الشيخ الإبراهيمي أن سبب الخن التي ابتلي بها المسلمون عامة هو تفرقهم وتشتتهم ونظرهم إلى الوطنيات الضيقة المحدودة، خاصة بحد ابتعادهم عن الجامعة الإسلامية الشاملة، حتى استفرد بها الاستعمار واحدة واحدة، كما حدث مع الإقليم المراكشي، فيقول في مقال بعنوان أرحام تتعاطف: "لطالما نعينا المسلمين خصوصا، وعلى الشرقيين عموما هذا التقاطع الذي شتت شملهم، وفرق جامعتهم وصيرهم لقمة صائغة للمستعمرين دعوناهم إلى الجامعة الواسعة التي لا تضيق بنزيل، وهي جامعة

(1) عبد الحليم مرجي، قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي (1919-1962)، مذكرة ماجستير في

التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ص 141.

(2) الإبراهيمي، عيد العرش الحمدي العلوي، البصائر، بتاريخ: 29 نوفمبر 1948 نقلا عن: الآثار، ج 3، ص 398.

(3) الإبراهيمي، إبليس يأمر بالمعروف، البصائر، ع 144، بتاريخ: 26 فيفري 1951، نقلا عن الآثار، ج 3، ص 418.

الإسلام، إلى الروحانية الخالصة التي لا تشيب بدخيل، وهي روحانية الشرق، وحذرناهم من هذه الأفاحيص الضيقة والوطنيات المحدودة التي هي منبع شقائهم ومبعث بلائهم، وبيننا لهم أنها دسياسة استعمارية زيتها لهم سماسة الغرب وعلمائوه وأدلاؤه، وغايتهم منها التفريق ثم التمييز... وحلت المحنة بالمغرب الأقصى، وجاءت فرنسا بالخاطئة، فأهانت ملكا، وهددت عرشا، وأذلت شعبا... ووجنت بذلك كله ثمار ما زرعت من تفريق، ورأينا رؤية العين ما كنا نخذره على المسلمين، ونحذر منه المسلمين... رأينا المثال المجسم من انتصار الاستعمار على أخيه المسلم"<sup>(1)</sup>.

وقد اهتم الشيخ الإبراهيمي أيضا بالقضية الليبية اهتماما كبيرا بحيث واكب كل صغيرة وكبيرة فيها، أفراحها وأفراحها، بحيث كتب يقول عن تموقعها في بلاد المغرب الكبير، وداعيا شعبا للإتحاد: "إخواننا الليبيين أو -الطرابلسيين كما نسميهم- علينا حق الدين، وحق اللغة، وحق الجنس، وحق الجوار، وحق الاشتراك في الآلام والحن... وإن هؤلاء الإخوان اليوم في طور امتحان عسير معقد، تتخلله الأهواء والمطامع... وإن نجاحهم فيه يتوقف على جمع الكلمة، وتسوية الصف وتوحيد الرأي..."<sup>(2)</sup>.

وربما لو جمعنا كتابات ومواقف الشيخ البشير الإبراهيمي وحللناها حول قضايا الشمال الإفريقي، لن تكفينا الأوراق ولا الكتب، ولكننا حبذنا قبل أن نتكلم حول كتاباته عن الوحدة المغربية، أن نشير إلى بعض كتاباته عن الأقطار منفصلة ثم نتقل من الخاص إلى العام.

لقد لقب الشيخ الإبراهيمي بالوحدوي، وذلك نظرا لمجهوداته الوحدوية سواء على الصعيد الداخلي (= بين الأحزاب الجزائرية) أو المغربي<sup>(3)</sup>، وحتى العربي والإسلامي، ووصولاً إلى العالمي الإنساني، فقد اعتبر أي إنسان هو أخ للإنسان، ويجب عليهما العيش في تراحم وتسامح، ولقد تنامت الروح المغربية للشيخ كما ذكرنا منذ العشرينات والثلاثينات، و جاهر بذلك في المؤتمر الخامس لجمعية طلبة

(1) الإبراهيمي، أرحام تتعاطف، البصائر، ع148، بتاريخ: 26 مارس 1951، نقلا عن الآثار، ج3، ص ص 422-425.

(2) الإبراهيمي، ليبيا: موقعها منا، البصائر، ع112، بتاريخ: 20 مارس 1950، نقلا عن الآثار، ج3، ص ص 402-404.

(3) عبد الحليم مرجي، المرجع السابق، ص189.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

شمال إفريقيا المسلمين (AENAM) المنعقد بين 6-10 سبتمبر 1935 في تلمسان بنادي السعادة والنادي الإسلامي التابع لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين حاملا شعار "وحدة المغرب العربي"، و أشرف الشيخ البشير الإبراهيمي على المؤتمر، وكان من بين محاضريه<sup>(1)</sup>، ملقيا خطابا رائعا أبحر فيه الحضور<sup>(2)</sup>، وقد تكلم فيه عن تاريخ تلمسان ووحدة المغرب العربي في الماضي والحاضر والمستقبل، وشجع الطلبة على بلوغ أهدافهم والعمل المستمر لصالح الأمة، مع التمسك بالقيم الحضارية لهم المتمثلة في الإسلام والعروبة<sup>(3)</sup>.

مع نهاية الأربعينيات وسنوات الخمسينيات زاد توهج المطلب الوحدوي للشيخ، خاصة مع تأسيس الجامعة العربية وعودها بمساعدة الشعوب المغربية على التحرر، بالإضافة إلى انعقاد مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة 1947، وتأسيس لجنة تحرير المغرب العربي 1948، خاصة وأن الإبراهيمي زار عدة أقطار، وصدح بصوته لمساندة القضية المغربية التي هي جزء لا يتجزأ من القضية العربية الإسلامية، فهذا هو يكتب مقالا في بداية الخمسينات مؤكدا على أن: "عروبة الشمال الإفريقي بجميع أجزائه الطبيعية، كيفما كانت الأصول التي انحدرت منها الدماء... هذه العروبة الأصيلة العريقة في هذا الوطن هي صيرته وطنا واحدا لم تفرقه إلا السياسة، سياسة الخلاف في عصوره الوسطى وسياسة الاستعمار في عهده الأخير"<sup>(4)</sup>، وسعى الشيخ الإبراهيمي في تلك الوحدة، بأن ترأس اجتماعا بباريس لتأسيس "جبهة الاتحاد والعمل المغربية" بتاريخ 02-02-1952، وقد أكدت هذه اللجنة من خلال ميثاقها، على وحدة العمل في المغرب العربي والعمل من أجل تحريره والعمل في إطاره<sup>(5)</sup>.

(1) رشيد مياد، المرجع السابق، ص 131-133.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص 111.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 300. أنظر عن المؤتمر والبعد الوحدوي المغاربي في الفصل المتعلق بالنشاط الطلابي.

(4) الإبراهيمي، عروبة الشمال الإفريقي، البصائر، ع150، بتاريخ: 9 أبريل 1951، نقلا عن: الآثار، ص 428-431.

(5) احتفت جريدة المنار بهذا المولد الجديد، الذي أمضت عليه الأحزاب المغربية التالي: الجزائر: حركة الانتصار، حزب البيان- تونس: حزب الدستور الجديد، حزب الدستور-المغرب: حزب الاستقلال، حزب الشورى والاستقلال، حزب الوحدة المغربية=

من جملة ما زار الشيخ البشير الابراهيمي المشرق، عاصمة العراق بغداد معرفا بالقضية الجزائرية والمغربية عامة، حيث ألقى فيها خطابا قال فيه: "أحييكم باسم الشمال الإفريقي الجبار على الأعداء... لا مقصرا إن شاء الله في جزائه ولا مفرقا لأجزائه، ولا معترفا بالحدود التي خطتها يد الظلم والعدوان... إن في هذا الشمال الذي يحدثكم لسانه، كنوزا من تراث العربية والإسلام طمرها الاستعمار برطانتته عمدا"<sup>(1)</sup>، وقد ظل بعدها الشيخ متمسكا بالفكرة عاملا عليها وساعيا من أجلها، فلا تكاد تمر مناسبة وإلا نجده يدلي برأيه في القضية متتبعا سير الأحداث وتطورها، فصّح شهورا قبل اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية قائلا: "المغرب العربي وحدة لا تتجزأ، جمعها الإسلام على تعاليمه الروحية السامية وجمعتها العروبة على بيانها آدابها وجمعها الشرق على النور... الواجب كلّ مقصور على أبناء المغرب العربي فهم مطالبون به مطالبة لا يمنعها عنهم إلا القيام بهذا الواجب، ففي أيديهم السلاح الذي يستطيعون به التخلص من الاستعمار لو أحسنوا استعماله ففي إمكانهم أن يتحدوا فلماذا لم يتحدوا؟"<sup>(2)</sup>.

لذلك يمكننا أن نقول بأن الشيخ البشير الإبراهيمي من بين أكثر الشخصيات الجزائرية المغاربية ذوات النظرة الشمولية الوحدوية العامة، التي تتجاوز الحدود، وتتخطى الفوارق والخلافات والاختلافات، في سبيل وحدة لطالما نظّر لها من خلال نشاطه الكبير الذي قام به في الحركة الوطنية الجزائرية، على ما يزيد عن الثلاثة عقود، ويمكننا القول أيضا أنه استفاد كثيرا من تجربة جمعية العلماء التي عاشتها في الثلاثينات مع الشيخ عبد الحميد ابن باديس، كما أن ظروفها كثيرا ساعدته للإدلاء برأيه

= حزب الإصلاح المغربي. أنظر عن التأسيس المنار، ع 16 بتاريخ: 15 فيفري 1956، وعن الميثاق الذي أصدرته الجبهة: المنار، ع 19، بتاريخ: 28 مارس 1952

(1) بغداد تكرم المغرب العربي، جويلية 1952 (كلمة ألقاها الشيخ البشير الابراهيمي ببغداد بمحفل أقيم على شرفه وبحضور المناضلين التونسيين محمد بدره وعلى البلهوان) نقلا عن: الآثار، ج 4، ص ص 103-105.

(2) الشيخ البشير الإبراهيمي يتحدث عن الاتحاد، جريدة صوت الجزائر، ع 7 بتاريخ: 13 فبراير 1954، نقلا عن: الآثار، ج 4، ص ص 301-303.

في القضية المغربية والعمل من أجلها، خاصة تلك المشاريع الوحدوية التي كان معوّلا عليها كثيرا، وكذا الدفعة القوية التي أعطتها عملية استقلال عدة بلدان وتأسيس الجامعة العربية لتلك المشاريع.

• الأستاذ الفضيل الورثلاني (1):

كان الشيخ الفضيل الورثلاني هو الآخر من أبرز الشخصيات دفاعا عن القضية المغربية، كونه من بين أشهر رجالات الإصلاح، فقد ترأس فرع الجمعية بالقاهرة ممثلا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ابتداء من 1940، لكنه قبل ذلك كان ممثلا لها في باريس، ولقد شارك في الاجتماع الذي دعا إليه شكيب أرسلان زعماء الحركات الوطنية المغربية بمقر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، بباريس بتاريخ 21 فيفري 1937، وكان فيه أيضا مصالي الحاج، والحبيب بورقيبة، والفضيل الورثلاني ممثل جمعية العلماء، والسيد خلطي ممثلا للمغرب الأقصى، وذلك من أجل توحيد الجهود النضالية (2).

ومنها كان يوطد العلاقات بزعماء العالم العربي والإسلامي، وينقل الأخبار الحاضرة عن الجزائر والمغرب العربي عامة، وبعدها عين سكرتيرا لجبهة الدفاع عن شمال إفريقيا

(1) المرحوم الفضيل الورثلاني، ولد يوم 6 فيفري 1900 في بلدية بني ورثيلان بولاية سطيف حاليا، تلقى علومه على يد والده وعلماء أجداء، في سنة 1930 التحق بقسنطينة لإتمام تعليمه في مدرسة المصلح الكبير الشيخ عبد الحميد ابن باديس، في (1933-1934) كلف بالتدريس أستاذا مساعدا للشيخ ابن باديس، كما انتدب سنة 1936 ممثلا لجمعية العلماء الجزائريين بفرنسا، وفي 1940 سافر إلى مصر والتحق بالجامع الأزهر للحصول على شهادة العالمية بكلية أصول الدين. في 1949 أسس مكتبا بالقاهرة للجمعية لينطلق منه صوت الجزائر إلى الدول العربية، كتب في أغلب الصحف والمجلات العربية يشرح فيها قضية الجزائر والمغرب العربي العادلة، وقام بتأسيس العديد من اللجان والجمعيات في المشرق دفاعا عن الجزائر، ساهم بقلمه ولسانه في الثورة التحريرية منذ 1954، توفي في أنقرة عاصمة تركيا يوم 12 مارس 1959 بعيدا عن الوطن، وقد نقل رفاته إلى مسقط رأسه يوم 12 مارس 1987 ودفن فيه. أنظر: الفضيل الورثلاني، المصدر السابق، ص 30-36.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 410. أيضا: رشيد مياد، اسهامات جمعية طلبة شمال إفريقيا، المرجع السابق، ص 197.

أنظر: CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, renseignement, a.s du départ en France de Messali Hadj  
Alger le 12 septembre 1936.

منذ 1944<sup>(1)</sup>، وهي الجبهة التي خولت له النشاط بصفة قانونية نوعاً ما، بحيث أصبح يرسل المراسلات، ويكتب العرائض والاحتجاجات، ويعقد الندوات الصحفية ويدي بالتصريحات، فيمكن أن نقول أن الورتلاني هياً أرضية عمل للقادة المغاربة الذين سيلتحقون بالقاهرة فيما بعد هارين من تسلط الإدارة الاستعمارية.

فقد اعتُبر من أحد معاصريه أول من أخرج الجزائر من محيط النسيان والتجاهل، إلى عالم الظهور والبروز في العالم العربي والإسلامي<sup>(2)</sup> لذلك تعد أدبياته وأدبيات الجبهة بصفة عامة وثائق هامة لدراسة النشاط الوطني بالقاهرة، وعن جبهة الدفاع أخبرنا الورتلاني قائلاً: "كانت حركة الدفاع عن أقطار إفريقيا الشمالية، تونس والجزائر ومراكش في بلاد الشرق مفرقة، فكل قطر يعمل مستقل عن الآخر، ولو أن التعاون بينهم كان في الجموع كان سائداً، ولما جاء عام 1944 تألفت هيئة عامة لجمع الشمل، وتوحيد الرأي والكفاح سميت جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية تحت رئاسة العلامة الجليل شيخ الأزهر سابقاً الأستاذ الأكبر محمد الخضر حسين، وسكرتارية الأستاذ الفضيل الورتلاني، وضمت أعضاء من جميع اقطار المغرب العربي، ومن جميع الهيئات والأحزاب، ووضعت لها قانوناً أساسياً استهدفت فيه بالدرجة الأولى استقلال

---

(1) جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا: دعا لتأسيسها الشيخ محمد الخضر حسين الذي كان مناضلاً في سبيل وحدة المغرب العربي والعالم الإسلامي كلاً، كان مقرها في دار جمعية الهداية الإسلامية في القاهرة، وكانت تضم: محمد الخضر حسين رئيساً، والأمير مختار الجزائري ونجيب بك برادة نواباً له، الورتلاني سكرتيراً عاماً، وبنوبه الأستاذ أحمد بن المليح، بالإضافة إلى عدة شخصيات عربية وإسلامية أخرى، ولعل أبرز الشخصيات الجزائرية التي كانت عضواً فيه هو الشيخ إبراهيم اطفيش، ولقد جاء في نداءها الأول عقب تأسيسها ما يلي: "...جاليات في مصر من تلك البلاد (=شمال إفريقيا) أنشأوا جبهة تسمى جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا الشمالية، لتكون عوناً لتلك الشعوب على بسط قضيتهم للعالم الإسلامي، وتتولى الدفاع عنها بيقظة وحزم، وتعمل لهنز العواطف النبيلة في نفوس الأمم الإسلامية، حتى يشدوا أزرنا في العمل لتحرير وإسعاد خمسة وعشرين مليوناً من العرب المسلمين، وانقاذهم من الاندماج في الجنسية الفرنسية، وانقلابهم إلى الديانة النصرانية، وهما الغرضان اللذان تعمل لهما فرنسا ليلها نهارها". أنظر للاستزادة: محمد الخضر حسين، جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا الشمالية، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام (12)، اعتنى به ابن أخيه: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سورية-لبنان-الكويت، 2010، ص 23-25.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 468.

هذه البلاد استقلالا تاما لا زيف فيه، ووحدة كاملة شاملة لا نقص فيها...<sup>(1)</sup>، لذلك تعددت خطاباته ومراسلاته أثناء تواجده هناك بعد الحرب العالمية الثانية، وعرف بالقضية المغربية كما ينبغي من شتى النواحي سياسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وثقافيا... الخ، فقد راسل القناصل والوزراء، والهيئات والمنظمات، وجمعها في كتاب الجزائر الثائرة، ونحاول فيما سيلي اقتباس بعض النصوص التي تفيد موضوعنا.

راسل الأستاذ الفضيل الورثلاي سفير فرنسا في القاهرة عدة مرّات، ومنها مراسلة بعنوان "حول غطرسة الفرنسيين في شمال افريقيا" ويقول فيها: "يا حضرة السفير: أنت تعلم أنه قد مضى على استعمار فرنسا لبلاد افريقيا ما يزيد على قرن من الزمان، وكان هذا الاستعمار مباشرة بواسطة جماعة متفرنسة من اخلاط من الناس... إن هذه السياسة الحقيرة إنما يحملون كل وزرها لفرنسا..."<sup>(2)</sup>. وتبعتها مراسلة أخرى بنفس العنوان أيضا، مبينة استنكار فرنسا للشمال افريقيين، وجهودهم في فوزها على النازية، ومتأسفا على مذابح 8 ماي 1945 التي وقعت بعد ذلك قائلا: "...يشاء سوء الطالع أن تبتدى المذبحة الكبرى يوم الاحتفال بالنصر، النصر الذي كان الجزائريون واخوانهم المراكشيون والتونسيون فيه وقوده الأول- وكانوا فيه حجر الزاوية والذي ترددت فيه صدى بطولتهم فيسبسليا وإيطاليا وكورسيكا وتونس وفي فرنسا نفسها ثم في ألمانيا أخيرا"<sup>(3)</sup>.

واحتج الفضيل الورثلاي على سياسة العزل التي تقوم بها فرنسا للمغرب العربي عن بقية العالم الإسلامي، وخاصة منعهم من أداء فريضة الحج قائلا: "حضرة السفير المحترم: لقد أشرت في خطاب مضى إلى الحصار الذي ضربته حكومتكم على بلاد افريقيا الشمالية والصور المحكم الذي أقامته بين 25 مليوناً من النفوس العربية الحرة الكريمة هناك وبين العالم المتمدن كله... فماذا كان يضركم لو سمحتم

(1) الورثلاي، المصدر السابق، ص ص 276، 277.

(2) نفسه، ص ص 234، 235.

(3) نفسه، ص 236.

لأهالي افريقيا الشمالية بباخرة تنقل منهم بضع مئات أو آلاف يزورون الأماكن المقدسة كما يسمح لغيرهم من أهل فلسطين وطرابلس وكما يفعل الناس جميعا، لا يستطيع العقلاء أن يعللوا ذلك إلا بخوفكم من نتائج الاختلاط...<sup>(1)</sup>.

ولعل المتأمل في كتابات الورتلاني يلحظ أنه مناضل وحدوي بامتياز، فلم يضع فرصة لقائه بأحد الجنرالات البريطانيين يسمى "سييرس" بأروقة الجامعة العربية، فعبّر له عما تعانيه شعوب شمال افريقيا من اضطهاد، وظلم من طرف فرنسا الاستعمارية<sup>(2)</sup>، كما ردّ بصرامة وقوة على مقال في جريدة لوموند الفرنسية لأحد الكتاب الصهاينة، عندما اتهم الورتلاني بأن أصوله الأمازيغية تجعله من أشد المعارضين لسيطرة العنصر العربي، و تحدث المقال أيضا عن جبهة الدفاع عن شمال افريقية ومؤسسيها المغاربة، وفي هذا ردّ الورتلاني مدافعا بقوة: "...جبهة الدفاع عن افريقية الشمالية، الدستوريون، الشعبيون، الاستقاليون وغيرهم من الأفراد والهيئات، كل أولئك يريدون أن يصيروا كتلة واحدة؟ أعوذ بالله 30 مليون مغربي من دين واحد، ولغة واحدة، وأرض واحدة، كل أولئك سيجتمعون عليكم..."<sup>(3)</sup>.

وقد وقع الورتلاني أيضا كثيرا من المراسلات باسمه مع الشيخ الخضر حسين، وهي مراسلات كانت تعبر عن موقف الجبهة ومواقفه الشخصية أيضا، و لقد نشرت في صحف عديدة كالهداية الإسلامية، والإخوان، ومجلة النذير، والرسالة، ودعوة الحق... الخ، ثم أن المتأمل في مراسلات الجبهة يميز البصمة الجزائرية الغالبة فيها<sup>(4)</sup>، لأن الجزائر كانت تعيش في هذه الفترة على وقع مجازر 8ماي 1945 أو كما

(1) رسالة مؤرخة بتاريخ: 29 ديسمبر، 194 أنظر: نفسه، ص ص 244-247. كانت فرنسا تقيم رقابة شديدة على الحجيج لئلا يذهبوا ويعودون محملين بأفكار جهادية ثورية، ويدخل هذا ضمن عديد السياسات التي انتهجها فرنسا في الجزائر وعموم المغرب العربي، للاستزادة راجع الفصل الرابع من هذه الدراسة.

(2) الورتلاني، المصدر، السابق، ص 255.

(3) مقال بعنوان: سيتحد أبناء افريقيا الشمالية رغم أنوف المستعمرين، مقال مؤرخ في: 12-10-1946، نفسه، ص ص 258-263

(4) هذا لا يعني عدم تواجد قادة مغاربة آخرين فيقول علال الفاسي أن الإخوة انضموا إلى الجبهة ويقوا ينشطون تحت رايها إلى غاية انعقاد مؤتمر المغرب العربي 1947. أنظر: علال الفاسي، المصدر السابق، ص 270.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغاربية

يسمىها الورثلاني بثورة الجزائر ، والتي كان لها الدور البارز في عملية التصعيد وتشديد اللهجة، ففي عديد المقالات نجد عناوين عن "شمال افريقيا" أما فحواها فيتكلم بشكل أكثر عن الحالة الجزائرية، لذلك كان الوجود الجزائري في الجبهة متميزا، فبالإضافة إلى الخضر حسين والورثلاني نجد الشيخ أطفيش والأمير المختار الجزائري<sup>(1)</sup>، لكن يجب التأكيد على أن النظرة دائمة كانت مغاربية وحدوية دائما، وفيما يلي بعض مواقف الجبهة من قضايا الشمال الإفريقي:

دافعت الجبهة كثيرا عن القضايا المراكشية والتونسية والليبية منفردة في عديد المناسبات فأرسلت مذكرة إلى حكومات أجنبية عدة تندد بالظهير البربري في المغرب قائلة: "...إن يوم 16مايو سنة 1930 كان يوما مشؤوما على الأمة المغربية، ففيه صدر الظهير البربري من الحكومة الفرنسية... فبمناسبة ذكرى هذا اليوم المشؤوم ومرور ستة عشر عاما عليه، تتقدم جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية بمصر، لدولتكم بتجديد احتجاجنا ضد هذا الصنيع"<sup>(2)</sup>، كما احتجت عما سمته بالمساومات الاستعمارية في تونس قائلة: "اضطلعت المذكورة جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية، على البيانات التي نقلتها أسلاك البرق إلى الصحف العربية عن مفاوضات واتفاقات تدور بين بعض رجال إيطاليا وفرنسا، حول امتيازات استعمارية... في البلاد التونسية التي لها حكومة مستقلة، وكيان قومي... إن جبهة الدفاع في مصر تحتج على هذه المساومة وتستنكرها... وتعلن أن تونس كإخوانها من الأوطان العربية الشقيقة حريصة على كرامتها القومية واستقلالها العظيم..."<sup>(3)</sup>.

وراسلت الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية بشأن القطر الليبي أيضا، مبينة تضامن المغاربة مع اخوتهم قائلة: "باسم ثلاثين مليوننا من عرب المغرب المجاهدين، نتقدم لدولتكم بقلوب ملؤها الألم، محتجين

(1) هو ابن الأمير عبد العزيز بن الأمير حسن الجزائري شقيق الأمير عبد القادر، كان مقيما في بيروت في الثلاثينات، انتقل خلا الحرب العالمية الثانية الى القاهرة، وكانت لزوجته علاقة طيبة مع الأديبة مي زيادة. أنظر: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 468.

(2) الفضيل الورثلاني، المصدر السابق، ص 306، 307.

(3) نفسه، ص 308.

أشد الاحتجاج على الروح الشريرة، التي ظهرت بباريس، في اجتماع وزراء خارجية الأمم المتحدة نحو طرابلس الغرب"<sup>(1)</sup>.

كما دعت الجبهة كثيرا من خلال أدبياتها للوحدة المغاربية في إطار الأمة العربية، بأن أرسلت مذكرات عدة للجامعة العربية، والأمم المتحدة، ورؤساء الدول تشرح فيه القضية<sup>(2)</sup>، وتدعو للنظر فيها فقالت في إحداها: "في شمال افريقيا أمة عربية، عرق التاريخ الصادق فضلها في توسيع دائر العلوم وإصلاح نظم الاجتماع، والنهوض بجلائل الأعمال (أعني سكان تونس والجزائر ومراكش)، وقد ابتليت هذه الأمة بالاحتلال الغاشم في استعبادها، والعبث بحقوقها أقصى غاية... وفرنسا تعلم أن الثورات التي قامت في شمال افريقيا إنما تدعو إليها أباء الضيم، والطموح إلى الاستقلال، ولكنها تريد أن تشوه تلك الثورات البريئة بعلل لا أصل لها ولا فرع... وما لنا أن نضع قضية شمال افريقيا تحت أنظار جامعة الدول العربية وندعها تتصرف فيها"<sup>(3)</sup>.

ويمكن في الأخير أن يتساءل المرء عن سبب ادراج جبهة الدفاع في نضال الورتلاني؟، فنقول أنه لا يعقل الفصل بينهما أبدا، فالبصمة التي تركها الرجل فيها واضحة وضوح الشمس هذا من جهة، من جهة أخرى لا يجب إغفال القول بأن دور هذه الشخصية إنما هو مكمل لنشاط جمعية العلماء في الجزائر بصفته أحد رجالها، لذلك تعتبر هذه المطالب من عمق مطالب رواد الإصلاح الذين كانوا يخوضون حربا بالداخل ولها أسلحتها المتعددة بالخارج.

(1) مذكرة مؤرخة بتاريخ: 5-6-1946. الورتلاني، المصدر السابق، ص 315.

(2) جاء في تقرير مؤرخ حول نشاط الجبهة أنها شكرت الرئيس السوري على موقفه المساند للقضية الليبية والمغاربية. أنظر: A.N.T، série : mouvement national، carton 54، dossier n° 4، note n°1594، A/S : panarabisme، Tunis le26juin 1934.

(3) مذكرة مؤرخة في: 6-5-1945، أنظر: الورتلاني، الجزائر الثائرة، ص ص 296-299.

• كتابات إصلاحية أخرى عن الوحدة المغربية:

تكلمنا عن نشاط أحمد توفيق المدني الوحدوي قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وبأنه تميز بالجدية والعملية، ولكن بودنا أن نشير أن تلك الجهود تضاغت أكثر بعد تأسيسها، وخاصة في الثلاثينيات الأربعينات والخمسينيات، فلا نكاد نجد مبادرة وحدوية مغربية إلا وفيها أحمد توفيق المدني<sup>(1)</sup>، فبالإضافة إلى كتاباته المتعددة والغزيرة عن قضايا الشمال الإفريقي، في الشهاب، والبصائر والجرائد الأخرى، فالمدني كان كثير اللقاءات بالقادة المغاربة<sup>(2)</sup>، كما يروي في مذكراته حياة كفاح ولقد أورد في إحدى تلك الشهادات بأنه أرسل في الحرب العالمية الثانية رسالة إلى شكيب أرسلان يقول له فيها بأن يتكلم مع فون ريتروت وزير خارجية ألمانيا في شأن بلاد الشمال الإفريقي، ويستفسره عن نوايا ألمانيا نحوه، ويقول في هذا: "أشرت عليه أن يقترح تشكيل حكومة اتحادية للمغرب العربي تشمل تونس والجزائر والمغرب وليبيا، يكون فيها للمستعمرين الأجانب حق المواطنة ويشاركون في مجالسها وادارتها حسب نسبتهم العددية، على أن تكون حكومة تونس تحت رئاسة الزعيم بورقيبة، وحكومة الجزائر تحت رئاسة مصالي الحاج، وحكومة المغرب تحت رئاسة علال الفاسي،

(1) في مذكرة استخباراتية جاء أن المدني وزاوي الحاج، استقبلا بعض ست شخصيات دستورية التونسية بالجزائر العاصمة من بينهم الطاهر بن عمار، وانتقدوا السياسة الفرنسية في الشمال الإفريقي، وناقشوا فيها إمكانية العمل المشترك بين الجزائريين والتونسيين والمراكشيين، كما ناقشوا الوضع الليبي في ظل الوجود الإيطالي فيها.

CAOM. A46, 25h32, dossier n° 12, rapport de(CIE) d'Alger, Arrivée en Algérie d'un groupe de tunisiens, Alger le 10mars1937.

(2) من بين اللقاءات التي جرت، اجتماع عند أحمد توفيق المدني أكتوبر1938، حضره كل من السادة: فرحات الدراجي-نهار قدور-السي مزان-حالامي محمد-زموري-خالدي-بوزيدي الطاهر بلقاسم-الحاج مزيان-علواط قدور-علي بن عثمان-الأزهري بلقاسم-سلطاني عثمان-وأربعة تونسيين منهم: الطاهر زفر، والسي محمد الجزيري، وقد تناقشوا الأوضاع السائدة بالجزائر، نشاط جمعية العلماء التعاون مع إيطاليا قبل أن تستفيد من الدعم الألماني وتصبح دولة قوية، نشاط المصري محمود نسيم وشكيب أرسلان وعلاقتهما بالوطنيين، وكذا القضية الفلسطينية... الخ. أنظر:

CAOM, A46, 25h32, dossier n°12: A/S : d'une réunion chez tewfik el Madani, rapport de 14 octobre1938.

وحكومة ليبيا تحت رئاسة بشير سعداوي، وأكدت له أنه إذا ما تشكلت هذه الحكومة وأرغم الفرنسيون على قبولها، فإن مليوناً على الأقل من رجالها الأشداء سيقومون قومة رجل واحد للدفاع عن حريتهم واستقلالهم، وستجدهم ألمانيا درعا لها ووقاية، فإن لم تفعل، ولم تفعل سريعاً، فإن الزمان سيفلن من يدها، وإن الفرنسيين في المستقبل إذا بقيت بين أيديهم المستعمرات، سيجندون هؤلاء الرجال ويمنعون في تجنيدهم ويكونون سبباً في اندحار ألمانيا آخر الأمر... وسألته أن يعرض عليه فكرة تأسيس دولة الاتحاد المغربي الكبير ويجبدها له، ويبين جدواها بالنسبة لقضية المحور، وما كانت تهمني قضية المحور بل كنت ضدها على خط مستقيم، إنما تلك هي أساليب السياسة"<sup>(1)</sup>.

إذن نحن أمام محاولة انقلابية حقيقية في هذه الفترة، لو نجحت لكان لها صداها العالمي، خاصة والوزن الذي يملكه شكيب أرسلان على الساحة العربية والأوروبية، وكذا الوزن الذي يملك أحمد توفيق المدني ليس فقط على المستوى الداخلي الجزائري بل على الصعيد المغربي أيضاً، كما أن خطورة الرسالة كانت قادرة على أن تكلف المدني حياته مباشرة وبدون أي تحقيق، وتذكرنا هنا برسالة عمر راسم في الحرب العالمية الأولى، ولعلنا نتوقف لنبين أن الكتابات تختلف في قيمتها وصلاحتها ومفعولها وتأثيراتها، وبالتالي تختلف ردود الفعل حولها، فلا يمكن أن نصنف رسالة خطيرة مثل هذه في نفس الخانة مع مقال صحفي يتكلم عن الوحدة بشكل عام، كما لا يمكننا أيضاً أن نقارن منشوراً أو بلاغاً، أو إعلاناً لحزب أو جمعية، بخطاب عفوي ارتجالي، أو تصريح صحفي لأحد شخصيات نفس تلك الجمعية، فللبلاغ أو النداء قيمته وصداه الذي لا يمكن أن يكون قد خرج بضربة حظ، أو بدون تفكير أو استشارة، وحتى إن كان، فإن صاحبه يكون مهياً لردود الفعل، لذلك نرى أن الجمعية كانت نادراً ما تضع منشورات باسمها أو باسم مكاتبها عن وحدة المغرب (=السياسية)،

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج1، ص334.

واكتفت بآراء علمائها ومثقفائها وكتاباتهم المتباينة الاتجاهات والرؤى، لطرح هذه القضية وقضايا داخلية أخرى<sup>(1)</sup>.

ويعد "حمزة بوشوكة" في هذه الفترة أيضا، من الرواد الذين عملوا على ترسيخ مصطلح المغرب العربي مكان شمال افريقية كما سماها الفرنسيون، فهو ذلك الطالب الزيتوني والحاضر في عملية تشكيل جمعية العلماء الذي أسس جريدة "المغرب العربي" بوهراڤ سنة 1937، خاصة لما كان كثير العلاقات مع الإصلاحيين في هذه الفترة، وكانت جريدة أسبوعية، تعمل في نطاق الوطنية والإصلاح، صدرت منها أعداد قليلة، وعملت من أجل تحقيق فكرة المغرب العربي<sup>(2)</sup>.

وحتى أثناء الحرب العالمية الثانية فإن الفكرة لم تضحلّ كليا، فقد أكدت وثائق عديدة للاستخبارات الفرنسية سنة 1943 وجود أفكار وحدوية مغاربية في مدرسة الشيخ العربي التبسي بمدينة تبسة، والتي تحوّلت فيما يشبه قيادة عامة لجميع المناضلين الجزائريين والتونسيين، وأصبحت شيئا فشيئا ملجأً للدعاية المضادة للوجود الفرنسي<sup>(3)</sup>، وقد تابعت الجمعية وروادها على نفس النهج ناقلة أخبار المغرب العربي نهاية الأربعينات والخمسينات، ولعل المتفحص لجريدة البصائر الثانية يقف على حجم تلك الجهود التي بذلت من أجل ترسيخ فكرة التعاون، والتضامن، والاتحاد المغاربي.

(1) كانت تصل شيوخ جمعية العلماء رسائل كثيرة في فترة الحرب العالمية الثانية، ففي مذكرة استخبارات صادرة بتاريخ بتونس 12 جوان 1941، ذكرت عديد المراسلات التي تمت بين شباب من صفاقس وجزائريين على غرار الطيب العقبي الذي تلقى رسائل =مناسبة الذكرى الأولى لوفاة الشيخ ابن باديس، وهو ما يبين لنا الرقابة الكبيرة التي كانت في هذه الفترة خوفا من ثورة في الشمال. caom, bob a45,25h32,dossier n°7,rapport de la direction du sureté publique n3053, Tunis le 12juin1941.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، المصدر السابق، ص259.

(3) خير الدين شترة، المهاجرون الجزائريون، المرجع السابق، ص449. نقلا عن: يوسف مناصرية، النشاط الوحدوي العربي

الإسلامي لجمعية علماء المسلمين، الموفقات، ع06.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

ولقد شاركت الجزائر مثلا بجميع مكوناتها السياسية تقريبا في اليوم العالمي للتضامن مع تونس وعقدت مهرجانات عبرت عن مدى التعاطف معها وافتتحت جريدة البصائر في 1 فيفيري 1952 قائلة: "أي تونس المجاهدة العظيمة، لبيك وسعديك، هذه أمة الصلابة والكفاح، أمة الجزائر الأخت الوفية تقف إلى جانبك الموقف الذي يمليه الواجب ويدعو إليه الشرف ويأمر به الله"<sup>(1)</sup>، كما دعت الجريدة في عديد المناسبات إلى التعامل الحكمة و"تقدير الخطر وتجاوز الخلافات حتى لا نمكن عضد الاستعمار بأنانيتنا وخلافاتنا"<sup>(2)</sup>.

فالبصائر الثانية شهدت أواخر عهد الاستعمار الإيطالي في ليبيا المستعمرة، وركزت على التنافس الشرس بين القوى العالمية خاصة بريطانيا- فرنسا والتحركات الأمريكية في فوان وطرابلس وبرقة، وبعثت بذلك عدة رسائل وبرقيات إلى الشعب الليبي وإلى مجالس الجامعة العربية<sup>(3)</sup>، كما كان منبر الشمال الإفريقي في الجريدة ينقل أخبار القضية المراكشية، بالإضافة إلى القضايا المغربية الأخرى، وهو تعبير عن دعم الجمعية لحزب الاستقلال المغربي ووقوفها معه في نضاله، معتبرة أن القضية المغربية هي قضية كل الشمال الإفريقي<sup>(4)</sup>، وقد أشادت جريدة البصائر أيضا بالبيان الذي أصدرته أحزاب القطر المراكشي إلى الرأي العام المغربي والعربي تحت شعار الاتحاد<sup>(5)</sup> وعلقت قائلة: "نزف التهاني العاطرة... والتهاني الخالصة مقرونة بالإجلال باسم البصائر واسم جمعية العلماء، واسم الأحزاب الوطنية في الجزائر، واسم الأمة الجزائرية المقاسمة للمغرب في أفراحه وأحزانه، متمنين على الله تمنيا مقرونا بالعمل أن يقدر

(1) مومن العمري، المرجع السابق، ص308.

(2) منبر السياسة العالمية، البصائر، ع147، بتاريخ: 19 مارس 1951، ص4.

(3) حميدي أبو بكر الصديق، جمعية العلماء وعلاقتها بالعالم العربي، المرجع السابق، ص77.

(4) أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، ع145، بتاريخ: 4 مارس 1951، ص6.

(5) كتبت عنه جريدة المنار بعنوان: جبهة واحدة في المغرب الأقصى وقالت: "...تلك البشرية هي تحقيق ما نتطلع إليه من

توحيد السياسة والعمل في كل قطر من أقطار المغرب حتى يتحقق توحيد المغرب كله"، المنار، ع2، بتاريخ: الجمعة

20 أبريل 1951، ص1.

للجزائر وتونس ما قدر للمغرب من اتحاد وانتصار وأن يتم نعمته بتوفيق أحزاب هذا الشمال إلى اتحاد عام<sup>(1)</sup>.

ومع كل ما قدمته الجمعية في الميدان، كان لا يزال البعض يرى أنها طرحت المشكل الجزائري بكفية غير سديدة، خاصة لما كانت تهتم بالجانب الثقافي والديني بصفة كبيرة، ولم يكن برنامجها شاملا لكل القيم<sup>(2)</sup>، ويقول الأشرف أن الجمعية تراجعت سياسيا بعد وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس، مرجعا سبب ذلك إلى رجالها متفاوتي الكفاءة، وبعض الأخطاء التي ارتكبوها، وفقدان روح المصالحة بينهم، وافتقارهم الى الواقعية، مما أبعث شقة الخلاف بينهم وبين حزب الشعب وحركة الانتصار<sup>(3)</sup>.

ومع ذلك يمكننا القول أن التوجه الوحدوي المغربي للجمعية، بقي يتأرجح حسب الظروف التي تفرضها الأحداث الداخلية والخارجية، فهي وحدة رأها البعض مغربية في إطار الأمة العربية الإسلامية، ورأها آخرون وحدة مغربية مستقلة عن العالم العربي سياسيا وتابع له روحيا وفكريا، ورأها البعض أيضا بمساعدة مع فرنسا في شكل اتحاد فدرالي مغربي، إلا أن الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من مجازر (مايو 1945) رسخ قناعة أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة، وأن الاتحاد الثوري للمغرب وحده كاف لإخراج فرنسا من المغرب العربي.

---

(1) أبو محمد في الشمال الإفريقي، البصائر، ع151، بتاريخ: 16 أبريل 1951.

(2) مصطفى الأشرف، الجزائر: الأمة والمجتمع، المصدر السابق، ص243.

(3) مصطفى الأشرف، المصدر السابق، ص245، 246.

### 3- الوحدة المغربية في أدبيات التيار الاستقلالي:

تتفق غالبية الدراسات الأكاديمية والشهادات الموثقة للفاعلين التاريخيين أن التيار الاستقلالي في الجزائر<sup>(1)</sup> كان من أول و أشد المدافعين عن وحدة المغرب العربي، وإلى غاية الاستقلال بقي على نفس النهج الذي رسم له رواده الأوائل، فلا يمكننا أبدا أن نحصي الحجم الكبير لتلك الدعوات والنداءات، والكتابات، التي دعت إلى الوحدة المغربية منذ تأسيس نجم شمال إفريقيا 1926 وإلى غاية اندلاع الثورة التحريرية، ولكننا ستعرض فيما يلي أهم أدبيات هذا التيار، والذي إن اختلفت أسامي تشكيلاته بتطور الأحداث في الداخل والخارج، إلا أن ارتباطه بالفضاء المغربي ظل ملازما له.

#### • نجم شمال إفريقيا (1926-1936):

لن نعود إلى نقطة الصفر وندخل في جدال متى؟ ومن؟ وكيف؟ أسس نجم شمال إفريقيا<sup>(2)</sup>، لكن بودنا أن نقول أن العمل الوطني الذي تصدره النجم، جعله يتموقع منذ الوهلة الأولى في إطار أشمل وأوسع من الحدود السياسية للجزائر، فقد هدف إلى تعبئة كل القوى الأزمة لكفاح الاستعمار في جميع أقطار المغرب العربي<sup>(3)</sup>، لذلك فإنه ومنذ الاجتماع الذي سبق التأسيس بجوالي سنة ونصف والذي ضم الجالية المغربية العاملة في باريس بتاريخ 7 ديسمبر 1924، أكد هذا الاجتماع الهام الذي يعد من اللبنة الأساسية في عملية تأسيس النجم، على النهج المغربي له بأن استمد وجوده الأولي من

(1) يقول الدكتور يوسف مناصرة: "هو ذلك التيار الجزائري المحض الذي كان يؤمن بالجزائر كشعب واحد متماسك الأطراف له خصائصه ومميزاته، لا يقبل التجنيس ولا الاندماج، ولا يرجو الاستفادة من الإصلاحات الاستعمارية، وهو أيضا ذلك التيار الذي لا يفكر إلا في مصير الشعب، ويهدف فقط إلى الاستقلال التام وفصله النهائي عن الاستعمار الفرنسي سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ودينيا، دون أي تأثير أجنبي لا يتمشى وأصالة الجزائر الحضارية العربية الإسلامية". يوسف مناصرة، الاتجاه الثوري، المرجع السابق، ص 06.

(2) راجع محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 313-325.

(3) جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص 184.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

مطالب الأمير خالد الجزائري التي قدمها مؤتمر الصلح بباريس 1919<sup>(1)</sup>، وبعث برسالة تضامنية للأمة المراكشية والزعيم الريفي عبد الكريم الخطابي الذي كان يقاوم الاستعمار الفرنسي - الإسباني جاء فيها: "إن مندوبي العمال المهاجرين من شمال إفريقيا بالضاحية الباريسية والمجتمعين في أول مؤتمر لهم في هذا اليوم التاريخي 7 ديسمبر 1926 يهنئون اخوانهم في المغرب الأقصى وقائدهم الفذ بن عبد الكريم الخطابي على انتصاراتهم على الإمبريالية الإسبانية، ويعلمون تضامنهم بكل نشاطاتهم من أجل تحرير أرضهم ويهتفون معهم بحيا استقلال الشعوب المستعمرة وتسقط الامبريالية العالمية وتسقط الإمبريالية الفرنسية"<sup>(2)</sup>.

ولما أسست جمعية نجم شمال إفريقيا (ENA) فإنها كانت أول صيغة تنظيمية (=قانونيا) تنقل المغرب العربي من الأتأطير و الإحساس بالتأزر الذي يفرضه واقع الانتماء الهوياتي المشترك، إلى مستوى وعي بضرورة التعبير عن إرادة جماعية موحدة<sup>(3)</sup>، فبرنامجها وقانونها الأساسي قد جاء فيه أن: "جمعية لمسلمي المغرب والجزائر وتونس...تهدف-حسب ما ينص عليه قانونها الأساسي-إلى تدريب مسلمي الشمال الإفريقي على الحياة في فرنسا والتنديد بجميع المظالم أمام الرأي العام...والجمعية تستلهم أساسا من المبدأ التالي: إن مسلمي الشمال الإفريقي لا يقومون بواجباتهم فقط، بل بأكثر من واجباتهم، ولهذا فإنهم يطالبون بكامل حقوقهم"<sup>(4)</sup>. كما أصرت باقي المواد على أن هدف الجمعية هو العمل من أجل الاتحاد بين المستعمرات من أجل تحرير الشمال الإفريقي ووحده<sup>(5)</sup>.

---

(1) يقول الدكتور سعد الله: "كان أول اجتماع هام تحقق هو انعقاد مؤتمر الشمال أفريقيين في ديسمبر 1924، وكل من حزب الأمير خالد الإصلاحية ومؤتمر الشمال أفريقيين أعطى نجم أفريقية الشمالية نموذجاً وقاعدة" أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المصدر السابق، ص372.

(2) Claude Collot -jean. Rober. Henry, le mouvement national algérien (textes 1912-1954) 2 Edi, office des publications universitaires, Alger, 1981, p34.

(3) محمد مالكي، المرجع السابق، ص273.

(4) محمد قنانش-محفوظ قداش، نجم الشمال، المصدر السابق، ص ص 40،41.

(5) أنظر البرنامج الذي نشره الدكتور محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 325-327.

فتشكل النجم في هذه الفترة كان طفرة نوعية على مستوى الوعي بأهمية إحياء فكرة الوحدة المغربية وتوظيفها لمقاومة الاستعمار<sup>(1)</sup>، ولعلّ ما من شيء أقوى وأبلغ من القانون الأساسي أو البرنامج الذي يمثل القاعدة الأساسية للجمعية أو الحزب، كما يمثل التصور العام لسير الحزب مستقبلا، فالنجم قد بنى نفسه منذ البداية على أرضية متينة من خلال ميثاقه التأسيسي، وعمل على المطالبة بإصلاح الأوضاع لكافة مسلمي الشمال الإفريقي، وهي نادرة من النوادر في تلك الفترة العصيبة من التاريخ، ولعله استفاد من الحركة العمالية المغربية الكبيرة هناك، كما استثمر في بعده عن المجال الجغرافي المغربي نفسه الذي يدافع عنه بأن نشأ في فرنسا<sup>(2)</sup>.

سرعان ما انتقل النجم من الاحتجاجات والمطالبة بالإصلاحات سنة 1926، إلى المطالبة بالاستقلال سنة 1927، مقرّا مبدأ الاستقلال الوطني على المستوى العملي، ومبدأ الثورة على المستوى الفكري، ومبدأ الوحدة المغربية على المستوى الاستراتيجي<sup>(3)</sup>، وأكد على ذلك في مشاركته بمؤتمر بروكسل (10-15 فبراير 1927) أين قدم مصالي الحاج مطالب الشعب الجزائري والمراكشي<sup>(4)</sup>، و الشاذلي خير الله مطالب الشعب التونسي ممثلا لحزب الدستور باسم نجم شمال إفريقيا، وقد جاءت تلك المطالب التي كانت تحوي برنامجا للاستقلال السياسي والوحدة المغربية شهورا فقط بعد ولادة النجم وبصفة عالمية كما وصفها مصالي<sup>(5)</sup>، لذلك فهو انجاز في حد ذاته بالنسبة لجمعية مغمورة ناشئة آنذاك، ولقد أقر المؤتمر ما جاء في ذلك البرنامج بحيث علّق عليه بالإيجاب قائلا: "حركة إفريقيا الشمالية في نمو متواصل، لن يمرّ وقت طويل على الشعوب المقهورة المستضعفة في المغرب والجزائر وتونس

(1) محمد مالكي، المرجع السابق، ص 274.

(2) عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج 1، المصدر السابق، ص 120

(3) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية بين الحزبين، المصدر السابق، ص 48.

(4) محمد قنانش - محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 46. قدم مصالي أيضا في ندوة صحفية تقريرا عن حالة التعليم السيئ

في الجزائر. انظر: مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص 140.

(5) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 141.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

التي ستطارد الامبريالية الفرنسية وتأخذ حريتها"<sup>(1)</sup>، لذلك سرعان ما أضاف النجم مادة تنص في قانونه الأساسي على الاستقلال وذلك خلال اجتماع مجلسه في 19 فيفري 1928 وقد جاء في البند الثالث: "من أهداف الجمعية الأساسية، تنظيم الكفاح من أجل استقلال بلدان افريقيا الشمالية الثلاثة، وبفضل النشاطات يجب توسيع وحدة الحركة الوطنية الثورية لشمال افريقية"<sup>(2)</sup>.

ولعل النجم قد بدى يرى في نفسه حلقة من حلقات المقاومة المغربية ضد الاستعمار، وأن نضاله ما هو إلا تنمة ومواصلة لكفاح الأمير عبد القادر بالجزائر وعبد الكريم الخطابي بالمغرب، خاصة وأن تأسيسه تزامن مع الأيام الأخيرة لمقاومة الريف<sup>(3)</sup>، ثم إن النهج الذي رسمه النجم من أجل الاستقلال والوحدة المغربية، سرعان ما شكل موقف رفض من طرف الشيوعيين، انتهى إلى التباعد ووصل إلى حد الضرب والعنف<sup>(4)</sup>، خاصة وأن الشيوعيين كانوا يرون أن الشرعية للنجم يجب أن تكون في فرنسا لا غير، أما في الجزائر وعموم الشمال الإفريقي فهي مرفوضة<sup>(5)</sup>.

وبالرغم من أن النجم تعرض للحلّ سنة 1929<sup>(6)</sup>، لكنه بقي يحافظ دائما على نهجه المغربي<sup>(7)</sup>، من خلال نشاطه أو من خلال التسميات الجديدة التي طرأت عليه على غرار "نجم افريقيا الشمالية المجيد"، الذي أجرى تعديلا على القانون الأساسي للنجم المصادق عليه في الجمعية العامة المنعقدة

(1) مومن العمري، المرجع السابق، ص 118.

(2) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 85. أيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 328.

(3) مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص 137.

(4) عبد الرحمن بن إبراهيم العقون، المصدر السابق، ص 119.

(5) زوزو عبد الحميد، الهجرة، المرجع السابق، ص 63. أيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 329.

(6) يقول قناناش: "الحزب قاوم قرار حله سنة 1929، خاصة مع رجوع غالبية الجزائريين والمغاربة إلى أوطانهم ابتداء من الأزمة الاقتصادية العالمية، والاحتفالات المئوية الاستفزازية 1930". قناناش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص 52.

(7) يقول مصالي عقب عملية الحل للنجم وهو في جلسة عند المحامي أندري بريطون: "...فهمنا من المناقشة أن كل الجمعيات السياسية التي يمكن أن تمس الوحدة الترابية للوطن الفرنسي أن تنحل... ألم يكن الاستعمار الفرنسي هو الذي مس بالوحدة الترابية الوطنية للجزائر وتونس والمغرب...". أنظر: مذكرات مصالي، المصدر السابق، ص 146.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

بياريس في 28 ماي 1933 مؤكدا على الوحدة المغربية، والعمل من أجلها ومن أجل الاستقلال: "هدف جمعية نجم شمال افريقيا الأساسي هو: الكفاح من أجل الاستقلال الكامل لبلدان افريقية الشمالية الثلاثة: الجزائر والمغرب الأقصى وتونس ووحدها"<sup>(1)</sup>.

ولقد أصرّ هذا البرنامج الجديد على اجبارية تعلم اللغة العربية ومجانيتها، وعدم الزج بالمغاربة في التجنيد الإجباري للاقتتال فيما بينهم، وضرورة احترام الدين الإسلامي<sup>(2)</sup>، وبذلك أصر النجم أيديولوجيا على ضرورة التعلق بمبادئ الوحدة الإسلامية، والتي تتمثل في: الاستقلال الكامل للشمال الإفريقي - الدفاع عن دين الإسلام الذي يدين به معظم المغاربة - وحدة المسلمين في الشمال الإفريقي<sup>(3)</sup>، لكن تواجد هذا الحزب بالجزائر والمغرب حسب الراحل أحمد مهساس "ظل يصطدم بالعديد من العقبات، فالدعاية الشفوية على لسان العمال الجزائريين (=المغاريين) العائدين إلى البلاد، لم تكن كافية للتبليغ بالنشاط الجاري في فرنسا، فكان لا بدّ من بعث تيار قوي في الرأي العام يساعد على تنظيم النجم بالجزائر (=وببلاد الشمال الإفريقي)، ولهذا الغرض تم انشاء صحيفة الأمة"<sup>(4)</sup>.

بعد حل النجم المجيد في فيفري 1935<sup>(5)</sup>، خلفه "الاتحاد الوطني لمسلمي شمال افريقيا"، الذي أعلن أن هدفه هو تحرير مسلمي شمال افريقيا ماديا ومعنويا، بالرغم من أن محافظة السين التي تقدم إليها بالطلب لم تعطه الترخيص بمزاولة النشاط إلى غاية 3 جويلية 1935<sup>(6)</sup>، كما نصت المواد الأخرى التي

1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 333.

2) عرض قنانش برنامج الفرع الجزائري من برامج النجم المغربية، الحركة الاستقلالية، ص 55. وهو موجود أيضا عند: زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص ص 188، 189.

3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 334.

4) أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر، المصدر السابق، ص 116.

5) كان نشاطه بعد حل النجم تكتيكا لإيهام السلطة القضائية وعدم التعرض للمضايقات. راجع: زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص 64.

6) قنانش، الحركة الاستقلالية، ص 65. أيضا: أحمد الخطيب، حزب الشعب، ج 1، المصدر السابق، ص ص 186، 187.

تقدم بها على أن "الاتحاد يجمع كلّ مسلمي شمال افريقية، وأنه سيقوم بتربيتهم الوطنية والاجتماعية، ويدافع عن مصالحهم الوطنية والمادية والمعنوية، والاجتماعية والسياسية، وأن الاتحاد يستعمل كلّ ما لديه لتحقيق أهدافه وأنه سيقوم بالدعاية الضرورية لنفس الأهداف"<sup>(1)</sup>، ولعل الدارس والمتمعن أكثر في قوانين النجم يلحظ دائما كلمة الشمال الإفريقي حاضرة، خاصة وأن الوحدة المغاربية كانت استراتيجيته ونقطة قوته التي يعتمد عليها منذ السنوات الأولى لتأسيسه.

كما كانت بطاقات الاشتراك، والاككتاب، والانتساب الخاصة به أيضا مليئة بعناوين "شمال افريقيا" و"مسلمي الشمال الإفريقي" و"مسلمي الجزائر وتونس والمغرب (=مراكش)"، والتي عادة ما كانت تسبقها نداءات ودعوات للانخراط والانضمام للنجم، فقد جاء في أحد النداءات الداعية للاككتاب من أجل دعم حزينة النجم ما يلي: "أيها المسلمون الشمال إفريقيايون، اكتبوا وحثوا جميع أصدقائكم وزملائكم في العمل على الاككتاب، فالمال عصب كلّ عمل، وهذا العمل الذي ابتداء بصعوبات كبيرة، عليه أن يتطور ويمتد ليشمل كل شمال افريقيا وأكثر من أي وقت مضى، يجب أن نتابع الكفاح لتحقيق مطالبنا، والحصول على تحررنا، إننا أقوياء، ولكن وسائلنا المادية ضعيفة في الوقت الراهن، إننا نعلم عليكم، ونلح لكي تمدونا بالذخيرة من أجل تطوير برنامجنا السياسي"<sup>(2)</sup>، كما جاء أيضا في أحد جوانب بطاقة العضوية في النجم والتي كانت شبيهة ببطاقة الاشتراك: "أيها المسلمون، جزائريون، ومغاربة، وتونسيون، فلنتحد لنكون كتلة متضامنة حول نجم شمال افريقيا للدفاع عن مصالحنا وعن تحررنا، عن الاتحاد فقط هو الذي يصنع القوة"<sup>(3)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص 124، 125. أنظر القانون الأساسي كاملا في: زوزو عبد الحميد، الهجرة، المرجع السابق، ص 193-195.

(2) أحمد الخطيب، حزب الشعب، ج1، المصدر السابق، ص 170.

(3) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 375.

وقد اعتمد نجم شمال افريقيا على الصحف كثيرا، وخصص لها الجزء الأكبر في تناول القضية المغربية وعمل على التعريف بها والدعوة إلى استقلالها، ومساعدة كل ما من شأنه تدعيم هذا المطلب، فبمجرد تأسيس جريدة الإقدام، وزع منشور جاء فيه: "إن جريدة الإقدام قد أسستها جمعية نجم الشمال الإفريقي، فجميع التونسيين والجزائريين والمغاربة يمكنهم من غير تحفظ الدفاع عن مصالح بلادهم المبني على الوطنية الصادقة والمخلصة"<sup>(1)</sup>، وبعدها المضايقات التي تعرضت لها أسست جريدة "الإقدام الباريسي" التي كتبت على صفحتها الأولى شعارا بالعربية يقول: "من أجل الدفاع عن مسلمي افريقية الشمالية"، ولعل هذه الجريدة قد استقبلت رسالة للمناضل سليمان بوجناح الملقب بالفرقد حسب ما رواه قنانش والذي دعا فيها صراحة إلى ضرورة تأسيس حزب وطني إسلامي في الجزائر ومن ثم الانتشار في كل الشمال الإفريقي ومما جاء فيها "... وإحداث فروع (=للحزب) في مختلف أطراف البلاد يكون له منه برنامج مضبوط... فحزب كهذا دعامته الدين والوطنية يكون قادرا بلا شك على تحقيق انتصار المسلمين في الشمال الإفريقي"<sup>(2)</sup>.

وقد ضايقته السلطات الفرنسية هذه الجريدة أيضا ومنعتها من الصدور لاحتوائها صفحة باللغة العربية<sup>(3)</sup>، معتبرة إياها تشكل خطرا على الهدوء في افريقية الشمالية<sup>(4)</sup>، لكن سرعان ما أعيد تشكيلها وتعويضها ب "إقدام الشمال الإفريقي" التي ما لبثت أن هاجمت الحكومة الفرنسية، وفضحت سياساتها ومساوئها، وذلك في بيان لها في شهري جوان وجويلية 1927 موجه للشعب

(1) كتبت الجريدة مدافعة عن شمال افريقيا تقول: "السيد سارو يؤكد بان الاستعمار الفرنسي إنساني، في هذه السنة في تونس والجزائر والمغرب مئات الآلاف من الأهالي يموتون جوعا والسنوات تتابع وتتشابه، فقر وضغط... فليسقط الاستعمار". أنظر: محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص 40.

(2) أنظر الرسالة كاملة في: محمد قنانش-محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 50-51.

(3) خالد مرزوق، مذكرات محمد قنانش، الدار العثمانية، الجزائر، 2016، ص 92.

(4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المصدر السابق، ص 373.

المغربي داعية إياه للوقوف مع عبد الكريم الخطابي في ثورته في الريف<sup>(1)</sup>، كما دعت إحدى أعدادها إلى توحيد الجهود من أجل استقلال البلدان المغربية قائلة: "إن استقلال بلد من هذه البلدان لا يتم إلا بمؤازرة البلدين الآخرين له، يجب أن يهتم كل بلد من هذه البلدان باستقلال البلدين الآخرين، فمن الواجب إذن توحيد جهود الحركات لاستقلال البلدان الثلاثة... ولا يتأتى ذلك بتنسيق الجهود فحسب، إنما بالروابط الصادقة والعلاقات الأخوية المتينة، وبالمؤازرة المادية والمعنوية الحقيقية المتبادلة، حتى ينتصر الكفاح من أجل استقلال شمال افريقية"<sup>(2)</sup>.

أصدر النجم بعدها جريدة الأمة في أكتوبر 1930 وهي مرحلة كان فيها النجم محلولا وموقوفا من النشاط، وهي من أطول الجرائد عمرا في حياة التنظيم، واتخذت عنوانها الفرعي بالعربية كالتالي: "جريدة وطنية وسياسية للدفاع عن حقوق مسلمي شمال افريقيا"، وعلى يمين عنوان الأمة وضعت صورة هلال ونجمة مع الآية الكريمة: "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"<sup>(3)</sup>، والتي دعا أصحابها سنة 1933 أهالي شمال افريقية للاضطلاع عليها: "لأنها تدافع عنكم، وتعلمكم، وتثقفكم. إنها ستقودكم إلى الاتجاه الصحيح... انشروها في كل مكان لكي تصبح الراية والمركز الذي تجتمع من حوله جميع القوى الحية في افريقيا الشمالية"<sup>(4)</sup>.

فهذه الجريدة قد تناولت مختلف القضايا التي يعاني منها الشمال الإفريقي، بالعرض والتحليل<sup>(5)</sup>، وكانت توزع بين الجالية المغربية العاملة في فرنسا بشكل سري، خاصة و أنها كانت ممنوعة الدخول الى المغرب العربي، فكانت بذلك تحمل دائما أخبار رجالات الحركات الوطنية المغربية

(1) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 87.

(2) راجع للاستزادة: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 342.

(3) محمد قنانش-محفوظ قداش، المصدر السابق، ص 54.

(4) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، المصدر السابق، ص 374.

(5) بكار العايش، المرجع السابق، ص 486.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

وتنقلاتهم، ومواقف الأطراف المتصارعة من القضايا المختلفة<sup>(1)</sup>، وبالخصوص لما تدعمت بأعضاء جدد<sup>(2)</sup> أمثال عمار عيماش<sup>(3)</sup>، وراجف بلقاسم<sup>(4)</sup>، وكحال وأرزقي<sup>(5)</sup> ومحمد ربوح<sup>(6)</sup>، وعمار خيدر وغيرهم، لهذا نجدها وقفت ضد كل الذين كانوا ضد مصالح شعوبهم وحتى إن كانوا من الأعيان أو الشخصيات المرموقة، ويذكر قنانش أن حفلة فنية أقيمت من أجل إعانة الجريدة بعث بها كل من السيد قدور بن غبريط محافظ مسجد باريس، وممثل ملك المغرب شيكا بخمسين فرنكا إعانة للجريدة الأمة، فأعيد له الشيك مع رسالة في نفس الجريدة تذكره بأن المناضلين لا يقبلون مال العملاء<sup>(7)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص122.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص344.

(3) عمار عيماش: من الأربعا بني ارثن، عمل بفرنسا في معطرة، انضم إلى النجم 1931، شغل منصب سكرتير عام للحوب وتولى رئاسة تحرير الأمة 1933، كان صحافيا وخطيبا وداعية قديرا، له محاولات في الكتابة للتعريف بسياسة النجم au l'Algérie carrefour "الجزائر في مفترق الطرق"، سجن بفرنسا سنة أشهر نهاية 1935 على جوان 1936، وقع له خلاف مع زملائه فلم يشارك في تأسيس حزب الشعب، عاد إلى الجزائر سنة 1950، وتوفي بعد ثلاث سنوات بمسقط رأسه. زوزو عبد الحميد، ص ص 63، 64.

(4) راجف بلقاسم: ولد في أقوي بوار (فورناصيونال سابقا) وهاجر إلى فرنسا سنة 1924، وعمره 15 سنة، اشتغل بمصنع للمواد الكيماوية وبالتجارة، انضم إلى النجم في 1932، ابتداء العمل الوطني ببيع جريدة الأمة، وتنظيم اللقاءات العمالية، في سنة 1933 تولى أمانة صندوق مالية النجم بعد بانون آكلي، كما كان عضوا في اللجنة المركزية، كان يمثل النجم وحزب الشعب في التجمعات العمالية، وقد سجن لمدة سنة أشهر بفرنسا مع عمار عيماش. أنظر: زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص65.

(5) أرزقي كحال: من قنزات (بني يعلى)، قالت عنه جريدة الأمة عقب وفاته: انخرط بالنجم منذ 1932، وكان به على التوالي عضوا في المكتب السياسي، ورئيسا للجنة المركزية، وأميننا عاما للمالية، فسكربتيرا عاما للتحرير، ناب عن مصالي الحاج في رئاسة الحزب في جوان 1937، وقدم إلى الجزائر في سبتمبر 1937، وبها سجن ببروس وتوفي بالمستشفى في أبريل 1939، أنظر زوزو عبد الحميد، المرجع السابق، ص65.

(6) محمد ربوح: من آيت أفراح (أربعا ناثيراش)، ولد في 19 جويلية 1895، تعلم الفرنسية، نال الشهادة الابتدائية سنة 1910، جاء للعاصمة متجولا يبيع الزيت، ذهب إلى فرنسا سنة 1916 سرا، انخرط في النجم عام 1931، وتوفي حوالي 1975 حسب قنانش، أما حسب الدكتور عبد الحميد زوز كان لا زال على قيد الحياة في الثمانينات. أنظر: قنانش - قداش، النجم، المصدر السابق، ص74. زوزو، المهجرة، المرجع السابق، ص6.

(7) قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص54.

فلا يمكن أبدا أن نحصر ذلك الكم الهائل من المقالات والكتابات التي حوتها هذه الصحيفة فيما يخص التوجه الوحدوي المغربي، إن على مستوى المطالبة بالاستقلال، أو الدعوة إلى الوحدة، أو التنديد بالمظالم والتجاوزات التي ترتكبها فرنسا في الجزائر، وتونس، والمغرب، وضد الجالية المغربية في المهجر، أو حتى ضد باقي الأقطار العربية الأخرى، فكتبت في عددها الأول مقالا بعنوان الإرادة تقول: "إلى إخواننا المغربية في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، عليكم بتنظيم أنفسكم لانتزاع حقوقكم الاجتماعية بالقوة وإزالة نير العبودية"<sup>(1)</sup>، كما ورد أيضا في أحد الأعداد مقال موقع باسم التلمساني يعتقد الدكتور محمد بلقاسم أنه لمصالي الحاج جاء فيه: "إن وحدة ووافق العناصر الوطنية الثورية الثلاثة، المراكشيون، والتونسيون، والجزائريون، ستؤدي لامحالة بالمغرب الأقصى، وتونس، والجزائر، إلى طريق الاستقلال"<sup>(2)</sup>، هذا ووقفت الجريدة دائما مع نشاطات الحزب خاصة التظاهرات والتجمعات التي كان يعقدها بباريس، فطلبت من أهالي شمال افريقية في أحد أعدادها أن يعبروا عن سخطهم ضد قانون الأهالي، والقوانين الاستثنائية، وأن يطالبوا بحقوقهم السياسية<sup>(3)</sup>. وتقول الأمة أيضا مدافعة عن الحالة الصحية للمغاربة: "إن الأفارقة الشماليين يتعرضون لشقى الاستفزازات في المستشفى الفرنسي-الإسلامي bobigny بدعوى معالجتهم ومساعدتهم، فالمستشفى عبارة عن بؤرة للوشاية ودار للترويض... إنه مستشفى غريب أليس كذلك؟"<sup>(4)</sup>.

ولعلنا نلاحظ أن النجم ركز مع منتصف الثلاثينات على الأخوة المغربية، أكثر من الوحدة المغربية، خاصة لما أنشأ المراكشيون كتلة العمل الوطني (المغربي)، والتونسيون الحزب الدستوري الجديد الذين

(1) الأمة، ع1، أكتوبر 1930 نقلا عن: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص345.

(2) الأمة، ع سبتمبر 1931، نقلا عن: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص346.

(3) الأمة، ع مارس 1934. نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص127.

(4) الأمة، ع33، أوت-سبتمبر 1935. نقلا عن زوزو، المرجع السابق، ص109.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

راحوا يدافعون عن أوضاعهم الداخلية، وبالأخص لما كانت الأوضاع في الأقطار الثلاث تختلف (1)، ويرى سعد الله أن اهتمام الحزب بقضايا المغرب العربي أصبح ثانويا قبل تأسيس الأحزاب وبالضبط منذ مؤتمر 1933 خاصة وأن عناصره تجزأت، فركز أساسا على القضية الجزائرية (2)، وبالخصوص لما كان المغاربة بصفة أخص مرتبطين أكثر بأوامر سيدي السلطان على حد تعبير مصالي الحاج (3)، فأى نشاط لهم دائما ما يبقى مقرونا بالتنسيق مع بلاطه، لكن لم هذا أبدا عائقا في مواصلة النجم بالرغم من قيادته الجزائرية الدفاع عن كل ما هو مغربي والتي أصبحت استراتيجيا لا يمكن أبدا التخلي عنها والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بأيدولوجيا الحزب من ناحية، والمحافظة على الطبقة العمالية المغربية الكبيرة التي تثق في النجم من ناحية أخرى، فقد تعدد الرسائل بين مصالي الحاج وبورقيبة خاصة لما أسست جبهة العمل المغربية 1936 والتي أشرف عليها شكيب أرسلان (4)، لذلك لم يتوان أبدا في الدفاع عن الزعماء الدستوريين التونسيين عقب نفيهم، والاحتجاج المتواصل على الظهير البربري في مراكش (5)، وكان حاضرا دائما في كل الأحداث التي تمس الشمال الإفريقي، فقد صرح مصالي مبينا خطورة مشروع بلوم-فيوليت على الوحدة المغربية فقال: "لا يمكن لسياسة الاندماج أن تتحقق فهي مرفوضة

---

(1) تأسست عقب ذلك لجنة للتنسيق في باريس سنة 1936 بين ممثلي الأقطار الثلاثة ضمت: مصالي، وبورقيبة، ومحمد حسن الوزاني، وأصبحت حركة النجم تمثل الجزائر فقط، لذلك سيكون من المهم ومن الضروري تأسيس حزب جزائري لسد الثغرة. أنظر: CAOM, A46, 25h32, dossier 12, renseignement a.s du départ en France de . messali hadj, Alger le 12septembre 1936.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص123.

(3) مذكرات مصالي، المصدر السابق.

(4) CAOM, A46-25H 32, dossier n°12, renseignement, relations Habib

Bourguiba et messali hadj, Alger le 14novembre 1936. أنظر الملحق رقم 05.

(5) أمحمد مالكي، الاستعمار والحركات الوطنية، المرجع السابق، ص291.

عقلا وعدالة وتاريخا، والحل الوحيد هو تحرير شمال إفريقيا تحريرا كاملا. إننا نعلنها صراحة بأننا نرغب ونأمل في رؤية هذا التحرير يتحقق بالمساعدة الفعلية لفرنسا، مع الأخذ بعين الاعتبار المصالح المشتركة<sup>(1)</sup>.

كما استعمل النجم المنشورات، والنداءات، والرسائل، والبلاغات، والخطابات، التي كانت في غاية في الأهمية من حيث الدعوة لوحدة الشمال الإفريقي، ودعوة العمال إلى الانخراط في صفوف النجم وحضور تجمعاته، كما استعمل كذلك بعض الكتيبات التي تشرح الوضع القائم بالوطن ومصيره، والتحذير من مشاريع بلوم فيوليت، والاندماج وغير ذلك، لأنه خطر على وحدة الشعب الجزائري ومن ثم خطر على انتمائه للمغرب العربي والعالم الإسلامي<sup>(2)</sup>، فقد جاء في الرسالة التي بعثت بها إدارة النجم إلى جمعية العلماء، تحذيرات من مغبة الوقوع في الخطأ والتعلم من القادة المغاربة السابقين في هذا المجال من قبل: "أيها الإخوة، إن الحالة خطيرة. إن برنامج قانون يهدد وحدة الشعب الجزائري، ويريد- في بدئه- اخراج عدد من المنتورين 22000 ومجمعهم في مجتمع آخر، وهذا القانون-نفسه- آلة تفرقة وشقاق بين الأمة الإسلامية في وطننا... وإن المتجنسين التونسيين قد ندموا على عملهم واجتمعوا في منظمة موحدة ليطلبوا من الباي ومن رئيس الجمهورية الفرنسية الرجوع إلى العائلة الإسلامية... وليس الأمير عبد القادر الذي واجه الاستعمار مدة ثمانية عشر سنة ولا القائد محمد المقراني بطل ثورة 1871، ولا بطل الريف عبد الكريم الذي وقف في وجه قوتين غريبتين ولا الزعيم الثعالبي التونسي ولا مبعدي برج البوف ولا مبعدي الصحراء الجزائرية برازين عن اتخاذ مثل الموقف"<sup>(3)</sup>.

وفي هذا المجال أيضا أورد الراحل محمد قنانش عديد النصوص الوثائقية الخاصة بهذا الموضوع منها: البيان الاستنكاري الذي أصدره النجم لشحن المهتم للمغاربة في الأطلس، ومنندا بالمظالم التي يتعرضون لها وحث على ضرورة الوقوف وقفة رجل واحد لطرد الاستعمار الامبريالي ومما جاء

(1) أحمد الخطيب، المرجع السابق، ص 193.

(2) عبد الحميد زوزو، المرجع السابق، ص 111.

(3) أنظر نص الرسالة كاملة في الملحق رقم 03

فيه: "...إخواننا الشمال إفريقيين، قاوموا جميعا ضد هجوم الإمبريالية، سواء الفرنسية أو الإسبانية، لننظم أنفسنا، ونشكل جبهتنا الموحدة ضد الإمبريالية، ونشكل جبهتنا الموحدة ضد الإمبريالية، لنكن رجلا واحدا ضد الحرب في مراكش، من أجل استقلال هذا البلد... تحيا استقلال مراكش (المغرب)... وليعيش الشمال الإفريقي" (1).

وقد عُرف مصالي الحاج رئيس الحزب (=الجمعية) بالبلاغة في خطبه، والتأثير الكبير على مستمعيه، خاصة وأنه ترأس معظم التجمعات العمالية والجماهيرية في باريس، وغيرها من المدن (2)، فقد فقال في أحد التجمعات: "في حالة قيام حرب أوروبية سوف لن تحدث انتفاضة فقط في شمال إفريقيا، إنما سوف تقوم دفعات جنود الأهالي ضد الحكومة الفرنسية" (3)، وخاطب أيضا في تجمع آخر في 25 نوفمبر 1933 واستنكر بشدة إرسال الجنود الجزائريين إلى المغرب الأقصى، لمقاتلة إخوانهم في الجنس والدين، وداعيا إياهم لتفادي ذلك، ولقد كانت هذه التجمعات والتظاهرات عادة ما تفتقر في الأخير على هتافات بحياة النجم، وحياة مسلمي شمال إفريقيا واستقلالهم، وحياة دين الإسلام (4)، و"الموت لفرنسا"، و"أيها الفرنسيون اخرجوا من تونس والجزائر والمغرب" (5).

عندما صعدت الجبهة الشعبية إلى الحكم سنة 1936، أمطرها النجم بالبرقيات والإرساليات التنديدية والاحتجاجية حول وضعية الشمال الإفريقي، فالبرغم من أن النجم كان قد عقد آملا كبيرا

(1) pour l'Indépendance de l'Afrique du nord, nord-africains dressez-vous centre la guerre du Maroc. Guenaneche-kaddache, opcit, p 48-49. (النص الفرنسي)

(2) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 92.

(3) نفسه، ص 93.

(4) يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 93.

(5) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 128.

على الحكم الجديد<sup>(1)</sup>، وطمح في إيجاد حل مشترك بين فرنسا والشمال الإفريقي، إلا أنه لم يترك فرصة وإلا ووقف فيها مدافعا، أو منددا، أو مطالبا، وقد أورد قنانش في هذا السياق أيضا المراسلة التي بعث بها النجم إلى قيادة الجبهة الشعبية سنة 1936 منددا بالحكم الدكتاتوري الفرنسي في الشمال الإفريقي جاء فيها: "الجبهة الشعبية... تتجاهل وجود نظام دكتاتوري في تونس؟ وأن الشعب الجزائري يعاني من مشقات عميقة، وأن المغرب (=مراكش) يمرّ بأزمة تتطلب تدابير فورية؟"<sup>(2)</sup>.

كما وقع النجم عريضة مع لجنة الدفاع عن الحريات بتونس، ولجنة الدفاع عن الحريات بالمغرب، والتي وإن لم تشر إلى كلمة الاستقلال صراحة، خاصة و أن النجم كان عضوا في التجمع الشعبي للجبهة، إلا أنها كانت قوية اللهجة، فطالبت بإلغاء جميع القوانين والتدابير الاستثنائية في الشمال الإفريقي، كالظهير البربري في المغرب، وقانون الأنديجينا في الجزائر، والمراسيم الجائرة في تونس، وحرية التجمعات والصحافة والجمعيات وفق قانون 1901، وكذا حرية التفكير، والمعتقد السياسي، والفلسفي، والديني، في الأقطار الثلاثة والمساواة بين الفرنسيين، والتونسيين، والجزائريين في الخدمة العسكرية<sup>(3)</sup>، ونقتطف من العريضة هذا النص فيما يلي: "ما يجب التنويه له هو أن مطالبنا تستهدف تخويل المغاربة الجزائريين والتونسيين حرية تكوين الجمعيات والتعبير باللغتين العربية والفرنسية... كما تطمح في أن تتفهم آمالها، وذلك باعتماد سياسة جديدة قادرة على تجاوز الأخطاء المقترفة لعلها تدفع بشعوب المغرب والجزائر وتونس إلى التعبير على قليل من الثقة اتجاه الشعب الفرنسي"<sup>(4)</sup>.

(1) يقول أبو القاسم سعد الله: "أخذ نشاط النجم منعطفا جديدا في الجزائر، حيث تكونت الفروع وألقيت الخطب وعرف الناس قادتهم وأفكارهم عن كثب، ويقال أن أعضاء النجم سنة 1936 قد بلغوا 7000 شخص، ولم يزد اضطهاد الشرطة النجم إلا انتشارا وقوة". نفسه، ص 126.

(2) ibid, opcit, p 69. (النص الفرنسي)

(3) plan de revendications immédiates pour l'Afrique du nord présenté au front populaire (février 1936), ibid, opcit, p 70-76. (النص الفرنسي)

(4) ibid, pp 70-76. et collot-henry, le mouvement national, pp 74-79. نقلت عن جريدة الوفاق. الفرنسي الإسلامي التي تصدر في قسنطينة عدد 30 بتاريخ 11-06-1936.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

وقد عوّّل النجم وعلى رأسه زعيمه مصالي، على ليونة الجبهة الشعبية كما ذكرنا سابقا، والتي أصبح يدعوها إلى تفهم أوضاع الشمال الإفريقي، لكسب وده والتعاون معه، عكس ما كان ينادي به بالاستقلال قبل صعودها (=ظرفية تاريخية) فخاطب قائلا: "حقا نحن نعرف بأن حكومة الجبهة الشعبية تواجه مهمة صعبة ودقيقة، سواء على المستوى الداخلي أو على الصعيد الخارجي، فهي وارثة لوضع فاسد... فمن أجل هذا السبب ندعوها إلى الفعل، واتخاذ قرارات حيوية مفيدة باستمالة عطف وثقة 18 مليوناً من سكان شمال إفريقيا. إن بلدنا يطالب بالعيش في حرية وسلام، كما يدعو إلى تعليم أبنائه والسير به اتجاه التقدم والتحرر"<sup>(1)</sup>.

وقد اعتبر بعض الفاعلين التاريخيين أن تأسيس أحزاب في تونس والمغرب الأقصى، كان بمثابة فائدة كبيرة لصالح النضال، وهو الذي شتت قوى فرنسا هنا وهناك، ولكن في نظرنا بالرغم من إيجابياته إلا أن توالي الأيام، وتباين المواقف والرؤى المستقبلية فيما يخص علاقة كل طرف مع فرنسا، كان إضعافاً للاتحاد المقاوم المغربي<sup>(2)</sup>، الذي هدفت الإدارة الفرنسية دائما إلى تجزيه، بترويج دعاية مفادها أن الأمور السياسية تختلف بين الأقطار اختلاف كبيرا، فالجزائر ليس هي تونس والمغرب والعكس، فاستطاعت بذلك أن تتعامل مع كل هذه القوى كلّ حسب مطالبه، وهي خسارة نوعا ما لمشروع النجم الأولي، الذي كان قد بنى قاعدته على هياكل، وأسس، وقادة، وبرامج مغربية تستهدف الإنحداد من أجل المقاومة والاستقلال من ثم الوحدة على المدى القريب والبعيد.

(1) أحمد مالكي، المرجع السابق، ص 293.

(2) طالب شكيب أرسلان من الوطنيين التونسيين والمراكشيين مضاعفة الجهود من أجل مساعدة الجزائريين ومصالي الحاج بالخصوص في الوقوف ضد مشروع بلوم فيوليت الخطير على وحدة الشمال الإفريقي. أنظر:

CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, rapport de services des affaires indigènes nord-africaines, paris le 18 janvier 1937.

ولعلنا لا نستطيع الإمام بكل ما قام به النجم في ظرف عشر سنوات، فقد كانت أدبياته كثيرة جدا، وللأسف ضاع منها الكثير نتيجة المضايقات العديدة، وعدم الاهتمام بها حتى بعد الاستقلال، لكن ما يمكن أن نقوله هو أن النجم أسس بالفعل لوحدة مغاربية في هذه الفترة دعائمها قوية، لكن عديد الأحداث وقفت ضده، خاصة وأن افتراق الأحزاب، واختلاف طرق النضال، وقدم الحرب العالمية الثانية قد شتت القوى، لذلك ركز سليله حزب الشعب الجزائري بصفة كبيرة للجزائر، ولكن مع هذا لم يتخل أبدا عن رؤاه المغاربية بالرغم من الفترة الصعبة التي مرّ بها، فيا ترى كيف كان ذلك؟

### • حزب الشعب الجزائري (1937-1945):

تحدثنا باختصار في الفصل الأول عن ظروف تأسيس حزب الشعب الجزائري الذي حل محلّ النجم، وأصبح ينظر بصفة أكبر للقضية الجزائرية بالداخل، خاصة وأنه استبدل كلمة الجمعية بالحزب، وشمال أفريقيا بالشعب الجزائري<sup>(1)</sup>، وبالرغم من أنه اهتم أكثر بالتهيكّل والتموقع داخل الجزائر<sup>(2)</sup>، إلا أنه لم يتخلى عن بعده المغاربي أبدا، وظلّ متشبّثا بنفس المطالب تقريبا، إلا أنها عرفت تغييرات حسب الظروف، وبالخصوص لما كانت الحرب العالمية الثانية على الأبواب، فيذكر المناضل قنانش أن الشعب الجزائري كان يبدي رغبته في تحرير البلدان التي يشترك معها في الروابط التاريخية، وأن تحرير الشمال الإفريقي كان وسيلة لتأسيس المغرب العربي الموحد، كما أن الحزب أصبحت له سياسته الخاصة بالمغرب العربي للتضامن والوحدة<sup>(3)</sup>، ولعلنا نجد تفسيراً لهذا في كلام مصالي الحاج الذي قال عقب تأسيس الحزب: "... إن هذا المولود هو ولد كل الجزائريين... إلى غاية هذا اليوم كان نجم شمال أفريقيا يفهم

(1) يقول أحمد مهساس: " يبدو أن هذا التراجع التكنيكي في تصريح للمكتب السياسي وزع قبل كل شيء في شكل منشور

سري بالجزائر العاصمة". أنظر: أحمد مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 132.

(2) كانت المشاركة في الانتخابات فرصة لاتصال الحزب بالجزائريين، كما أن عديد الأحداث الداخلية كالمؤتمر الإسلامي الثاني

ومشاريع الادمج الخطيرة، جعلته يتفرغ بصفة كبيرة لتعبئة الجماهير الشعبية. أنظر: أحمد مهساس، نفسه، ص 137.

(3) محمد قنانش - قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص 65.

بأنه لا بد أن يكرس جهودهم للدفاع عن شمال إفريقيا كلها، ومع حزب الشعب الجزائري، أردنا أن تخص أنشطتنا الجزائر مع إبقاء علاقتنا مع تونس والرباط"<sup>(1)</sup>.

فيفهم من هذا القول إذن أنّ الحزب انتقل من مرحلة الدفاع والمقاومة عن كامل الشمال الإفريقي والمطالبة باستقلاله، إلى مرحلة الدفاع بصفة كبيرة عن مصالح الشعب الجزائري، والتنسيق مع زعماء الحركات الوطنية المغاربية لتوحيد الجهود لمقاومة فرنسا<sup>(2)</sup>، أي أن المقاومة بقيت، لكن كان لا بد على الحزب أن يختص بالقضية الجزائرية أكثر، لأنها كانت تسير للأصعب من جهة، ومن جهة أخرى هو احترام للنشاط الوطني (=للشأن الداخلي) الذي كان يقوم به الوطنيون المغاربة في تونس ومراكش<sup>(3)</sup>.

وقد تلخّص برنامج حزب الشعب هذه المرة في ثلاث عبارات بينت خطوطه العريضة وهي: "لا اندماج، لا انفصال، ولكن تحرّر"، و جاء في برنامجه أنه حزب يهدف للتطوير الأخلاقي للجزائريين، ويجتهد في العمل على الدعاية الأزمنة لتنوير الرأي العام بالمشكل الحقيقي

(1) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص 224.

(2) من خلال تلك التقارير الكثيرة التي كانت تعدها مصلحة المعلومات والدراسات (CIE) خاصة فرع قسنطينة، نلاحظ تطور العلاقات التي كانت تربط الجزائريين بالتونسيين، والتقارير أغلبها لسنة 1937 سنة تأسيس حزب الشعب الجزائري ودخوله الجزائر، وهو ما سهل المأمورية على عقد اتصالات ومشاورات، فتأسس الحزب دليل ربما حفز التونسيين أكثر للمعاملة مع طرف آخر موجود أولا بالجزائر، وثانيا لا يتدخل في الشؤون الداخلية للحركة الوطنية التونسية مثلما كان عليه الحال مع النجم، لذلك تحمس التونسيون كثيرا من خلال الزيارات الكثيرة التي كانت تقودهم إلى الجزائر لملاقاة قادة حزب الشعب، وجمعية العلماء وباقي الشخصيات الأخرى، وقد أرسل حاكم قسنطينة رسالة عاجلة وسرية إلى كل مخافر الشرطة والإدارات بعمالة قسنطينة يحذرهم من الزيارات التي تقود التونسيين إلى الجزائر والعلاقات التي تربطهم بأعضاء من حزب الشعب الجزائري و شخصيات أخرى أنظر: CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de préfet de Constantine، le 16 décembre 1937.

(3) "حمل حزب الشعب شعار استقلال إفريقيا الشمالية وعمل من أجل تحقيقه، غير أنه ليس بإمكانه أن يحل محل الحركات الوطنية بكل من تونس والمغرب، فلكل من العمل المراكشي والدستور الجديد استراتيجيته الوحدوية الخاصة المستوحاة من وضعية قانونية تتمثل في نظام الحماية المفروض على القطرين". أنظر: أحمد مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 136.

للجزائر<sup>(1)</sup>، ولعلّ المتأمل أيضا في البرنامج يلحظ أنه لم يشر لكلمة الشمال الإفريقي أو تحدث عن وحدة معه، بل بالعكس رأى أنه لا انفصال عن فرنسا، لأن الانفصال في تلك الفترة يعني الدخول مع الطليان والنازيين، و الاستقلال يعني الارتقاء في أحضان الفاشية<sup>(2)</sup>.

لكن ما يجب أن نشير إليه هو أنه في نفس الوقت، ركّز الحزب بصفة كبيرة على رفض سياسة الاندماج التي كانت تعني للحزب عزل الجزائر عن هويتها وفضائها المغاربي والعربي الإسلامي، وإدخالها في العائلة الفرنسية في حال ما إذا طبقت المشاريع التي كانت تعوّل عليها الإدارة، خاصة وأنها استمالت كثيرا من التيارات والشخصيات الجزائرية، لذلك من الصعب جدّا الحكم على سياسة الحزب في هذه الفترة ومن خلال هذا البرنامج فقط<sup>(3)</sup>.

لكننا سنعود قليلا إلى الوراء لنتكلم عن دور أحباب الأمة في الفترة الممتدة بين حل النجم وتأسيس حزب الشعب (26 جانفي-11 مارس 1937)<sup>(4)</sup>، والتي وإن كانت قصيرة لكنها حملت معها دائما الفكر الوحدوي المغاربي. فقد أعلن مصالي الحاج تضامنه وتعاونه مع الحزب الدستوري الجديد بمناسبة انعقاد مؤتمره في 31 جانفي 1937<sup>(5)</sup>، كما أن شكيب أرسلان جمع زعماء الحركات الوطنية المغاربية بمقر جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس

(1) أنظر نص البرنامج المؤرخ بتاريخ 10 أبريل 1937 في: قنانش - قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص 20-23.

(2) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص 84.

(3) جاء في المنشور الذي نشره الحزب 1937: "الجزائريون ليسوا فرنسيين، لا عرقيا ولا لغويا ولا دينيا". انظر:

CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، parti du peuple algérien، projet de charte revendicative، brochure n°01، Edition du journal E louma، 2pages.

(4) للاستزادة في الموضوع راجع: شايب قدادرة، الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007، ص 254-257.

(5) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص 143.

بتاريخ 21 فيفري 1937 وكان من بينهم مصالي الحاج والحبيب بورقيبة والفضيل الورثلاني ممثل جمعية العلماء والسيد خلطي ممثلا للمغرب الأقصى وذلك من أجل توحيد الجهود النضالية<sup>(1)</sup>.

وقد أرسل أحباب الأمة أيضا وفدا إلى تونس في 26 فيفري من نفس السنة، كان من بين أعضائه محمد قنانش، ومفدي زكريا، وعبد الرحمن بن العقون، وحسين لحول، وعبد القادر هرقة<sup>(2)</sup>، وكان هدف هذا الوفد "اطلاع الرأي العام التونسي على الحالة الحاضرة بالجزائر، وبحث سبل التعاون مع الحزب الدستوري الجديد، وإيجاد وسائل العمل الموحد في مختلف المجالات على نطاق الحزب ومنظمات الشباب والثقافة"<sup>(3)</sup>، وبالتالي إرساء لبنة المغرب العربي الكبير على أرض الوطن بعدما كانت على أرض الهجرة"، وكان من فوائد تلك الاجتماعات، والتصريحات، والمداومات التي حصلت بتونس، تنظيم الإضراب الشامل يوم 20 نوفمبر 1937<sup>(4)</sup> والتنديد والاحتجاج على الاعتقالات التي مست النقابيين وأعضاء في حزب الدستور، وبمحاكمة حزب الشعب الجزائري، والتنديد أيضا بالأحداث التي تسببت في إبعاد علال الفاسي ومناضلين آخرين من المغرب الأقصى، وهو ما اعتبره قنانش من أجل مظاهر العمل الوحدوي المغربي على الواقع<sup>(5)</sup>، وقد نشرت جريدة العمل التونسية

(1) CAOM، A46، 25h32، dossier 12، renseignement a.s du départ en France de messali hadj، Alger le 12septembre 1936.

(2) عبد الرحمن بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج2، المصدر السابق، ص411.

(3) CAOM، A46، 25h32، dossier 12، renseignement Tunisie، n°601، tournée de nationaliste algérien، Alger le 15mars 1937. 06 أنظر الملحق رقم

(4) أحمد مهساس، المصدر السابق، ص137.

(5) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص ص80، 81.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

منشورا بعث به حزب الشعب إلى الحزب الدستوري الحر التونسي ينضم فيه إلى الإضراب ثم جاء فيه: "مواطنينا التونسيين الأعزاء، تبعا لندائكم العظيم للإضراب العام التضامني المعين ليوم 20 نوفمبر عن جامعتنا، قررت بدورها إعلان الإضراب في الجزائر... وعليه فإن حزب الشعب الجزائري يشكر من صميم الفؤاد أخاه في الدين والكفاح، الحزب الدستوري التونسي على تلييته صوت الضمير، ويشير به أن عمله هذا قد بعث روحا جديدة في الشمال الإفريقي"<sup>(1)</sup>.

ولعل سنة 1937 أي سنة تأسيس الحزب، كانت مليئة بالتعسفات، والاعتقالات على المستويين الجزائري والمغربي، فتعرضت صحف ومنشورات الحزب للمضايقات<sup>(2)</sup>، لذلك كثيرا ما لجأ الحزب إلى صحف وجرائد أخرى محلية، ومغربية، للتعبير عن رؤاه وقضاياه، وفي هذا الصدد وجّه مجموعة من مناضلي حزب الشعب الجزائري نداءا ممضى من طرف مفدي زكريا<sup>(3)</sup> إلى الإخوان الوطنيين بالمغرب الأقصى، نشرته جريدة الأمة لأبي اليقظان (=خاصة وأنه مزايي ويملك علاقات جيدة معه) يناشدهم فيه بالالتفاف، والاتحاد فيما

(1) جريدة العمل التونسية، 1937، نقلا عن: محمد قنانش - قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص 77.

(2) ألقى القبض على كثير من القادة ابتداء من سنة 1937 ووصولاً إلى 1940 بحيث ألقى القبض على مفدي زكريا، وخليفة بن عمار، ومحمد مسطول، والحسين لحول، وإبراهيم غرافة، ومحمد قنانش وغيرهم نفسه، ص 92، 93، 98. أيضا: أحمد الخطيب، المصدر السابق، ص 253، 254.

(3) كنف مفدي زكريا في هذه الفترة اتصالاته بالقادة المغاربة، وقد زار تونس مرة أخرى في جوان بعض زيارته لها في فيفري 1937، وقد التقى بالطلبة الميزابيين والجزائريين هناك، وألقى محاضرة في الخلدونية تحدث فيها عن استعمار فرنسا للجزائر والجرائم التي ارتكبتها، ونشاط الحركة الوطنية، كما التقى بالشاذلي المكّي وتدارس معه وضع الطلبة، وذهب أيضا عند الحبيب بورقيبة، والدكتور الماطري وتحادثا عن سبل التعاون والتضامن بين الحزب الدستوري الجديد، وحزب الشعب، كما يكون قد حضر مسبقا للزيارة التي كانت ستقود مصالي الحاج إلى تونس لملاقاة الشيخ الثعالبي حسب ما تكهنت به إحدى التقارير أنظر:

CAOM, A46, 25h32. dossier n°12, lettre de résidence générale à M : le gouverneur général de l'Algérie : du nommé Zaccaria moufdi, Tunis, le 24juin1937.

أيضا: CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, rapport de (CIE) Alger, messali hadj, Alger le 1juillet1937.

بينهم ومما جاء فيه: " يعز علينا أن نراكم منقسمين منشقين، في وقت أصبحنا نبني فيه دعائم لوحدة شمال افريقيا كلها... بحركة الإسلام وشرف العروبة وقداسة الوطنية وذمام الأخوة ورحم اللغة العربية وكرامة شمال افريقيا وباسم الأمانة العظيمة التي على عاتقكم أن تتحدوا وتتساحوا وتتصافحوا وتنظموا صفوفكم كوحدة مرصوصة"<sup>(1)</sup>.

وربما التجأ الحزب في هذه الفترة أيضا للصحف التونسية كجريدة العمل، أو العمل التونسية أو تونس الفتاة لنشر مقالات أعضائه<sup>(2)</sup>، وكذا منشوراته ضد بلوم فيوليت وقمع زعماء الحركات الوطنية المغربية، فكتب المناضل الجزائري أحمد فليته بجريدة العمل التونسي مقالا جاء فيه: " وحده حزب الشعب الجزائري ثار ضد سياسة الاندماج، وحده انتفض من أجل سياسة اعتناق حقيقية، السياسة الوحيدة الممكنة عمليا بالجزائر وشمال افريقيا... مع مصالي، علال الفاسي وبورقيبة، سينتصر التيار الوطني بشمال افريقيا على الإمبريالية التي لا تشبع"<sup>(3)</sup>.

كما كتب أحد مناضلي حزب الشعب من عمال المناجم اسمه محمد بن ذيبة مقالا قيما عن الوضع في الشمال الإفريقي كآله، وقد نشرته جريدة العمل التونسية بتاريخ 1 أبريل 1938 ونقطف منه ما يلي: "إن الإمبرياليزم الفرنسي بمساعيه الغير الشريفة وبما أثاره من غضب في صدور الذين ما انفك يستغلهم ويمتص دمائهم، هو المكون لحركة الاستتكار التي تمز أعطاف الشمال الإفريقي الثلاثة... إن اليأس لن يكون له علينا سلطان لأننا نتذكر دائما أننا نعمل للأجيال الآتية... سنترك لهم افريقية حرة يمكن لهم أن يعيشوا فيها أحرارا سعداء وأقوياء، لأجل ذلك يسعى الإفريقيون الشماليون في التعارف ليتحدوا على الخصم المشترك... إن السعي المشترك الذي تقوم به الأفكار الثلاثة بالشمال الإفريقي ليضعض أركان الامتيازات التي

(1) الأمة: لأبي اليقظان، ع10 أبريل 1937، نقلا عن: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص413.

(2) راجع للاستزادة: مقالات الجزائريين في الصحف التونسية مثل: وحدة الشمال الإفريقي- أبناء القطر الشقيق يتضامنون معنا: نداء حار على شباب افريقيا العربي - محمد قنانش- محفوظ قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص ص 78-88.

(3) العمل التونسي 11 ديسمبر 1937. نقلا عن: محمد قنانش- قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص ص 51-53.

حصل عليها المتفوقون واستلبوها من أمتنا، وقد شعر الامبرياليزم بالخطر يهدده فأراد باتخاذ وسائل عنيفة أن يخمّد انفاس حركتنا بل أنفاسنا كلّها أولا وبالذات"<sup>(1)</sup>.

ولم تقف إدارة الحزب مكتوفة الأيدي جراء مضايقة جريدة الأمة كلّ مرة، بل سعت لاستصدار جرائد أخرى، وقد تكلمنا في الفصل الأول عن جرائد الحزب "كالشعب" التي كانت تصدر كاملة باللغة العربية<sup>(2)</sup> و"صرخة الشعب" التي كان رئيس تحريرها محمد قنانش و"البرلمان الجزائري" وغيرها، والتي دافعت دائما عن المغاربة وقضاياهم<sup>(3)</sup>، وفي هذا الصدد خصصت جريدة "الشعب" منبرا لشمال افريقيا، فكتبت في إحدى أعداده مثنية على توحيد صفوف الحركة الوطنية التونسية التي تفيد الوحدة المغاربية: "لقد كانت آمال من يهتم بتوحيد الواجهة الدستورية بتونس معلقة على رجوع الزعيم العربي الأكبر الأستاذ الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى بلاده... فنحن مغتبطون به ولنا وطيّد أمل وعظيم ثقة في رجل يدعو لوحدة الشمال الإفريقي إذ يكون موقفا في دائرة عادلة، لتوحيد الواجهة الوطنية بشقيقتنا تونس المفداة"<sup>(4)</sup>، كما كتبت في مناسبة أخرى تحت الشعوب المغاربية على دعم جمعية طلبة شمال

(1) محمد بن ذبية، صدى الشمال الإفريقي، جريدة العمل، ع1 أبريل 1938، نقلا عن: محمد قنانش - قداش، حزب الشعب،

المصدر السابق، ص ص 81-83. انظر التقرير الذي وضعه مركز المعلومات والدراسات فرع قسنطينة حول المقال:

CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE): traduction d'un article signé :

Mohamed bendiba : paru dans le journal tunisien « el Amel » du 1-4-1938 sous le

titre « écho de l'Afrique du nord », Constantine le 22avril1938.

(2) أحمد الخطيب، المصدر السابق، ص251.

(3) نشير إلى أن كثيرا من الأحزاب والجمعيات والصحف المغاربية، نملت واستوحت برامجها من مبادئ وأدبيات نجم شمال افريقيا، والتيار الاستقلالي الجزائري، وسعت إلى التنسيق معه، مثل "اتحاد الشبيبة الشمال افريقية" المؤسسة من طرف التونسي محمد العيد الجباري، والمغربي المنوي بن محمد. أنظر حول نشاطها المغاربي وأدبياتها تقرير:

CAOM، A46-25h32، dossier n°12، rapport de(CIE) : relations entre nationaliste algériens et tunisiens، le 9-12-1937.

(4) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية، المصدر السابق، ص131.

افريقيا المسلمين في أحد المؤتمرات الخاصة به فقالت: "يوم 6 سبتمبر على الساعة العاشرة نفتح أول جلسة من جلسات هذا المؤتمر العظيم، وقد طال انتظار إخواننا المغاربة لمشاهدة مظهر من هذه المظاهر الحيوية التي تمثل جبروت الشباب المؤمن القوي الوثاب، وإنه لا يمكننا أن نصف في هذه العجالة قيمة أعمال جمعية الطلبة وأثر هذه في يقظة الشاب المسلم بشمال افريقيا... وإننا نهب بشعب شمال افريقيا بمد يد الإعانة ماديا وأديبا لهذه الجمعية النبيلة"<sup>(1)</sup>.

كما نوهت جريدة البرلمان الجزائري وأثنت على تأسيس جريدة العمل الشمال إفريقي التونسية وقالت عنها: "فكرة العمل الشمال الإفريقي هي فكرة حزب الشعب...إننا في وقت التكتلات ومن واجبنا تحقيق كتلة الشمال الإفريقي...أصدر الشباب المسلم التونسي مؤخرا صحيفة تحمل التسمية "العمل الشمال إفريقي" باللغة الفرنسية بدأت بالظهور في 8 ماي 1939... تلك مبادرة ميمونة نحبيها، لأن عنوان الصحيفة نفسه يهجننا، ويتوافق تماما مع تصوراتنا للمشاكل الشمال افريقي، فقط تنسيق جهود كامل أبناء شمال افريقيا، يمكن أن يؤدي إلى اسعاد الشمال افريقيين"، ولعل المتأمل في هذه الفقرة الصغيرة فقط يلحظ كلمة الشمال الافريقي التي تكررت أكثر من ست مرات وهو خير دليل على تشبع الحزب بمبادئه وبرامجه المغاربية التي بقي عليها بالرغم من أن الظروف تغيرت.

ونددت الأمة في إحدى المناسبات أيضا بالتمييز العنصري الذي يطال المغاربة في مختلف المجالات، حتى في الألعاب الرياضية فتقول: "إن الأهالي المجندين لا يمكنهم في المستقبل الانتساب إلى ناد من الأندية. لماذا؟ لأن عداءا مغربيا فاز على **révolte** بطل فرنسا في سباق العدو الريفي - **cross country** منذ ثمانية أيام، يا مسلمي شمال افريقية، وأيها الفرنسيون المحبون للعدالة، لاحظوا العدالة في ظل الجمهورية الثالثة الشديدة الليبرالية..."<sup>(2)</sup>.

(1) محمد قنانش، المصدر السابق، ص ص 132، 133.

(2) الأمة، ع 36، ديسمبر 1938، نقلا عن: زوزو، المرجع السابق، ص 109.

وكتبت بلهجة حارة في 15 ديسمبر 1938 قائلة: "إن حزب الشعب الجزائري سيدافع عن المغرب العربي، ولا يمكننا أن نفرط في حفنة واحدة من نراب مغربنا الطيب، وإنما على استعداد للموت إلى آخرنا"<sup>(1)</sup>، كما نددت أيضا بالمؤتمر الإبخارستي الذي كان سيعقد في الجزائر في الفترة الممتدة بين 3-7 ماي 1939 وذكّرت على أن تونس الشقيقة مرت بنفس الاحتفالية الاستفزازية، بأن شيّد بعاصمتها تمثال للكاردينال لافيغري عام 1925، مبيّنة بأن فرقا كثيرة من الآباء البيض منتشرة في شمال إفريقيا لمحاربة الإسلام ونشر المسيحية، وأن كثيرا من الشيوعيين يعينونهم ماديا لتحقيق أغراضهم تحت غطاء الرعاية المعنوية للأهالي الشمال إفريقيين<sup>(2)</sup>، ولعلّ العدد الأخير من الجريدة قد حمل لها خبر التوقيف فيما بعد، خاصة وأن الحرب العالمية كانت على الأبواب، فعبرت الجريدة عن حقد المغاربة الدفين على فرنسا، وهو ما كان ليُفهم مباشرة على أنه وقوف ضدها في الحرب فكتبت تقول: "إن إفريقية الشمالية لا ترتبط بفرنسا بأي شعور، سوى الحقد الدفين في قلوبنا، الذي خلفه استعمار قرن من الزمن، باسم الجمهورية الفرنسية يخضع 60 مليون نسمة إلى للعبودية الدنيئة، عن وطننا هو المغرب ونحن فداه حتى الموت، إذا أردنا ان نكون رجالا أحرارا، علينا أن نكون ضد الفرنسيين، ونحن كذلك، وسنكون كذلك ودائما. فالاستعمار الفرنسي سيزول من بلادنا، دون أن يترك أي أثر، سوى ذكرى كابوس أليم"<sup>(3)</sup>.

ولعلّ الحزب ابتداء من سنة 1938 أكثر من توزيع المناشير التي يطالب فيها بإطلاق سراح المساجين<sup>(4)</sup>، ودعا في منشور إلى عقد رابطة بين تونس والجزائر وفاس للمطالبة

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 422، 423.

(2) مقال موقع باسم المدلوم، المؤتمر الإبخارستي (القبائلي) في الجزائر مدينة الإسلام، الأمة، ع أبريل 1939 نقلا عن:

محمد قنانش - قداش، حزب الشعب، المصدر السابق، ص 74.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 423.

(4) امتلأت الصحف التونسية أيضا بنداوات لإطلاق سراح مصالي الحاج، وقد كتبت جريدة العمل التونسي تقول: "مصالي لا ينبغي أن يموت من الجوع في السجن". انظر المقال:

CAOM, A46-25h32, dossier n°12 , **l'action tunisienne** : le22-10-1937.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

بإطلاق سراح مصالي الحاج، وعلال الفاسي، والحبيب بورقيبة<sup>(1)</sup>، وقد أورد الدكتور خالد بوهند مجموعة من الوثائق، والمنشورات، والقصاصات، والصور التي أصدرها حزب الشعب الجزائري والتي عثر عليها في علب الأرشيف بإكس أون بروفنس بفرنسا، والأبعاد المغربية التي حوتها تلك المنشورات، لذلك حاولنا اقتباس بعض النماذج منها.

ففي منشور لفدرالية القطاع القسنطيني لحزب الشعب الجزائري ورد ما يلي: "...وهذا الزعيم المغربي علال الفاسي يقاسي أقسى الآلام في الغابون بخط الاستواء حيث الشمس المحرقة والأمراض الفتاكة، ورفاقه في مجاهل الحدود المغربية يعسكرون الحجارة في الجبال مثل الأشقياء والمحرومين... وتلك شوارع بنزرت تجري بدماء شهداء الاعتداء بالرصاص على الإنسانية المعذبة..."<sup>(2)</sup>، أما في منشور آخر صادر عن فدرالية القطاع الوهراني للحزب جاء فيه: "في كل مكان من بنزرت، إلى كزبلونكا مرورا بالجزائر العاصمة وبسكرة، لا حديث إلا على الشكاوي، وأنين المنفيين، والسجناء، وحداد العائلات... في تونس، تتم محاكمة "بوقطفة" و"نويرة"

(1) يرى الدكتور مناصرية أن حزب الشعب الجزائري ربط مصير زعيمه مصالي بقضية التونسيين والمغاربة لكي يستفيد من ذلك سياسيا من أجل التدويل والضغط على الإدارة الفرنسية، كما لا يعتقد أن الحزب كان ليدافع عن مصالح شمال إفريقيا كما فعل من قبل في النجم. يوسف مناصرية، المرجع السابق، ص 117. وربما في نظرنا قد قزم الدكتور مناصرية نوعا ما من نشاط الحزب المغربي، فالبرغم من أن الحزب كان يستثمر في هكذا قضايا لإعطائها بعدا مغاربا، إلا أنه كان دائما ما يندد بالتجاوزات التي تقع في تونس والمغرب وحتى عندما كان قاده خارج السجن، ولعل المتأمل في الأدبيات التي ذكرنا سابقا ومحاولات خلق الوحدة عمليا يتبين له أن الحزب بقي ماض في طريقه المغربي رغم تغير برنامجه.

(2) خالد بوهند، حزب الشعب من خلال منشوراته 1937-1938، المجلة المغربية للدراسات التاريخية والاجتماعية، مجلة دورية محكمة يصدرها مخبر الجزائر: تاريخ ومجتمع في الحديث والمعاصر، جامعة جيلالي اليابس، الجزائر، العدد 06، جوان، 2013، ص 138. (لم يذكر الدكتور بوهند تواريخ هذه المنشورات والوثائق بالتدقيق، لكن المهم أنها كانت بين 1937-1938 وهي فترة تعرض فيها الحزب ووسائله كما ذكر قنانش لكثير من المضايقات). وعثرنا نحن على تقرير عن منشور صدر عن فرع الحزب بقسنطينة ونشر بجريدة الأمل التونسية بتاريخ 17 فيفري 1938 يندد فيه بالوضع الاستعماري في تونس، ويهتف بحياة الزعيم بورقيبة. أنظر: CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE) Alger : as/du parti du peuple algérien، Alger le 1avril1938.

وملاحقة بورقيبة، واعتقال الصادقي، وفي المغرب يتوفى "عمر عبد الجليل" في سجنه ويعاني الفاسي في منطقة الاستواء ن المرض، وفي الجنوب تقوم الشبيبة المغربية بالأشغال الشاقة"<sup>(1)</sup>.

توالت اهتمامات الحزب بالقضية المغربية، فذكرنا سابقا كيف كان يلتجأ مناضلو حزب الشعب إلى الصحف التونسية لإبداء آرائهم ومواقفهم<sup>(2)</sup>، وهذا لا ينفي أبدا عدم وجود صلات وثيقة مع مناضلي المغرب الأقصى بل بالعكس، ففي عام 1941 ذهب مناضل حزب الشعب شوقي مصطفى إلى المغرب الأقصى لقضاء عطلته، وهناك التقى بمناضلين من كتلة العمل الوطني، وهم يوسف والبشير بلعباس في مراكش، وبقي عندهما أسبوعا واحدا، وتحادثوا عن إمكانية التنسيق بين الطرفين الجزائري والمراكشي، في التخطيط والإمكانات، وقد اشتكى المراكشيون لشوقي مصطفى قلة إيمانهم، فأرسل لهم آلة سحب (رونيو) بعد رجوعه إلى الجزائر بعدما كانوا بأمس الحاجة إليها<sup>(3)</sup>، وربما في هذه الفترة قلت كثيرا أديبات الحزب (=الوحدوية) ومنشوراته، أو لنقل كانت شبه معدومة لأن ظروف الحرب لم تكن لتسمح أبدا بالدعوة للوحدة المغربية<sup>(4)</sup>، التي قد تفهم مباشرة أنها دعوة للثورة في شمال إفريقيا، وهو ما كانت تدعو إليه ألمانيا (=ودول المحور)، خاصة لما كانت قد

(1) خالد بوهند، المرجع السابق، ص 138.

(2) تضامن حزب الشعب مع التونسيين في أحداث أبريل 1938 وعدة أحداث أخرى، وكثفت اتصالاته مع قادة الدستور، والعمل المغربي في هذه الفترة بالرغم من المضايقات. انظر: أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 137.

(3) يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب الجزائري، المصدر السابق، ص 24.

(4) هذا لا يعني أنه توقف نهائيا عن إصدار المنشورات والبيانات والعرائض، ولكن بعد أن أدخل معظم القادة إلى السجن، من بقي منهم في الخارج كان يجب عليهم أن لا يظهروا نشاطاتهم لأنهم مراقبون من طرف الشرطة، لذلك قد ظهر أعضاء جدد في حزب الشعب في هذه الفترة لقيادته نشاطاته على غرار: أحمد مزغنة، أحمد بودة، وحسين عسلة، والدكتور محمد الأمين دباغين، ومقري حسين، ومحمد طالب... وكان الحزب يقوم بدعاية واسعة وسط الجنود الأهالي والمناضلين المساجين، فوزع هؤلاء نشريتي العمل الجزائرية، وصوت الأحرار، كما قاموا بإلصاق العبارات المعادية لفرنسا في الجدران مثل: الجزائر للجزائريين، والمطالبة بحرية وحياة مصالي وغيره من المناضلين. أنظر للاستزادة: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، المصدر السابق، ص 183.

استمالت عدة شخصيات عربية وإسلامية لصالحها، ولهم علاقات كبيرة مع زعماء الحركة الوطنية الجزائرية والمغربية كأمثال الأمين الحسيني، وشكيب أرسلان، لذلك وحتى وإن كانت هناك بعض المحاولات المنفردة أو السرية فنادرا ما كانت تصدر وثائق لكي لا تضع على نفسها الحجة.<sup>(1)</sup>

لكن بودنا أن نشير هنا إلى لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية (carna) التي تأسست في هذه الفترة (1939)، حاملة هي الأخرى التوجه الوجودي المغربي بدليل التسمية، فقد تأسست هذه اللجنة بفضل مجموعة من مناضلي حزب الشعب، والذين رأوا أنه يجب إيجاد طرق للتعاون مع ألمانيا النازية ضد فرنسا، ومن ثم تفجير ثورة تشمل كل الشمال الإفريقي<sup>(2)</sup>، وضمت هذه اللجنة عدة شخصيات أغلبهم شباب: كالرشيد أوعمار، وعبد الرحمن ياسين من أصول تونسية، وحمزة عمر، وحمود هني، والحاج شرشالي، ومحمد طالب، وبوقادوم مسعود، والشريف الساحلي، ومصطفى باشا، وشرقي محمد<sup>(3)</sup>، وقد اتصلت

---

(1) حذر حاكم قسنطينة في نهاية سنة 1937 من الخلية الموجودة في مدينة عنابة والتي تنتمي إلى جمعية "اتحاد الشبيبة الشمال إفريقية" التي يترأسها التونسي محمد العيد الجباري وتشكل من: بوسليمة عمار - أحمد سنوسي - شافي صادق - تاقيق محمد - محمد علي بن العربي - خنتوش خلاف أنظر:

- CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de préfet de Constantine، le 16 décembre 1937، p3.

(2) كانت المخابرات الفرنسية تراقب تحركات الأشخاص بدقة قبل اندلاع الحرب، ففي مذكرة استخباراتية جاء أن التونسيين المنحدرين من جربة، والتجار بمدينة قسنطينة ومنهم المدعو عياد، ربطوا علاقات مع أعضاء حزب الشعب بواد سوف، ومنتظرون فرانكو والألمان لمساعدتهم في طرد فرنسا، كما أن أحد الريفيين الشلوح من المغرب يدعى عبد السلام، يجول بمقاهي قسنطينة منذ عشرة أيام ويقوم بدعاية ضد فرنسا، ويقول إننا سنتقدم بعريضة مكتوبة لحماية ألمانيا بمساعدة الجنرال فرانكو، وأننا لسنا بحاجة إلى سلطاننا الذي لا يزال مطيعا للحكومة الفرنسية.

CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE)، A/S : P.P.A-NEO-DESTOUR-MAROC، Constantine le 21 mai 1938. أنظر الملحق رقم 07

محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 426. (3) Mohamed Derouiche، le scoutisme opcit، p95.

اللجنة خلال شهر أوت 1941 بممثلي حكومة فيشي في الجزائر مقدمة مطالب تتحدث عن الحرية والمساواة، لكنها لم تلق أي استجابة من طرف المسؤولين الفرنسيين<sup>(1)</sup>، فكانت غالبية تحركات هذه اللجنة في الشمال القسنطيني، فهي تمتاز بالسرية الشديدة، و تستهدف التنظيم للعمل المسلح (=منظمة فدائية) بصفة كبيرة، وقد كونت جريدة سرية تحت اسم العمل الجزائري<sup>(2)</sup>، لكن الراجح أنها لم تترك أدبيات كثيرة في هذه الفترة الجد صعبة والقصيرة، ولكنها استعملت بعض الكتابات الحائطية للتعبير عن مطالبها مثل: "أيها المسلمون اتحدوا ستترف راية الإسلام على شمال افريقية" - "أيها المسلمون انهضوا"، كما استعملت المظاهرات للتعبير عن مطالبها في العرائض، فكانت حسب الدكتور محمد بلقاسم تمثل نقيض ما كان يدعو إليه بورقيبة وفرحات عباس للوحدة المغاربية في إطار اتحاد فدرالي مع فرنسا<sup>(3)</sup>، لكنها عرفت معارضة شديدة من مصالي الحاج<sup>(4)</sup>، وأدى به لفصل كل الأعضاء الذين اشتبه فيهم الانتماء إليها، انطلاقاً من أنه لا يثق في الألمان أبداً<sup>(5)</sup>،

(1) شبوب محمد، الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه في التاريخ

الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة-وهران 1، 2015، ص115.

(2) محمد قنانش، المسيرة الوطنية، المصدر السابق، ص 74. أيضاً: بن خدة، المصدر السابق، ص294.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص432.

(4) في شهادة للمناضل معروف بومدين يقول بأنه كان في بداية الحرب مع أنصار الاتصال مع القيادة الألمانية، لكن معارضة مصالي جعلته يستدعي ويطلب مني عدم الانشغال بالحرب، لأنه كان مع العمل الشرعي. أنظر: رضوان عينايت، 8 أيار/ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ترجمة: محمد سعيد اللحام، منشورات ANEP، ط1، الجزائر، 2005، ص216.

(5) شبوب محمد، الجزائر في الحرب العالمية الثانية (1939-1945) دراسة سياسية واقتصادية واجتماعية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أحمد بن بلة-وهران 1، 2015، ص115.

لكن أعيدوا فيما بعد، بوساطة من الشاذلي المكّي الذي كان هو الآخر يحمل نفس الأفكار الميالة لدول المحور، والتي سجن من أجلها وأطلق سراحه عام 1943<sup>(1)</sup>.

ولعل سؤالاً قد يتبادر إلى أذهاننا وهو مشاركة حزب الشعب في الإمضاء على بيان الشعب الجزائري الذي حرّره فرحات عباس وملحقه، والذي وقع فيه كل من حسين عسلة<sup>(2)</sup>، والأمين دباغين<sup>(3)</sup>، ومفدي زكريا، وقدم إلى الحاكم العام بالجزائر وقادة الحلفاء في 31 مارس 1943، فهو وإن حمل مطالب قوية وواقعية تجرم الاستعمار، وتطالب بحقوق الجزائريين، إلا أنه نص على أن "تشكيل الدولة الجزائرية لا يستبعد من جهة أخرى الانضمام مع المغرب الأقصى وتونس، لاتحاد فدرالي لدول الشمال الإفريقي أو اتحاد الشمال الإفريقي الذي يبدو لكثير من الأذهان كأحسن قاعدة للمستقبل"<sup>(4)</sup>، وهو ما يتنافى ودعوات النجم وحزب الشعب لعقد وحدة مغربية في إطار الأمة العربية الإسلامية؟

ليس في وسعنا العودة من جديد وتحليل كل ما جاء في البيان وظروف تحريره<sup>(5)</sup>، لكن قد ننتقل من تعريف وتفسير قنانش لشخصيتي ومواقف حسين عسلة والأمين دباغين في هذه

- (1) يقول المناضل محمد قنانش: "ضرورة توحيد القوى الوطنية سمح لهم بالرجوع، لكنهم لم يرجعوا كأفراد كما كان ينتظر، ولكنهم رجعوا بتنظيماتهم المختلفة، وبنظراتهم السياسية وممارستهم الانتهازية فاستولوا على جميع النقاط الحساسة في الحزب وأصبحوا نظاما داخل نظام" أنظر: محمد قنانش، المسيرة الوطنية، المصدر السابق، ص 73. أيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 431.
- (2) حسب قنانش: "كان عسلة صديقا حميما لفرحات عباس، وكان يحسن التحدث والتحليلات السياسية، كما كان يضيّق بممارسات الأمين دباغين وعادة ما ينتقده خاصة وأن القرار كان دائما في يد هذا الأخير بما أنه كان الرجل الثاني خلف مصالي في الحزب، لذلك كانت سياسة حين عسلة هو تقييد وتهدئة أو حتى توريث الأمين تيار دباغين". قنانش، المسيرة، نفسه، ص 74.
- (3) يقول قنانش: الأمين دباغين وجد نفسه مسؤولا في غياب رئيس الحزب، من غير تجربة سياسية وممارسة فعالة ومن غير أن يستوعب نظرية الحزب ومسيرته النضالية، كانت له نظرية وطنية صادقة، ولكنها غامضة، كان عاجزا عن شرحها أو الاقتناع بها، ولم تكن له استراتيجية يخطط بمقتضاها، فهو يرتجل الأوامر، ولا يفكر إلا في النتائج". قنانش، المسيرة، نفسه، ص 74.
- (4) يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال نصوصه (1912-1948)، المصدر السابق، ص 91.
- (5) للاستزادة راجع: شوب محمد، الجزائر في الحرب العالمية الثانية، المصدر السابق. يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المصدر السابق.

الفترة، فحسين عسلة كان صديقا حميما لفرحات عباس، وقد يكون أقنعه بفكرة التوقيع على البيان هذا من جهة، من جهة أخرى كان على حسين عسلة<sup>(1)</sup>، التوقيع من جديد في السياسة، والحزب بصفة خاصة، وبالخصوص لما كان من المنجذبين لدعاية النازية، أما الأمين دباغين فقد وقع البيان لأنه كان المسؤول الأول على الحزب في ظل غياب مصالي الحاج، وربما لم يكن لم يكن يملك حتى الخبرة الكافية حسب قنانش<sup>(2)</sup>، ثم أنه كان من بين دعاة وجوب اختراق كل التنظيمات الرسمية الشرعية، واغراقها في المعركة، حتى يضرب الاستعمار الفرنسي كل تلك التنظيمات فيصبح الشعب ثوريا، ولعل الدخول في مشروع أحباب البيان، كان غطاءا للعمل السري الذي يقوم به حزب الشعب الجزائري والذي انعقد مؤتمره في مارس 1945 حسب قنانش تحت ضغط التطرف<sup>(3)</sup>، ولعل المدارس جيدا لحشيات وظروف وقوع مجازر 8 ماي 1945، يلحظ عملية التعبئة الكبيرة لحزب الشعب خاصة، وأنه اخترق معظم الشعب التابعة لحركة أحباب البيان وسيطر عليها<sup>(4)</sup>.

(1) كان لعمر لاغا الناشط الكشفي علاقة جيدة بحسين عسلة الذي كان الضامن الأساسي لنشاطات الكشافة التي كانت تختفي في شعبها الكارنا (لجنة العمل الثورية الشمال افريقية) والتي كانت قد تغلغلت أيضا في أوساط الجمعيات الشبانية والرياضية، والمدارس، والمراكز الثقافية، أنظر: Mohamed derouiche , opcit , pp96- 97.

(2) يقول بن يوسف بن خدة عن الأمين دباغين كلاما يختلف نوعا ما عن مقولة قنانش، إلا أنه يتفق معه في كثير من الأشياء فيقول: "برز الأمين دباغين كشخصية محورية في هذا المؤتمر (يقصد 15-16 فيفري 1947 ببوزريعة) كان على رأس الحزب من 1941 إلى 1945 عندما كان مصالي ولحول في السجن... كان بالنسبة لي بمثابة الأخ الأكبر في الوطنية" وكان دباغين حسب بن خدة يتأسف لأمرين هما تضييع فرصة نزول الامريكاني بأفريقيا الشمالية 1942، وعدم وجود أيولوجية لحزب الشعب الجزائري" ويقول عنه أيضا مقيما أدائه كأمين عام في مؤتمر زدين 1948-1949 فيقول: "كان الأمين دباغين الرجل العمدة في المؤتمر... ولسوء الحظ قد خيب الآمال... بسبب غيابه المتكرر... إن حساسيته المفرطة، وتبرمه من النقد، وعزوفه عن العمل الجماعي جعل أقرب أصدقائه ينفضون من حوله" أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص ص 179، 180-195.

(3) محمد قنانش، المسيرة الوطنية، المصدر السابق، ص 75.

(4) للاستزادة راجع: رضوان عيناود تابت، المرجع السابق، ص ص 136-139.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

وفي رأينا أن الحزب في هذه الفترة كان يسعى لإظهار ميوله لمساندة فرنسا في حربها والابتعاد عن الدعاية النازية أولا ، وأن يستثمر في إنزال الحلفاء ثانيا، والخروج بحل توافقي يرضي جميع أطراف الحركة الوطنية الجزائرية، ثم إن مصالي الحاج كان قد أعلنها صراحة أمام القضاة(=وتجنبنا لقسوة المحاكمة أيضا) منذ الأيام الأولى للحرب، قائلا: " نرغب في المساواة المطلقة واحترام تقاليدنا، ولغتنا، وديننا، ونحن لا نريد الانفصال عن فرنسا، ولكن نريد التحرر بإعانتها في إطار السيادة الفرنسية وأعلن عن أمله في إحداث تغييرات جديدة وعلاقات جديدة مع فرنسا"<sup>(1)</sup>، لكن ربما لو كان مصالي خارج السجن لكان هناك كلام آخر في الموضوع، وربما لتدخل بصفة مباشرة في صياغة البيان، ففرحات عباس لما عاد من فرنسا 1940 وجد الساحة السياسية خالية، فابن باديس توفي في أفريل من نفس السنة، ومصالي كان في السجن ومحكوما عليه بالأعمال الشاقة لمدة 16 سنة ابتداء من 21 مارس 1941، لذلك كلف بتحرير البيان لوحده، ولكن استطاع أن يجلب موافقة غالبية من استشارهم في تلك الفترة<sup>(2)</sup>.

ويذكر فرحات عباس أنه اتصل بمصالي الحاج وتشاور معه في منفاه عندما زاره بتاريخ 23 ديسمبر 1944 بقصر الشلالة، وأقنعه بالانتساب لأحباب البيان والحريّة<sup>(3)</sup>، والتي رفع قوانينها الأساسية شخصيا لمسؤولي عمالة قسنطينة، ونص أحد بنودها الترويج لفكرة انشاء دولة جزائرية، وتأسيس جمهورية مستقلة مترابطة بروابط فدرالية مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للاستعمار، لكنه في نفس الوقت بقي متحفظا(=مصالي) جدا فقال

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص182.

(2) فرحات عباس، ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها1)، ترجمة أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2001، ص115. أيضا: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص185.

(3) يقول الدكتور محمد بلقاسم: " اتخذ حزب الشعب الجزائري هذا المشروع المعتدل على ما يبدو كتغطية للوصول إلى هدفه الحقيقي، وهو الحصول على استقلال الجزائر الكامل عن طريق الثورة. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص483.

لفرحات عباس: "إنني أوليك ثقتي، لتأسيس جمهورية جزائرية متعاونة مع فرنسا، ولكنني لا أثق البتة في بفرنسا، لأنها لا تدعن إلا للقوة ولا تعطي إلا ما ينتزع منها من يدها انتزاعاً"<sup>(1)</sup>.

لكن المؤتمر الذي عقد في 2-4 مارس 1945 وضم حزب الشعب، وأحباب البيان وجمعية العلماء، رفض فيه حزب الشعب بأغلبية ساحقة رأي أحباب البيان الذي يرى في جمهورية جزائرية متحدة مع فرنسا، وأصر على المطالبة بالاستقلال الكامل عن فرنسا والاتحاد مع بلدان المغرب العربي<sup>(2)</sup>، وحسب رأي المناضل أحمد بودة فإن قيادة حزب الشعب، كانت تنوي تهريب مصالي الحاج من منفاه بقصر الشلالة إلى إحدى النواحي بالجنوب السطايفي، ثم إلحاق فرحات عباس، والشيخ البشير الإبراهيمي وإعلان حكومة جزائرية تضم الأقطاب الثلاثة، وتعلن العصيان على الحكم الفرنسي، و كانت هذه الخطة مؤقتة مع اجتماع العشابة الذي جرى في أبريل 1945<sup>(3)</sup>، غير أنها لم تنجح لأن السلطات الفرنسية نقلت مصالي إلى برازافيل بالكونغو في 23 أبريل من نفس السنة<sup>(4)</sup>.

لذلك لا يمكن أن نحكم أو نقسو على فكر الحزب، وتوجهه الوحدوي الفدرالي مع فرنسا في الحرب العالمية الثانية، خاصة وأن كل الأحزاب المغربية انتهجت نفس النهج في هذه الفترة العسيرة، بحيث شارك المغرب الأقصى مع فرنسا في حربها، وساندها مساندة غير

(1) فرحات، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 122.

(2) يرى د. محمد بلقاسم أن مناظلي حزب الشعب يكونوا قد تأثروا بميلاد الجامعة العربية. بلقاسم، المصدر السابق، ص 486.

(3) محمد قنانش، المسيرة الوطنية، المصدر السابق، ص 63. لعلنا نقول استثمر في قيامها، لأن بعض الشهادات ممن حضرت لمجازر 8 ماي ذكرت بأن أن الجامعة العربية كان مشكوكا فيها من طرف غالبية الناس، ومن طرف بعض العلماء لأنها صنيعا بريطانية، والغالبية (=عامية الناس وليس المناضلين) كانت تركز على شرعية الأطلسي. انظر للاستزادة الشهادات الحية لرئيس بلدية سطيف، وأحد المندوبين الخاصين في سطيف لعام 1945 في: رضوان عيناود تابث، المرجع السابق، ص 220-226.

(4) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 487.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

مشروطة<sup>(1)</sup>، محاولا الاستثمار في مؤتمر أنفا بالدار البيضاء (14-24 جانفي 1943) والانشغال بوثيقة الاستقلال 1944<sup>(2)</sup>، أما الحركة الوطنية التونسية هي الأخرى حاولت الاستثمار في انزال تونس، وتموقع الحلفاء هناك لحوض معركة مونتني كازينو، وانشغلت أيضا بعريضة الباي المنصف المقدمة للحكومة الفرنسية (2 أوت 1942)، كما لا ننسى دور ندوة برازافيل 1944 وتداعياتها مغاريا، بحيث اعترفت بحق الشعوب بتسيير شؤونها بنفسها ضمن اتحاد فرنسي، لذلك ظل التنسيق المغربي محتشما في فترة الحرب العالمية الثانية، فركز على استقلال الأقطار المغربية منفردة، وليس على ترسيخ وحدتها<sup>(3)</sup>.

بعد نهاية الحرب العالمية 1945 والمجازر الدموية التي راح ضحاياها عدد كبير من الجزائريين والمغاربة بصفة عامة، أصبحت استراتيجية الحزب هي بعث جبهة موحدة للنضال على مستوى المغرب العربي<sup>(4)</sup>، لذلك جرت اتصالات جديدة بين مسؤولي الأحزاب المغربية (حزب الشعب-الحزب الدستوري الجديد-حزب الاستقلال)، فسعى حزب الشعب لتأسيس جبهة موحدة على مستوى المغرب العربي هدفها المطالبة باستقلاله، وحرص على عدم دخول أي طرف في مفاوضات منفردة<sup>(5)</sup>، قبل الاتفاق مسبقا مع جميع الأطراف وقبل

---

(1) لقد كان موقف الملك محمد الخامس من الحرب واضحا، وكان يدرك أنّ مصلحة البلاد تقتضي ان يكون المغرب بجانب الحلفاء، وقرر المشاركة في الحرب بما لديه ثروات مادية ودعم بشري، ولقد أصدر ظهيرا في سبتمبر 1939، طلب فيه من وزرائه= ورجال العلم أن يبحثوا الشعب على ان يكون وفيما ومخلصا لمساندة فرنسا. أنظر: أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية من 1930-1940، ج1، مطبعة النجاح العربية، 1992، ص ص 481، 482.

(2) يقول علال الفاسي: "من العيب أن ينكر تأثير أجواء الحرب وإعلان وثيقة المحيط الأطلسي ونزول الحلفاء بالمغرب، واستقلال سوريا ولبنان، من العيب أن ننكر ما أحدثه ذلك من تفاعل في نفوس الوطنيين شجعهم على اتخاذ السياسة الصريحة في مطالبهم" علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 283.

(3) محمد مالكي، المرجع السابق، ص 449.

(4) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 488. (حوار المناضل الشاذلي المكي مع الدكتور بلقاسم).

(5) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، المصدر السابق، ص 151.

الاتفاق على العمل السياسي والعسكري المشترك الموحد، فيما إذا تقرر القيام بثورة مسلحة ضد الفرنسيين أو الاسبان (1).

ولأجل هذا الغرض سافر الأمين دباغين ومبارك الفيلاي سرًا إلى تونس وانضم إليهما الشاذلي المكّي الآجئ بالعاصمة التونسية منذ ماي 1945، واتصلوا بالفاضل بن عاشور رئيس جامعة الزيتونة، و الشاذلي القليبي المناضل في الحزب الدستوري الحرّ (=القديم) والمحامي حسن القلاقي، وشخصيات تونسية أخرى، وقد كانت آراء جميع التونسيين تتفق على ضرورة عرض الفكرة على قيادة الحزب الدستوري الجديد، فالتقى الوفد الجزائري بأعضاء المكتب السياسي للحزب الدستوري، وهما المنجي سليم وعلال البهلوان بالإضافة إلى صالح بن يوسف (2) اللذين اشترطا قبل الاتفاق ابعاد الاتجاهات السياسية الأخرى، والتي لم تبد معارضة بعدما اضطلعت فيما بعد على نتائج اللقاء، خاصة وأن أعضاء الدستور وافقوا على مقترحات حزب الشعب، وقدّما وعودا بالقيام بعمليات مسلحة في الجنوب وتنظيم إضرابات عامة في الشمال (3).

ومن تونس سافر الأمين دباغين ومبارك الفيلاي إلى المغرب الأقصى، ودخلا متخفيين في لباس بني يزناسن، وساعدهما على ذلك المناضل سليمان قارة الذي كان يعمل حاكما في سكة الحديد، فقصدا الدار البيضاء والتقيا بالمهدي بن بركة أحد قادة حزب الاستقلال، الذي كان يعرفه دباغين من قبل حينما كان طالبا بجامعة الجزائر، فجمعها ببعض المناضلين

(1) يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، المصدر السابق، ص 24.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 489.

(3) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 151. لكن دباغين اشتكى للمناضل سليمان بن سليمان قائلا له أن عضوي الدستور المنجي سليم وعلالة البهلوان لا تريد تنسيق العمل على المستوى المغربي. محمد بلقاسم، نفسه، ص 490، نقلا عن Sliman ben sliman ,souvenirs politique ,Edition productions tunis,1989, p219,

من الحزب منهم أحمد بلافريج، وعمر بن جلون، ومحمد بن ناصر الذي كان مسؤولاً عن خلايا الحزب بوجدة، وتذكر المصادر أن تلك المحادثات كانت جد عسيرة، خاصة عندما كان يعتبر المناضلون المغاربة أن القضية الجزائرية جد معقدة، بحكم أنها مقاطعة فرنسية متكونة من عمالات، عكس المغرب الذي كانت تحكمه الأسرة الملكية التي تعيش فقط تحت الحماية، ولكن مع ذلك وافقوا على تلك الوثيقة (=البيان) والذي اقتضى التعاون بين الأطراف المغاربية الثلاثة على أساس "تحضير عملية مشتركة على مستوى الشمال الإفريقي بهدف استقلال البلدان الثلاثة بما في ذلك اللجوء إلى العمل المسلح"، وتم التوقيع على الوثيقة من طرف: محمد الأمين دباغين عن حزب الشعب - المنجي سليم وعلال البهلوان عن الحزب الدستوري الجديد - ومحمد بن ناصر عن حزب الاستقلال المغربي<sup>(1)</sup>.

ولكن عندما قفلا عائدين إلى الجزائر مرًا بوجدة فالتقيا موفد حزب الشعب في مدينة وجدة الحاج حسن سليمانى الفارّ من الشرطة الفرنسية بالجزائر والأجى بالمغرب، فأخبرهما بأن المسؤول المغربي محمد بن ناصر الذي أمضى الوثيقة معكم ليس من قادة الحزب البارزين، لذبك سيبقى هذا الاتفاق مجرد حبر على ورق، وهو ما حدث فعلاً بحيث أن كل الاتفاقيات المبرمة خرقت، فسرعان ما دخل الإخوة التونسيون والمغاربية في مفاوضات مع الفرنسيين، دون إطلاع حزب الشعب الجزائري على ذلك، وللأسف هذه الوثيقة التي تعد من أديبات النضال الوجدوي المغاربي المشترك بقيت مفقودة، ولعلها تكون حسب بن خدة بين وثائق الحزبين الدستوري والاستقلال<sup>(2)</sup>.

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 152.

(2) نفسه، ص 153.

• حركة انتصار الحريات الديمقراطية (1946-1954):

مثلت فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية أهم فترات التنسيق لوحدة مغربية من أجل الكفاح والتحرّر وكذا من أجل بناء وحدة المغرب العربي، فقد عرفت هذه الفترة تجارب وحدوية مغربية زاخرة، استفادت من عدة عوامل داخلية وخارجية، ليس لنا مجال هنا لذكرها، وقد تطرقنا إليها في الفصل الأول، ولعل من أبرزها بالنسبة للجزائر داخليا هو نقطة اللّارّجوع التي وصلت لها الحركة الوطنية، وظهور جيل يؤمن بالخيار المسلح حلاً بعد مجازر 8 ماي 1945، وخارجيا بالنسبة للأقطار المغربية الساعية للتحرر، هو انشاء جامعة الدول العربية، وانفتاح المشرق عامة ومصر خاصّة، لاستقبال الزعماء المغاربة الفارين والأجئيين والمبعدين، لذلك لعبت جبهة الدفاع عن افريقية الشمالية التي تطرقنا إليها دورا كبيرا في التعريف بالقضية المغربية، وبالتالي خلقت قاعدة أساسية سيعمل عليها المناضلون الجزائريون والمغربيون فيما بعد من أجل الهدف المرسوم.

ولعل المتحدث عن نشاط الوطنيين بالقاهرة سوف لن يتغاضى أبدا عن نشاط مكتب المغرب العربي بالقاهرة الذي أسس بعد مؤتمر القاهرة فيفري 1947<sup>(1)</sup>، ولكن قبل هذا يجب أن نلقي الضوء على نشاط حزب الشعب ودعواته الوحدوية هناك قبل هذا المؤتمر. فقد أرسل حزب الشعب في أكتوبر 1946، ممثلا في مكتبه بالقاهرة، أياما قليلة فقط قبل ظهور التسمية الجديدة للحزب (=حركة الانتصار)، بيانا عاما (=مذكرة) إلى وفود الدول العربية في الدورة الرابعة لمجلس الجامعة العربية، والذي كنا اقتبسنا منه بعض الفقرات في الفصل الأول، فهو بيان حوى مجموعة كبيرة من التقارير والاحصائيات حول السياسة

(1) تكثر الآراء حول كفاءات انعقاد المؤتمر والشخصيات الأولى التي سعت من أجله. للاستزادة في ذلك راجع: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 527-531.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

الفرنسية في الجزائر، وأفريقيا الشمالية (=المغرب العربي) بشكل عام، وطالب الجامعة العربية بتقديم يد المساعدة للتعريف بالقضية الجزائرية والمغربية وهو ما يهمننا، فالبرغم من أن مجازر 8ماي 1945 مست الجزائر بصفة رهيبية ودموية عن باقي الأقطار المغربية، فقد ندد الحزب بهذه المجازر، لكن لم ينس أبدا القضية المغربية التي ما هي إلا جزء لا يتجزأ من القضية العربية الإسلامية، ومما جاء فيها بخصوص الموضوع: "لقد حاولت فرنسا-أيها السادة- أكثر من مرة لكي تحقق حلمها القديم... وإنكم إذا علمتم أن فرنسا تريد أن تعيد لنفسها في افريقيا الشمالية ما كان لروما الزائلة من سلطان، أدركتم عظم المسؤولية الملقاة على عواتقكم... حذار حذار من المغالطات التي تهدف إلى حلّ مسألة تونس ومراكش-مثلا- فحسب وإهمال القضية الجزائرية أو إهمالها، فالمغرب العربي قضيته واحدة، وأمله واحد، وهدفه واحد..."<sup>(1)</sup>.

فالبيان حذر مجلس الجامعة العربية ومعها التونسيين والمغاربة، من مغبة الوقوع في الخطأ والتفاوض على القضيتين المراكشية والتونسية فقط، وترك القضية الجزائرية أصعب هذه القضايا، خاصة وأن فرنسا كانت تنوي اعطائهما الاستقلال، والاستفراد بالجزائر ومساحتها الشاسعة التي تحوي كثيرا من الخيرات، والمراكز الاستراتيجية في قلب قارة افريقيا.

كما قدم البيان جملة من التفاصيل والاحصائيات والجرائم التي ارتكبتها المستعمر في حق الثقافة المغربية وأسسها القائمة خاصة الإسلام واللغة العربية، فجاء فيه "إننا لم نفهم ما معنى تدخل الحكومة الفرنسية العلمانية في الدين الإسلامي بالمغرب وخاصة الجزائر؟... إن من تتبع كل هذا عرف النوايا السيئة الخبيثة التي تبيتها فرنسا الغاصبة المستبدة للأمة الجزائرية بل العروبة في شمال افريقيا"<sup>(2)</sup>، وفي الأخير أصر البيان على أنه لم ولن ينوي الدخول في الاتحاد الفرنسي أو الاندماج، الذي يعتبر خطرا على الوحدة المغربية، والوحدة العربية الإسلامية موضحا: "

(1) بيان عام عن حوادث سطيف الدامية بالجزائر(ماي 1945)، مجلة الذاكرة، المرجع السابق، ص 83، 84.

(2) نفسه، ص 88.

أن الشعب الجزائري لم يطلب قط، ولن يطلب أبدا مشروع الاتحاد الفرنسي ولا مشروع الاندماج مشروع الفرنسية... " واختتم البيان قائلا: " هذه الصورة موجزة جدا لما تجري عليه الأمور عندنا في المغرب عامة، وفي الجزائر خاصة... ولعلكم تسمحون لنا... أن ندعي أن خطوة ناشطة حازمة من الجامعة العربية في قضيتنا تكفي لوضع الأمور في نصابها وتعيد للشمال الإفريقي ما اغتصبه منه الاستعمار من حرية وعز واستقلال" (1).

هذا وقد نشط مكتب حزب الشعب/حركة الانتصار في القاهرة كثيرا في العمل الصحفي، بحيث اتخذ من الصحف المصرية أداة إعلامية هامة، من أجل التعريف بالقضية المغربية، فنشر المقالات، والمنشورات، والبلاغات، وقدم الاحصائيات والتقارير، وعقد الندوات الصحفية (2)، وللأسف لم نستطع الوصول إلى تلك الأدبيات التي توجد في الصحف المصرية أو في دور الأرشيف ربما، والتي تحتاج صراحة إلى دراسة مستقلة (3).

ولعل هذا يستوقفنا أيضا لاستبيان مشاركة حركة الانتصار للحرريات الديمقراطية (=حزب الشعب)، الذي شارك الشاذلي المكي ممثلا له في مؤتمر المغرب العربي بالقاهرة، فقد افتتحت جلساته بتاريخ 15 فيفري 1947 بمقر المركز العام لجمعية الشبان المسلمين تحت

(1) نفسه، ص 97.

(2) محمد بن عبود، مكتب المغرب العربي بالقاهرة (دراسات ووثائق)، مطابع منشورات عكاظ، الرباط، ص 12.

(3) كانت منشورات ومطويات حزب الشعب منتشرة في عموم المغرب أيضا، ففي تقرير مؤرخ في 12 أيار 1946 من تونس صادرت منشورا مكتوبة باللغة الفرنسية مضمية من طرف عمار عيماش، وكان يجوب منطقة "مكتر"، ومما جاء فيه: "أين مصالي الحاج زعيمنا؟ هل هو ميت أم حي؟"، ووصولها على تلك المنطقة دليل على الروح الوحدوية التي كانت تجوب الشبيبة المغربية فترة كما بعد الحرب. أنظر:

A.N.T، série : mouvement national، carton 54، dossier n° 4، note n°، 1716 A/S : tract du P.P.A، Tunis le 16juillet 1946.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

رئاسة عبد الرحمن عزام باشا، وبحضور عديد الشخصيات العربية والإسلامية<sup>(1)</sup>، أما الجلسات التي دامت أسبوعاً كاملاً، فكانت بمقر الحزب الدستوري التونسي الجديد في رقم 10، شارع ضريح سعد<sup>(2)</sup>، وعقدت لها أربعة لجان وهي:

1- لجنة مكاتب المغرب العربي، والدعاية في الشرق.

2- لجنة تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب، وارتباطها بالحركات في الشرق.

3- لجنة السياسة الاستعمارية في بلاد المغرب.

4- لجنة العلاقات مع الجامعة العربية والمنظمات الدولية.

وإذا عملنا بالترتيب الذي نقله الدكتور محمد بلقاسم عن ذكريات الرشيد ادريس، فإن الشاذلي المكّي ممثل حزب الشعب، يكون شارك في اللجنة الثالثة أي "لجنة السياسة الاستعمارية في المغرب العربي" بمرافقة كل من الطيب سليم، وعبد الكريم غلاب، وإحمد بن عبّود<sup>(3)</sup>، وقد عاجلت هذه اللجان طيلة أيام المؤتمر المحاور التالية: الاستعمار الفرنسي

---

(1) جمع الدكتور بلقاسم أسماء الحضور، ونعيد ذكرهم على سبيل الإفادة: اللواء صالح حرب (وزير الدفاع المصري)، ومنصور فهمي (مدير الجامعة المصرية)، وأحمد أمين (عميد كلية الآداب بالقاهرة)، وعبد القادر مختار (من رجال السياسة والعروبة)، والشيخ صبري وسيد قطب (من الإخوان المسلمين)، والشيخ عبد اللطيف دراز (من علماء الأزهر)، وعبد القادر المغربي (عالم ومؤلف من دمشق)، ومحمد علي الطاهر (مجاهد فلسطيني صديق المغرب العربي)، وتقي الدين الصلح (سياسي من لبنان) وأعضاء الوفد اليمني بالجامعة العربية، وإسماعيل الأزهرى (رئيس الوفد السوداني)، وأحمد نجيب بركة (برلماني ومحامي من أصل مغربي)... وغيرهم. انظر: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 531، 532. يوسف الرويسي، المصدر السابق، ص 105

(2) يوسف الرويسي، المصدر السابق، ص 106.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 536، 537 (الهامش رقم 4).

والاسباني -تنسيق الحركات الوطنية في بلاد المغرب-المغرب العربي والجامعة العربية-عرض قضية المغرب العربي على الهيئات الدولية-توحيد جهود المكاتب المغربية في مصر<sup>(1)</sup>.

ولعل إطلالة سريعة على الشخصيات المشكلة للجان المشاركة في المؤتمر، يبين لنا أن العنصر الجزائري هو الأضعف من بين كل الأعضاء الآخرين، الذين كان غالبيتهم مغاربة وتونسيين، خاصة وأن الحزب الدستوري كان يملك مقرا في القاهرة من قبل، بالإضافة إلى نشاط الوطنيين المراكشيين الذي وصلوا مبكرا إلى القاهرة، وربما نتوقف هنا للإشارة إلى قضية تغيب أو تغيب جبهة الدفاع عن شمال افريقية عن المؤتمر، وعلى رأسها الجزائريين الفضيل الورثلاي (=ممثل جمعية العلماء) والخضر حسين، وحتى الطلبة الجزائريين الذين كانوا هناك؟ فالدكتور بلقاسم يرى أن هناك خلافا بين لجنة المؤتمر والجبهة، ولكن كيف ولماذا؟ هو ما لم يستطع التوصل إليه، أو لنقل لم يستطع أن يجزم بذلك، ثم العلاقة مع الشاذلي المكي الذي قيل أنه حاول إصدار بلاغ ضدّ الجبهة؟ وقد أكد الرشيد ادريس أن علاقات الجبهة كانت محدودة النشاط، ولم تكن على صلة مع الحركات الاستقلالية المغربية الأخرى<sup>(2)</sup>، لكن الشاذلي المكي صرح للدكتور بلقاسم بأن العلاقة بينه، وبين الخضر حسين، والورثلاي كانت طيبة، و حتى العلاقات بين الورثلاي ومكتب المغرب العربي بقيت متواصلة فيما بعد<sup>(3)</sup>، وهو ما يتناقض ورأي الرشيد ادريس، وهو أمر لا يزال يحتاج لتحقيق أكبر.

وعلى كل، فقد صادق حزب الشعب مع المؤتمرين من الحركات الوطنية المغربية على عدة قرارات، من أبرزها بطلان معادتي الحماية المفوضتين على تونس ومراكش، وعدم الاعتراف بأي حق لفرنسا في الجزائر، ورفض الانضمام للاتحاد الفرنسي في أي شكل من أشكاله،

(1) للاستزادة على المقررات كاملة راجع: يوسف الرويسي، المصدر السابق، ص106

(2) الرشيد ادريس، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب ليبيا، تونس، 1981، ص13.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص533.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

وكذا إحكام الروابط بين الحركات الوطنية في الأقطار الثلاثة، والاتفاق على غاية واحدة هي الاستقلال والجلء، وتكوين لجنة دائمة من رجال الحركات الوطنية مهمتها توحيد الخطط، وتنسيق العمل لكفاح مشترك<sup>(1)</sup>.

ولعل المتأمل جيدا في قرارات المؤتمر، يلاحظ أنها ركزت على العمل المشترك، والتنسيق والتوحيد في الخطط لتحقيق الاستقلال، وجلء قوات الاستعمار، لكنها لم تتحدث عن وحدة مغربية صريحة على الصعيد السياسي، خاصة المستقبلي منه، وهذا ما يعني أن التباين والاختلاف كان واضحا منذ البداية، فلا يمكن أن تجزم كل الأطراف بانتهاج سياسة وحدوية وهي تحت وطأة الاستعمار من جهة، ومن جهة أخرى قد لا تقتنع هذه الأطراف بكل الأفكار الواردة في الموثيق، أو لا تثق في بعضها البعض بصفة كبيرة، ثم إن المتعمق أكثر، يكشف أنه خلال يوم افتتاح المؤتمر بالقاهرة بتاريخ 15 فيفري 1947، كان حزب الشعب (=حركة الانتصار) في الجزائر، يعقد مؤتمره الأول للحزب بعد الحرب العالمية الثانية لضبط أموره من جديد، خاصة وأن زعيمه مصالي كان قد عاد من منفاه ببرازافيل، فلقد نظم الحزب المؤتمر الداخلي له بتاريخ 15 و16 فيفري 1947 ببوزريعة بالجزائر العاصمة، وحضره من 45 إلى 60 شخصا حسب شهادة بن يوسف بن خدة، وحسب ما أورده فإن المشاركين و أغلبية الحاضرين كانوا من قيادات الحزب<sup>(2)</sup>، لذلك نفسر عدم مشاركة قادة الحزب البارزين في مؤتمر القاهرة، واكتفاءه بتكليف الوفد الخارجي للحزب هناك

---

(1) لم نذكر كل القرارات الصادرة عن المؤتمر لأنها تم المؤتمر بصفة عامة، وليس حزب الشعب (=حركة الانتصار) لوحده فقط خاصة وأن مشاركته بالنسبة لنا كانت محتشمة. للرجوع إليها كاملة يرجى النظر في: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 375-379. يوسف الرويسي، المصدر السابق، ص 106-110. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 537-541.

(2) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 462-464.

بالقيام بتلك المهمة، في حين مثل تونس والمغرب زعماء الحركات كعلال الفاسي، وبورقيبة وآخرون ممن كان لهم ثقل ميداني، ووزن سياسي.

فالمؤتمر في الجزائر كان يعالج الأمور الداخلية للحزب، خاصة ما يتعلق بالسرية والعلنية في المرحلة القادمة، والمشاركة في الانتخابات، والتحضير للعمل المسلح... الخ وللإشارة فإنه من رحم هذا المؤتمر، خرجت فكرة تأسيس المنظمة الخاصة ذات الطابع الشبه عسكري<sup>(1)</sup>، التي تسعى لتحضير الثورة بشكل جيد، ومنسق، ومنظم لكي لا تتكرر مجازر 8 ماي 1945 الرهيبة، ومع ذلك، فإن الحزب في الداخل كان مهتما كثيرا لما يحدث في القاهرة، خاصة وأنه كان من الأوائل الداعين لفكرة الوحدة المغربية، واقترح حتى على المؤتمرين في مؤتمر القاهرة تعميم فكرة المنظمة الخاصة.

تأسس بعد مؤتمر القاهرة "مكتب المغرب العربي"، وهو الذي وحد المكاتب المغربية في القاهرة طبقا لتوصيات المؤتمر، وقد اشتمل نظام المكتب حسب المناضل علّال الفاسي على ثلاثة أقسام: "القسم المراكشي: ويتعاون فيه حزب الاستقلال وحزب الإصلاح، والقسم التونسي: ويشرف عليه حزب الدستور الجديد، وقسم الجزائر: مخصص لحزب الشعب، وللمكتب مدير عام ينتخبه ممثلو الأحزاب المذكورة في جمعية عمومية لمدة سنة، وله لجان فنية متعددة، وقد أصدر المكتب عدة نشرات مهمة عن البلاد المغربية، ويذيع نشرة دورية عن الانباء التي ترد من البلاد والتعليق عليها"<sup>(2)</sup>.

وقد طبع المكتب أيضا كثيرا من الكتب والمؤلفات عن الوضعية في المغرب العربي، وبما أننا نركز على الأدبيات الجزائرية، نذكر رواية المناضل علي الحمامي بعنوان "ادريس" التي

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 176-178.

(2) علال الفاسي، المصدر السابق، ص 379.

طبعها المكتب، والتي تعتبر من أبرز القصص التي تعكس الأحوال الاستعمارية في المغرب العربي<sup>(1)</sup>، بحيث أنك لا تفرق عندما تقرأها بأن المؤلف جزائري، أم مراكشي، أم تونسي لما حوته من أبعاد وحدوية، كما زارت المكتب عدة شخصيات جزائرية كمصالي الحاج، والأمين دباغين، وغيرهم، بالإضافة إلى أنه لعب دورا كبيرا في التنسيق بين الطلبة الجزائريين والمغربيين هناك لتذليل الصعاب أمامهم.

شارك حزب الشعب (حركة الانتصار) في القاهرة أيضا، في عملية تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي والتي أشرف على تأسيسها وترأسها المجاهد الكبير محمد بن عبد الكريم الخطابي بعد نزوله بالقاهرة في 30 ماي 1947، وهو الرجل الوحيد المغربي بامتياز والذي بقي بنفس الفكر المقاوم للوجود الاستعماري الفرنسي والإسباني في المغرب العربي، لذلك أسست هذه اللجنة بتاريخ 5 جانفي 1948، ووضعت ميثاقها التأسيسي والذي هو كالاتي<sup>(2)</sup>:

- المغرب العربي بالإسلام كان، وللإسلام عاش، وعلى الإسلام سيسير في حياته المستقبلية.
- المغرب جزء لا يتجزأ من بلاد العروبة، وتعاونه في دائرة الجامعة العربية على قدم المساواة مع بقية الأقطار العربية أمر طبيعي ولازم.
- الاستقلال المأمول للمغرب العربي هو الاستقلال التام لكافة أقطاره الثلاثة: تونس والجزائر ومراكش.
- لا غاية يسعى إليها قبل الاستقلال.
- لا مفاوضة مع المستعمر في الجزئيات ضمن النظام الحاضر.

(1) محمد بن عبود، المصدر السابق، ص 10. أيضا: محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 544. راجع للاستزادة العنوان المتعلق برواية "ادريس" لعلي الحمامي في الفصل الثالث.

(2) علال الفاسي، المصدر السابق، ص 409، 410.

- لا مفاوضة إلا بعد إعلان الاستقلال.
- للأحزاب الأعضاء في (لجنة تحرير المغرب العربي) أن تدخل في محادثات مع ممثلي الحكومة الفرنسية والاسبانية، على شرط أن تطلع اللجنة على سير مراحل هذه المحادثات أولاً بأول.
- حصول قطر من الأقطار الثلاثة على استقلاله التام، لا يسقط عن اللجنة واجبها في مواصلة الكفاح لتحرير البقية.

الموقعون<sup>(1)</sup>: تونس: الحزب الدستوري الجديد: الحبيب بورقيبة والحبيب ثامر/الحزب الدستوري القديم: محي الدين القليبي.

الجزائر: حزب الشعب (حركة الانتصار): الشاذلي المكي والصدّيق السعدي

مراكش: حزب الاستقلال: علال الفاسي وأحمد بن المليلح

حزب الشورى والاستقلال: محمد العربي العلمي والناصر الكتاني.

حزب الإصلاح الوطني: عبد الخالق الطريس وأحمد أحمد بن عبود

حزب الوحدة المغربية: محمد اليميني الناصري.

ولقد كانت لجنة تحرير المغرب العربي واضحة منذ الأيام الأولى، ومعروفة بخياراتها الثورية، خاصة لما كان عبد الكريم الخطابي رجلاً ثورياً عملياً، يجب الأعمال ولا يكتفي بالأقوال، وهو ما جعل الاختلافات والخلافات تبرز حول وجهات النظر، التي ستسير عليها الحركات الوطنية المغربية، لكن لم تشر في ميثاقها التأسيسي صراحة لوحدة مغربية على الصعيد السياسي، واقتصرت فقط على التحرير والتنسيق والتضامن، كما منع التفاوض على انفراد

---

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 549.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغاربية

مع المستعمر دون اطلاع الأطراف المغاربية الأخرى، ونلاحظ أن عدد الجزائريين كان محتشما أيضا إذا ما قورن بعدد المراكشيين والتونسيين الموقعين، لكن الصراحة تقال، بالرغم من العدد القليل للجزائريين في المكتب واللجنة، إلا أنهم كانوا أكثر تحمسا للوحدة والثورة ومغربة الحرب من بين كل الأطراف<sup>(1)</sup>، وهو ما سيتضح أكثر بالتحاق خيضر، وحسين آيت أحمد، وأحمد بن بلّة، لذلك لن نتمق كثيرا في نشاط مكتب المغرب العربي أو اللجنة بصفة عامة، لأن ما يهمننا هو ما كان يصدر القسم الخاص بالجزائر هناك، لأنه كما سبق وأشرنا استثنينا المنظمات المغاربية التي تتشكل هياكلها من مغاربيين من مختلف الجنسيات وخصصنا فقط الدراسة للأديبات الصادرة من الحركة الوطنية الجزائرية فقط، إلا أننا أشرنا وتطرقنا لبعض هذه المحاولات الوحدوية التي تمثلت في الأحزاب، والجمعيات، واللجان وأديباتها ولكن ليس بصفة كبيرة.

وبالعودة إلى نشاط الحزب بالجزائر، فإن فشله في انتخابات المجلس الجزائري أوائل شهر أفريل 1948 خاصة والتزوير الحاصل، وأمام الاعتقالات والتعسفات التي طالت الحزب وقادته وأعضائه، فإن قيادة الحزب دعت لعقد مؤتمر سرّي في مزرعة المناضل الجيلالي بلحاج في عين الدفلة بحوض الشلف (زدين نهاية سنة 1948 وبداية سنة 1949)<sup>(2)</sup>، لذلك لم يتخلى المؤتمر ومن ثم حركة الانتصار أبدا عن البعد الوحدوي المغاربي في نشاطاته و سياسته

---

(1) جاء في مذكرة استخباراتية أن شبابا من حزب الشعب الجزائري، من دون عمل ولا موارد جندوا للتحاق بلجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة، والتقرير يعود الى 4 سبتمبر 1947، وهو تاريخ لم يكن بعد قد أعلن عن ولادتها الرسمية 5 جانفي 1948، وهو دليل على أن الشباب الجزائري كان أكثر استعدادا للثورة خاصة لما كان يقودا الثوري عبد الكريم الخطابي. أنظر: A.N.T، série : mouvement national ، carton 54، dossier n° 4، note n°3452، A.S /légion de la libération nord-africaine، Tunis le 4 septembre 1947.08 أنظر الملحق رقم

(2) يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، المصدر السابق، ص 37.

المستقبلية، فجاء في تقريره الذي نشره الباحث محمد حربي، ونقله الدكتور بلقاسم ما يلي: "...إن المغرب العربي هو وحدة استراتيجية بالتضاريس (بالطبيعة) والتاريخ والاضطهاد الاستعماري الواحد، وتطلعات جماهير العميقة الواحدة، لذلك فإن كل عمل تحرري لا يتخذ من المغرب العربي ككل، كإطار استراتيجي يعتبر عملا انتحاريا... فالجزائر قد تفشل إذا وضعت من أسبقيات نضالها الاهتمامات المغربية، فهذه الاهتمامات تتطلب وحدة وجهات النظر والمشاعر والمصالح لدى المسيرين بالمغرب العربي..."<sup>(1)</sup>. كما أصرّ التقرير على أن الحزب والمنظمة الخاصة تريد أن تكون قيادة مغربية جماعية لمقاتلة فرنسا، وذلك بمساعدة القطرين على تكوين خلايا مشابهة فيضيف: "فالمنظمة الخاصة مستعدة لإيفاد مسؤولين متمرسين للمساعدة على تنظيم هياكل مشابهة في تونس ومراكش لما عندنا (خلايا شبه عسكرية)، ويمكن بذلك لقيادات الحزب الثلاثة، أن تنشأ قيادة مغربية تكون هي الوسيلة الأساسية لإنهاء مأساة الاستعمار في المغرب العربي"<sup>(2)</sup>.

وذكر الراحل حسين آيت أحمد أنه قدم في ندوة زدين تقريرا للمؤتمر مشددا على ضرورة العمل والاستثمار في الفضاء المغربي ويقول في هذا الصدد: "زج بي في الدبلوماسية كما زج بي في الشؤون العسكرية، وضعت تقريرا حول ما يجب أن تكون عليه أهداف عملنا الخارجي، وأكدت أن الحجر الأساس هو المجال المغربي، والضرورة الملحة تكمن في توحيد كفاح الشعوب في البلدان الثلاث تونس والجزائر والمغرب، وتركزت الجوانب الأخرى من التقرير حول العمل على كسب الدعم والتضامن، الذي علينا أن نبحث عنه ونطلبه

---

(1) Mohammed harbi, les archives de la révolution algérienne, Edition, jeune Afrique, paris 1979 , pp 15-49.

(2) Ibid. p p15-49.

ونشجعه"<sup>(1)</sup>، ويبدو أن مبادرة حركة الانتصار الداعية إلى تعميم فكرة المنظمة الخاصة لم تلق استجابة، بالرغم من تكرّر اللقاءات والاجتماعات بين القادة المغاربيين (ندوة طنجة ماي1950) بحيث تحجّج المراكشيون بأنهم يسعون لحل الأزمة سياسياً تحت إشراف السلطان، ورفض التونسيون على لسان المناضل صالح بن يوسف بحجة أن هذه الأعمال صيبانية<sup>(2)</sup>، وحسب محمد حربي، فإنها وصفت من طرفه بالمجازفة والمغامرة المتهورة<sup>(3)</sup>.

ولما تأسست الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحريات واحترامها 5 أوت 1951<sup>(4)</sup>، والتي وقع على ميثاقها ست شخصيات من حركة الانتصار<sup>(5)</sup>، فإنها ساهمت هي الأخرى في الدفاع

---

(1) حسين آيت أحمد، روح الاستقلال مذكرات مكافح (1942-1952)، ترجمة عن الفرنسية لسعيد جعفر، منشورات البربخ، 2002، ص 233.

(2) ذكر المناضل حسين آيت أحمد، أن المناضل صالح بن يوسف وصف اتصالات جماعة حزب الشعب بالعمل الصيباني. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 496. لكن صالح بن يوسف سيغير موقفه فيما بعد ويصبح من دعاة مغربة الحرب، وعدم التفاوض مع فرنسا على حدا، وفي رأينا الأحداث الخمسينية العميقة جعلت فكر الرجل يتحول. للاستزادة حول القضية وصالح بن يوسف والحركة اليوسفية وبعدها المغاربي راجع: عروسية التركي، الحركة اليوسفية، المرجع السابق. أيضاً: عبو نجاة، التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى احمد بن بلة وصالح بن يوسف (دراسة تاريخية مقارنة) 1945-1961، مذكرة ماجستير في التاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014، ص 127.

(3) Mohamed harbi, le Fln mirage et réalité des origines a la prise du pouvoir (1945-1962), Edition jeune afrique, paris, 1985, pp54,55.

(4) كتبت عنها المنار في عدة مناسبات فعنونت " الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، مولود جديد في حاجة إلى عناية " وأشارت لدهشة العديد للسرية التي قامت فيها الجبهة: " هكذا ظهرت الجبهة... فوق لها الحاضرون محيّن آملين لها الحياة والتوفيق، وقد كان يبدو على بعض الوجوه شيء من الدهشة لهذا المولود الجديد، وذلك لأنه جاء مفاجأة، إذ لم يقع له ذكر في الصحف ولا في الألسنة قبل ظهوره ولم تذكر المساعي في سبيله حتى بشرت بولادته". المنار، ع15 أوت 1951. وقد نشرت نفس الجريدة مقررات اللجنة في عدد سبق هذا العدد وهو ما يعني أن التنظير للجبهة كان سابقاً أي في جويلية. أنظر: المنار، ع30 يوليو 1951.

(5) وقع عليها من حركة الانتصار كل من: أحمد مزعنة، عمر محبوب، الأستاذ كيوان، صالح معيزة، السيد سويح الهواري، السيد المستيري. أنظر: المنار، ع15 أوت 1951.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

عن القضية المغربية بالرغم من أن عمرها كان قصيرا<sup>(1)</sup>، فمصالي الحاج أبرق الجبهة برسالة من مقره بشانيتي بفرنسا، مستبشرا بها، وآملا في اتباع نفس الخطوة بالنسبة للأقطار المغربية فيقول: "إني أتمنى أن لا يقف هذا الاتحاد عند حدود القطر الجزائري، بل أتمنى أن يمتد إلى الشرق والغرب، ليلعب بمشاركة إخواننا المراكشيين والتونسيين إلى انشاء الجبهة المغربية، في سبيل التحرير"<sup>(2)</sup>.

والواقع أن ميثاقها لم يشر إلى كلمة استقلال أو وحدة مغربية، وكما يروي بن خدة فإنها لم تساند الحزب (= حركة الانتصار) عقب المظاهرات التي دعا إليها في 23 ماي 1952، عندما وقعت عديد الاعتقالات في صفوف قياديه ومناضليه، وبالتالي فإنها كانت بعيدة حتى عن الوحدة الجزائرية<sup>(3)</sup>، فما بالك بالوحدة المغربية؟

ولكن مع ذلك ساهمت جبهة الدفاع الجزائرية بالإضافة إلى الجبهات الأخرى التي توحدت في كل من المغرب (الجبهة الوطنية المراكشية أفريل 1951)<sup>(4)</sup>، وتونس (= منذ توقيع أحزابها على ميثاق ليلة القدر أوت 1946) في تشكيل جبهة مغربية واحدة، وهو ما دعا إليه مصالي الحاج كما رأينا سابقا، وهذا يعني في نظرنا أن المبادرة كانت جزائرية كالعادة

---

(1) يقول بن خدة أن اجتماعا للجنة المركزية للحزب منتصف مارس 1952، درست فيه إشكالية الوحدة الوطنية، و"سجلت اللجنة نقاط ضعف الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها المتمثلة في عدم مشاركة الجماهير واقتصار برنامج عملها على خمس نقاط فقط، أوصت اللجنة المركزية بضرورة توسيع البرنامج بإضافة نقطة المطالبة بالاستقلال، لكن وللأسف عارض مصالي فكرة الوحدة أصلا ونجح في جرّ أغلبية أعضاء اللجنة المركزية إلى تبني موقفه". بن خدة، المصدر السابق، ص 277، 278.

(2) رسالة الزعيم مصالي الحاج إلى الجبهة الجزائرية للدفاع عن الحرية واحترامها، المنار، ع15 أوت 1951، ص2.

(3) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص281.

(4) احتفت بها جريدة المنار معنونة "جبهة قومية واحدة في المغرب الأقصى" وأوردت ميثاقها وكتب صاحبها محمود بوزوز قائلا: "المنار يهنئ المغرب الشقيق بهذا التوفيق ويرجو أن يكون اتحاد كلمته حافزا للقطرين التونسي والجزائري الى توحيد الصفوف حتى نكون جبهة مغربية واحدة في سبيل الحرية والاستقلال". المنار، ع2 الجمعة 20 أفريل 1951، ص 1-4.

(1)، خاصة وأن الشيخ البشير الابراهيمي ترأس هذا اللقاء، لذلك تشكلت هذه الجبهة بفرنسا بتاريخ 2 فيفري 1952 التي نصّ ميثاقها على ما يلي (2):

### نص الميثاق

أولاً: تتعهد الأحزاب والمنظمات الوطنية بشمال افريقيا:

- بمتابعة الكفاح ومضاعفته في سبيل تحرير افريقيا الشمالية من جميع أنواع الاستعمار والوصول بأقطارها في دائرة ميثاق الأمم المتحدة إلى نظام دول ديمقراطية متمتعة بسيادتها.
- تنسيق عملها لتحقيق هذه الأهداف داخل افريقيا الشمالية وفي الميدان الفرنسي والدولي.
- بالبحث دوريا في حالة الشمال الافريقي على ضوء الحوادث في الداخل والخارج.

ثانياً: تقرر تأليف لجنة واتحاد وعمل الشمال الإفريقي، وانشاء كل هيئة أخرى لازمة لتنفيذ هذا الميثاق.

هذا ولم تعرف الجبهة نشاطات كبيرة، خاصة في تلك المرحلة الجد الهامة من التاريخ الجزائري والمغربي، سوى استصدار بعض الإعلانات، والبيانات عن قضايا وأحداث بتونس أو الجزائر أو المغرب الأقصى، وغلب عليها كالعادة الاتجاه القطري الضيق على الاتجاه الوحدوي، وبالخصوص بعد تطور القضيتين المراكشية والتونسية، أما حزب الشعب/حركة

---

(1) يقول بن يوسف بن خدة عن رحلة مصالي الحاج إلى المشرق: "كلفناه باغتنام فرصة سفره... لمطالبة تلك الحكومات (=العربية) باستعمال نفوذها لحث الوطنيين التونسيين والمغاربة على الانضمام إلى مسار العمل الوحدوي على مستوى الشمال الإفريقي، كنا يومئذ نمحي أنفسنا بأوهام كبيرة بخصوص التعاون مع شركائنا المغاربة في هذا الصدد" أنظر: بن خدة، المصدر السابق، ص 275.

(2) المنار، ع 19، بتاريخ: 28 مارس 1952، ص 3.

الانتصار فقد انسحب منها بدعوى أن الحزب كان يدعو للاستقلال، فيما لم تتعدى الجبهة نطاق الدفاع عن الحرية وحمايتها<sup>(1)</sup>، ولعلنا نذكر بعض انتاجاتها على سبيل المثال لا الحصر.

مثّل مصالي الحاج حركة الانتصار عندما وقّعت الجبهة على تصريح مشترك يوم 28 جانفي 1952، يتعلق باغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، وكذا أحداث الدار البيضاء 7-8 ديسمبر 1951، فطالب التصريح بالإيقاف العاجل للضغط في جميع صوره بالبلاد التونسية، والافراج عن المعتقلين السياسيين، والاعتراف للشعب التونسي بسيادته واستقلاله، كما أكد على ضرورة تدخل الأمم المتحدة في الموقف... الخ<sup>(2)</sup>.

وفي المؤتمر الثاني لحزب الشعب-حركة الانتصار الحريات الديمقراطية أيام 4-5-6 أفريل 1953، أعطيت أهمية بالغة للعمل المغربي المشترك، فالمؤتمر قد أجل مرتين، فيذكر بن يوسف بن خدة أن من بين النقاط التي كان مبرحاً أن يتناولها المؤتمر قبل التأجيل أي (12-13-14 جويلية 1952) هو آفاق بناء اتحاد شمال افريقيا<sup>(3)</sup>، وقد أشرنا إلى هذه القضية لنبين أن حوالي سنة من التأخير والتغيرات الحاصلة خاصة لما كان المغربية والتوانسة في مفاوضات مع الفرنسيين، قد غير الرؤى والمواقف في الطرق والكيفيات، ولكن يجب القول بأن الطروحات المغربية بقيت موجودة.

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 502، 503

(2) أمضى من الجزائريين: مصالي الحاج عن حركة الانتصار، وفرحات عباس عن حزب البيان، والبشير الابراهيمي عن جمعية العلماء. أنظر التصريح كاملاً في: المنار، ع15، 1 فيفري 1952، ص2.

(3) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص278.

لذلك فإن أحمد مزغنة قد أكد في مداخلة له في المؤتمر، أن التضامن الجزائري مع القضيتين المراكشية والتونسية، كان له الدور الكبير في احتضانهما من طرف الأمم المتحدة والهيئات الأخرى فيقول: "إن المشكلتين التونسية والمراكشية اللتين خرجنا من النطاق الفرنسي الضيق ليحتضنهما الميدان الدولي ستجدان حلاً يرضي مطامح الشعبين الشقيقين وذلك بفضل أعمالهما وتضامن الشعب الجزائري معهما"<sup>(1)</sup>، وفي رسالة مصالي الحاج الذي تغيب عن المؤتمر أكد على البعد المغاربي للقضية الجزائرية، وأكد على أن الشمال الإفريقي منطقة استراتيجية أصبحت تتصارع عليها القوى الاستعمارية الجديدة فيقول: "أخواني...أني آسف جدا على عدم الحضور...لأشافهكم بما أعتقد وبما أرى في الحالة التي تتخبط فيها إفريقيا الشمالية والجزائر على الخصوص...فالقارة الإفريقية بما فيها إفريقيا الشمالية، هي الآن رهن تقسيم جديد، وموضع اهتمام أوروبا والعالم كله...ومنذ أكثر من سنتين عقدت اجتماعات بين فرنسا وبريطانيا لتنسيق سياستهما بإفريقيا الشمالية...إن أمريكا حاضرة في شمال إفريقيا وفي البحر الأبيض المتوسط كله، وهناك حقا منافسات بين أعضاء الكتلة الغربية..."<sup>(2)</sup>.

أما التقرير الذي قدمته اللجنة المركزية في المؤتمر فكان أكبر وأشمل، وتناول عدة نقاط جوهرية، ومنها القيمة الاستراتيجية الكبرى لشمال إفريقيا كما سماها وقال فيه: "إن لشمال إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط من الناحية العسكرية، قيمة استراتيجية كبرى عند نشوب حرب عالمية محتملة...إن الفروق القانونية بين أقطارنا الثلاثة في شمال إفريقيا لم يمنع قط الفرنسيين والأمريكيين من العمل يدا واحدة بالنسبة للبلاد المغربية بأجمعها، وإذا كانت الجزائر قد أدخلت في الحلف الأطلسي بصفتها المصطنعة التي تجعل منها (ثلاث عملات فرنسية)، فإن مراكش وتونس قد وضعتا أيضا تحت سلطة الحلف الأطلسي. إن شمال إفريقيا وحدة جغرافية لا تتجزأ.

(1) يحي بوعزيز، الأيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق، المصدر السابق، ص 78، 79.

(2) نفسه، ص 80-85.

وهي كذلك وحدة من الوجهة السياسية رغم الفوارق القانونية التي لا تزيد هذه الوحدة إلا بروزا لأن قيمة هذه الفوارق واهية بالنسبة لأقطارنا الثلاث التي يسيطر عليها استعمار واحد<sup>(1)</sup>.

ثم تطرقت اللجنة المركزية العوامل الأساسية للحالة الحاضرة في الشمال الإفريقي، وهي العوامل الاستراتيجية والاستعمارية والقومية والخارجية ونقتضب من التقرير ما يلي<sup>(2)</sup>:

العامل الاستعماري: "إن الفرنسيين لا يعتبرون إفريقيا الشمالية إلا كموطن للاستغلال والاستيطان...".

العامل القومي: "إن رغبة شعوب شمال إفريقيا في الاستقلال أصبحت أمرا لا يمكن إنكاره بحال، وعليه فأن تنظيم الكفاح ضد الاستعمار هو الذي يجب أن يسترعى على الأخص اهتمامنا".

العامل الخارجي: "إن الكتلة العربية الآسيوية بتبنيها لقضية شمال إفريقيا، وبفضل نشاطها السياسي والدبلوماسي، قد وضعت هذه القضية بحيث لا يمكن أن يغفل أمرها في الميدان الدولي. وإن تأثير هذا العمل في شمال إفريقيا يعين على تقوية الكفاح".

وقد أعابت اللجنة على الحزب كاملا على أن عدم ادراج القضية الجزائرية، راجع للنقص الفادح في العلاقات مع المشاركة والعرب والآسيويين، وضربت مثلا بالقضيتين التونسية والمغربية اللتان استفادتتا كثير من علاقتهما مع العرب والآسيويين لتدويل قضاياهم، وهذا يعيدنا إلى ما ذكره بن يوسف بن خدة عن رحلة مصالي إلى المشرق الغير مكتملة حسبه والتي لم يؤدها كما ينبغي، فقد ذكر أن إدارة الحزب طلبت من مصالي الحاج اغتنام فرصة ذهابه إلى الحج من أجل التعريف أكثر بالقضية الجزائرية، والتماس المساعدة المادية والمالية من الحكومات العربية، لكنه سرعان ما عاد بشكل مفاجئ من المشرق، والتحق بشانتي

(1) يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 124.

(2) أشرنا للعامل الاستراتيجي فيما سبق. للاستزادة راجع النص كاملا في: يحي بوعزيز، نفسه، ص 134، 135.

بفرنسا من دون اطلاع الحزب على ذلك، ويقول بن خدة في ذلك: " كان ينبغي لمصالي أن يقضي مدة أطول في الشرق الأوسط، وأن يولي عناية أكبر لتحقيق أهداف مهمته لدى الحكومات العربية، ولكنه لم يحقق شيئا من تلك الأهداف"<sup>(1)</sup>.

وهذا ربما ما يجعلنا أيضا نطرح كثيرا من التساؤلات، فإن عملنا بشهادة بن خدة، فكيف لنا أن نقيّم دور مكتب حزب الشعب بالقاهرة مثلا؟ ألم يكن يكفي ليلعب دوره كما يجب للتعريف بالقضية الجزائرية في القاهرة على الأقل؟ لماذا كانت تصرّ إدارة الحزب على شخص مصالي؟ أهو استثمار في صورته ومكانته الكبيرة بين القادة العرب؟، أم هو إنقاص من قيمة الوفد الخارجي الذي كان ينشط في هذا المجال منذ التحاق الشاذلي المكي، وتعززه بخيضر وحسين آيت أحمد وبن بلّة؟ فصحيح أن الوفد لم يكن بوسعهم أن ينشط في كامل المشرق العربي، ولكن لا أحد ينكر بأن كانت له اتصالات مع الوفود العربية، خاصة لما كان مكاتب المغرب العربي في دمشق والقاهرة تعرف بالقضية المغربية بشكل عام، وتعزز ذلك التعريف أكثر بالتحاق عديد الطلبة بصفوف الدراسة بمصر وسورية والعراق... وغيرها.

ثم ما موقع نشاط جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية منذ 1944، وزيارات الإبراهيمي إلى المشرق في الخمسينات وتعريفه بالقضية الجزائرية؟، ألم تكن لها أصداء واسعة هناك؟<sup>(2)</sup>، لذلك وفي رأينا وحتى وإن زار مصالي كل الأقطار العربية ومكث فيها سنوات في ذلك الوقت، فإن الإخوة العرب المشاركة كانوا دائما ما ينظرون للقضية الجزائرية منظر تعقيد وصعوبة من جهة، وعلى النقيض يعتبرون القضيتين المراكشية والتونسية قضيتين قابلتين للنقاش والحلّ، ومن جهة أخرى كان لا بدّ من اندلاع ثورة في الجزائر لكسب القضية

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 275-277.

(2) راجع زيارات الشيخ الإبراهيمي للمشرق وصددها في جريدة البصائر الثانية.

فالدول العربية الحديثة الاستقلال ومعها الجامعة العربية، لم تكن لتفعل شيئاً لولا الثورة المسلحة التي ساعدت في إيصال القضية الجزائرية، ولذلك مازال هذا الأمر يحتاج إلى جمع للوثائق، و بالتالي تدقيق وتحليل وتتبع، قد نخوض غماره في مناسبة أخرى.

وبالعودة إلى التقرير الذي قدمته اللجنة المركزية في المؤتمر الثاني لحزب حركة الانتصار، فإن قضية الوحدة المغربية (=المغربية) عولجت هذه المرة في رأينا بموضوعية وتعمق أكثر من أي وقت مضى، وذلك نظرا للتجربة الطويلة التي مرّ بها الحزب في العمل الوحدوي المغربي منذ أيام نجم شمال افريقيا، فقد ذكر التقرير كل الإيجابيات والسلبيات، والعوامل الداخلية والخارجية التي ساعدت القضيتين المراكشية والتونسية، كما قيّم باختصار العمل الوحدوي السابق نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات الذي تمّ بين الحركات الوطنية المغربية، ثم أعطى حلولا لكيفية مساعدة مشروع الوحدة على التحقيق، ومن هذا نفتبس بعض الفقرات التي تناولت الموضوع: "إن نجاح القضية المغربية لا يتوقف على العامل الخارجي فحسب، بالرغم من أن هذا العامل المجسم بالمساعدة العربية الآسيوية، يمثل قيمة كبرى بالنسبة لشمال افريقيا، بل يجب أن يتوفر العامل الداخلي، ويظهر أن العمل الخارجي والداخلي قد تضافرا في تونس بالنسبة لتونس أحسن من غيرهما<sup>(1)</sup>... أما فيما يخص الجزائر فإنه لا يوجد الآن عامل خارجي مباشر، إذ أن القضية الجزائرية لم تخرج إلى الميدان الدولي، لأن ظاهرة الوحدة المغربية تجعل من العامل الخارجي والمؤثر بصفة مباشرة في تونس ومراكش صالحا للحقيقة بالنسبة لشمال افريقيا كلّها. وفعلا فإن تدويل القضية التونسية والمراكشية، قد كان لهما من الناحية الداخلية رجّات نفسية واحدة في جميع بلاد المغرب"<sup>(2)</sup>.

(1) قصدت بذلك أن الحركة الوطنية التونسية كانت متماسكة من الداخل، والعامل الشعبي فيها يلعب دورا بارزا، أما في مراكش فقد توافر العمل الخارجي لكن العمل الداخلي لم يتوفر، ثم أن العمل الدبلوماسي لم تسانده الجماهير.

(2) يحي بوعزيز، المصدر السابق، ص 136.

وأضاف التقرير أن تدويل القضيتين المراكشية والتونسية، قد أثر سلبا على الوحدة المغربية من ناحية أخرى فقال: "إن تدويل القضية التونسية والمراكشية قد وضع وحدة العمل المغربية في المؤخرة، وقد بذل الحزب عدة محاولات لتحقيق وحدة العمل في النطاق المغربي، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل..."<sup>(1)</sup>. كما رأت اللجنة المركزية ضرورة التعاون مع الكتلة العربية الآسيوية لتحقيق اتحاد شمال افريقيا: "ترى المسيرين المراكشيين والتونسيين كل على حدة، يبذل قصارى جهده في الميدان الخارجي بإشراف الكتلة العربية الآسيوية، ونحن نستطيع القول بأن هذه الكتلة هي في الحقيقة أفضل عامل لتحقيق الاتحاد في شمال افريقيا، لأن الحركات المغربية بالرغم من أنها تعمل منفردة، تلتقي كلها عند هذا العامل المشترك لتحقيق عاملها الداخلي"<sup>(2)</sup>.

أما في فيما يخص النشاط الصحفي للحزب وتوجهه المغربي في هذه الفترة (1946-1954) فإنه كان جدّ قوي، فلا يمكننا حصره أبدا لأن الحزب أصدر عدة جرائد في هذه الفترة، وأغلبها تعرضت للمضايقات والحجز كجريدة المغرب العربي التي كان يديرها محمد سعيد الزّاهري بعد انفصاله عن جمعية العلماء، والتي كانت تصدر باللغتين الفرنسية والعربية<sup>(3)</sup>، أو الجزائر الحرة التي كانت اللسان الناطق للحزب الرسمي بعد الأمة، والبرلمان الجزائري، بالإضافة إلى جريدة المنار لمحمود بوزوزو رئيس الكشافة الإسلامية الجزائرية والتي سنأخذها كنموذج فيما يلي.

إن المضطلع على جريدة المنار يلحظ اهتمامها الكبير بقضايا المغرب العربي، فلا يكاد يخلو عدد من أعدادها من حدث مغاربي، أو تضامن، أو تعزية لشخصية مغربية (=مغربية)، أو مقال في النضال

(1) طرح التقرير قضية المحاولات الوحدوية مثل: التصريح المشترك عام 1948، والجبهة المغربية 1952، ولجنة تحرير المغرب العربي 1948. يحي بوعزيز، نفسه، ص 137.

(2) نفسه، ص 137.

(3) كان بن خدة مشرفا عن النشرة الفرنسية في الجريدة. أنظر: بن خدة، المصدر السابق، ص 293.

والكفاح والوحدة، خاصة وأنها كانت تعبر آراء ومواقف حركة الانتصار بشكل غير رسمي فكان معظم كتابها ومحري مقالاتها ينتمون إلى التيار الاستقلالي ومتشبعين بمبادئ حزب الشعب الجزائري<sup>(1)</sup>. فقد افتتحت الجريدة أولى أعدادها بذكر مبادئها وكتبت تؤكد: "استنادا إلى الحقائق الجغرافية والتاريخية والجنسية أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب...ولذا يدعو إلى توحيد السياسة المغربية توحيدا متينا في الأهداف والوسائل...فالفطرة السليمة تقتضي طبعاً بتوحيد السياسة والعمل في صفوف الحركات المغربية ولا يتأتى ذلك طبعاً، إلا بتوحيد السياسة والعمل في كل قطر"<sup>(2)</sup>، كما أولت اهتماما كبيرا للأحداث المراكشية والتونسية والليبية، ففي أعدادها السبعة الأولى أعطت حيزا كبيرا للحالة الحاضرة في المغرب الأقصى<sup>(3)</sup>، فعنونت "جبهة قومية واحدة في المغرب الأقصى"، مبتهجة بتلاحم فصائل الحركة الوطنية المراكشية، الذي سيكون بادرة خير لتوحيد المغرب كله<sup>(4)</sup>، كما تابعت أخبار وتحركات الشخصيات

(1) إبراهيم لونيسي، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، دار هومة، الجزائر، 2013، ص193.

(2) المنار، س1، ع1، الجمعة 29 مارس 1951، ص1.

(3) يرى الدكتور خالد بوهند أن المنار كتبت عن القضية المراكشية على أساس أنها تابعة للكشافة الإسلامية (= للإشارة فإن الدكتور ذكر أن شعب الكشافة كانت منقسمة بين حركة الانتصار وحزب الشعب)، فهو من جهة محق لأن رئيس الكشافة بوزوزو هو المسؤول عن الجريدة، لكن المتمعن فيها وفي مقالاتها يلحظ انحيازها الكبير للسياسة وخط حزب الشعب/حركة الانتصار، التي كانت تعاني من حجز جريدتها الجزائر الحرة مرارا وتكرارا، والتي أشارت إليها المنار نفسها في عدة مناسبات، فإن سلّمنا بان الكشافة سيطرت عليها وكتبت مقالاتها برؤية كشفية، فما موقع النشاط الكشفي في الجريدة؟ إن غالبية مواضيعها سياسية وثقافية وتعالج الأحداث الدائرة في الجزائر والشمال الإفريقي والعالم العربي والإسلامي، وتشير في بعض المرات للنشاط الكشفي، لذلك فأبنا يصب في رأي الدكتور ابراهيم لونيسي على أن الجريدة كانت لحركة الانتصار قلبا وقالباً، بالرغم من أنها ترتدي رداء الكشافة للتمويه، فكان بالأحرى حسب رأينا لو أدرج الدكتور بوهند في بحثه القيم موقف المنار في نشاط حركة الانتصار لكي يقع القارئ الذي لا يملك دراية كافية حول توجه الجريدة في اللبس. عن دراسة الدكتور خالد بوهند أنظر: خالد= بوهند، أحداث المغرب ومواقف الحركة الوطنية الجزائرية منها(1950-1954)، مجلة المرأة للدراسات المغربية، جامعة

وهران 1-أحمد بن بلّة، العدد الأول، جانفي 2014، ص ص96-112.

(4) تكلمنا عن هذا المقال سابقا. المنار، س1، ع2، الجمعة 20 أبريل 1951، ص1.

المراكشية فعنونت "رسائل المناضل المغربي علاّال الفاسي لجريدة المصري"<sup>(1)</sup>، الذي كتب حول زيارة الملك محمد بن يوسف إلى فرنسا من أجل المفاوضات، ومواقف حزب الاستقلال ومواضيع أخرى<sup>(2)</sup>.  
والتفتت المنار أيضا إلى القضية التونسية<sup>(3)</sup>، مرة أخرى خوفا من أن يفهمها القراء بشكل خاطئ بعد تركيزها الشديد على النضال المراكشي في أعدادها الأولى، في مقالا معنوناً بـ "قضية المغرب واحدة وكفاحه واحد"، مبيّنة أهدافها الرامية إلى مساندة جميع شعوب المغرب العربي ومؤكدة أن المغرب العربي جزء لا يتجزأ فكتبت تقول: "لا شك أن القراء لاحظوا سكوتنا من القضية التونسية، لا سيما بعدما أعلننا في العدد الأول من المنار أننا نعتبر المغرب كلاً لا يتجزأ، ودعونا إلى توحيد السياسة والعمل في جبهة واحدة، تهدف إلى غاية واحدة، بوسائل متحدة، وهذا يستدعي من الصحيفة اهتماما بسائر أقطار المغرب دون تمييز، باعتبارها قضيتها قضية واحدة، ونبذ النزعة الانفرادية التي تؤدي إلى تجزئة القضية المشتركة تجزئة"<sup>(4)</sup>.

وفي هذا الصدد خصصت المنار عددها الخامس عشر كلاً تقريبا لرصد تطورات القضية التونسية، وخاصة لما أرقيت دماء التونسيين في مظاهرات 23-24-25 جانفي 1952 في بني خلاد، ودار شيكو، وقلبية، ومنزل بوزلفة، وقصر الهلال، والمكنين، وتازركة، وغيرها من المناطق التونسية فشبهت المنار هذه الأحداث بمجازر 8 ماي 1945 التي حصلت في الجزائر، فجاءت العناوين فيها كالاتي "يوم تونس" - "أطوار القضية التونسية" - "دروس من التجربة التونسية" - "تضامن الجزائر مع الشعب

(1) نفس العدد السابق، ص 3. أيضا: نفسه، س 1، ع 3، الجمعة 4 ماي 1951، ص 3.

(2) للاستزادة حول القضية المغربية الموضوع انظر اعداد المنار، أيضا: خالد بوهند، المرجع السابق، ص 96-112.

(3) للاستزادة حول تناول المنار للحركة الوطنية التونسية راجع: محمد السعيد عقيب، تطورات الأزمة التونسية مطلع خمسينات القرن ال 20 من خلال جريدة المنار الجزائرية، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، العدد السابع، السداسي الأول،

2016، ص ص 47-70.

(4) المنار، س 1، ع 13، الجمعة 4 جانفي، 1952، ص 1.

التونسي" - "الحوادث التونسية في الصحافة العالمية"<sup>(1)</sup>، كما تأثرت المنار وطاقمها كثيرا باغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، فتصدر هذا الحدث المأساوي بالنسبة لكل شعوب المغرب العربي صفحتها الأولى من عددها الثالث عشر من سنتها الثانية بتاريخ 12 ديسمبر 1952، فكتب المناضل الراحل عبد الحميد مهري مقالا فيها مما جاء فيه: "لم يمضي الحزن العميق لاغتيال المرحوم السيد فرحات حشاد من التفكير في شخصية هذا الفقيه الشهيد وأعماله العظيمة لفائدة بلاده، بل لعلني كنت أجد في إحياء ذكره في فكري واستعراض أعماله بعض ما يسليني عن مصاب تونس العزيزة ومصاب المغرب العربي... أدرك فرحات حشاد بتفكيره الواقعي الرزين أن الاتحاد العملي بين الأقطار المغربية ضروري لنجاح قضاياها فكان لهذا شديد الإيمان بالوحدة المغربية، وكان يصنع الخطط لتنظيم العمل التونسي والجزائري والمراكشي في جامعة نقابية واحدة... ولم تكن هذه الجامعة النقابية المغربية غاية عند حشاد بل كان يراها خطوة أولى تفتح الطريق لتكوين جبهة سياسية بين الأحزاب والهيئات المغربية"<sup>(2)</sup>.

هذا وقد اهتمت المنار أيضا بتطور القضية الليبية التي كانت في أيامها الأواخر من أجل نيل الحرية، فاحتفت باستقلالها، بأن أعطى كاتب المقال محمد المتيجي ملخصا شارحا فيه ظروف احتلالها ومقاومتها للايطالين، ومثنيا على الدور الكبير الذي قام به مجاهدوها كالزعيم عمر المختار، فعنونت: "ليبيا قطر شقيق يستقل"<sup>(3)</sup>، كما جاء في العدد الذي بعده، بأن استقلال ليبيا هو حافز كبير لاستقلال الأقطار المغربية الأخرى وتحقيق وحدتها، وهي التي تسير على نفس درب التحرر فعنونت أيضا "إننا بك لاحقون" ومما جاء فيه: "ها هو اليوم شعب آخر يسترجع سيادته واستقلاله، وهو شعب ليبيا الشقيق، الذي نستقبل استقلاله بمثل ما استقبلنا به استقلال الشعوب المذكورة من الابتهاج، بل إن ابتهاجنا باستقلاله يمتاز امتيازا خاصا، وذلك لمثانة الروابط التي تربط شعوب المغرب به (والمغرب كما ذكره

(1) المنار، س1، ع15، الجمعة 1 فيفري 1952 ص ص1-4.

(2) المنار، س2، ع13 الجمعة 12 ديسمبر 1952، ص ص1-4.

(3) المنار، س1، ع13، الجمعة 4 جانفي 1952، ص ص1، 2.

ابن خلدون يمتد من الإسكندرية، وعليه فليبيا تعتبر قطرا مغربيا) فهي همزة وصل طبيعية بيننا وبين الشرق العربي والإسلامي" (1).

وعن مشاريع الوحدة المغربية بين الأحزاب السياسية يتساءل محمد بوزوزو قائلا: "هل يتحقق توحيد الكفاح المغربي؟" مجيبا بمقال مطول عن ذلك وطارحا بعض الشروط التي يمكنها حسبه تحقيق تلك الوحدة فكتب: "إن الظروف التي تسود البلاد المغربية منذ انتهاء الحرب العالمية مليئة بالمآسي، ومصدر هذه المآسي يتلخص في اصطدام إرادة التحرر القومي بإرادة الاستعباد الاستعماري. أما إرادة التحرير فإنها تجلت بصفة واضحة في الأقطار المغربية... ولو تم لها الانسجام في ذلك لأسفرت المآسي عن نتائج تقرب الأقطار المغربية قاطبة في أهدافها ولأثمرت التضحيات المغربية الجسيمة... فإن وحدة الإرادة لا تعني وحدة العمل لتعجيل بتحقيقها، ولو أن الحركات التحررية المغربية وحدت عملها داخل كل قطر مغربي، لتقدمت تقدما سريعا نحو غايتها، ولو تم هذا التوحيد في الكفاح التحرري المغربي العام، لكان اليوم لأقطار المغرب كلها رأس مرفوع وصوت مسموع في الميدان الدولي" (2).

وقد نوهت في نفس السياق الجريدة بميلاد الجبهة المغربية (=المغربية) وأثنت عليها، وقد أشرنا إلى ذلك سابقا<sup>(3)</sup>، وعاد بوزوزو بعد سنة وذلك في الذكرى الأولى لتأسيسها ليحتفي بها كمولود، ويبيدي تأسفه وامتعاضه من عدم اشتغالها في الميدان، داعيا إلى إعادة بعث نشاطها للدفاع عن قضية المغرب في الداخل والخارج فكتب يقول: "في السادس من جمادى الأولى من السنة الماضية سطعت في الأفق المغربي أنوار انبثقت من بلدة شانتيي بفرنسا حيث اجتمعت الأحزاب القومية التونسية والجزائرية والمراكشية لتبرز للوجود-جبهة الاتحاد والعمل المغربية-وانقضت سنة كاملة وهو لا يزال في انتظار (=المولود الجديد)... أما العمل في الميدان الخارجي باسم الجبهة أو بما يدل على وجودها وحياتها فلا أثر لها لماذا؟... وإن لم

(1) المنار، س1، ع14، السبت 19 جانفي 1952، ص1.

(2) المنار، س1، ع16 الجمعة 15 فيفري 1952، ص1.

(3) المنار، س1، ع15، الجمعة 1 فيفري، 1952، ص2 (نص الميثاق).

تتحرك الجبهة في مغربنا وخارج مغربنا، ولم تحقق أحلامنا فالفكرة لا زوال تتحرك في رؤوسنا ومعانيها لازالت تسري في عروقنا والأمل يهتز في قلوبنا... وما تذكيرنا بالذكرى الأولى... إلا تذكير بتلك الفكرة الحية التي دفعت إلى الاجتماع والتأسيس، والتي نرجو أن تدفع إلى العمل لان الحياة عقيدة وعمل"<sup>(1)</sup>.

والملاحظ أن المنار بدأت في سنتها الثانية والثالثة توسع دائرة اهتماماتها، فتعرض مقالات مختلفة وتستقطب آراء المفكرين، والمبدعين والشعراء، والفنانين وتهتم أكثر بوضع الجزائر، وفي نظرنا أن كثرة اهتماماتها في السنة الأولى والثانية بقضايا خارجية، كان منبعه التحمس للوحدة المغاربية من جهة، ومن جهة أخرى، تلك التجارب الوجدانية التي عرفتها الساحة المغاربية بين الأحزاب في ظل تسارع وتيرة الأحداث، أما مع بداية خفتان المشروع الوجداني المغاربي في ظل انفراد المغرب وتونس بالمقاومة، وغلبة التيار القطري والنزعات الفردية هناك، قد جعل الجريدة نوعا ما تبتعد عن الطرح الوجداني لأن مسؤوليها أدركوا أن الأزمة استفحلت أكثر في بيت حركة الانتصار الذي كان هو في نفسه في حاجة إلى رأب الصدع في ظل الأزمة التي عصفت به سنة 1953، لذلك أصبحت الجريدة تدعو لاتحاد داخلي بين التيارات السياسية الجزائرية، لإنقاذ ما يمكن إنقاذه وفي هذا المجال طرحت قضية الاتحاد الداخلي بين الأحزاب السياسية في الجزائر، فتطرح متسائلة: "هل تعتقدون أن الاتحاد في الجزائر ممكن على أي أساس؟ وماهي وسائل تحقيقه؟"<sup>(2)</sup>، مستعرضة عديد الآراء من مختلف الشرائح والطبقات والنخب نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر: أحمد توفيق المدني، مالك بن نبي، محمد بن العابد، حسن بوقلي، عبد الحميد حيرش، إبراهيم يونس، الشيخ بلقاسم البيضاوي، محمد العيد آل خليفة، العربي دولا... وغيرهم.

---

(1) المنار، س2، ع17، الجمعة 6 فيفري 1953.

(2) نفسه.

ولكن هذا لا ينفي أنها سكتت بعد ذلك عن القضايا المغربية ، ولكنها بقيت مسaire دائما للأحداث، خاصة وأن هذه الفترة حساسة، وشهدت أحداث جد مهمة، فأوردت مقالات كثيرة لكتاب تونسيين ومغاربة، على غرار ما كتبه علاء الفاسي في إحدى صفحاتها تحت عنوان: "جهاد المغرب العربي المسلم من جهاد العالم العربي والإسلامي"<sup>(1)</sup>، لذلك يمكننا اعتبار جريدة المنار في فترة الخمسينات أهم وسيلة دعائية مثلت حركة الانتصار والكشافة الإسلامية أحسن تمثيل، بدليل أنها اشتملت على عدد كبير من الأدبيات من وثائق، ومنشورات وتصريحات، وخطابات، ومقالات، تدعو للوحدة المغربية بشكل صريح وعملي.

---

(1) المنار، س3، ع44، الجمعة 26 يونيو 1953، ص1.

#### 4- الوحدة المغربية في أدبيات الجمعيات الطلابية والكشافية:

تحدثنا في الفصل الأول عن تنامي النزعة العربية الإسلامية، وكذا التوجه الوحدوي العربي لكل من التنظيمات الطلابية والكشافية، ولعل هذا يقودنا مباشرة لدراسة الرؤية المغربية لهذه التنظيمات، والتي كانت تعتبر ضرورة من الضروريات وهي بصدد مقاومتها للاستعمار، الذي طبق سياسة التفرقة بين الشرائح والنخب المغربية، وجعلها تتوهم أنها تختلف عن بعضها البعض، وفي هذا السياق لعب الطلبة الجزائريون دورا جديا هام في الدعوة للوحدة المغربية، سواء من خلال أدبياتهم وانتاجاتهم كأفراد، أو الدعوة إلى تنظيم المؤتمرات والندوات الطلابية داخل الجزائر وخارجها كجماعات، والتي كان لها عظيم الأثر في نشاط الحركة الوطنية الجزائرية والمغربية فيما بعد.

ففي القانون الأساسي لجمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين سنة 1928، جاء فيه أنها ترمي إلى: "تمتين روابط المودة والتضامن بين طلبة شمال إفريقيا، وذلك بإنشاء ناد ومكتبة وإصدار مجلة باللسانين العربي والفرنسي والقيام باجتماعات منظمة" كما تهدف إلى: "تشجيع بلاد المغرب العربي على استكمال معلوماهم بفرنسا... تسهيل اقامتهم هناك... والجمعية لا تشتغل بالسياسة"<sup>(1)</sup>، وبالرغم من أنها لم تورد في قانونها الأساسي أي مادة تصرح بأنها ستخوض في الأمور السياسية، إلا أنها أرسلت من بلاد المهجر برقية في أبريل 1930 إلى كل من تونس والمغرب تعارض من خلالها سياسة المؤتمر الافخارستي بتونس، والظهير البربري بالمغرب، وكانت البرقية من إمضاء: 8 طلبة جزائريين، و6 مغربيين، و27 تونسيا<sup>(2)</sup>، لذلك ومن هذا المنطلق ستكون المؤتمرات التي عقدتها الجمعية حسب الدكتور علي أومليل: "سواء في انعقدت في باريس أم تونس أم في الجزائر... كانت هذه المؤتمرات تشكل مناسبات لذكر وحدة المغرب العربي، والتلويح بالشعارات وطرح برامج عامة، كضرورة توحيد التعليم وضرورة

(1) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 283.

(2) أحمد مريوش، الحركة الطلابية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006، ص 105.

الاعتناء باللغة العربية. هذه باختصار الشعارات، ولكن المهم هو أنها كانت تطرح كشعار تضامن<sup>(1)</sup>، وقد رأينا في الفصل الأول كيف أن المؤتمر الأول للطلبة (20-22 أوت 1931) الذي شارك فيه سبعة طلبة جزائريون، درس فيه حال التعليم في المغرب العربي، وأوصى بضرورة تدريس تاريخ الإسلام ومعه تاريخ المغرب العربي في مدارس افريقية الشمالية<sup>(2)</sup>.

أما في المؤتمر الثاني الذي عقد في الجزائر (25-29 أوت 1932) بمقر نادي الترقى، فقد أصر على فكرة الوحدة المغربية والقومية<sup>(3)</sup>، وقد ألقى عبد الرشيد مصطفىاوي قصيدة مرحّبة بالضيوف آملة في وحدة الشمال الإفريقي، التي لا تتحقق إلا بهذا لقاءات وجمعيات، كما ألقى شاعر المغرب العربي مفدي زكريا هو الآخر قصيدة بعنوان "هوضا بني افريقيا من سباتكم"<sup>(4)</sup>، بالإضافة إلى قصيدة محمد العيد آل خليفة<sup>(5)</sup>، كما ألقى رشيد بظموش باسم جمعية الشبيبة الجزائرية أيضا مداخلة، يدعو فيها للوحدة المغربية قائلا: "على أيدي أمثالكم يا رجال العلوم والمستقبل نرجو للشمال الإفريقي إعادة وحدته القديمة التي مزقتها الفوارق الوهمية كل ممزق فليحيا العلم وأنصاره"<sup>(6)</sup>، وبعد افتتاح الجلسات وأبواب النقاش تدخل العديد من الجزائريين أمثال أحمد توفيق المدني، وفرحات عباس، ومفدي زكريا الذي اقترح تحضير كتابين في التاريخ للمغرب العربي أحدهما للطور الابتدائي، والآخر للثانوي<sup>(7)</sup>، وكذا سعد بن أبي شنب الذي أصر على ضرورة تعليم التاريخ للناشئة المغربية، شريطة أن يكون التعليم موحدا

(1) علي أواميل، النخبة الوطنية وفكرة المغرب العربي، ندوة وحدة المغرب العربي، المصدر السابق، ص 48.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، المصدر السابق، ص 108.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 288.

(4) رشيد مياد، المرجع السابق، ص 88-90. لم نشأ أن نورد القصائد هنا احتراما للتسلسل المنهجي للدراسة، فأوردنا عديد القصائد عن الوحدة المغربية والعربية الإسلامية في الفصل الثالث المتعلق بأدب النضال الجزائري.

(5) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 108.

(6) رشيد مياد، المرجع السابق، ص 90، 91.

(7) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 289.

في كامل الأقطار<sup>(1)</sup>، كما أكد الطالب مصطفى باشا على ضرورة توفير مناصب شغل لطلبة المغرب العربي من المتحصلين على الشهادات الجامعية<sup>(2)</sup>.

وفي الاختتام قام كل من المنجي سليم (تونس)، وعلي الزاوش (الجزائر)، وعبد الخالق الطريس (المغرب) بجمع الأيدي فوق بعضها البعض ونادوا جميعا "لتحي وحدة الشمال الإفريقي"<sup>(3)</sup>، وقد رأت جريدة النجاح أن هذا المؤتمر: "هو بمثابة يوم عظيم في تاريخ نهضة المغرب العربي، وهو في نظرنا ليس اجتماعا سياسيا للنقاش والبيان، ولكنه اجتماع يشجعنا ويوقظنا إلى ما فيه خير المنطقة"، كما كتبت جريدة البلاغ عن المؤتمر قائلة: "أنه يهدف إلى وحدة شمال افريقية، وأن هذا اللقاء بين الشباب تحت راية الإسلام، يهدف إلى الوحدة التي مزقتها السياسة، وجمعها الدين"<sup>(4)</sup>.

وبالرغم من أن المؤتمر الثالث قد منعه السلطات الفرنسية من الانعقاد، وذلك مدينة فاس المغربية، خوفا من تنامي النزعة المغربية التي كانت تهدد الوجود الفرنسي بالمنطقة، لكنه هذا لم يثبط أبدا من عزيمة جمعية الطلبة، وانعقد المؤتمر في باريس (20-29 ديسمبر 1933)<sup>(5)</sup>، والتي كان متميزا هو الآخر، خاصة عندما زاره وفد من نجم شمال افريقيا، وعلى رأسه مصالي الحاج أبرز الداعين إلى تحرير المغرب من الاستعمار، والعمل على تحقيق وحدة المغرب العربي<sup>(6)</sup>، وقد كللت هذه الزيارة بالإضافة إلى مهرجانات، واجتماعات، نظمها النجم وحضرها ممثلون عن الطلبة المغاربة، بعقد

(1) رشيد مياد، المرجع السابق، ص 106.

(2) نفسه، ص 99.

(3) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 289.

(4) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 109.

(5) يقول الدكتور محمد بلقاسم أنه انعقد بتاريخ 26 إلى 29 ديسمبر. محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 292.

(6) محمد قنانش، الحركة الاستقلالية المصدر السابق، ص 61.

اتفاقية بين الجمعية والنجم في 4 جوان 1933، نتج عنها الخراط عديد الشرائح الطلابية في النجم، وكذا المساهمة بالكتابة في جريدته الأمة<sup>(1)</sup>.

انطلق المؤتمر وقد علقت على واجهة قاعة أشغاله راية فيها الألوان: الأخضر والأبيض والأحمر ترميزاً لوحدة الشمال الأفريقي، وكتب عليه بالعربية "المؤتمر الثالث لطلبة شمال إفريقيا المسلمين بباريس"<sup>(2)</sup>، وكان من بين التوصيات التي أقرها المؤتمر، تحذير الأولياء من عملية التبشير المسيحي التي يتعرض لها أبناء الشمال الإفريقي باسم العلم أو الدراسة، والتحذير من النزعة الأمازيغية التي كانت مدعومة من طرف الاستعمار والتي يهدف إلى تقسيم المغرب العربي إلى فسيفساء عرقية<sup>(3)</sup>، وكذا تطوير التعليم بالمغرب العربي...<sup>(4)</sup>.

أما المؤتمر الرابع للجمعية الذي انعقد بتونس بقاعة المطاعة الخلدونية (2 أكتوبر 1934) فقد عرف مشاركة جزائرية قوية هو الآخر، خاصة عندما ألقى مفدي زكريا قصيدة عن الوحدة إضافة إلى خطبته الشهيرة (=أشرنا إليها سابقاً)، والتي سميت عقيدة التوحيد لشباب شمال إفريقيا، فقد كانت هذه الخطبة مثالا رائعا عن إخلاص الفرد الجزائري للقضية المغربية، وذلك من خلال ما جاء فيها من تأكيد وتشديد وحماس بالغ لضرورة التفاعل مع قضية المغرب على أنها قضية واحدة، لا تفريق بينها ومما جاء فيها(بتصرف): "آمنت... بشمال إفريقيا وطننا واحدا لا يتجزأ... وأعمل لها مادام في قلب خافق

(1) لخضر عواريب، جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين بفرنسا وعلاقتها بالتيار الاستقلالي في الجزائر (1927-1955)،

مجلة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة ع24 جوان 2016، ص235. نقلا عن: مالك بن

نبي، مذكرات شاهد القرن، القسم الثاني الطالب، دار الفكر، ط01، دمشق 1970، ص ص، 245-249. أيضا: Charles

**Robert Ageron, l'Association des Etudiants Musulmans Nord Africains en France durant l'entre Deux Guerres), In , Revue d'Histoire d'Autre Mer t ,IXX, 1983, no 08, le 23 Juillet 1983,p36.**

(2) رشيد مياد، المرجع السابق، ص157.

(3) نفسه، ص ص154، 155.

(4) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص294.

ودم دافق، ونفس عالق... فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي... بل كلهم اخواني واحترمهم وأدافع عنهم... وكل من عمل للتفرقة بين أجزاء وحدة وطني شمال افريقيا اعتبره أكبر عدوّ لي ولوطني وأحاربه بكل وسيلة..."<sup>(1)</sup>، ورأى أحد الكتاب الفرنسيين أن هذا المؤتمر، قد أقر مبدأ الاستقلال المطلق لبلدان الشمال الأفريقي، واعتبر الطلبة أن المغرب العربي أمة واحدة، تشتمل على المغرب الأقصى والجزائر وتونس، ودعواتهم هذه تعتمد على قاعدة مشتركة واحدة هي الإسلام<sup>(2)</sup>.

انعقد بعدها المؤتمر الخامس لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين بتلمسان (6-10 سبتمبر 1935) الذي كان له ميزة خاصة نوعا ما، فكان قد مضى عام على تأسيس الأحزاب الوطنية في كل من تونس والمغرب الأقصى 1934، فبدأ وكأن كل قطر بات له لسان حاله، وسياسته الخاصة التي سينتهجها مع المستعمر، في هذا الوقت ظهر المؤتمر الذي بدا له التحضير مبكرا (جوان 1935).

افتتح الشيخ البشير الإبراهيمي بمحاضرة مذهلة كما رأينا سابقا أشار فيها إلى "تاريخ تلمسان ووحدة المغرب العربي في الماضي والحاضر والمستقبل"<sup>(3)</sup>، كما تناول محمد غرسي رئيس جمعية الطلبة الجزائريين المسلمين الكلمة مشيرا في مداخلته إلى الأسباب التي يجب الأخذ بها كقاعدة للنهوض بشمال افريقيا من النواحي العلمية والأدبية والاقتصادية والسياسية<sup>(4)</sup>، وقد كثرت النقاشات حول تاريخ وحضارة المغرب العربي، فاقترح أحد الطلبة حتى توحيد اللهجة و الزي واللباس في المغرب العربي، داعيا إلى تأسيس مصانع ونقابات تجارية للألبسة الموحدة لأهالي المغرب العربي<sup>(5)</sup>، وقد دعت توصيات المؤتمر

(1) أنظر النص في: محمد قنانش-محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري، المصدر السابق، ص 92، 93. (الملحق رقم 09)

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 297.

(3) نفسه، المرجع السابق، ص 300.

(4) رشيد مياد، المرجع السابق، ص 136، 137.

(5) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 303. رشيد مياد، ص 145 نقلا عن: الأمة (لأبي اليقطان)، ع 45، 8-10-1935.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

إلى ضرورة محاربة الأمية، وتوحيد برامج التربية على مستوى الشمال الإفريقي، ووجوب تدريس تاريخ المغرب في كامل المدارس الحكومية.

وقد كتبت جريدة الشهاب عنه تقول: " في السادس من شهر سبتمبر والأيام أربعة بعده، انعقد مؤتمر طلبة شمال إفريقيا المسلمين بعاصمتنا التاريخية تلمسان... فقد تمثلت فيه الأقطار الثلاثة الشقيقة تمثلاً حقيقياً، وتمثلت الكلّيتان المعمورتان الزيتونة والقرويين بمن حضره من تلاميذها ومدرسيها أم تمثّل، وتجلت فيه حقيقة الوحدة الدينية والوحدة العربية تمام التجلي... وان إخواننا التونسيين والفاسيين انقلبوا إلى أهليهم فرحين مغتبطين بما رأوا وشاهدوا"<sup>(1)</sup>، وقد اعتبرته السلطات الفرنسية خطراً حقيقياً على أمنها واستقرارها في شمال إفريقيا، خاصة وأن رئيس بلدية تلمسان (valeur) قد خرج غاضباً بعد الجلسة الافتتاحية للمؤتمر قائلاً: " إن وحدة المغرب يشهد بها التاريخ، ولكن هناك أيضاً وراء هذه الطبيعة قوة أخرى وحدت هي الجمهورية الفرنسية، فلا يمكن أن يعكّر صفو هذا النظام أفكار تساعد على الهيجان، وما توحد الشمال الإفريقي إلا تحت نفوذ فرنسا"<sup>(2)</sup>.

هذا وقد أسس الطالب الجزائري في تونس محمد العيد الجباري بعد ذلك جمعية في ديسمبر 1936 سماها " شبيبة شمال إفريقيا الموحدة" التي من مبادئها: إفريقيا الشمالية وحدة لا تتجزأ، وهي أمة واحدة يجب أن تظل أبداً الدهر أمة واحدة، والشمال الإفريقي شعب واحد، يجب أن تكون لغته وثقافته وعاداته واحدة، وأنه وطن واحد يجب على بنيه أن يكونوا في جهادهم والنضال عليه واجهة واحدة"، و قد بدأت الجمعية نشاطاتها وانضم عليها عديد الطلبة المغاربة، لكن السلطات الفرنسية سرعان ما أوقفت نشاط الجمعية، واعتقلت الطالب محمد العيد الجباري سنة 1937<sup>(3)</sup>.

(1) الشهاب، ج7، م11، أكتوبر 1935، ص494.

(2) محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 299، 300.

(3) نفسه، ص ص 307، 308.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

أما خلال الفترة الممتدة بين 1938-1939 فإن غالبية الطلبة في الجمعية كانوا تونسيين، ومنتمين إلى الحزب الدستوري الجديد<sup>(1)</sup>، وعندما قامت الحرب العالمية الثانية أخذ بريق النشاط الطلابي يخفت، وأصبح جل النشاط يلعبون دور المتفرج، بعدما أدخل غالبية القادة والمناضلين إلى السجون وأبعدوا إلى المحتشدات، ولم يعد إلا في سنة 1943 حين أعيد طلب تأسيس الجمعية وفق قانونها القديم وكونت مكتبا ضم جزائريين منهم: إبراهيم معيزة الذي ترأس المكتب، وعبد القادر حاج علي الكاتب العام<sup>(2)</sup>.

بعد الحرب العالمية الثانية عاد الطلبة إلى إعادة تنظيم الجمعية، كما أصروا مجددا على مطالبهم المغربية، وقد ذكرت تقارير فرنسية حسب الدكتور بلقاسم أن "الثلثين من الجزائريين (= في جمعية الطلبة) على الأقل، كانوا متعاطفين مع مصالي الحاج وحزب الشعب الجزائري، والثلث الآخر مع فرحات عباس وحزب البيان... " وأن جميع هؤلاء الطلبة كانوا يتحدثون عن المغرب العربي كوطن واحد ويتمنون استقلاله أو ينادون بشبه اتحاد لبلدانه الثلاثة، وقد بقيت النشاطات تعرف التذبذب والصراع إلى غاية 1950<sup>(3)</sup>، أين انعقد المؤتمر الحادي عشر لجمعية الطلبة المسلمين الشمال أفارقة (15-22 سبتمبر 1950)، وقد أقر طلبة المؤتمر عدة مطالب حول المغرب العربي هو الآخر، فتمنوا مساعدة الجامعة العربية لنيل حرية المغرب العربي، مؤكدين على أنه جزء لا يتجزأ من الأمة

(1) محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي من خلال قرارات المؤتمر الحادي عشر لجمعية الطلبة المسلمين الشمال أفارقة،

تونس 1950، مجلة المصادر، ع11، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، ص266

(2) نفسه، ص266.

(3) محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي من خلال قرارات...، المرجع السابق، ص ص267، 268.

## الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغربية

العربية الإسلامية، ومشددين على أنهم يرفضون حكاما وشعوبا الانضمام إلى الاتحاد الفرنسي، هذا بالإضافة إلى عدة مطالب، صاغتها اللجان الثقافية، والاقتصادية، والاجتماعية للمؤتمر<sup>(1)</sup>.

أما في ما يخص الكشافة الإسلامية الجزائرية فإنها هي الأخرى حملت معها رؤى وتوجهات وحدوية مغربية من خلال النشاطات التي كانت تقوم والمخيمات التي كانت تقودها إلى البلدان المغربية، فقد حاول بوراس سنة 1936 التفكير في انشاء اتحادية شمال افريقية للكشافة الإسلامية، مستثمرا في الرواد والكشافين، وجمعياتهم، وفرقهم التي كانت ذات صلات قوية مع الجمعيات الشبانية والطلابية التونسية، وظهر التنسيق بينهما في الزيارات المتبادلة، وتبادل المهارات الكشفية واحياء المناسبات الدينية<sup>(2)</sup>، كما كان بوراس أيضا عضوا نشيطا في لجنة العمل الثورية الشمال إفريقية (carna)<sup>(3)</sup>، وهو ما جعل السلطات الفرنسية تتهمه بمحاولة اشعال ثورة في المغرب العربي بمساعدة القوى النازية.

بعد الحرب العالمية الثانية توسعت علاقة الكشافة الإسلامية الجزائرية لتشمل الأقطار المغربية، فأرسلت وفدا جزائريا إلى المخيم الدولي المنعقد بجزيرة التونسية (ديسمبر 1948)، وهو المخيم الذي جمع فرقا مغربية، وفرنسية، وبقية الاتصالات بعده مستمرة بين الجزائريين والتونسيين في هذا المجال، بحيث ترأس جيجلي محمد نائب القائد العام وفدا يتألف من أربعة عضوا، شارك بهم في مؤتمر الكشافة التونسية المنعقد في بئر الباي بضاحية تونس، وقد استقبل الوفد بحفاوة شديدة من طرف الهادي الصافي القائد العام التونسي وكذا رئيس الجمعية<sup>(4)</sup>.

(1) بدأ الفتور يدب في أوساط الجمعية خاصة لما بدا استقلال تونس والمغرب يلوح في الأفق، فأسس التونسيون الاتحاد العام للطلبة التونسيين، وبعدها أسس الجزائريون الاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين بقيادة عبد السلام بلعيد وأحمد طالب

الابراهيمى وغيرهم. أنظر: محمد بلقاسم، نفسه، ص 270-274

(2) خير الدين شترة، المهاجرون الجزائريون، المرجع السابق، ص 453.

(3) Mohamed Derouiche, opcit, pp95-97.

(4) أبو عمران الشيخ-محمد جيجلي، المصدر السابق، ص 96.

كما كانت الوفود المغاربية تعرف مشاركات في عدة مخيمات أخرى، في الجزائر، وتيزي وزو، وعنابة وقسنطينة، بحيث أفادت هذه المبادلات الكشفية كثيرا، وسمحت بتطوير الحركة الكشفية من خلال تبادل النشريات والمطويات والكتب، واعتماد المصطلحات والتقنيات الكشفية باللغة العربية، خاصة مع الخبرة الكبيرة والواسعة للكشافة التونسية في هذا المجال، والتي استفادت منها الكشافة الجزائرية كثيرا<sup>(1)</sup>، هذا وتوالت بعد ذلك المخيمات على غرار الجولة الكشفية الجزائرية إلى تونس (سبتمبر 1952)، بالإضافة إلى التنديد بالانتهاكات أو العراقيل التي تتعرض لها الفرق الكشفية المغاربية مثل ما حدث مع الكشافة التونسية التي تم توقيف نشاطها<sup>(2)</sup>، وقد أسس المهاجرون في المغرب الأقصى أيضا أفواجا كشفية جزائرية<sup>(3)</sup>، وبالإضافة إلى كل هذا كانت الأناشيد التي كان ينشدها الشبان الكشفيون وطنية، مؤلفة باللغة العربية وتعبّر تعبيرا شديدا عن التضامن مع شبان أقطار المغرب العربي<sup>(4)</sup>، ولعل المهتم بهذا الموضوع بمجرد عودته إلى صحيفة المنار لصاحبها بوزوز المرشد العام للكشافة، والاهتمام الواسع لها بالحركات الوطنية المغاربية، والوحدة المغاربية، والعمل من أجلها يتضح له مدى مساهمة الكشافة الإسلامية الجزائرية في الدعوة للوحدة والدفاع عنها نظريا وتطبيقيا.

(1) أبو عمران الشيخ-محمد جيجلي، المصدر السابق، ص 96.

(2) نفسه، ص 96.

(3) مصلحة البحوث والتوثيق بالمركز الوطني للدراسات في الحركة الوطنية، دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية

والثورة التحريرية، المرجع السابق، ص 46.

(4) أبو عمران الشيخ-محمد جيجلي، المصدر السابق، ص 15.

خلاصة:

- إن عمق الشرخ الحاصل واحساس الجزائريين لاسيما النخبة منهم بانعزال الجزائر عن المغرب العربي، قد جعل كل الأطياف والتيارات تقريبا تنشد تلك الوحدة المأمولة، والتي لا طالما عرفت تجارب زاخرة عبر فترات التاريخ، لذلك ومن خلال الأدبيات الكثيرة التي تطرقنا إليها في هذا الفصل، يتضح لنا حجم الجهود المبذولة من طرق مناضلي التيارات الاستقلالية والإصلاحية، وكذا الجمعيات الطلابية والشبانية والكشفية التي سعت دائما للتشبث بالوحدة كأمل وقناعة راسخة تقتضيها حقوق الجوار واللغة والدين والعادات والتقاليد هذا من جهة، ومن جهة أخرى هي استراتيجية جد هامة لنضال الحركة الوطنية الجزائرية، التي كانت تحتاج الدعم المغربي بكل أشكاله، أمام قوة استدمارية اجهزت على العلاقات الجزائرية المغربية والعربية وحتى العالمية من اجل استكمال مهمة الاستفراد والاستغلال.
- إن الدعوة إلى الوحدة المغربية من خلال أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية كان ينبع من عمق الإحساس بالهوة التي تركها الاستعمار في المجتمع الجزائري، فالعزلة التي كانت مفروضة على الجزائر، والسياسات المبرمجة التي كانت تسعى دائما لخلق قطيعة بينها وبين تونس والمغرب، قد جعلت الوطنيين الجزائريين يتشبثون بذلك الخيار بكل ما يملكون من وسائل، فهو انتماء طبيعي قبل كل شيء، وهو استراتيجية أيضا من شأنها أن تساهم في اخراج فرنسا من الشمال الافريقي لو كللت الجهود الوحدوية بالنجاح.

# الفصل الثالث:

## الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

-تمهيد

1-الوحدة في التأليف والكتابات التاريخية.

1-1-التأريخ في أدبيات التيار الإصلاحى

1-2-التأريخ في أدبيات التيار الاستقلالى.

1-3-المؤلفات وموقع الوحدة فيها: مالك بن نبي أنموذجا

2-الوحدة في الأدب الجزائرى.

1-2-حضور المغرب العربى والعالم الإسلامى فى الشعر الجزائرى:

2-2-التوجهات الوحديّة فى الأدب الروائى والقصىّى الجزائرى.

3-رمزية الوحدة فى الفنون الجزائرية:

1-3-الهوية والوحدة فى المسرح التاريخى الجزائرى.

2-3-فنون الزخرفة والرسم والصورة ورمزية الوحدة فيها.

- خلاصة.

### تمهيد:

حفلت آداب كل الشعوب تقريبا بتراث أدبي وفني سجلت فيه تاريخها النضالي، وحماس وشجاعة أبطالها، وأبرزت فيه ملامح صمودها واستماتتها، فأبرزت لنا مواكبة الآداب والفنون لحركة الواقع، وهو ما انطبق على الأمة الجزائرية التي راحت هي الأخرى تسجل بأقلام من ذهب آلامها وأحزانها، وحركتها المقاومة في سبيل تحرير الوطن من الاستعمار، الذي فتك بهيبتها التي نالتها عبر مراحل التاريخ، فرغم كل الصعاب والقيود التي كان يفرضها المستعمر، كان حلم الوحدة أكبر مطامح الجزائريين لنيل الحرية والاستقلال، فالجزائر في نظرهم كانت جزءا لا يتجزأ من الأمة المغاربية المنتمية بدورها إلى الأمة العربية الإسلامية، خاصة وأنهم كانوا يعلمون جيدا أن هذه الوحدة كانت في الزمن الماضي سبب القوة والتقدم، وسرّ العظمة والمجد، أما وبمجرد تفرق وتشردم الأخوة، ضاع ذلك المجد الذي كان لقرون مطوقا بالاتحاد والتعاون، مدعما بالإسلام والعروبة والثقافة والمحلية، وأصبح المجتمع المغاربي والعربي الإسلامي يعيش ذليلا في أراضيه يذوق ويلات الاستعمار.

ومن الملاحظ قبل دخول غمار هذا الفصل أن غالبية الدراسات التي تناولت أبعاد الوحدة المغاربية والإسلامية والعربية في نضال وكفاح الحركات الوطنية في المغرب العربي، قد ركزت على ما تزخر به أدبياتها، وموثيقها، ونصوصها، وأشغال مؤتمراتها، وندواتها وتصريحات زعمائها، وحتى تلك المحاولات العسكرية، وأهملت إلى حدّ كبير آداب وفنون المغاربيين والجزائريين بالخصوص، لأنه إلى فترات قريبة كانت الدراسات الاجتماعية والأدبية في المجال التاريخي قليلة نوعا ما، خاصة في الفترات الأولى من عملية التدوين التاريخي، وعمليات جمع المادة والمصادر من جهة، ولاشتغال غالب النخب والفاعلين آنذاك بالشأن السياسي والعسكري من جهة أخرى، ولأن السياسة بالخصوص كانت تشكل الحاضر والمستقبل بالنسبة للشعوب المغاربية في مراحل جد خطيرة وحساسة من القرن العشرين.

ثم إن أسبابا كثيرة لا يسع المجال لذكرها هنا، حالت دون تسجيل تلك الإبداعات والصرخات الصادقة والمعبرة، ومنها سياسة الاستعمار الفرنسي الذي هدفت إلى اجتثاث الأمة الجزائرية من الجذور، وبالتالي محو ثقافتها، وآدابها، وفنونها، وفي هذا الصدد يقول الدكتور الراحل أبو القاسم سعد الله: "إذا كان الاستعمار قد أفاد بعض البلاد العربية حين نقل إليها المطبعة، والصحف والمجالس العلمية ونحو ذلك، فإنه في الجزائر كان على عكس ذلك تماما، إذ لم يأت لينشر حضارة وإنما جاء ليسلب أفكار الشعب، ويزور تاريخه ويحطم كيانه، ويستغل ثروته، وبذلك تعرضت شخصية الأدب التي ظلت محتفظة بمقوماتها وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملامح... ونتج عن هذا التباطؤ من جانب الحركة الأدبية وفقدان التوازن بين قوة العناصر الوطنية وبين وسائل الاحتلال تحجر وجمود في الحركة الفكرية عموما وحركة الأدب على الخصوص... إن ظهور الأديب كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بعدة مؤثرات مهدت له الطريق..."<sup>(1)</sup> ويضيف أبو القاسم سعد الله مركزا على ثلاثة مؤثرات فقط هي: "المؤثر العربي(الشرقي)، والمؤثر الوطني، والمؤثر الغربي"<sup>(2)</sup>.

وحتى لما وجدت الآداب والفنون الجزائرية، إلا أن نقص الإعلام والتعريف بأولئك الفنانين والمبدعين، وعدم نشر كتاباتهم نظرا للظروف المادية أولا ثم لنقص آلات الطباعة ودور النشر ثانيا، جعلها خافتة تهب على الهامش، فذهب رصيد لا بأس به من تاريخ الأمة الجزائرية خاصة (=مقارنة بالآداب والكتابات المغاربية في الأقطار الأخرى) والذي كان من شأنه إضاءة بعض الزوايا الغامضة من تاريخنا. لكن هذا لا يعني أبدا أنه لم يعرف نمو، فقد استغل الجزائريون فرصة النهضة الثقافية التي طالت أقطار المغرب بدايات القرن العشرين ليخرجوا مكبوتاتهم بطرق ووسائل عدة، لتنطلق الأقلام و الأيدي الألسن في الإبداع، فضمّنوا أعمالهم وإبداعاتهم رمزيات تلك الوحدة، فجادت قرائحهم بأفكار الاتحاد وعبروا بإخلاص عن طموحات الشعوب المغلوبة على حالها، فقد كانوا لسان التواقين

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، (مجموعة أعمال الدكتور) عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص22.

(2) نفسه، ص ص23-25.

للحرية والمتعطين لوحدة اختلفت معالمها ومعانيها ونظرياتها، من إسلامية، إلى عربية، إلى مغاربية وذلك حسب التوجهات والإيديولوجيات والمشارب والنزعات.

من هنا فكّرنا في ايراد فصل في هذه الأطروحة، عن أدب النضال وموقع الوحدة منه، لنلقي الضوء على ابداعات الجزائريين خاصة الكتّاب، والأدباء والفنانين منهم، وهم الذين دائما ما عبروا عن ارتباطهم بالوحدة، وبتدار الإسلام، والعروبة والمشرق، مستفدين ومتشبهين من ذلك التواصل الروحي والديني الذي ظل قائما تأكيدا على واجب الانتماء للأمة الإسلامية، وهو التواصل الذي تعزز أكثر بالروابط السياسية والثقافية والاجتماعية، بفضل عوامل عدة كالتصوف، والزوايا، والتضامن السياسي أحيانا، وذلك كما يرى المؤرخ المغربي محمد مالكي<sup>(1)</sup>.

### 1- الوحدة في المؤلفات والكتابات التاريخية:

إن سياسة التشويه التاريخي التي اعتمدها فرنسا في مستعمراتها وقف ورائها أخصائون ومؤرخون وعلماء آثار فرنسيون، فبالإضافة إلى هدم المنشآت الدينية خاصة في الجزائر وطمس المعالم الدينية، ابتدعوا أفكار أخرى كان هدفها محو كل ما هو جميل في الجزائر وبلاد المغرب، فقالوا بتأخر الحضارة الأمازيغية من جهة، وأصولها الآرية أو الأوروبية من جهة أخرى، مدعين وجهة نظرهم بالتواجد الروماني المسيحي القديم في شمال إفريقيا، وواصفين الشعوب الأمازيغية تارات أخرى بالتوحش والتفرق والصراع والهمجية، كما اعتبروا الفتح الإسلامي غزوا عربيا لم يعد بالفائدة على بلاد المغرب، وقد ذهب وراء تلك الكتابات والإشاعات العديد من المثقفين الجزائريين، وطلبة الجامعات، وحتى الأهالي الجزائريون، لذلك ظهرت طبقة مثقفة حملت على عاتقها لواء المقاومة والرد على مزاعم الفرنسيين وإثبات أن للمغرب العربي تاريخا كبيرا وحضارات مزدهرة وتاريخا مشرقا كتب بأحرف من ذهب، ويرجع الدكتور سعد الله أن المفهوم السياسي للتاريخ ظهر ربما لأول مرة على يد الأمير خالد وما

(1) محمد مالكي، الحركات الوطنية المرجع السابق، ص ص 81، 82.

تلاها، وهو الذي استشهد في خطبه وعرائضه بتاريخ جدّه وبكفاح الجزائريين خلال القرن 19م، ويقول في هذا الصدد أيضا: "يظهر أن التغيير الهام في مفهوم التاريخ وتقنياته، قد ظهر مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان ذلك مرتبطا بظهور الحركة الإصلاحية من جهة، والحركة الوطنية (=المطالب السياسية) من جهة أخرى، فكانت جهود ابن باديس في الأولى، وجهود الأمير خالد في الثانية"<sup>(1)</sup>، لذلك وفي فترة ما بين الحربين، ومع خضم التحول الذي عرفته الحركة الوطنية، ظهر مؤرخون جزائريون قادتهم الغيرة الوطنية مثل غالبيتهم الحركة الإصلاحية من أمثال: "مبارك الملي، وتوفيق المدني، إذ حاول هؤلاء كتابة تاريخ يشمل كلّ الحقب من العهد الفينيقي-البربري القديم إلى غاية الفترة المعاصرة، مع تفضيل الارتباط بالشرق الإسلامي والطابع المغربي-الإسلامي للجزائر، ردّا على الأيديولوجية الاستعمارية التي اجتهدت في إيجاد أسباب الوجود الفرنسي..."<sup>(2)</sup>.

### 1-1-عملية التأريخ عند رجال الإصلاح:

#### • أحمد توفيق المدني (رائد المدرسة التاريخية المغاربية):

من بين الشخصيات التي أعطت دفعا قويا للمدرسة التاريخية الجزائرية والمغاربية عموما فقد اشتغل في فترة حرجة جدا من تاريخ الجزائر فمنذ العام 1925 نشط في إخراج عديد الإنتاجات التاريخية، وصدر ذلك في عديد المجالات والجرائد، ومنها ما طبع على شكل كتب<sup>(3)</sup>، ويقول الدكتور عبد الكريم

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص306

(2) أحمد عبّيد، التاريخ الجزائري: نقد وتقييم-حالة الجزائر العثمانية، مجلة انسانيات، المجلة الجزائرية في الأنثروبولوجيا والعلوم

الاجتماعية، 2010، نشر في الإنترنت 201209 août، تاريخ الاطلاع 04 janvier 2017. URL :

<http://insaniyat.revues.org/4843> ; DOI : 10.4000/insaniyat.4843

(3) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص101.

## الفصل الثالث: الوحدة المغربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

بوصفصاف عن شخص المدني<sup>(1)</sup>: "لعل المؤرخ الجزائري الذي جمع بين الذاتية الجزائرية والإقليمية المغربية في كتاباته التاريخية، هو أحمد توفيق المدني، كاتب القطرين، وهو من طلائع المؤرخين الجزائريين الذين بدأوا يبحثون في التاريخ قديما وحديثا ومعاصرا في العشرينات"، واعترافا بدوره الهام أيضا كتب الدكتور عبد المالك مرتاض منوها يقول<sup>(2)</sup>: "يجب أن يعدّه التاريخ أحد المؤرخين الجزائريين، الذين قامت على أكتافهم النهضة التاريخية في وطننا خلال فترة عصيبة جدا، فلم يكدر يفتر عن البحث في القضايا التاريخية التي تتصل بالشعب الجزائري منذ أن بدأ هذه البحوث سنة 1925... فإن فضل المدني على التاريخ الوطني الجزائري إذن عظيم"، كما تقول فيه الدكتورة أنيسة بركات درار: "...من الرواد القلائل الذين رافقوا سير الحركات السياسية والإصلاحية والثورية بالشمال الإفريقي... إنه كاتب ممتاز وخطيب مصقع، له مؤلفات قيمة في التاريخ والجغرافيا وله مقالات شيقة في مناهضة الاستعمار..."<sup>(3)</sup>.

ويعرف أحمد توفيق المدني التاريخ قائلا: "التاريخ في نظري عرض وتحليل وتعليل وحكم، فالمؤرخ الحق إنما هو حاكم نزيه، حرّ الضمير، يدرس الوثائق والمستندات، ويستخرج الحقائق من بين النصوص، ويستمتع بإمعان إلى ما يقوله هؤلاء وما يقوله هؤلاء، ثم ينظر الملابس ويدرس المحيط، فإذا ما أسفر أمامه وجه الحق ناصعا أصدر حكمه عادلا لا عاطفة، ولا رياء، ولا محاباة"<sup>(4)</sup>.

---

(1) عبد الكريم بوصفصاف، المؤرخون الجزائريون ومنهجية الكتابة في الحركة الوطنية في عهدي الاحتلال والاستقلال، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر 1998، ص 46.

(2) عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1983، ص 219.

(3) أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995، ص 257، 258.

(4) أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت)، ص 08.

والحق أن هذا المؤرخ بحث في كثير من المواضيع التاريخية المتفرقة، وهذا ليس معناه أنه حاول أن يجوب بفكره مجاهل التاريخ الإنساني العام، فذلك مالم يكذب يتاح لمؤرخ جزائري في النصف الأول من القرن العشرين، إنما معناه أن الرجل كان ولعا بالدراسة التاريخية التي تتصل بالجزائر إذ أنه من العسير على أولئك المؤرخين الجزائريين أن يصرفوا وجهتهم إلى التاريخ الإنساني العام، من حيث أن تاريخهم نفسه بحاجة إلى البعث والإحياء، حيث أن تاريخ الجزائر كتب من وجهة نظر واحدة، وهي استعمارية بحثة، حيث كلف المستشرقون وغير المستشرقين من الفرنسيين وغيرهم بكتابة هذا التاريخ<sup>(1)</sup>.

فالمديني بذلك حرر مؤلفات جد قيمة، فتحت آفاقا عريضة وواسعة، شكلت قطيعة كاملة بالنسبة للمنشورات التقليدية في ميدان تاريخ الجزائر والمغرب العربي، وأثبت من خلال هذه الكتابات أن الجزائر هي جزء مغاربي وإفريقي وعربي إسلامي، ويمكننا تتبع أعماله على النحو التالي:

#### - تقويم المنصور:

جاء في شكل مجلة، وشمل خمسة أجزاء، أصدرت الثلاثة الأولى منه بتونس بداية من العام 1922، وأصدر الجزئين الرابع والخامس في الجزائر سنوات 1926-1927<sup>(2)</sup>، ويقول عنه المديني: "كانت مادته العلمية غزيرة، ومادته الأدبية وافرة، وقد ضمنته بحوثا ضافية ممتعة عن المدينة العربية وعن العالم الإسلامي، وكان اقبال الشعب عليه عظيما، خاصة بالقطر الجزائري" وقد حجزت نسخه في كل من الجزائر والمغرب، ورفض تداوله<sup>(3)</sup>، وقد كتبت الشهاب عن المؤلف تقول: "أهدى إلينا صديقنا الكريم الكاتب الشهير السيد أحمد توفيق المديني نسخة من تأليفه النفيس -تقويم المنصور- الذي كنا قد نوهنا به

(1) عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 207-211.

(2) عبد القادر خليفي، المرجع السابق، ص 104.

(3) أحمد توفيق المديني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 81.

قبل صدوره، فكان فوق ما نوهنا علم حي، وأدب غض، وتاريخ قومي ومختارات نفيسة، وقطع فائقة في ستة عشر بابا...<sup>(1)</sup>.

#### - قرطاجنة في أربعة عصور:

صدر عام 1927 بتونس، تناول تاريخ إفريقيا الشمالية خلال أربعة قرون تحت حكم قرطاجنة، وعن دوافع تأليف هذا الكتاب ذكر المدني أنها جاءت استجابة لإرادة بعض أقطاب الحركة الإصلاحية<sup>(2)</sup>، بحيث طُلب منه الردّ على مزاعم بعض الكتاب الغربيين والفرنسيين الذين قاموا بدعاية مشوهة لهوية وأصالة منطقة المغرب العربي<sup>(3)</sup>، ويقول المدني عن الكتاب: "أنجزت تحرير الكتاب وتنقيحه وتبييضه، واخترت له أبداع الصور الأثرية التي لم يسبق نشرها اطلاقا في اللغة العربية، وطبعت له مصورا جغرافيا لكامل المغرب العربي كبير الحجم، واضح الشكل، كتب بخط الأخ عمر راسم، وقدمته للطبع بتونس في دار المطبعة الأهلية، ثم أعلنت عنه في الصحف بالشمال الإفريقي"<sup>(4)</sup>.

#### - كتاب الجزائر:

ألزم المدني خمس سنوات من العمل، ظهر عام 1931 تزامنا والاحتفالات المئوية الاستفزازية الفرنسية في الجزائر، اعتبره أبو القاسم سعد الله بأنه كان بمثابة كتاب الجيب بالنسبة لتاريخ الجزائر، وبالرغم أنه

(1) الشهاب، م 2، س 2، ع 51، 26 أوت 1926، ص ص 275، 276.

(2) يقول المدني: "جاءتني مئات الرسائل من ابن باديس والميلي وغيرهم، ومن عرفت من رجال قسنطينة وبسكرة وتلمسان، وعنابة ومن فاس ومراكش والرباط ومن تونس، وأغلب مدن مملكتها، رسائل نثرية، حافلة بالإعجاب والثناء. لا أزال اعتز بها ومحتفظا بها كذخيرة من أئمن ذخائر الحياة". حياة كفاح، ج 2، ص 109. نتمنى أن تكون هذه الرسائل التي تحدث عنها المدني لازالت موجودة عند عائلته، فالرسائل من الأدبيات الهامة في عملية التوثيق التاريخي، فيمكنها ان تطلع الباحثين أكثر عن الحركة الثقافية الجزائرية في هذه الفترة، ومراسلات الشخصيات المغاربية فيما بينها، خاصة وأن المدني قال إنها بالمئات.

(3) عبد القادر خليفي، ص ص 106، 107.

(4) أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 107.

لم يكن كتابا تاريخيا حين صدر<sup>(1)</sup>، إلا أنه أحدث ضجة كبيرة بين الأوساط، فكان فتحا مبينا، كشف الزيف الاستعماري، وسجل تاريخ الجزائر من أقدم العصور إلى سنة 1930<sup>(2)</sup>، وقد جاءت لغة وأسلوب وعاطفة الكتاب كلّها في صالح الهوية العربية الإسلامية للجزائر<sup>(3)</sup>، ووصلت توفيق المدني بعد تأليفه أكثر من 533 رسالة تثني عليه، كما كتب عنه عدة رجال سياسة وعلم وأدب على غرار الأمير شكيب أرسلان، والدكتور حسن مؤنس، والدكتورة عائشة عبد الرحمن... الخ<sup>(4)</sup>، ويكتب المدني في مستهلّه قائلا: "إليكم أيها الشبان المسلمون الجزائريون في أرض الجزائر الكريمة... إنكم ترون كما رأيتم، أن أبناء العربية في الجزائر يجهلون عن الوطن الجزائري كل شيء... تاريخه... طبيعته... نظمه وقوانينه... عناصر سكانه... حالته الأدبية وقوته الاقتصادية... ها أنا ذا يا شبان المسلمين أقدم لكم كتاب الجزائر... فتقبله من أيها الشاب المسلم الجزائري... تذكر ولا تنس أن الجزائر لا تسعد إلا إذا عملت في دائرة دينها ولغتها و قوميتها"<sup>(5)</sup>.

#### – المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا:

صدر في بداية الأربعينات، كلف المدني سنة كاملة من العزلة والبحث والتحرير، وكان كتابا لعموم العالم العربي، لمعرفة تاريخه وجغرافيته، فتطرق للفتوح الإسلامية في صقلية التي اعتبرها المدني أنها أفريقية

(1) شبهه الراحل سعد الله بكتاب المرأة لحمدان خوجة، خاصة لما كان ضعيفا من حيث الجانب التاريخي، وركز على النظام الإداري، والقضائي والمحاكم، والحالة الاقتصادية والاجتماعية، وأبرز المدن وعدد سكانها، والحياة التعليمية... الخ. أنظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المصدر السابق، ص 422.

(2) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص198.

(3) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص422.

(4) أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص207.

(5) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، (آثار أحمد توفيق المدني)، دار البصائر، الجزائر، 2009، صص 17-19. في مذكرة

أمنية جاء أن المدني طلب من مصطفى بن شعبان أن يبحث له عن طوبوغرافي تونسي من أجل مساعدته في الكتاب. انظر: A.N.T، série : mouvement national، carton 23، dossier n°3، Note n°21-05 politique musulmane، information divers : d'ampliation à la résidence générale intérieure، Tunis le 3 janvier 1930.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

أكثر مما هي أوروبية، ولما انتهى منه ونشره، تقبله التونسيون والجزائريون والمراكشيون بابتهاج كبير، وقد كتبت عنه الصحف والمجلات أيضا معرفة به ومثنية عليه، كما قرأه المستشرقون ناقدية إياه ومنوهين به<sup>(1)</sup>، وقد ذكر المدني دوافع تأليفه فقال: "صفحة التاريخ الإسلامي بصقلية لم تكتب بعد، ولم يقبض الله لها من يفرد بها بدراسة قيمة... فيكاد يخيل إليك وأنت تتلو كتب التاريخ القديمة أن مقام المسلمين بصقلية ما كان إلا سلسلة حروب وفتن واضطرابات، وتلك لعمري هفوة من مؤرخينا علينا تداركها، وعلينا أن نسد هذه الثلثة في هيكل تاريخنا القومي العربي"<sup>(2)</sup>.

ولعلنا نقول بأن كتابات المدني، ماهي إلا جزء من نضاله ومقاومته للاستعمار في الجزائر، وبلاد المغرب العربي، وعموم العالم الإسلامي، فالقارئ لكتابات المدني يلاحظ موضوعيته الكبيرة في دراسة الأحداث، ومنهجيته التاريخية السليمة مقارنة بكتابات أخرى في ذلك العصر، بالرغم من طابعها الدفاعي الذاتي الذي كان أمرا ضروريا في تلك الفترة، فقد استغل قدراته وامكانياته للتعريف بالحالة الحاضرة في الجزائر والعالم الإسلامي، فطرحها من زاوية تاريخية مبتغيا في ذلك إثارة وتحفيز أصحاب الهمم للثورة ضد الأوضاع القائمة<sup>(3)</sup>، فقاوم المستعمر الفرنسي بنفس سلاحه تقريبا وهو التاريخ، فالأول سعى لتشويهه وطمس وتزوير التاريخ، والثاني سعى لإبراز وتصحيح وترسيخ التاريخ، ولعل المادة التي أخرجها المدني و قدمها لجيله وللأجيال اللاحقة، كانت كفيلا يبعث روح الوحدة المغاربية الضائع مجدها، والتشبت بالمجال العربي الإسلامي والإفريقي، لميز العالم الشرقي عن الغربي في كل شيء، وإقرار قاعدة أن الغزو الأوروبي في للشمال الإفريقي والمستعمرات الأخرى، ما هو إلا حرب على الإسلام، والعروبة، والهوية، وامتصاص الخيرات، وتطبيق سياسة غلبة القوي على الضعيف،

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، ص ص 341-343.

(2) أحمد توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985، ص4.

(3) كانت السلطات الفرنسية تراقب كتابات المدني وتصريحاته أو دعايته لكتبه، فقد صرح في إحدى الاجتماعات أن من خلال كتابه الجزائر بين للجزائريين أن لهم مكانة محترمة في تاريخ العالم داعين إياهم للعمل الوطني منذ 1929 والسنوات التي تلت. أنظر: CAOM، A46، 25h32، dossier n°12: A/S : d'une réunion chez tewfik el Madani, rapport de 14 octobre 1938.opcit.

لذلك سعى المدني لدحض كل تلك الشائعات التي تقول أن الأوروبيين أتوا بالحضارة إلى هذه الضفة، فكانت كتاباته في نظرنا ليست فقط مدرسة تاريخية، بل مدرسة وطنية وحدوية مغاربية وعربية إسلامية بامتياز.

● محمد بن مبارك الميللي<sup>(1)</sup>:

نجد من بين الجزائريين الذين وقعوا حضورهم لكتابة التاريخ الجزائري، والمغاربي عموماً المؤرخ مبارك الميللي، فقد ألف كتاباً يعتبر الأول من نوعه، وهو تاريخ الجزائر بشكل عام فتطرق فيه بشكل جيد لمختلف العصور التي مرّت بها الجزائر<sup>(2)</sup>، وعنوانه بـ "تاريخ الجزائر في القديم والحديث"<sup>(3)</sup>، وقد جاء في جزئين، راداً على مزاعم الفرنسيين الذين نفوا وجود الأمة الجزائرية، ولم يعترفوا أبداً بوحدة المغرب العربي الجغرافية والتاريخية التي انصهرت مكوناتها بدخول الإسلام، صدر الجزء الأول منه سنة 1928

(1) هو مبارك بن محمد بن مبارك الهلاي الميللي (1898-1945): مؤرخ، كاتب، ومناضل من رجال الإصلاح، ولد في ميلية بالقبائل الصغرى، تيمم وهو في سن الرابعة من عمره، دخل لتعلم القرآن على يد الشيخ أحمد بن الطاهر مزهود، وكان حفظه لكتاب الله في أولاد مبارك، انتقل بعد سنوات إلى زاوية الشيخ الحسن بسيدي خليفة، ثم إلى مدرسة الشيخ محمد الميللي المعروف بابن معنصر فوجد فيها ضالته ولبث من (1912-1918)، توجه بعد ذلك إلى قسنطينة للتعليم على يد ابن باديس، ذهب بعدها إلى تونس فتخرج من الزيتونة بشهادة التطويع، ثم عاد على الجزائر، ويرى سعد الله أنه في هذه الفترة عكف على التأليف أكثر من التدريس رغم أنه كان شاباً في الثلاثينات من عمره، انتقل إلى الأعواط وكان من رجال الإصلاح بها، وقد ساهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، له عدة كتابات على غرار تاريخ الجزائر في القديم والحديث الذي نحن بصدد التعريف به، ورسالة الشرك ومظاهره الذي كان ينشر على شكل مقالات أو فصول في الشهاب والبصائر، ومقالات وآراء أخرى حول الجزائر، والعالم العربي الإسلامي، والإصلاح... الخ. راجع للاستزادة عنه: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المصدر السابق، ص409-413. أيضاً: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص325.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المصدر السابق، ص409.

(3) مبارك بن محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، تقديم وتصحيح: محمد الميللي (مؤخراً)، تقع الطبعة التي استعملناها في جزئين، وله عدة طبعات لدور نشر مختلفة، وقد استعملنا نحن طبعة المؤسسة الوطنية للكتاب (د.ت). ونشير إلى أن ابنه محمد الميللي قد واصل الكتابة عن أبيه الذي توقف في الجزء الثاني، وقد بدأ في كتابة الجزء الثالث لكنه توقف وترك منه عشرين صفحة فقط، وأكمل ابنه محمد الميللي (توفي 8 ديسمبر 2016) هذا الجزء وخصه للحكم العثماني في الجزائر. أنظر: مبارك بن محمد الهلاي الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964، ص ص7، 8.

والثاني في 1932<sup>(1)</sup>، ويقول الميللي في إهدائه الأول: "...إن الإرادة الحقيقية التي بيدها رفع مستوى الأمم هي إرادة الشعب، فقد صار الكتاب يهدون لشعبهم أو لعظيم من عظمائه هو رمز لذلك الشعب، ونحن نهدي كتابنا هذا إلى الشعب الجزائري، إلى شبابه المفكر، ورجاله العاملين المخلصين".

وما إهداء كهذا إلا دليل على أن الميللي كان على دراية الجزائريين يجهلون تاريخهم تماما، وهم بأمس الحاجة إلى هذه الأعمال، فأراد أن يثبت أن للجزائر تاريخا وحضارة تندرج ضمن حضارة المغرب العربي العريقة، المنضوية تحت لواء الأمة العربية الإسلامية الكبيرة، فنجد في الكتاب يذكر كل المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر بدءا من تشكل جغرافيتها الطبيعية، ومارا بجميع العصور والدويلات التي حكمتها وإلى غاية نهاية العصر الوسيط، فاعتمد التبويب وتقنيات البحث الحديثة في تلك الفترة، فبدأت الجدة واضحة في عمله، كما بدأت الوطنية أكثر وضوحا في المؤلف الذي اعتبر صاحبه أن الفرنسيين أجنب (محتلين) سواء كانوا مدنيين، أو عسكريين<sup>(2)</sup>، وقد اعتمد على مصادر ومراجع أجنبية وعربية غالبها كان في الجزء الأول خاصة لما أظهر الهوامش، ويذكر الميللي أن أحمد توفيق المدني وعمر دهيبة، ساعده كثيرا في عملية الترجمة من العربية إلى الفرنسية<sup>(3)</sup>، وقد كتبت جريدة النجاح قائلة عن مؤلفي الميللي والمدني: "إن المؤلفين قد أزالا الحجاب الذي كان يحجب تاريخ آبائنا، وأعاد الحياة إلى تراث أجدادنا"<sup>(4)</sup>، كما ذكرت الشهاب خبر طبع جزئه الثاني بالطبعة الإسلامية الجزائرية التي تطبع بها الشهاب<sup>(5)</sup>.

(1) رابع لونيبي، المرجع السابق، ص 364. سعد الله يرى أن الجزء الأول صدر في 1929. تاريخ الجزائر الثقافي، ج 7، ص 414

(2) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص 416.

(3) مبارك الميللي، المصدر السابق، ج 1، ص 7. أيضا: المدني، حياة كفاح، ج 2، المصدر السابق، ص 209.

(4) نور سلمان، الادب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 117.

(5) الشهاب، م 8، س 8، ج 5، ماي 1932، ص 323

• الشيخ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي<sup>(1)</sup>:

ألف الشيخ عبد الرحمن الجيلالي كتاب بعنوان "تاريخ الجزائر العام"<sup>(2)</sup> سنة 1953، وجاء في جزئين، تناول فيهما التاريخ الجزائري من العصور القديمة إلى العهد العثماني، وكانت دوافعه وطنية هو الآخر<sup>(3)</sup> بحيث أهده على عقبه بن نافع الفهري فقال: "باسمك اللهم، أتشرف برفع كتابي هذا وإهدائه إلى مقام رفعة حامل قبس الهداية الإسلامية إلى هذه الديار، ومنقذها من وصمة الكفر والعار والمعلي فيها كلمة الله، والمجاهد في سبيل الله، إلى فاتح أفريقية، وقاهر القوات الرومانية، وكاسر عادية البيزنطية، إلى منزلز أقدام القياصرة، وهازم جحافل الجيوش الأباطرة، ومارك البرابرة، إلى روح ذلك البطل الخالد والأمير الفاتح العظيم، مفخرة الجزائر، ودرة تاج تاريخ الجزائر مجدها في الحاضر والغائب سيد الشهداء عقبه بن نافع الفهري رضي الله تعالى عنه"<sup>(4)</sup>، فالبرغم من أن عبد الرحمن الجيلالي يلتقي مع المدني والميلي في الرؤية الوطنية للتاريخ، وتوظيفه لصالح الحاضر<sup>(5)</sup>، إلا أنه ركز في كتابه على الفترة الإسلامية كثيرا وخصص 84 صفحة فقط لما قبل الإسلام عكس المدني والميلي، وكان ذلك لعدة أسباب، من بينها الرد على ما كتبه المؤرخ الاستعماري "قوتيه" في هذه الفترة والذي سماها ب الفترة المظلمة، ومقاومة تلك النزعات البربرية التي كانت تظهر في بدايات الخمسينات، خاصة وأن البعض

(1) ولد عام 1906 أو عام 1908 بالجزائر، درس كتاتيب ومساجد الحي، ثم انقل إلى المسجد الكبير، وجامع سيدي رمضان ومسجد غلد الرحمن الثعالبي بالعاصمة، تتلمذ على خيرة علماء ذلك العصر امثال الشيخ عبد الحليم بن سماية، والشيخ المولود الزرربي الازهري، والحفناوي صاحب تاريخ الخلف، والشيخ محمد بن أبي شنب، ومع كل هذا كانت ثقافته عاصمة حسب سعد الله، فقد تعمق في القرآن، والحديث، والأدب، والتاريخ، والفقه، وتولى بدوره التدريس في مدرسة الشبيبة الإسلامية أثناء إدارة الشاعر محمد العيد آل خليفة خلال الثلاثينات، له بعض الإسهامات القليلة في الشهاب، وله كتاب تاريخ الجزائر العام الذي ندرسه في المتن، وكتاب آخر بعنوان "ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب" الجزائر 1932. انظر عنه: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، صص 423، 424.

(2) استعملنا نسخة: عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1-ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1965.

(3) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، صص 423.

(4) عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج1، صص 12.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المصدر السابق، صص 423.

كان في العرب غزاة لا فاتحين<sup>(1)</sup>، كما هدف المؤلف أن يقتدي الجيل الجديد بأسلافهم، ولا ينغمسوا في الحضارة الأوروبية وينسوا ماضيهم الحافل بالقادة والإنجازات<sup>(2)</sup>.

كما يبدو أن الجيلالي تأثر في هذه الفترة حسب رأينا بنشاط الجامعة العربية في هذا الميدان، والتي كانت مؤتمراتها تسعى لرد الاعتبار للتاريخ العربي والإسلامي، وتمجيد الشخصيات والبطولات والسير الذاتية، لذلك ضمّن في كتابه تلك القرارات التي خرج بها المؤتمر الثقافي العربي الأول لجامعة الدول العربية، المنعقد ببلنات بتاريخ 9-9-1947، والذي من بين ما جاء فيه حول أهمية التاريخ في ترسيخ مشروع الوحدة العربية: "إن المؤتمر يرى إبراز الاشتراك التاريخي، والاتصال الجغرافي التام بين البلاد العربية في قارتي آسيا وإفريقيا، إذا كانت هذه البلاد في العصور القديمة مرتبطة بأوثق الصلات، ثم كانت حقبة طويلة من الزمن وحدة سياسية تضمها امبراطورية عربية عظيمة، كما ظلت في العصور المتأخرة مرتبطة بعضها مع بعض بروابط متينة، وأن الحضارة العربية احتفظت بكيانها وطابعها ووحدتها على مرّ العصور"<sup>(3)</sup>.

لذلك كان هذا الكتاب التاريخي خادما لأطروحة أن الجزائر جزء لا يتجزأ من المغرب العربي، ومن الأمة العربية الإسلامية، لذلك دائما ما كان يثني المؤرخ على دور الإسلام والعروبة في انسجام بلاد المغرب، هذا بالإضافة إلى عبقرية أبنائه وعلمائه، الذين توالوا على الدول المستقلة الحاكمة<sup>(4)</sup>، ونقتبس جملة افتتاحية من الكتاب في جزئه الثاني، يثني فيه على فضل دولة الموحدين في وحدة الشمال الإفريقي (=المغرب الإسلامي)، حيث قال عبد الرحمن الجيلالي: "لقد مرّ بنا أن دولة الموحدين

(1) رابع لونيبي، المرجع السابق، ص372.

(2) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص423.

(3) عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج1، ص28.

(4) للاستزادة في منهجية تأليف الكتاب راجع: فاطمة بلهوارى، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ومنهجه في تدوين تاريخ دول

الجزائر خلال العصر الوسيط، مجلة عصور، ع18-19، ديسمبر-جانفي2012، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر

وتراجم)، جامعة وهران، ص ص187-200.

استمرت قابضة على صولجان الملك، ووحدة الشمال الإفريقي طيلة مدة قرن ونصف، ولقد اكتسب المغرب الإسلامي يومئذ بوحدته هذه بأسا وقوة، تمكن بهما من نشر نفوذه السياسي على بلاد الأندلس<sup>(1)</sup>.

هذا وقد ساهم الشيخ عبد الحميد ابن باديس هو الآخر ببعض الكتابات القليلة في المجال التاريخي، لكنها مست خاصة تاريخ الصحابة وسيرهم، وبعض القادة المغاربة والعرب أو المسلمين الذي أثنى على أدوراهم في المجال على التاريخ، لذلك افتتح بابا في مجلة الشهاب يُعنى بسير وتراجم الأولين وأخبارهم، وفتح الأبواب لكل الأقلام للمشاركة فيه، فكتب يقول: "هذا باب جديد فتحناه في الشهاب، أردنا منه أن يطلع القراء على تراجم بعض رجالنا ونسائنا من سلفنا الصالح، وماهم من صفات اكتسبهموها (كذا) الإسلام، وما كان منهم من أعمال في سبيله، ففي ذلك ما يثبت القلب، ويعين على التهذب، ويبعث القدوة، وينفخ روح الحياة، ومحي خلف إلا بحياة سلف، وما حياة السلف إلا بحياة تاريخهم ودوام ذكرهم..."<sup>(2)</sup>، والشيخ ابن باديس كان يعلم أن كل البلاء الذي كان مسلطا على الأمة العربية والإسلامية، إنما مردّه إلى أحداث وأخطاء تاريخية متراكمة، لذلك كان دائما ما يوصي بالتشبيث بمبادئ السالف الصالح التي تمثل تاريخنا وعبرا من أجل التحرر من الاستعمار.

أما البشير الإبراهيمي فساهم هو الآخر بمقالاته التاريخية في الصحف والجرائد والمجلات، والتي نجدها في كتابه الآثار ومن جملة ما كتب نذكر: مقاله بعنوان "تلمسان وابن خلدون"<sup>(3)</sup>، أشاد فيه بحاضرة العلم تلمسان، وعلمائها ومؤسستها الدينية والفكرية، وما استقطبها لعلماء على غرار ابن خلدون إلا خير دليل على منزلتها الرفيعة، وذلك يندرج دائما ضمن التعريف بحضارة الجزائر والمغرب العربي، وتقديمها كمادة تعريفية تثقيفية للقراء، كما كتب في نفس السياق مقالا آخر بعنوان "المسلمون في جزيرة صقلية"<sup>(4)</sup>، يشيد فيه بالدور الذي لعبه المسلمون الفاتحون، وخاصة فاتحي شمال إفريقيا

(1) عبد الرحمن الجيلالي، المصدر السابق، ج2، ص7.

(2) ابن باديس، رجال الإسلام ونسأوه، الشهاب، م10، ع جانفي 1934، ص16.

(3) الإبراهيمي، الآثار، ج1 (1929-1940)، ص ص 370، 371. عن: الشهاب م14، الجزء6، أوت 1938.

(4) نفسه، ج2، عن: البصائر، س1، السلسلة الثانية، 1 أوت 1947.

للمنطقة، كما يثني على كتاب أحمد توفيق المدني، والذي كان ردًا مبينا حسبه على الفرنسيين الذين تجاهلوا الأمة الجزائرية والمغاربية وصنّفوها من الحضارات المتأخرة، كما أن الشيخ الابراهيمي ألف أرجوزة حول تاريخ الجزائر منذ القدم وإلى فترة كتابتها، جاءت في ثلاثة آلاف وستمائة 3600 بيت، لكنها ضاعت إبان الثورة التحريرية، وله أيضا أربعة محاضرات حول تاريخ الجزائر المعاصر، كان قد ألقاها في بداية الخمسينات بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة تحت عنوان "الاستعمار الفرنسي في الجزائر"<sup>(1)</sup>، ومما جاء في إحدى تلك المقالات حول الاستعمار ومحاولاته لتشويه التاريخ: "الجزائر وطن بربري قبل الإسلام يضم جمهر القبائل البربرية وأصولها الأولى، ووطن عربي إسلامي منذ دخله الإسلام يصحب ترجمانه الأصيل وهو اللسان العربي...ومن السفه لو ادّعى الرومان الذين ملكوها قرونا أنها صارت بذلك رومانية...ومن أسفه السفه دعوى مجانين السياسة من الفرنسيين أنها قطعة من فرنسا"<sup>(2)</sup>.

ولعل التيار الإصلاحية كان سباقا إلى الاهتمام بالتاريخ والكتابة التاريخية، فكل المؤرخين الذي مررنا بهم هم من الإصلاحيين، فكانوا بعملهم ذلك قد حضروا الأرضية لاسترجاع الاستقلال الوطني، ولولا كتاباتهم لما أነعت الفكرة الاستقلالية، وذلك من خلال الوعي الذي انتشر بين صفوف الشعب والمتقفين خاصة<sup>(3)</sup>، هذا ويجب الإشارة إلى أن معظمهم لم يكن يرى الجزائر منعزلة أبدا، بل العكس دائما ما كانوا يسعون جاهدين لربطها بفضائها المغاربي الإفريقي، والعربي الإسلامي، خاصة لما كان الاستعمار دائما يرى بأن الجزائر ما هي إلا ثلاث عمالات تابعة لفرنسا.

(1) رابح لونيبي، الاتجاهات الفكرية، المرجع السابق، ص 360.

(2) الإبراهيمي، الآثار، ج4، ص 378، 379. هذا المقال عثر عليه في أوراق الإمام، ولا يعلم الناشر إن كان نشر أم لا، وفي رأينا لا ترقى هذه المقالة إلى مستوى الكتابة التاريخية في ذلك العصر، بل هي كتابة توثيقة تاريخية، تفيد باحث اليوم في معرفة تفكير النخب واهتمامها بالتاريخ في الفترة الاستعمارية.

(3) رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 374.

## 1-2-عملية التأريخ عند رواد الاستقلال.

إن قليلين صراحة من رواد التيار الاستقلالي قد اهتموا بعملية التأريخ، خاصة في العشرينات، وبداية الثلاثينات، ويعود ذلك في نظرنا لعدة أسباب، ولكن قبل ذلك نستعرض رأي الدكتور سعد الله الذي يقول: " بالرغم من أن التنظيمات السياسية(الأحزاب)، كانت أولى بالاهتمام بالتاريخ واستثماره في الحاضر، فإنها كانت في أول أمرها بعيدة عن ذلك، إما لجهل أصحابها بالتاريخ الإسلامي وتاريخ الجزائر بالذات، وإما لابتعادها منذ البداية عن التراث والأصالة، وتعلقهما بالفكر الاقتصادي الماركسي والصراع الطبقي... وكانت الأناشيد السياسية تشير إلى وقائع تاريخية معينة، وإلى أسماء شهيرة مثل يوغرطة، وماسينيسا، وعقبة بن نافع، ولكن الزعماء السياسيين لم يكونوا يهتمون أو لم يكونوا يعرفون الضروري عن الكتابة التاريخية، ولو من أجل توظيفها في البرامج السياسية لأحزابهم"(1).

من خلال هذا القول يمكننا القول، أن من بين الأسباب التي جعلت التيار الاستقلالي يعزف عن الكتابة التاريخية خاصة في بداياته، هو أن غالب الطبقة العمالية التي كانت تشكل نجم شمال إفريقيا وحتى حزب الشعب، لم تكن مثقفة بما يكفي لتخوض غمار ميدان التأريخ، عكس الحركة الإصلاحية التي كانت تملك كفاءات، ومشايخ تخرجوا من الجامعات، والمعاهد العربية والإسلامية، وحتى مصالي الحاج رئيس النجم اعترف في بداياته، بأنه كان يجهل الكثير عن الحقائق المتعلقة بالحضارة العربية الإسلامية، وسقوط دولة الخلافة، وأحداث الشرق وعلاقتها بدول المغرب والاستعمار، كما يعترف أن معرفته كانت سطحية فيها، لكنه يذكر أنه سعى إلى ذلك في اجتماع له مع مجموعة من المناضلين تناولوا فيها وجوب التطرق لبعض النقاط، كذكر عظمة الحضارة الإسلامية واشعاعها في العالم،

(1) أبو القاسم سعدالله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، المصدر السابق، ص304.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

وذكر الحضارة العربية في اسبانيا والعرب في "بواتيه"، وابرز عظمة الثورة الكمالية، وشخصية مصطفى كمال المرموقة، والمبادئ الإسلامية والكفاح من أجل الاستقلال، ويقظة العالم العربي الإسلامي<sup>(1)</sup>. لكن هذا لا ينفي أن التيار الاستقلالي لم يستخدم التاريخ والتأريخ، وهو بصدد مقاومة الاستعمار أبداً، بل بالعكس، فلطالما سعت شعب الحزب عبر مختلف أرجاء الجزائر لجلب أساتذة لتدريس التاريخ للمناضلين، من أجل وعي أكثر للقضية الوطنية والمغاربية والإسلامية، فعلى سبيل المثال جاء في إحدى تقارير مصلحة المعلومات والدراسات (CIE)، جاء أن حزب الشعب قد كلف المناضل التونسي المدعو "بن فرج محمد" المقيم في مدينة مستغانم "تقديرت"، بتدريس التاريخ، واللغة، والأدب العربي ومواد أخرى، وقد كانت هذه الدروس تقدم ابتداءً من الساعة مساءً ويحضرها من 25 إلى شخصاً من أنصار حزب الشعب الجزائري، يستغلون مسائيات رمضان للاجتماع بساحة "تقديرت" دون لفت الانتباه متذرعين بالصلاة<sup>(2)</sup>.

كما حوت صحف وجرائد التيار الاستقلالي وخاصّة الأمتة والمنار، عدة مقالات، وتقارير عادة ما كانت ترجع إلى التاريخ والحضارة التي كانت تعرفها الجزائر وبلاد المغرب عموماً، وتقارنها بالحالة الحاضرة وقت الاستعمار، كما كانت الحركة الاستقلالية توظف التاريخ أيضاً، وهي بصدد مقاومة سياسة الإدماج أو التجهيل أو السياسة البربرية على سبيل المثال، فتربط الجزائر بالعروبة والإسلام، والفضاء المغاربي الذي تنحدر منه وتعود إليه، ولعلنا نسوق مثال المؤرخ "محمد الشريف الساحلي"<sup>(3)</sup>

(1) مذكرات مصالي الحاج، المصدر السابق، ص ص 136، 137.

(2) CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de secrétaire-interprète bouras mazouz، mostaganem le29octobre1938.

(3) محمد الشريف ساحلي ولد في سيدي عيش، بولاية بجاية، في عام 1906، وتلقى التعليم الابتدائي في المدرسة الأهلية الخاصة بالجزائريين، ثم التحق بمدرسة المعلمين في بوزريعة، وحصل على البكالوريا من ثانوية بيجو (الأمير عبد القادر حالياً). انضم إلى جامعة السوربون، وتخرج فيها بشهادة الليسانس ودبلوم الدراسات المعمقة في الفلسفة. درس في باريس عدة سنوات ثم أوقفته السلطات الفرنسية لما أبداه من نزعة استقلالية، ومشاعر وطنية، حيث كان يكتب في جريدة "الأمة"، الناطقة باسم حزب "نجم شمال إفريقيا"، كما كان ينشط في "جمعية طلبة شمال إفريقيا"، عندما اندلعت الثورة، كان محمد الشريف ممن لَّجَّ النداء، فعُهد إليه

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

المنتمي إلى هذا التيار، بالرغم من أنه كان مستقلا نوعا ما عنه، ولم يكن ينسق مع أعضائه دائما<sup>(1)</sup>، إلا أنه اهتم كثيرا بالتاريخ، ووظفه توظيفا لائقا لمقاومة الاستعمار والدفاع عن الوحدة المغاربية، فقد ألقى محاضرة بعنوان: "مقاومة الوطنيين بالشمال الإفريقي للاستعمار الروماني" بمقر نادي جمعية الطلبة المسلمين الشمال إفريقيين بفرنسا، بتاريخ 14 فيفري 1938، فتحدث عن الأمة المغاربية، رادًا على كل الذين كانوا ينفون الشعور المغاربي الوطني المشترك، فتحدث عن يوغرطة، وباكوس ودورهما في نشأة ومساهمتهما في التاريخ المغاربي القديم<sup>(2)</sup>.

ويقول محمد الهادي الحسني عن كتابات الساحلي: "إن إنتاج محمد الشريف ساحلي" رسالة يوغرطة"<sup>(3)</sup>، و"الجزائر تتهم"<sup>(4)</sup>، و"المؤامرة في وجه الشعوب الإفريقية"<sup>(5)</sup>، و"الأمير عبد القادر فارس الإيمان"<sup>(6)</sup>، فكأنه يحذر كل من له قلب وعقل وعين، وينبهه أن استقلال الجغرافيا ناقص، وقد يذهب، إن لم يعزز بتحرير التاريخ..."<sup>(7)</sup>.

=بتمثيل جبهة التحرير الوطني، والحكومة المؤقتة في البلاد الاسكندنافية حتى الاستقلال. وقد عُين محمد الشريف ساحلي سفيراً للجزائر في الصين الشعبية، وفي تشيكوسلوفاكيا، ثم تقاعد عن العمل الرسمي في 1978، توفي في 5 جويلية 1989. نقلا عن: محمد الهادي الحسني، تحرير التاريخ، الشروق أون لاين، بتاريخ: 2010/03/10 .

(1) حسب الدكتور رابح لونيبي فإن دليله على فتور العلاقة بين الشريف الساحلي والتيار الاستقلالي، هو مؤاخذه بعض قياديي الحركة من اجل الانتصار للحريات الديمقراطية له على عدم إهدائه كتاب الجزائر تتهم إلى مصالي الحاج، وفضل عليه إهداءه للمسلمين الذين استشهدوا من أجل الوطن الجزائري منذ عام 1871. رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 375.

(2) كتبت عن المحاضرة جريدة البصائر فقالت أنه اختار موضوعا يمثل العلاقة المتينة بين الطالب وتاريخه لأن، ذلك يظهر سيرة السلف الصالح الذي قام بواجب الجهاد ضد المستعمر، ولا شك أن ذلك اسقاط للماضي على الحاضر. أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ج 7، ص 310.

(3) نشر عام 1947.

(4) نشر عام 1949.

(5) نشر عام 1950.

(6) نشر عام 1953. انظر عن تواريخ النشر: رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 374. (ركزنا على مؤلفاته في فترة الحركة الوطنية محاولين الالتزام بالإطار الجغرافي للأطروحة، أي قبل 1954).

(7) محمد الهادي الحسني، المرجع السابق.

ويضيف الحسني حول الملاحظات التي لاحظها في المؤرخ محمد الشريف الساحلي قائلاً: "هي نجاته من فيروسات المدرسة الفرنسية القتالة، فبالرغم من تكونه في هذه المدرسة... فإنه أعمل عقله، وأنعم نظره في موادها، فتبين له سليمها من سقيمها، وصحيحها من عليلها... وقد تصدى لأحد ضحايا هذه المدرسة الاستعمارية، وهو مولود معمري".<sup>(1)</sup> وأما الملاحظة الأخرى: "فهي أن محمد الشريف الساحلي لم يكن غرّاً، فلم ينخدع لبعض المؤرخين الفرنسيين الذين يزعمون الانفتاح ويدعون الأمانة، ومع ذلك لم يسلموا من النزعة الاستعمارية"<sup>(1)</sup>، لذلك فقد هدف الشريف الساحلي بكتاباتهِ إلى استنهاض العزائم في الجزائر والمغرب العربي، فمن خلال اضطلاعهِ الكبير على الكتب والوثائق والدراسات المتعلقة بالفضاء المغاربي، يكون قد تشبع بالنزعة المغاربية، خاصة لما ألف كتاب يوغرطة، فأصبح بذلك لا يفرق بين الوطنية الجزائرية والمغاربية<sup>(2)</sup>.

هذا وقد وُجد الكثير من المناضلين ممن كتبوا مقالات أو حاضروا في التاريخ وغالبيتهم من التيار الإصلاحية والاستقلالية، أمثال أبو يعلى الزواوي، ومحمد علي دبوز، وعبد الوهاب بن منصور<sup>(3)</sup> وكاتب ياسين<sup>(4)</sup>، وعمار بن سعيد بوليفة... الخ، وكلهم كانوا يعتبرون أن العروبة والإسلام عاملان

(1) محمد الهادي الحسني، المرجع السابق.

(2) رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 377.

(3) كان يكتب هؤلاء مقالات تاريخية في جريدة البصائر الثانية خاصة. انظر: مولود عويمر، مالك بن نبي شغلته مهمة تغيير

العالم الإسلامي، جريدة البصائر... تاريخ أعلام... وصحوة. نقلا عن منتدى طلبة علوم الإعلام والاتصال، جامعة عبد

الحميد بن باديس، مستغانم: قسم علوم الاعلام والاتصال: تاريخ التسجيل: 08-06-2009.

(4) لا يمكن أن نعتبر كاتب ياسين مؤرخاً، ولكن يحسب له في هذا المجال تلك المحاضرة التي ألقاها بعنوان "الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر" سنة 1947 بباريس، بحيث استهدف من خلالها كسب المزيد من الفرنسيين لنصرة القضية الجزائرية (=الاستقلال)، ودافع فيها عن العرب الفاتحين، ورفض فكرة الاستعمار العربي لشمال أفريقيا، ويظهر من خلال محاضراته بأنه مؤمن بفكرة الأمة الجزائرية العربية المسلمة، ويقول فيها: "إن ما من شخص صادق وواع، ينكر البداة المتمثلة في أن الجزائر بعد أن انتصرت على كل محاولات الاحتلال منذ الفينيقيين مروراً بالرومان، قد اندمجت من تلقاء ذاتها في للقومية العربية الإسلامية". انظر: رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 378. نقلا عن: كاتب ياسين، الأمير عبد القادر واستقلال الجزائر، ترجمة: محمد هناد-محاضرة ألقيت في قاعة الجمعية العلمية بباريس عام 1947، ونشرتها مجلة الثقافة الجزائرية مترجمة، ع75 (ماي-جوان 1983)، ص ص 175-191.

ساهما في صهر الشمال الإفريقي وتحقيق وحدته، أما فيما يخص محاولات التيارات الاندماجية والماركسية في التأريخ فكانت شبه منعدمة تقريبا، مادام أن غالبيتهم لم يكن يؤمن بوجود أمة جزائرية أصلا، وحتى عن وجدت بصفة نادرة، إلا أنها كانت تنظر إلى وحدة في إطار اتحاد مع فرنسا وليس مع بلاد المغرب أو الأمة العربية الإسلامية، ونستثني هاهنا بعض المحاولات في توظيف التراث الإسلامي من طرف البعض مثل شخصية فرحات عباس الذي حث الفرنسيين على اتباع خطة المسلمين في الرفق بالبربر للسيطرة عليهم، واجتناب الطريقة الرومانية في ذلك، ومن ثم تفادي الثورات والحروب وسهولة دمج هذه الشعوب<sup>(1)</sup>.

### 3-1- المؤلفات وموقع الوحدة منها: مالك بن نبي أمودجا:

كان مالك بن نبي<sup>(2)</sup> من دعاة الوحدة المغاربية منذ أن كان طالبا، فكان من أبرز الذين شاركوا في اجتماعات تقرير مصير شمال إفريقيا المزمع بعثه من طرف مصالي الحاج، وبعد حضوره أول مهرجانات الحزب أصبح أكثر اهتماما بالصراع العرقي الموجود بين الطلبة المغاربة حول مشكل العربية والبربرية، لذلك دافع مالك ابن نبي كثيرا عن الوحدة، ودعا إلى الإصلاح والوحدة العربية<sup>(3)</sup>، ومنذ بداية اتصالاته بالطلبة ألقى محاضرة بعنوان: "لماذا نحن مسلمون؟"، فتلك النقاشات التي كان يخوضها مع الطلبة ذوو النزعات الانفصالية، جعلته يلقب "بزعيم الوحدة المغربية"، بل وسعى أيضا للوحدة العربية الإسلامية، خاصة عندما قبلت عضويته في جمعية للوحدة العربية كان غالب نشاطها

(1) راجع للاستزادة: رابح لونيبي، نفسه ص ص 385-389.

(2) مالك بن نبي (1905-1973): كاتب ومفكر ومناضل، من علماء التاريخ و الاجتماع الجزائريين، ولد بقسنطينة، ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط، تخرج في الثلاثينات مهندسا ميكانيكيا في معهد الهندسة العالي بباريس، زار عديد الأقطار العربية والإسلامية، وأقام بالقاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره، تولى إدارة التعلم العالي سنة 1964 بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، وكان عضوا في مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، له عدة مؤلفات مثل: الظاهرة القرآنية، مشكلة الثقافة، شروط النهضة، وجهة العالم الإسلامي، مذكرات شاهد قرن، ميلاد مجتمع، دور المسلم ورسالته، بين الرشاد والتهيه... الخ. أنظر عنه: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص 282.

(3) خير الدين شترة، المهاجرون الجزائريون، المرجع السابق، ص 453. أيضا: معريش، مالك بن نبي، الثقافة، ع 85، ص 211.

من المشاركة تحت قيادة فريد زين الدين أحد المقربين لشكيب أرسلان<sup>(1)</sup>، ويتضح لنا ذلك في كثير من كتابات بن نبي ومؤلفاته، التي لم تكن تُعنى فقط بالمجال الجزائري، بل بكل العالم الإسلامي، فدراساته لتلك الظواهر التي جعلت من العالم الإسلامي قوة حضارية، ثم الظواهر التي جعلت العالم الإسلامي يعيش الانحطاط والركود، جعلت مالك بن نبي يتطرق لعامل الاتحاد، كما جعلته يوظف العامل التاريخي في البناء الحضاري، ولقد كان ابن نبي شديد الإعجاب بالفكرتين الوهابية والإصلاحية في بداية الثلاثينات، لأنه كان يعتبر " الوهابية هي الفكرة الإسلامية الوحيدة التي تصلح فيما فيها من طاقة متحركة لتحرير العالم الإسلامي المنهار منذ عهد الخلافة"، ويرى الدكتور رابع لونيبي أن مالك بن نبي لم يكن وهايبا كما رأى البعض، ولكنه كان متعاطفا مثل كثير من المسلمين مع أي قوة إسلامية جديدة تعقد حولها الآمال برد الاعتبار للإسلام المسلمين وترجعهم إلى الامجاد، ويزداد هذا التعاطف كلما زاد عداؤ الغرب لهذه القوة أو الحركة الجديدة<sup>(2)</sup>، لذلك كثير من الدول المتطورة نملت من فكره وحققت الرقي والحضارة، وقالت بأنه مفكر قد سبق زمانه، ولعلنا سنتطرق فقط لمؤلفين له ألفهما في فترة الحركة الوطنية أي قبل اندلاع ثورة أول نوفمبر 1954، وذلك احتراماً للإطار الزمني للدراسة:

#### - شروط النهضة:

ألفه مالك بن نبي عام 1947 باللغة الفرنسية، وترجم إلى العربية عام 1960، يقدم فيه تشريحا مفصلا للحالة الجزائرية خاصة، والحال التي يعيشها العالم الإسلامي عموما، أثنى فيه على عدة قادة وزعماء مغاربة ومشاركة ساهموا في مقاومة الاستعمار، وبعث النهضة في الأمة العربية الإسلامية على غرار الأمير عبد القادر، وعبد الكريم الخطابي، وجمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده وعبد الحميد بن

(1) صادق سلام، فرنسا ومسلموها "قرن من السياسة الإسلامية" 1895-2005، ترجمة: زهيدة درويش جبور، أبو ظبي

للثقافة والتراث-كلمة، ط1، 2012، ص107.

(2) رابع لونيبي، المرجع السابق، ص104.

باديس، ويقول عن مقاومة الاستعمار: "لقد كان دور الشعوب الإسلامية أمام الزحف الاستعماري خلال القرن الماضي وحتى الربع الأول من هذا القرن دورا بطوليا"<sup>(1)</sup>، لكنه في نفس الوقت يثّر بأن دورها توقف هناك، ولم يسعى إلى النظر في أسباب الاحتلال، ومن ثم حلّها، فيضيف: "ومن طبيعة هذا الدور أنه لا يلتفت إلى حلّ المشاكل التي مهدت للاستعمار وتغلغله داخل البلاد"<sup>(2)</sup>، لذلك يقدم ابن نبي تلك المشاكل التي عانى منها العالم الإسلامي، ويشرحها ويعطي حتى حلولها في كتابه، فهو لا يقدم المشكل الجزائري فقط، ولكن ربما يستشهد بالحالة الحاضرة في الجزائر سياسيا، وثقافيا، واجتماعيا وقياسها تقريبا على كلّ الأقطار التي تعاني من نفس المشكل منذ عصور فيقول: "لقد ظل العالم الإسلامي خارج التاريخ دهرا طويلا، كأنه لم يكن له هدف، استسلم المريض للمرض، وفقد شعوره بالألم حتى وكأنه يؤلف جزءا من كيانه. وقبل ميلاد هذا القرن (=20) سمع من يذكره بمرضه... فلم يلبث أن خرج من سباته العميق ولديه الشعور بالألم. وبهذه الصحوّة الخافتة تبدأ بالنسبة للعالم الإسلامي حقبة تاريخية جديدة يطلق عليها النهضة"<sup>(3)</sup>، ويضيف المؤلف عن قابلية الشعوب للاستعمار من خلال تفكيرها الدّوني والمنحط، والتي استفادت من الاستعمار نفسه، بأن نفخ فيها روح الوقوف والتضامن والوحدة من أجل المقاومة فيقول: "ولنتأمل... ما الذي بعث العالم الإسلامي من نومه قرنا؟ من الذي أيقظه من خمسين سنة تقريبا؟ من الذي قال له قُمْ؟ إنه الاستعمار. نعم. إنه قد خلع علينا بابنا، وزعزع دارنا وسلب منا أشياء ثمينة. لقد أخذ منا حريتنا وسيادتنا وكرامتنا... ولكن إذا كان هذا هو الواقع الاستعماري فيجب أن نعترف بأنه أيقظ الشعب الذي استسلم لنوم عميق..."<sup>(4)</sup>.

(1) مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين-عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، إصدار ندوة مالك ابن نبي، دمشق، 1986، ص 19.

(2) مالك بن نبي، المصدر السابق، ص 19.

(3) نفسه، ص 40.

(4) نفسه، ص 149.

فمن خلال هذا الكتاب فإن مالك ابن نبي ذلك الرجل المفكر والمناضل قد شرّح الأوضاع القائمة، وعاد إلى الأخطاء السابقة والنكسات التي مرّ بها العالم الإسلامي، وقدم لها وصفات للخروج من أزمتها، وبالتالي يمثل هذه الكتاب دعوة صريحة للأمة الجزائرية والمغاربية، ومن ثم العربية الإسلامية للتعاون والتضامن، واستدراك الأخطاء السابقة، ومن ثمّ تحقيق النهضة والحضارة.

#### - وجهة العالم الإسلامي:

أُلف هذا الكتاب في الحقيقة عام 1950<sup>(1)</sup>، ولم ينشر إلى غاية جوان 1954، قدم فيه مالك بن نبي هو الآخر حلولاً عملية مشرحة الوضع القائم، ومركزا على ضرورة الاستثمار في التاريخ من أجل تحقيق الحضارة<sup>(2)</sup>، ففي الصفحات الأولى منه، يرى بأن انحطاط العالم الإسلامي إنما مردّه إلى الانحطاط الداخلي الذي أهلك المجتمعات الإسلامية أكثر من المؤامرات الخارجية ويقول في ذلك: "أيا كانت وجهة الأمر، فإن صناعة العالم الإسلامي لم تعد من مهمة المؤامرات الخارجية التي قعدت به إلى حين عن التطور والإزهار، وإنما هو العمل الصامت المضني، المنبعث عن حركته الداخلية"<sup>(3)</sup>، ويعود في فصول كتابه إلى مزايا الحضارة العربية الإسلامية وإنجازات علمائها، والتي يجب النهل منها لتحقيق الوثبة فيقول: "لكن التراث الثقافي الخطير، يظل شاهداً على ما كان يتصف به الفكر الإسلامي في عصوره الذهبية، فلقد اتسم كفاحه في مجالاته كافة بالإحساس (بالقانون)، وهو يستلزم القدرة على التركيب، فوضعت النظريات القانونية وبنائها الفقهاء على قواعد الأصول... وبوسعنا أن نذكر أيضاً ما حققه العلامة (أبو الوفا) في علم الفلك من اكتشاف للتغيير في حركة القمر، وهو ما يطلق عليه اسم (الامتساوية الثانية)، وما حققه العلامة

(1) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان - دمشق، سورية، ط2002، ص15.

(2) رابح لونيبي، المرجع السابق، ص391.

(3) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص15.

ابن خلدون الذي يرجع إليه الفضل في استنباط قوانين التاريخ وعلاقتها بأوجه نشاط المجتمعات، وهذا دليل على أن الفكر العربي كان يحمل حاسة القانون وذوقه<sup>(1)</sup>.

كما يعيب على المستشرقين والدارسين الذين أنقصوا من قيمة الحضارة الإسلامية، وأجحفوا في حقها مقابل التمجيد من عظمة الحضارة الرومانية، لكنه نفس الوقت يثمن مجهوداتهم وكتاباتهم، التي أبرزت التراث الإسلامي ونفضت الغبار عنه، ويستشهد بكتاب "جب" بعنوان: الاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي<sup>(2)</sup>، والذي يلتقي مع مؤلف ابن نبي في كثير من النقاط<sup>(2)</sup>.

كما يضع الحدّ الفاصل بين الحضارة وانهيار الحضارة، فيستشهد بسقوط دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي، وسقوط بغداد على أيدي المغول في المشرق فيقول: "...يُؤرِّخُ لتلك الظاهرة (=انهيار الحضارة) في التاريخ الإسلامي بسقوط دولة الموحدين، الذي كان في حقيقته سقوط حضارة لفظت آخر أنفاسها، ثم يبدأ تاريخ الانحطاط بعد دولة الموحدين، ففي عهد ابن خلدون استحالت القبروان قرية مغمورة، بعد أن كانت في عهد الأغالبة قبة الملك، وقمة الأبهة، والعاصمة الكبرى التي يقطنها مليون من السكان، ولم يكن حظ بغداد وسمرقند خيرا من ذلك، لقد كانت أعراض الانهيار التام تشير إلى الانكسار في المنحنى البياني"<sup>(3)</sup>.

ولنحظ من خلال هذا النص، أن مالك ابن نبي مطلع على تاريخ المشرق والمغرب بشكل جيد، ليس ذلك فقط، وإنما تطرق إليه بالتفصيل والتحليل لمعرفة مكن الضعف فيه، فقد خصص لإنسان ما بعد دولة الموحدين المتخاذل المتقهقر والقابل للاستعمار، فصلا كاملا في دراسته، لذلك فإننا نجد يضيف قائلا: "فإذا نظرنا إلى هذا الوضع نظرة اجتماعية، وجدنا أن جميع الأعراض التي ظهرت في السياسة أوفي صورة العمران، لم تكن إلا تعبيرا عن حالة مرضية يعانها الإنسان الجديد-إنسان ما بعد الموحدين-

(1) مالك ابن نبي، وجهة العالم الإسلامي، المصدر السابق، ص 18.

(2) نفسه، ص 17.

(3) نفسه، ص 36، 37.

الذي خلف إنسان الحضارة الإسلامية، والذي كان يحمل في كيانه جميع الجرائم التي سينتج عنها في فترات متفرقة جميع المشاكل التي تعرض لها العالم الإسلامي منذ ذلك الحين"<sup>(1)</sup>.

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة المصغرة عن تأليف ابن نبي في هذه الفترة، بأنه كان عالم تاريخ واجتماع، وسياسة بكل ما تحمل الكلمة من معنى، فلقد استفاد مالك استفادة كبيرة من الحراك السياسي والثقافي والاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزائر، واستطاع بدقته الأمتناهيّة أن يعرف ويُعرّف بمواطن الوهن التي دبّت في المجتمعات الإسلامية منذ قرون، وذلك انطلاقاً من الحالة الجزائرية، لذلك سعى بكتاباته للرفع من درجة الوعي لمجتمعه، فكان حسب رأينا أكثر واقعية من كلّ دعاة الوحدة سواء المغاربية أو العربية الإسلامية، أو حتى التي كانت تنادي بوحدة في إطار اتحاد فدرالي مع فرنسا، لأنه قدم حلولاً عملية للوصول إلى ذلك، ولم يكتفي بالشعارات الرنانة التي كانت تعلق الصحف والجرائد في تلك الفترة، وربما هذا يذكرنا بموقف ابن باديس لما رفض مشروع الوحدة العربية وحتى المغاربية، لا لأنه كان يرفضها من أجل الرفض فقط، ولكنه كان على دراية أن الشعوب العربية والإسلامية لا زالت تعيش بفكرها في القرون الوسطى، ولا كان بد أن تفك عن نفسها القيود، ومن ثم تفكر في الوحدة.

## 2- مضامين الوحدة في الأدب الجزائري:

### 2-1- حضور المغرب العربي والعالم الإسلامي في الشّعر الجزائري:

إن الحديث عن المظاهر التضامنية بين أبناء المغرب العربي لا تعد ولا تحصى، وبما أننا تناولنا الجانب الثقافي محاولة منا لإبراز تلك المظاهر، سنركز على عنصر "الشّعر" لحضوره القوي والمكثف والبارز من بين كل الآداب والفنون الأخرى، فالأشعار التي جادت بها قرائح الشعراء الجزائريين تعبيراً منهم عن روح التضامن والوحدة لا تعد ولا تحصى، وسنكتفي بذكر أبرزها سواء في الشعر العمودي

(1) مالك ابن نبي، المصدر السابق، ص 37.

أو الشعبي، فالشعراء في الحقيقة كانوا في مقدمة المتعطشين للوحدة والتضامن والتعاون، وهم لسان الشعب لما يمتلكون من مشاعر، فلقد آمنوا بمختلف أجيالهم واتجاهاتهم الأدبية بوحدة الأمة العربية الإسلامية، ووحدة الأقطار المغاربية الثلاثة، ولقد ساهمت الهجرات المختلفة من طرف الجزائريين خاصة إلى تونس والمغرب ومصر وباقي الدول العربية الأخرى، في إذكاء روح هذه العواطف، إذ لا تكاد تخلو قصيدة واحدة من التأكيد على أن وحدة العالم الإسلامي، و بلاد المغرب هي الغاية والهدف المنشود، ومن الطبيعي جدا أن يكون موضوع التضامن بين البلدان المغاربية و العربية الإسلامية، وهي تحوض الكفاح أجل نيل استقلالها وتحررها من التبعية الأجنبية، في طليعة الأهداف التي ظلت تراود زعمائها وشعوبها منذ أمد بعيد، وعلى هذا الأساس جاء التأكيد على ضرورة مناصرة كل بلد لآخر بكل الوسائل والطرق حتى التحرير الكامل.

ولعل ما بودنا الإشارة إليه في قضية الوحدة التي ترددت في الشعر المغاربي، هو أن هناك من كان يدعو إليها بدافع إقليمي بحيث يقصد منه فصل هذا الجزء عن الوطن العربي لسبب أو لآخر، وهناك من الشعراء من دعا إلى وحدة المغرب العربي في إطار الوحدة، وهناك من كان يتحدث أحيانا عن المغرب العربي وكأنه جزء من إفريقيا، بل لقد اختلط لدى البعض مفهوم إفريقيا كقارة بمفهومها كمصطلح جغرافي قديم يطلق على أقطار المغرب العربي<sup>(1)</sup>، لذلك لم نشأ الفصل بين أبيات هذه الأشعار وتعمدنا إيرادها رغم اختلاط أفكار الوحدة فيها.

## 2-1-1- الشعر العمودي:

إن عدد الشعراء كثير وحصرهم ليس بالأمر اليسير، لكننا سنحاول التركيز على بعض النماذج الجزائرية التي تركت آثارا في هذا المجال، كما ننوه أننا سنقوم باختيار بعض الأشعار ونتصرف فيها فيما يخص الترتيب تماشيا مع طبيعة الموضوع، وحتى لا نورد القصائد والأبيات كلّها فنسهلك مساحات أكبر.

(1) عبد الله ركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، مطبعة القلم، تونس، 1983، ص35.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

لعل أول شاعر جزائري كان من المهتمين والمتبعين لقضية الاتحاد والوحدة المغاربية خاصة هو المناضل والشاعر "مفدي زكريا"<sup>(1)</sup>، فقد تحدثنا عنه سابقا في الفصين الأول والثاني، بحيث كان مناضلا وحدويا بامتياز، فقد برع في كل الاتجاهات ولم يقتصر دوره على الشعر فقط، ولكنه ترك بصمته في هذا الأخير، وأصبح يسمى بشاعر الوحدة المغاربية، لذلك فإنه قد أعطى خلال مساره عناية خاصة للأحداث التي تجري بالأقطار المغاربية، بل وحتى العربية في شعره، وعنه يقول الدكتور التونسي محمد صالح الجابري: "صلة الشاعر الجزائري المرحوم مفدي زكريا بالمغرب العربي وقضاياها ومشاغله صلة وطيدة وعريقة... الشاعر المغربي الأول الذي حمل الدعوة إلى وحدة الأقطار المغربية، وجسدها قولاً وعملاً، بل أستطيع القول أن هذا الشاعر يعتبر من أبرز الشعراء العرب المعاصرين الذين آمنوا بالوحدة بين مغربه ومشرقه"<sup>(2)</sup>.

ففي الحرب الريفية بقيادة الزعيم عبد الكريم الخطابي، بعث مفدي زكريا بقصيدة في ثلاثون وستون(63) بيتا لجريدة "لسان العرب" التونسية، يستنهض عزائمهم وحماستهم، ويدعو للوحدة المغاربية من خلالها ومما جاء فيها:

بني الريف من كان يهوى الحياة ~ يهون عليه ركوب الخطر

فعرش السعادة لا بيتني ~ لقوم سوى فوق هام آخر

---

(1) مفدي زكريا (1908-1977): هو مفدي بن زكرياء بن سليمان بن يحيى بن الشيخ صالح، ولد بقرية بني يزقن في واجهة ميزاب، ونشأ بها وتعلّم بها كتاب الله، كان من أفراد البعثة العلمية التي قصدت ونس لطلب المعرفة، فدرس بمدرسة السلام ثم بالخلدونية، ثم بالزيتونة، عاد من تونس 1926، ومنذ ذلك الحين عرف بمساهمته الفعالة في النشاط السياسي والطلابي والأدبي، كما شارك في الثورة وألف عدة أشعار لها، وهذه المسيرة في الحركة الوطنية والثورة كلفتها السجن خمس مرّات. توفي بتونس عام 1977، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بعد ذلك. من أعماله: اللهب المقدس - إلياذة الجزائر في الشعر... أما في النثر خلف كتاب "الأدب العربي في الجزائر عبر التاريخ"، و"تاريخ الصحافة الجزائرية". أنظر للاستزادة: عادل نويهض، معجم أعلام الجزائر، المصدر السابق، ص 308. محمد بن رمضان الشاوش - الغوثي بن حمدان، المرجع السابق، ص 470.

(2) محمد صالح الجابري، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص 116-119.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

وبين البلاد ودستورها ~ ضحايا نفوس وسجن وأسر<sup>(1)</sup>

ولقد كان حضور مفدي زكريا مميزا في مؤتمرات طلبة شمال إفريقيا التي كانت تقام في الثلاثينات خاصة، وقد تطرقنا إليها سابقا، فقد شارك في عدة مؤتمرات، وندوات، وملتقيات كانت تنظمها جمعية الطلبة، فيصيح بصوته هناك، ومن جملة الأشعار نجد قصيدة يبحث فيها الأمة المغاربية بالنهوض والمقاومة، وتحقيق الحرية والوحدة، وهو يركز من خلال هذه الأبيات على الهوية الإفريقية والعربية الإسلامية:

نوحنا بني إفريقيا من سباتكم ~ فإن عيون الحادثات بمبرصاد  
تناديكم الأجداد من رمم الثرى ~ فلبوا إلى العلياء دعوة أجداد  
نوحنا بنا نحو الحياة ونظرة ~ إلى أمة أمست ضحية أحقاد  
كفانا شقاء من وبال شقافنا ~ وتمزيق مجموع وتشتيت أفراد  
فهل نحن إلا أمة عربية ~ شقيقة أرواح قسيمة أكباد<sup>(2)</sup>

وقد ألقى في المؤتمر الرابع لجمعية الطلبة، الذي انعقد في تونس بقاعة المطالعة لمعهد الخلدونية 2 أكتوبر 1934، قصيدة رائعة عن الوحدة أيضا جاء في مطلعها:

قم بيوم الشباب، حي الشباب ~ واستمع من قمر الزمان الجوابا  
أيها النشء أنتم أناس صونوا ~ أمة سامها الشقاق العذابا  
واحفظوا وحدة الشمال ~ بعزم يبق الشمال حرًا مهابا<sup>(3)</sup>

(1) جريدة لسان العرب، 6 ماي 1925: نقلا عن: محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 119.

(2) محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص 124.

(3) رشيد ميّاد، المرجع السابق، ص 160. نشرت في: جريدة الأمة 23-10-1934.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

كما أكد على نفس التوجه المغربي في إطار الأمة العربية الإسلامية، بمناسبة المؤتمر الخامس لطلبة شمال إفريقيا 1935 بتلمسان، بحيث ألقى مفدي قصيدة افتتاحية بعنوان "أهلا بنسل الفاتحين ومرحبا" جاء في بعض أبياتها:

إن الجزائر في الغرام وتونس ~ والمغرب الأقصى خلقن سواء

نحن العروبة والشمال بلادنا ~ وبه نعيش أعزة كرماء

شعب أعز وأمة عربية ~ ما إن تطيق مذلة وشقاء

ليدم شعب الشمال جهادكم ~ حتى ينال العزة القعساء<sup>(1)</sup>

ولعلّ إيمان مفدي زكريا هو الذي جعله ينخرط في نجم شمال إفريقيا ويتبنى مواقفه، ويشعر في تجمعاته، فنجدته يقول في إحدى قصائده أيضا:

وفي المغرب الجبار ناشدت وحدة ~ سبقت بها في فجر عمري أقراني

وأحبيت أوطاني رضيعا ولم أزل ~ أغني مع الدنيا بأمجاد اوطاني

وهمت بالعروبة يافعا ~ أرى كلّ العروبة إخواني<sup>(2)</sup>

كما يقول عن قضية تقسيم المغرب العربي والحدود الوهمية الموضوعة من طرف الاستعمار:

كفر الآلى قالوا (الشمال ثلاثة) ~ ودعوا إلى إذلاله بالنار

نصبوا العصي على الحدود سفاهة ~ وسعوا إلى توزيعه لضرار

والمغرب العربي، شعب واحد ~ ملك العروق، دم العروبة جاري<sup>(1)</sup>

(1) أنظر القصيدة كاملة في: رشيد مياد، نفسه، ص ص 245-247. نشرت بجريدة: الأمة ع43 بتاريخ 24-09-1935

أيضا: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، المرجع السابق، ص300.

(2) محمد صالح الجابري، المرجع السابق، ص ص120، 121.

ويرسم مفدي زكريا صورة للمغرب العربي وكأنه طائر، قلبه الجزائر، وجناحاه المغرب وتونس قائلا<sup>(2)</sup>:

المغرب العربي أنت جناحه ~ حرك جناحك يصعد المنطاد

ولتشهد الدنيا هنالك وحدة ~ جبارة تفتح لها الآباد

ولعلنا نلاحظ أن مفدي زكريا بالرغم من أنه كان من أصول أمازيغية (=بني يزقن من بني ميزاب)، إلا أنه كان دائما ما يصرّ على عدم التفريق بينها وبين العروبة، لكيلا يستغل الأعداء هذا الاختلاف لبث الخلاف بين الأشقاء، لذلك نجد دائما يصف أبناء الشمال الإفريقي ببني العروبة، وهذا ما جعل عديد المغاربة يتأثرون به، فساروا على نهجه، وكرروا أشعاره في الحفلات واللقاءات والتجمعات في أقطار المغرب كله، ففي تظاهرة نظمتها الشبيبة المسلمة التونسية في قاعة سينما العالم احتفاء بالزعيم عبد العزيز الثعالبي، أعطيت الكلمة إلى أحد الجزائريين الميزابيين وهو محمد بن يوسف اطفيش، فصدق بشعر مفدي زكريا هناك احتفاء بأب النهضة العربية الإسلامية<sup>(3)</sup>، وهذا دليل على ثقل وزن مفدي زكريا ذو العلاقات المتينة والمضطلع على تاريخ وثقافات الشعوب، خاصة وأنه كان كثير التنقلات والسفريات، وفوق كلّ هذا هو سياسي محنك، ومناضل متمرس، كان على دراية بالسياسات الفرنسية التي كانت دائما تسعى للفرقة والشتات بين أبناء الجزائر والمغرب العربي<sup>(4)</sup>، وهو ما قد لمس مفدي شخصيا في صراع بني ميزاب الإباضيين مع العرب الشعابنة المالكيين بغرداية، حتى ولو أنه لم يكن صراعا كبيرا آنذاك.

(1) عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص 119.

(2) نفسه، ص 121.

(3) بعث مفدي زكرياء في تلك المناسبة ببرقية هو ومصالي الحاج إلى المحفل، وقد قرأها رئيس الجمعية السيد محمد الشاذلي النيفر أنظر: CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE) Constantine، traduction du journal ez Zohra، Constantine le 4aout1937

(4) كان مفدي زكرياء ينشر قصائده في الصحف التونسية، ففي مذكرة استخباراتية جاء فيها أن شعرا لمفدي زكريا نشر في صحيفة "السردوك" هو شعر ثوري حماسي ويشكل خطرا كبيرا. أنظر: CAOM، A46، 25h32، dossier 12، rapport analyse de presse tunisienne، 15avril1937.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

ونجد أيضا من الشعراء الجزائريين الذين بدعوا في هذه القضية، قضية المغرب العربي في إطار الأمة العربية الإسلامية الشاعر "محمد العيد آل خليفة"<sup>(1)</sup>، والذي له عدة قصائد في ذلك، فلطالما عبّر عن ميوله السياسية، ورفض فكرة الاندماج، وشدد على ضرورة التحرر من سلطة الاستعمار، والاعتراف بعروبة الجزائر<sup>(2)</sup>، والمغرب العربي عامة، فهو من جيل الشعراء الذين تفاعلوا مع هموم العروبة والإسلام وإفريقيا، ولم يكن في مستواه أحد في هذا الميدان حسب الدكتور عمر بن قينة وأبو القاسم سعد الله<sup>(3)</sup>، بحيث غدا شعره هو العروبة والإسلام، فمثل صوت الجزائر العربية المسلمة بجدارة واستحقاق<sup>(4)</sup>، فقد قال قصيدة في فلسطين التي تعرضت للتقسيم، مؤكدا على عروبتهما، ومؤكدا على وقوف كلّ العرب لمساندتها(=آنذاك):

إذا استصرخته للحرب لبّي ~ وخفّ إليك من كلّ البقاع

ونحن بني العروبة قد خلقنا ~ نلبي للمعارك كلّ داعي<sup>(5)</sup>

(1) محمد العيد آل خليفة (1904-1979): ولد محمد العيد في مدينة عين البيضاء في 28 أوت 1904، من أسرة دينية عريقة، نشأ هناك، ودخل الكتاتيب، ودرس بالمدرسة الابتدائية على يد الشيخين محمد الكامل بن عزوز وأحمد بن ناجي، ثم انتقل إلى بسكرة سنة 1918 حيث تابع دراسته على عدة مشايخ كبارهم العقبي والمختار بن عمر البعلاوي والجنيدي وغيرهم، سافر إلى تونس عام 1920 والتحق بالزيتونة، ودرس بها سنتين ثم عاد إلى الجزائر، أصبح بممرور الوقت يعمل مديرا لمدرسة الشبيبة بالعاصمة، ثم انخرط في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وصار من أبرز أعضائها، وقد أثرت فيه حادثة الاختلاف بين الطيب العقبي والشيخ ابن باديس، وفي الثورة التحريرية ألقى القبض عليه، وجعل تحت المراقبة داخل بسكرة حتى يوم الاستقلال، وتوفي سنة 1979، للاستزادة عنه أنظر: أبو القاسم سعد الله، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة (مجموعة الدكتور أبو القاسم سعد الله)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011، ص 86-92. أيضا: محمد بن رمضان الشاوش - الغوثي حمدان، المرجع السابق، ص 492.

(2) فيلهلم هوزباخ، محمد العيد آل خليفة "دراسات في الشعر الجزائري الحديث"، ترجمة: أبو العيد دودو، مجلة الثقافة، ع19، فيفري - مارس، 1974، ص 97.

(3) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المصدر السابق، ص 40.

(4) عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام... وقضايا... ومواقف)، دار كولوريوم، الجزائر، 2012، ص 341، 342.

(5) عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 345.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

كما رثى الشاعر محمد العيد عبد العزيز آل سعود، مع إضافة رمز مكة في الوحدة الإسلامية فقال:

وما نحن إلا أخوة رغم بيننا ~ أشقاء في الإسلام ما بيننا فرق  
وقد يرتجى للشرق جمع شتاته ~ كما يرتجى للعبد من رقة عتق<sup>(1)</sup>

ونجد أمير شعراء الجزائر "محمد العيد" يشيد ببطولة عمر المختار، ويناجي طيف الحرية التي دفع هذا البطل حياته فداء لها، وذلك في قصيدة توجه بها إلى الشعب الليبي في ذكرى استقلاله، نقتبس منها بعض الأبيات التي تعكس لنا بصدق وأمانة ذلك الصدى الذي أحدثه جهاد عمر المختار في نفوس الجزائريين<sup>(2)</sup>:

أمل تحقق بعد طول نضال ~ ومثال فوز كان خير مثال  
اليوم (أمة ليبيا) قد حطمت ~ ما أحكم الطليان من أغلال  
ومضى بهم عمر الشهيد يقدم ~ للحر ينأى نأمة الرئبال  
هل تذكرون جهاد شعب باسل ~ في أربعين من السنين حوالي

ويؤكد محمد العيد على انتماءه للوطن العربي الإسلامي الكبير، ردًا على أسطورة الجزائر الفرنسية، فيمجّد عظمة العرب وقدمهم في التاريخ على روما، ويثني الحال التي وصل إليها العرب آنذاك، ويوصي الجزائريين بقراءة التاريخ وتتبع سير القادة والشخصيات فيقول:

إن للعرب في الحضارة قدما ~ قدما للورى عليها استناد  
كـم وعوا في الحجاز من قبل روما ~ وأثينا من حكمة، وأفادوا  
أيها المشرقون في ظلم التـمـا ~ ريخ، هل عصركم علينا يعاد

(1) نفسه، ص348.

(2) ناصر الدين سعيدوني، صدى كفاح عمر المختار في الجزائر، مجلة الثقافة، ع56، مارس-أفريل، 1980، ص114.

كلّ ما شيدتم على الأرض من مج ~ د قديم أضاعه الأحفاد

من فيكم يحي خلالا أربعا ~ يحي الجزائر، بالخلال الأربع

صدق(العتيق) وعزة الفاروق في ~ حلم (ابن عفان) وعلم (الأصلع)

أذوي العمائم. راجعوا تاريخكم ~ منذ عهد الداوي حتى تبع (1)

وينتهز الفرصة لثناء الشاعر التونسي والكاتب السياسي "الشاذلي خزندار"، فيدعو أبناء المغرب العربي للوحدة والتآزر، فيقول مخاطبا تونس الشقيقة:

يا بني الخضراء هذا جهدنا ~ في مصاب كلنا منه حزاني

كلنا فيه سواء فليكن ~ كلنا فيه معينا وعانا

بورك المغرب من دار لنا ~ بوأتنا من مغانينا كنانا

نحن فيه أسرة واحدة ~ اخوة دينا وجنسا ولسانا

فنت الفرقة في أعضادنا ~ إن منها أبدا كان ضنانا

عالجوها باتحاد جامع ~ ناجع المفعول، ينفي الشنّانا (2)

كما كان الثناء من طرف الشعراء على الشخصيات الجزائرية التي تحمل بعدا مغاربيا، وعربيا، في أعمالها ونضالها، فهذا الشاعر "عبد الكريم العقون"<sup>(3)</sup>، يحيي الزعيم الريفي عبد الكريم الخطابي

(1) صالح خربي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص ص 110، 111

(2) عمر بن قينة، المرجع السابق، ص ص 347، 378.

(3) عبد الكريم العقون (1915-1959): ولد في برج الغدير بـبرج بوعريرج، وفيها نشأ وحفظ القرآن الكريم، وتلقى تعلّمه الأول ثم تتلمذ على الغمام ابن باديس بقسنطينة، ثم درس بجامع الزيتونة بتونس مدة ثلاث سنوات. ثم انخرط في سلك التعليم الحرّ فعلم بمدرسة الفلاح بحي صالح بوعكوير بالعاصمة، ثم أصبح مديرا لمدرسة المرادية وإماما لمسجدها. ثم انخرط في صفوف الثورة=

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

والذي كان من دعاة الوحدة المغاربية، خاصة لما استقر بالقاهرة منذ ماي 1947 وشرع في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي فيقول عنه وعن الوحدة المغاربية والعربية:

- كذا العرب جسم واحد، أن يذق أذى ~ تداعت لع الأعضاء بالسهر والحتمى
- فأكرم بإخوان نباهي بعزمهم ونجدتهم<sup>(1)</sup> ~ - للعرب - في حال العسر
- أيا بطلا خاض المعامع وانبرى ~ لإجلاء أعداء البلاد عن الوكر
- وها أنت ذا تسعى لتحرير أمة ~ بحزم وإخلاص أيا بطل العصر
- تؤمل أن يحيا الشمال<sup>(2)</sup> منعما ~ بحرية غراء طيبة النشر
- إلا فلتعش للريق والعرب حاميا ~ فإنك رمز للمكارم والفخر<sup>(3)</sup>

وفي نفس المجال أيضا أثنى الشاعر "عيسى حمّو النوري" على الشيخ بيوض المزابي (1899-1981) الذي اعتبره مفخرة الشمال الإفريقي فقال عنه:

- يا رامقا أمم الشمال بناظر ~ أعشاه نور الفخار عجاب
- من رائعات الشرق بيوض الذي ~ نسل الشمال، وانجبت ميزاب
- عن الشمال- وإن تضاءل نجمه - ~ مهد لقومي الفاتحين وغاب

=التحريرية، فسجن في باب الوادي، ونفذ فيه حكم الإعدام سنة 1959. نقلا عن: محمد بن الشاوش رمضان-الغوثنى بن حمدان، المرجع السابق، ص 369.

(1) يقصد بالإخوان "أهل مصر" ففي هذه الفترة هرب عبد الكريم الخطابي إلى مصر واستقر بها، فكانت القاهرة بذلك ملجأ لعدد من السياسيين ورواد الحركات الوطنية المغاربية.

(2) الشمال الإفريقي.

(3) صالح خرفي، الشعر الجزائري، المصدر السابق، ص ص 53-55(قائمة الملاحق). نقلا عن: جريدة البصائر، ع7-19

سبتمبر 1947.

و دم العروبة في العروق مراجل ~ تغلي، وتومض تحتها الأنساب (1)

ومن بين الشعراء الذين شعروا جادوا بشعرهم على المغرب العربي نجد الشاعر "أحمد سحنون" (2)، والذي لم يكن ينظر تلك النظرة الوحودية التي رأيناها لدى الشعراء الآخرين الذين عاصروا فكرة الوحدة في السنوات الأخيرة، وإنما يتحدث عن كفاح المغرب العربي، وعن الاستعمار الذي حاول الفصل بين أقطاره وبين الأمة العربية والإسلامية فيقول:

ابن العروبة لم يعد يرضى سوى ~ عز الحياة ورفع المقدار

من دينه الإسلام يأبي أو يرى ~ أبناءه في ذلة وصغار

(1) صالح خرفي، المصدر السابق، ص ص 62-64. نقلا عن: جريدة البصائر، ع 155-14 ماي 1951.

(2) أحمد سحنون: ولد عام 1907 ببلدة ليشانة قرب مدينة بسكرة، توفيت أمه وهو رضيع، وتولى والده الذي كان معلما للقرآن الكريم تربيته، فحفظ كتاب الله وعمره 12 سنة كما تعلم مبادئ اللغة العربية والشريعة الإسلامية على يد مجموعة من المشايخ والعلماء أبرزهم الشيخ محمد خير الدين والشيخ محمد الدراجي والشيخ عبد الله بن مبروك. ومنذ نعومته أظافره كان مولعا بكتب الأدب، فدرس وطالع منها الكثير قديمها وحديثها. في سنة 1936م التقى لأول مرة مع الشيخ عبد الحميد بن باديس، وهكذا كان هذا اللقاء نقطة تحول كبرى في حياة الشيخ أحمد سحنون، حيث انضم إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصبح من أعضائها الفاعلين، وبالإضافة إلى الخطابة والتعليم والشعر، اقتحم الشيخ ميدان الصحف والمجلات، فكتب في العديد منها كالشهاب والبصائر، حتى أن الإبراهيمي علق على كتاباته قائلا: "إن ما تكتبه في البصائر هو حلة البصائر" وهي شهادة كانت أعز عليه من كل وصف، ذلك أنها صدرت من رجل كان يعتبره قدوة له وعظيما من عظماء الأمة، في سنة 1947 اشترك في المجلس الإداري للجمعية، كما عينته الجمعية في نفس السنة معلما في مدرسة التهذيب الحرة في بولوغين ثم أصبح مديرا لها بعد عام واحد. أدرك الشيخ حقيقة المستعمر، ليرفع لواء الحرية والاستقلال ويطهر وطنه من الاستعمار، وكان قد كون تنظيما فدائيا سريا انطلاقا من مسجد الأمة عام 1953، وبعد اندلاع الثورة لم يتردد في مساندة مما أدى إلى سجنه عام 1956 وحاول المستعمر استغلال مكانة الشيخ عند الشعب الجزائري وتأثيره فيه فطلب منه أن يحذر الناس من المجاهدين ويعددهم عن احتضان الثورة ودعمها لكنه رفض، فحكم عليه بالإعدام، ثم أطلق سراحه بعد ثلاث سنوات لأسباب صحية، فقام المجاهدون بتبنيه إلى منطقة باتنة بالشرق الجزائري ثم إلى مدينة سطيف ليواصل عمله وجهاده بين أفراد شعبه. توفي في 8 ديسمبر 2003. أنظر: موسوعة الشعر الجزائري، مجموعة اساتذة من جامعة منتوري (قسنطينة)، دار الهدى، الجزائر، 2002، الجزء الأول، ص 506.

ويقول في قصيدة أخرى نشرت في جريدة البصائر عام 1952:

(للمغرب العربي) صولة ضار ~ ووثوب مقدم على الأخطار

بالحب سوف يعيد سالف مجده ~ وبالاتحاد يفوز بالأوطار

ويرى (اتحاد الرأي) خير وسيلة ~ ويرى الجهاد وظيفي الأحرار (1)

ويقول أحمد سحنون أيضا في إحدى قصائده المعنونة بـ "ابن الشمال"، حاثا الشباب المغاربي على التعلم، وتتبع سيرة الشخصيات التي كان لها دور كبير في الصحوة، كالشيخ عبد الحميد ابن باديس، ويوصيهم بضرورة الاتحاد لقهرا الاستعمار في الشمال الإفريقي (2):

واصل كفاحك والأدب ~ يا أيها الشعب الأبي

واجمع جهودك كلّها ~ لتعيد دولة يعرب

وعلى اتحادك فاعتمد ~ من يتحد لا يغلب

يا بن الشمال—أخا المعا ~ لي للنضال الأوجب

سر في خطى عبد الحميد ~ تصل لأبعد مطلب

في غير تحرير الشما ~ لجمعية ل ترغب

ليس الشمال سوى العر ~ ين لكلّ ليث أغلب

(1) عمر بن قينة، المرجع السابق، ص 197. صالح خرفي، الشعر الجزائري، المصدر السابق، ص 70، 71 (الملاحق).

(2) صالح خرفي، المصدر السابق، ص 78 (الملاحق). نقلا عن: البصائر: 20 نوفمبر 1953.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

ولعل غالبية الشعراء الداعين إلى الوحدة العربية كانوا من التيار الإصلاحى، خاصة لما كان محمد بن عبد الوهاب (=الوهابية)، وعبد العزيز بن سعود يملكان مكانة مرموقة في قلوب المصلحين الجزائريين، فيقول الشاعر "عثمان بن الحاج" الذي كان ينشر كثيرا في الشهاب مع منتصف الثلاثينيات:

أرأيتم عز العروبة ظاهرا ~ والدين مرعى الجناب جليلا

والأمن في تلك الربوع مخيما ~ والسيف في عرض البلاد سليلا

عبد العزيز بن السعود بنى لها ~ مجدا على هام العصور أثيلا

فالله يحفظه ويحفظ أمة ~ عربية بلغت به المأمولا<sup>(1)</sup>

وحسب الدكتور صالح خرفي فإن شعراء الجزائر في العشرينيات قد تميزوا بالبكاء علماً أطلال الماضي، وفي الثلاثينيات والأربعينات فكانت فترة اعتزاز واثارة، أما الخمسينيات كانت فترة تداعي الأجداد الغابرة والحاضرة في ثورة أول نوفمبر<sup>(2)</sup>.

وقد وقف الشاعر "محمود بن أحمد دويذة"<sup>(3)</sup> وبكى على أطلال العرب، وتمزقهم وتشتتهم، وأثنى على حضارتهم التي شيدوها، بينما كانت الأمم الأخرى تعيش عصور الظلام فقال:

وقفت برسم العرب، وقفة خاشع ~ وقلت ضياعا ما نظمتهم من الدر

معاهد كانت-والورى في جهالة - ~ محط رحال العلم، والعز والنصر

(1) صالح خرفي، الشعر الجزائري، المصدر السابق، ص72 نقلا عن: الشهاب، م11-1935.

(2) صالح خرفي الشعر الجزائري، المصدر السابق، ص94.

(3) محمود بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد الشهير بلقب دويذة القسنطيني: ولد عام 1323هـ/1905 م بقرية الطاهير بقسنطينة، تعلم القرآن، ثم تعلم اللغة الفرنسية، ثم مبادئ اللغة العربية، وتعلق كثيرا بشعراء الشرق المعاصرين، وقد ارتحل مع والده إلى الميالية، حيث أصبح مدرّسا بها، ولا ندري متى كانت وفاته. أنظر: محمد بن رمضان شاوش-الغوثي بن حمدان، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المرجع السابق، ج3-4، ص325.

لنعلم ونعمل باتّحاد وعزيمة ~ فنبلغ ما نصبوا إليه من اليسر<sup>(1)</sup>

ولعلنا لن نستطيع أن نلّم بكلّ الشعراء وقصائدهم في مجال الوحدة والعروبة والإسلام والتاريخ والمستقبل المغاربي والعربي المشترك، لذلك أعطينا بعض النماذج لأهم الشعراء والأدباء الذين بدعوا في هذا الميدان، لذلك وحسب رأينا فلقد نال الشعر العمودي حظه الوافر من هذه الاتجاهات الوجدانية، إذا لا تكاد تخلو قصيدة أدبية من ذلك، خاصة وأن "الالتزام" بالقضايا الجوهرية العامة كان يطغى على المدرسة الجزائرية آنذاك، كما نشير إلا أن الأناشيد الوطنية كانت بكثرة خاصة من طرف حزب الشعب، والجمعيات الطلابية والكشافية، الذي كان تستعملها في تجمعاتها ولقاءاتها، من أجل تحميس الجماهير وبعث الروح فيها، كنشيد حيوا الشمال الإفريقي والقصيدة بعنوان 'فداء الجزائر':

فداء الجزائر روعي ومالي ألا في سبيل الحرية  
فليحي حزب الشعب الغالي ونجم شمال إفريقية  
وليحي جند الاستقلال مثال الفداء والوطنية  
ولتحي الجزائر مثل الهلال ولتحي فيها العربية

سلاما سلاما أرض الجدود سلاما مهد معالينا  
فأنت أنت دار الخلود غرامك صار لنا دينا  
وإنا حوالبك مثل الجنود لسان هواك يناجينا  
سرعى حقوقك مثل الأسود ولو قبضوا بتراقينا

(1) نشر أبيات هذه القصيدة أحمد توفيق المدني في تقويم المنصور سنة 1926. أنظر: محمد بن رمضان-الغوثي بن حمدان، المرجع السابق، ص 325-327. أيضا: صالح خربي، الشعر الجزائري، المصدر السابق، ص 105.

سرى بالروح دم الفاتحين فأذكى فيها معاني الفداء  
نخوض الكون مع الخائضين و لا نرتد ولو بالردى  
ونعلي الصرخة في الصارخين ننادي العزة والسؤددا  
فلسنا نرضى مع العالمين حياة نبقى بها أعبدا

فلسنا نرضى الإمتزاجا ولسنا نرضى التجنيسا  
ولسنا نرضى الإندماجا ولا نرتد فرنسيسا  
رضينا بالإسلام تاجا كفى الجهال تدنيسا  
فكل من يبغى اعوجاجا رجمناه كإبليسا

خلقنا بحكم الهوى إخوة فتبت يدا كل من فرقا  
نريد حياة لنا حرة كفانا كفى من حياة الشقاء  
خلفنا لهذا الورى سادة ونجم الهدى عندنا أشرقا  
بلادى يمينا مقدسة سنرعى عهدك طول البقاء

ألا في طريق العلا سعينا ألا في سبيل الفداء و الجهاد  
ليسطع بأفق السماء نجمنا ونعلي الصرخة في كل واد  
فها هو ذاك اللواء معلنا حملناه ذا اليوم فوق الفؤاد  
: وها هو أحمد يحدو بنا وها هو جبريل فينا ينادي  
ألا في سبيل الاستقلال ألا في سبيل الحرية

كما برزت الكشافة في ميدان الأناشيد كثيرا وألفت أفواجها عدة أناشيد تدعو للوحدة المغاربية  
والعربية الإسلامية من خلال أبياتها مثل قصيدة "حيوا الشمال":

حيوا الشمال...حيوا الشمال الإفريقي  
حيوا الشمال قوموا للحزب الوطني يا شباب  
على السطايفية يا حزبي على السطايفية يا حزبي  
على السطايفية ماتوا من أجل الحرية يا حزبي  
حيوا الشمال يا شباب حيوا الشمال الأفريقي  
حيوا الشمال قوموا للحزب الوطني يا شباب  
بالطائرات فرنسا بالطائرات في قامة  
بالطائرات قتلت شبان وبنات يا حزبي

وفي وثيقة أرشيفية فرنسية جاء فيها أن المناضلين المصاليين ببوفاريك وجد بحوزته نشيد وطني تونسي، وقد حاولنا ترجمته من الفرنسية على العربية لأننا لم نجد النسخة الأصلية له، ومما جاء فيه (1):

-نستشهد شهداء

-وإلا نعيش أحرارا

-ولدنا من أجل الحرب المقدسة

-مثل أسلافنا

-عزيمتنا تجد قوتها في اتحادنا

-يمكن لتونس أن تعيش حرّة

-وسيط واحد من الاستعمار

-يكفي توقف باللعب بالنار

---

(1) CAOM. A46, 25h32, dossier n°12, rapport de (CIE) Alger: hymne nationaliste tunisiens, Alger le 22 novembre 1939.

- نحن شباب حرّ

- لا نريد أن نكون مقيدين بالسلاسل

- توقفوا عن الاستبداد

- عن الظلم والنفي

- يوم الجهاد سيأتي

- بطفرة من الأبطال

- عاشت تونس مستقلة.

## 2-1-2-الشعر الشعبي:

لعب الشاعر الشعبي دورا هاما في الثورات والمقاومات على اختلاف مراحلها فكان شاعر نضال، وحامل رسالة، يستمد شعره من عاطفة دينية قوية ويحمل بين جوانحه ضميرا قوميا شفافا رأى في أهداف الغزو الاستعماري غزوا للدين، وهدما لكيان الإنسان المسلم في هذا الوطن الذي يرفض أن يكون غير عربي مسلم، والواقع أن الشاعر الشعبي كان يتمسك أيما تمسك بالإسلام، ويعتز بالماضي، ويفتخر بانتصارات المسلمين<sup>(1)</sup>، فقد كان دوما يربط ذلك الماضي المشرق بالحاضر القائم، ويتوق إلى رؤية عظمة الإسلام، وعزة المسلمين تتحقق من جديد في هذا فالعودة إلى الماضي كانت تحمل بذور الدعوة وبعث النخوة والكرامة في نفوس المواطنين لكي يكونوا خير خلف لخير سلف.

---

(1) التليّ بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص98.

والأدب الشعبي عامة هو مرآة ودليل بأن كان له دور مهم في استمرار الوجود، وفي المحافظة على الروح القومية الجماعية، ولعل ما يميز الأدب الشعبي عن الأدب الغير شعبي هو أنه أوسع انتشارا، وأسرع تداولاً على ألسنة الناس، يحاورهم ويثيرهم، ويلازمهم في سهراتهم، وأعراسهم، ومآتمهم<sup>(1)</sup>.

والشاعر الشعبي كان يقول الشعر بطريقة تلقائية وعفوية، ويعيش محنة الاحتلال بكل آلامها وآمالها، ويصور إحساس مواطنيه، وقام بدور بارز في مجال الإعلام، والتبليغ، فكان ينظم القصيدة ويتغنى بها في ميدان المعركة، أو ينشدها وهو يتجول في القرى، والأسواق حيث يتلقاها الرواة والحفظة<sup>(2)</sup>، وكثيرا ما كان يسبق الشعر الشعبي الفصيح في إعلان مواقف الرفض وفي انتقاد الأوضاع<sup>(3)</sup>.

وحسب رؤيتنا لا نتفق مع رأي توفيق ومان رئيس الجمعية الوطنية للشعر الشعبي الجزائري-سابقا- الذي قال أنه تم تهميش دراسة الشعر الشعبي الجزائري بعد الاستقلال خاصة في فترة حكم الرئيس الراحل "أحمد بن بلة"، والرئيس بومدين هو من ردّ له الاعتبار<sup>(4)</sup>، والذي أصدر قرارا رئاسيا (=بن بلة) في سبيل التوجه نحو التعريب، فقال ومان: "الجزائر ومنذ الاستقلال اعتبرت الشعر الشعبي أدبا دونيا، وتم تهميشه وإقصائه... وذلك القرار كان يهدف إلى إلغاء جزء هام من الهوية الجزائرية والتراث الفكري الذي ساهم في تحرير الجزائر..."، وأضاف ضاربا المثل بقصيدة سي لخضر بن خلوف

(1) نور سلمان، المرجع السابق، ص 139.

(2) التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص 99.

(3) نور سلمان، المرجع السابق، ص 140.

(4) توفيق ومان، تصريح "لمنتدى الخبر"، جريدة الخبر الجزائرية، ع يوم: الأحد، 2 فيفري، 2014. ص 24. في رأينا هذا الرأي فيه غلو أو لنقل عدم الأخذ بعين الاعتبار الظروف التي كانت تعيشها الجزائر في عهد ابن بلة، فالراحل حكم حوالي سنتين ونصف فقط، وتسلم الجزائر مدمرة، منهكة، تحتاج إلى إطارات وقادة، وولاة بالإضافة إلى أن كل الإدارات كانت قد فرغت من المعمرين، وكان يجب النهوض بمستوى التعليم والثقافة، فمن الطبيعي أن تؤخذ الأولويات أولا خاصة اللغة العربية التي كان لا بدّ من ردّ الاعتبار لها، ومن جهة أخرى وفيما يخص التوثيق الذي تكلم عنه توفيق ومان، فإنه حتى بالنسبة لتاريخ الثورة والتاريخ الجزائري عامة، كان فيه التوثيق والاهتمام شبه منعدم في تلك الفترة، للاشتغال بظروف البناء والتعمير، لذلك حسب الباحثين والدارسين لا يمكن أن نحكم على فترة الرئيس ابن بلة إن كانت حسنة أم جيدة لقصر مدتها. للاستزادة مثلا راجع: أعمال المنتقى الدولي: أحمد بن بلة في بعدية الوطني والدولي، المنظم من طرف جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2-3 ديسمبر 2016.

التي تعتبر المرجع الوحيد للحملة الإسبانية في الغرب الجزائري؛ ويقول الباحث عثمانى بولرباح<sup>(1)</sup>، من جامعة الأغواط: "... كان يعتبر أدبا دونيا من الدرجة الثانية، وحتى الجامعة الجزائرية ظلت تعتبره هجينا إلى غاية أواخر السبعينات..." كما يرى قادة دحو أن مشكلة الشعر الشعبي في الجزائر تتمثل في أنه يتم تقديمه على أساس أنه كلام ملحون يقدمه البدوي<sup>(2)</sup>.

ولعلنا نسوق بعض الأمثلة عن شعراء شعبيين من شعراء الملحون الذين " استطاعوا أن يواكبوا الحياة على اختلاف ألوانها فيرسموا صورا دقيقة، صداقة، واضحة حيّة عنها، فإذا أشعارهم كآلة المسجلة التي لا تخطئ ولا تكذب، تخرج الصوت كما سمعته، أو كآلة المصورة التي لا تنافق ولا تماري"<sup>(3)</sup>.

فالشاعر الشعبي كان يرى أن إذلال المستعمر للجزائريين المسلمين هو إذلال لكل الأمة العربية، التي كان يعتبر نفسه أنه جزء مكنها فيقول أحد الشعراء في ذلك<sup>(4)</sup>:

هَذَا حُكْمٌ جَدِيدٌ جَانَا مَتَعَمَّدٌ ~ بِالْعَسْكَرِ وَالْقَوْمِ طَوَّعَ الْعَرَبَانَ

الْمَسْلَمَ مَسْكِينٍ مَا طَاقَ يُعَانِدُ ~ وَارْوَاخُ تُشُوفُ مَا طَرَى فِي ذَا الزَّمَانِ

الْكَافِرُ مَنْ قَبِيلَ لِلْمَسْلَمِ حَاسِدٌ ~ وَإِذَا طَاقَ يَذَلُّهَا أُمَّةٌ عَدْنَانُ<sup>(5)</sup>

وقد مكنت الحرب العالمية الثانية الشاعر الشعبي من الاضطلاع على العالم الخارجي، ومقارنة واقع الشعب العربي الإسلامي بواقع الغرب، ولهذا يمكن القول بأن الشاعر الشعبي قد أخذ يتصور المقاومة

(1) عثمانى بولرباح، تصريح لمنتدى الخبر، المرجع السابق، ص24.

(2) قادة دحو، تصريح لمنتدى الخبر، المرجع السابق، ص24.

(3) عبد الملك مرتاض، دور الأدب الشعبي في التعبير عن الحياة العامة في الجزائر، مجلة الثقافة، ع23 أكتوبر-

نوفمبر 1974، ص97.

(4) التلي بن الشيخ، المرجع السابق، ص276.

(5) أمة عدنان: أمة العرب.

ضد الاحتلال الأجنبي كفاحا مغاربيا وعربيا اسلاميا مشتركا، ينبغي أن يتوحد ويوجه ضد العدو الواحد ويقول الشاعر "أحمد بن عطا الله" في هذا الصدد (1):

يَا أُمَّةَ رَسُولِ اللَّهِ زَيْنَ الْمَنْزِلِ ~ اقْتَلْنَا ذَا الدُّلِّ مَا صَبَّأْنَا لَهُ بَاهُ  
انْبَهَدْنَا طَالَ عَنَا ذَا الْبَاطِلِ ~ وَمَا فِينَا شُ الْخَيْرِ عِنْدَ اللَّهِ اَعْلَاهُ  
يَنْزَعُ ذَا الْكُرْسِيِّ عَلَيْنَا يَتَبَدَّلُ ~ وَيَرْفَعُ عَنَا ذَا الْقَضَا يَنْزِلُ مَرَضَاهُ  
بِحَاةِ الرَّسُولِ نَبِينَا الْمُرْسَلِ ~ مُحَمَّدٌ شَفِيعَنَا رَسُولُ اللَّهِ

كما يصف الشاعر بأسف اتحاد الدول الاستعمارية فيما بينها والتفافها لغزو الأقطار العربية التي بقيت تتفرج على ذلك فيقول (2):

جميع الكفرة غي علينا تتقابل ~ وكل آخر زنش (=جنس) العرب باقي يسعاه

كما يعطي الشاعر الجزائري محمد "عباسة الأخضري"، اهتماما كبيرا لقضية الوحدة والتآزر ولم الشمل في إحدى قصائده بأبيات معبرة عن ضرورة اتحاد القوى الوطنية، وصمودها في الدفاع عن حقوقها حتى تتحقق آمالها، وتفرض النصر على الأعداء فيقول (3):

بِاتِّحَادِكَ رَاكِي تَفُوزِي ~ تَدِّي مَا طَلَبْتِي وَتُحُوزِي  
حَقِّكَ رَاكِي تَزِيدِي تَجُوزِي ~ صِرَاطُ الدُّلِّ الْمَهْجُورِ  
بِاتِّحَادِكَ يَفُوقِي عَزْمَكَ ~ بِاتِّحَادِكَ يَنْصَفُ خَصْمَكَ  
بِاتِّحَادِكَ تَدِّي سَهْمَكَ ~ وَتُعِيشُ الْعَيْشَ الْمَبْرُورِ

(1) التلي بن الشيخ، ص، 314.

(2) نفسه، ص 316.

(3) نفسه، ص 330.

ويضيف قائلا<sup>(1)</sup>:

الإِتِّحَادُ هُوَ الإِتِّحَادُ ~ هُوَ السِّيفُ المَاضِي الحَادُ  
فِيهِ القُوَّةُ أَوْ فِيهِ الرِّادُ ~ هُوَ الحِصْنُ هُوَ الصُّورُ  
طِيعِي وَاشْ يَقُولُ لَكَ رَبِّكَ ~ صُوبِي جَارِكَ<sup>(2)</sup> لَوْنِيجُورُ

كما يروي المناضلان محمد قنانش ومحفوظ قداش، أن أسطوانة للشيخ المهدي كانت معروفة بين أوساط المهاجرين في فرنسا، تدور حول جريدة الأمة التي تدافع عن المغاربة وأوضاعهم، وأوضاع الشمال الإفريقي وكانت هذه الأسطوانة ممنوعة من طرف السلطات الفرنسية ويقول فيها<sup>(3)</sup>:

جَرِيدَةُ الأُمَّةِ المَشْهُورُ ~ يَدَافِعُ عَلَيَّ لِأَفْرِيكَ دِي نُورَ  
يَهْلِكُ أَصْحَابُ القُنُورُ ~ وَالنَّاسُ اللَّيِّ مَبْيُوعِينَ  
إِذَا حَبِيتُوا نَحْيَاؤُ الأُمَّةِ ~ أَقْرَاؤُ جَرِيدَةَ الأُمَّةِ  
فِي قُلُوبِكُمْ تَنْزِلُ الرِّحْمَةُ ~ وَالتَّقَمَّةُ عَلَيَّ الظَّالِمِينَ  
بِيرُو عَرَبٌ يَتَبَعُ فِيْنَا ~ عِنْدُ جِيرُو لَامِينَ

رواية بن دحمان عمور

يَا مُسْلِمِينَ اسْمَعُوا لِينَا ~ أَقْرَاؤُ جُرْنَانَ الأُمَّةِ  
فِي حَاطْرِكَ تَنْزِلُ الرِّحْمَةُ ~ قَلْبِكَ يَعُودُ حِينِ

رواية الطيب بن قادة

(1) التلي بن الشيخ، المصدر السابق، ص331.

(2) بمعنى حافظي على جارك ولو كان جائرا، وهذه دعوة إلى وحدة أبناء المغرب العربي.

(3) محمد قنانش-محفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص55.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

فنجم الشعر الشعبي كان هو "المداح"<sup>(1)</sup>، الذي يعتبر الموجه، والموقظ، والمحرّض، والعين الناقدة بانتقاله بين القبائل والجماعات في المناسبات والأحداث الطارئة والعبارة، فيقول أشعارا في الحروب والثورات مؤكداً أن الله سيرسل لا محاله إلى شعبه منقذاً، محافظاً على روح الصمود والبقاء، ومركزاً على العصبية الشائبة الجزائرية التي تعتمد على الدين والوطن<sup>(2)</sup>.

ومن بين الشعراء الشعبيين نجد أيضاً عمر بن عيسى بلعيد (ولد 1880) الذي سعى من خلال شعره الملحون لإصلاح المجتمع الجزائري، خاصة وأنه كان من مناصري الحركة الإصلاحية، ومن مساندي نادي الترقّي في الجزائر العاصمة<sup>(3)</sup>.

كما يروي المناضل الراحل حسين آيت أحمد في مذكراته عن الشيخ "محمد" أحد سكان منطقة قبائل زواوة وشعره في المقاومة، وأمله في تحرر جميع ربوع الأقطار العربية والإسلامية والذي يقول فيه:

<u>بالعربية:</u>		<u>بالأمازيغية:</u>
النصر	/	انصر
يبدأ من مصر	/	يزواردي مصر
(تونس)	/	تونس
ملاذنا ومواساتنا	/	يس انتونس

(1) يقول عنه الدكتور فيطس: "المداح أو القوال الشعبي يشبه الراوي الشعبي من حيث ثقافته الشعبية في الشعر الملحون والقصص، إلا أنه يجعل من هذه المهبة حرفة يسترزق منها، ويمتعتها ويتعاطاها في الأسواق والتجمعات الشعبية التي يثبت فيها مقدرته على الأداء، انطلاقاً من حصيلته الثقافية والتراثية بمساعدة مواهبه الفيزيولوجية في هيئته، وصورته، وملاحمه، والتحكم في أدواته الفنية في عملية إنشاد الشعر الملحون أو في عملية القصّ. أنظر: عبد القادر فيطس، الشعر الملحون الديني الجزائري، قضاياها الموضوعية وظواهره الفنية، ج1، دار سحنون للنشر والتوزيع، الجزائر (طبع على بمناسبة خمسينة الاستقلال)، 2013، ص97.

(2) نور سلمان، المرجع السابق، ص151.

(3) نفسه، ص151.

أفوس دغ يوان أورتنكس / لا يجب أن نتخلّى أبداً عن يد الله

أحق آث سلاسل / وبحق سلسلة الأولياء

نيكال نويس / كدت أن أيأس<sup>(1)</sup>

ويمكننا أن نقول في ختام هذا العنصر أن حركة الشعر عامة بشقيه العربي العمودي و الشعبي والملحون، واكبت هي الأخرى الأحداث الداخلية والخارجية، واتخذت من الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية هي الأخرى سلاحاً جدياً هاماً لمقاومة الاستعمار، خاصة وأن الشعر الجزائري المعاصر لم يتأثر كثيراً بالمذاهب الأخرى خاصة الرومنسي، وتأثر بشعراء كشوقي وحافظ والرصافي، من أصحاب الشعر الإصلاحية<sup>(2)</sup>، لذلك وقف ليعبر عن طموحات الشعب وقضاياها، ويروي تفاصيل معاناته، ويوصل أمانيه، واتخذ الشعراء من الواقع الجزائري الذي هو جزء لا يتجزأ من الفضاء المغاربي والعربي الإسلامي أحسن مصدر لاستلهام تلك المشاعر.

## 2-2- التوجهات الوجدانية في الأدب الروائي والقصصي الجزائري:

من المعروف أن السلطات الفرنسية كانت في عهد الاحتلال لا تنظر بعين الرضا إلى كل من يُعني بشؤون الفكر ومن له نشاط في مجال الأدب، بل لا يكاد يظهر أحد من رجال الفكر والأدب حتى يوضع في قائمة المشبوهين الذين تراقب السلطات حركاتهم وسكناتهم، على أن الحرب العالمية لم تكذب أوزارها حتى ظهرت فئة من الكتاب وتعالق أصواتهم ودوّت كلمتهم في المحافل، وهكذا انبثق إلى الوجود ما يدعى بالأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية، ومما لا شك فيه في هذه الفترة هو أن الإنتاج الأدبي بالفرنسية أنشط وأوفر من الإنتاج باللغة العربية، فكتاب القصة والمسرحية نادرون، إن لم نقل شبه معدومين، ولا نجد من مظاهر الأدب الأصيل إلا جملة من المقالات التي تجود بها قرائح بعض

(1) حسين آيت أحمد، مذكرات مكافح، المصدر السابق، ص 237.

(2) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري، المصدر السابق، ص 52.

الكتاب والأدباء<sup>(1)</sup>، لكن من جهة أخرى وحسب أبو القاسم سعد الله فإن: "الاستعمار لا يقتل الأدب، ولكن يلونه بألوان مختلفة، فيخلق مثلاً أدب الرمز، والأدب المنحرف والشاذ، ويخلق الصراع بين الأدب المتحرر والرجعي، والظروف لا تقتل الأدب ولكنها تكيفه فتجعل منه الأدب الذاتي أو الموضوعي، والأدب الهادف التعبيري، أو النموذجي، أو الحيادي الواقعي، أما الحرب فهي كفيلة بتوسيع مجالات الأدب أو تحديدها"<sup>(2)</sup>.

وترى الدكتورة نور سلمان بأنه ليس من الضرورة "أن يتبنى الأدب حزبا سياسيا ليصبح وطني ملتزما، إذا ان أحد أدوار الأدب هو ترسيخ علاقة الإنسان بأرضه وبتراثه وتعزيز شعوره بالانتماء إلى وطن يمارس فيه الفرد وجوده الإنساني"<sup>(3)</sup>.

ويقول الأديب "شكري غالي" متحدثا عن الأدب الجزائري: "...يتميز وينفرد الأدب الجزائري الحديث بين مختلف آداب الشعوب العربية بمجموعة من الخصائص قلما تجتمع في أدب واحد على مجرى التاريخ... وهو ذلك التشابك المعقد بين تيارات ثلاث جلبتها ورسختها الظروف التاريخية وهي التيارات: البربرية (=الأمازيغية)، والعربية والفرنسية، لغة وحضارة..."<sup>(4)</sup>.

كما تقول الدكتورة سعاد محمد خضر: "لقد ساعدت حدّة ذلك الصراع نفسه في الجزائر في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وفي فترة تعاظم حركة التحرّر الوطنية على ظهور القصة الجزائرية الحديثة، والقصة الجزائرية الحديثة من أكثر الأنواع تطورا في الأدب الجزائري، وأقدرها على توضيح الحقيقة

(1) حنفي بن عيسى، الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة الثقافة، ع9-8، ماي-جويلية، 1972، ص63.

(2) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب، المصدر السابق، ص56.

(3) نور سلمان، المرجع السابق، ص135-138.

(4) غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف بمصر، القاهرة، (د.ت)، ص143.

الجزائرية أمام القارئ بتقديمها مختلف الإجابات على مختلف المشاكل التي تبرز أمام الشعب الجزائري وبتوضيحها طريق المستقبل<sup>(1)</sup>.

إذن فالآراء تختلف حول ماهية الأدب الجزائري وخاصة الرواية والقصة، فهناك من يراه معدوماً، وهناك من يراه تقليداً، وهناك من يرى فيه إبداعاً وموهبة؛ ومهما كان الأمر فإن الذي يهتمنا نحن هو القضايا التي تناولها، والأبعاد والأهداف الحقيقية للروايات والقصص التي كتبت في تلك الفترة، وموقع المغرب العربي والوحدة المغاربية والوحدة العربية الإسلامية من هذه الصحوة الأدبية؟

### • رواية إدريس "علي الحمّامي"<sup>(2)</sup>:

تعتبر هذه الرواية بحق، أحسن آثار الحمّامي نظراً لقيمتها التاريخية والسياسية والفنية، كتبها في بغداد باللغة الفرنسية ما بين (1941-1942)<sup>(1)</sup>، ونشرها في كتاب عام 1949، وكتب مقدمتها محمد بن

(1) غالي شكري، المرجع السابق، ص 144.

(2) إن المصادر حول حياة الحمّامي قليلة جداً وكل ما يعرف عنه أنه ولد بمدينة تيارت سنة 1902، وعاش هناك إلى أن قررت أسرته القيام بأداء فريضة الحج سنة 1922، فرافقها إلى الحجاز غير أنه لم يعد إلى الجزائر بعد ذلك لأنه رفض سياسة الاستعمار الذي كان يسيطر على وطنه، فأخذ يتجول عبر العالم مشتغلاً في باخرة تجارية، وفي هذه الفترة من حياته نمت ثقافته بصفة عامة واطلع على آثار ابن خلدون بصفة خاصة، وتعرف في المغرب على الأمير عبد المالك حفيد الأمير عبد القادر وبدأ معه مقاومة الاستعمار الفرنسي ثم شارك في ثورة الريف التي تزعمها الأمير عبد الكريم الخطابي واستمد منها فيما بعد قصته التاريخية التي سماها "إدريس" كما تعرف علي الحمّامي على الأمير خالد في مدينة باريس وأصبح من أنصاره فأرسله الأمير إلى موسكو ضمن وفد من شبان جزائريين، وتمت هناك علاقات بينه وبين عدة شخصيات من آسيا مثل هوشي منه وغيره، فزار علي الحمّامي بعض العواصم الأوروبية نذكر منها برلين وجنيف.. ولذلك الاستعمار الفرنسي تفتظن إلى نشاطه السياسي وقرر اضطهاده ابتداءً من سنة 1935، فلاجأ إلى المشرق العربي، واستقر في العراق بعد أن زار الحجاز، والشام وفلسطين، واشتغل بتدريس التاريخ والجغرافيا في مدينة بغداد مدة إحدى عشر سنة، وفي 1946 تحول إلى القاهرة وانضم إلى مكتب المغرب العربي، ولم يكتب للحمّامي أن يشاهد نهاية الاحتلال، إذ تعجلته المنية فذهب ضحية حادث طائرة في باكستان سنة 1949، وهو في مهمة رفقة الدكتور ثامر من تونس، ومحمد ابن عبود من المغرب الأقصى، فقامت السلطات الباكستانية بنقل جثمانه إلى الجزائر، ودفن المرحوم في مقبرة سيدي محمد الشريف بالعاصمة يوم فاتح يناير 1950. أنظر: أبو عمران الشيخ، علي الحمّامي وقصة إدريس، مجلة الثقافة، ع 42، ديسمبر - يناير 1978، ص 76. وكذلك: Amar belkhdja, Ali el hammamy et la

montée du nationalisme algérien Ed dahleb, alger, 1991.

عبد الكريم الخطابي، ولعل ذلك يعود إلى اشتراكهما في نفس الفكرة المغاربية<sup>(2)</sup>، فالكتاب الأول الذي طبع جاء تحت عنوان "رواية من شمال إفريقيا"<sup>(3)</sup>، والرواية عموماً عبارة عن سرد، مع تحليل لتاريخ المغرب الإسلامي، حتى ظهور الحركات الوطنية الاستقلالية، وجاء كل ذلك سرداً لحياة شخصية خيالية تدعى "إدريس" حيث عاد إلى أجداده الأوائل البربر حتى يصل إليه، وذلك بصفته نموذجاً للإنسان المغربي المعاصر الذي يريد علي الحمامي تكوينه<sup>(4)</sup>.

فاختار أن يعبر في طفرة نوعية على مستوى الوعي الوطني عن كفاح شعوب شمال إفريقيا، وتطلعها للانعتاق من ربة الاستعمار من خلال تصويره لوقائع ثورة الريف بالمغرب الأقصى سنة 1923، بقيادة عبد الكريم الخطابي، التي شارك فيها الكاتب شخصياً إلى جانب الأمير عبد المالك الجزائري الذي كان يقيم بالمغرب، وقاد المقاومة المسلحة مع عبد الكريم الخطابي، وهذا ما يفسر أن الطبعة الأولى من هذه الرواية التي كانت سبّاقة في طرح موضوع الكفاح المسلح كسبيل وحيد للتحرر من الاستعمار، قد نشرت بالقاهرة، لأنه كان من المستحيل إصدار مثل هذه الرواية الثورية آنذاك في الجزائر أو حتى في فرنسا<sup>(5)</sup>.

فيتعرض المؤلف فيها إلى موضوعات كثيرة ينتقد السياسة الاستعمارية، ويحلل المجتمع المغربي وأسباب انحطاطه وشروط نهضة الشعوب العربية الإسلامية، ومصير وحدة المغرب الكبير وحركاته التحررية، كما ينتقد المؤلف مواقف الكتاب الفرنسيين، مثل فيكتور هيغو الذي يتغنى بحرية الشعوب ويتجاهل

---

(1) علي الحمامي، ادريس، رواية شمال افريقية، تعريب: محمد الصالح النفزاوي، دار الهوقار، تونس، 2011، ص16  
(2) علال الفاسي، النقد الذاتي، مصدر سابق. يقول بأن الأمة تنشأ من خلال الارتباط بين أرض وشعب مثل ما يسميه ب"الأمة المغاربية"، ص122.

(3) محمد العربي المساري، مع الجزائري علي الحمامي في روايته "إدريس": بحث في الجذور، مقال بعث للنشر في مجلة

للتاريخ تحت رعاية المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. موقع زينب النفزاوية: [www.zainab-an-nefzaouia.com](http://www.zainab-an-nefzaouia.com)

(4) رابح لونيسي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص140.

(5) أحمد منور، الأدب الجزائري باللسان الفرنسي (نشأته وتطوره وقضاياه)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007،

ص105.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

فتوحات بلاده أو لويس برتراند زعيم "إفريقيا اللاتينية المسيحية" الذي لا يعترف بوجود شعوب المغرب وحضارتها<sup>(1)</sup>.

فالحمامي لا يتفق مع أصحاب النزعة البربرية ذوو المرجعيات الأوروبية، والمكملة لسياسة التنصير، والتي تستهدف تجزئة الأمة المغاربية إلى مجموع شعوب وطوائف، وضرب تركيبها الاجتماعية المبنية على وحدة الدين، ولكن هذا ليس معناه عدم اعتزازه بالأصول البربرية التي يعتبرها جزءا أساسيا في تشكيل "الأمة المغاربية"، و"القومية المغاربية" حسب تعبيره<sup>(2)</sup>، والحمامي شديد الافتخار بماسينيسا ويوغرطة اللذان حاولا قبل ابن تومرت تحقيق وحدة الأمة المغاربية، لكنهما فشلا أين نجح ابن تومرت الذي كان أكثر استعدادا من سلفه<sup>(3)</sup>.

فيمكننا أن نقول أن الروائي أسس نظراً لتوجه وهو تيار النزعة القومية المغاربية، خاصة لو كان الله أمد في عمره، فقد وصل إلى حد انصهار جزائريته في هوية مغاربية شاملة، مما يمكن أن يجعل بعض قارئ كتابه "إدريس" عاجزين على التمييز إن كان جزائريا أم مغربيا، وحتى وفاته كانت ذات طابع مغاربي وكأن القدر أراد المزج بين دمائه بدماء مغاربية آخرين، فقد توفي معه الحبيب ثامر من تونس، ومحمد بن عبود من مراكش في حادث سقوط طائرة<sup>(4)</sup>.

ولهذا نورد بعض الفقرات مما يقوله الحمامي في روايته تقديسا للزعيم البربري المغاربي حنبعل: "... هكذا ولج حنبعل مسرح الأحداث. لأول مرة استشعر أسلاف إدريس إحساسا ظل إلى تلکم اللحظة غير معروف لدى قبائل بلاد البربر. كانت الحروب البونيقية الثانية ترجمانا لحب الوطن الدفين لدى الشعوب الإفريقية

(1) أبو عمران الشيخ وجيجلي محمد، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، المصدر السابق، ص 77.

(2) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 142.

(3) رابح لونيسي، نفسه، ص 142، نقلا عن: (la république algérienne n160, le 14-01-1949).

(4) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص 137، 138.

الذي تحوّل إلى تيار وطني قائم الذات. وهكذا هرعت جميع القبائل المغاربية جماعات وزرافات تحت الرايات القوطجية. ولأول مرة أيضا تبلورت آمال المغرب الأكبر حول بطل وطني وياله من بطل...<sup>(1)</sup>.

وما يجب الإشارة إليه أن على الحمامي لا يقصي الوجود الهلالي وبالتالي العربي في تكوين البنية الاجتماعية المغاربية، وتأثيره على سماتها الشخصية، وهو الذي يعتبر أن الهجرات لها مالها وعليها ما عليها فيقول: "...جاء غزو الهلاليين الذي كتب عنه ابن خلدون صفحات ساطعة... هذه القبائل اختلطت مع القبائل البربرية... تطور انصهار العرق حينئذ بوتيرة متصاعدة، وبعد هذا التاريخ شهد المغرب الأكبر ملحمة مع بروز المرابطين والموحدين، وهكذا تضافرت الأمجاد العسكرية والاشعاع الفكري في صلب حضارة لا مثيل لها. وعلى هذا الأساس اكتسب البلد شخصيته التامة..."<sup>(2)</sup>. ولكن في نفس الوقت هو يؤكد على أن العرب هم من اندمجوا في بلاد البربر وليس العكس، فلا هم العرب بقوا عربا، ولم هم البربر بقوا بربرا، ولكن تولد طابع مغاربي جديد اندمجت فيه هذه العناصر.

ويقول في فقرة أخرى مبرزا انتماء الأمة المغاربية لجسد الأمة الإسلامية والعربية روحيا: "...المغرب الأكبر اسلامي ومشرقي رغم اسمه الذي يبرره موقعه الجغرافي الذي يربطه ببلدان الغرب المتوسطي. ولكنه من حيث ثقافته وطرائقه في العيش والعمل والتفكير، تتوجه أنظاره دوما صوب الشرق فبالأمس كان يرنو إلى الإمبراطورية العثمانية واليوم إلى مصر..."<sup>(3)</sup>. لكنه في نفس الوقت يرى أنه لا توجد أمة إسلامية واحدة، لا شيء يميز الأقوام المندرجة ضمنها عن بعضها البعض، ولكن توجد أمم إسلامية منها الأمة المغربية التي تملك تاريخا خاصا بها، وأنه على المدارس المغربية أن تتمكن له في أذهان التلاميذ المغاربة

---

(1) علي الحمامي، ادريس، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات أناب، الجزائر، 2007، ص 17. نشير إلى أننا استعملنا نسختين مترجمتين والثانية هي: علي الحمامي، ادريس (رواية شمال افريقية)، تعريب: محمد ناصر النفزاوي، معهد الحقار، تونس. 2011. كما نشير أيضا إلى ان المترجم التونسي أدخل عليها مقدمته الخاصة بحيث اعطى ملخصا تحليليا ونقديا للرواية، وأبرز أهم النقاط و الأفكار التي تعرض إليها الحمامي في رواية ادريس، بينما لم يضيف المترجم الجزائري "يحياتن" أي شيء على الرواية، واكتفى بمقدمة محمد بن عبد الكريم الخطابي.

(2) علي الحمامي، ادريس، المصدر السابق، ص 33.

(3) ادريس، النسخة المترجمة الجزائرية، ص 392.

دفعنا لكلّ عملية الحاق سيّاسي<sup>(1)</sup>، وجاء في الرواية: "إن دراسة الماضي بصفتها مرآة تنعكس عليها جملة أجداد الأمة وآلامها، إنما تنزل في علاقتها بهذه الأمة منزلة الروح من الجسد. وابن المغرب بقدر ما يستكشف ماضي أجداده يزداد احتراماً له، وهو يتأمل في هذه العصور التي لعب فيها أجداده دوراً يجعل الإنسانية مدينة لهم بعض الدين، بما هو أكثر تميزاً في مكتسباتها، بحيث يرتقي إلى مستوى أرفع، ويدرك أن يكون قد نأى عن الاستخفاف بالوسط الذي يعيش فيه، والذي شوهته انخراط طال أمده، إن وطنه منجم قيم يكفي بعض النشاط الذكي، والشجاعة لتخصيب البذار فيه"<sup>(2)</sup>.

كما كان علي الحمامي من الرافضين لفكرة ادماج الأمة المغاربية في مشروع القومية العربية لأنّ الأمتين تختلفان في الخصائص ويقول: "إن التاريخ لم يكن إلا مجموعة من نوادر عثة متناثرة مستخرجة من وريقات كتب تهتم بمجمل المجموعات الإسلامية، أكثر مما تهتم بحياة شعب واحد من هذه الشعوب. ونحن اليوم لسنا نعيش في زمن الخلافة، ومن ناحية أخرى فإن المغرب لم يبد البتة استعداداً كبيراً للقبول بالتخلي تخلياً صريحاً عن استقلاله لا بعد الإسلام ولا قبله"<sup>(3)</sup>.

فيظهر لنا الحمامي من خلال روايته ادريس أنه مضطلع أتم الاضطلاع على تاريخ العرب والمسلمين والمغاربة، ودار تمام الدراية بالظفرات والتحويلات النوعية التي مست تراكيبه الاجتماعية وبناء الفكرية عبر الزمن، وما لتأثير كبير للإسلام على مستقبله، لذلك نجده يحن لأيام القوة والاتحاد ولكنه دائماً ما يحتفظ بالخصوصية المغاربية للمغرب الكبير، ولعل الاستفهام الذي يتبادر إلى اذهاننا هو أنه بالرغم من علي الحمامي عاش ببغداد أكثر من عشر سنوات، واحتك كثيراً بالقوميين العرب إلا أنه لم يتأثر بتلك الأفكار؟، بل بالعكس استطاع من خلال هذه الرواية نقد تلك الفكرة التي تعتبر أن كل شيء هو موحد، ولا خصوصيات بين كافة الأجناس، وهو ما يكون ومما لا شك فيه قد أوجد له مخالفين من العربيين في تلك الفترة (=خاصة من الذين يقرأون بالفرنسية).

(1) مقدمة المغرب محمد صالح النفاوي في رواية علي الحمامي، ادريس، النسخة المترجمة التونسية، المرجع السابق، ص 16.

(2) نفسه، ص 17.

(3) نفسه، ص 19.

لذلك يمكن ان نجزم بان على الحمامي كان مناضلا مغاربيا وحدويا بامتياز، ففكرته لم تكن تنظر لانفصال وتمرد المغرب عن المشرق عكس ما ذهبت إليه بعض الكتابات المغالية، ولكن هو دعوة للمغاربة للاعتزاز بماضيهم والمساهمة في بناء حاضرهم، وترسيخ وجودهم خدمة للإسلام والإنسانية، وردّ الاعتبار لثقافتهم التي تاهت بسبب كثير من المغالطات عبر التاريخ.

• رواية مريم بين النخيل "محمد ولد الشيخ"<sup>(1)</sup>:

هي رواية عن قصة حب جد عادية بين شاب جزائري هو "أحمد المسعودي" و"مريم ديسي" الفرنسية، ولكن ما يهمننا هو استعمال الكاتب الجزائري للجغرافيا المغربية، وبالضبط واحة تافيلالت بمراكش لنسج خيوط الرواية، وقد ربط الكاتب بين القصة والواقعة الحقيقية، وهي واقعة احتلال القوات الفرنسية لواحة "تافيلالت" منتصف يناير سنة 1932، وقبل أن يبدأ القصة يقدم لنا مدخلا منفصلا من تسع صفحات عن تاريخ الواحة منذ تأسيسها عام 140هـ من قبل الخوارج الصفرية، الذين اطلقوا عليها اسم سجلماسة، مرورا بمختلف أطوارها تاريخيا تحت حكم المرابطين، ثم الموحدين، ثم المرينيين، فالزيانيين وصولا إلى العلويين<sup>(2)</sup>.

فالكاتب إذن ومما لاشك فيه كان يعرف جيدا التاريخ والجغرافيا، ويؤمن بفكرة وحدة الأمة المغاربية وإلا لم يكن ليعطي روايته كل تلك الأبعاد، كما يمكننا القول أن الكاتب احتك جيدا بالمجتمع الذي

---

(1) محمد ولد الشيخ (1906-1938): ينتمي إلى قبيلة أولاد سيدي الشيخ، ولد في مدينة بشار في 23/02/1902، وبها تابع دراسته الابتدائية في المدرسة الفرنسية، ثم بعث به والده الأغا الشيخ بن عبد الله إلى وهران لمواصلة الدراسة الثانوية، لكن جو المدينة المشبع بالرطوبة لم يلائم صحته، وكان يعاني من مرض السّل الذي تمكن منه بسرعة، ولم تفده كثيرا الرحلات الاستشفائية التي قام بها إلى أماكن عديدة داخل الجزائر حيث توفي بتاريخ 30/01/1938، و"مريم بين النخيل"، و"مسرحية شمشون الجزائري" التي نقلها محي الدين بشطارزي إلى العامية وقدمها على خشبة المسرح سنة 1937 مع قصصه القصير التي نشرها في الصحافة المحلية في منتصف العشرينات من إبداعاته ككاتب وقاص جزائري من طلائع القاصين... أنظر: أحمد منور، المرجع السابق، ص 208.

(2) نفسه، ص ص 208-211.

كان يعيش فيه "قبيلة أولاد سيدي الشيخ" المعروفة بمقاومتها للاستعمار، ورفضها لعمليات التفرقة التي قامت بها لهذه القبيلة، خاصة أن جزءا كبيرا منها ارتحل إلى المغرب الأقصى في فترة مقاومة الشيخ بوعمامة، وتشبع بفكرة وجود المغرب العربي والإسلامي ووحدته التي صهرتها الدول المتعاقبة منذ القدم، فتعرضه لتاريخ تلك الدول خير دليل على ذلك، وهذا من الروايات القصصية التاريخية والتي لا تقل شأنًا عن الكتب التي ألفها أحمد توفيق المدني، ومبارك المليلي لإبراز وجود الأمة الجزائرية والمغاربية.

#### ● قصة "الابن الشهيد" لـ محمد بن ددوش التلمساني:

كان ظهورها في شهر أبريل 1950، تحكي عن الشاب مراد أحد الجزائريين المثقفين الذي شارك في حرب فلسطين، والذي حدثت بينه وبين والده خصومة حول إكمال تعليمه، فطالبه والده بالاكْتفاء بما تعلم، ليلتحق به في العمل لمساعدته على مصاريف الحياة الشاقة، فخرج الشاب من البيت وغاب عدة شهور، فإذا به ذات يوم يرسل رسالة إلى العائلة التي بحثت عنه مرار وتكرارا ولم تجده، فيقول فيها "...في اليوم الذي غادرت فيه بلدي كنت عازما على الانتحار، لأني لم أكن أرى دنيائي إلا ظلاما حالكا... لكن بينما كنت غارقا في التفكير إذ تراءت لي فلسطين المكلمة أمامي، وعبث الصهيونيين بأبناء جلدتي، وإذا بي أحسّ أنّ صوت شهدائنا يناديني فلبيت النداء، ووصلت أرض فلسطين بعد جهد جهيد متحملا كل أنواع عذاب الطريق..."

وقد استشهد الشاب مراد بالفعل في أرض المعارك، وهو الذي كان من بين الجزائريين الذين شاركوا اخوانهم في المشرق الكفاح في الحرب العربية الإسرائيلية، فالقصة تؤرخ للجزائريين والمغاربة بصفة عامة

والذين كانوا تواقين للثورة والتحرر من الظلم والاستعمار، فتناولت بذلك موضوعا قوميا عربيا إسلاميا، يتضمن أحاسيسا للأخذ بالتأزر، والتآزر، والتآخي العربي<sup>(1)</sup>.

● "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو<sup>(2)</sup>:

ألفها سنة 1947، وتناول فيها حياة المرأة العربية في الحجاز، والتي هي محرومة من العلم والحب والحياة، فاتخذ حوحو من البيئة الحجازية التي كان قد عاش فيها حوالي عشر سنوات مجالا لكتاباتة، ثم إن حوحو كان قد عاش في بسكرة (=سيدي عقبة) في بيئة عربية إسلامية محضة، ثم انتقل إلى سكيكدة أين عايش الحياة الأوروبية، لذلك أراد أن يعطي من خلال روايته مفاهيم جديدة ونصائح لكي تتحرر المرأة العربية والجزائرية من القيود التي فرضتها عليها الأعراف<sup>(3)</sup>، لذلك نحن لسنا أمم رواية تدعو للوحدة، ولكن استعمال حوحو للمجال العربي الحجازي يدل على أنه كان يعرف تماما

(1) نشرت القصة في حلقتان في جريدة "الصريح" التونسية بتاريخ: 21 أبريل 1950، و 28 أبريل 1950 وذلك يبرز الدور الكبير الذي لعبته تونس واعلامها في التعريف بأدب الجزائريين فالقصة كاتبها جزائري عن بطل جزائري في أرض فلسطينية عربية مسلمة ونشرت في تونس التي تعاني هي الأخرى من نظام الحماية، فيالها من رمزية وحدوية مغاربية عربية اسلامية قوية هذه للمزيد من التفاصيل انظر: محمد صالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، دراسة، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص 167، 168

(2) أحمد رضا حوحو (1912-1956): أديب وروائي، ولد بقرية سيدي عقبة ببسكرة، درس هناك في الكتاتيب والمدارس القرآنية، كما درس في المدرسة الابتدائية الفرنسية، انتقل بعدها على سكيكدة حيث تابع دراسته التكميلية بالفرنسية الى مستوى الشهادة الاهلية، عاد للاشتغال كعامل بسيط في البريد والمواصلات في منطقته، سافر مع والده إلى الحجاز سنة 1934، واتم دراسته ناك في المعهد الحرّ للعلوم الدينية، وعمل أيضا بإدارة البرق والبريد والمواصلات بمكة المكرمة، بدأ سنة 1937 نشاطه الادبي فكتب في مجلة الرابطة الأدبية سنة 1937. رجع من الحجاز سنة 1946 وعين أستاذا بمعهد عبد الحميد ابن باديس، وعمل في جمعية العلماء، وأصدر جريدة الشعلة، كما قام بعدة رحلات على الدول الاشتراكية. عندما اندلعت الثورة التحريرية ألقى القبض عليه بتهمة الوقوف وراء في تفجير بمركز شرطة بقسنطينة، واستشهد مقتولا سنة 1956 من طرف عصاة اليد الحمراء السرية، وله عدة انتاجات أخرى روائية ومسرحية ومقالات مثل: صاحب الوحي وقصص أخرى، أدباء المظهر، نماذج بشرية، في الادب والاجتماع، عشر سنوات في الحجاز... الخ. لاستزادة راجع: محمد الصالح رمضان، الأديب الشهيد حوحو وآثاره، مجلة الثقافة، ع 54 نوفمبر-ديسمبر 1979، ص ص 57-64. أيضا: عادل نويهض، المصدر السابق، ص 129.

(3) عن آثاره راجع مثلا: محمد الصالح رمضان، المرجع السابق، ص ص 57-64.

المشاكل التي تعترض الإنسان العربي المسلم، والذي يجب عليه أن يستيقظ من سباته لتحقيق الحرية زمن ثم التفكير في الوحدة التي كانت تبدو انها صعبة المنال بالنسبة لشخص مثل رضا حوحو الذي عاش في المشرق والمغرب<sup>(1)</sup>.

• رواية "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي:

تعتبر أيضا من بين طلائع الرواية الجزائرية، كان صدورها العام 1951، وطبعت بمطبعة الشريف بدار الكتب العربية بتونس، تحكي عن طالب اسمه "عبد اللطيف" عايش البيئة التونسية بحكم دراسته هناك، وتعرف على فتاة تونسية اسمها لطيفة فأحبها وطلبها للزواج، فقد كان أشد الإيمان بالروابط المتينة التي تربط بين الشعبين الجزائري والتونسي، وضرورة وصل اللحمة بين تلك الوشائج عن طريق المصاهرة واختلاط الدماء<sup>(2)</sup>، التي تعاني من واقع مرير واحد وتعايشت في ظروف تاريخية واحدة.

كما أن هناك من يعتبر كاتب ياسين هو الطفرة التي حررت النص من ضيق أفق الكلاسيكية، ولو أنه لا يهم إطار دراستنا حاليا لأنه كتب في الثورة كثيرا كـ "نجمة مثالا"، لكنه عايش مجازر 8 ماي 1945 ورأى بأم عينيه الظلم الذي يتعرض له الجزائريون والمغاربيون عامة، والذين ساهموا في الحرب وتنكرت لهم فرنسا في الأخير، ويقول عنه الروائي سعيد خطيبي: "...يعتبر كاتب ياسين مرجعيا لجيل كامل من الكتاب الجزائريين والمغاربة إجمالاً... ياسين هو الطفرة التي كان يجب أن تحصل هو الاستثناء الذي أحدث الحلحلة الأهم وكسر نمطية الرواية المغاربية..."<sup>(3)</sup>، كما يقول فيه المسرحي السوري سعد الله

(1) أنظر: أحمد رضا حوحو، عادة أم القرى، سلسلة الانيس، الجزائر، 2007.

(2) نفسه، ص 154

(3) أحمد خطيبي، تصريح لصحفي الخير، جريدة الخبر الجزائرية، ع يوم: الإثنين، 3 فيفري 2014. انظر للاستزادة عن أعمال

كاتب ياسين: كريمة بلخامسة، إشكالية التلقي في أعمال كاتب ياسين، أطروحة دكتوراه في اللغة والأدب العربي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (د.ت).

ونوس: "...كنت أكتشف أصالة موهبة، تمتح من ينابيع تاريخ عميق مادتها... سؤالها... وتفجّرها"<sup>(1)</sup>.

ومن ناحية أخرى، أصبح معروفاً أن ياسين قد ربط في ذهنه بين اسم نجمة وبين الشكل الخماسي الذي تبدو به الجزائر على الخريطة الجغرافية من جهة، وبين هذا الشكل وبين النجمة الخماسية التي تنصدر العلم الجزائري من جهة أخرى، وتضيف إحدى الباحثات إلى هذا التأويل اسم "نجم شمال إفريقيا" لما له كما تقول الباحثة، من قيمة لدى الوطنيين مثل كاتب ياسين<sup>(2)</sup>.

ونجد كثيراً من الروايات والقصص القصيرة التي اختفت أو ضاعت أو لم تنشر أصلاً قد تكون في المكتبات العائلية والأرشيفات والرسائل التي كانت تصدر، فتكون ومما لا شك فيه قد حوت على مفاهيم الوحدة، والاتحاد، والجسد الواحد والمصير الواحد، رغم أن ظهورها ارتبط بمحاولات لتجسيد الوجود القصصي بالجزائر وإظهاره، وليس طرق باب كل المواضيع بشتى أبعادها ومفاهيمها، ولكن القصص والروايات والمحاولات القصصية أعطت مفهوم الشمولية للمكان والمحيط الذي يعيش فيه البطل أو تقع فيه الحادثة، واستعملت رمزية الوحدة في تعابيرها، ولم يكن ذلك بمحض الصدفة أو بفعل دافع الاستعمار المشترك و فقط ذلك، وإنما تعبيراً عن وحدة كانت ضرورة من معطيات التاريخ والجغرافيا.

(1) سعد الله ونوس، الأعمال الكاملة، المجلد 3، دار الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996، ص159.

denise brahimi, « elan, brisure et résurgence » in colloque international sur Kateb

(2) نفسه، ص362، نقلا عن: yacine, p80

### 3- رمزية الوحدة في الفنون الجزائرية:

#### 3-1- الهوية والوحدة في المسرح الجزائري:

لقد بدأ المسرح في الجزائر شأنه شأن باقي الأقطار العربية والإسلامية الأخرى كظواهر، والتي يسميها البعض بالاحتفالية ضمن تراثنا الشعبي، ولذا اعتبر الكثير من المسرحيين أن أشكال الفرجة تلك التي شكلت لنا مبكرا الظاهرة المسرحية<sup>(1)</sup>، فعندنا في الجزائر بدأ شعبيا في الساحات العمومية وفي الأسواق مع إلقاء شعراء الملحون لقصائدهم و المدّاحين لأشعار المديح النبوي (المداح- القوال)، ولعله يعود إلى قبل ذلك بكثير حين كانت الاحتفالات والأعياد الدينية والتاريخية تكتسي طابعا فنيا مسرحيا عادة، ففي بني سنوس بتلمسان مثلا اعتاد السكان الأمازيغ للمنطقة استقبال العام الأمازيغي الجديد (=يناير) من كل سنة بحفل مسرحي فلكلوري يسمى عند أهل المنطقة "آيراد" بمعنى السبع بالأمازيغية<sup>(2)</sup>، ونفس العرض تقريبا يُعرض في جباله بتلمسان أيضا، ويسمى عند أهل المنطقة ب "الزيّاة الغيّاة" أو "سونة"، لكنه لا يمثل في رأس السنة وإنما في عيد الأضحى لأنه ربما يكون قد تزامن في إحدى السنوات معه فالتصقت به تلك الاحتفالية، بحيث يلبس الرجال ملابس بهلوانية ويضعون لحى من صوف المعاز ويقومون ليلا بدخول البيوت الطينية للسكان البسطاء، فيقومون بتمثيلات مسرحية عن مختصمين عند القاضي على سبيل المثال، ثم يقومون بطقوس غنائية ويلفون البيت كلّ بالأهازيج، وتعطيهم ربة البيت في الأخير قليلا من اللحم أو التين الجاف أو السميد أو

(1) إدريس قرقوي، النص المسرحي في منطقة سيدي بلعباس-جمع ودراسة-رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000، ص15.

(2) بدأ هذا المهرجان في السنوات الأخيرة يعرف رواجا كبيرا خاصة بعد تظاهرة تلمسان عاصمة الثقافة الإسلامية 2011، وبالخصوص أنه نادر من نوعه في الجزائر ودول المغرب، ولم يبق يحافظ على طابعه الأصلي تقريبا إلا في بني سنوس بتلمسان، وتقول الروايات أنه راجع لانتصار الملك الأمازيغي شيشناق 950ق.م على الفرعون رمسيس الثالث، بأن روض له أربعمائة أسد (=آيراد) وهزمه في معركة يقال أنها جرت مجرياتها في جبل بني عشير بني سنوس، وقد تزامن هذا والسنة الفلاحية الجديدة التي يأمل منها الأمازيغ الخير والبركات من محاصيلهم، هذا وتختلط كثير من الخرافات بالحداثة التاريخية التي لازالت تحتاج صراحة إلى تحقيق ودراسة أكبر.

الشعير أو الحلويات... وهو قريب جدا من تمثيلات بني سنوس إلا أن الدور الرئيسي هنا للشعير وليس للأسد<sup>(1)</sup>، وتتمثل هذه المسرحية في كامل أقطار المغرب تقريبا لكن بطبوع مختلفة.

وتطور المسرح بعد ذلك خاصة في العهد العثماني، أين ظهر مسرح البايات (مسرح الظل) ومسرح القراقوز الوافد من تركيا، فقد انتشر في مختلف أنحاء الجزائر غداة الاحتلال الفرنسي، فكثيرون هم الرحالة الأوروبيون حضروا العروض التمثيلية في عدة أماكن، ويذكر على سبيل المثال الرحالة "بوكلر-موسكو- في يومياته أنه شاهد بمدينة الجزائر عام 1835 عرضا للقراقوز أثار اشمئزازه "حيث يقوم القراقوز العملاق بتفريق شمل مفرزة عسكرية فرنسية جاءت لإيقافه، ويشيع جنودها ضربا بقضيب يمثل إله الخصب"<sup>(2)</sup>، ونظرا لدور هذا النوع في بلورة الوعي الوطني، ونقد الأوضاع السائدة وتقديمها بأسلوب ساخر جذاب، عمدت السلطات الاستعمارية الفرنسية خلال مرحلة الاحتلال إلى منع هذا النوع من التمثيل، والظهور بقرار منعه في المقاهي والنوادي والساحات العامة سنة 1843، لما فيه من التشهير بفرنسا وسياستها<sup>(3)</sup>.

لذلك ومن خلال ما سبق، يمكننا القول بأن ولادة الفن المسرحي في الجزائر لم تكن ولادة اعتباطية استدعتها أهواء بعض المسرحيين، ولكنها كانت نشأة أملت لها حاجات ثقافية وحضارية في إطار انسجام كلي مع تفاعلات الحركة الوطنية الجزائرية<sup>(4)</sup>، ذلك تأسست أول فرقة مسرحية بالجزائر مع مطلع العشرينات بالجزائر خلال سنة 1921، تحت اسم جمعية الآداب والتمثيل العربي، وغالبية من

(1) بصفتي ابن هذه المنطقة فإني عايشته هذه الاحتفالات صغيرا، وكانت هذه التمثيلات تمثل في قرى دار الناصر، وزورانة، والعجانجة وغيرها من قرى جباله، لذلك نسعى في مستقبل الأيام أن نضع مؤلفا عن تاريخ وتراث هذه المنطقة العريقة بإذن الله.

(2) أحسن ثليلاني، المسرح الجزائري والثورة التحريرية (دراسة تاريخية فنية)، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 33. نقلا عن: أحمد منور، مسرح أحمد رضا حوحو: دراسة أدبية تحليلية مقارنة، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 1989، ص 08.

(3) عبد الله ركيبي، تطوير النثر الجزائري الحديث (1930-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983، ص 214.

(4) أحسن ثليلاني، المرجع السابق، ص 35، 36.

أرخوا للمسرح الجزائري خلال هذه الفترة يرجعون النشأة الأولى له، إلى زيارة فرقة التمثيل المصرية "لجورج أبيض" للجزائر<sup>(1)</sup>، والتي هدفت لنشر الفن المسرحي، والدعاية له عبر العالم الإسلامي وتعريف سكان شمال إفريقيا بالمسرح العربي، لكنها ذاقت المرارة عندما كانت الفرقة تمثل في قاعات جمهورها قليل، يتألف من بعض المثقفين الذين يشاهدون ويسمعون باهتمام، ولكنهم غير قادرين على أي تحاوب مشجع، وكل ما يثير انتباههم وفضولهم عري الممثلات، ولقد كان يبدو واضحا أن المسرح لن يستطيع أن يرسخ أقدامه في الشمال الإفريقي، غير أن العروض المسرحية لجورج أبيض وإن لم تثمر فهي لم تكن عديمة الجدوى<sup>(2)</sup>، أما عبد الله ركيبي فيؤرخ لنشأة المسرح الأدبي في الجزائر بصدور مسرحية "حنبل" لأحمد توفيق المدني سنة 1948، ومسرحية "الناشئة المهاجرة" لصالح رمضان سنة 1949<sup>(3)</sup>.

وقد ساهم في انتشار المسرح نشأة وتأسيس مجموعة من الجمعيات والنوادي الأدبية التي تبنت المسرح وفن التمثيل قاعدة نضالية لانطلاقتها، منها جمعية "الآداب والتمثيل العربي" منذ سنة 1921 والتي ذكرناها سابقا، وتأسست أيضا جمعية "التمثيل العربي" سنة 1922 برئاسة محمد المنصالي، والتي يبدو أنها اتخذت طابعا سياسيا اسلاميا حسب الدكتور سعد الله، وقد قدمت هذه الفرقة مسرحيتين هما: "في سبيل الوطن" بتاريخ 29 ديسمبر 1922 و"فتح الأندلس" بتاريخ 25 جوان 1923<sup>(4)</sup>، والمسرحيتين وطنيتان تميظان اللثام عن تاريخ الجزائر والمغرب العربي وبلاد الأندلس، وتستذكران الماضي العربي المجيد<sup>(5)</sup>.

(1) إدريس قرقوي، المرجع السابق، ص 17.

(2) سعد الدين بن أبي شنب، المسرح العربي لمدينة الجزائر، ترجمة: عائشة خمار، مجلة الثقافة، ع 55، يناير-فبراير، 1980،

ص ص 29، 30.

(3) محمد مصايف، النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط 2، الجزائر، 1984، ص 193.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، المصدر السابق، ص 445.

(5) أحسن ثليلاني، المرجع السابق، ص 42.

أما في سنة 1936، فقد تألفت جمعية "إخوان الأدب" في وهران برئاسة محمد السعيد الزاهري، وفي نفس السنة تأسست في سطيف "جمعية السعادة لإحياء فن التمثيل العربي"، وفي قسنطينة تأسست جمعية محبي الفن التي كان كاتبها محمد النجار، وقد وضعت هذه الجمعية جوائز مختلفة لمن يسهم بأحسن رواية عربية للتمثيل (1).

ومن مظاهر النهضة المسرحية الجديدة في الجزائر بروز مجموعة هامة من النصوص المسرحية أغلبها على الركب من طرف فرق مسرحية جزائرية شابة (2)، ويظهر أن النصوص المسرحية التي سبقت على الظهور غلب عليها التوجه الاجتماعي والتاريخي على توجهات المسرح الجزائري (3)، ولعل أبرز المسرحيات التي عبرت عن الحضور التاريخي للجزائر ودورها في الأمة المغاربية والعربية الإسلامية عامة نذكر:

#### • مسرحية "حنبل" لأحمد توفيق المدني:

موضوعها تاريخي سياسي، مثلت عدة مرّات بالمسرح البلدي للجزائر العاصمة وأماكن أخرى، وجهها أحمد المدني للشباب الناهض (4)، ويفتتحها قائلاً: "إلى الشباب المغربي حامل راية الكفاح، في سبيل حرية الأمة، ولشرف الوطن أقدم هذه الرواية التي تحيي له صفحة من جهاد أبطاله الأولين، وفيها عبرة وذكرى" (5)، والمسرحية تتناول شخصية البطل القرطاجي "حنبل" خلال الحرب البونيقية الثانية، وهو الذي كاد أن يقضي على دولة روما عندما نزل بجيشه على سواحل جزيرة أيبيريا، وسار به نحو فرنسا، ومن ثم قطع جبال الألب الثلجية نحو روما بسيوف شجعان قرطاجة، والمسرحية تمجد الوطن

(1) أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، المصدر السابق، ص 119، 120.

(2) عبد المالك مرتاض، نغمة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1983، ص 156.

(3) إدريس قرقوي، المرجع السابق، ص 25.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المصدر السابق، ص 143.

(5) أحمد توفيق المدني، حنبل (رواية تاريخية)، المطبعة العربية بالجزائر، 1950، ص 02.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

وخاصة شمال إفريقيا، وتقدس الكفاح، وتنشد الحرية، فتوفيق المدني في مسرحيته مثل الاستعمار بروما، والجزائري (=المغاربي) الذي ينشد الحرية والانعتاق بشخصية "حنبل"، وقد جاءت تحمل عبارات كثيرة تدل على الثورة والوحدة، ويقول المدني عن المسرحية الروائية: "لقد كان للخيبات المتوالية في ميدان السياسة بالشمال الإفريقي، وكان للنكبة العارمة التي دعت العرب والمسلمين في فلسطين وقع أليم جدا على كل الطبقات الجزائرية المتحمسة...قلت في نفسي لماذا لا أجرب المسرح؟.... هكذا أنشأت رواية حنبل... ويا ليت القارئ الكريم كان حاضر التمثيل المسرحي، ليرى ذلك التأثير الحاد الذي أحدثته الرواية، لا في الجزائر فحسب، بل في كل أقطار المغرب العربي، وقد تناولتها إذاعة لندن العربية ومثلتها بإتقان مرارا، فسمعها العرب في كل أصقاعهم، ثم طبعها بعد ذلك فانتشرت وذاعت ومثلت بالجزائر وتونس أكثر من مائتي مرة"<sup>(1)</sup>.

فمن خلال فصولها، نرى بوضوح أن المدني إنما يحاول دائما إعطاء البعد المغاربي لحنبل ومقاومته، ففي الفصل الثاني من المسرحية يرد حنبل على أحد الوزراء، الذي رأى بأنه يجب المحافظة على الرقعة الصغيرة التي بقيت بعدما فرضت روما على قرطاجنة شروطا أضعفتها، فيرد حنبل مذكرا أن كل الشعوب التي تسكن المغرب الكبير يجمعها النسب والهدف، وهي لن تتفرق وستبقى متحدة فيقول: "لا تنسى أيها الصديق أن هذه الرقعة الضيقة التي هي أصل الوطن، كانت الشجرة المباركة التي تثبت أصلها، وامتدت فروعها يانعة زاهية، فتفياً ظلها كل الشعوب التي ربطت بينها جبال الأطلس رباطا من الدم ووحدة المصلحة، لن تنفصم عراه في يوم من الأيام"، ويضيف حنبل في نفس الحوار حاثا على المواصلة في المقاومة، وعدم الاستسلام لمجرد خسارة معركة فيقول: "إن روح الأمة قوية، وحب الانتقام قد تملك في النفوس، وهذا هو رأس مالنا في الحياة، إن خسارة معركة حربية ليس هو بالأمر العظيم، إنما الخسران الحقيقي، هو انهيار روح المقاومة في الأمة، وخضوعها للظالمين خضوع المسكين"<sup>(2)</sup>.

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص392.

(2) نفسه، ص15.

كما جاء في الفصل الرابع من المسرحية، قول له يحث جنوده على الثبات وقوة العزيمة ويدعو الفينيقيين والأمازيغ للاتحاد ضد الأعداء قائلا: "ارجعوا مسرعين لأرض الوطن واعملوا على مقاومة اليأس والقنوط، وحدوا صفوف الأمة ونظموا المقاومة، فالأعداء لن يتركوكم تستريحون، وأنت يا زعيم الأمازيغ الاحرار كن يدا واحدة مع بني كنعان، كونوا إخوانا في السراء والضراء... أنتم بنو سلالة واحدة، تسكنون وطننا واحدا، فكونوا يدا على من سواكم. إن طغيان روما سيمضي، وسيمضي بعده كل طغيان ولا حياة إلا للأمم الشاعرة بوجودها المجاهدة في سبيل حريتها والمحافظة على كيانها ووحدها"<sup>(1)</sup>، ومن خلال هذه الفقرة كأنما يحاول المدني رأب الصدع الحاصل في الحركة الوطنية، خاصة الأزمة البربرية التي عرفت تداعيات خطيرة كادت ان تعصف بالنضال ككل، ففرنسا منذ دخلت الجزائر وهي تحاول أن تخلق الفرقة بين البربر والعرب لقضاء مآربها، لذلك كان هذا النص وحدويا بامتياز، ليس على المستوى الجزائري فقط بل على المستوى المغاربي، وحتى العربي لمقاومة الاحتلال.

ومع تتبع أطوار المسرحية، نصل إلى قول الملكة الإغريقية هيلانة مخاطبة من حولها: "لتعلم الأمة ويسجل التاريخ، أنه لا عظمة، ولا مجد، ولا خلود، إلا من عاش مجاهدا في سبيل الحرية، ومات شهيدا من أجل الوطن"<sup>(2)</sup>.

فأحمد توفيق المدني ظل دائما يدافع عن أمته بقلمه وإبداعه، الذي تعدد تنوع في آداب وفنون شتى، كما أن البعد المغاربي والقومي لم يفارقه قط، فاعتمد تخليد الماضي لاستشراف المستقبل، وتحفيز شعوب المغرب على الاتحاد.

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج2، المصدر السابق، ص43.

(2) عبد الله ركيبي، المرجع السابق، ص222.

• مسرحية "يوغرطة" لعبد الرحمن ماضي<sup>(1)</sup>:

ألفها عام 1952، وحاول فيها ماضي اعتماد الأحداث الماضية، ومحاولة مطابقتها لحاضر الشعب الجزائري للاحتلال الفرنسي، وما الصراع الذي نسج خيوطه المؤلف وحاول إبرازه في صراع يوغرطة مع الروم، إلا ذلك الصراع الذي يعيشه الشعب الجزائري والمغاربي عموماً ضد فرنسا، ولعل اللجوء إلى الرمزية من المؤلف وغيره من الكتاب والأدباء، ميلاد لجأ إليه الكتاب تخلصاً من بطش فرنسا، وماضي قد عاد في المسرحية إلى العهد النوميدي، وأراد إسقاط الماضي على الحاضر، فيوغرطة عرف تاريخياً بمحاربة الرومان في الشمال الإفريقي<sup>(2)</sup>، لذلك تعتبر هذه المسرحية كدعوى لنهوض كامل المغاربة وليس الجزائريين فقط، والاتحاد ومقاومة فرنسا حفيذة الروم.

فتوظيف التاريخ في المسرح حسب ركيبي ينشأ عندما تشتد الصراعات بين القوميات المتعددة، أو بين المستعمر و المستعمّر، فالشعوب تبحث بذلك عن جذورها وانتماءاتها لبث الشعور القومي في أبنائها<sup>(3)</sup>، لذلك تعد مسرحية "يوغرطة" مثل هذا النوع، شأنها شأن مسرحية "حنبل" التي تحدثنا عنها، فقد رسخ ماضي من خلالها ما سعى إليه قبله أحمد توفيق المدني، وأحمد رضا حوحو في اعتماد التاريخ القديم كمادة علمية واللغة العربية كأداة حوار، وهو ما أتاح لتلك النصوص فرصة طبعها، وقراءتها، وتمثيلها، وفهمها في الجزائر، وكامل الأقطار العربية<sup>(4)</sup>، وقد ظهرت الرمزية المغاربية والإفريقية في المسرحية أيضاً، عندما وظف صاحب النص شخصية "زبيدة" زوجة يوغرطة التي فضلت

(1) ولد سنة 1925 بالعلمة بولاية سطيف، وقد اشتغل عبد الرحمن ماضي كناشر في الشركة الوطنية للنشر والتوزيع خلال سنوات الستينيات، وأسس فيما بعد مجلة "مقيدش" التي تعد من بين أولى المجلات المختصة في الشريط المرسوم في الجزائر، وقد توقفت عن الصدور في 1978، توفي في 23 مارس 2013، بعد أن خلف وراءه تراثاً كبيراً يحتاج لدراسة.

(2) أحسن ثليلاني، المرجع السابق، ص 68.

(3) عبد الله ركيبي، تطورا النثر، المرجع السابق، ص 219.

(4) إسماعيل بن صافية، فنائع التاريخ وقضايا الثورة في مسرحية يوغرطة لعبد الرحمن ماضي، مجلة الأثر، جامعة ورقلة

ع 13، مارس 2012، ص 247.

الانتحار من أجل القضية الإفريقية، وحتى لما كان يوغرطة يتخيل في أن امرأة تستغيث وتناديه عقب توقيعه معاهدة الاستسلام، كان الرمز في تلك المرأة هي افريقيا التي تنادي<sup>(1)</sup>، ولكن دفاع يوغرطة عن افريقيا قد اعترف به العدو قبل الصديق، وهو ما ظهر جليا في خطاب الكهل مع الشيخ، ففي التمهيد للدخول في اللوحة الثانية جاء مايلي:

الكهل: نحن لا نملك في هذه الساعة إلى قطعة أرض صغيرة من الأراضي الإفريقية، إلا أن هذا كاف أكثر مما يلزم.

الشيخ: ويوغرطة؟

الكهل: يوغرطة؟ هو قطب الرحي، إنه حاذق جدّا، وله نفوذ عظيم على الأهالي وأراه لا ينوي عض الطرف عن توسعنا في افريقيا (يهز كتفيه) وليفعل ما يشاء... افريقيا جديرة بأن يضحي في سبيلها بجيش أو جيشين<sup>(2)</sup>.

### • مسرحية "عباقره العرب" لمحمد بن عابد الجيلالي:

موضوعها تاريخي وسياسي، ونصها حسب سعد الله هو هداية العرب للشعوب الأخرى للإسلام بدون تمييز لأحد ولا تقديم قبيلة على أخرى، وقد مثلت على مسرح كلية الشعب بقسنطينة، وقد مثلها سبعة تلاميذ من البنين والبنات، وقدمت رسالة سياسة جد واضحة تدعو للاتحاد عندما انتهت بمصافحة الجميع لبعضهم البعض<sup>(3)</sup>، والمسرحية كانت مسرحية تحفيزية للنهوض وتحقيق النهضة للرجوع إلى أيام عز الأمة العربية الإسلامية عبر عصورها المشرقة.

(1) محمد مصابيف، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص189.

(2) يطغان جمال، الشخصية التاريخية في المسرح الجزائري، مسرحية يوغرطة أنموذجا، مذكرة ماجستير، قسم الفنون الدرامية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2012، ص87. نقلا عن: عبد الرحمن ماضي، يوغرطة، ص15.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المصدر السابق، ص141.

● مسرحية "بلال بن رباح" لمحمد العيد آل خليفة:

هي مسرحية تاريخية شعرية فصيحة، موضوعها الصبر على المكاره والعذاب في سبيل دين الإسلام، وقد وظف العيد رمزيتها كوسيلة لمقاومة الاستعمار والصبر على المحن والشدائد، وقد مثلت أول مرة في قسنطينة بتاريخ 4 يناير 1934<sup>(1)</sup>، كما أنه في نظرنا لم يكن اختار شخصية بلال بن رباح اعتباطيا من طرف الكاتب، بل لتبيان دور الإسلام في نبد العنصرية والعرقية، لذلك وُجد الكثير من غير العرب ممن دافعوا وحاربوا من أجل الدين واستماتوا في سبيل إعلاء رايته.

● مسرحية "كاهنة الأوراس" للشيخ البشير الابراهيمي:

لا نعلم معلومات كثيرة عنها، ولكن حسب الدكتور سعد الله فإن الشيخ الابراهيمي كتبها بأسلوب مبتكر يجمع بين الحقيقة والخيال<sup>(2)</sup>، كما أن موضوع الكاهنة الذي اختاره الابراهيمي يدل على ضرورة توظيف التاريخ وأبطاله لشخذ النفوس والهمم، كالكاهنة "ديهيا" التي وحدث صفوف البربر جميعا، فالبرغم من أنها تصدت للفاتحين المسلمين في الأول، إلا أن الابراهيمي سعى من خلال هذه المسرحية لاطلاع الجزائريين والمغاربيين على تاريخهم الوحدوي.

كما قدم أحمد رضا حوحو مسرحيا تاريخية مثل مسرحية "عنيسة" و"ابن الرشيد"<sup>(3)</sup>، بالإضافة إلى بعض الهواة الذين كانوا يقدمون مسرحيات مختلفة، على غرار مسرحية "المصلح" لأحمد فارس، والتي قدمت لفائدة رابطة المسلمين لإفريقيا الشمالية، ولكن المشكل كان يكمن في استعمال اللغة العربية

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المصدر السابق، ص141.

(2) نفسه، ص143.

(3) محمود الريداوي، المجهول من أدب حوحو المسرحي-تعريف وتحليل-مجلة الثقافة، ع17، أكتوبر-نوفمبر، 1973، ص71.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

الفصحى، فالجمهور كان من الصعب عليه فهمها، إما لعدم فهمها أصلا، أو لأن أذنه لم تعود على سماعها (1).

وبعض النظر عن النصوص ومحتوياتها، فإن المتأمل في أسامي الفرق المسرحية يجد مصطلح "عربي" كثيرا، وهو تقليد للفرق العربية التي كانت موجودة أولا، ثم أن غالبية المواضيع كانت تحن إلى الخلافة، وأرض المشرق أرض النبوة والدولة الإسلامية، كمسرحية "هارون الرشيد" مثلا هذا ثانيا، بالإضافة إلى أن غالبية هذه المسرحيات اتخذت اللغة العربية أو حتى الدارجة لسانا، وذلك لشدة تأثير الكتاب والممثلين باللغة وقوة تعابيرها هذا ثالثا، ورابعا نجد الحضور المغاربي في أكثر من مناسبة، سواء قبل الفتح الإسلامية أو بعدها في فترات ازدهار الحضارة بالأندلس، وهذا دليل على أن المسرح الجزائري استثمر كثيرا في التاريخ والتراث الشعبي، واتخذ منهما مادة خصبة للاشتغال المعرفي، فالمسرحي عموما يهتم بالتاريخ والتراث ويقوم بتوظيفه في إبداعه لأسباب منها:

- الفخر بمآثر العرب وتاريخهم تعويضا عن ضعف الأمة في حاضرها بسبب طغيان الاستعمار عليها، فيكون استلهاام المواقف القومية بهدف الفخر والاعتزاز وإثارة الحمية والأنفة في النفوس.
- الوقوف أمام المستعمر فيكون توظيف التراث بهدف التمسك بالشخصية الوطنية في مقابل سعي الاستعمار لطمسها.
- التمسك بالهوية القومية العربية، وخاصة في فترات الهزات الكبرى التي تضعف كيان الأمة فيخيم عليها الإحساس بالإحباط والضياع فيكون التراث معوضا عن لشعور ودافعا لعودة الثقة بالنفس.
- محاولات التأسيس للمسرح العربي وذلك بالسعي إلى استلهاام الأشكال والمضامين التراثية لمواجهة سلطة الثقافة الغربية (2).

(1) سعد الدين بن أبي شنب، المصدر السابق، ص31.

(2) أحسن ثليلاني، المرجع السابق، ص66. نقلا عن: إسماعيل سيد علي، أثر التراث في المسرح المعاصر، ص ص 40-42.

### 3-2- فنون الزخرفة، والرسم، والصورة، ورمزية الوحدة فيها:

تلعب الرسومات، واللوحات الفنية والصور، دورا كبيرا في إيصال المعلومة، وفي التأثير النفسي على قلوب البشر، خاصة إذا أحسن استعمال الزوايا الجميلة فيها، واختيار اللقطات الخاطفة للقلوب والأبصار، وقد استعمل الجزائريون هذه الوسائل الفنية في تداولهم للمعلومات، ومن ثمّ مقاومتهم للاستعمار الفرنسي بالوسائل العصرية، فبرع عديد المثقفين والمبدعين ممن اهتموا بالجوانب الفنية هذه، ورأوا فيها أساليب نافعة لإيصال الأفكار من جهة، والحفاظ على الهوية الوطنية الإسلامية من جهة أخرى، وبالرغم من أن عدد المهتمين كان قليلا بالصورة واللوحة الفنية إلا أن أثرها كان عميقا، وقد تبين ذلك بمرور الزمن، لذلك عندما اندلعت الثورة فإن كلّ هذه الأشياء قد سخرت من أجل التعبئة والتعريف بالقضية الجزائرية لكلّ العالم.

وربما قد برزت بشكل كبير هذه الفنون في فترة الحركة الوطنية لأنها استفادت من الاستقرار والهدوء السياسي والعسكري، فاستطاعت أن تحتفظ لنا بكم هائل من المعلومات شأنها شأن الأدب الشعبي مثلا، والتي لولاها لضاع جزء كبير من الذاكرة الجماعية التي تلعب الدور الأكبر في حفظ التاريخ.

فهؤلاء الفنانون الذين انتمى كثيرون منهم إلى تيارات الحركة الوطنية، كانوا مناضلين بالأقلام، ومناضلين بالفن، وسعوا لترك بصماتهم في كلّ الميادين، وتناولوا عدة مواضيع من خلال تلك الإبداعات، فكان الوحدة كان من أبرز تلك الموضوعات، ولو أنه كان مخفيا بين زوايا تلك الأعمال، ويحتاج لفنانين من نفس طينة أولئك المبدعين لسبر أغواره، وفيما يلي سنتعرض بالدراسة لبعض تلك الانتاجات التي تضمنت الزخرفة، والرسم، والنقش، والصورة... الخ<sup>(1)</sup>.

(1) للمزيد من التعاريف حول هذه الفنون راجع: بشير خلف، الفنون لغة الوجدان، دراسة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص ص 125-174.

تأثر الجيل الأول من الفنانين الجزائريين بالمدرسة الاستعمارية أو وقعوا في فخها، وهي مدرسة "دينييه إتيان" وبعض المستشرقين الفرنسيين الآخرين، التي سادت إلى غاية الحرب العالمية الثانية، كما تأثروا أيضا بالمدارس العالمية، ورأى البعض عكس ذلك، فاعتبروا أن النتاجات الجزائرية الأولى كانت ذات طابع وطني محلي شعبي، وقد صُنِّف في هذه الحانة كل من بوكرش، وحميش، ومعمري... الخ<sup>(1)</sup>.

أما الجيل الثاني من الرسامين خاصة ممن ظهوروا بعد الحرب العالمية الثانية، فقد تأثروا بالفكر الإصلاحية، وبقية التيارات والمرجعيات الفكرية الوطنية الأخرى، كما تأثروا أيضا بالحركة القومية العربية التي ظهرت في المشرق وتسربت إلى الجزائر، كما لعبت طموحات الشعوب للتحرر والاستقلال أيضا دورا في بلورة التوجه الجديد للرسامين، وقد اتخذت هذه المدرسة حسب أبو القاسم سعد الله من العودة للأصول كشعار لها، واهتمت بالموروث الوطني، فازدهر فن التصوير الإسلامي، والتجريدي، وظهر فن الزخرفة العربية (الأرابسك) والتصوير العربي، وكل هذا تزامن أيضا مع حركة استقلال الأقطار العربية، ونجد من هذا التيار: محمد راسم، وتمام، وغانم، وحميمونة ثم تلاميذهم مثل: صحراوي، وعجواب، وبلكحلة، وكربوش، ثم بعدهم قرماز، وخدة، وابن عنتر وزروقي وزدومي وقريشي وشاير وابن بلة<sup>(2)</sup>.

### 3-2-1- الرسم والزخرفة الإسلامية عند الأخوان "راسم" ورمزية الوحدة في أعمالهما:

لا زالت شخصيتا عمر راسم، وأخيه محمد راسم، تحتاج لدراسات مدققة ومعقدة، وهما اللذان كانا لهما عدة إنتاجات فنية تدعو في باطنها إلى الوحدة، وتحن لأيام العز العربي الإسلامي، كما تدعو للتشبث بالخلافة الإسلامية، التي كانت توحد جميع الأمم الإسلامية، فعالية الدراسات التي كانت تتناول الفنانين والمبدعين إنما تركز على الفنون كفنون جمالية لا غير، ولكن وجب علينا أن نقف وقفة

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، المصدر السابق، ص437.

(2) نفسه، ص438.

تأمل وتمحص في الأبعاد الرمزية لتلك الأعمال، والتي كانت ترى في التاريخ والتراث ضرورة لإعادة بناء الأمة.

ولعلنا نبدأ بشخص عمر راسم الذي كنا قد تطرقنا إلى أعماله الصحفية النضالية في الفصل التمهيدي، فقد كلفته أعماله وكتابات السجن في الحرب العالمية الأولى، ولعل النكبات والمآسي التي تعرض لها عمر راسم في تلك الفترة، قد جعلته يعتزل الحياة السياسية خاصة بعد تعرضه للسجن، ولكن ما يجدر بنا الإشارة إليه، هو أن أعماله الفنية لم تخل قط من رسائل مشفرة، ورموز تمجد الاسلام والمسلمين والعروبة، وتدعو لتآلفهم، وتآزرهم، ووحدتهم.

فحسب وثيقة بخط "مصطفى الدباغ"، فإن عدد المتخرجين على عمر راسم بلغ تسعة وأربعين فنانا، أعدهم للتعريف والمحافظة على الفن الإسلامي، فقد نظم معهم عدة معارض بالجزائر وفرنسا وهذا ما يؤكد لنا عالمية فن عمر راسم وقيمة أعماله التي تنوعت بين زخارف، وخطوط، وشواهد قبور، وأختام لعدة حكام للجزائر، كما زخرف كتباً، ومجلات، وجرائد، وصنع لافتات الشوارع للمدن والأزقة<sup>(1)</sup>، فليس من الغريب إذن أن يبدع بفنه، ويوصل به رسائله التي لطالما ما دافع عنها عندما كان في ريعان الشباب.

ف نجد راسم يدافع عن فن التصوير بشدة قائلاً: "التصوير حينئذ يحل رموز العلم بكيفية محسوسة وهكذا كاد أن يكون فرضاً على المؤمنين"، وينصّب في إحدى مقالاته التي عنوانها ب "التصوير والعلم" في مجلة هنا الجزائر التصوير على أنه: "دولة مستقلة لكن لا حدود لها، ملكها الذكاء، وحارسها الشعور... صورة واحدة تسحر الأبواب، وتفتح البصائر، وتكون قدوة للرجال في جليل الأعمال"<sup>(2)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج8، ص371.

(2) لخضر درياس، عمر راسم وأعماله الفنية، أعمال الملتقى الدولي: عمر راسم: المرجع السابق، ص368.

فالصورة الفنية لديه ذات حدين، فهي توظيفها لهذا الفن كوسيلة اصلاحية لمجموع القيم الاجتماعية والثقافية البالية في المجتمع الجزائري من جانب، ووسيلة للكفاح ضد الاستعمار الفرنسي من جانب آخر، فكان المشكل الجزائري بالنسبة له مشكلا جزئيا متفرعا من معضلة كبيرة، قد أملت بالعالم العربي والاسلامي<sup>(1)</sup>.

فمن خلال أعمال عمر راسم المستوحاة يمكن استنباط تلك الدوافع التي لطالما قادته للقيام برحلات إلى بعض الدول العربية والاسلامية كمصر، والمغرب الاقصى، وتونس، وطبيعة الاتصالات التي كانت بينه وبين عدة شخصيات عربية أمثال: طلعت الرفاعي، ومحمد فريد وغيرهما، والتي كانت من بين أسباب سجنه يوم 13 أوت 1915، بالاضافة الى الرسالة التي عثرت عليها المخابرات البريطانية والتي وجهها عمر راسم الى جريدة الشعب المصرية، داعيا المسلمين الى الوحدة والالتفاف حول الخلافة.

ومن أعماله الفنية التي تضمنت أبعادا وحدوية نجد:

● زخرفة غلاف كتاب لأحمد توفيق المدني وهو "كتاب الجزائر": وكتب عنوانه بالخط الكوفي

المركب، وتحت العنوان كتب بخط الثلث: تاريخ الجزائر إلى يومنا هذا وجغرافيتها الطبيعية والسياسية وعناصر سكانها ومدنها وأنظمتها وقوانينها ومجالها وحالتها الاقتصادية والاجتماعية، تأليف أحمد توفيق المدني. الإسلام ديننا، الجزائر وطننا، العربية لغتنا<sup>(2)</sup>، و يقول الدكتور شرقي عن الزخرفة: "... زخرفة هذا الكتاب منفذة بخط كوفي جميل ضمن نظرة بانورامية ساحرة حول مدينة الجزائر، كما تبدو من صورة الجامع الجديد بمئذنته المتميزة مصحوبة بإطلالة تاريخية سريعة حول أيام مجدها وعزها في الماضي القريب، كما يستشف بوضوح من صورة ساحل العاصمة، حيث سفن الأسطول تذوذ عن حرمة الجزائر، وخفقان

(1) شرقي الرزقي، الصورة الفنية عند عمر راسم من الرمزية الواقعية إلى التجريد المطلق (تأملات واستنباطات حول بعض

ابداعاته الخاصة)، الملتقى الدولي: عمر راسم، مرجع سابق، صص 311-314

(2) لخضر درياس، المرجع السابق، ص 376.

راية المجد والعز بشموخ وكبرياء على سارية إحدى تلك السفن التي كان يعلوها رمز الخلافة العثمانية، وبداخلها عبارة "حب الوطن من الإيمان"، وتحاول نهاية الراية ملامسة عبارة الجزائر وطننا وبذلك تكون اللوحة ذات رمزية شاعرية عميقة حول رسالة وطنية خالدة (1).

- غلاف كتاب تاريخ افريقية الشمالية، أو قرطاجنة في أربعة عصور 1927(2).
- غلاف كتاب لكاتب عبد الرحمن بلحفاف بعنوان: "مدخل الدراسات في الإسلام" موقع من طرف عمر راسم باللغتين العربية والفرنسية بتاريخ 1926(3).
- غلاف مجلة السلام.
- غلاف مجلة ذو الفقار (4)، عدد: 1، 2، 3، 4 موقعة باسم المنصور الصنهاجي، وإسم الجريدة هو إسم لسيف الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، فترى راسم في الصفحة الأولى من العدد الأول يرسم رجلا مصر الهيئة والزي لعله يشير إلى (محمد عبده) حسب رأي الدكتور ابراهيم مياسي، وهو يحمل سيفاً... وكتب تحت هذا الرسم "ذو الفقار... بعثت لأقتل النفاق والحسد والكبر والشرك من قلوبهم... وأبث فيهم الصدق والتسامح والتواضع والإيمان الخالص وحب الخير لبعضهم والتعاون والاتحاد(5).
- غلاف مجلة سلام افريقيا، موقعة في الأسفل إلى اليسار باللغة الأجنبية.
- غلاف جريدة الحق الوهراني لسنة 1913، حيث كان عمر يعمل بها مراسلا، ثم كاتباً ثم خطاطاً، ويكتب العناوين الداخلية للجريدة بخط الثلث، وبقية الكتابة بالخط المغربي.
- غلاف مجلة الشهاب لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(1) شرقي الرزقي، المرجع السابق، ص322. أيضا: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8، ص 430.

(2) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، مرجع سابق، ص420.

(3) درياس، المرجع السابق، ص376.

(4) أنظر الملحق رقم10.

(5) ابراهيم مياسي، عمر راسم والصحافة، الملتقى الدولي: عمر راسم، مرجع سابق، ص209

● مجلة هنا الجزائر: إشهارية خط فيها راسم اسم المجلة بالخط الكوفي وعناوين مختلفة بالخط المغربي.

ولعل الرجوع إلى حياة راسم ومختلف المحطات التي مرّ بها والظروف التي كانت سائدة، من شأنها مساعدتنا في فك تلك الرموز، والرسائل، والدعوات التي كان يقوم بها من أجل قيام وحدة حقيقة بين المسلمين، فعمر راسم نشأ في بيئة عائلية محافظة وفنية، كما نشط بعد فترة تميزت بنوع من الانفراج والتفتح السياسي والثقافي في عهد الحاكم العام جونار، والذي رغم تناقض سياساته الصارخ إلا أنه قد شجع إعادة نسخ التأليف وطبع الكتب، وأنشأ جامعة الجزائر المركزية سنة 1909.. الخ، ثم أن هذه الفترة تسمى لدى العديد بعصر النهضة، لبروز عديد الصحف والمجلات والعلماء والشخصيات المتأثرة بمحمد عبده وفكره الاصلاحى، هذا إضافة الى ظروف الحرب العالمية التي جعلت الجزائريين واقفين موقف حيرة بين مساندة الدولة العثمانية أو حتى التعاطف معها، أو الوقوف لجانب فرنسا التي جندت أبنائهم اجباريا، فكلها ظروف ساهمت في تحريك الأحاسيس والمشاعر نحو وحدة شاملة، وتعاون بين الاطراف العربية والإسلامية، لإخراج الاستعمار الذي بنى وجوده على سياسة "فرق تسد".

هكذا كان يرى عمر راسم يرى العالم الاسلامي، ولكن من جهة أخرى لا نجده يخفي شعوره بالانتماء الى المغرب الكبير، خاصة وأنه كان مشارك في اتحاد فناني شمال افريقيا<sup>(1)</sup>، فهو يوقع مقالاته بالصنهاجي منتسبا إلى قبيلة صنهاجة التاريخية، وبالضبط من حاضرة بجاية مع العلم أن كثيرين اختلفوا في نسبه فمنهم من أرجعه إلى نسب تركي، وكان دليلهم في ذلك هو تأثره بأسلوب المدرسة العثمانية في الخط<sup>(2)</sup>، بينما يرى الأستاذ لخضر درياس أنه من أصل أمازيغي حمادي جزائري ويفند

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، المصدر السابق، ص405.

(2) محمد الصادق عبد اللطيف، ايقاع الحرف العربي في اللوحة الخطية عند عمر راسم، الملتقى الدولي، مرجع سابق، ص384.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

رأى الدكتور محمد ناصر<sup>(1)</sup>، الذي أرجعه لأصول تركية نظرا لقبه "راسم"، والذي رأى فيه درياس أنه لقب مهني لا غير، ويطلق في أي بلد اسلامي على شاكلة: صفار، خزاف...<sup>(2)</sup>،

ومهما يكن نسب عمر راسم وظروف تكوينه، فإنه عبر بحق عن أجماد الحضارة العربية والاسلامية والمغاربية في أكثر من مناسبة، وفي رأينا نحن أنه قد تأثر بالبيئة العثمانية أيضا لأنه نشأ في الجزائر العاصمة ذات الطابع التركي العثماني في تلك الفترة، ولأنه آخر حكم قبل الاستعمار، و بحكم دوامه طويلا، وجمالية المنشآت الأثرية والفنية التي تركها العثمانيون من قصور، ودور ومباني خاصة في جزائر بني مزغناي عاصمة الحكم، ولكن هذا لا ينفي تأثره بالحضارة البربرية والعربية أيضا، وذلك من خلال ما خطه من مخطوطات بالعربية البربرية<sup>(3)</sup>.

كما نجد من بين اللذين عرفوا أيضا في فن الرسم "محمد راسم"<sup>(4)</sup>، أخ المناضل "عمر راسم"، فعند صدور "كاتلوغ" بلوحات الفنانين والنحاتين الجزائريين سنة 1936، كان فيه أربع لوحات لمحمد راسم اقتنتها مصلحة الفنون الجميلة ومنها: صفحة من القرآن الكريم، والخليفة مع جنوده، وأسطول بربروس، والصيد<sup>(5)</sup>، كما أمدّ محمد راسم الكاتب ايتيان دينيه برسومات ولوحات دعمّ بها كتابه "حياة محمد"، وزخرف عدة كتب أخرى، تتعلق ببلاد الإسلام والمسلمين للناشر(بيازا)<sup>(6)</sup>، كما أن محمد راسم زار بلاد الأندلس(=اسبانيا)، واستفاد كثيرا من تلك التجربة، بأن اضطلع كثيرا على حضارة المسلمين هناك، وعرض لوحاته في عدة دول أوروبية بعدها، وعندما عاد إلى الجزائر نال الجائزة الفنية الكبرى،

(1) للدكتور محمد ناصر دراسة قيمة حول شخصية عمر راسم بعنوان "عمر راسم المصلح الثائر"، منشورات وزارة الثقافة

والسياحة، الجزائر، 1985

(2) لخضر درياس، المرجع السابق، ص365.

(3) نفسه، ص375.

(4) ولد محمد راسم في 24 جوان 1896 وتوفي عام 1975.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج10، المصدر السابق، ص397. أنظر الملحق رقم11.

(6) نفسه، ص399.

وعين أستاذا في معهد الفنون الجميلة حيث بقي إلى غاية سنة 1955، يعلم الشباب أصول الفن الإسلامي الأصيل، لذلك اشتهر اسم محمد راسم كثيرا في دول العالم، ووصل إلى أن انتخب عضوا شرفيا في الجمعية الملكية الإنجليزية للتصوير عام 1950<sup>(1)</sup>.

ولعل كل هذا، إنما يدل على ثقافة محمد راسم الواسعة في الحضارة العربية الإسلامية، بتراثها المادي واللامادي، فاستلهم منها عديد الأشياء لإيصال بعض الرسائل المشفرة، التي لم يكن يعتبرها الغالبية آنذاك سوى مجرد لوحات ورسومات لا أكثر ولا أقل، وحتى إن كان موظفا عند الدولة الفرنسية وقتها، لكن هذا لم يكن ليمنعه أبدا من التشبث بأصوله ومبادئه الجزائرية الإسلامية، ولعل قلة الاهتمام في تلك الفترة بالفنون والفنانين، لم تكن لتعطينا فكرة واضحة عما كان يخلق صدور أصحابها، ولكن الدراسات التي ظهرت بعدها أكدت على أن الفنان إنما يريد إيصال ما يريد من خلال فنه، ومحمد راسم أراد أن يثبت للجزائريين وفرنسا وأوروبا عامة، أن للمسلمين دور في بناء الحضارة العالمية، وأن الشعوب التي توصف بالهمجية والبربرية، كانت بالأمس القريب في قمة العظمة والقوة وعنه يقول سعد الله: " يبدو أن محمد راسم كان محافظا في ثقافته، لأننا وجدنا له اطلاعا واسعا على التاريخ، والآثار، والحياة الاجتماعية لبلاده كما تظهرها لوحاته، ذلك أن موضوعاته جزائرية إسلامية عربية ترجع إلى أعماق التاريخ..."<sup>(2)</sup>.

### 3-2-2- الصورة الفوتوغرافية ودورها في ترسيخ أفكار التعاون والوحدة:

إن التصوير الفوتوغرافي يمتاز بقدرة كبيرة على الإثارة و التشويق واستقطاب المتلقي ، كونه يجمع مكونات عديدة مثل اللون، والكتلة، والخطوط، والأجسام ، والإضاءة و الظل وما إلى ذلك ، وهو بالإضافة إلى ذلك يتطور مع تطور الأحداث، و التقنيات أو التكنولوجيا ، فالتصوير له تاريخ طويل يبدأ مع العالم العربي ابن هيثم، ويتطور إلى أن يظهر بشكله العملي أو التقليدي، عندما حضر العالم

(1) نفسه، ص400.

(2) أبو القاسم سعد الله، المصدر السابق، ص403.

الألماني شولتز نترات الفضة و وجد تغيراً طراً على هذه النترات التي سقط عليها الضوء ، حيث تطور هذا الاختراع أو الابتكار وبصورة مستمرة الى يومنا هذا حتى دخل عصرًا جديدًا يتعامل بالتقنيات الرقمية ، فقد دخلت في عصرنا تقنية الديويتال في التصوير ، و استطاعت هذه التقنيات أن تحقق من القدرات العظيمة من خلال اختصار الوقت و التكلفة و الجهد ، وأيضاً للتصوير قدرة عظيمة في رصد وتوثيق العديد من الوثائق المهمة<sup>(1)</sup>.

لذلك لعبت الصورة الفوتوغرافية دوراً كبيراً في عملية التعبئة والتوثيق، من طرف جرائد وصحف الحركة الوطنية بكل تياراتها خلال مرحلة مقاومتها للاستعمار، لذلك عادة ما استعانت بمصورين تابعين للجريدة أو مستقلين لتغطية النشاطات والتجمعات والمحاضرات، ولقاءات الزعماء، وفي هذا الشق لعبت الصورة الفوتوغرافية دوراً كبيراً في التعرف على صور الشخصيات والقادة المغاربيين والعرب، فغالبية الجماهير كانت لا تعرف الشخصيات الوطنية إلا من خلال الصور التي تنشر على الجرائد أو تعلق أيام الانتخابات، أو في الأفنان الكبيرة في المسيرات والاضرابات، فالصورة عوضت آنذاك السينما والمذيع ووسائل كانت مفقودة بالنسب للشعب الجزائري.

وفي هذا المجال فإن الحركة الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء وكما يبدو من خلال جرائدها الأولى كالمنتقد والشهاب والبصائر الأولى فإنها تبدو متحفظة نوعاً ما عن إيراد صور فوتوغرافية، ونعتقد أن ذلك كان بسبب امكانياتها المالية المحدودة<sup>(2)</sup>، واقتصرت على بعض اللوحات الاشهارية التي يعرضها أطباء الأسنان، أو أصحاب السيارات، لكن مع منتصف الثلاثينات بدأت الشهاب تنشر بعض الصور الزعماء والقادة على الصفحات الأولى من افتتاحيات مجلداتها وأعدادها، ونجد من بين هؤلاء

(1) التصوير الفوتوغرافي وأهميته في التوثيق، جريدة الجماهير، ع14438، الأحد 20-12-2015. الموقع الإلكتروني:

<http://jamahir.alwehda.gov.sy/node/3971601>

(2) لا نرجح فكرة أن سبب ذلك هو تحريم بعض الدعاة للصور بداعي أن الأرواح تسكن فيها، فالشيخ ابن باديس والابراهيمي والعقبي وغيرهم لديهم صور تذكارية كثيرة بنادي الترقى وتجمعات جمعية العلماء، لكن ربما لم تنشر فقط.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

شخصيات عربية ومغاربية كالشيخ محمد عبده<sup>(1)</sup>، ومحمد رشيد رضا<sup>(2)</sup>، وشكيب أرسلان وعبد العزيز النعالبي، وأحمد الصافي<sup>(3)</sup> وغيرهم، أما جريدة البصائر الثانية، فإنها اعتمدت على الصورة كثيرا، خاصة في ظل تطور الأمور في الخمسينات، حيث أصبحت الصورة دليلا واضحا على ما كان يقوم به البشير الابراهيمي مثلا، من زيارات وتبادل للدول العربية والإسلامية.

وركز التيار الاستقلالي ممثلا في النجم ثم حزب الشعب الجزائري أكثر على الشخصيات المغاربية حينما كان يدعو لوحدة الشمال الإفريقي، فجريدته الأمة كانت دائما تعرض صورا للقادة والزعماء والتجمعات التي يقوم بها الوطنيون المغاربيون، وكثيرا ما نشرت صور لبورقيبة، وصالح بن يوسف<sup>(4)</sup>، وعلال الفاسي وغيرهم، كما نشرت جريدة المنار أيضا عدة صور لقادة مغاربيين وعرب عرفوا بتوجهاتهم الوحديوية، خاصة لما كانت تولي عناية كبيرة للوحدة على الصعيد المغاربي والعربي الإسلامي، وقد تتبعت الشرطة الفرنسية بائعي الصور كثيرا لأنها كانت تعلم مدى خطورتها في نشر الوعي، فمثلا في تقرير لاجتماع عقده الممثلون المدنيون والعسكريون الفرنسيون بسوق أهراس، جاء فيه أن الشرطة منعت وألقت القبض على أربعة أشخاص جاءوا من قلمة، وقسنطينة و تونس لبيعوا جريدة صوت الشعب التي كانت تحوي صورة مصالي الحاج<sup>(5)</sup>.

(1) نشرت الشهاب صورته مرسومة بمناسبة الاحتفال الذي أقيم في بمصر بمناسبة ذكرى وفاته الثلاثين، والصورة المنشورة في

الشهاب أيام عندما زار الجزائر سنة 1903. انظر: الشهاب، س11، ج6، م11، سبتمبر 1935، ص 381.

(2) الشهاب، س11، ج7، م11، أكتوبر 1935، ص 449.

(3) نشرت الشهاب صورته، وكتب أحمد توفيق المدني مقالا مطولا ينعي فيه الأمة التونسية والإسلامية فيه وقال عنه: "...يجب

لأخيه ما يجب لنفسه، ويعطف على كل مسلم أينما كان، ويهتم لكل قضية إسلامية..." انظر: الشهاب، س11، ج6، م11،

سبتمبر 1935، ص ص 383-409.

(4) الأمة، ع22 أبريل 1938. انظر الملحق رقم 12.

(5) CAOM. A46, 25h32, dossier n°12, extrait du procès-verbal n°380/s de réunion entre autorités civiles et militaires. Souk-Ahras, le 22 décembre 1937.

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

هذا وتعددت الصور الفوتوغرافية وانتشرت ليس فقط في الجرائد والصحف الجزائرية، بل حتى المغاربية والعربية، فمثلا في العدد الأول من جريدة "الدستور التونسية" الصادر بتاريخ 27 أوت 1937، نشرت الجريدة صورة فوتوغرافية للشيخ ابن باديس والشيخ عبد العزيز الثعالبي في إطار الزيارة التي قام بها ابن باديس إلى تونس، وقد كتبت مصلحة المعلومات والدراسات (قسنطينة) تقريرا حول ذلك (1)، وفي تقرير آخر لنفس المركز جاء فيه عقب معلومة (=وشاية) أدلى بها مامي إسماعيل (2)، أن أحد الطرابلسيين (الليبيين) اسمه "حسن صيالح" جاء إلى قسنطينة، و يقيم عند "ماناماني عبد المجيد"، وهو مسؤول عن جرائد مصرية وسورية، فيقوم بأخذ صور فوتوغرافية للقادة والوطنيين الجزائريين كإبن جلول وابن باديس وصور عامة للمناظر، ويقوم ببعثها إلى صحف المشرق، ويضيف التقرير أن هدفه هو النهضة الإسلامية، كما توقع أيضا أن يكون عميلا لإيطاليا أيضا خاصة في إطار سياسة موسوليني الإسلامية (3).

كما أشار تقرير آخر أن جريدة الزهرة التونسية نشرت صورتين لمصالي الحاج مع بعض الشخصيات الإسلامية بتاريخ 27 ماي 1947، ومعه تصريح لمصالي الحاج يقول فيه "بأننا لا نثق في مختلف

---

(1) CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE) Constantine،  
renseignement: nouveau journal tunisien -le destour -، Constantine le31aout1937.

(2) تكلمنا في الفصل التمهيدي عن مامي إسماعيل لما كان رئيسا تحرير لجريدة النجاح، فكانت الجريدة على الخط المعتدل، لكنها دجنت بتدجين أصحابها وأصبحت تدعو للاندماج وللجزائر فرنسية، كما تهجم مامي إسماعيل شخصيا على ابن باديس والحركة الإصلاحية عدة مرات من خلال مقالاته، لذلك لا نستبعد ان يكون مامي إسماعيل هو صاحب الوشاية لأن التقرير ذكر بأنه مصدر المعلومة. للاستزادة عن موقف جريدة النجاح ومامي إسماعيل وتغير خطها أنظر: أحسن تليلاني، جريدة النجاح: حقيقتها ودورها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص ص 92-95.

(3) CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE) Constantine، le 20octobre1937.

الأحزاب السياسية الفرنسية<sup>(1)</sup>، وهذا ما يبين كما ذكرنا سابقا قيمة الصورة وتأثيرها لدى القراء في ترسيخ مبدئ المقاومة والوحدة.

كما أن كثيرا من الصور لم تنشر حينها، ونشرت بعد الاستقلال في مذكرات المناضلين، والبعض الآخر وجد في دور الأرشيف والمكتبات العائلية الخاصة، وأخرى وجدت في مكاتب المغرب العربي في القاهرة أو في فرنسا أو دمشق، وهي صور كانت تؤخذ كذكرى في المناسبات، كما كانت تباع من طرف الأحزاب والجمعيات من أجل المداخل، ونذكر على سبيل المثال الصور التي نشرت في كتاب المناضل المغربي محمد بن عيود "مكتب المغرب العربي بالقاهرة"، والتي أظهرت عدة زعماء مغاربة بالقاهرة ولقائهم بعدة شخصيات عربية وإسلامية من أجل السعي للوحدة<sup>(2)</sup>.

### خلاصة:

- إن ما ميّز الأدب الجزائري في هذه الفترة هو معظم منتجه كانوا مناضلين أدباء و مثقفين ملتزمين بقضايا أوطانهم، وهو ما يعني أن تلك النتاجات كانت تنبع من عمق مشاعرهم، بصفتهم حقا أدباء وموهوبين هذا أولا، وتصل تلك المواهب بالمقاومة السياسية التي كانوا يخوضونها ميدانيا هذا ثانيا، بمعنى أنهم لم يكونوا في أبراج عاجية، فكتبوا الشعر أو القصة أو المسرحية معبرين عن تخیلات أو أحلام تراود نفسيات فقط، بل بالعكس، فهم كانوا حقيقة يعيشون ويشعرون بذلك، فسياسة الاستعمار لم تقتل الأدب بل بالعكس زادت تنوعا وقوة.
- لقد برهن الكتاب، والأدباء، والشعراء، والفنانون الذين أتينا على ذكر نماذج من أعمالهم خلال فترة مقاومة الاستعمار، على التزامهم بقضايا الشعب الجزائري خاصة، والمغاربي والعربي والإسلامي بصفة عامة، ومن ثمة برهنوا على انتمائهم لهذه الأمة، وذلك عن طريق الأدب

(1) A.N.T، série: mouvement national، carton 54، dossier n° 4، note n° 2482، A.S: déclaration de messali hadj، Tunis le 24mai 1947.

(2) أنظر الملحق رقم 13

## الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري

والفن الاحتجاجي (=أدب النضال) الذي كتبوه، وعبروا به وفيه عن الوضعية المزرية التي كانت تعيشها شعوب المغرب العربي، فكانوا بذلك حقا لسان العامة في تلك الفترة العصبية من التاريخ.

● ركزت غالبية الانتاجات الأدبية الجزائرية على التاريخ والتراث وهي بصدد مقاومة الاستعمار، وهو نفس السلاح الذي سعت فرنسا لتدميره عقب دخولها إلى الجزائر، لذلك كانت الكتابات التاريخية خير ردّ فعل وتصدي لتلك السياسات التي كانت ترمي لعزل الجزائر عن الفضاء المغاربي والعربي الإسلامي.

● إن الملاحظ هو توجه أغلبية الأدباء إلى الشعر بجميع أنواعه، والميل إليه أكثر من الألوان الأدبية والفنية الأخرى، وذلك لاعتبارات منها أن للشعر قيمة خاصة عند العرب والمسلمين، ووجوده كان منذ القدم وتوارثته الأجيال التي نقلت لنا أحداث الزمان، على عكس الرواية والقصة والمسرح والفنون الأخرى الحديثة النشأة (=الطابع العصري)، والتي كانت تتطلب وقتا أكثر حتى تنضج ببلاد المغرب العربي.

● إن التجربة الفرنسية فشلت في سياستها التي كانت ترمي إلى التجهيل والفرنسة، فالذين درستهم وعلمتهم في المغرب العربي انقلبوا ضدها، وحاربوها بشتى الوسائل والطرق، ولعل الشيء البارز أيضا هو محاربتهم لها بلغتها، وهو واضح كثيرا في فن القصة والرواية.

لكن من جهة أخرى وجدت تلك السياسات الثقافية الفرنسية طريقا لها في أوساط بعض

النخب فيا ترى كيف كان ذلك؟

# الفصل الرابع:

السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوحدوية وانعكاساتها على  
مواقف بعض النخب الجزائرية:

- 1- مواقف وردود فعل فرنسا من مشروع الخلافة والجامعة الإسلامية في الجزائر.
- 2- مواقف وردود فعل فرنسا من تيارات القومية العربية والوحدة المغاربية في الجزائر.
- 3- انعكاسات السياسات الفرنسية على مواقف وآراء النخبة الجزائرية الفرنكوفونية.

تعرضنا في الفصول الأربعة السابقة لجزء لا بأس به من أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية، وحاولنا التعرف على أبرز التوجهات الحدودية فيها سواء في إطار الأمة العربية الإسلامية، أو الأمة المغاربية، كما تطرقنا أيضا لأدب النضال الذي كان حضوره قويا أيضا في هذا الجانب، وقد خوّّل لنا هذا الاضطلاع على كم لا بأس به من الوثائق، والنصوص، والمواثيق التي عبّرت عن رؤى النخب الوطنية اتجاه الوحدة، وفي مقابل وقفنا على ردود فعل عدة، وسياسات كثيرة انتهجتها الإدارة الفرنسية لتحطيم تلك المشاريع الحدودية، فكان الفعل وردّ الفعل متلازمان دائما، لذلك سنحاول من خلال هذا الفصل رصد جانب من ردود الأفعال تلك، كما سنحاول تسليط الضوء على أهم التأثيرات والانعكاسات التي برزت في صفوف بعض الأحزاب والشخصيات جراء تلك السياسات، ونقصد بالخصوص هاهنا بالخصوص مواقف النخب الفرنكفونية والشيوعيين وأنصار الاندماج.

### 1- مواقف وردود فعل فرنسا من مشروع الخلافة والجامعة الإسلامية في الجزائر:

تطرقنا في الفصل التمهيدي للجامعة الإسلامية وآثارها العميقة في المجتمع الجزائري خاصة المجتمعات المدنية منها (=ساكنة المدن)، ودور فكرة الجامعة في تعزيز الشعور الحدودي العربي والمغاربي فيما بعد، كما ذكرنا باختصار كيف عانى معظم الداعين لتلك الأفكار في غياهب السجون خاصة في فترة الحرب العالمية الأولى كعمر بن قدور، أو عمر راسم على سبيل المثال لا الحصر، لذلك من الصعب على الباحث تحديد كل السياسات واستبيان كلّ المواقف، وردود الفعل الصادرة من عند الهيئات الرسمية، أو الكولونيالية أو الاعلامية الفرنسية، التي سعت إلى القضاء على فكر الجامعة الإسلامية في الجزائر، ولكن ما هو متفق عليه عند عديد المؤرخين هو اعتماد عدة طرق، ومناهج، وسياسات ترهيبية وترغيبية لاحتواء الجزائر وإبعادها عن هذا التيار، على غرار سياسة "فرنسا الإسلامية" التي جسدت لتوجيه أنظار الجزائريين إلى الداخل، وقطع الصلة بينهم وبين ما يحدث في تركيا (=الدولة

العثمانية)، وأقطار العالم الإسلامي عامة وقد سعت فرنسا حسب اعتقادنا بهذه السياسة إلى خمسة أهداف رئيسية :

- (1) الحد من نفوذ الدعاية الألمانية والعثمانية والقضاء على حلم تعلق الجزائريين بالخلافة.
- (2) استغلال الظرف لجذب أكبر عدد ممكن من المجندين الجزائريين للخدمة في الجيش الفرنسي في الحرب.
- (3) تعجيز نفسية الجزائريين والمغاربة بصفة عامة بقطع فكر الوحدة والاتحاد بينها وباقي الدول الإسلامية.
- (4) ترسيخ فكرة الجزائر الفرنسية والجزء الذي لا يتجزأ من التراب الفرنسي، وبالتالي إبعاد أنظار العرب والمسلمين عنها واعتبارها حالة استثناء.
- (5) تحسين سمعتها داخليا بتحويل وجهة الجزائريين من فكر الجامعة الإسلامية إلى فرنسا الإسلامية<sup>(1)</sup>، وتحسين سمعتها بين الرأي العام الدولي واثبات حسن تسييرها وتحكمها في المستعمرات.

#### • سياسة الترهيب والعقاب:

لعل من بين السياسات الأولى المتبعة من طرف الإدارة الفرنسية للحد من نمو الفكر الوحدوي الإسلامي في الجزائر، هو سياسات المراقبة، والمتابعة، والمنع، والتضييق، والسجن، والتي كانت من بين الطرق الأولى لمحاربة هذا التيار، فبالرغم وكما يقال في المثل أن "الفكرة لا تحارب إلا بالفكرة"، فإن

---

(1) يجب الإشارة إلى أن فرنسا لم تقف في كل الأوقات ضد مشروع الجامعة الإسلامية، بل كانت أحيانا تشجعه والدولة العثمانية لتحد من الأطماع الإنجليزية الروسية، خاصة وأن إنجلترا كانت دائما تسعى لكسب ود المسلمين الواقعين تحت سيطرتها لتجنب الثورات خاصة في مصر، والهند هذا من جهة، ومن جهة أخرى لتتحاشي الاصطدام بالقوة الألمانية النامية، هذا كان في بدايتها لم تكن سرعان ما انقلبت عليها لما بدأ المشروع (= كان توجهها في الجزائر) يهدد كيانها. للاستزادة انظر: الصادق دقاش، مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية، المرجع السابق، ص240.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوحدوية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

فرنسا استعملت القوة لمحاربة الفكرة، وهي التي كانت تنظر إلى الخلافة والوحدة مشروعاً (= وليس مجرد فكرة)، يهدد وجودها ليس في الجزائر فقط، وإنما في كافة الدول الواقعة تحت سيطرتها وسيطرة الدول الأوروبية الصديقة.

وما سجن العُمران راسم وبن قدور لمدة طويلة إلا خير دليل على ذلك، فماذا كان ذنبهما سوى أنهما كانا يريان في أن الانتماء الحقيقي إنما يكون للخلافة، وهما يأملان في وحدة شاملة للمسلمين؟ ثم إنهما لم يكونا منخرطين في حزب رسمي أو هيئة أو منظمة تسعى لإسقاط الوجود الفرنسي في الجزائر، وتنادي بها صراحة مثل ما سيحدث بعد ذلك (=نجم شمال إفريقيا)، فهذا يثبت مدى صرامة تعامل الفرنسيين مع هذا الموضوع الجد حسّاس فالهيئات الرسمية كانت ترى وجوب القضاء على أي دعوة للوحدة أيًا كانت صفتها أو أيًا كان مصدرها، وخاصة تلك التي تنبع من وازع الدين الذي كان الجزائريون متعلقين به كثيرا.

ويقول أجيريون في هذا الصدد: "لا مناص من تسجيل أن مقاومة هذا الشعب تمت كلها في إطار الإسلام، وبواسطة الإسلام، رغم ما يبدو على تدين الجزائريين من سطحية، أو ما يخالطه من نظرة مادية، وتشكك فكري مقتبس من النظرة الفرنسية في نظر مسلمي الشرق، إلا أن ذلك كان مجرد مظهر خارجي فالغيمان الشعبي كان سليما"<sup>(1)</sup>، لذلك لن نستطيع أبدا ان نتعرض لسياسات التقتيل والتهجير والإبادة التي مورست على الجزائريين، خاصة في العقود الأولى من القرن 19، خاصة في ظل غياب صحافة أهلية حرّة ومستقرة، فسياسة العداة للعثمانيين من طرف فرنسا كانت تسقط على الجزائريين كلّ مرة.

ومن جهة أخرى استعملت فرنسا الترغيب، فجذبت إليها عديد النخب المثقفة، فمنها ما تعرض للتدجين، ومنها من أقعدها اليأس، ومنها من عرضت عليها المناصب والامتيازات، وكل ذلك

(1) شارل روبيير أجيريون، الجزائريون المسلمون، المصدر السابق، ص 915.

في سبيل الابتعاد عن فكر الجامعة الإسلامية التي كان يعرض الوجود الفرنسي في الجزائر وشمال إفريقيا للخطر.

• تشويه صورة الأتراك والألمان:

راحت الدعاية الفرنسية تهاجم كل ما هو ألماني أو تركي (=وليس عثماني)<sup>(1)</sup>، مؤكدة على أن الجزائريين أثبتوا ولائهم وإخلاصهم لفرنسا<sup>(2)</sup>، وكانت الدعاية الفرنسية قد استعانت بعدة جرائد وصحف "كالأخبار" و"المبشر" على سبيل المثال، قصد تبليغ الأخبار الرسمية للسكان، كما أنشأوا جريدة "فرنسا الإسلامية" سنة 1913، و"أخبار الحرب" سنة 1914 والتي لم تلق اهتماما كبيرا بعدم تتبعهم للدعاية الألمانية والتركية، ومبرزة الحالة المهينة التي آل إليها الخليفة الذي صار لعبة في أيدي الألمان<sup>(3)</sup>.

كما ركزت بشدة على أن ألمانيا وتركيا هما الدولتان المسؤولتان الوحيدتان اللتان تتحملان مسؤولية هذه الحرب، وقد استشهدت الدعاية الفرنسية ببعض الأحاديث النبوية، والآيات القرآنية مثل " وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ"<sup>(4)</sup>، وهم بذلك يحثون على ضرورة مقاتلة هاتين الدولتين اللتين خالفتا تعاليم ووصايا الرسول عليه الصلاة والسلام، وتعاليمه في الحرب بعدم قتل المسلم للشيوخ والنساء والصبايا والعجز<sup>(5)</sup>، متناسية بذلك الجرائم ارتكبتها في الجزائر منذ دخولها الجزائر

(1) تستعمل غالبا الأدبيات الفرنسية كلمة تركيا بدل الدولة العثمانية، لكي تحط من قيمتها وتاريخها كدولة إسلامية، وتبين أن الجامعة الإسلامية هي مشروع تركي يبقى في تركيا ولا يعنى بالدول والأقطار الأخرى، كما تضيف عليها من خلال الكلمة طابع القطر الصغير المتعصب للجنس التركي الحاقدا على العرب والأمازيغ، وكذلك الشعب المحب للسيطرة والجيروت.

(2) أجيريون، المرجع السابق، ص 846.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 2، ص 246، 247.

(4) سورة البقرة، الآية 190.

(5) الصادق دهاش، المرجع السابق، ص 217.

عام 1830، ولكن في نفس الوقت كانت الدعاية تركز على قوة فرنسا وعظمتها والتي ليس بمقدور لا ألمانيا ولا تركيا هزيمتها<sup>(1)</sup>، خاصة وأن صورة تركيا وألمانيا اهتزت لدى الرأي العام الجزائري وخابت الآمال فيهما بمرور الزمن، فالمعلومات الواردة والدعاية الفرنسية المكثفة لم تكن تشجع الجزائريين على استكمال تلك المساندة<sup>(2)</sup>، فتركيا والدولة العثمانية أصبحت في الصحف الفرنسية والأوروبية عموما الدولة الظالمة للعرب والمغاربة على مدار حكمها<sup>(3)</sup>، فقد طالت الأحقاد الفرنسية الصليبية كل ما هو عثماني اسلامي بهدف ابعاد الجزائريين عن نقطة اللقاء والوحدة، وحتى المستوطنون والكولون دخلوا في تلك السياسة آنذاك، بأن دعوا إلى حملة مسالمة وتآخي مع الجزائريين، في سبيل استمالة الكفة لصالحهم، وكسب تأييد الجزائريين على حساب الأتراك العثمانيين، وقد صرّح شيخ بلدية الجزائر العاصمة عقب اندلاع الحرب أنّ " هناك بيننا نحن الكولون وبين مسلمي شمال افريقيا، علاقات وثيقة كونتها أولا تدريجيا وتؤكد المصالح المشتركة، ثم منذ بداية الحرب أصبحت بيننا وبينهم أخوة مؤثرة في ميدان المعركة في وجه عدو مشترك"<sup>(4)</sup>.

#### • توضيق الخناق على رحلات الحج:

يقول الحاكم العام غريفي: " لا تنسوا أنه دائما أثناء موسم الحج يزداد تعصب الأهالي، كما أن البعض منهم ينتهزون الفرصة لاعتناق مذاهب والانضمام إلى طرق تحمل أفكارا وعقائد معادية لوجودنا، وذلك عبر

(1) جاءت فرنسا بحوالي 3000 سجين ألماني إلى الجزائر لكي تنير الرعب في قلوب أهل المغرب العربي، فكانت هذه فكرة لإقناع الجزائريين بأن أي ثورة ضد فرنسا ستكون فاشلة حتما. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص251.

(2) شارل روبري أجيرون، الجزائريون المسلمون، المصدر السابق، ص844.

(3) للاستزادة في الموضوع: أنظر: عبد الجليل التميمي، دراسات في التاريخ العربي العثماني(1453-1918)، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات(سيرمدي)، زغوان، تونس، مارس1994، ص ص90، 91.

(4) Le temps, 08 novembre 1914 نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، المصدر السابق، ج2، ص250.

الاتصال ببعض المشوشين اللاجئين إلى الدول الإسلامية الواقعة شرق الجزائر"<sup>(1)</sup>، ويقول ربروناش: "حتى سنة 1902، كان من المعتاد اعتبار الحج إلى مكة مضر بمهمتنا في الشمال الإفريقي، باعتبار أن رعايانا الجزائريين لا يذهبون إلى الحج، إلا من أجل التعبئة بالتعصب الديني"<sup>(2)</sup>.

لذلك حررت كثير من المقالات، والتقارير والمراسلات، لإثبات خطر الحج على فرنسا والدول الأوروبية عموماً، ولقد تقررّ منع الحجيج من عدة مواسم منذ 1909 ووصولاً إلى سنة 1915، وذلك باختلاق حجج وذرائع مختلفة لعل أبرزها هو انتشار الأمراض بالحجاز (1900-1904)، بحيث كان عدد الحجاج المسموح به قليلاً، فلم يتجاوز مثلاً 1791 حاجاً في سنة 1909 بسبب العراقيل والشروط التعجيزية المفروضة<sup>(3)</sup>، وما إن حلّت سنة 1916 حتى سمحت الإدارة الفرنسية بالحج، لأنها شعرت مبدئياً بالأمان اتجاه هذه المسألة، ولأن الثورة العربية سنة 1916 قد قضت على الوجود التركي الألماني بمساندة الحلفاء<sup>(4)</sup>، هذا وقد بعثت بالإضافة إلى الحجيج بعثة دبلوماسية دعائية مكونة من عدة شخصيات معروفة محلياً، ولا سيما كبار الأعيان تحت رئاسة "مصطفى الشَّرشالي" عرفت باسم "بعثة التقارب الفرنسي- الإسلامي"، والتي ذهبت إلى الشريف حسين بغية كسب التأييد العربي ضد العثمانيين للتأثير على الجزائريين، وتحويل عواطفهم وتوجههم ضد السلطان الذي كان لا يزال زعيم الخلافة في نظر الأغلبية الشعبية في الجزائر، فالبعثة التي ذهبت محملة بالهدايا

(1) قبائلي هواري، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1894-1962)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الانسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014، ص 361.

(2) قبائلي هواري، المرجع السابق، ص 363.

(3) أمحمد دراوي، المرجع السابق، ص 143.

(4) ساندت فرنسا الثورة العربية في الحجاز ووقفت معها تماشياً واطماعتها في اقتسام ممالك الرجل المريض، ولم تكن فرنسا وحدها فقط في هذا الاتجاه، بل كانت معها كل من بريطانيا، وروسيا، وإيطاليا وعدة دول أخرى، حاولت مراراً خلق الشقاق وتغذية النزعات العصبية، والجهوية، والقبلية وتشجيع القوميات للثورة ضد الاتراك العثمانيين. للاستزادة انظر: علي محافظة، المرجع السابق، ص 42-46.

كان عليها أن تلتزم بالتعليمات وتبين السرور الكبير الذي غمر فرنسا والشعب الجزائري لعملية التحرير الكاملة للأماكن المقدسة<sup>(1)</sup>.

كما أن فرنسا وضعت مؤسسة خاصة في سنة 1917 تحت اشراف قدور بن غبريط، الذي أرسل باسم سلطان مراكش، وباي تونس، وشعب الجزائر، لتهنئة الحسين بن علي بعد الثورة وإعلان تضامن المغرب العربي معه في جهاده لتوحيد العرب هذا من جهة<sup>(2)</sup>، ومن جهة أخرى للفصل في قضايا تعامل الجزائريين مع الأوقاف والحبوس بمكة والمدينة<sup>(3)</sup>، وكذا لاتصال الحجيج بها للإرشاد والتوجيه، وكذا الرقابة لعدم الاختلاط بعلماء الجامعة الإسلامية، وأصحاب التوجه الوجودي الإسلامي في إطار الخلافة.

#### ● سياسة "فرنسا الإسلامية":

عملت الإدارة الاستعمارية على تشديد الإجراءات الدينية عن طريق تنظيمها، وهيكلتها بشكل أحسن وأدق يسمح لها بالتحكم فيها، فأنشأ السلك الديني الرسمي المرتبط بالإدارة الفرنسية الذي أصبح يشرف على أداء الشعائر الدينية المختلفة، من خلال تكوين الأئمة والمفتين والوعاظ وتوظيفهم، لكن ربما التأثير الكبير الذي كان للزوايا في قلوب الجزائريين، قد جعل من السلك الرسمي ضعيفا، خاصة وأن هذا الأخير كان يآتمر بما تمليه الإدارة الفرنسية<sup>(4)</sup>، فتم بذلك تشديد الرقابة

(1) البعثة تكونت من 650 حاجا من كل شمال إفريقيا ولكن الأعيان والشخصيات ذهبت على متن السفينة إلى جدة، أما البقية ذهبت براً مشيا على الأقدام واستعمال الدواب كعادتها. للاستزادة في الموضوع انظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، ص255.

(2) للاستزادة يرجى الرجوع على: علال الفاسي، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1955، ص ص 19-29.

(3) أحمد دراوي، المرجع السابق، ص144.

(4) نفسه، ص141.

على الزوايا والطرق الصوفية من جهة، واستمالتها والضغط عليها من جهة أخرى، ونشير إلى أننا عثرنا في أرشيف ولاية وهران على ملف جد هام حول الزوايا والتصوف ونشاط الصوفية في الجزائر وبالخصوص في الغرب الجزائري، فهناك تقارير حول الطرق وموقفها من المؤتمر الإسلامي والعروبة والوهابية، وعدة قضايا داخلية وخارجية، وهو ما كانت السلطات الفرنسية تحاول دائما اللعب على أوتاره، ففي تقرير اضطلعنا عليه يوضح مراقبة فرنسا للزاوية الكتانية من خلال السماح ل170 شخصا من مريديها بتلمسان للذهاب إلى فاس لحضور موسم الطريقة الممتد من 23 أبريل إلى 3 ماي 1941، وقد عثرنا مع التقرير الفرنسي على تقرير مخطوط باليد ممضى من طرف قلايحي عبد القادر يوضح بالتفصيل أهم ما حدث في الرحلة من الذهاب إلى العودة<sup>(1)</sup>، ولعل هذا التقرير يوضح لنا مدى الاهتمام الذي كانت توليه الشرطة والإدارة الفرنسية لتحركات الأشخاص والجماعات في فترة الحرب العالمية الثانية خاصة من قطر إلى آخر، فأى حركة غير مسؤولة قد تفسر على أنها محاولة انقلاب أو إحداث ثورة في الشمالي، وتُتهم بالدعاية والعمل بالتنسيق مع الفاشية أو النازية.

وفي المقابل حاول الفرنسيون اللعب بالمشاعر الدينية للجزائريين لاستمالتهم، وفي هذا الصدد وجه الحاكم العام للجزائر "لوتو" بيانا بتاريخ 4 أوت 1914 للجزائريين المسلمين يقول فيه: "إن ألمانيا قد هاجمت فرنسا لأنها كانت تغار من قوتها"، واستدل بكلام الرسول عليه الصلاة والسلام فقال: "إن نبيكم العظيم قد قال إن الله لا يحب الخونة"، وهذا ما يدخل في سلسلة التأثير النفسي والعاطفي على الجزائريين، الذين كانت تريد فرنسا أن توهمهم بأنها تسعى للحفاظ على الإسلام في الجزائر، فبعد الهجوم البحري الألماني على الساحل الجزائري، ألقى الحاكم العام أيضا خطبة أخرى قائلا فيها بأن

(1) AWO ,boite2260, chemise i62 :confréries religieuses, rapport de CIE,n°142 ,Oran le 7mai1941.

هناك: " فحذا قد نصب للإسلام، ولكنكم ستكتشفونه بنظرتكم البعيدة، وبولائكم المعتاد، وأنكم لن تنصتوا لألمانيا وتركيا التي تريد أن تستغل عواطفكم الدينية"<sup>(1)</sup>.

لذلك سرعان ما أنشأت السلطات الفرنسية لجان للتبرع داخل وخارج الجزائر، منها "اللجنة المركزية الأهلية للطيران"، التي أطلق عليها للتضليل اسم "المسلم الفرنسي"، فقد جمعت مبلغا ماليا لا بأس به (29.896 فرنك فرنسي) تحت قيادة "بلقاسم بن تامي" الذي قدمها إلى باريس في الحرب العالمية الأولى<sup>(2)</sup>.

وقد ركزت الإدارة الفرنسية بصفة كبيرة على الإعلام الموجه كإصدار البيانات، والوصايا، والفتاوى، والبلاغات، وجند لها عديد المفتين المالكيين والحنفيين، على غرار وصيتي المفتيان المالكي والحنفي بالجزائر العاصمة، ونداء الشيخ علي ابن سيدي أحمد التيجاني<sup>(3)</sup>، شيخ الطريقة التيجانية بعين ماضي بالأغواط، للحد من تأثير فكر الجامعة الإسلامية<sup>(4)</sup>، وواصلت على تلك السياسة "فرنسا الإسلامية" بإشرافها على النشاط المضاد "للجامعة الإسلامية"، بأن استحدثت الإدارة الفرنسية في الجزائر هيئة خاصة باسم "قسم خدمة الشؤون الإسلامية والصحراوية"<sup>(5)</sup>.

كما عكفت على بناء المساجد والمصليات للجزائريين بالجبهات الأوروبية أثناء الحرب العالمية الأولى، وبعثت إليهم بأئمة مسلمين لإمامتهم في الصلوات، ومن ثم توجيههم حسب ما تمليه الإدارة الفرنسية،

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المصدر السابق، ص249.

(2) الصادق دهاش، المرجع السابق، ص212.

(3) أصدر عديد زعماء الزوايا ومقدمو الطريقة الجزائريين بيانا نددوا فيه بما أسموه "جنون الشبان الأتراك العثمانيين"، داعين إياهم للتخلي عن فكرة الجهاد وقد كتب على التيجاني بالمناسبة بيانا من جملة ما جاء فيه: "... لقد أفحمت تركيا نفسها في ورطة شائكة سوف تجرّها لا محالة إلى الخسارة، ويوجد كثير من هذه النداءات في جرائد « lécho dalger » في الفترة ما بين 6 إلى 28 نوفمبر 1914 أنظر: شارل روبري أجيرون، الجزائريون المسلمون، المصدر السابق، ص844.

(4) الصادق دهاش، المرجع السابق، صص218-220.

(5) نفسه، ص200.

فكانت تركيا بذلك تُنعت على أنها عدوة للإسلام والعرب وجب محاربتها<sup>(1)</sup>، وكانت من جهة أخرى تقيم الاحتفاليات والمهرجانات من أجل الدعاية لسياستها الإسلامية فتوزع الأفعمة والأشربة، وتنشر موائد الكسكسي على الطرقات، مثل المهرجان الشعبي الذي أقامته بمدينة العطف بالأصنام(الشلف) في ديسمبر 1917، والذي حضرته عدة شخصيات جزائرية، وذلك من أجل استمالة الأهالي<sup>(2)</sup>، كما أولت الإدارة الفرنسية أيضا اهتماما بتاريخ المغرب الإسلامي، والزخرفة الإسلامية، والعمارة بعد مجيء "جونار" إلى الحكم، فهذا الأخير قد اعتبر الجزائر "عاصمة فرنسا الجديدة"، محاولا إيجاد نموذج توفيق بين الشرق والغرب خاصة في العمارة، ووفق هذا النمط تم تشييد مدرسة تلمسان وقسنطينة والثعالبية، ومحطة وهران<sup>(3)</sup>.

كما أن الإدارة الفرنسية لم تكتفي فقط بالتحذير من مشروع من الجامعة الإسلامية، أو اتباع سياسة إسلامية في الجزائر، ولكن سعت لاقتراح حلول سريعة وملموسة لاحتواء الوضع، مثل ما قام به السيد "servier Andrée"، الذي اقترح ضرورة القضاء على الفقر المنتشر بين الجزائريين، والاهتمام بالتعليم، والصحة، ووضع المرأة، وتطوير حياتهم اليومية وعصرنتها<sup>(4)</sup>، ولكن الجزائريين كانوا يعرفون بأن كل ذلك ما هو إلا زر للرماد في العيون ففرنسا التي لم تحترم مقدسات الجزائر الدينية بالأمس لن تعترف بها اليوم<sup>(5)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المصدر السابق، ص248.

(2) الصادق، دهاش، المرجع السابق، ص216.

(3) فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية، المرجع السابق، ص124.

(4) الصادق دهاش، المرجع السابق، ص201.

(5) نشير إلى أن فرنسا عملت بالسياسة الإسلامية في جميع أقطار المغرب العربي، فالبرغم من الوسائل المختلفة بين هذه الأقطار نظرا لطبيعة الاستعمار والتراكيب الاجتماعية والثقافية لكل منها، ومدى تغلغل الدعاية العثمانية فيها، إلا المتفق عليه هو أن السياسة الفرنسية الإسلامية كانت تمارس الدعاية للحكم الفرنسي في المغرب العربي لا أكثر ولا أقل. انظر مثلا: أرلوند قرين، سياسة فرنسا الإسلامية بتونس(1881-1918)، المجلة التاريخية المغربية، ع3، مؤسسة التميمي، تونس، 1975، ص 60.

• ايهام الجزائريين بالإصلاحات السياسية والإدارية والعسكرية:

تعددت الأفكار والمشاريع والسياسات الإصلاحية الفرنسية نحو مستعمرة الجزائر، فمنذ 1915 تم الاعداد لمشروع منح الجنسية للمحاربين بدون اشتراط سن البلوغ، وهو المشروع الذي أعد من طرف الكولونيل "هاملن-Hameln" على مستوى مصلحة الجزائر في وزارة الخارجية، بالإضافة إلى اقتراحات "albinroset" و "dozymillevoye" وهما اللذان اشترطا منح الجنسية للمغاربة المشاركين في الحرب، فموضوع التجنس كان مطروحا بشدة خاصة أمام عودة التيار الإصلاحي بقوة<sup>(1)</sup>، وأصبحت فرنسا في هذه المرحلة تفكر في الإدماج أكثر خاصة بعد تنامي فكر القومية العربية في الشرق، بعد الثورة على العثمانيين وظهور نخبة جديدة تمثلت في الشبان الجزائريين الطامحين للمساواة مع الفرنسيين، والتي حسب أجيرون اعتمد عليها لخلق جزائر فرنسية مسلمة جديدة<sup>(2)</sup>، ثم تأتي بعد ذلك اصلاحات فيفري 1919، وهي الإصلاحات التي كان معولا عليها أكثر للتحكم في مستقبل الجزائر و الجزائريين<sup>(3)</sup>، وربطهم أكثر بفرنسا ومصيرهم معها.

• السياسات الفرنسية بعد سقوط الخلافة 1924:

حتى بعد سقوط الخلافة الإسلامية سنة 1924، واطمحلال فكرة الجامعة الإسلامية عند غالبية المسلمين (=السياسيين منهم خاصة)، وبالخصوص بعد نجاح القومية العربية في اضعاف الدولة العثمانية والاستقلال بالشرق، فإن الفرنسيين دائما ما بقوا متشبثين بفكرة تواجد مشروع الجامعة الإسلامية، فأصبحوا يتهمون الزعامات الجزائرية والمغربية في كل مرة عن قصد وعن غير قصد بالانتماء للجامعة الإسلامية، والعمل تحت ظلها، لذلك هم لم يسعوا لإعطاء مفهوم دقيق وواضح

(1) شارل رويير أجيرون، الجزائريون المسلمون، المرجع السابق، ص 857-859.

(2) نفسه، ص 894.

(3) يرى تويني أن الاصلاحات هذه كانت رغبة من فرنسا، أما سعد الله فيرى أنها كانت تماشيا مع الأحداث خاصة والضغط

الكبير الذي فرضته الحركة الوطنية على فرنسا وسياستها. أنظر: سعد الله، الحركة الوطنية، ج2، المرجع السابق، ص 257.

لأنصار الجامعة الإسلامية، لكي يستطيعوا في أي لحظة اتهام أي طرف، أو حزب، أو شخصية بالتعامل معها، وبالتالي إصاق تُهم لا أساس لها من الصحة، خاصة وأن كثيرا من القوانين كانت تجرم التعامل مع الخارج ضد الاستقرار الفرنسي في الجزائر.

فقد توالى الاتهامات بكثرة إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفتها رائدة التيار الإصلاحية، فكثيرة هي الدراسات الاستخباراتية والتقارير البوليسية التي كانت تتهم رجال الإصلاح بذلك، مشيرة في عدة مرات مثلا للشيخين عبد الحميد ابن باديس والبشير الإبراهيمي بأصابع الاتهام حول الانتماء للجامعة الإسلامية، والسعي لتشكيل اتحاد إسلامي والدعاية له في كافة أنحاء بلاد المغرب العربي، ففي دراسة قام بها الكابتن ووندر "wonder" وقعت في إحدى حول الصحافة الأهلية، ذكر أن صحف الحركة الإصلاحية تساهم في الوعي الوطني، وأن لجريدة الشهاب علاقات واضحة مع حركة الجامعة الإسلامية من خلال منشوراته، كما تكلم التقرير عن المقال الذي كتبه ابن باديس فيها وقال بأن الأمة الجزائرية ليست هي فرنسا ولن تكون أبدا كذلك في يوم من الأيام<sup>(1)</sup>.

وفي مذكرة للاستخبارات صدرت بالجزائر بتاريخ 14 نوفمبر 1936، حققت في قضية تأسيس "لجنة اتحاد عربي لشمال إفريقيا" والتي اتخذت من تونس مقرا لها، اتهم على إثرها كل من ابن باديس والإبراهيمي والطيب العقبي من الجزائر، بالإضافة إلى مجموعة من الوطنيين التونسيين والمغاربة بالعمل تحت غطاءها، خاصة وأنهم نظموا "يوم فلسطين" بالأقطار الثلاثة بتاريخ 16 أكتوبر 1936، وهو ما اعتبرته السلطات الفرنسية سعيًا منهم لإحياء تلك الفكرة<sup>(2)</sup>، ويروي المناضل بن يوسف بن خدة أنه

(1) AWO ,boite 2260. Etude de : Capitaine Wonder, la presse indigène en Algérie, expose fait au cycle d'études sur les problèmes du monde musulman contemporain, mai 1936, p4.

(2) CAOM, bob a45-25h32, dossier3, renseignement n°1839 /j, Alger le 14 septembre 1936 أنظر الملحق رقم 14

لما نفي مصالي الحاج إلى مدينة نيور الفرنسية، فإنها كانت تخلو من السكان العرب، أرسل مصالي تقريرا إلى مؤتمر هورنو جويلية 1954 ببلجيكا، فقال: بالإضافة إلى هذا يوجد على رأس هذه العمالة أحد مساعدي نايجلان السابقين وقد أوعز إلى الرأى العام بأني من المغامرين الدعاة للجامعة الإسلامية والمناهضين لفرنسا" (1).

لذلك دائما ما سعت الإدارة العسكرية الفرنسية خاصة الإبقاء على هذه الاتهامات في الجزائر لمجابهة مناضلي الحركة الوطنية لعزلهم عن الفضاء الإسلامي، فالجنرال ليوطي مثلا اقترح تأسيس ما سماه بالخلافة المغاربية فقد كان مقتنعا بأنه لا وجود لمسلم في الجزائر وتونس لولا مكة والقسطنطينية، لكنه حاول تطبيق هذه السياسية انطلاقا من المغرب الأقصى لأنه يشكل الاستثناء، حيث أن تيار الوحدة الإسلامية والجامعة القادم من الدولة العثمانية لم يؤثر عليه كثيرا، خاصة وأنه لم يعرف الحكم العثماني، وأن أنصار تركيا الفتاة لم تكن لهم شعبية كبيرة هناك، فقد اتهموا بالمروق عن الدين، ويتغنى ليوطي بمحاسن وحدة مملكتك فرنسا في افريقيا "تحت راية خلافة مطيعة لايحاءاتنا، متضامن بقوة مع مصالحنا... وهو خير ضمانة ضد حركات تحريضية خطيرة، وخصوصا ضد تأثير الفرق الدينية التي تقف وراء كل حركات التمرد... إن خلافة مغاربية هي أقدر من علماء الدين الرسميين في الجزائر، على التصدي بطريقة فعالة لهذا التأثير الذي تسهل جدا ممارسته حيثما تغيب السلطة الدينية فتفسح له المجال..." (2).

ولكن هذه السياسات المتناقضة للفرنسيين لم تفلح ولم تعمّر طويلا، لأن الجزائريين كانوا على دراية تامة بأن فرنسا دائما ما تسعى لخلق تم باطل ولا أساس لها من الصحة، ثم إن مشروع الجامعة كان قد اضمحل، وبدأت في العشرينيات والثلاثينات أفكار أخرى تلوح في الأفق وهي الوحدة المغاربية والوحدة العربية الإسلامية التي تشبثت بها فصائل الحركة الوطنية الجزائرية ونعني بالخصوص هاهنا التيارين الإصلاحية والاستقلالية.

(1) بن يوسف بن خدة، الصدر السابق، ص 282.

(2) صادق سلام، فرنسا ومسلموها، المرجع السابق، ص 193-195.

فيا ترى كيف قاومت الإدارة الفرنسية هذين التوجهين القديمين الجديدين؟

## 2-مواقف وردود فعل فرنسا من تيارات القومية العربية والوحدة المغاربية في الجزائر:

تطرقنا في الفصلين الأول والثاني من هذه الأطروحة للتوجهات الوجودية في إطار الأمة المغاربية، والتي بدورها كانت تطالب بوحدة في إطار الأمة العربية الإسلامية الذي راحت تسعى من أجله فصائل الحركة الوطنية الجزائرية (=الإصلاحيون والاستقلاليون) وهي بصدد مقاومتها للاستعمار، كما رأينا كيف وظّفت النخب الوطنية العروبة، والإسلام، والجغرافيا والتاريخ المغربي كسلاح قوي لمقاومة الغزو الثقافي الفرنسي الصليبي، ليس هذا فقط، بل إن الوطنيين الجزائريين كانوا دائما متشبثين بالفضاء المغربي و العربي الإسلامي لئلا تفقد الجزائر هويتها، ولكن كلّ هذه التحركات صوب الشرق كانت بالنسبة لفرنسا بمثابة تهديد لوجودها في الجزائر وعموم المغرب (=الشمال الإفريقي)، لذلك حاولت جاهدة أن تحارب النزعة القومية المغاربية، ودعوات الوحدة العربية الإسلامية في الجزائر بطرق وأساليب وسياسات مختلفة خلال عقود، فيا ترى ماهي ردود فعلها من النزعة القومية العربية الإسلامية في الجزائر؟ وكيف تعاملت معها من خلال سياساتها المتعددة؟

## 2-1-سياسة التشويه التاريخي:

لن نجرأ على اتهام الكلّ والتفريز من سمعة كل الباحثين والدارسين الأجانب والفرنسيين بالخصوص واتهامهم بالإجحاف أو التقصير والتشويه، لأننا قبل كلّ شيء أمام ظاهرة اسمها الاستشراق، ولعلّ وقفة تأملية بسيطة لواقع الاستشراق والمستشرقين، قد تنير لنا الطريق حول ما نريد أن نقول في هذا العنصر، لكي نكون حذرين من مغبة الوقوع في حكم لم نحتط له جيّدا، فالاستشراق حسب الدكتور ناصر الدين سعيدوني "ظاهرة ثقافية نتجت أساسا عن توسع آفاق المعرفة الأوروبية، ومحاولة العقل

الغربي فهم الآخر- والتعامل معه أملا في احتوائه، وتوجيهه، ثم الهيمنة عليه"<sup>(1)</sup>، فإننتاج المستشرقين حسبه ينطلق من نظرة موسوعية للثقافة الإسلامية، ويلتزم بالشروط الأكاديمية في البحث التي تقوم على التعمق في تناول المواضيع، ويتوفر على روح المبادرة الفردية، وضمان حرية البحث<sup>(2)</sup>.

فيمكننا القول بأن إيجابيات الاستشراق وحتى الدراسات التي قام بها باحثون أو مهتمون مدنيين كانوا أو عسكريين كثيرة جدا، فلقد تركت لنا هذه الدراسات حقيقة تراكما معرفيا كبيرا ليس من السهل تحصيله اليوم، ولكن مع ذلك لم تخلو تلك الدراسات من سلبيات ونقائص ووصولاً إلى اجحافات، وتشويهات عن قصد وعن غير قصد للتاريخ الإسلامي، فكتابات المستشرقين لم تكن تعدو في العديد منها كتابات السائح الغريب، أو المستكشف الجاهل بحقائق الأشياء، وهي في العادة نظرة من الخارج تهدف إلى تكوين صورة عن العالم الإسلامي حسب الرؤية الغربية، مما جعلها تخرج باستنتاجات لا تتماشى مع المعطيات التاريخية، ولا تعبر عن المناخ الحضاري للأمة الإسلامية، لأنها تنطلق من قيم أوروبية، وليس من خصوصيات الحضارة الإسلامية، وهو ما جعل هذه الدراسات الاستشراقية تغض الطرف عن وحدة الأمة، وتركز على خصوصيات الشعوب وهوية الجماعات والأفراد<sup>(3)</sup>، وهو ما أفقدها النظرة الموضوعية في كثير من الأحيان، ومع ذلك فإنه لا يجوز لنا أن نسود كل شيء والعكس، ولكن ما يجب أن نقوله، هو أن الفرنسيين خاصة تعاملوا مع الحالة الجزائرية بطريقة جد مميزة في كتاباتهم، لأنهم كانوا أولا وقبل كل شيء، يعتبرون الجزائر قطعة فرنسية، لذلك كان السعي من أجل كتابة تاريخها ممنهجا ومدروسا، وبالتالي العمل على رسم خطة طريق للذهنية التي سيكون عليها الإنسان الأهلي (indigène) بعد عقود.

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق المرجع السابق، ص 505.

(2) نفسه، ص 507.

(3) ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 508.

## 2-1-1-1- نفي صفة الأمة عن الجزائر:

كان لا بدّ على الاستعمار الفرنسي من السعي لمحو وجود شيء اسمه الكيان الجزائري من الوجود، واحلال تاريخ جديد محلّه، لكي لا يفكر الجزائريون أصلا في المقاومة وانشاء دولة جديدة على أنقاض الدولة التي فقدوها، لذلك ومنذ دخولهم إلى الجزائر فإنهم سعوا إلى تحطيم تاريخ الأمة الجزائرية، بل وكل شعوب المغرب القديم، وتحكم الفرنسيون في المدرسة التاريخية الجزائرية، "إلى حد يدفع إلى الجرم بأن لا أحد يستطيع اليوم وفي المستقبل القريب أن يحرر دراسات ما قبل تاريخ المغرب من قبضة أساتذة جامعة الجزائر الاستعمارية"<sup>(1)</sup>، لذلك دائما ما حاولوا تزوير التاريخ المغربي القديم، ومن ثم الجزائري لإحداث قطيعة تامة مع ماضيه وهويته التي انصهرت عبر العصور، فأصبحت تسمى الجزائر الفرنسية المتكونة من ثلاث عمالات لا أكثر ولا أقل، وأي محاولة لنفي هذه الفكرة كانت تقابل بالقوة والكتف والقتل.

و لكن يجب أن نقول بأن عملية التجهيل بدأت من خلال دراسة التاريخ العربي والإسلامي والاضطلاع على سر القوة التي تمتعت بها الحضارة الإسلامية عبر العصور، ومن ثم العمل على بتر تاريخ الشعوب المستعمرة وخاصة الجزائر، لذلك لن نحصي أبدا كمية الدراسات الفرنسية المنجزة حول تاريخ العرب والمسلمين عامة والشمال الإفريقي بالخصوص، فكل المصالح الإدارية والعسكرية والمدنية كانت تقريبا تعد بحوثا وتقارير عن الجزائر، وتحاول تطوير وتحيين تلك الدراسات كل مرة بالرجوع إلى المصادر، والمراجع الأجنبية والعربية السابقة التي اشتغلت عليها المصالح السابقة في الهياكل الإدارية والحكومات المتعاقبة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الجمعيات الجغرافية والأثرية التي كانت تنشط

(1) أحمد مالكي، صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، الملتقى الدولي: الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل

السياسي، مرجع سابق، ص 167.

في العمالات مثل وهران والجزائر وقسنطينة مثلا<sup>(1)</sup>، كما نذكر مركز المعلومات والدراسات (CIE) الذي كان دائما ما يقوم بدراسات تاريخية معمقة، وقد اضطلعنا على عديد تلك الدراسات مثل دراسة بعنوان "بيبلوغرافية العالم الإسلامي"، حيث تطرقت لحياة العرب والأمازيغ في العالم الإسلامي، وأشارت إلى عديد الدراسات والكتب والمجلات التي وجب الرجوع إليها في حال القيام ببحث حول ذلك<sup>(2)</sup>.

لذلك لم تحل هذه الدراسات من انقاص وتشويه لتاريخ الجزائر، وشخصياتها، وأدبها، وتراثها، فقد حاول المؤرخون الاستعماريون أن يشوهوا تاريخ ساكنة الشمال الإفريقي بوصفهم بالوحشية والهمجية فكتب بيكار يقول أن: "لا مانع من القول بأن الرجل الإفريقي متمرد على النشاط التقني بطبعه"<sup>(3)</sup>، ويقول غوتيه في كتابه "العصور المظلمة للمغرب": "ها هو بلد لا يوجد له اسم معروف عالميا، ما دمنا مضطرين إلى تحديد اسم له. ذلك لم يكن له وجود سياسي متميز، وبناء على ذلك لم يكتب تاريخه"<sup>(4)</sup>.

وذهبت جريدة لعمال السكك الحديدية بالقول إلى أن "الإنسان الأهلي ينتمي إلى سلالة دنيا... ولا يمكن أن يصعد بنفسه من خلال جهوده الخاصة ليكون في مستوى الأوروبي... ذلك أن الأهلي هو انسان غشاش، وقذر، ولصّ، ومكار، وجحود... إذن فإهانته هي التي تعلمه أن يصبح طائعا ومتحضرا"<sup>(5)</sup>.

(1) تحتوي مثلا مكتبة البلدية بوهران "أحمد زبانة حاليا"، على كم هائل من الدراسات حول الجزائر والشمال الإفريقي، وهي تفيد الباحث كثيرا في هذا المجال، باحتوائها على الجرائد والدراسات التاريخية النادرة.

(2) AWO، boi 2260، dossier 15. (CIE) Oran، bibliographie du monde musulman، sans date.

(3) محمد الميلي، المغرب العربي في منظور المؤرخين الاستعماريين، مجلة الثقافة، ع12، جانفي 1973، ص16.

(4) محمد الميلي، المرجع السابق، ص17.

(5) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المصدر السابق، ص94.

وقد راح موريس طوريز في هذا الطرح أيضا في خطاب له بتاريخ 11 فيفري 1939، حينما قال بأن "الجزائر أمة في طور التكوين" معتبرا أن الأمة الجزائرية لم تتشكل بعد لعدم توفر الشروط والمقومات التي حددها ستالين في نظريته القومية، واستدل موريس طوريز في ذلك بوجود 20 عنصر أو عرق بشري في الجزائر، قائلا بأنه لا يمكن لأي عرق أن يفكر في السيطرة على الجزائر بدعوى أنها أرض أجداده<sup>(1)</sup>، ومن هكذا نصوص وتصريحات نلاحظ كيف أن الاستعمار لعب على أوتار الهوية الجزائرية (=المغربية)، وجعلها حقلا تنظيريا لسيكولوجيته الاستعمارية، التي كانت تهدف إلى التشكيك في أصول الساكنة المغربية أولا، ونفي فاعليتهم الحضارية ثانيا<sup>(2)</sup>.

لذلك كانت التقارير التي ينجزها القادة العسكريون أو حتى الباحثون الفرنسيون، تحذر من الكتابات التاريخية الجزائرية التي كان رجال الإصلاح خاصة قد بدأوا فيها مع بداية الثلاثينات، بغية ردّ الاعتبار للشخصية الجزائرية والمغربية والمسلمة عموما، ففي إحدى البحوث المقدمة من طرف السيد شرفان "charvin" الذي كان يشغل منصب مدير رئيسي بالأربعاء نايت - ايراثن بتيزي وزو، حذر فيه من النشاط الإصلاحي الذي يقوم به الإصلاحيون، ومن من المؤلفين التاريخيين لمبارك الجيلالي "تاريخ الجزائر العام"، الذي قال بأن صاحبه يرى بأن الأهالي يعتبرون الشمال الإفريقي أمة واحدة، كما حذر أيضا من كتاب "الجزائر" لأحمد توفيق المدني، الذي قال عنه أنه قد رفع فيه شعار "الإسلام ديننا-الجزائر وطننا- العربية لغتنا"<sup>(3)</sup>، خاصة إذا علمنا أن السلطات الفرنسية في منطقة القبائل خاصة كانت تشن حملات شرسة على العروبة والإسلام، وتسعى لتشويه التاريخ خدمة لسياستها البربرية.

(1) رابح لونيبي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 348، 349.

(2) محمد مالكي، صورة المغرب العربي، المرجع السابق، ص 169.

(3) AWO, boîte 2260. Exposé de : charvin, influence de l'orient sur la presse de langue arabe en Algérie (tendances et programme des oulamas), mai 1936, p06.

ويذكر أحمد توفيق المدني كيف أن كتبه تعرضت للمضايقة والحجز عدة مرات، فيقول عن كتاب تقويم المنصور: "ما كاد الكتاب يوزع بالمكاتب وتتناوله أكف القراء حتى جاءني الجاسوس الرسمي الفرنسي الزيتوني... يحمل لي قرارا من الوالي العام موريس فيوليت مؤرخا بيوم 8 فيفري 1926 يقتضي تحجير تقويم المنصور ومنع تداوله وحجز ما يوجد منه في المكاتب... كذلك أصدرت الإقامة العامة الفرنسية بالمغرب الأقصى أمرها بالتحجير على تقويم المنصور، وحجز ما وجد منه في المكاتب العامة من نسخ، فلم يجدوا منها إلا النزر اليسير"<sup>(1)</sup>.

كما أن الدارس لعديد الدراسات يجد أنها نفيت تقريبا جميع معالم الحضارة والتطور أو حتى التقدم الزراعي والفلاحي بالنسبة للسكان المحلية المغاربية، فلطالما فسّر الفرنسيون أن سبب نجاح سكان المغرب القديم في الزراعة أو الملاحة، إنما مرده إلى الفينيقيين والقرطاجيين، والفترات الاقتصادية الزاخرة التي عرفوها كانت بسبب الرومان قديما والفرنسيين حديثا<sup>(2)</sup>.

## 2-1-2 تشويه تاريخ العرب والعروبة والإسلام:

راحت الكتابات التاريخية الفرنسية تشوه صورة العرب والمسلمين الذين فتحوا الشمال الإفريقي وانتزعوه من أيدي الروم، فقد غالى عديد المؤرخين ذوو القراءات الاستعمارية في ذلك، وأكدوا على أن السكان البربر الأصليين لم يقبلوا بالإسلام ولا بالعروبة ودخلوا فيه بحد السيف على حد تعبير البعض، فهذا وليام مارسى يقول في إحدى كتاباته: "...في كلتا الحالتين غزا المشرك هذا الجزء من الغرب"<sup>(3)</sup>.

فالأحكام التاريخية التي أطلقت على الفترة الإسلامية في الجزائر وعموم الشمال الإفريقي كانت تقول بأن تلك المرحلة هي مرحلة فوضى، وتخلف، وتفكك، وجمود فكري، كما اعتبرت أن الزحف العربي

(1) أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، المصدر السابق، ج2، ص81.

(2) محمد الميلي، المرجع السابق، ص17.

(3) نفسه، ص16.

الهلاكي إلى المغرب في القرن 11م كان استعماراً لم يخلف إلاّ البداوة بأن أتى على الحواضر العلمية والفكرية بالجزائر<sup>(1)</sup>، وفي هذا المجال اعتبر "غوتيه" أن الازدهار الروماني في شمال افريقيا توقف بسبب العرب وليس بسبب الوندال والبيزنطيين<sup>(2)</sup>، وأن الجزائر ماهي إلا جزء لا يتجزأ من الغرب الأوروبي، وقد عاشت عصوراً مظلمة تحت حكم المستبدين المشاركة المسلمين قبل أن يعيدها الفاتحون الفرنسيون المتحضرون والإنسانيون إليهم<sup>(3)</sup>.

فالكتابات الفرنسية الممنهجة والمدروسة، كانت تقول بتخلف المرجعية الإسلامية التي انعكست سلباً على سلوك الإنسان العربي، فالعرب المسلمون لهم صفات هجينة وسمات توارثوها أبا عن جدّ من دينهم، فالمجتمع العربي في منظور "أ. بوميل": "ذلك المجتمع كما كان قديماً، وكما وجدناه في السهول الكبرى للجزائر، فهو رهين الجمود، وغير قادر على الإنتاج الفكري...وهي صفات ملازمة له"<sup>(4)</sup>.

وطرح الفرنسيون بالمقابل بديل الحضارة الرومانية، حينما حاولوا إحياء كنيسة افريقيا الرومانية منذ دخولهم إلى الجزائر، ومنها الاحتفالات المئوية الاستفزازية سنة 1930 التي أشرنا إليها سابقاً، واحتفاليات سنة 1939، والتي كانت تعمل تحت شعار: "إن العرب لا يطيعون فرنسا إلاّ إذا أصبحوا فرنسيين، ولن يصبحوا فرنسيين إلاّ إذا أصبحوا مسيحيين"<sup>(5)</sup>.

وحتى عندما كانوا يقفون أمام عقدة واشكالية كيفية استطاعة الجنس العربي الذي تربى في الجزيرة العربية إيصال رسالته إلى مختلف الأمصار، فإنهم كانوا يحاولون اختلاق مبررات وحجج لذلك، فقد اعتبر "رينان" أن ذلك كان منعطفاً تاريخياً أو مجرد قدر اتسم بالسلبية لا غير فيقول: "شاءت

(1) ناصر الدين سعيدوني، منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص79.

(2) محمد الميلي، المرجع السابق، ص17.

(3) ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص53.

(4) فريد حاجي، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص151.

(5) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص75.

العوارض التاريخية أن تصبح الديانة الإسلامية ملكية لأجناس مندفعة إلى التعصب على غرار الإسبان، البربر، الفرس، الأتراك، لقد اتخذت تحت هذه الأيدي الجديدة، ملامح دوغماتية وقطعية عقائدية، تتميز بالتكشف والإحصاء... بمرور الزمن صارت الديانة الإسلامية تزداد انفلاتا من التبعية للجنس العربي، وهو جنس ارتيابي<sup>(1)</sup>، وصرح المستشار غاسير (gasser) بأن الجزائري سيقى متخلفا ما بقي بالإسلام متمسكا، و لن يتطور الجزائري مادام مسلما، لأن الدين الإسلامي غير متلائم مع التطور<sup>(2)</sup>.

فكل شيء أصبح في الجزائر الفرنسية يسخر من العرب، والإنسان العربي، ووصل ذلك إلى تشويه صورة "محمد عليه الصلاة والسلام"، فقد كانت تصدر مجلات وجرائد مثل سلسلة "كاقايوس"، وتفرد قصص مخصصة لذلك، فأحمد أو محمد هو شخص غبي، وساذج، وقذر، وهمجي، أما "فاطمة" فهي قليلة أدب، فأى شيء عربي دائما ما يتميز بالسوء ومجلب للضحك، وهو وحشي، وفقير، وغشاش، وشهواني، كما أن العمل العربي أو الحكاية العربية يتميزان بالرداءة ويفتقدان للجمالية<sup>(3)</sup>، وحتى تلك الكتابات الفرنسية والأوروبية المعتدلة أو التي دافعت عن الإسلام والعرب والجزائريين، قد شدد الخنق عليها، وروقت وصدورت مثل كتاب قوستاف لوبون وغيره، ففي مذكرة أمنية جاء فيها أن المقيم العام الفرنسي السابق في تونكين السيد "أوجان يونغ" يكتب كتابات يدافع فيها عن الإسلام ضد الإمبريالية الأوروبية، و ألف كتابا بعنوان: "الإسلام ومسلمو الشمال الإفريقي"، يدافع فيه عن الأهالي بمناسبة معوية الاستعمار الفرنسي في الجزائر، وخمسينية الحماية في تونس، ويضيف التقرير أن "يونغ" مدح الثعالبي والأمير خالد اللذان قاوما الإمبريالية الفرنسية، كما دافع عن الفقراء العرب،

(1) فريد حاجي، المرجع السابق، ص152.

(2) شاوشي حباسي، المرجع السابق، ص40.

(3) راجع حول الثقافة الشعبية وتحقير العربي: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، ص ص59-73.

وأضاف في الأخير أن هذا الكتاب يلقي اقبالا كبيرا من الأهالي، ويُتوقع له أن يجد نجاحا مثل كتاب  
تونس الشهيدة للثعالبي<sup>(1)</sup>.

## 2-1-3- السياسة البربرية:

سعت هذه السياسة للتفريق بين الجزائريين والمغاربة، وترويج فكرة مفادها ان الجزائر فسيفساء عرقية،  
وأن البربر الأمازيغ غير راضين تماما بالعرب ولا بالإسلام لذلك سعوا من خلال سياستهم هذه  
تفكيك البنى الاجتماعية المتماسكة خدمة للفكرة الاستعمارية "فرق تسد"، وكل هذا كله كان يندرج  
في الحقيقة لضمن مشاريع محاربة الوحدة العربية والإسلامية التي كانت قد انتعشت كثيرا في هذه  
الفترة، ويحدد شارل أندري جوليان أسس ميلاد السياسة البربرية قائلا: "...بدافع المصلحة السياسية  
لدى البعض، وباقتناع لدى الآخرين، وبنوع من المثالية عند بعض ضباط الشؤون الأهلية، شرع يتشكل  
تصور عن المجتمع المغربي يقيم تعارضا بين البربري الطيب والعربي الضال الشرير"<sup>(2)</sup>.

فقد انطلقت الفكرة الفرنسية من أن البربري أفضل من العربي، فإذا كان الثاني قد وصف بكل  
الصفات القبيحة (الكسل، النفاق، ضعف الهزيمة...)، فإن البربري المتوحش الطيب، وصف  
بالبدائية، والفضاظة، والاندفاع وراء الغرائز من جهة، وبصدقه وإخلاصه وشجاعته ولائكيته وميله  
الفطري للديموقراطية والحرية، وحبه للعمل من جهة أخرى<sup>(3)</sup>.

(1) A.N.T، série: mouvement national، carton، 23 dossier n°3، note n°1003-5، l'Islam et  
les musulmans de l'Afrique du nord، note de résidence générale، Tunis le 31 mars 1930.

(2) احمد مالكي، الحركات الوطنية والاستعمار، المرجع السابق، ص 189 نقلا عن: Charles Andrée julien، le  
Maroc face aux impérialisme (1915-1956) ، paris، jeune afrique، 1978، p99.

(3): عبد الحميد احساين، سياسة فرنسا البربرية (1913-1930)، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار - الجذور  
والتحليلات- (1904-1930)، أعمال الندوة 15، 14، 13 نوفمبر 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،  
أقادير، 1997، ص 180.

ولم تستثن السياسة المدروسة قبائل دون أخرى ، بل بالعكس حاولت قدر المستطاع في أي مكان خلق فتنة بين الأعراس، ولكن ما وجب الإشارة إليه، أنها ركزت بنسبة على قبائل زاووة ، نظرا للمقاومة الشرسة التي كانت من قبل الزواويين للاحتلال والسياسات الاستعمارية خاصة النشاط التنصيري<sup>(1)</sup>، وسهولة التسرب إليهم من جهة أخرى، ويضيف الدكتور بوعزة بوضرساية عن هذه السياسة قائلا: " لقد تطابقت نظرة السياسيين الذي يحكموا (كذا) في زمام أمور الجزائر، حتى وإن كانوا عسكريين، على اعتبار أنهم عَيّنوا حكاما عامين مع نظرة رجال الدين، ومن الآراء المتطابقة للنداءات المتعددة الصادرة من الطرفين حول حتمية إرجاع الشعب البربري إلى حضيرة الدين المسيحي باعتباره دين أغلبية أجدادهم، وما الدين الإسلامي إلا عامل دخيل عنهم، وانتزع منهم دينهم المسيحي وهويتهم البربرية بوسائل العنف، لكن الدين المسيحي قادر اليوم على ضم الشعب البربري إلى أصوله المسيحية لكونه يشكّل مع الفرنسيين شعبا واحدا"<sup>(2)</sup>.

وقد تعددت الأطروحات حول هذه القضية لكن الغاية كانت دائما واحدة، فهذا هنري بارليت يرى بأن الدين الإسلامي هو الذي وحد العرب والبربر، وهو السبب الذي يمنع الاندماج في الأمة الفرنسية، ويمكن جلب البربر إلى الأوروبيين لأنهم في نظره مستعدون للانفصال والتمرد عن تعاليم محمد عليه الصلاة والسلام<sup>(3)</sup>، لذلك عملت الادارة الفرنسية على الاعتماد على الجماعة في تطبيق الأعراف بدل الشرع الإسلامي المصدر الأساسي للتشريع<sup>(4)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المصدر السابق، ص321.

(2) بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر(1930-1962) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص174.

(3) بارليت، مونوغرافية ناحية تيارت، مجلة جغرافية الجزائر وشمال افريقية، 1912، ص ص339، 340. نقلا عن: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المصدر السابق، ص323.

(4) بوعزة بوضرساية، المرجع السابق، ص ص175-177.

ولعلنا لن نستطيع الإمام بكل القوانين، والتشريعات، وحتى الكتابات الذي خدمت هذا الطرح، لكن نستعرض بعض النماذج منها، فهذا "أندري سيرفييه" الناطق باسم الكولون الفرنسي والصحفي بجريدة لاديش بقسنطينة، اقترح تشجيع هجرة سكان زاووة إلى فرنسا بدل الشام، وربط الصلات بين سكان زاووة وفرنسا من أجل تحطيم الكتلة الإسلامية الجزائرية، لذلك صرح قائلاً: "علينا أن نقسم المعسكر الأهلي أو الكتلة الأهلية كلما أمكننا ذلك، من أجل عزل العناصر السكانية بعضها عن بعض"، وأضاف في كتابه "الإسلام وسيكولوجية المسلم" قائلاً بأن الفلسفة المسيحية هي الدين الجيد للزاووة: "بل هي الدين الأكثر جودة إذا تمكن من تحطيم وحدة المسلمين الجزائريين"<sup>(1)</sup>.

وقد حاولت السلطات الفرنسية في هذا الصدد مقاومة دخول الحركة الإصلاحية إلى قبائل زاووة وباقي مناطق القبائل، وذلك من أجل محاربة اللغة العربية والدين الإسلامي وخدمة لحركة التنصير، فبعد تأسيس جمعية العلماء كثر الحديث عن القومية البربرية والوطن القبائلي، ففي سنة 1935 كثر حديث الصحف عن مدرسة جزائرية معارضة للحركة الوهابية، خاصة لما انخرط كثير من الزواويين في المجلس الإداري لجمعية العلماء وعكفوا على خدمة شعبها، كما قال "روني باصي"<sup>(2)</sup>، أن الشاعر محمد بن محمد كان فيما يبدو يحلم "بوطن قبائلي"، وإن الحركة البربرية كانت تريد فصل الإسلام عن العروبة، و البعض تحدث أيضا عن حزب قبائلي<sup>(3)</sup>.

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المصدر السابق، ص 322، 323.

(2) أظهر روني باصي تمسسا شديدا لدراسة كل ما يتعلق بالبربر من تاريخ وعادات وتقاليد وأدب، ولم يكن يتردد بعض المرات في المبالغة في وصف البربر أو العرب بصفات أو إطلاق أحكام قد تكون منافية للواقع إما عن جهل بكل الحقائق وقراءاته الخاطئة لعديد الظواهر، أو متعمدا لخرق فرقة في المجتمع المغربي. انظر على سبيل المثال كتبه: renet basset, nedroma et les trara Ernest lerousc editeur, paris, 1901.

(3) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المصدر السابق، ص 325.

ولكن كل الدلائل كانت تشير على أن الإصلاحيين كانوا جد متفطنين لما يحاك من أجل تمزيق الوحدة الهوياتية للمجتمع الجزائري والمغاربي والعربي عموماً، فهذا الشيخ عبد الحميد ابن باديس الذي كان يوقع مقالاته باسم الصنهاجي اثباتاً لأصوله الأمازيغية، وقف بشدة ضد حركة التفريق بين العرب والبربر، وقد ألقى من أجل هذا محاضرة في مأدبة نادي جمعية العلماء حول هذه القضية الخطيرة، ونشر جزءاً منها في البصائر قائلاً: "إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء، وتولف بينهم في العسر واليسر والسراء والضراء، حتى كونت منهم منذ احقاب بعيدة عنصراً مسلماً جزائرياً أمه الجزائر وأبوه الإسلام"، ويضيف حول استحالة نجاح السياسة الفرنسية للتفريق بين العرب والقبائل: "فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم؟ لولا الظنون الكواذب والأمانى الخوادم يا عجباً، لم يفترقوا وهم الأقوياء، فكيف يفترقون وغيرهم القوي؟ كلا والله بل لا تزيدهم كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة رابطنهم... نعم اننا سنتحد لننفع أنفسنا وننفع إذا استطعنا غيرنا..."<sup>(1)</sup>.

ولنا مثال آخر في الشيخ الفضيل الورثلافي الذي ترجع أصوله لبني وثيلان القبيلة الأمازيغية، وعُرف عن الورثلافي أنه كان يتكلم الأمازيغية جيداً، لكنه نشاطه في الحركة الوطنية سوّأه باسم جمعية العلماء، أو جبهة الدفاع عن شمال افريقية، أو حتى بإسمه الخاص كان ضد هذا الطرح، فنجدته يسعى لتوضيح الصورة للعرب وحتى قناصل وسفراء الدول الغربية في الأقطار الشرقية، على أن ما يروج له في المغرب العربي من قضايا عرقية حول البربرية إنما هي سياسات لإجهاض المقاومة لا غير، ومن ثم بقاء الاستعمار لاستغلال الثروات، لذلك كثيراً ما أدلى بتصريحات أو بعث باحتجاجات وبرقيات حول السياسة البربرية<sup>(2)</sup>.

(1) عبد الحميد بن باديس الصنهاجي، ما جمعت يد الله لا تفرقه يد الشيطان، البصائر، السلسلة الأولى، ع3 بتاريخ:

الجمعة 17 جانفي 1937، ص18.

(2) راجع حوار (الفضيل الورثلافي يحدثنا عن الدين والعرق في المغرب العربي) مع جريدة بيروت، ع5333، الفضيل الورثلافي، الجزائر الثائرة، المصدر السابق، ص ص61-65. أيضاً: احتجاج جبهة الدفاع عن افريقيا الشمالية في ذكر الظهير البربري(16ماي1946)، نفسه، ص ص305،306.

ولعل السياسات البربرية اختلفت من حاكم لآخر، ومن عسكري إلى سياسي ومن منطقة لأخرى، ولكن أهدافها واحدة تقريبا، فمنها ما كان مدروسا بدقة من أجل كسر التحالفات القبلية القوية، ومنها ما كان مجرد استطلاع واستكشاف أو بحوث علمية جامعية، ومنها ما كان آراء لمثقفين فرنسيين كانوا مولوعين بالمجال البربري وطرائق العيش التي كان تطبع هذه مجتمعاته المتمسكة بالتاريخ، وقد كان "جوزيف ديبارمي" من بين أحد هؤلاء خاصة وأنه كان أحد تلامذة "رونيه باصيه"، وقد شكك في أصول البربر العرقية ووحدة الدين عندهم، لأن الحركة الإصلاحية حسبته كانت تدعو للوهابية، ووحدة اللغة العربية التي لا يفهمها الجميع، والبربر حسبته كانوا الذين يفضلون استعمال اللسان الدارج المليئ باللهجات البربرية، والخلاصة عند ديبارمي سنة 1938 أن الشمال الإفريقي يعيش بين تيارتي القومية العربية والنزعة الغربية<sup>(1)</sup>.

ومن أهداف السياسة البربرية حسب الدكتور بن نعمان، والتي بقيت متواصلة حتى بعد الاستقلال<sup>(2)</sup>:

- القضاء على الأساس الأول للهوية الوطنية المتمثل في سيادة اللغة العربية، والتي لها علاقة عضوية بالفكر والشعور، والثقافة بكل جوانبها المادية، والفكرية، والروحية، والسلوكية، والعملية.
- القضاء على الوحدة الوطنية للمجتمع الجزائري، وخلق هيكلية اجتماعية أخرى مستقلة.

ولعل المتأمل في سياسة الفرنسيين يكتشف بسرعة التناقض الذي امتازت به الإدارة الفرنسية وحكامها عبر مَرّ سنين الاحتلال في تعاملها مع هذه القضية، فالحقيقة أنها لم تكن تفضل أي جنس عن آخر سواءا عربيا أو بربريا أو أندلسيا، فكلهم أهالي من الدرجة الثالثة أو الرابعة، وقد وجبت الإشارة إلى أن البربري أو الجبلي لم يكن يسلم من السخرية هو الآخر، فقد كان بائعو الزيت منهم يتعرضون لثقب جلودهم، وكان جالبوا

(1) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المصدر السابق، ص326، 327.

(2) أحمد بن نعمان، المرجع السابق، ص43، 42.

الماء يتعرضون لكسر جوارهم<sup>(1)</sup>، فالبربري ظل مهمشا ومقصيا، فهو ذلك الساذج الطيب والوحشي في نفس الوقت، والذي دائما ما يتطلع للحرية ويستطيع أن ينتفض في وجه في فرنسا في أي لحظة.

ووقفنا نحن على آثار تلك الظواهر في المجتمع الحالي حتى في السنوات الأخيرة في تلمسان، بحيث أن الفرنسيين كانوا دائما ما يسعون لخلق شقاق بين الحضر والقبائل، وهو على سبيل المثال لا الحصر ما أحدث تنافرا بين سكان ندرومة (=الحضر من العرب والأندلسيين والأقلية اليهودية) وقبيلة جبالة<sup>(2)</sup>، أو فلاوسن أو اترارة... الخ (=البربر)، بحيث لعب اليهود دورا كبيرا في هذه المهمة القذرة من أجل خلق الفرقة والسيطرة على اقتصاديات وامتيازات المدينة بدرجة أولى، و واحكام السيطرة الفرنسية على الساكنة بعموم المنطقة، ولعنا نفسر تلك الحملات الشرسة من طرف الفرنسيين خاصة بعد وقوف غالبية عروش هذه القبائل بجانب الحاج عبد القادر الجزائري كما يجلو لسكان المنطقة مناداته، بالخصوص في معركة سيدي إبراهيم 1845، وقد سلط العذاب والقهر على الساكنة الترابية (=قبائل اترارة عامة)<sup>(3)</sup> منذ تلك الفترة عقابا لهم، وزاد حجم الاضطهاد خاصة بعد اندلاع الثورة فكان القبائلي رمزا للإرهاب والقذارة، والتخلف، والعنف<sup>(4)</sup>، وربما نجد نفس الشيء بين تلمسان الحاضرة وبني سنوس القبيلة، بحيث كانت دائما تلك النعرة متواصلة،

(1) أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4، المصدر السابق، ص66.

(2) الصراع كان أيضا مع قبائل بني واسين الهلالية، فمثلا العرب ينادون الجبليين ب "القبائل"، والجبليون ينادون قرى العشاش ومغاغة وسيدي بوجنان.... الخ ب "الغريبات"، وإذا تزوجت امرأة عربية في جبالة فإنها تسمى ب "العُربِيَّة" مباشرة، وقد لا تنادي باسمها إلا نادرا، وذلك لتمييزها عن ساكنة الدشرة، ولم يكن هذا التصرف عنصريا بقدر ما كان وقوفا على عادات، وتقاليد، ولهجة جديدة لا تتشابه مع لهجة جبالة.

(3) مصطلح اترارة هو جمع لكلمة تراس، وهي تعني الرجل الشجاع الباسل، ففي اللهجة المحلية لسكان المنطقة يقال للرجال "الترارس" أي الشجعان، ولعلها شاعت خلال فترة مقاومة الإسبان مع بدايات القرن 16م وتأسيس فدرالية اترارة بزعامة سيدي عبد الرحمن اليعقوبي(1548م)، وهذا المصطلح كان شائعا كثيرا في الثورة بين المجاهدين شأنه شأن "الخاوة". حوار مع المجاهد:

مشماش الميلود، قرية زورانة ماي2013.

(4) تعمقت الهوة أكثر في الثورة التحريرية بين سكان هذه المناطق خاصة لما دخل الكثيرون في حلف الفرنسيين، وهو ما جعل

الصراع ينشب بين سكان المدينة والريف ليس في المنطقة التي نعنيها فقط بل في عموم القطر الجزائري. أنظر: l'écho

d'Oran ,n30374-lundi3novembre1955 p1/n 30379- mercredi9novembre1955,p1.

فالحضري يرى في الجبلي شخصا ساذجا ووحشيا وغير متعلم يسهل خداعة، والجبلي يرى في الحضري ذلك الناعم والحبيث المخادع في تجارة القماش<sup>(1)</sup>.

ولذلك فإن سلطات الاستعمار استمرت في توسيع مجالات السياسة البربرية، وتنوع مظاهرها منتشية ومحتفية بحصيلة قرن من الحضور الفرنسي في المغرب العربي، ويستخلص الدكتور أحمد مالكي ثلاث خلاصات من هته السياسة وهي خلاصات مركزية حكمت السياق الفكري والإيديولوجي الذي صيغت ضمنه السياسات البربرية في المغرب الأقصى بوجه خاص والمغرب العربي عموما:

- الإقرار بوجود تناقض سديمي بين العرب والبربر.
- وبناء على هذا الاختلاف في التكوين العرقي التاريخي، هناك دعوة لتفضيل الجنس البربري على نظيره العربي وذلك لقابليته، وتقدير الاستعمار، وعلى التطور المدني والحضاري.
- استعداد البربر واكتسابهم الأهلية بالاندماج بالمجتمع الفرنسي سياسيا واجتماعيا وكذا ثقافيا<sup>(2)</sup>.

هذا ووجب الإشارة إلى أن السياسة البربرية أو سياسة التفريق لم تطبق فقط في الجزائر، بل في عموم أقطار المغرب الخاضعة للاستعمار، وبشكل كبير في القطر المراكشي (=الظهير البربري ماي1930)، وذلك من أجل تجزئى المجرى، وتقسيم المقسم من أجل اجهاض مشاريع الوحدة الداخلية أولا وقبل كل شئ، ثم خلق النزعات البربرية في صفوف القادة ومناضلي الحركات الوطنية، كما رأينا مع حركة الانتصار، ثم بكل أعم عزل المغرب العربي عن العالم العربي الإسلامي، وترسيخ قناعة مفادها أنه لا علاقة إطلاقا بين جناحي المشرق والمغرب.

(1) حوار مع الشيخ بخلف البوعناني، مدرس بمدرسة جمعية العلماء "عبد المومن بن علي" بندرومة، بيته بمغنية: أبريل2014.

(2) أحمد مالكي، الاستعمار، المرجع السابق، ص190.

## 2-1-4- السياسة التعليمية الفرنسية:

عملت الإدارة الفرنسية منذ دخولها إلى الجزائر خصوصا و الشمال الإفريقي عموما، إلى اتباع سياسة تعليمية خاصة لفرض وجودها الثقافي بعد أن فرضت وجودها العسكري، فأول ما بدأت هو تحطيم المنشآت الدينية من مساجد، وكتاتيب، ومدارس، وزوايا، وتحويل بعضها إلى كنائس، و حرق ونهب الكتب والمخطوطات، وتقتيل العلماء والفقهاء، وطردهم، وتشديد الرقابة عليهم، كما استولت على أراضي الوقف والحبوس والزكاة وغيرها من وسائل الدعم المادي التي كانت العمود الفقري لتلك المؤسسات العلمية التقليدية، والتي صانت الهوية الجزائرية لعدة قرون، كما سعت فرنسا من خلال هذا إلى تجهيل الشعب الجزائري وخلق قطيعة مستدامة مع ثقافته وماضيه، لكي تسهل عملية السيطرة عليه، وفي المقابل تضاربت السياسات الفرنسية بمرور الزمن حول مسألة تعليم الأهالي بين تعليم اللغة الفرنسية، والرفع من المستوى الثقافي للجزائريين لتسهيل عملية السيادة فيهم، أو حتى إدماجهم كما كان يرى البعض هذا من جهة ، ومن جهة أخرى رأت بعض الأطراف أن عملية تعليم وتنقيف الجزائريين، هو خطر على فرنسا ووجودها، لأن التعليم يضمن الاضطلاع أكثر على ما يجري، وهو كفيل بإحداث ثورات قد تُخرج فرنسا من الجزائر.

وبالرغم من كل السياسات المتبعة من طرف الإدارة الاستعمارية لعدة عقود، إلا أن تسرب أفكار الجامعة الإسلامية، والوحدة العربية، وتنامي فكرة الوحدة المغاربية قد اخلط الحسابات، فأصبح السياسيون والعسكريون يلعبون على كل الجبهات من أجل احتواء الخطر، لذلك كان التعليم أبرز المستهدفين من تلك العملية.

أصر المعمرون على رفض كل المشاريع الهادفة لإنشاء مدارس خاصة بأبناء الجزائريين وبالخصوص مع أبواب الحرب العالمية الأولى، لكنهم كانوا من أنصار مؤسسي تعليم مهني أو زراعي، عملي و تطبيقي ليكون لديهم أعوان يخدمون مصالحهم، فعكفوا على تحويل المدارس المتواجدة إلى مدارس خيام écoles

courbis أو ملحقات، فكانت نسبة القبول تعادل 4.3% من مجموع الأطفال الذي كان في عمرهم سنة 1908 و 5% سنة 1914 من 850000 تلميذ في سن الدراسة ، و 6% سنة 1929، أي 60644 من مجموع 9000000 تلميذ، أما مستوى التعليم الثانوي فكان لا يقبل سنويا من الجزائريين إلا معدل 84 تلميذ قبل سنة 1890، و 150 تلميذ قبل سنة 1914 السنة التي عرفت نجاح 34 جزائريا في البكالوريا و 12 في الليسانس ، وهذا دليل علي فداحة النقص في تعليم الجزائريين ، فكانت الاعتمادات الموضوعة للجزائريين لا تساوي إلا ربع أو خمس الاعتمادات المقررة لتعليم الفرنسيين<sup>(1)</sup> .

وحتى المدارس الشرعية التي أسسها الفرنسيون في تلمسان، والجزائر، وقسنطينة لم يكن مدرسوها مؤهلين حسب الدكتور مرتاض عبد المالك، فهم بدورهم درسوا علي يد المستشرق "هنري بيربي" فلم يكونوا يعرفون العربية جيدا ولا يؤمنون بالحضارة العربية<sup>(2)</sup>، فقد أسست تلبية لمناصب العبادة كالأئمة، والفقهاء، والمفتين والحزّاب والمحاكم الإسلامية، كما كان هدفها منذ الأول السيطرة على التعليم، وإظهار النوايا وتبييض الصورة الفرنسية على أنها تخدم العلم والإسلام واللغة العربية<sup>(3)</sup>، وفوق كلّ هذا فإنها وضعت تحت الرقابة المشددة، وكانت تسمح لبعض الطلبة فقط بالدراسة فيها ممن يتمتع أولياتهم بامتيازات أو وظائف حكومية، وقد هدفت أيضا إلى الحد من التأثير الخارجي للمدارس الكبرى والمساجد كالقرويين(المغرب)، والزيتونة(تونس)، والأزهر الشريف(مصر)، التي كانت تعد مركزا هاما لأفكار القومية العربية، والجامعة الإسلامية والوحدة المغاربية ، وكذا مواجهة اشعاع المدارس الحرة، والزوايا العلمية الحقيقية ، ومن تمّ تكوين

(1) الطاهر زرهوني، المرجع السابق، ص22.

(2) عبد المالك مرتاض، الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر قبل الثورة، مجلة الأصالة، ع5، س1، الجزائر، نوفمبر

1971 ص111.

(3) محفوظ قداش-الجيلالي صاري، الجزائر في التاريخ (المقاومة السياسية 1954-1990)، الطريق الإصلاحي والثوري، ترجمة:

عبد القادر حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص229.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجدوية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

طبقة معينة تلعب دور الوسيط بين الإدارة الفرنسية والأهالي<sup>(1)</sup>، لذلك جاء عمل هذه المدارس كما وضع أحد نواب البلديات بقوله: "طريقة تشكيل الشباب الأهالي على نسق عاداتنا، وتقاليدينا ولغتنا، لا يكون عن طريق إنشائهم في مؤسسات خاصة لوحدهم"<sup>(2)</sup>.

وفي المقابل كانت عملية تشديد الخناق على المدارس والمدرسين متواصلة، وأصدرت عدة مراسيم بشأن ذلك، ومنها قضية الرخص التي كانت مفروضة من أجل التدريس<sup>(3)</sup>، ففي 22 جويلية 1945 أصدرت السلطات الفرنسية قرارا يفرض على كل معلمي اللغة العربية معرفة اللغة الفرنسية كشرط أساسي لتوظيفهم في التدريس، وذلك للقضاء على الجهاز العربي و تحطيمه، و تكوين نخبة مثقفة فرنسيا من جهة أخرى، تكون لها تبعية فكرية. أو يصابون بما سماه "جول غوتي" البوفارية العقائدية<sup>(4)</sup>، ويقول في هذا الصدد ألبير مامي متحدثا عن تعليم أبناء الأهالي في المدارس: "الذاكرة التي يتم توفيرها له لن تكون بالتأكيد ذاكرة شعبه، والتاريخ الذي يتم تعليمه له لن يكون تاريخه، فَلَسَوْفَ يعرف من يكون (موليير وكرومويل) وليس خرندار، ولماذا كانت (جان دارك) وليس الكاهنة... فهو وبلاده معلقان في الهواء أو لا يوجدان إلا بالقياس مع الغولوا (gaulois) والفرانك (franc) والمارن (marne)، وبالقياس لما ليس هو: إلى المسيحية، وهو ليس بالمسيحي"<sup>(5)</sup>. فكانت بذلك مشكلة التعليم بالجزائر مشكلة أجيال الجزائر كلها، بحيث عشتت الأمية بينهم ولم تكن لتقل عن 95% بين الرجال وعن 99% بين النساء<sup>(6)</sup>، ويؤكد المؤرخ تركي رابح بأن القلة

(1) رابح دبي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، المرجع السابق، ص 115.

(2) كمال خليل، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور (1850-1951)، مذكرة ماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص ص 98، 99.

(3) أحمد بن نعمان، مقاومة المجتمع الجزائري لسياسة الفرنسية، مجلة الثقافة، ص 9، ع 52، جويلية-أوت 1979، ص 62.

(4) قريشي محمد، المرجع السابق، ص 120.

(5) ألبير مامي، صورة المستعمر، توطئة: عبد الزيز بوتفليقة، ترجمة: سمير سطوف، مراجعة وإشراف: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2007، ص 109.

(6) تركي رابح، وضعية النساء والفتيات الجزائريات في التعليم في عهد الإحلال وبعد الاستقلال، مجلة الثقافة: مجلة تصدرها وزارة التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص 128.

القليلة التي أتاح لها الاحتلال فرصة التعليم لم تتجاوز 5.1% من الرجال، و2.6% بين النساء<sup>(1)</sup>، وهما نسبتان قليلتان جدا بالمقارنة مع ما كان عليه المجتمع الأوروبي بالجزائر.

وقد وقفنا في أرشيف ولاية وهران على علبة هامة تحوي عدة وثائق وتقارير عن العمالة الوهرانية، ولكل منطقة ملف خاص بها (تلمسان، وهران، تيارت، مستغانم، سيدي بلعباس، معسكر)<sup>(2)</sup>، وقد استطعنا أن نعرف عن قرب حجم المضايقات التي كان يتعرض لها رجال الإصلاح والنشاط الإصلاحي بصفة عامة في كل الشُّعب التي كانت تؤسس وتنوي القيام ببناء مدارس، خاصة في أواخر الأربعينيات وبدايات الخمسينيات<sup>(3)</sup>، وكانت تلمسان حسب اطلالنا المتأنيئة لتلك الوثائق هي الأكثر تتبعا من طرف السلطات الفرنسية<sup>(4)</sup>، ونرجع ذلك في رأينا لعدة أسباب لعل أبرزها هو انشاء دار الحديث (=القطب الإصلاحي في مواجهة التيار الصوفي المنتشر كثيرا بالغرب الجزائري) مبكرا بها، والتي استطاعت أن تبث الفكر الإصلاحي بالمناطق المجاورة لها، خاصة لما كان الشيخ البشير الإبراهيمي مديرا لها، فاعتبرت تلمسان بذلك عاصمة الحركة الإصلاحية في الغرب آنذاك، فيمكن أن نجد مدارس في قراها وأحوازها النائبة والمعزولة، بينما قد لا نجد ولا مدرسة في مقاطعات أو مدن كبيرة أخرى بمناطق أخرى، وهو ما يعكس النشاط الإصلاحي والسياسي الذي كانت تتميز به تلمسان في هذه الفترة.

(1) تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص93.

(2) Awo, boi 6987, les chemises de :tlemcen, Oran, mascara, tiaret, sidi belabbese.

(3) في مارس 1938 صدر عن حكومة شوطان قراران بموجبهما تتم فرض عقوبات على كل من يباشر التعليم العربي بدون

رخصة، وفي المقابل كانت الحكومة تمنع منح الرخص. أنظر: أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص38. نقلا

عن: الشهاب، ماي1938.

(4) للأسف الملف الخاص بتلمسان كان ممزقا ومبعثرا، فبالإمكان أن نجد وثائق في ملف وهران أو سيدي بلعباس أو مستغانم،

وهو ما يشكل صعوبة كبيرة بالنسبة للباحثين، فعدد الوثائق مفقودة وربما حتى مسروقة، نظرا للإهمال وسوء التسيير.

وتوجد تقارير عدة عن مغنية<sup>(1)</sup>، وسبدو، والشولي<sup>(2)</sup>، وعين غرابية<sup>(3)</sup>، والحناية، وندرومة، فعلى سبيل المثال و حسب مراسلة من مدير المصالح المدنية لندرومة إلى نائب حاكم تلمسان، بتاريخ 9 نوفمبر 1953 حول النشاط الذي كان يقوم به عبد الوهاب بن منصور مدير مدرسة عبد المؤمن بن علي التابعة لجمعية العلماء (ندرومة)، فإن هذا الأخير قد كشف وفضح عمل الوشاة الذين كانوا يوصلون الأخبار ويسجلون

(1) Awo, boi6987, I12, chemise tlemcen ,rapport de la police de marnia n17/5, maghnia le 17janvier1949. - يوجد على سبيل المثال لا الحصر تقرير من طرف شرطة مغنية حول نشاط العلماء في مغنية بمناسبة احتفالية المولد النبوي (حفلة ترفيهية)، يسلط الضوء على عدد الحضور الذي بلغ 500 شخص بقاءة السينما، كما يذكر بأن شخصيات من أحزاب مختلفة جاءت وحضرت الحفل مثل: بن سلطان احمد ولد موسى (حزب البيان) - بسعود محمد واسطي (الحزب الشيوعي) - صديقي الشيخ ولد بوعزة (حركة الانتصار) وشخصيات أخرى، وقد تناول الحفل مواضيع عدة.

(2) Awo, boi6987, I12, chemise tlemcen ,rensiement de services des liaisons nord-africains, Oran ,le 17avril1952.et: rapport de ladministrateur de commune mixte de sebdou, tlemcen le 7juin1952. - عثرنا على مراسلتين حول هذه المدرسة الأولى من محافظة وهران، مصالحة العلاقات الشمال افريقية، حول تشكيل شعبة لجمعية العلماء بدوار الشولي التابعة للبلدية المختلطة لسبدو، وفق ما ذكرته البصائر بتاريخ 14 جانفي 1952، والشعبة تتكون من : دريس مزيان ولد عبد الرحمن، وهلال موسى، ومقراني بن بلقاسم الذين يبنون بناء مدرسة مستقبلا. والثانية من الإدارة المركزية لبلدية سبدو إلى السيد نائب حاكم تلمسان حول انطلاق مشروع بنائها بالاضافة إلى احتواء مجلس ادارتها على أسماء جديدة.

(3) Awo, boi6987, I12, chemise Tlemcen, rapport de ladministrateur de commune mixte de sebdou, tlemcen le 8avril1952 - اضطلعنا على مراسلة مبعوثة من طرف الإدارة المركزية لبلدية سبدو المختلطة إلى نائب حاكم تلمسان ، بشأن تأسيس شعبة جديدة لجمعية العلماء في دوار عين غرابية(بني هديل)، والمراسلة تقول بأن هناك استبيان باللغة العربية مرسل من طرف مكتب جمعية العلماء بالجزائر إلى ممثلها في عين غرابية المسمى علي يحيياوي، مرفق بترجمة له بالفرنسية، وهو من شأنه حسب المراسل أن يطلعنا على عمل هذه الشعبة المأسسة حديثا، هذا وبودنا أن نشير إلى أن هذه المدرسة كانت تقدم دروسا في الوطنية كما تقدم دروسا عن الوحدة المغربية، وتهتم بما يحدث في تونس والمغرب خاصة وأن هذه المنطقة قريبة من الحدود المغربية، ولعبت أثناء الثورة دورا مهما في عملية تمرير الأسلحة، وقد درس فيها الشهيد لواج محمد المدعو فراج(استشهد 1960 مع العقيد لطفي بيشار)، الذي ينتمي إلى المنطقة. مداخلة. د: محمد بلقاسم، اليوم الدراسي "عين غرابية-منطقة الشهداء"، 20 أوت 2016، تنظيم: المتحف الجهوي للمجاهد، قصر الفنون والمعارض(تلمسان)، بمقر المكتبة العمومية للمطالعة -عين غرابية(تلمسان).

المخالفات ضد بعض المدارس الحرة ومديريها الإصلاحيين، وقال لهم بأنكم خارجون عن الإسلام ولا دين لكم، وكان يقصد بذلك الأغا بلعابد وبغدادى عبد السلام وأبان كراهيته للموالين لفرنسا، ويضيف التقرير بأن تدابير استعجالية وحاسمة اتخذت لأن المجال أصبح خطيرا، خاصة بعد هذه العملية ضد قائد مسلم من قيمة الأغا بلعابد كما اعتبرته الإدارة، وأضاف التقرير بأن عبد الوهاب بن منصور إذا بقي حرا لبعض الوقت سيكون عمل وموقع الجدّ المخلصين من أصدقاء فرنسا عسيرا<sup>(1)</sup>، كما توجد أيضا عدة تقارير حول النشاط الإصلاحى في الغزوات، وجباله<sup>(2)</sup>، وغيرها من المناطق الأخرى وهو ما يدل على عزم فرنسا محاربة اللغة العربية والإسلام، وبالتالي عزل الجهود وتشتيت المجموعات لخلق فرقة، وقد كنا وضحنا أن الفرنسيين سعوا للفرقة الداخلية لأن تكفل اجهاض المشاريع الوجودية الخارجية سواء العربية الإسلامية أو المغاربية<sup>(3)</sup>.

كما رأى الخبراء في هذه السياسة من جهة أخرى، أن إحلال العربية العامية مكان الفصحى كفيلا للدفع بهذه الأخيرة إلى التآكل، لذلك شرع في عملية صياغة كتب تعتمد الدارجة التي من شأنها أن تقلل شأن اللغة العربية الفصحى التي هي لغة القرآن والعلوم الدينية، كما ضمنت نصوص من الثقافة الشعبية في هذه

(1) Awo, boîte6987, I12, chemise Tlemcen, rapport de l'administrateur des services civils chef de la c.m de nedroma, n245/s, nedroma le

9novembre1953. اشتغلنا على مقال حول "الشيخ عبد الوهاب بن منصور وجهوده الإصلاحية بمنطقة ندرومة. 9novembre1953. وضحيتها" في اليوم الدراسي: "الدور التعليمي والتربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تلمسان ونواحيها" 19أفريل2016. قسم التاريخ، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان (لم ينشر بعد).

(2) اشتغلنا سابقا على مقال حول هذه الشعبة التي بنت مدرسة ولكنها لم تفتح، لأن حزب الشعب (حركة الانتصار) بالمنطقة اخترقها وأراد فتحها باسمه، فتفطنت السلطات الفرنسية لذلك منعت أصحابها، وكادت أن تحدث مجزرة في منطقة الطرارس(جباله) آنذاك. للاستزادة راجع مقالنا: بن عبد المومن إبراهيم، المدرسة التعليمية الحرة في منطقة جباله بين التيار الإصلاحى والتيار الاستقلالي الثوري(1951-1953)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع7، السداسي الأول، 2016، صص100-116.

(3) للاستزادة حول هذا الموضوع راجع: اللغة العربية من محنة الكولونيات إلى إشراقة الثورة التحريرية، مؤلف جماعي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر، 2007.

الكتب المدرسية من أجل فلكلرة (=الفلكلور) الثقافة الإسلامية، وحتى لا يشعر المتعلم أن التعليم الذي يتلقاه بعيد عن محيطه الأسري ووسطه الاجتماعي<sup>(1)</sup>، ونذكر بعض المؤلفات التي كانت تستعمل لذلك الغرض:  
- جوزيف ديسبارمي، كتاب الطريق المستقيمة لتعليم لغة العامة، ط2، مطبعة جوردان، الجزائر، 1907 (موجه لأقسام السنة الخامسة ابتدائي).

Arabe dialectal après la méthode directe, 2ed, a Jourdan, alger, 1907

- الصوالح محمد ولد معمر، كتاب البادي في قراية العربية الملحونة في الجزائرية للنصاري، ط7، مطبعة تيبو وجول كارنابول، الجزائر، 1937 (خاص بتلاميذ المدارس الأدبية والتجارية والفلاحية).

Soulah mohamed, cours élémentaire d'Arabe parle, imp., la typo litho et jules carbonel réunies éditeur, 1937.

ونستعرض نموذجاً من هذه النصوص والذي يدعو صراحة للكراهية والفرقة بين العرب والقبائل والذي يقول: "عرب التلّ وعرب الشراقة وعرب الصحراء والقبائل الكلّ يتكلموا بالعربية لايتيّ يبدلوا الكلام ويغيروا الحروف والكلام دايم راجع لكلام ناس التلّ على خاطر عرب التلّ هم العرب الصحاح... كان واحد العربي سأل قبائلي قال له ضربك فلان؟ جاوبه القبائلي: طربني حتى طربني طهري. أم ناس الصحرا كان صحراوي وصى خوه قال له: ياقانم ما ما تنزل شي غرب اتل يدي ليك يا كيتك ولد غادي قلمك يعني يا غانم ما تنزل شي قرب التل ليضح يدي ليك ولد قادي غتمك يعني امال انتاعك"<sup>(2)</sup>.

(1) فريد حاجي، السياسة الثقافية، المرجع السابق، ص 323، 324.

(2) فريد حاجي، المرجع السابق، ص 329.

## 2-1-5- سياسة الاندماج:

مهما تحدثنا عن السياسات الفرنسية خاصة فيما عُرف في الأدبيات الفرنسية والجزائرية "بالإدماج"، فإننا لن نوفي هذا المجال حقه، وذلك نظرا لقدم هذه السياسة في الجزائر بقدوم الاستعمار الفرنسي، ولكثرة المراسم والقوانين التي كانت تُصدر كل مرة خدمة لذلك الغرض، لذلك يجب أولا وقبل كل شيء أن نوضح حقيقة مفادها أن فرنسا كانت متناقضة في تعاملاتها، وتشريعاتها، وقراراتها فيما يخص تسيير مستعمرة الجزائر، فهي من جهة ضد أن حرية للجزائري(=الأهلي) من جميع النواحي، لأنه وبكل بساطة لا يمكن أن يصل إلى مصاف الكولون، وهي من جهة أخرى تحاول دمجها في الحياة الفرنسية لكي يسهل التعامل معه وترويضه لتخفيف وطأة الثورات، والمقاومات، واسكات الأصوات الداخلية(=الحركة الوطنية) والخارجية(=ضغوطات الهيئات والتنظيمات الدولية حول طريقة تسيير فرنسا للمستعمرات) .

وقد تسببت سياسة الإدماج على مر الحكومات المتعاقبة في حدوث صراعات مختلفة حول تبعات تلك النظرة، فلاهما الجزائريون كانوا راضين بها لأن الإدماج خطر على الوطن، و الدين، والهوية، ولا هم الفرنسيون (=الكولون خاصة) كانوا يقبلون بأن تساوى حقوقهم ووجباتهم مع الأهالي، الذي كانوا يعتبرون أقل مستوى منهم على جميع الأصعدة، فالاستعمار الفرنسي قد كرس حالة الفرقة بين المجتمع الجزائري والوجود الفرنسي في الجزائر، فاستحالت السياسة الاندماجية التي رصدتها الإدارة الاستعمارية في الظاهر للجزائر، وبقي الوضع عبارة عن كتلة من الأوروبيين، وكتلة من المسلمين تتباين إحداها عن الأخرى ولا تربطهما روح جماعية مشتركة<sup>(1)</sup>، ولكن هذا لا ينفي من أن هناك فعلا سياسات خصصت وأتت أكلها بالفعل، خاصة على مستوى تفكير بعض النخب الجزائرية، والتي ذهبت وراء التيار وهو ما نجده في الانعكاسات في الشق الثاني من هذا الفصل.

(1) نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة، المرجع السابق، ص458.

فلقد فتحت أبواب التجنس " التمتع بالحقوق الفرنسية" منذ قانون السيناتوس كونسولت 14 جويلية 1865، وتطورت الأمور منذ قوانين فيفري 1919، وأصبح للمسلم الجزائري الحق في طلب الحقوق الفرنسية، لكن بشرط التخلي عن الأحكام الشرعية الإسلامية، لكن هذه الخطوات لم تلق استجابة من الجزائريين واعتبرت خطرا على الدين والهوية خاصة لما كان العلماء شديدي التحذير منها<sup>(1)</sup>، ولعل التجنيس كان من أخطر السياسات المقترحة لإدماج الجزائريين في فرنسا، واحتواء الوضع المتأزم فيها منذ نهاية الحرب العالمية الأولى.

ولعلنا عندما نتكلم عن المشاريع الادماجية في هذه الفترة نركز بصفة كبيرة على مشروع بلوم فيوليت الذي خصص لهذا الغرض، فلقد انتقد موريس فيوليت السياسة الفرنسية في الجزائر متهما إياها بالظلم، قائلا بأننا إذا لم ننصف الجزائريين، ونسرع في إدخالهم في العائلة الفرنسية، متساوين في الحقوق والواجبات، فإنهم سيندفعون في الميدان الاستقلالي التحريري وعندئذ تخسر فرنسا أرض الجزائر نهائيا<sup>(2)</sup>، وهي سترتكب خطأ كبيرا إذا لم تتحرك لإجراء تغييرات في الوضع، وأضاف أن استمرارها بدون تغيير سيشكل خطرا قاضيا على مستقبل إمبراطورتنا الإفريقية<sup>(3)</sup>، لذلك جاء بمشروع بلوم فيوليت (1925-1927) الذي يتضمن إصلاحات في جميع المجالات، لكن رفض الكولون للحركة التي قام بها فيوليت بالإضافة إلى الزيارة التي قام بها وزير الداخلية "مارسال ريني" إلى الجزائر، ألغت مشروع فيوليت الذي وضعه سنة 1931 وشددت من الإجراءات القمعية والزجرية<sup>(4)</sup>.

عندما صعدت الجبهة الشعبية على الحكم فإن أهم شيء طرحته هو إعادة إحياء مشروع فيوليت، وحسب الدكتور سعد الله فإن هذا المشروع هو في الواقع لا يخرج عن تنفيذ خطة دمج الجزائر في فرنسا بصورة

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 438.

(2) أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 138.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 18.

(4) شارل أندري جولييان، افريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 146.

تدرجية<sup>(1)</sup>، كما أنه يرمي إلى "التفريق بين مشمولات المواطنة بفضل الحقوق السياسية عن النظام الخاص"<sup>(2)</sup>، وقد أراد فيوليت أن يتخذ من النخبة الجزائرية الفرنكوفونية والمتخرجة من المدارس الفرنسية طريقا لتحقيق عملية الإدماج، ولكن بدون مطالبتها بالتنازل عن أحوالها الشخصية الإسلامية كما كان في سنة 1865<sup>(3)</sup>، فحسب شارل اندري جوليان و سعد الله، لو نجح ذلك المشروع لأصبح 21000 جزائري يتمتعون بالجنسية الفرنسية، ولهم نفس الحقوق والواجبات مع الأوروبيين، كما كان بالإمكان لذلك العدد أن يتضاعف كل سنة، وهو ما من شأنه أن يكون سدا منيعا يقوي دعوات الوحدة العربية والمغربية التي كانت منتشرة في الجزائر، وذلك بإقامة جدار من الفرنسية بين تونس والجزائر<sup>(4)</sup>، لذلك بدت الصحف الداخلية والخارجية مهتمة كثيرا بالحدث، فكتبت صحيفة التايمز البريطانية بتاريخ 9 مارس 1938 تقول بأن المشروع الذي تقدم به السيد "ألبير صارو" وزير الداخلية إلى البرلمان بعد فشل مشروع "بلوم فيوليت"، هو مشروع تُعطى بموجبه نفس الحقوق مع المعمرين لحوالي 27 ألف جزائري، وأضافت الصحيفة أن ذلك كان لمنع المثقفين المسلمين الجزائريين من الانجذاب نحو حركة الجامعة الإسلامية، أو القومية العربية<sup>(5)</sup>.

وبالرغم من أن المشروع فشل في الأخير لأن شريحة كبيرة من الكولون، وشيوخ البلديات، وشخصيات فرنسية بالإضافة إلى نجم شمال إفريقيا وقفت ضده، إلا أنه استطاع أن يجذب إليه عدد كبيرا من المثقفين خاصة من النواب المنتخبين الذي تحمسوا له تحمسا شديدا، بالإضافة إلى جمعية العلماء التي دخلت كطرف مفاوض فيه هي الأخرى، لذلك كانت له انعكاسات خطيرة على الرؤى والتوجهات الوطنية، والتكتلات الإقليمية في تلك الفترة وهو ما سنراه لاحقا.

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، المصدر السابق، ص29.

(2) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص148.

(3) سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص30.

(4) شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص149.

(5) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص77.

## 2-1-6- مشروع الاتحاد الفرنسي:

عرفت السياسة الفرنسية في الأربعينات تشدداً لم يسبق له مثيل، وتشبثاً لا نظير له بالمستعمرات، فالحرب العالمية الثانية التي خاضتها كانت تستلزم عليها التمسك بالشمال الإفريقي أيما تمسك، باعتباره الخزان الكبير الذي يدعم فرنسا ودول الحلفاء بالموارد البشرية والمادية، وخاصة بعد عملية الإنزال (طورش 8 نوفمبر 1942)<sup>(1)</sup>، لذلك كان من المستحيل على أطراف الحركة الوطنية التكلم عن الاستقلال، أو الوحدة المغاربية أو العربية، لأن غالبيتهم قد أودع السجن والمعتقلات، ومن تبقى منهم لم يكن ليجرؤ على ذلك، لأنه يعد جريمة لا تغتفر في نظر فرنسا التي أصبحت عاصمتها الجزائر بعد سقوط باريس (جوان 1940)، وفي هذا السياق سعى ديغول أثناء الحرب لتأمين ما اعتبره حقوقاً فرنسية في البلاد الواقعة ما وراء البحار والتابعة لها، حتى لا تدخل في المساومات إن انتصر الحلفاء في الحرب، لذلك وقع بموجب ذلك قراراً في 7 أوت 1940 مع ونستون تشرشل رئيس الحكومة الإنجليزية من بنوده عمل بريطانيا العظمى على عودة حدود فرنسا وتخومها إلى ما كانت عليه سابقاً، لحفظ استقلال وعظمة فرنسا<sup>(2)</sup>، ولكن كان ذلك القرار في الحقيقة يهتم باحتواء الجزائر لمنع تسرب الدعاية النازية<sup>(3)</sup>، وبعدها الأمريكية<sup>(4)</sup> قبل الدعاية العربية والإسلامية.

(1) حتى حكومة المارشال بيتان التي وقفت مع النوايا كانت ترفض بتاتا التخلي عن الجزائر او مستعمراتها، أنظر: بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، المصدر السابق، ص 132.

(2) لزهرة بديدة، الحركة الديغولية في الجزائر (1940-1945) من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010، ص 52.

(3) تكلمنا سابقاً في الفصل الثاني عن الدعاية النازية في الجزائر، وتأسيس "الكارنا" التي حاولت أحداث ثورة في الشمال الإفريقي والتنسيق مع الألمان، وقد كلف ذلك اعدام القائد العام للكشافة محمد بوراس سنة 1941 من طرف الجنرال "فافيان".

(4) من المعلوم ان أمريكا كانت تحاول أن تستغل الفرصة لبث دعايتها هي الأخرى بين الجزائريين، فقد استقبلت مطالب البيانيين، واستقبل "روبار مورفي" الممثل الشخصي لروزفلت فرحات عباس وأصغى لمطالبه اتجاه فرنسا، وخاصة فيما يخص تطبيق مبادئ ميثاق الأطلسي. انظر: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 312.

ومع ذلك كان لا بد من مواصلة سياسة فرنسا الإسلامية التي كانت دائما تلجأ إليها فرنسا في الأزمات لدحر الأخطار المحيطة بها واستقطاب أكبر عدد ممكن من المساندين، وفي هذا السياق وجه الأميرال "فرانسوا درلان" نداء إلى مسلمي الشمال الإفريقي بتاريخ 11 ديسمبر 1942، معلنا أنه بموجب اتفاق مع مسلمي مصر وليبيا، يجب العمل على إفشال محاولات دول المحور في المنطقة، وقد تقرر تجنيد جيش عصري كبير لتحرير تونس والسواحل وطرابلس من النازية والفاشية، كما يضيف النداء مؤكدا على أن التاريخ يشهد لفرنسا عدم تخليها عن واجباتها اتجاه المسلمين، وأنه بإعانة من الله ستنتصر فرنسا ومعها الإسلام مجتمعين<sup>(1)</sup>، لكن هذا لم يكن يعني أبدا اتباع سياسة اللين اتجاه تلك المستعمرات وبالخصوص الجزائر التي عرفت تقديم وثيقة البيان التي صاغها فرحات عباس وأمضاها كثير من قادة الحركة الوطنية، فقد أعلن الجنرال "كاترو" الذي مسك الحكومة العامة في جوان 1943، وأوضح قائلا بأن كل المحاولات التي لا ترمي إلى الإبقاء على الوحدة الكاملة بين الجزائر وفرنسا سيكون مآلها الرفض لأن الجزائر جزء لا يتجزأ من فرنسا<sup>(2)</sup>، وحتى الوالي العام صرح لإحدى الجرائد الفرنسية مهاجما الوحدتين العربية والمغربية و مؤكدا على تشبث فرنسا بالجزائر، وتونس، والمغرب الأقصى موضحا بأنه "يجب على افريقيا الشمالية أن تتخلص من جاذبية المشرق لتتورق في فلك فرنسا، ولا يمكن للمحميتين في افريقيا الشمالية أن تقحما إلا في كنفدرالية للأراضي الفرنسية، دون أن تعرضا عن شخصيتهما القومية"<sup>(3)</sup>.

وبالرغم من أن ندوة برازايفيل (يناير 1944) كرسست للوضع القائم، ولم تشر صراحة إلى استقلال المستعمرات الفرنسية أو منحها حكما ذاتيا لأنها كانت تعتبر أن: "الأهداف الحضارية التي انجزتها فرنسا في المستعمرات تستبعد أية فكرة عن الاستقلال الذاتي وأية إمكانية للتطور خارج الإمبراطورية الفرنسية، ومن ثمة فلا مجال للتفكير

(1) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 311، 312.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، ص 214.

(3) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 325.

في إقامة حكم ذاتي في المستعمرات ولو على المدى البعيد"<sup>(1)</sup>، إلا مشاركة المغاربة في الحرب ومساهماتهم الفعالية في معركة مونتي كازينو على سبيل المثال (=ضريبة الدم)، بالإضافة إلى وثيقة الأطلسي التي اعترفت بحق الشعوب في حكم نفسها بنفسها، قد أصبحت سندا قويا للشعوب الشمال إفريقية المستعمرة<sup>(2)</sup>، وهو ما جعل القيادة الفرنسية المؤقتة تتحرك إزاء ذلك، فديغول بدأ وكأنه يلّمح لضرورة اتباع سياسة جديدة خاصة في الجزائر ففي خطاب له بقسنطينة بتاريخ 22 ديسمبر 1943 صرح قائلاً بأن: "هيئة التحرير المنعقدة دورتها في 11 ديسمبر 1943 قررت بادئا ذي بدء اسناد حقوق المواطن الكاملة فوراً إلى عشرات من آلاف المسلمين الفرنسيين بالجزائر... وسترتفع في نفس الوقت نسبة المسلمين الفرنسيين في مختلف المجالس التي تتناول المصالح المحلية، ويرتبط بذلك فتح عدد كبير من الوظائف الإدارية في وجه الذين لهم قدرة على الاضطلاع بها"<sup>(3)</sup>.

وردّ الجنرال ديغول بعدها على بيان الشعب الجزائري بإصدار أمرية 7 مارس 1944، التي كفلت نظرياً تحقيق نوع من المساواة بين المسلمين والأوروبيين<sup>(4)</sup>، وتطورت الأوضاع إلى أن تحدّث ديغول في ندوة صحفية عقدها بواشنطن بتاريخ 10 جويلية 1944 عن إمكانية استفادة المستعمرات الفرنسية من حكم فدرالي<sup>(5)</sup>، وكتب ليوز بوتبيان قائلاً: "منذ سنة 1944 نبذ مؤتمر برازافيل-الذي يعتبر أصلاً للاتحاد الفرنسي-نبذ كل فكرة

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 132، 133.

(2) نص ميثاق 11 يناير 1944 الذي قدمته الحركة الوطنية المغربية على ذلك. للاستزادة: راجع: علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، المصدر السابق، ص 288.

(3) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 326.

(4) وقف الاشتراكيون والشيوعيون ضد أي محاولة للتفكير في التخلي عن الجزائر، فقد ألقى "أندري ميرسي" نائب باريس أمام المجلس الاستشاري المؤقت كلمة عبر فيها عن موقف الحزب الشيوعي الفرنسي الداعم لتوجهات السياسة الاستعمارية، وكتبت صحيفة "فراترنيتي" الناطقة باسم الاشتراكيين الفرنسيين بتاريخ 26 ديسمبر 1943 تقول: "ينبغي ادماج شعوب الإمبراطورية ضمن العائلة الفرنسية الكبرى". أنظر: بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 133، 134.

(5) لزه بديدة، المرجع السابق، ص 54.

تدعو إلى الحكم الذاتي كما نبذ كل شيء في إمكانه أن يساعد التطور والتقدم خارج الكتلة الفرنسية أو الإمبراطورية"<sup>(1)</sup>.

إذن نحن الآن أمام سياسة جديدة أرادت فرنسا أن تطبقها في المستعمرات والجزائر بالخصوص، فالجزائر كانت مجالا حيويا بالنسبة لفرنسا لا يمكن التفريط فيه مهما كان الثمن، وقد وصف الكاتب "ميشيل ديفيز" واصفا تلك العلاقة قائلا: "لقد اعتبرت الجزائر، باستمرار كواحدة من ذواتنا، هذه الأرض الجميلة القريبة من فرنسا، هذه البلاد المنتمية إلى إفريقيا البيضاء المقسمة إلى مقاطعات مسيرة ومدارة من لدن وزارة الداخلية، إنها امتداد للمتروبول، فالجزائر المرتوية بدماء العديد من الجنود والمخضبة بعرق آخرين منهم، قد تحولت سلميا إلى وسط فرنسا آخر، إذ بضيعات عنبها وأشجار زيتونها، وحقول حبوبها قد غدت دعامة الإمبراطورية الاستعمارية بأفريقيا، مسكونة بحوالي مليوني فرنسي نشيط، تبدو لنا الجزائر اليوم ضرورية من أي وقت مضى، فكل محاولة للعصيان أو الانشقاق قد تغدو لنا دون معنى. لقد أصبحت تعد اليوم كما الشأن قبل الحرب، البلد الرئيسي لاستيراد منتجاتنا كما أنها ممولنا الأساسي، فدون الجزائر ستعرض الإمبراطورية الفرنسية وأيضا الاتحاد الفرنسي للانحيار والتفكك، ودون فرنسا ستتحول الجزائر، الموزعة على عدة أمم متناحرة موضوع أطماع العديد من القوى، ستغدو رهانا قبل أن تصبح أرضا ممزقة وربما خاضعة لبلاد أجنبية"<sup>(2)</sup>.

إذن فديغول والديغولية لم يلغيا فكرة الاستعمار، لكن نقلا الفكرة من الطور القديم الشاق والمكلف إلى الطور الجديد الذي يتحكم فيه المستعمر ويستفيد من خيرات وثروات البلاد المستعمرة بالرغم من الخروج منها، وهو يُعدّ بذلك محاولة لاستبدال الإمبراطورية القديمة بالشراكة الودية في السيادة والحكم<sup>(3)</sup>، لكن مجازر ماي 1945 الدامية شكلت تحديا جديدا للإدارة الفرنسية في التعامل مع الجزائر، التي توعى شعبها وفهم حقيقة مفادها أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بالقوة.

(1) يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية من خلال مطبوعات حزب الشعب، (الوثيقة 1)، المصدر السابق، ص 111، 112.

(2) Michel deveze, la France d'outre-mer de colonial a l'Union farincaise, 1938-

نقلا عن: محمد مالكي، الاستعمار والحركات الوطنية، المرجع السابق، ص 24.157, hachette, paris, 1948,

(3) لزه بديدة، المرجع السابق، ص 56.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

خاضت الحكومة الفرنسية بقيادة "شانيتيو" معركة الإصلاحات للتكفير عما حصل في ماي 1945 فقد شرع في استصلاح الأراضي الريفية، والتشجير، وفتح مناصب عمل للجزائريين المسلمين، كما فتحت أبواب التعليم للأهالي والتي قدرها شارل أندري جوليان بحوالي 1749 قسم جديد في ظرف ثلاث سنوات، كما عين عدة جزائريون في مناصب المسؤولية<sup>(1)</sup>، وأصدر قانون العفو العام 16 مارس 1946 الذي أطلق عديد السجنان السياسيين كمصالي الحاج، وفرحات عباس من السجن، وكلّ هذا في الحقيقة كان ذرا للرماد في العيون، هدفه التمويه وجذب الجزائريين والمغاربة عموما لفرنسا لا غير<sup>(2)</sup>.

صادق الفرنسيون على دستور الجمهورية الرابعة في 27 أكتوبر 1946، وهو الدستور الذي تضمن مواد حول الاتحاد الفرنسي الجديد الذي كانت فرنسا تنوي تطبيقه في مستعمراتها، وقد توالت المسؤولين الفرنسيين الذين كانوا يقولون باستحالة تطبيق سياسة الإدماج، وعزم فرنسا على احترام الإسلام والمسلمين الجزائريين والمغاربة على العموم، و الذين تربطهم بفرنسا علاقات تاريخية وطيدة<sup>(3)</sup>، ففقد جاء في ديباجته بأن: "الاتحاد الفرنسي يتكون من الأمم والشعوب التي تعمل في إطار موحد من اجل تطوير حضارتهم الخاصة، وتنمية احتياجاتهم والحفاظ على أمنهم" وتضيف بأن: "فرنسا الوفية لمبادئها تسعى قدما بالشعوب التي تسيروا على الحرية وإدارة شؤونهم الخاصة بكل ديمقراطية"، وهذه الديباجة تحمل مغالطات كبيرة وضعها المشرع الفرنسي،

(1) شارل اندري جوليان، المصدر السابق، ص 339.

(2) شددت الرقابة على القادة المغاربة، وخاصة تلك المراسلات التي كانت تقع بينهم حول السياسة الفرنسية التي تبنتها الحكومة بعد نهاية الحرب اتجاه مستعمراتها أنظر:

A.N.T، série : mouvement national ، carton 54، dossier n° 4، note n°2475،

A.S/leaders nationalistes nord africaines، Tunis le 24mai1947. أنظر الملحق رقم 15.

(3) فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 138-140.

فقد نفى صفة الأمة أو الدولة عن الجزائر التي تعبر عن السيادة، وأقر أن التعامل يكون مع الشعوب وليس مع الدول<sup>(1)</sup>.

كما جاء في الفصل الثامن الخاص بالاتحاد الفرنسي، بأن تطور الأنظمة الخاصة بكل عضو من أعضاء هذا الاتحاد خاضعا للمادة 60 وتقول المادة: "يتكون الاتحاد الفرنسي من جهة من الجمهورية الفرنسية التي تشمل فرنسا وعمالات ما وراء البحار، ومن جهة أخرى الأراضي المشتركة"<sup>(2)</sup>، كما نصت المادة 62 بأن على: "أعضاء الاتحاد الفرنسي أن يجعلوا من جميع وسائلهم ومقدراتهم شيئا مشتركا لأجل ضمان الدفاع عن مجموع الاتحاد، وعلى الحكومة الجمهورية تنسيق هذا هذه الوسائل، ولها أن تنزعم السياسة الخاصة التي من شأنها أن تعد العدة الآزمة لسائر الطوارئ، والمتوالية لهذا الدفاع"<sup>(3)</sup>.

كما جاء دستور الجزائر المصادق عليه في البرلمان بتاريخ 20 سبتمبر 1947 في نفس التوجه أيضا، فهو أول مجهود بذل من طرف الفرنسيين لمنح الجزائر قانونا أساسيا<sup>(4)</sup>، لكن جاء متجاهلا للمقترح الإصلاحي الذي تمثل في مسودة الدستور التي تقدم بها منتخبو الاتحاد الديمقراطي في 9 أوت 1946، والذي من بين مقترحاته انشاء اتحاد فدرالي مع فرنسا<sup>(5)</sup>، وجاء ذلك التجاهل لتعنت المسؤولين الفرنسيين، وقوة فعالية رأي و الكولون، وكذا تماشيا مع سياسة ديغول الذي صرح خلال المناقشات البرلمانية بتاريخ 18 أوت 1947 قائلا

(1) مراد بوعباش، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1962)، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، فرع

التنظيم السياسي والإداري، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، 2011، ص 358.

(2) يحي بوعزيز، السياسة الاستعمارية، المصدر السابق، ص 112.

(3) نفسه، ص 114.

(4) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 352.

(5) عبد الكامل جويبة، الحركة الوطنية الجزائرية والجمهورية الفرنسية الرابعة (1946-1954)، دار الواحة للكتاب، 2013،

ص 151. يقول عنه فرحات عباس عن الدستور: "إن الشعب الجزائري لم يناقش هذا القانون الجديد، ولكن ناقشه الفرنسيون

وحدهم، فهو وليد اتفاق مبرم بين فرنسا وفرنسويي الجزائر، أي بين السلطة الشرعية التي مازالت يد البرلمان الفرنسي، وبين

السلطة الحقيقية الواقعية التي يمارسها الغلاة في الجزائر". انظر: فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 145.

بأنه يدعم "نظام تمارس فيه فرنسا حقوق سيادتها وواجباتها ممارسة كاملة، ويشترك فيه صنفان كبيران من السكان ويتعادلان في مناقشة الشؤون الجزائرية الخاصة"<sup>(1)</sup>.

وعلى هذا الأساس فإن من بنود دستور 1947:

- الجزائر تعتبر جزءاً لا يتجزأ من الأراضي الفرنسية، وهي تشكل مجموع عمالات تتمتع بالشخصية المدنية، والاستقلال المالي، وبنظام خاص.
- المساواة التامة لجميع المواطنين الفرنسيين من سكان مجموع العمالات الجزائرية، فمن حقهم التمتع بحقوق المواطن الفرنسي، وعليهم واجباته بدون تفریق في الجنس، واللغة، والدين، وفي نفس الوقت يتمتعون بكل الحريات الديمقراطية والاجتماعية التي هي مرتبطة بصفة المواطن في الوحدة الفرنسية.
- اللغة الفرنسية واللغة العربية معترف بهما كلغتان رسميتان على قدم المساواة وعلى جميع الدرجات وفي جميع المدارس التعليمية<sup>(2)</sup>.

وكان هذا القانون يخدم توجهات وقناعات "ليون بلوم"، الذي كان قد ساند "موريس فيوليت" منذ أكثر من عشر سنوات، لكن مشروعها بالنجاح هي الأخرى كما رأينا، لكنه عاد ليدافع عن المشروع الجديد بقوله أنه: "يضع حداً نهائياً للوهم القديم الذي تُعبر عنه سياسة الاندماج، إنه يتناول حقيقة المشكل الجزائري، إنه يسعى في تسوية علاقات شعبيين يعيشان على أرض واحدة، لكنهما مختلفان متميزان، لا سبيل إلى إدماجهما الواحد في الآخر، مقرران العزم على البقاء مستقلين الواحد عن الآخر، وذلك في نطاق الاتحاد الفرنسي"<sup>(3)</sup>.

(1) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 349.

(2) إبراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج 3، المصدر السابق، ص ص 40-44. أيضاً: عبد الكريم جويبة، المرجع السابق، ص ص 156، 157-159.

(3) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 353.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوحودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

وقد عرف هذا القانون رفضا تاما لأطراف الحركة الوطنية الجزائرية والكولون معا<sup>(1)</sup>، فقد اعتبر فرحات عباس أنه قد جاء تحت ضغط المصالح الشخصية للمعمرين، الذين نجحوا في فرض رأيهم على البرلمان الفرنسي وصوت على دستور الجزائر الذي هو في الحقيقة ضد الديمقراطية<sup>(2)</sup>، أما حزب الشعب الجزائري (=حركة الانتصار) فقد أصدر مطبوعة (=وثيقة) ينتقد فيها سياسة الاتحاد الفرنسي المقترحة، واصفا إياها بالسلعة البالية التي تعيد فرنسا تسويقها، من أجل بسط نفوذها على خيرات المستعمرات والشعوب المستضعفة قصد إعطاء نفسها سلطانا عظيما في الميدان الدولي، ويضيف بأن الاتحاد الفدرالي الفرنسي المطروح هو مخادعة، ومعارض ومناف للسيادة الداخلية، والدينية، والسياسية، للدول المشتركة<sup>(3)</sup>، وقد عارض مصالي كل فكرة عن ما سمي بجهة أو اتحاد فدرالي لا يتبنى شعار جمعية تأسيسية مقترحا يوم 9 أكتوبر 1947 بمناسبة التحضير للانتخابات البلدية للاتحاد حول شعار "جمعية تأسيسية جزائرية ذات سيادة"، وهو ما عارضه محمودي ممثل الحزب الشيوعي الجزائري، وشارف ممثل الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري<sup>(4)</sup>، وقد وصف مصالي الحاج "الجمهورية الفدرالية" التي تبناها فرحات عباس بالمولود الإمبريالي الجديد، إذ لا يعقل مساواة عشرة ملايين جزائري بمليون أوروبي<sup>(5)</sup>.

وعلى كل حال، فإن سياسة الاتحاد الفرنسي التي طرحت وشرع التطبيق فيها، لم تكن أبدا عن حسن نية لإصلاح أوضاع الجزائر أو منحها حكما ذاتيا، أو حتى تطوير شعوبها فكل تلك التقارير والمواد بقيا حبرا

(1) من الواضح أن الدستور الجديد لم يجلب أي شيء جديد يثبث الأمل في نفوس الجزائريين، لكن الكولون وقفوا ضده بشدة داعين إلى التشبث بالجزائر الفرنسية، وكان من بين المعارضين له الاشتراكي روني ماير (نائب عن قسنطينة) الذي قاد حركة واسعة ضد القانون. انظر للاستزادة: عبد الكريم جويبة، المرجع السابق، ص 169.

(2) نفسه، ص 159.

(3) راجع الوثيقة موجودة في: يحي بوعزيز، سياسة التسلط الاستعماري من خلال مطبوعات حزب الشعب، المصدر السابق، ص 112، 123.

(4) بنيامين سطورا، مصالي الحاج، المرجع السابق، ص 202. راجع للاستزادة عن مواقف الحزب الشيوعي والنخبة والنواب وأنصار الإدماج، العنصر الأخير من هذا الفصل (الانعكاسات).

(5) محمد العربي الزبير، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999، ص 123.

على ورق، فكانت أطروحة الاتحاد مناورة جد محكمة سعى لتطبيقها انصار الحركة الديغولية شأنها شأن مشاريع أخرى انتهجت في الثورة كسلم الشجعان، أو مشروع قسنطينة، والحقيقة أنه لو نجحت تلك الخطة لتغيرت كثير من المعطيات في تلك الفترة، ولربما رهنتم مشروع الاستقلال الجزائري لفترة أطول، لكن المعارضة التي أبداها الوطنيون وعلى رأسهم حزب الشعب، بالإضافة إلى الكولون الذي رفض أي مساواة بينه وبين الأهلي لم يمنح لها المجال لأن تعشش في أذهان الشارع الجزائري آنذاك، خاصة وأن الغالبية كانت تفكر في حمل السلاح ومحاربة فرنسا بعد مجازر 8 ماي 1945.

ولعلنا نشير أيضا إلى أن فرنسا إنما عمدت لاحتواء الوضع مقترحة مشروع الاتحاد الفرنسي لأن الظروف العالمية تغيرت، وزادت معها الضغوطات الدولية خاصة مع تنامي قوة أمريكا التي كانت تطمع هي الأخرى في ربط علاقات مع شعوب المغرب، لذلك أجبرت فرنسا على إجراء إصلاحات عاجلة، ولو شكلية في مستعمراتها، خوفا من فقدانها نهائيا، هذا بالإضافة إلى تنامي الروح الوجودية الكبيرة التي كانت تنشط على المستوى المنطقة المغاربية والعربية الإسلامية، وبالخصوص بعد صعود الضباط الأحرار إلى الحكم في مصر 1952، والتي كانت تنبأ بقرب قيام ثورة على الوجود الفرنسي في المنطقة، والذي لم تعرف الشعوب فيه إلا التقتيل والاضطهاد والقمع على مدار عقود، لذلك كانت مطالبة أكثر من أي وقت مضى بعزل الجزائر عن الأصدقاء المغاربية والمشرقية، التي كانت تحاول الحركة الوطنية التشبث بها داعية إلى وحدة مغاربية وحتى عربية إسلامية، سواء عن قناعة أو تكتيك مقاوماتي كما رأينا سابقا في الفصلين الأول والثاني.

## 2-1-7- سياسات عزل الجزائر عن المغرب والمشرق.

رأينا في الفصول التي سبقت كيف دافع الوطنيون الجزائريون عن العروبة والإسلام والشخصية المغاربية، وسعوا جاهدين لربط علاقات مكثفة مع شخصيات وأحزاب وهيئات المغرب والمشرق، وهو ما عبّرت عنه صراحة الأدبيات، والوثائق، والمناشير، والصحف الإصلاحية والاستقلالية التي تطرقنا إليها، واستمرت تلك المقاومة طيلة عقود بغية رأب الصدع الحاصل، خاصة لما كانت الجزائر تعيش

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

عزلة كبيرة فرضها السياسات الاستعمارية من أجل القطيعة النهائية مع الهوية الجزائرية المستمدة من امتدادها التاريخي والجغرافي عبر العصور.

ولعله وانطلاقاً من الفعل ورد الفعل كان نشاط النخب الوطنية الجزائرية والمغربية يسير عموماً للتشبث بالمجال المغربي، والفضاء المشرق العربي الإسلامي الواسع بصفة أكبر هذه المرة، وبالخصوص بعد تأسيس الجامعة العربية، واستقلال عديد الأقطار العربية كسوريا ولبنان مثلاً، والأكثر من ذلك هو ظهور جيل جديد من الشباب يؤمن بخيار الثورة المسلحة لاستقلال الجزائر وجلاء فرنسا التام، ورفض أي شكل من أشكال الاتحاد أو التكامل مع فرنسا، والتعويل على المجال المغربي والعربي كاستراتيجية هامة في كفاحه من أجل التحرر في إطار المغرب العربي والأمة الإسلامية، فقد تميزت هذه المرحلة بانعقاد مؤتمر القاهرة فيفري 1947، وتشكيل مكتب المغرب العربي، وبعدها لجنة تحرير المغرب العربي 1948 بقيادة داعية الوحدة المغربية الريفية عبد الكريم الخطابي.

وعليه فإن السياسيين والعسكريين الفرنسيين كانوا واعين بالخطر المحيط أكثر هذه المرة، فزادت حدة السياسات التفرقية فكرياً وممارسة، خاصة بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، من أجل إقرار الوهم الاستعماري القائل بأن الجزائر قطعة فرنسية، وبأن نزعتها غربية، وشعبها يطمح للتطور في إطار الإمبراطورية الفرنسية، ثم الاتحاد الفرنسي، لذلك فإنها راقبت كل صغيرة وكبيرة مشاريع الوحدة، وسعت منذ بداية القرن العشرين إلى إيماءة فكرة القومية العربية التي كانت تشكل خطراً على وجودها في المغرب العربي، خاصة لما تيقنت أن الاتجاه الوجودي في شبه الجزيرة العربية يقف وراء التحالف البريطاني- الهاشمي<sup>(1)</sup>، كما حاولت فيما بعد استغلال الخصومة الهاشمية-السعودية في وقت مبكر<sup>(2)</sup>، فكانت أول من اعترف بالملك عبد العزيز بن سعود

(1) علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية، المرجع السابق، ص 115.

(2) تعود خصومة بني هاشم مع آل سعود إلى القرن 18 م خاصة بعد ظهور الحركة الوهابية، فقد كان أمراء مكة الهاشميون يمثلون الباب العالي في شبه الجزيرة العربية، بينما كان آل سعود قادة الحركة الوهابية يرفضون سلطة الخليفة العثماني ولا يعترفون به، وفي =

حينما نودي به ملكا على الحجاز في يناير 1926، وفي المقابل اعترفت السعودية بانتداب فرنسا على كل من سورية ولبنان مقابل حصولها على إيرادات أوقاف الحرمين في تونس (150 ألف فرنك فرنسي) (1).

لكن مع مرور الوقت والنزعة المشرقية العربية الإسلامية التي أصبحت تتغلغل أكثر في الأوساط الجزائرية كان لا بد من التحذير أكثر من دعوة الوحدة العربية التي لم تتخذ طابعا سياسيا فقط وإنما طابعا دينيا وثقافيا واصلاحيا جاء ليحقق وثبة المسلمين في العالم، وقد عثرنا في أرشيف ولاية وهران على تقارير مطولة حول نشأة ونشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تأثرت بمفهوم القومية العربية، ومن أبرز ما جاء في أحدها أن "الجمعية ولدت بمكة في جوان 1926 بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي الإسلامي (=الخلافة)، وأنه بالمناسبة قررت لجنة الاتحاد العربية ارسال مبعوثين إلى الشمال الإفريقي لتشكيل لجان من أجل ذلك الغرض، وأن الجزائر كانت أبرز المستهدفين من تلك الفكرة، فقرروا بذلك لتشكيل منظمة (=جمعية) تهدف لإحياء اللغة العربية وتخدم المسؤولين على القومية العربية..."، كما أضاف التقرير ملخصات حول شخصيات عدة كابن باديس والعقبي، والإبراهيمي، وغيرهم، بغية معرفة التكوين الفكري الثقافي لهم (2).

كما اضطلعنا على تقرير آخر قدمه السيد شرفان (charvin) يرى فيه بأن مؤتمر القدس 1931 هو من وجه نشاط جمعية العلماء، وبأن عبد الرحمن عزام كتب مقالا في جريدة العرب بتاريخ 27 أوت 1932 بعنوان "العرب شعوب المستقبل"، قال فيه أن الوحدة العربية حقيقة حالية، وحقيقة تاريخية، وقد لخص من خلاله عزام برنامج الوحدة الإسلامية (=يقصد العربية)، مطالبا بمحاربة الجهل، ومقاومة الأمم الأوروبية، ويضيف التقرير قائلا: "بأننا مع جمعية العلماء، إنما نحن مع حركة نشيطة ذات إلهام مشرقى تسير على الخطى التي

---

=الحرب العالمية الأولى أدى نجاح الثورة العربية بقيادة الشريف حسين بن علي إثارة حسد وقلق عبد العزيز بن سعود سلطان نجد الذي أبرم بدوره معاهدة تحالف مع الانجليز عام 1915. راجع: علي محافظة، نفسه، ص ص 116، 117.  
(1) نفسه، ص 118.

(2) AWO. BOI 2260. CHEMISE7, problème nord-africain, 2eme partie : la religion et les religieux, p4.

رسمتها الجرائد المشرقية... ولدينا الحق في المراقبة بطريقة ثابتة تطورات الأمور... وأن العلاقات التي تربط علماء الجزائر مع النشطاء النشويين في المشرق، توجب علينا أن نراقب كل ما يحصل في كل بلاد الإسلام، ومؤتمر القدس هو دليل على نشاط المشرق... فمؤتمر القدس لم ينجب فقط جمعية علماء الجزائر، ولكن خطّ لهم برنامجاً أكثر دقة وأكثر خطراً علينا نحن الذي نعتقد أنها على خطى ثابتة...<sup>(1)</sup>.

كما كانت عديد الكتابات الصحفية في الثلاثينات تدعى إلى تشديد الرقابة على الحج، وأكثر من أي وقت مضى، فلقد كتبت جريدة (البوبولير) مقالا بتاريخ 22 جوان 1938 تحذر من الوحدة العربية التي يدعو إليها ملك الحجاز، وقد حمل المقال امضاء "جورج وجنير" مما جاء فيه: "مهما يكن من أمر فإن فكرة الجامعة الإسلامية<sup>(2)</sup> تتقدم تقدما عظيما، فإن كلّ مسلم كما هو معلوم يجب عليه كما أمره النبي أن يحج إلى مكة في حياته ولو مرة واحدة... وفي هذا العهد الذي كانت فيه البلاد المقدسة تحت سيطرة الباب العالي الضعيف المتداعي، لم يكن للحج أي صبغة سياسية، فقد كانوا يستغلون الحجاج استغلالا ماليا، ولكنهم ما كانوا يثيرون روح العصية فيهم، أما اليوم فإن ملك الحجاز وهو يعتبر الوارث لملك محمد، يرمي لمصلحته إلى تأسيس الوحدة الدينية للخمسمائة مليون من المسلمين المنتشرين في قارتي آسيا وافريقيا، لذلك ترى الحجاج الذين يعودون إلى أوطانهم من مكة مصابين بضرب من الجنون المقدس..."<sup>(3)</sup>.

وقد عثرنا أيضا على عدة تقارير حول نشاط نجم شمال افريقيا، وحزب الشعب وارتباطهما المغاربي والمشرقي، ففي دراسة لمركز الاستعلامات والدراسات (CIE) بوهران، حول العالم الإسلامي المعاصر، ذكرت بأن بوادر

(1) AWO , BOI 2260 ,CHEMISE7,charvin,influence de L'orient sur la presse :de la langue arabe en Algérie (tendances et programme des oulamas) ,mai 1936,ipcit, pp 6,7.

(2) هو يقصد الوحدة العربية لأن عديد الكتاب والصحفيين الفرنسيين لا يفرقون عادة بين التيارين أو الفكرتين.

(3) ماذا يقولون عنا (بقظة العالم العربي -الجامعة الإسلامية)، الشهاب، م14، سبتمبر1938، ص ص 405،406. لعل الكاتب

هنا أخطأ نوعا ما التقدير عندما قلل من شأن الحج في بعث فكرة الخلافة والجامعة الإسلامية أيام الباب العالي، وقد رأينا في الفصل التمهيدي كيف كان ذلك، وكيف كانت التحذيرات من الحج بداية القرن 19م (انظر العنصر الأول من هذا الفصل)، في حين نراه يحذر من الحج لأن ييث أفكار القومي العربية، وربما الكاتب آنذاك لم يكن ملما بما كان يكتب في الجرائد حول الخلافة ودور الحج في نشر أفكاره، لان الحج كان منذ القدم مصدرا للأفكار الجديدة.

النهضة في أوساط المغاربة كانت بفعل تأثير من شخصيات عربية وإسلامية على شاكلة شكيب أرسلان<sup>(1)</sup>، وفي تقرير آخر بتاريخ 31 أوت 1936 لنفس المركز (CIE) جاء في 22 صفحة وعليه ختم سري وردت فيه معلومات مفصلة عن حزب نجم شمال إفريقيا منذ نشأته، وأهم مطالبه وبعده المغربي<sup>(2)</sup>، وفي تقرير استعلاماتي آخر بتاريخ 3 أبريل 1937 حول نشاط قدامى عناصر نجم شمال إفريقيا جاء فيه أهم اللقاءات التي جمعت الوطنيين الجزائريين بشخصيات تونسية وعربية، فيذكر أن "أعضاء النجم المنحل كانوا يقومون باجتماعات، وأن مصالي الحاج كانت له عدة لقاءات مع شكيب أرسلان من 15 إلى 23 فيفري 1937 وقد تطرق معه لعدة نقاط من بينها: ان الجزائريين والتوانسة والمغاربة متحدون، وهم يريدون مواصلة جهودهم من اجل استرجاع كرامة الشعب المغربي الحر، وات فرنسا وعدت الشمال إفريقيا بالاستقلال سنة 1914 عندما وقفوا معها في الحرب العالمية الأولى، لكنها لم تف بذلك... وأن النجم يرفض بتاتا مشروع بلوم فيوليت..."<sup>(3)</sup>.

لذلك سعى النظام الاستعماري الفرنسي لخلق فروق واختلافات بين رؤى الأحزاب المغربية أولا عندما كان يحاول دائما تقرير معلومة مفادها أن الاستعمار يختلف في الجزائر وتونس والمغرب المحميتين، وأنه لا يجب أن يعامل الوجود الفرنسي في الشمال الإفريقي بنفس الطريقة، وهو الأمر الذي تسرب في الواقع إلى قلوب عديد المناضلين التونسيين، وحتى مناضلي مراكش بعد الحرب العالمية الثانية، فقد أقروا في عدة مناسبات بأن الحالة الجزائرية عسيرة، لأن القانون الفرنسي يعتبرها ثلاث عمالات من ترابها، ولا يمكن لتونس أو المغرب أن ترهن استقلالها بسبب الجزائر، من جهة أخرى كانت الأمور تزداد تعقيدا في مكتب المغرب العربي بالقاهرة.

(1) AWO, BOI 2261, rapport de CIE, conférences données aux cycles d'études sur les problèmes de l'évolution du monde musulman contemporain, N° interne b51, 5.

(2) AWO, BOI 2260, rapport de CIE, gouvernement général de l'Algérie, direction général des affaires indigène et destertoires du sud/ n110.31-05-1936.

(3) AWO, BOI 2260, 2S.C.R/N3094, exemplaire n 2, source : S.N7-04-1937 :

renseignement : activité des anciens éléments de l'Etoile nord-africaine.

وقد ضايقته وصادرت السلطات الفرنسية الجرائد والصحف كما رأينا سابقا، وبالخصوص التي كانت تدعو للثورة أو الوحدة المغاربية أو العربية، وقد وقفنا أيضا في أرشيف ولاية وهران على ملف يحوي كمية كبيرة من التقارير حول نشاط جريدة "المغرب العربي" التي كان يشرف عليها في الثلاثينيات بلّة محمود، وحمزة بوكوشة<sup>(1)</sup>، ونفس العنوان أيضا في الأربعينيات السعيد الزاهري، بمختلف أعدادها ووجهات صدورها في العمالية الوهرانية، وبالخصوص في مدينة معسكر، وتلمسان<sup>(2)</sup>، وسيدي بلعباس<sup>(3)</sup>، وقد وجدنا تقريرا بتاريخ 5 جويلية 1947 بعثه مفوض الشرطة المركزية بالنيابة إلى نائب حاكم معسكر أحد التقارير تحت رقم 5106 يعطي فيه حقائق عن جريدة "المغرب العربي" لصاحبها السعيد الزاهري، ويحذر منها لأن بعدها مغاربي من خلال المواضيع التي تناولتها في عددها الأول ويقول أنها: ضبقت تباع في أحد أكشاك بيع التبغ عند المسمى شريف أحمد، وقد جاءت مئات الأعداد إلى مدينة معسكر بواسطة طفراوي عبد القادر بائع الخضر في سوق باب علي وهو من المتأثرين بحزب الشعب... هذه الجريدة متأثرة بحزب الشعب، وهي على ما يبدو حاليا تعوض جريدة الأمة الجزائرية... ومن بين المواضيع التي تناولها عدد 13 جوان 1947: يوم الجزائر في القاهرة-برقية الزعيم مصالي الحاج إلى الملك فيصل يشكره على العلاج المجاني الذي يتلقاه عبد الكريم الخطابي عنده-برقية تضامن

(1) AWO، BOI 2261, rapport de sureté département d'Oran n4406, notice de renseignement de 24-mai1937, جاء في هذا التقرير ان المغرب العربي جريدة أصدرها بلّة محمود وحمزة بوكوشة باللغة العربية تحت إدارة الشيخ، البشير الابراهيمى، وتحت رعاية جمعية الفلاح المؤسسة حديثا بوهران التابعة لجمعية العلماء المسلمين، وقد صدرت لأول مرة في 21ماي 1937.

(2) AWO، BOI 2261 ,chemise presse : el ma-Ghrib l'Arabie, rapport de commissaire principale central de la circonscription de police de Tlemcen, n4579, Tlemcen le 10mars1948. في أحد التقارير المرسلّة من طرف الشرطة الرئيسية إلى نائب حاكم عام تلمسان، جاء فيه أن الشرطة حجزت 400 عدد لجريدة المغرب العربي الصادرة بتاريخ 4مارس 1948، ويضيف التقرير بأن الجريدة لم تأت كعادتها عند المدعو "محمد الكبير"، وإنما هذه المرة عند "قناناش" المناضل المعروف في حزب الشعب، وهو الذي قدم له المساعدة المدعو "بن عمار"، وبأن الجريدة لها حوالي 160 مشترك.

(3) AWO، BOI 2261 ,rapport de chef de poste Casanova sidi bel abbesse, n16,le 14janvier1948. التقرير يقول بأن عددا صدر لجريدة المغرب العربي باللغة الفرنسية بتاريخ 15-12-1947، وهي جريدة. تيارها وطني تابعة لحركة الانتصار تحت رعاية الزاهري.

مرسلة من مصالي الحاج إلى عزام باشا أمين عام الجامعة العربية بنيويورك-تاريخ عبد الكريم الخطابي وعلال الفاسي- تسرب اليهود إلى فلسطين...<sup>(1)</sup>، والمعروف أن الزاهري كما رأينا سابقا، كان من أشد دعاة وحدة المغرب العربي، ولعل قرب الحرب العالمية الثانية كان يجعل الاتهامات ضد كل الوطنيين الجزائريين مجحفة فلطالما وصفوا بالفاشيين والنازيين، فلقد وصف تقرير لمركز الاستعلامات والدراسات (CIE) الزاهري، بأنه فاشستي لأنه عقد مقارنة بين الحكم الفرنسي في الجزائر، والإيطاليين في ليبيا، والاسبانيين في المغرب<sup>(2)</sup>.

ولعل المتأمل في هذا التقارير يلحظ مدى اهتمام حزب الشعب (=حركة الانتصار)، ونشاطه بالمجال المغاربي والعربي الإسلامي من خلال مواضيع الجريدة هذا من جهة، ومن جهة أخرى يبين لنا الحذر الشديد والرقابة المتواصلة التي كانت تفرضها السلطات الاستعمارية على أدبيات الأحزاب، والجمعيات النشطة، خاصة وأن التقرير أشار إلى مصادرة العدد الأول، وهو دليل على أن فرنسا كانت تراقب كل صغيرة أو كبيرة خاصة بعد فترة الحرب العالمية الثانية، ونشاط الوطنيين الجزائريين الذين وطدوا علاقاتهم مع زعماء المشرق والمغرب.

هذا ونشير إلى ان فرنسا واجهت المد الوجودي العربي والمغاربي كمجموع متكامل وليس في الجزائر فقط<sup>(3)</sup>، لأن التضامن الذي كان بين الشعوب العربية والذي كان يزداد يوما بعد يوم كان يشدد خطرا على المناطق الواقعة تحت نفوذها، لذلك اعتمدت حتى عزل الجزائر انطلاقا من المشرق، فالجرائد الفرنسية التي كانت تصدر في سورية، ولبنان، أو مصر وباقي الدول المستعمرة، كانت تريد أن ترسخ صورة نمطية مفادها أن الجزائر هي أرض فرنسية، ولا مجال للتفكير في دمجها في العالم العربي أو الإسلامي، ثم أن الشمال

(1 ) AWO, BOI 2261, chemise presse : el maGhrib l'Arabie, rapport de commissaire de police lafage maurice commissaire centrale par intérim de la circonscription de police de mascara a le préfet da l'arrondissement de mascara, n5106.

(2 )AWO, BOI 2260, chemise170,rapport de CIE,N335, Oran le 7juillet1938.

(3) نشير إلى انه قد استعملت الإدارة أيضا سياسة الليونة خاصة مع اقتراب نهاية الحرب العالمية الثانية، ففي قرار جاء أنه في إطار سياسة فرنسا الإسلامية المتجهة نحو الليبرالية، لا يجب منع الطلبة الزيتونيين من دخول الجزائر لقاء عطلهم. انظر:

CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, lettre de directeur des affaires musulmanes et des territoires du sud : Berque, le 28 aout 1944.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

الإفريقي بصفة عامة هو حالة خاصة، وله روابط روحية وثقافية وسياسية مع أوروبا أكثر من الوطن العربي، لذلك دائما ما سعت للحفاظ على هذه النظرة، وقد استطاعت في رأينا تحقيق هدفها إلى حد كبير، فالمشاركة لم يكنوا ليهتموا كثيرا بالأوضاع السائدة بالمغرب عموما، والجزائر خصوصا، خاصة وأن هذه الأخيرة لم تكن تملك حكومة أو سلطة تمثلها في الخارج، وما تزايد الاهتمام بها إلا بعد اندلاع الثورة 1954 والإعلام الذي سلط عليه كثيرا، خاصة مع تنامي الحركة القومية في مصر بصعود جمال عبد الناصر إلى الحكم، فقد أرجع يوسف الرويسي المشاكل التي كانت تعترض مكتب المغرب العربي في القاهرة، للدسائس الفرنسية ضد أعضاء المكتب، لأنه لم يكن يلقي تدعيما كاملا من طرف الحكومات والجامعة العربية<sup>(1)</sup>.

كما راقبت السلطات الفرنسية حتى أدب النضال من شعر، ونثر، ومسرح، وأغاني كانت تبث الروح القومية في الجزائر، ففي حديث "للباشا آغا سماتي"، يقول فيه بأن الأغاني التي تروج في البلاد العربية، مثل أغاني محمد عبد الوهاب، هي أغاني تمجد الوطن، وحب الوطن، والعروبة، والمشرق، والوحدة، وأن الجزائريين تأثروا بها، ففي أغانيهم الشعبية على سبيل المثال، إنما ينبذون من يتزوج فرنسية فيقولون بالدارجة "اللي متزوج رومية يصيب الهم في كلّ ثنية"، وهو من خلال هذا يحثهم على الزواج بالعربيات المسلمات وعدم التزوج بمسيحيات لكي لا يقع الاندماج مع الفرنسيين، ويعطي مثلا عن أغنية أخرى تقول "حب الوطن لازم نحبيه عن قلم نو أو قلم وي"، ويوصي التقرير في الأخير على فرض الرقابة على تلك الغاني المتداولة من اجل استمرار الهدوء واستمرار العمل في البلاد العربية والمسلمة<sup>(2)</sup>.

(1) رسالة يوسف الرويسي إلى الحبيب ثامر، نقلا عن: محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، ج1، المرجع السابق، ص571.  
(2) AWO، BOI 2260، causerie faite par m le bachagha Smati au cours de perfectionnement de affaires indigènes، le disque de langue arabe، Alger، février 1937.

### 3- انعكاسات السياسات الفرنسية على مواقف وآراء النخبة الجزائرية الفرنكوفونية.

تطرقنا بإيجاز فيما سبق لأهم السياسات، ومواقف، وردود الفعل الصادرة عن الاستعمار الفرنسي وهو بصدد مقاومته للتوجهات الوجدوية، التي كانت تهدد وجوده في الجزائر والشمال الإفريقي، وكل المستعمرات العربية والإفريقية الأخرى، كما وقفنا على أهم المخططات التي صيغت عبر مراحل الحكم الفرنسي للجزائر، من أجل خلق قطيعة نهائية بين الجزائريين وأقطار المغرب والمشارك، بطمس كل الرموز الأساسية للهوية المتمثلة خاصة في اللغة، والدين، والتاريخ...

ولعل تلك السياسات التي انتهجها الإدارة قد أتت أكلها نظرا لقوة النظرية الاستعمارية المبنية على سياسة فرق تسد، وضرورة تسير شؤون الضعيف من طرف القوي هذا من جهة، من جهة أخرى كان الفكر المغاربي يعاني أشد المعاناة، والتخلف الحضاري منذ قرون، وهو تراجع جد خطير ساهم في تغلغل ثقافة ولغة الاستعمار، وخلق شكلا آخر للشخصية الجزائرية والمغاربية التي أصبحت بعض النخب فيها تحقر لغتها، وماضيها، وعاداتها، وتقاليدها، وتنظر بعين التعظيم لكل ما هو أوروبي، وبعين التحقير لكل ما هو عربي وحتى إسلامي إما عن قصد أو غير قصد.

ولعلنا سنستعرض هنا آراء ومواقف بعض النخب الفرنكوفونية، خاصة التي انسقت وراء الدعايات الفرنسية، وراحت هي الأخرى تسعى للدفاع عنها، بشكل شعوري غالبا ولا شعوري أحيانا، لذلك فكثيرا ما نجدها قد دافعت عن الحرية العقائدية، والعلمانية، والإدماج، والفرنسة، والثقافة الأوروبية... الخ، ويعود ذلك لأسباب عدة لا يمكن أن نعوص في تحليلها هاهنا لأن كثيرين قد سبقونا إليها<sup>(1)</sup>، ولكن نذكر أبرزها، كالتكوين الذي تلقته في المعاهد والمدارس الفرنسية، وانتماء غالبيتها لأسر إما موالية للاستعمار، أو ذوات وظائف مرموقة في الدولة، بدون أن نهمل عامل الطرق

(1) أنظر على سبيل المثال: نفيسة دويده، النخبة الجزائرية: مسار وأفكار، ملامح التكوين، النشاط والمواقف، دار ثالة، الجزائر، 2014، ص 29.

المنتهجة في التعليم والتثقيف منذ بدايات الاستعمار، والتي كانت تتلخص في الوصول إلى قاعدة مفادها أن الجزائر قطعة فرنسية منذ القدم.

لكن قبل أن نتعرض لمواقف هذه الشخصيات، بودنا أن نوضح بأن غالب النخب الفرنكوفونية وحتى الاندماجية لم تتوانى قط في الدفاع عن حقوق الجزائريين والمطالبة بالمساواة بينهم وبين الفرنسيين، ونجزم بالقول أنها كانت السبّاقة في الدفاع عن الجزائريين، لأنها كانت أكثر اضطلاعاً وثقافة وفكراً، وأقرب إلى الحقائق، لذلك كثيراً ما سعت عبر مراحل تاريخ الحركة الوطنية لفرض وجهات نظرها على الإدارة الاستعمارية المتعسفة التي لم تكن تقبل أي نقاش لا مع اليساريين ولا مع اليمينيين، ولكن ربما الانسياق وراء الوعود الفرنسية الكاذبة بخصوص الإصلاحات، قد جعل تلك النخب تتشبث لعقود بحلم تحقيق مساواة مع فرنسا، والعيش تحت كنفها ورعايتها<sup>(1)</sup>.

### 1- الشباب المسلمون الجزائريون:

عندما نتكلم عن النخب فإن ذلك يوجب علينا الإشارة إلى حركة الشباب الجزائريين التي ظهرت نهاية القرن التاسع عشر و مطلع القرن العشرين، فقد ظهر هذا الحزب الشبابي على حد تعبير غي برفيليي كمعارضة لإسم العمائم القديمة من الشيوخ التقليديين، والمحافظين ذوو التكوين العربي<sup>(2)</sup>، فالشباب الجزائريون على قلتهم كان همهم ايقاظ العموم من الغيبوبة التي كانوا يعيشون فيها منذ قرون، والتي تسببت حسبهم في الاستعمار، فقد سعوا قبل كل شيء إلى توعية الجماهير، و طالبوا الإدارات الفرنسية بحقوق الجزائريين كالتمثيل النيابي، وعارضوا للتجنيد الإجباري، كما تقدموا بعرائض عدة تضمنت إصلاحات في مختلف المجالات، فرؤيتهم حسب الدكتور يحي بوعزيز تتمثل في أنهم كانوا

(1) للاستزادة عن تطور فكر هذا الاتجاه راجع: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 41.

(2) غي برفيليي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880-1962)، ترجمة: م. حاج مسعود، أ. بكلي، ع. بلعربي، دار القصة، الجزائر، 2007، ص 119.

يرون في محاربة التفرقة العنصرية، وتطبيق مبدأ المساواة في الحقوق والواجبات بين الأقلية الأوروبية المسيحية، والأغلبية الجزائرية المسلمة، حلا للقضاء على المأساة الجزائرية، لذلك طالبوا بتحقيق الاندماج والتجنيس<sup>(1)</sup>، بدايات القرن العشرين، مستغلين ظروف الحرب العالمية الأولى ومشاركة الجزائريين فيها للمطالبة بإصلاحات جزاء ضريبة الدم التي دفعها الجزائريون في جبهات القتال<sup>(2)</sup>، خاصة ضد الأخت في الدين تركيا (=الدولة العثمانية) حاملة راية الخلافة الإسلامية.

فلقد كانت النخبة تضم نوابا، ومدرسين، ومهنيين، وصحفيين، وموظفين في قطاعات مختلفة<sup>(3)</sup>، فوجدت نفسها مقحمة في نسق الحداثة مختلطة المفاهيم عليها، فكانت نتاجا هجيناً للسياسة الفرنسية في الجزائر، وتركيباً جديداً داخله فرنسي إسلامي، وإطاره العامّ جزائري<sup>(4)</sup>، فالبرغم من أنها مثلت في الحقيقة صوت الشعب في فترة كان الكلام فيها حول المطالب جد عسير، إلا أنه كانت كان من السهل أن تُبث في دواخلها قناعات مفادها، أن تطور الجزائريين لا يكون إلا بمساعدة من فرنسا الوطن الأم<sup>(5)</sup>، حتى وصل الأمر إلى البعض منهم إلى نفي الأمة الجزائرية من الأساس، وأن كل ما تدعو إليه بعض الأطراف المتعصبة من الاستقلالين والإصلاحيين، حول ضرورة التشبث بالدولة الجزائرية المستقلة عن فرنسا، و بآمال الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية، أو الدعوة

(1) يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المرجع السابق، ص 42.

(2) يقول شارل أندري جوليان: "لم تعدل الحرب العالمية الأولى المواقف في شيء، فقد مدح الجنود الأهليون الأجداد مدحا جزيلاً، لأنهم قاتلوا قتالاً ناجحاً من أجل قضية الحرية، ولكن من غير أن يعترف لهم بما أكسبتهم تضحيتهم من حقوق سياسية". انظر: شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص 130.

(3) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، مصدر سابق، ص 60.

(4) نفيسة دويبة، المرجع السابق، ص 67.

(5) حاول الحاكم العام جول كامبون (1891-1897) اختيار طبقة نخبوية جديدة من الأهالي لتلعب دور الوسيطة الطبيعية والضرورية بين الحكومة والسكان، كما صرح الحاكم جونار سنة 1908 قائلاً بأن "مصلحتنا الملحة، تشكيل نخبة مثقفة تكون قادرة على نشر مبادئنا، وقيمنا، في العدالة والرفق وتكون برجوازية محافظة، وتمسكة بارتباطها معنا، ومنضوية تحت لوائنا لترعى ثمار التقدم الذي تحقق لفائدتها". انظر: غي برفيلي، المرجع السابق، ص 119.

إلى التمسك بالخلافة الإسلامية، هو مجرد هراء لا أساس له من الصحة، أو مجرد كلام يبقى حبيس الأوراق مادام أن الهوة كبيرة بين عالمي الشرق والغرب، فكثيرا من كان يُتهم الإسلام من طرف بعض المغالين النخبويين بدوره في تأخر العرب والأفارقة، ومن جهة أخرى وجد كثيرون ممن دافعوا بشدة عن الإسلام والحضارة العربية الإسلامية، لكن أقروا بعدم القدرة على العودة إلى ما مضى، لأن كل عصر له ظرفه الخاص به، لكن لا بد من التأكيد قبل الخوض في عرض بعض المواقف، على أن وطنية العديد منهم لا يشكك فيها، وأن كثيرا من الكتابات التاريخية ظلمتهم، ولم تنظر إلى مساراتهم بعين الصواب فلم تراعي الظروف التي نشأوا فيها، أو التغيرات التي طرأت على مواقفها مع مرور الزمن.

انسأقت عديد الشخصيات النخبوية خلف الأطروحات الفرنسية التي كانت تقضي بإقرار مشروع الجزائر الفرنسية، فوجد أواخر القرن التاسع عشر الطيب مرسلي<sup>(1)</sup>، وإسماعيل حامت<sup>(2)</sup>، على سبيل المثال وبعدهم بلقاسم بن التهامي، وعمر بوضربة، والصادق دندان، وبن بريهمات وغيرهم، ممن طرحوا أفكارهم الإصلاحية في إطار الوجود الفرنسي في الجزائر والشمال الإفريقي<sup>(3)</sup>، فهذا السيد الزناتي، صاحب جريدة "صوت الأهلي"، وهو أكبر داعية للتجنس والتفرنس في الجزائر كتب مقالا عن حقيقة المتجنس بعنوان "المتجنسون المساكين" يقول فيه: "إنه قد كان المظنون بأن التجنس يدخل

---

(1) من مواليد وهران سنة 1865، درس وتخرج في الطب، له كتابات حول المسائل الأهلية الجزائرية، اتسم فكره بالتسامح والوسطية، ودعا للتعايش مع الثقافة الأوروبية والتعود على الوجود الفرنسي في الجزائر باسم روابط الدم التي تجمع الفرنسيين والجزائريين كحرب القرم 1870 ويقول على سبيل المثال: "علينا أن نكون فرنسيين بالمشاعر والقلوب نحن الذين تربينا على نفس المقاعد كالفرنسيين الصغار". راجع: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص 232. أيضا: نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 56

(2) من مواليد الجزائر العاصمة بتاريخ 4 أوت 1857، عمل كضابط مترجم رئيسي لقيادة الأركان العامة، له عدة كتابات على غرار كتاب "خمسة أشهر في المغرب"، وهي مهمة كلف بها هناك قدم بعدها تقريرا للإدارة الفرنسية حول تلك الرحلة، ومن أهم ما ذكره هو وجوب أن تحتل فرنسا المغرب الأقصى. انظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ص 237. أيضا: نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 58، 59.

(3) أسس ابن التهامي مع محمد صوالح رابطة العمل الفرنسي الإسلامي في جويلية 1919، ودعما للإصلاحات الفرنسية المقترحة، وكان معهم بوضربة وتامزالي، ودعوا صراحة إلى التجنيس لنيل الحقوق من دون النظر على أحوالهم الشخصية.

المرء أصالة في العائلة الفرنسية، فضحى الكثير من أجل ذلك ماضيهم وتقاليدهم ودينهم، وجعلوا أنفسهم عرضة لامتهان وازدراء بني جلدتهم إلا أنهم بدل أن يصبحوا مقابل ذلك فرنسيين، أصبحوا طبقة ثالثة في البلاد لا هم من الفرنسيين ولا هم من الأهالي، وأصبحت الجزائر تشمل: طبقة الفرنسيين، تليها طبقة المتجنسين، ثم طبقة الأهالي<sup>(1)</sup>.

فمع كل المواقف التي كانت تصدر عن النخبة كانوا تقريبا منبوذين من الطرفين فلا هم الأهالي راضون بهم، لأنهم حسبهم قد خرجوا عن الملة وغيروا عاداتهم، وتقاليدهم، وثقافتهم، كما أن الأطراف الفرنسية كانت تشكك في أمرهم ولا تترتاح لهم، معتبرة إياهم مصدر تشويش، فتحاول خلط المفاهيم باتهام الشبان بالدعاية للقومية الإسلامية والعربية في ثوب عصري جديد<sup>(2)</sup>، فهم حسب موريس أجام: "أذكاء ومرنون وألمعيون، مظهرهم مظهر أناس مهذبين متحررين من سطوة القرآن، كما أنهم يرتدون السترة والسروال العريض، وهم الذين ابتكروا بالاتفاق مع الشبان الأتراك القومية الإسلامية..."<sup>(3)</sup>.

هذا وعبر الأب المسيحي de Foucauld سنة 1916 عن قناعة راسخة في: "قيام حركة قومية شبيهة بتلك التي حدثت في تركيا، إذ لم يعتنق المسلمون الديانة المسيحية، وسوف تظهر في المدن الكبرى نخبة من المثقفين الفرنسيين من بين أولئك الذين تعلموا في المدرسة الفرنسية، ولكنهم لا يتحلون لا بالفكر ولا بالقيم الفرنسية، ستفقد تلك النخبة إيمانها بالإسلام، ولكنها مع ذلك ستحافظ عليه كشعار يتيح لها التأثير على الجماهير، وستظل تلك الجماهير جاهلة متمسكة بالعقيدة الحمديدية، وتضمحل الحقد والكراهية

(1) أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص 440.

(2) النخبة كانت تعيش صراعا فكريا وثقافيا كبيرا، فهي تساند فرنسا في حروبها ضد العثمانيين، لكن من جهة أخرى تتعاطف مع عاصمة الخلافة التي تجمعها مع الجزائر رابطة التاريخ والدين، كما تتعاطف مع الشبان الأتراك الجدد الذين كانوا لا ينظرون للخلافة الصورية بعين الرضا. انظر: نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 96.

(3) Maurice ajam :problèmes algériens(impressions de voyage),perf, joseph, Caillaux

نقلا عن: نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 76، 75. p24 ,1913 ,larose, paris ,imp. , e ,

للفرنسيين، وعندما تحين الفرصة المواتية، فإنها سوف تستعمل الإسلام كأداة لتحريك الجماهير الجاهلة نحو تأسيس امبراطورية افريقية مسلمة ومستقلة"<sup>(1)</sup>.

ولعل الشبان الجزائريون في الحقيقة، كان مشكلهم الأكبر هم المستوطنون الأوروبيون من أصول مختلفة أو كما كان يطلق عليهم "الفرنسيون الجدد" الذي تحصلوا على صفة المواطنة الفرنسية منذ سنة 1889، وجنوا ثمار الاحتلال بسرعة، وحاولوا التخلص مرارا وتكرارا من المركزية الفرنسية للتمتع بحريات واسعة في الجزائر المستوطنة، لتسيير شؤونهم المحلية بأنفسهم وأصبحوا يسمون أنفسهم بكل فخر "الجزائريين"، وهو ما شكل تدمرا كبيرا، وحسرة لدى الجزائريين الحقيقيين وخاصة النخبة الواعية التي أصبحت تطالب بارتباط أوثق مع فرنسا الحقيقية، معتبرة إياه أحسن حل للتخلص من الظلم والجور المسلط على الأهالي منذ عقود، لكن لم يذهبوا وراء حلم تحقيق الوحدة العربية أو الإسلامية، وبقوا إلى غاية 1936 يطالبون بتحقيق المساواة في إطار السيادة الفرنسية<sup>(2)</sup>، وهو دليل على أن الأفكار الفرنسية التي بثت فيهم قد لاقت مفعولها<sup>(3)</sup>.

## 2-فدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين:

يرى الدكتور أبو القاسم سعد الله أن من أهم نتائج اصلاحات 1919، هو انقسام جماعة النخبة حول قضية الاندماج، أي الخلاف حول ما إذا كان يجب المناداة بضم الجزائر إلى فرنسا، أو الاحتفاظ بها كيانا مستقلا، وخاصة بعد الانتخابات البلدية بالعاصمة في ديسمبر 1919<sup>(4)</sup>، وهو ما يؤكد فعالية السياسات الفرنسية التي تعددت من أجل الحفاظ على الجزائر التي بدت تعيش حراكا سياسيا

(1) غي برفيلي، المرجع السابق، ص 120.

(2) نفسه، ص ص 121-123.

(3) فرحات عباس، الشاب الجزائري، ترجمة: أحمد منور، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 16.

(4) حصلت قائمة الأمير خالد -الحاج موسى على 940 صوتا، وحصلت قائمة الدكتور ابن التهامي -ولد عيسى على 340

صوتا. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، المصدر السابق، ص 289.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوحدوية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

مطلبيا، وكذا محاولة احتواءها من النزعات المشرقية (= القومية العربية والجامعة الإسلامية)، والمغربية (= دعوات الوحدة من طرف الثعالبي وعبد الكريم الخطابي خاصة) ، وبالخصوص بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، وبما أننا تحدثنا عن التيارات التي دعت للارتباط بالفضاء المغاربي والعربي الإسلامي، فإننا نركز في هذا الفصل على التيارات التي كانت ترى في الفضاء الفرنسي والأوروبي أحسن حلّ لتحقيق وثبة الجزائريين.

يقول المناضل أحمد مهساس: " يمكن اعتبار النواب (الفدرالية) بأنهم الأكثر تمثيلا للتيار الفرانكفوني الاندماجي في إطار قانون خاص أو من دونه مسلم"<sup>(1)</sup>، ولعل النواب المنتخبين لم يكونوا مهيكليين أو منظمين قبل سنة 1927، فمنذ نفي الأمير خالد سنة 1923، بقيت الساحة السياسية خالية تقريبا من أي مطالب حقيقة بالنسبة للجزائريين باستثناء ما كان يكتب في بعض الصحف والجرائد، أو تلك المحاولات الفردية المحتشمة<sup>(2)</sup>، وبعدها تهيكلوا في 11 سبتمبر 1927، فإنهم دائما ما كانوا يحاولون المطالبة ببعض الإصلاحات، ولكن مع اثبات ولائهم للسيادة الفرنسية، في حين كانت بعض الأصوات الاستقلالية والإصلاحية كما رأينا سابقا تنادي بالوحدة العربية والإسلامية والمغربية من أجل اخراج الاستعمار الفرنسي.

ففي رسالة موقعة من طرف عدة منتخبين بتاريخ 2 ديسمبر 1926 بمناسبة تدشين مسجد باريس، عبروا فيها عن ولائهم لفرنسا، و اعتبروا انفسهم بأنهم الناطقون الرسميون باسم المسلمين الجزائريين، وأنهم فرنسيون بمحظ إرادتهم، وليس خضوعا لقانون 1865 فقط فمما جاء فيها: " نحن فرنسيون بإرادتنا، وبتفاني جميع السكان الأهالي للجزائر الذين وقعوا بدمهم في جميع ساحات المعارك رسائلهم العظيمة للتجنس، والذين لا يزالون مستعدين لتقديم الأدلة على تمسكهم الوفي والراسخ بالولاء لفرنسا... وبهذه الصفة نحن نطلب الإذن بالتعبير أمامكم بالفرنسية، فنحن ممتنون بعمق لفرنسا لمنحها لنا

(1) أحمد مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 175.

(2) نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 104، 105.

ولأولادنا تعليمها ولغتها، فبهذه الطريقة كونت روحنا على صورتها، وهي متأكدة من ممارسة إشاعتها وسيادتها الكاملة على أرض وطننا إلى الأبد"<sup>(1)</sup>.

كان ابن التهامي الناطق الرسمي لهذا التيار الذي وصف بالليبرالي، فقد دافع الليبراليون صراحة عن الجزائريين حسب الوسائل والظروف المتاحة ولكن في صالح التعاون مع فرنسا، معبرين عن ثقافتهم الفرنسية اللائكية<sup>(2)</sup>، فقد دعا سنة 1923 لتشكيل جمعية للمتجنسين للدفاع عن حقوق المنتسبين إليها خاصة قدماء المحاربين، كما قدم رسائل وعرائض وكتب مقالات عديدة في جريدة التقدم معبرا عن آراء تلك النخبة، ففي رسالة موجهة إلى وزير الداخلية الفرنسي سنة 1926 كتب يقول: "...نحن فرنسيون ليس فقط بموجب القرار الملكي لسنة 1865م، بل بتطوعنا الاختياري الحر، وبإخلاص كافة الأهالي مسلمي الجزائر بخط دمائهم المرافقة في ميادين الحرب التي برهنت ولا شك على تمام ارتباطهم بفرنسا، لذلك نطلب الإذن في مخاطبتكم بصفتنا فرنسيين، قلوبنا كلها معترفة بإحسان فرنسا، وما أعطته لأبنائنا من معارفها ولسانها، مما صير في أرواحنا الثقة بدوامها، سائدة على أوطاننا وساقط رؤوسنا"<sup>(3)</sup>.

بالتأكيد لن نقول بأن كلّ الرؤى والمواقف التي كانت تصدر من النخبة كانت بسبب التدجين أو التثقيف الفرنسي الذي تعرضت له، ولكن كانت غالبية تلك الآراء فيما يخص التجنيس أو الإدماج كانت تنبع من سعيها للدفاع عن الجزائريين، إذا لا يعقل أن تحتل فرنسا بلادهم لعدة عقود، وتستغل خيراتهم، وفي المقابل يمنعون من كل شيء، لذلك كانت المطالبة بدمج الجزائر في فرنسا عن طريق عملية تجنيس الأهالي حاضرة دائما في أدبيات وخطابات المنتخبين، والنواب، والنخب الفرنكوفونية بالخصوص، وبالتالي ربما قد وقع المنتخبون والنواب في فخ محاربة الدعوات إلى الانتماء للفضاء المغاربي في إطار الأمة العربية الإسلامية عن دراية وعن غير دراية، ومع ذلك فمطالبهم لم تلق استجابة

(1) نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 107. نقلا عن: محفوظ قداش، ص 151.

(2) نفسه، ص 292، 293.

(3) نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 111.

لا من طرف الحكومة الفرنسية لأن الكولون كانوا يقودون حملات شرسة عليهم، إذ لا يعقل حسبهم مساواة الفرنسي بالعربي، ولا من طرف الشعب الجزائري الذي كان يعتبرهم تنويريين خارجين عن الملة يعيشون ثقافة غير ثقافتهم، وما زاد من سوء الأمور بالنسبة لفدرالية النواب حسب "غي برفيلي" هو تسلط الدكتور ابن التهامي الذي نصب نفسه زعيما لا يمكن الاستغناء عنه، فأصبحت الفدرالية بشلل بسبب النزاعات الحادة التي كانت تنشب بين المنتخبين حول عدة قضايا، وحتى لما عوّلوا على الاحتفالات المئوية لفرنسا في الجزائر لتحقيق مطالبهم، فإنهم تلقوا الخيبات مرة أخرى<sup>(1)</sup>.

في المقابل كانت شخصية المناضل فرحات عباس تظهر وتتكون شيئا فشيئا في هذه الفترة، لكنها كانت ربما أكثر اعتدالا، أو لنقل أكثرها قابلية للتأقلم مع التغيرات الحاصلة على المستوى السياسي والتموقع الاستراتيجي، إذ لا يمكن أن نحكم على كل مواقفه من القضايا مرة واحدة، لكن نراعي الظروف الزمانية والمكانية، والأقوال والأفعال التي كانت ارتجالية أو مدروسة، تكتيكية أو مقصودة، فقد كتب فرحات عباس سلسلة مقالات جمعها في كتابه الشهير "الشاب الجزائري"، وأصدره عام 1931 تزامنا والاحتفالات المئوية الاستفزازية<sup>(2)</sup>، وهو ما يذكرنا أيضا بكتابي المدني والميلي بهذه المناسبة، فقد كتب فرحات في مقالاته تلك يدعو إلى تحقيق المساواة، والعدل، والوفاق بين الفرنسيين والجزائريين، وهو الذي كان يعلق آملا كبيرا على السياسة الفرنسية الإسلامية التي عملت مثلا على "انشاء الحي الإسلامي بباريس، لأن انشاءه يعد حسبه "برنامجا جديدا للسياسة الفرنسية الذي خرج منه الوفاق الذي نعمل من أجله منذ سنوات طويلة"<sup>(3)</sup>.

فرحات عباس من جهة كان جد متعلق ومرتبط بالحضارة الإسلامية عبر التاريخ، لكن يائسا من العرب والمسلمين المتخلفين في عصره، إذ لا يستطيع أن يرى أن المسلمين قادرون على الوثبة

(1) غي برفيلي، المرجع السابق، ص 143.

(2) فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، مقدمة: د. أبو القاسم سعد الله، ص 8.

(3) فرحات عباس، الشاب الجزائري، من مقال: الخدمة العسكرية للأهالي الجزائريين، نوفمبر 1922، ص 40.

إلا إذا نخلوا من الحضارة الأوروبية التي تفوقت، واستطاعت أن تحتل البلاد العربية والإسلامية، لذلك كان يشجع كثيرا الوثبة، أو الثورة التنويرية التي حققها مصطفى كمال أتاتورك، بأن أدخل العلمانية التي قضت على الفكر القروسطي الى تركيا فيقول: "لن يبقى في التاريخ سوى أسماء مثل عقبة أو خالد بن الوليد، أو طارق الذين يساوون توران أو دافو، أما الحاضر فسيحتفظ بأسماء مثل زغلول أو مصطفى كمال المكلل طيفهما بالجد، والذين سيفرضان نفسيهما على الأجيال اللاحقة، إن هذين الاسمين سوف ينطق بهما بإجلال ليس من قبل المسلمين وحدهم في العالم، ولكن أيضا من قبل أولئك الذين كانوا سيكون من قبل بنبل على مصر بولونيا المسكينة والألزاس واللورين"<sup>(1)</sup>.

إذن نحن أمام شخصية مفكرة ومُنظرة تريد الاستلها من الماضي العربي الإسلامي المشرق، بمساعدة من طرف الحداثة الفرنسية المستمدة أصولها من فلسفة الثورة الفرنسية 1789، وعدم العودة إلى أخطاء الماضي لتحقيق فكرة الجزائر الفرنسية، فقد اعترف فرحات عباس أن ربط الاقتصاد الجزائري بأوروبا أضر به كثيرا فيقول: "لقد غير الغزو الفرنسي كل شيء، وأولها ربط الجزائر بأوروبا الذي رفع تكلفة المعيشة..."<sup>(2)</sup>، لذلك نجده يضع مقارنة بين الدولة الإسلامية وروما الغازية، ووجودهما وطرق تسييرهما لبلاد المغرب، فيشبهه فرنسا وتسلطها بالتسلط الروماني الذي جعل من أرض الجزائر أرضا للاستغلال والاستعباد، وفي المقابل يقدم البديل المثالي حسب، لتحقيق المساواة بين الفرنسيين والجزائريين لكي تصبح الجزائر بالفعل مقاطعة فرنسية فعلية، وليس مجرد مستعمرة<sup>(3)</sup>، وهو اتباع

---

(1) فرحات عباس، المصدر السابق، نفس المقال، ص41. نشير إلى أن فرحات عباس كتب هذا المقال قبل سنتين من عملية الغاء الخلافة الإسلامية 1924، التي كان يعتبرها شأنه شأن عديد التنويريين مجرد وهم أو سراب زائف، ولعل كثيرين بعد ذلك ذهبوا وراء نفس رأي فرحات عباس لما رأوا الثورة التي حدثت في تركيا بالرغم من توجهها العلماني، وعلى رأيهم الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كتب عن أتاتورك عندما توفي بمجده وبخلده (1936)، بعدما استنكر عملية الغاء الخلافة في بادئ الأمر، وهو في رأينا ما يعني أن كتابات فرحات عباس كانت استشرافية وسابقة لأوانها، لقراءته المستقبلية الجيدة للأحداث.

(2) فرحات عباس، المصدر السابق، من مقال: هجرة العمال الجزائريين إلى فرنسا: اجراء اعتباطي، أبريل 1924، ص51.

(3) نفسه، ديباجة مقال: المثقف المسلم، ص61.

النموذج الإسلامي في أسلمة (l'islamisation) شعوب المغرب العربي، واخضاعه بالطرق السلمية والعدالة، فيقول: "اليوم، وبعد اثني عشر قرنا ما زالت نتائج الغزو العربي (=الفتح) تدهشنا، فقد تعرب المغرب بشكل واسع واعتنق الإسلام بشكل كامل وعميق، إن هذه نتيجة تثير الإعجاب بالطبع، إذ لم تحصل إلا القليل من المستعمرات في تاريخ الكرة الأرضية على مثل هذا النجاح. إن هذا النجاح ليس هو ثمر المصادفة ولا القوة، إن الفضل فيه يرجع إلى أيديولوجية المساواة في الإسلام، وإلى سمو اخلاقه، وإلى عمل حكامه الذين أنجزوا عملهم بنزاهة... إن عملية الأسلمة (l'islamisation) هذه هي التي ينبغي أن تفرض نفسها بطرقها كنموذج على فرنسا، إذا كانت فرنسا ترغب حقا في القيام بعمل دائم ويكون له معنى" (1).

فمن خلال فكر الشاب فرحات عباس في العشرينيات يبدو انسانا واقعيا ، فهو يرى أن لا وجود لشيء اسمه القوى الإسلامية، خاصة تلك التي تعيش تحت الاستعمار، فهو يعتبر أن القوة الإسلامية هي التي تكون مستقلة تعيش في كنف الحرية، ويشارك مواطنوها في الحياة الوطنية، لذلك هو ينبغي أن تكون فرنسا أو بلد أوروبي آخر انجز ذلك أو سمح بإنجاز ذلك (2)، وهو بذلك في نظرنا ينبغي أن تكون الجزائر أو أقطار المغرب العربي، قوى إسلامية لأنها ببساطة تعيش الاستعمار ، لذلك يدعو فرحات عباس فرنسا لاتباع سياسة إسلامية ملموسة فعلا، لتصبح دولة إسلامية عظمى تضم عدة أقطار، بالرغم من أنها مسيحية في الأصل فيقول: "إنه لشيء مثالي لو تصبح فرنسا بالملايين الستة من الجزائريين القوة الإسلامية الأولى في الوقت الذي هي فيه قوة مسيحية، إن هذا ليس بالمستحيل، من حيث أنه لا شيء في قرآننا يمنع جزائريا مسلما أن يكون من حيث جنسيته فرنسيا...واعيا بالتضامن

(1) فرحات عباس، الشاب الجزائري، من مقال: الأعراق المتفوقة: الاستعمار ودخول الإسلام، ص78.

(2) نفسه، مقال: العدالة والنزاهة أولا، والسياسة بعد ذلك هذا برنامجنا، ص133.

الوطني. ليس هناك شيء يمنع إلا الاستعمار نفسه بمصالحه الأنانية، مضافا إليها خطأ محاولة إدماج ببساطة تامة"<sup>(1)</sup>.

ويبدو فرحات عباس متأثرا بعدة كتاب ومفكرين على غرار الدكتور "اساباطو"<sup>(2)</sup>، الذي كان من اللذين يرون ضرورة تتبع الشعوب الإسلامية للأمم الأوروبية لتحقيق التطور، وفرحات عباس يؤكد ذلك، لكن يرى أن فرنسا هي من تعزف على المباشرة في تلك السياسة، وتعتمد ترك المسلمين في مستعمراتها متخلفين لمزيد من الاستغلال فيقول: "إن علاقة فرنسا بالعالم الإسلامي قد تركت طوال القرن الحالي لمصادفة الارتجال الوزاري، وهي تتطلب اليوم مرجعا حقيقيا يستمد مضمونه من المعطيات الحالية، عن الإسلام الذي تعرض للاستفزاز من كل جهة، هو في حالة تحول... ومن الأنفع لفرنسا أن تأخذ هذا التحول في الحسبان وأن تساعد حسب التقليد الذي أبدعه لافاييت"<sup>(3)</sup>، ما هو جدير بالمساعدة"<sup>(4)</sup>، ويضيف: "إن هذه الأمة التي يتحدث عنها الدكتور أسباطو، يتمناها المسلمون الجزائريون أن تكون هي فرنسا، ألا يشكل هذا التمني أفضل دليل يمكننا ان نقدمه عن تعلقنا بفرنسا"<sup>(5)</sup>.

ولقد اعتبر شارل أندري جوليان المقالات التي كتبها فرحات عباس ونشرها في كتاب "الشباب الجزائري"، مصدرا هاما للباحثين في دراسة نشأة الوطنية الجزائرية، خاصة لما كان لها من أثر بليغ

(1) نفسه، ص 133.

(2) يقول في كتابه: "الإسلام وسياسة الحلفاء": "إن صفتي التسامح والعالمية في الإسلام-أي العطاء الثقافي والإحسان الروحي تتيحان لشعب ما، وحضارة ما، بلوغ أعلى الأشكال الاجتماعية، في حين أن ما ينقص هذا الشعب اليوم -لكي يتطور- هو المساندة المخلصة لأمة أوروبية تقوم بدور حلقة وصل، توصله إلى التمتع بفوائد الحضارة الأوروبية، دون أن يخشى من وراء الكلام الجميل عن التقدم والتطور والحرية والاخوة الاستعباد السياسي والاقتصادي الذي يختفي في ثناياه". انظر: فرحات عباس، الشباب الجزائري، المصدر السابق، ص 134.

(3) الماركيز دو لافاييت (1756-1834) أحد أبطال فرنسا الوطنيين، وأحد قادة الثورة الفرنسية، ولعب دورا هاما في تحرير أمريكا. انظر: فرحات عباس، الشباب الجزائري، ص 134 (الهامش 1)، (تعليق المترجم أحمد منور).

(4) نفسه، ص 134.

(5) نفسه، ص 135.

في نشاط الشبيبة الجزائرية في تلك الفترة ، ولخص جوليان الكتاب بقوله: " تتلخص فكرة الكتاب في ضرورة الانتصار على الاستعمار قبل كل شيء، لكي يتحقق الوفاق بين الفرنسيين والمسلمين، على أنه توجد في الكتاب اعتبارات تميز ذلك العهد ولا تخلو من قيمة، فلا كلام عن الأمة الجزائرية ولا عن الوطنية...فمقالات فرحات عباس تسجل مرحلة الادمج التدريجي للنخبة الأهلية في المواطنة الفرنسية، بدون التخلي عن نظام الأحوال الشخصية، وهي نظرية لا تتفق بتاتا مع الاستقلال القومي" (1).

### 3-النخب الاندماجية في الثلاثينيات:

رأينا من خلال ما سبق كيف كان يفكر النخبويون الفرنكفونيون في العشرينيات عموما، ولعل فرحات عباس كان أعدهم حسبنا، لأنه نهل من عدة مشارب واختلط بعدة تيارات، خاصة لما كان رئيسا لجمعية الطلبة منذ 1926<sup>(2)</sup>، على عكس عدة نخب أخرى كابن جلول، أو ابن الحاج التي ذهبت وراء الدعاية الفرنسية، التي كانت تحاول ابعاد الجزائر قدر المستطاع عن النزعات المشرقية والمغربية خاصة بعد تأسيس نجم شمال افريقيا في المهجر 1926، ثم أنه بعد الاحتفالات المنوية الاستفزازية حدثت تغيرات جذرية عدة على مستوى تفكير النخب الجزائرية عموما، وبالخصوص لما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، التي حملت لواء الدفاع عن العروبة والإسلام، ولكن العديد كانوا لا زالوا متمسكين بفرنسا التي كانت حسبهم الملاذ الوحيد، فقد عبّر المدرس ابن الحاج رئيس نادي الإخاء عن نظرتة، في خطاب افتتاح النادي سنة 1933 قائلا أن: "النادي مفتوح لكل من يريد أن يعمل في سلام واتفاق وإخاء، ذلك الإخاء الذي يجب أن يوحد جميع أبناء فرنسا"، وأضاف قائلا : "بأننا جميعا قبل كل شيء فرنسيون، فوطننا هو فرنسا، والعلم الذي نعيش تحته هو العلم

(1) شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص132.

(2) فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص60.

المثلث... إن الجزائريين فرنسيون سواء كانوا يتمتعون بالحقوق المدنية أم لا، وسواء كانوا متعلمين أم أميين... فديننا لا دخل له في جنسيتنا التي هي فرنسية، ولا يمكن أن تكون سوى فرنسية"<sup>(1)</sup>.

وقد ذهب ابن جلّول ضمن الوفد إلى باريس أثناء المؤتمر الإسلامي 1936، وعنه يقول سعد الله: "حذر قبل ذلك مستمعيه من الدعاية الشفوية، أو المكتوبة عن الوطنية الدينية، أو القومية الإسلامية، لأنه لم يسمع قط بالقومية الكاثوليكية أو البروتستانتية أو غيرهما، وطالبهم بالعمل والتضامن والتآخي مع المعمرين الذين يعيشون بينهم، وألا يعملوا للعيش مع أولئك المسلمين البعيدين معهم (= المغاربة أو المشاركة)، وختم خطابه بضرورة تعليم اللغة الفرنسية لأن الأداة الوحيدة للحياة العصرية"<sup>(2)</sup>.

فابن الحاج وُصف من طرف الفرنسيين، على أنه من أفضل العناصر المتخرجة من الجامعات الفرنسية، لرفضه التعصب والفكرة الإسلامية، ومهاجمته للعلماء المصلحين والقومية الدينية<sup>(3)</sup>، ولقد كتب في جريدته **l'entente** "نافيا بأن تكون هناك وطنية جزائرية، وكل ما هناك في رأيه هو الوطنية الفرنسية، وأنه من الخرافة التحدث عن الجامعة الإسلامية في الجزائر، لأن كل الكتابات الصادرة عن الشباب (=النخبة) الجزائريين هي أعمال وكتابات فرنسية فيقول: "الشيوعية، الجامعة الإسلامية، ألم نرفض ألف مرة هاتين الفكرتين المتناقضتين... وإذا كان لدينا وطنية أفليست فرنسية لحما ودما؟"<sup>(4)</sup>، وقد كان ابن جلّول على رأس المؤتمر الإسلامي 1936، خاصة وان ابن باديس وضع فيه الثقة، وحتى لما أسس بعدها أسس التجمع الفرنسي الإسلامي<sup>(5)</sup>، وبقي على نفس التوجه القائل بضرورة إلحاق الجزائر بفرنسا، والتسمية هي خير دليل على البرنامج الذي سطره.

(1) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص61. يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المصدر السابق، ص50.

(2) أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية، ج3، المصدر السابق، ص62.

(3) في المقابل اعتبرته أطراف فرنسية مغالية بأنه يدعو للوهابية وآل سعود، نفسه، ص67-70.

(4) نفسه، ص72. نقلا عن: ابن جلّول، مقال في جريدة لانتانت فبراير 1936.

(5) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص266.

ولعل الكثير من النخب لم تكن تؤمن بدولة جزائرية مستقلة عن فرنسا، ولهذا لم تفكر في أسس بناء الدولة ومؤسساتها<sup>(1)</sup>، وبالتالي لم تفكر في إقامة صرح مغاربي، أو عربي إسلامي مستقل على الأقل في هذه الفترة، وقد ذهب فرحات عباس إلى أبعد من ذلك هذه المرة حينما كتب مقاله الشهير "فرنسا هي أنا"، فبالتأكيد عرف هذا المقال لغطا كبيرا، وربما بقي يلازم فرحات عباس طوال حياته، ووصف بالخائن بسببه، وحاولت عديد الأطراف تشويه صورته، وتشويه نضاله بالتركيز دائما على تلك الزلّة، وهو ما يؤسف له صراحة في نظرنا، إذ لم تراعى الظروف الداخلية والخارجية والتكتيكية التي كتب فيها المقال، وربما حاول الدكتور رابح لونيبي تقديم بعض التفاسير لتلك الخطوة التي قام بها فرحات عباس، بحيث أوعز ذلك إلى ثلاثة عوامل وهي: الظروف والأوضاع التاريخية (= مشروع بلوم فيوليت)، ورغبة فرحات عباس الملحة في تطوير الجزائريين بتعليق آماله على فرنسا، وتأثره بالنظرية القومية الفرنسية التي وضعها أرنست رينان القائلة بأن الرغبة في العيش المشترك هي العامل الرئيسي في تشكل أي أمة<sup>(2)</sup>.

لكن في رأينا هذه المبررات لا تعني أبدا أنه لم يكن يؤمن بإلحاق الجزائريين بالأمة الفرنسية، ولكن ربما الظرف التي كتبت فيه أيضا يوقعنا في الغموض وهلامية بالنسبة لرأي عباس، فيجب أن نتذكر أنه قد كان في هذه الفترة عضوا نشيطا في جمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا، وأفكاره كانت تصب في مصب غالبية الطلبة، وعلى رأسها تكوين مغرب عربي موحد في إطار الأمة العربية الإسلامية، فإذا

(1) رابح لونيبي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 144.

(2) يقول لونيبي: "فرحات عباس يميز بين بدقة بين الدولة وفكرة القومية المرتبطة بالأمة، فما دام ان الفكرة الأخيرة لم تظهر إلى الوجود إلا في القرن التاسع عشر، فإنه من المنطقي حسب فرحات عباس ألا يعرف الجزائريون عبر تاريخهم دولة-الأمة الجزائرية، وما عرفوه هي امبراطورية إسلامية او امبراطورية عربية، ودول لم تكن مبنية على أسس قومية، ومادام أن الفكرة القومية قد اكتشفها الجزائريون وهم موالين للدولة-الأمة الفرنسية، فلماذا لا يلتحقون بهذه الأمة الفرنسية بناء على الرغبة في العيش المشترك؟". رابح لونيبي، التيارات، المرجع السابق، ص 354. لكن ألا يمكن أن نقول عن الدولة الموحدية أسست للدولة المغاربية؟ وحتى إيالة الجزائر التي كانت تحت سلطة الدولة العثمانية، ألم تكن دولة مستقلة عن الباب العالي وكانت لها مراسلاتها وعلاقاتها الدولية باسم الجزائر وليس باسم الدولة العثمانية؟ وجاء فرنسا وغزت الجزائر؟ ثم أعاد الأمير عبد القادر إعادة بعثها من جديد؟

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب الجزائرية:

به يخالف كل ما أسس له من قبل؟، وبالتالي وقع في تناقض صارخ كلفه غالبا، فمما جاء في مقاله: "...الوطنية هي ذلك الإحساس الذي يدفع بشعب أن يعيش داخل حدوده الإقليمية، إحساس خلق هذه الشبكة من الأمم. لو كنت اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت وطنيا...سوف لا أموت من أجل الوطن الجزائري لأن هذا الوطن غير موجود، لم اكتشفه: سألت التاريخ وسألت الأحياء والاموات، وزرت المقابر، ولم يكلمني أحد عنه. على الأرجح وجدت الإمبراطورية العربية أو الإمبراطورية الإسلامية اللتين شرفنا الإسلام وجنسنا. لكن هذه الإمبراطورية اختفت مثل الإمبراطورية اللاتينية المقدسة الرومانية الجرمانية في العصور الوسطى...لقد أبعدا إذن كل غموض وكل خرافة لربط مستقبلنا مع نشاط فرنسا في هذا البلد... ليس هناك من جزائر فرنسية، فرنسا هي أنا...مصالح فرنسا هي مصالحنا من اللحظة التي تصبح مصالحنا هي مصالح فرنسا"<sup>(1)</sup>.

اعتبر الكثيرون أن هذا المقال، وكتابات أخرى كانت قمة التطرف في المطالبة بالاندماج في الأمة الفرنسية، في المقابل كانت التيارات الأخرى تسعى للتحرر، لكن في الواقع مع صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم جعل كل أطراف الحركات الوطنية تليّن من خطابها<sup>(2)</sup>، فحتى حزب الشعب<sup>(3)</sup> لم يعد يطالب بالانفصال في هذه الفترة، وغير شعاره من الاستقلال إلى "لا إدماج، ولا انفصال، ولكن انعتاق"، لأن الانفصال كان يعني الارتقاء في أحضان الفاشية من طرف مصالح الرقابة الفرنسية<sup>(4)</sup>،

نقلا عن : يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المصدر السابق، ص356. L'entente, n 24-2-1936 (1)

(2) أنظر أيضا المقارنة التي وضعها الدكتور نور الدين ثنيو بين رأي فرحات عباس ورد ابن باديس عليه. نور الدين ثنيو، إشكالية الدولة، المرجع السابق، ص393.

(3) يقول مهساس: "لكي يتميز حزب الشعب عن النجم، حرص قاداته على حذف الإشارة على استقلال افريقية الشمالية من برنامجه، وظل التنظيم الجديد يطالب بالاستقلال (بواسطة انتخاب برلمان جزائري عن طريق الاقتراع العام، دون تمييز على أساس العرق أو الدين". انظر: أحمد مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص132.

(4) فسّر كلود كولو أن مطالب النجم في هذه الفترة كانت تشبه مطالب ميثاق الشعب الجزائري، فقد طالب النجم في 1929-1935 بإلغاء المندوبيات المالية وإحلال مكانها برلمان جزائري ينتخب من خلال الاقتراع العام، وفي برامجه في 1933-1936 طالب بإلغاء نظام البلديات المختلطة والأقاليم الجنوبية وتعيينها ببلديات منتخبة ومن خلال الاقتراع العام، لذلك اعتبر ذلك يصب مباشرة في خانة إلحاق الجزائر مع فرنسا، ولكن لم يحدد النظام السياسي الذي يبقى على العلاقة العامة مع فرنسا،

إذن أن كل الأطياف سعت لكسب ود فرنسا في هذه الفترة، وليس فقط جماعة النخبة، لكن ليس إلى درجة نفي صفة الأمة عن الجزائر، وهو ما يوضح صراحة انعكاسات السياسات الفرنسية على تكوين ومواقف النخب الفرنكوفونية التي لم تكن لتعترف بوجود أمة جزائرية أصلاً، فكيف تعترف بوجود العمل على تحقيق وحدة مغاربية في إطار حضارة عربية إسلامية، كما كان يناهز بها الإصلاحيون والاستقاليون<sup>(1)</sup>؟

كانت لمسة النخبة الاندماجية واضحة في مطالب الشعب الجزائري المقدمة في المؤتمر الإسلامي 1936، فقد طالبت فدرالية المنتخبين ممثلة في شخص شيشكين إلى وزير الداخلية الفرنسي رينيه منذ جانفي 1935 بتلك المطالب، والتي جاء على رأسها مطالبة الأهالي المسلمين بالتمثيل النيابي، وإلحاق الجزائر بفرنسا رأساً بالمتروبول<sup>(2)</sup>، ففي المطالب التي عرضتها جريدة الشهاب، والبصائر جويلية 1936 جاء فيها في المطلب الثاني: "ضم الجزائر على حكومة باريس رأساً وإلغاء الولاية العامة بالجزائر"<sup>(3)</sup>، وهو ما يتنافى أبداً والدعوات التي كانت موجودة حول الوحدة المغاربية والعربية

---

لكن الاختلاف الجوهرى بين مطالب النجم وميثاق الشعب الجزائري يكمن صراحة في مطالبة النجم بالاستقلال التام للجزائر، والبرامج في نظرنا هذه كانت كيفية اتباع خطوات منح الجزائر استقلالها تدريجياً، وليس تناقضا. انظر: نور الدين ثنيو، الدولة والمجتمع: نقلا عن: **Claude collot, le congrès musulman algérien(1936-1938), revue algérienne des sciences juridiques, économie et politiques, vol14, n 4, decembre, 1974, p100.**

(1) قبيل هذه الفترة وبمناسبة المؤتمر الإسلامي الأوروبي المنعقد بجنيف في 12 سبتمبر 1935، أكد النجم على الاخوة التي تربط المسلمين ووحدة الإسلام. راجع مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 135.

نقلا عن: نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 398. **La justice, n 01-01-1935.** (2)

(3) **الطيب العقبي، مطالب الأمة الجزائرية التي قررها المؤتمر وجاء الوفد إلى باريس لمطالبة الحكومة الفرنسية بتتجيزها والحصول عليها، البصائر. سل 1، ع 31 جويلية 1936، ص 3.** من المعروف أن الشيخ الطيب العقبي تغير في موقفه فبعد أن كان يدعو للإمبراطورية العربية، أصبح موافقا على أن تبقى الجزائر مرتبطة بفرنسا فقد صرح سنة 1937 قائلا: "نحن لفرنسا، مع فرنسا، في حالة إذا ما كانت فرنسا معنا، وتعاملنا على قدم المساواة مع باقي أبنائها" انظر: مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 161. أما بعد الحرب العالمية الثانية، دجن خاصة بعد خروجه من السجن، وتغيرت مواقفه، فاعترض على سبيل المثال على =

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوحدوية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

الإسلامية، وقد ذكرنا سابقا كيف أن جمعية العلماء اتهمت بالذهاب وراء الخط الاندماجي خاصة من طرف التيار الاستقلالي، فيما فسر كثيرون أن مشاركة الجمعية كانت لازمة للدفاع عن البعد العربي والإسلامي، لأن ذلك كان بمثابة تقرير لمصير أمة، لكن في الحقيقة خرجات الطيب العقبي الذي أصبح يمثل نفسه تقريبا بعد صراع مع الجمعية، لم تكن خرجاته الأخيرة موفقة، وصبت كلها تقريبا في صالح الدعاية للطرف الفرنسي، أو على الأقل العمل على التعاون معه، فقد صرح أنه مع الجنرال ديغول عرفنا الحرية الدينية، ولم يتبقى لنا إلى السير يدا مع يد من أجل سعادتنا، وازدهارنا المشترك<sup>(1)</sup>.

لن نخوض أكثر في مشروع بلوم فيوليت والمؤتمر الإسلامي لأن باحثين كثيرا تناولوا بالدراسة والتفصيل ذلك، لكن ما يجب أن نقوله هو أن مشروع بلوم فيوليت كان حسب شارل أندري جوليان "أضمن عقبة أمام الوطنية، بل أمام الوحدة العربية بواسطة إقامة فاصل من الفرنسية بين تونس والمغرب"<sup>(2)</sup>، هذا إذا علمنا أن أندري جوليان كان خبيرا بالشؤون الجزائرية والمغربية، و الذي سيتكفل فيما بعد بمشروع الاتحاد الفدرالي الفرنسي، ونؤكد على أن مشروع فيوليت كان نقطة فاصلة قبيل الحرب العالمية الثانية

---

=إنشاء الجامعة العربية، وأصبح يدعو لجامعة مغربية مدعومة من طرف فرنسا، وفي هذا الصدد يقول المناضل التونسي محمد الحبيب شلبي: بأن فرنسا توجست شرا من تأسيس الجامعة العربية، فدعت لتأسيس جامعة عربية مغربية، وبدأت بالترويج لها في أوساط الشخصيات السياسية والدينية، ومن بين الذين ذهبوا وراء التيار الشيخ الطيب العقبي الذي جاء عنده إلى مركز الحلفاويين سنة 1948 وعرض عليه ذلك محبذا الفكرة، لكن يذكر شلبي أنه عارض الفكرة، وقال له أن فرنسا تسعى للتفرقة بين المشرق والمغرب، فغضب الطيب العقبي وانصرف. انظر: محمد الحبيب شلبي، محاولة فرنسية لتأسيس جامعة عربية مغربية، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، س9، ع 27-28، مؤسسة عبد الحلي التميمي، ديسمبر 1982، تونس، ص 375،376.

(1) A.N.F, bob n° f145-f60-807, chemise : oulémas, discours prononcé par le cheikh el okbi a la grande mosquée, 1944.

(2) أحمد مهساس، الحركة الثورية في الجزائر، المصدر السابق، ص124.

في استبيان المواقف والرؤى اتجاه القضية الجزائرية، بغية احتوائها لو نجح، لكن أمام ضغط الكولون<sup>(1)</sup> بدى واضحا أن الحكومة الفرنسية بدت متناقضة بتناقض سياسيتها، ولم تكن تقبل لا بالمشروع ولا بالإدماج ولا بالاستقلال، وأن همها الوحيد كان استغلال الخيرات الجزائرية، خاصة وأن ميادين الحرب كانت تستلزم حشدا لكل الطاقات البشرية والمادية، لذلك أغلقت كل المنافذ، وشتمت كل المقدرات<sup>(2)</sup>، وصدورت كل الصحف عشية الحرب، كما زج بغالبية النشطاء السياسيين في السجون، وافتقرت النخب منتظرة ما ستسفر عنه قرارات المتروبول، ففرحات عباس قرر الانفصال عن ابن جلول الذي تمادى في تنازلاته للفرنسيين بتأسيس التجمع الفرنسي الإسلامي كما ذكرنا سابقا، وأسس الاتحاد الشعبي الجزائري<sup>(3)</sup>، والتي طرح فيها قضية الاتحاد الفدرالي الجامع والذي يلحق الجزائر بفرنسا وفي نفس الوقت لا يدمجها فيها<sup>(4)</sup>، ثم راح بعد ذلك وراح مساندا لفرنسا في حربها شأنه شأن

(1) حسب "جوليان" أجمع المستوطنون على إفشال نص كان من الممكن أن يجدوا في خلاصهم. مهساس، نفسه، ص124.  
(2) كانت الرقابة شديدة حتى على النخب الفرنكفونية والأطباء والمتقنين المعتدلين، ففي مذكرة استخباراتية جاء فيها أن الدكتور سعدان يبحث عن مقر لاستقبال الحبيب بورقيبة في مدينة بسكرة التي كان سيوزورها، لذلك طالبت بتوخي الحذر من ذلك، وهذا يدل على محاولات غلق المنافذ لعدم التقاء القادة المغاربيين مهما كانت توجهاتهم، أنظر: =

=CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de (CIE): intention prètee a habib

Bourguiba de se rendre incessamment a Biskra، le 02-12-1937.

وفي مذكرة استخباراتية أخرى جاء فيها، أن الدكتور سعدان استقبل مع الشيخ ابن باديس "أحمد الجوزنري" أحد القادة الدستوريين، وعقدوا اجتماعا حضره: الشيخ خير الدين، قربي، كباس علي، زيكيري علي، ميده معمر، لطرش مبروك، الحاج إبراهيم، وقد تحدث الجوزنري وقال لما لا يكون هنا في الجزائر فرع للحزب الدستوري التونسي كما عليه الحال في تونس المغرب؟ وقد عارض الدكتور سعدان لذلك. أنظر:

CAOM، A46، 25h32، dossier n°12، rapport de commissaire de police de Biskra، le 8

décembre 1937.

(3) شارل أندري جوليان، افريقيا الشمالية تسير، المصدر السابق، ص152.

(4) "ربط الجزائر بفرنسا مع الاحتفاظ بحاكم المقاطعة المسؤول" راجع للاستزادة: نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 440

باقي شخصيات الأطياف السياسية الأخرى لكن بتفاوت، وهو ما أثبتته الرسالة التي بعث بها لزملائه يبين فيها مساندته لفرنسا في حربها من أجل الحرية والسلام في العالم<sup>(1)</sup>.

ولكن السؤال الذي يعود ويطرح نفسه بقوة، هو عضوية فرحات عباس في جمعية الطلبة المسلمين لشمال أفريقيا، وتنبیه مواقفها؟ فكيف يعقل أن يوافق من جهة على قرارات المؤتمرات التي كانت تحت من جهة على قيام صرح الوحدة المغاربية في إطار الأمة العربية الإسلامية؟، ومن جهة أخرى يصرح أعضائها على شاكلة فرحات عباس بضرورة الانتماء لفرنسا؟ هل هو لعب على الوترين؟ أم تكتيك سياسي لا غير؟ فرحات عباس كان يدري تمام الدراية أن الشعب الجزائري والمغاربي لا يرضى إلا بالانتماء على فضاء العروبة والإسلام، حتى ولو كان هذا الفضاء ضعيفا، وقد صرح بذلك في كتابه ليل الاستعمار، ولكن هل كان ذلك لتغيير رأيه بعد اندلاع حرب التحرير، أم أنه كان مقتنعا بالفكرة أصلا، ولم يستطع الاعتراف بذلك، تماشيا وسياسته النضالية مع فرنسا التي كانت تعتبر أن كل دعوى للانتماء إلى العالم الإسلامي دون فرنسا هي خروج عن القانون، فيقول: "ما فتى الشعب الجزائري يعتز بانتمائه على العالم العربي، وهو واع بأنه جزء لا يتجزأ من ذلك العالم، كما يفتخر بانتمائه إلى العالم الإسلامي حارصا كل الحرص عن اسلاميته، يأبى الخنوع لقوم غزاة انقضوا عليه حفاة عراة، يمتصون أرزاقه ويحاولون إبعاده عن قوميته ودينه ولغته وتاريخه"<sup>(2)</sup>.

(1) انظر رسالته في: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المصدر السابق، ص 56، 57.

(2) فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 109. من خلال هذا القول يبدو وكأن فرحات عباس يناقض أقواله أو ما كان يدعو إليه من ارتباط بفرنسا، فقد كتب هذا المؤلف سنة 1960، أي قبل سنتين من الاستقلال، وهو يمثل تغييرا جذريا في فكر عباس، ولعله تعمد أن يركز على بعض الأمور وخاصة جرائم الاستعمار لتبييض صورته، أو لنقل لتجنب الإساءات إلى شخصه بعد الاستقلال خاصة وأنه كان يرأس الحكومة الجزائرية المؤقتة، فبواحد تخوين الزعامات كانت قد بدأت، ومع ذلك لم ينج المناضل فرحات عباس من تشويه شخصه بغية طمس نضاله، فألصقت به دائما عبارة "فرنسا هي أنا"، وبالتالي شكلت صورة نمطية سيئة اتجاهه، وغرست في الناشئة والعامة من دون بحث أو تفسير للظاهرة التاريخية.

يحاول غي برفيلبي تقديم تحليل لفهم سر ذلك التناقض ، فهو يرى أن الطلبة الجزائريين مختلفون عن نظرائهم التونسيين والمغاربة الأكثر تشبعا بالعروبة والإسلام، وذلك نظرا لاختلاف الأوضاع بين الأقطار، فموريس فيوليت الذي حول دائما احتوائهم، اعتبر أن نوايا الطلبة الجزائرية اتجهت فرنسا حسنة، ولكم تمسهم الوطنية العربية، فقال: "إن تلك الدعاية لم تمس الطلبة الجزائريين فهم يتصفون فعلا بالصفة الفرنسية، وهذا يكفي لأن نميهم بالآمال، ولكن لن نلوم سوى أنفسنا إذا خيبتنا آمالهم تلك وسنكون مجانين إذا غفلنا على الأمر الآتي: حين نفتح مجال الحركة الثقافية لأناس ما فإن التجنيس الحق يفرض نفسه فرضا"<sup>(1)</sup>.

ويضيف برفيلبي قائلا: "إن الطابع العربي الإسلامي المحض المميز للحفلات (=المؤتمرات) التي كانت تنظمها ودادية الطلبة المسلمين لإفريقيا الشمالية، لم يكن يعبر عن حقيقة الواقع الثقافي للطلبة الأهالي، بل كان يعبر عن عزمهم على الاحتفاظ بأواصر العلاقة التي تربطهم بشعبهم وذلك بمخاطبته باللغة التي ظل شديد الارتباط بها، غايتهم هي أن يثبتوا لشعبهم بأن استيعابهم الثقافة الفرنسية لم يحملهم على نكران ثقافة أجدادهم، وأنهم كشأن الأغلبية الساحقة من الشباب الجزائري فرنسيون مسلمون بمعنى الكلمة"<sup>(2)</sup>، ويستدل بما صرحت به مجلة التلميذ التي كان يترأسها فرحات عباس: "لنكن فرنسيين ومسلمين في آن واحد ولنبرهن لبعض الذهنيات السقيمة بان ذلك ليس ضربا من الخيال"<sup>(3)</sup>.

#### 4-آراء النخبة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية:

(1) غي برفيلبي، النخبة، المرجع السابق، ص 173. نقلا عن كتاب موريس فيوليت، هل ستعيش الجزائر الجديدة، ص 496.

(2) غي برفيلبي، المرجع السابق، ص ص 174، 175.

(3) التلميذ بتاريخ 2-12-1931 نقلا عن: غي برفيلبي، نفسه، ص 175.

لعل نشاط فرحات عباس بالإضافة إلى الشيخ البشير الإبراهيمي في هذه الفترة، يمثل أهم ما ميز الحركة الوطنية بصفة عامة خلال فترة الحرب<sup>(1)</sup>، خاصة بعد وفاة الشيخ عبد الحميد ابن باديس ونفي مصالي الحاج، ومما ميز عمل فرحات عباس، أنه حاول ان يعمل مع كل الأطراف، فقد شارك فرحات عباس في الحرب العالمية الثانية كمتطوع فيها، ومن جهة أخرى قدم تقريراً للمارشال بيتان رئيس الدولة الجزائرية سماه "جزائر الغد"<sup>(2)</sup>، يطالب فيه بإصلاحات أعمق خاصة في الميدان الفلاحي لكن باعتراف ضمني بوجود أمة جزائرية هذه المرة بتناوله العهد العثماني في الجزائر، مقراً باستحالة الاندماج السياسي والثقافي، و معترفاً بأن الجزائريين والمعمرين لحد الساعة لم يتأقلموا، لأنهم لم يتساووا فيقول: "الكتلة الأوروبية والكتلة المسلمة بقيتا متميزتين غريبتين عن بعضهما، ولا روح مشتركة بينهما، وبالرغم من هذا الانغلاق المحكم في عدم المساواة في الحقوق السياسية بالخصوص فإن شروط عمل المستوطن لم تبق بلا تأثير على الأهلي، فقد جرت الجزائر الأوروبية وراء جزء من الجماهير المسلمة التي تبنت تقنيته ووسائل الإنتاجية"<sup>(3)</sup>.

لكن عباس كان يرى أن من شروط الإصلاح، ح هو تحويل العمالات إلى مقاطعات تسير نفسها بنفسها، وبالتالي اتباع اللامركزية، ومما جاء فيه: "تحويل عمالات الجزائر الثلاث إلى مقاطعات (provinces) ثلاث هي: مقاطعة الجزائر، وهران، وقسنطينة يكون على رأسها حكام مقاطعات لهم سلطة التسيير، وفي كل مقاطعة تنشأ ثلاث عمالات على الأقل، وإلغاء الحكومة العامة، وتعيين

(1) عثرنا في الأرشيف الوطني بباريس الموجود بمعهد الحركة الوطنية-منوبة بتونس على ملف خاص عن نشاط فرحات عباس والابراهيمى فيما يتعلق بتحركاتهما وتصريحاتهما قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية. A.N.F, bob n° f145-f60-807, chemise : Ferhat Abbas et cheikh brahimi.

(2) اتهم فرحات عباس بالخيانة بسبب هذا التقرير، فيذكر أنه في سنة 1946 عندما كان له كرسي في المجلس التأسيسي اتهمه نائب وهران "فرانسوا كليتشى" بأنه كان يعمل لصالح حكومة فيشي، بينما اعتبر ليوم بلوم حسب شهادة فرحات عباس أن عمله ذاك كان صائباً لأنه كان لزاماً عليه أن يطرق كل الأبواب من أجل نيل حقوق الجزائريين في تلك الفترة الصعبة. أنظر: فرحات عباس، نفسه، ص146. أيضاً: شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص311.

(3) فرحات عباس، الشاب الجزائري، المصدر السابق، ص156.

حاكم مراقب يضطلع بمهمة الحكم ويتخلص من أية هموم إدارية..."، ويضيف فرحات عباس في الأخير أن هذه المطالب: "ستولد في قلب المستعمرة الأوروبية وفي أعماق ضمير انبعاثنا المتعدد الأوجه الرغبة في أن نكون مجتمعين"<sup>(1)</sup>.

شكل نزول الحلفاء بالشمال الإفريقي (8 نوفمبر 1942)، عملية حاسمة في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية والعلاقات المغاربية - الدولية عموما، ففي ظل تذبذب الساحة السياسية، تقدم مجموعة من المناضلين كما رأينا سابقا، بمذكرة إلى الحلفاء عرفت باسم "بيان الشعب الجزائري" 10 فبراير 1943، وقد قام فرحات عباس بتحرير البيان، وبدا أكثر تحمرا، وأكثر جرأة وثورية هذه المرة<sup>(2)</sup>، خاصة لما ساهمت كل الأطياف السياسية بتحريره، ولعل أبرز ما جاء فيه هو المطالبة "بدستور جزائري يضمن المساواة بين الجزائريين المسلمين والأوروبيين الكولون"<sup>(3)</sup>، أما في الملحق الذي تلاه في 26 ماي 1943 كان أكثر حدة، لكن من جهة أخرى فهو يقترح وحدة مغربية تحت نظام فدرالي تراقبه فرنسا، وهو ما يناقض دعوات حزب الشعب، وجمعية العلماء الموقعان على البيان في الدعوة إلى الوحدة المغاربية في إطار الأمة العربية الإسلامية، وبذلك يعد هذا تنازلا من طرف ممثلي تيار الاستقلال والإصلاح، وتصعيدا بالنسبة لفرحات عباس، والنواب والنخب الفرنكوفونية من أجل إيجاد صيغة توافقية بين الجميع بالنسبة للجزائر وفرنسا، ولما لا أقطار المغارب الأخرى، فقد جاء فيه: "الجزائر المسلمة في الحقيقة هي التي تتحمل وستتحمل أكبر التضحيات، إنها بدفعها لضريبة الدم بجانب حلفائها، لتحرير العالم، تشارك على الأقل وبنفس الشيء في تحرير ذاتها، لهذه الأسباب... يطلب المندوبون المالئون العرب والقبائل، ضمان تامة ووحدة الإقليم الجزائري من جهة، والاعتراف بالاستقلال السياسي للجزائر من جهة أخرى بصفتها

(1) نفسه، ص 177، 178. لازال فرحات عباس متأثرا بنظرة رينان كما ذكرنا سابقا عندما تطرقنا لتفسير الدكتور لونيبي رايح حول مقال "فرنسا هي أنا".

(2) Charles robert ageron, Ferhat abas et l'évolution politique de l'Algérie musulman pendant la deuxième guerre mondiale, revue d'histoire maghribine, n4, juillet, 1975.

(3) يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المصدر السابق، ص 69.

أمة سيّدة، مع حق الرقابة لفرنسا والمساعدة العسكرية للحلفاء في حالة حرب. إنّ تشكيل هذه الدولة الجزائرية لا يستبعد من جهة أخرى الانضمام مع المغرب الأقصى وتونس لاتحاد فدرالي لدول الشمال الإفريقي أو اتحاد الشمال الإفريقي الذي يبدو لكثير من الأذهان كأحسن قاعدة للمستقبل"<sup>(1)</sup>.

واصل فرحات عباس الدفاع عن فكرته في حركة أحباب البيان والحرية المؤسسة في 14 مارس 1944، بعد سلسلة التعنيف التي صدرت من الجنرال كاترو ضد المناضلين<sup>(2)</sup>، وقد دعا مجددا في برنامجه إلى الترويج لفكرة انشاء دولة جزائرية وتأسيس جمهورية مستقلة مرتبطة فدراليا مع جمهورية فرنسية جديدة مناوئة للاستعمار، وأسس جريدة المساواة التي أصبحت مراقبة<sup>(3)</sup>، ووقف بذلك ضد ما كان يدعو له ديغول من سياسات تجنيس وادمج التي استمالت الشيوعيين، وكثيرا ما صرح بأن "الجزائر تحوي عمالات ومقاطعات جزائرية وليست فرنسية وأن فرنسا لا تحاول البتة تطبيق نظام الحماية في الجزائر كما تطبقه في تونس أو المغرب، كما صرح من جهة أخرى أنه ليس ثوريا وليس ضد الفرنسية، مقرا بأنه رجل فرنسا، وليس لا رجل أمريكا ولا بريطانيا ولا رجل الكولون"<sup>(4)</sup>، وقد اعترف فرحات عباس بأنه كان يحمل ثقة زائدة في فرنسا وهو ما جعل مصالي الحاج الخارج من السجن في مارس 1943 يحذره من مغبة ذلك<sup>(5)</sup>.

(1) نفسه، ص 90.

(2) فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 121.

(3) A.N.F, BOB N°f145-f60-807, chemise : Ferhat Abbas et cheikh brahimi, rapport de police de renseignement généraux, préfecture d'Alger, n°4554, Alger le 13septembre1944.

(4) A.N.F, BOB N°f145-f60-807, chemise : Ferhat Abbas et cheikh brahimi, renseignement de CIE d'Alger ,n799,alger le 25-08-1944.

(5) فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 122.

فالصيغة التي كان ينادي بها فرحات عباس بالرغم أنها تهاجم الإدماج وتعارض نشرية 7مارس 1944<sup>(1)</sup>، إلا أنها أكثر ليونة من موقفى العلماء وحزب الشعب وتسعى دائما لربط الجزائر بفرنسا، وبالتالي تفكك بشكل أو بآخر العمل على بناء الوحدة المغاربية<sup>(2)</sup>.

لا يمكن حقيقة أن نرجع كل الدعوات التي نادى بها فرحات عباس وزملائه لتشكيل اتحاد فدرالي نابعة دائما من عمق تأثيرات فرنسية لا غير، لأننا إن سلمنا بذلك سنكون مخطئين كثيرا بعدم فهمنا للظاهرة التاريخية وعدم دراستنا لها بعمق، كما لا يمكن أن نتهم عباس أبدا بمحاربة الدعوات إلى الوحدة المغاربية أو العربية الإسلامية من أجل محاربتها فقط، أو لأن قناعاته تتنافى ومقومات الهوية الجزائرية، بل بالعكس لطالما دافع عن الشخصية الجزائرية والعربية الإسلامية، لكن احتكاكه واحتكاك معظم التنويريين مثله (=الشبان) بالثقافة الغربية جعله يضطلع على عمق الشرخ والهوة الحاصلة بين عالمي الشرق والغرب، لذلك لم يكن يستطيع أن يقنع نفسه أو غيره بأن الخلافة الإسلامية أو الوحدة العربية بإمكانها أن تتحقق والشعوب العربية والإسلامية تعيش عصور الظلام، لذلك كان لابد حسب من استفادة وثورة جذرية على كل المفاهيم التقليدية البالية، والاستعانة بفرنسا الحضارة والتنوير، والعلم لتحقيق التطور، فمن جهة هو في صالح تلك الشعوب، وخاصة الجزائريين والمغاربيين لنيل مزيد من التحرر، ومن جهة أخرى هو في صالح فرنسا التي لا بدّ عليها أن تتغير في طريقة تسييرها للمستعمرات، بأن تمنح للشعوب حقوق تسيير شؤونها بذاتها، ولكن دائما تحت رقابة مستمرة لكن لا يمكن أن ننفي أبدا أن لفرنسا يدا في توجهات وآراء وقناعات الأشخاص، وهو ما مس فرحات عباس من قريب أو بعيد.

(1) A.N.F, BOB N°f145-f60-807, chemise : Ferhat Abbas et cheikh brahimi, lettre de préfet de Constantine a m le général d'armée gouverneur général de l'Algérie, n°1225, Constantine le 24-05-1944.

(2) شارل اندري جوليان، افريقيا الشمالية تسيير، المصدر السابق، ص 329، 330.

### 3-4-آراء النخبة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية:

بعد الحرب العالمية الثانية ومجازر 8ماي 1945 التي اتهم فيها أحباب البيان، وادخل أعضائه إلى السجن، خرج فرحات عباس بمناسبة اصدر العفو الشامل على المساجين 9مارس 1946<sup>(1)</sup>، وإعادة بناء الحركة الوطنية<sup>(2)</sup>، و ظن كثيرون أن فكر فرحات عباس سيكون أكثر ثورية هذه المرة، لكنه خيب الآمال مجدد لما راح يتمسك بنفس الأفكار تقريبا داعيا للاتحاد الفدرالي<sup>(3)</sup>، فأسس حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري، وأصدر جريدة "الجمهورية الجزائرية"، التي كانت تحمل دلالات على أن فرحات عباس وزملائه انتقلوا من المطالبة بالمساواة على إلى المطالبة بتأسيس جمهورية جزائرية مرتبطة مع فرنسا<sup>(4)</sup>، وقد توجه ببناء إلى الشباب الجزائري مما جاء فيه: "إذا كانت هناك فكرة سيطرت على حياتي، فهي المطالبة بتحقيق التعاون الفرنسي - الإسلامي... لقد تخلىنا عن المسالك الوعرة من أجل الطريق الأكبر للوطن الجزائري ويعني به الحرية والمساواة... فلا اندماج، ولا أسياد جدد، ولا انفصالية، وأوضح صورة وتعبير لحركتنا التجديدية الجزائرية، تتمثل في شعب فتي يصنع تربيته الديمقراطية والاجتماعية... وهذا الشعب الفتي مشترك مع أمة كبيرة ليبرالية، فهو ديمقراطية حديثة الولادة توجهها الديمقراطية الفرنسية الكبرى... يجب تحرير الجزائر من الهيمنة الاستعمارية القديمة مهما كان نوع هذه الهيمنة مع احترام مبدأ الجنسيات، يجب بناء مستقبل بلدنا المشترك على قواعد واقعية تاريخية لإدماجه ضمن الديمقراطية العالمية... إن عهد الدعوة الدينية قد انتهى... إن الوطنية الإسلامية غلطة تاريخية إذ ليس من المفروض على أبناء بلد واحد وأرض واحدة ان يكونوا من دين واحد... فالجزائر الجديدة المفدلة بحرية مع

كثرت التقارير حول فرحات عباس متتبعه نشاطه منذ بدايته، فكيرا ما نجد وراقات او بطاقات تقنية حوله، انظر مثلا: (1) A.N.F ,bobn°f208,cote :f/60/888,comité de l'Afrique du nord, rapport : Ferhat Abbas, juin 1946.

(2) راجع للاستزادة، رضوان عيناود ثابت، 8ماي والإبادة الجماعية، المرجع السابق، ص 61.

(3) Claude collot, le mouvement national, opcit, pp251-260.

(4) يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، المصدر السابق، ص 103.

فرنسا الجديدة ستولد العمل المشترك للديموقراطيين الفرنسيين والمسلمين، إن المسيرة المنتصرة للجمهورية الاجتماعية في فرنسا وفي العالم بأكمله هي الضمان الأكيد"<sup>(1)</sup>.

لم يكن هذا النداء صراحة في مستوى تطلعات الجزائريين<sup>(2)</sup>، فالمذابح التي تعرض إليها المتظاهرون كانت كفيلة بإحداث ثورة جذرية على مستوى تفكير النخب والعامّة، فحزب الشعب الجزائري الذي ظهر بثوب حركة الانتصار، بدأ يجهز نفسه لإحداث الثورة خاصة لما كان من الذين اتهموا في عملية اختراق مظاهرات 8 ماي وتحريض المتظاهرين على حمل الأسلحة، وعلى مستوى العلاقات الخارجية وجّه جهوده نحو المشرق شأنه شأن جمعية العلماء، وبدأ التنسيق مع قادة دول المغرب والمشرق هناك بإعانة من الجامعة العربية، وأفصح كلاهما عن توجههما العربي الإسلامي والذي يشق طريقه نحو الاستقلال والحرية التامة<sup>(3)</sup>، فيما بقي فرحات عباس في نفس أفكاره القديمة، وبالرغم من أن الحزب شارك في تشريعات 2 جوان 1946 بعدها وحقق نجاحات باهرة<sup>(4)</sup> إلا أنه فقد شعبيته وأنصاره بالتدريج لصالح العلماء وحزب الشعب خاصة وهو الذي صرح أنه لا يرضى بدولة إسلامية، ومن ثم الارتباط بفرنسا، وبالتالي خالف توقعات معظم الجزائريين الذين كانوا يبحثون عن الثورة بأي طريقة، وقد اعتبر شارل أندري جوليان أن تحفظ الجامعة العربية من قضية المغرب العربي جعل فرحات عباس لا يعقد عليها الآمال الكبيرة، فبنى بذلك طرح بورقيبة والقادة الدستوريين<sup>(5)</sup>.

حرر نواب حزب الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري دستورا للجزائر وقدموه للسلطات الفرنسية، وفي هذا يقول فرحات عباس: " لكي نخرج من الطور النظري إلى الطور العملي نظريتنا فيما يخص

(1) انظر النص كاملا (مترجما) في: يحي بوعزيز، الاتجاه اليميني، ص ص 104-111.

(2) عبد الكامل جويبة، المرجع السابق، ص 147.

(3) A.N.F , bobn°f208, cote :f/60/888, comité de l'Afrique du nord, rapport de directions de réformes : problème algérien après les élections du juin 1946 .

(4) حاز الحزب على 11 مقعدا من أصل 13. فرحات عباس، ليل الاستعمار، المصدر السابق، ص 132.

(5) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 342.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب

### الجزائرية:

العلاقات الجديدة التي يجب أن تربط فرنسا بأقطار الإمبراطورية، وضعنا على منصة كجلس النواب مشروع تأسيس الجمهورية الجزائرية" وقد جاء في البند الثاني منه: "إن الجمهورية الجزائرية عضو في الاتحاد الفرنسي كدولة مشتركة، وتكون العلاقات الخارجية والدفاع الوطني للدولتين مشتركة تشرف عليها سلطات الاتحاد، وتشارك الجزائر في ممارسة تلك السلطات"<sup>(1)</sup>، كما شارك الحزب أيضا في العمل المشترك الذي قام به نواب مستعمرات ما وراء البحار والذي صب في نفس الطرح أيضا<sup>(2)</sup>، وقد بعث بورقيبة رسالة إلى فرحات عباس يقول له بأن الاتحاد الفرنسي أكبر مناورة ناصحا إياه باتباع سياسة حزب الشعب الجزائري و فرنسا لن تلي رغباته، لأنه سبق له وأن تعامل معها بهذه السياسة<sup>(3)</sup>، فقد راسلت عدة شخصيات من الجبهة الشعبية الحبيب بورقيبة (نوفمبر 1936)، تقترح عليه ضرورة انشاء نظام فدرالي اقتصادي شمال افريقي مرتبط بفرنسا، واعدة إياه بعقد لقاءات معه حول ذلك<sup>(4)</sup>.

لما طرحت الجمهورية الرابعة مشروعها الدستوري الخاص بالجزائر في أكتوبر 1946، عرضت الفكرة على المجالس المحلية للعاملات من أجل مناقشتها وإثرائها، ولعل بعض تلك المجالس استفادت من أفكار عباس في هذا المجال، على غرار مجلس قسنطينة في دورته الربيعية المنعقدة في أبريل 1947<sup>(5)</sup>، لكن كالعادة كان الكولون العقبة الصعبة التي تعارض أي اصلاح في الجزائر،

(1) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص134.

(2) البند 107 من المشروع: إن الجمهورية الفرنسية تكون مع شعوب ما وراء البحار اتحادا يسمى الاتحاد الفرنسي أساسه المساواة في الحقوق والواجبات دون أي ميز في الدين ولا في الجنس. فرحات عباس، ليل الاستعمار، ص136.

(3) **Habib Bourguiba, l'Union française : une suprême d'un colonialisme aux abois**

(lettre date le 29juillet1946 au Caire), histoire de mouvement national tunisien, (document), pour prépare la troisième épreuve, le néo -destour brise le silence (1944-49), textes réunis et commentés par Mohamed sayah, imprimerie officielles, janvier1972, pp355-369.

(4) محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي، ج1، المرجع السابق، ص383.

(5) حميد عبد القادر فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص108.

فكما عارضت اصلاحات 1919، ومشروع بلوم فيوليت 1936 عادت لتعارض دستور الجزائر<sup>(1)</sup>، ولعل المتتبع لسيرة نشاط الاتحاد الديمقراطي للبيان الجزائري بعد الحرب، يلحظ أنه بقي في نفس الطرح دائما، فأدبيات الحزب كفيلا بأن تطلعنا على توجهه الرامي الى استقلال الجزائر ولكن ارتباطها فدراليا بفرنسا، وهو ما لم يسمح حقيقة بإيجاد صيغة توافقية مع بقية الأطياف السياسية الأخرى حول المطالب الوطنية، والرؤى الاستراتيجية و التحالفات الإقليمية قريبة وبعيدة المدى، ومن بينها قضايا الانتماء والهوية، التي كانت تشكل هاجسا بالنسبة للنخب الفكرية، فرأي حزب الشعب وجمعية العلماء وعموم الجزائريين كان واضحا، حول السعي وراء وحدة مغاربية في إطارها العربي الإسلامي، وحتى لما اندلعت الثورة التحريرية في 1 نوفمبر 1954 فإنها حافظت على نفس التوجه، قاطعة الطريق على الاندماجين المطالبين بتفاوض فرنسي جزائري يرهن مستقبل الجزائر بعدها.

### 3-5- الحزب الشيوعي ومسألة الانتماء:

كان الشيوعيون من أقوى التيارات الموجودة في الجزائر على المستويين السياسي والنقابي، ويقومون بدعاية واسعة لصالح العمال والفلاحين<sup>(2)</sup>، وقد ذكرنا كيف كانت صلت الحزب الشيوعي بنجم شمال افريقيا وثيقة، ويدافع عن استقلال الجزائر والمستعمرات عامة، ولكن الواضح أن الدعاية الفرنسية أو بالأحرى تغير موازين القوى جعله ينحى منحني آخر، فمع نهاية العشرينيات وبداية الثلاثينيات بدت رغباته الاندماجية واضحة، خاصة وأن نجم الشمال الإفريقي كان يدافع عن التعليم العربي والثقافة العربية الإسلامية، وهو ما لم يكن صراحة من مشاريع الشيوعيين<sup>(3)</sup>.

(1) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 351.

(2) نفسه، ص 155.

(3) Charles-robert Ageron, la naissance de l'Etoile nord-africaine, colloque de L'ENA, opcit, p90.

لاحظت الأهمية الشيوعية قلة انتشار الفكر الشيوعي في الجزائر، فقررت أن تهيكل الشيوعيين في حزب جزائري مستقل انعقد مؤتمره التأسيسي في 17-18 أكتوبر 1936<sup>(1)</sup>، فكانت خطته ترمي إلى إدماج العناصر الأوروبية والعربية والبربرية ادماجاً كلياً قصد تجميع كل القوى الداخلية ضد الإمبريالية<sup>(2)</sup>، لذلك وافق الشيوعيون بقوة على مشروع بلوم فيوليت، خاصة مع صعود الجبهة الشعبية إلى الحكم 1936، ويقول أحمد مهساس في هذا الصدد: "الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الجزائري كانوا قد تخلوا عن المطلب الاستقلالي الذي كان في نظرهم مجرد فخ يدعم الإمبريالية في إفريقيا الشمالية، وفضلوا الاتحاد الفرنسي (=مع السياسة الاندماجية) التي منحت لشعوب ما وراء البحار إمكانية السعي من أجل الحرية والديمقراطية على حد قول ليون فيكس"<sup>(3)</sup>.

فقد صادق مؤتمرهم على برنامج جاء فيه: "من أجل جزائر حرة وسعيدة متحدة أخوياً مع الشعب الفرنسي وجميع الشعوب الأخرى"، وقد عوض مطلب الاستقلال التام إلى مطلب أكثر مرونة فجاء في البرنامج: "وإذا خلعنا اغلاق الالحاق والاضطهاد التي تشدنا إلى فرمسا العظيم في كنف المصالح المشتركة من أجل تحقيق جزائر حرة وسعيدة"، وبهذا يكون قد انضم الحزب حسب شارل أندري جوليان إلى صف العلماء، ونظرة شكيب أرسلان المؤيدة لاستقلال الجزائر، لكن في شكل اتحاد فدرالي لا على سبيل الانفصال، وطالب المناضل الشيوعي "بن علي بوخرت" بالحق في "تقدير جميع القيم التاريخية والروحية والفنية والإنسانية الفرنسية" كما كان جد متأثر بنشيد **la marseillaise** ونشيد الأمية، وبالكتب الفرنسية، والثقافة الفرنسية، وقد ترتب عن هذه القنوات تغيير في توجهات الحزب وبالتالي

(1) بن يوسف بن خدة، جذور أول نوفمبر، المصدر السابق، ص 80.

(2) Céline Marangé, André ferrat et la création du parti communiste algérien (1931-1936), histoire @politique en ligne, n° 2/29 mai-aout2016, pp190-219.

حول ظروف تشكل الحزب الشيوعي الجزائري راجع: www.histoire-politique. Fr:

(3) أحمد مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 299.

دخل في صراع مع حزب الشعب<sup>(1)</sup>، متهما مصالي الحاج باعتناق أيديولوجية البرجوازية الصغيرة والوحدة الإسلامية<sup>(2)</sup>، وساهم في طرده من المؤتمر الإسلامي الثاني (جويلية 1937)، كما اقترب أكثر من ابن جلول، والنواب المنتخبين الذين كانوا يحملون الأفكار الاندماجية<sup>(3)</sup>.

فالحزب الشيوعي حسب مهساس من التيارات الإصلاحية الأكثر اقتناعا، ولكن بالرغم من محاولاته الاندماج في إطار المؤتمر الإسلامي، إلا أنه بقي خارج الاهتمامات الوطنية الرئيسية، ويمكن القول أنه كان يعمل في الجزائر من أجل وطنية فرنسية الاشتراكية، والتي ستصبح مركز قيادة البلدان المستعمرة والمدمجة، لأن مناهضة الاستعمار بالنسبة للحزب الشيوعي محدودة في مفهومهم المقيد للتحرير، والذي لا يبدو في ذهنهم إلا طبقة العمال الذين لا يمثلون فيها سوى قسما ضعيفا<sup>(4)</sup>.

خلال الحرب العالمية الثانية ردد الحزب الشيوعي الخطاب الشيوعي الأممي نفسه، وأصبحت كلمات "الأمة-الذات-الوطن-الطبقة العمالية-المجتمع الجزائري-الاستقلال" ذات نفس المعاني التي يتضمنها الخطاب اللينيني-الستاليني، وكأن الجزائر إقليم من الأقاليم السوفياتية، فبعد اندلاع الحرب وبرز الفاشية والنازية، باتت المسألة الوطنية في طي النسيان في أدبيات الحزب وبرامجه ونشاطاته، وأصبح الهمم الآخر هو مقاومة النازية والفاشية ورهن المصير الجزائري بالمصير الفرنسي، وقد تحدث الزعيم الشيوعي بالمعروف واديك روشي (w.rochet) في إحدى الندوات التحضيرية التي كانت تعقدتها فروع الحزب الشيوعي الجزائري بقسنطينة، والجزائر ووهران (14-15 أوت 1943) وصرح قائلاً: "الأمر يتعلق اليوم بضرورة وضع برنامج يحقق المساواة في الحقوق لجميع السكان دونما تمييز، والمساواة هي وحدها

(1) نفسه، ص 156، 157.

(2) أحمد مهساس، الحركة الثورية، المصدر السابق، ص 135.

(3) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص 157.

(4) أحمد مهساس، المصدر السابق، ص 175، 176.

الكفيلة بإشراك الجماهير المسلمة في جهد الحرب والعمل من أجل التحرير، إلى الأمام من أجل الكفاح ضد الفاشية، من أجل انتصار القضية المشتركة الجزائرية الفرنسية"<sup>(1)</sup>.

وقد امتلأت أدبيات الحزب الشيوعي بمواقف لم تلتفت إطلاقاً لما يسمى بالوحدة العربية أو المغاربية لأنها أصلاً لم تكن تعترف بالجزائر كأمة أصلاً، وكل ما ركزت عليه إصلاحات مع هو الارتباط بفرنسا<sup>(2)</sup>، فالشيوعيين تحدثوا عن أمة جزائرية في طور التكوين في دروسهم المقدمة، فقد طرح موريس طوريز هذا النقاش في خطاب له يوم 11 فيفري 1939، معتبراً أن الأمة الجزائرية لم تتشكل بعد لأنها لا تتوفر على المقومات، ففي الجزائر توجد عدة أعراق تقارب العشرين (20 عرق)، وبالتالي لا يوجد عرق منتخب يمكنه أن يحكم البلاد ويسيطر على زمام الأمور تحت حجة أنها أرض أسلافه<sup>(3)</sup>، وقد أصبحت هذه النظرية تلقن وتدرس لأعضاء الحزب الشيوعي الجزائري، وهو ما انعكس على تصوراتهم وأفكارهم وبالتالي مواقفهم اتجاه قضايا الهوية والانتماء والوحدة، لذلك سيطالبون بوحدة مع الشعب الفرنسي، فالجزائر في نظرهم لم تكن تمتلك مقومات الاكتفاء الذاتي، وأن عليها أن تبقى مرتبطة بفرنسا، ولا تفكر في الاستقلال عنها خاصة وأن فرنسا تحارب الفاشية والنازية<sup>(4)</sup>، ولقد كان عمار أوزيغان الأمين العام للحزب يرى في هذه الفترة بأن مطالبة حزب الشعب بالاستقلال التام هو

(1) نور الدين ثنيو، اشكالية الدولة، المرجع السابق، ص 249.

(2) في الفترة التي كان المنتظر من أطراف الحركة الوطنية الخروج للمطالبة بحق تقرير المصير بعد المشاركة في الحرب العالمية الثانية، جاء في تقرير مؤرخ أن الشيوعيون خرجوا ممثلين في حوالي مائة فتاة (فرع باب الواد بالجزائر العاصمة) لمطالبة الجنرال ديغول، بإصلاح الطرقات ومناصب شغل، ومخيمات صيفية، وهو ما لم يكن يعبر حقيقة عن مطالب الشعب الجزائري، وفي الحقيقة نعتقد أن التقرير يقصد الشيوعيين الفرنسيين وليس الجزائريين، لأننا استغرنا إن كان الحزب الشيوعي الجزائري يحوي آنذاك في شعبة باب الواد وحدها فقط مائة فتاة؟ ومهما يكن فإن مطالب الشيوعيين الفرنسيين كانوا أو جزائريين في هذه الفترة لم تكن ترق إلى مستوى مطالب العامة عكس باقي التيارات الأخرى. حول التقرير أنظر:

A.N.T، série : mouvement national، carton 53، dossier n° 4، note n°1354، A/S :

manifestations communistes à Alger le 14 juillet، Alger le 27 juillet 1944.

(3) رابح لونيبي، التيارات الفكرية، المرجع السابق، ص 348، 349.

(4) نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 250.

ديماغوجية بحتة، وفكرة غير مدروسة، لأن الجزائر لا تمتلك أية مقومات صناعية وبشرية ومالية، ويمكن للاستقلال أن يكون أبغض من الاستعمار نفسه في هذه الحالة<sup>(1)</sup>.

فالحزب الشيوعي الجزائري وقع صراحة في فخ السياسات الفرنسية المتقلبة والمطابقة لتصوراتها من أجل البقاء في الجزائر، فكانت له حسب المناضل بن يوسف بن خدة "حرية المناورة فقط من الناحية النظرية فقط، إلا أنه ظل من الناحية العلمية على تبعيته للحزب الشيوعي الفرنسي سواء على الصعيد الأيديولوجي، أو فيما يتعلق بالخيارات السياسية، ولم يكن يتحرك خارج الخط الذي ترسمه توجيهات الحزب الشيوعي الفرنسي"<sup>(2)</sup>، فهو صراحة كان ضد الإمبريالية الرأسمالية بكل أشكالها، وكان ضد كل الحروب التي تقع في بلاد المسلمين داعما للحركات التحريرية في فلسطين وفي المغرب وغيرها<sup>(3)</sup>، إلا أنه كان لا ينظر بعين إلى الوحدة العربية أو الإسلامية، ويرى أن ذلك لا يكون إلا تحت قيادة دولة عظيمة، فهو يعتبر أن الوحدة بين سورية ومصر أو الشمال الإفريقي فاشلة لأن ليس لها بنى اقتصادية تتمتع بالقوة المالية والسياسة، وقد جاء في الدرس الرابع من مقررات الحزب الشيوعي الجزائري ما يلي: "إن هذا النوع من التنظيم نظام حكم في بلد تقليدي لا يمكن أن يحدث إلا بإشراف دولة إمبريالية عظيمة ورعايتها ولمصحتها أيضا، ولا ترضى إلا الفئة الإقطاعية والبرجوازية العربية الرجعية التي تتجاوب بتلقائية مع الإمبريالية الحامية والرأعية لها من أجل بسط نفوذها وسطوتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية على سائر السكان الجزائريين"<sup>(4)</sup>.

(1) نفسه، ص 251. كان الحزب الشيوعي الجزائري يحرص السلطات الفرنسية على حلّ حزب الشعب سنة 1937. بن خدة، المصدر السابق، ص 155.

(2) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 80.

(3) Claude collot, mouvement national, programme des candidats communistes aux élections cantonales doctobre 1934, opcit, p54.

(4) نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص 255.

بعد وقوع مجازر 8 ماي 1945 فإن الحزب الشيوعي حمل حزب الشعب الجزائري مسؤولية الجرائم التي ارتكبتها القوات الفرنسية، مطالباً بتسليط العقوبات عليه وعلى أعضائه، متهما إياه بالعمالة الخارجية، ومطالباً بعدم التفكير عن فرنسا، فقد صرح "كاباليرو" أمين الحزب الشيوعي الجزائري في مؤتمر الحزب الشيوعي الفرنسي في 28 جوان 1945 قائلاً: "إن الشعب الجزائري لا يرغب في الانفصال عن فرنسا، أما أولئك المطالبون بالاستقلال فإنهم عملاء نوع جديد من الامبريالية، لا نريد استبدال حصان أعور بحصان أعمى"<sup>(1)</sup>.

تغيرت مواقف المناضلين الشيوعيين الجزائريين بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبحوا يطالبون بتشكيل حكومة جزائرية مرتبطة فدراليا بفرنسا، وهي التي تسعى إلى تكوين الأمة الجزائرية، ففي نداء المؤتمر الخامس للحزب بتاريخ 29 ماي 1949 بوهان جاء ما يلي: "إنه تعهد للغد من أجل اتحاد حر ومثمر لشعبنا مع فرنسا ديموقراطية ضد الاستعمار... المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي الجزائري يناديكم للاتحاد والكفاح بجانب الاتحاد السوفياتي، بجانب الطبقة العمالية، والشعب الفرنسي في إطار الديمقراطية"<sup>(2)</sup>.

لذلك لا يمكن لحزب لا يفكر في وجود أمة أصلاً ويعتبرها في طور التكوين، ثم ينتقل إلى المطالبة بتشكيل حكومة في إطار اتحاد فدرالي أن يقبل بالسعي إلى وحدة مغاربية أو عربية لأنها تناقض مقترحاته السابقة والمتحكم فيها من طرف الجانب الفرنسي، فحسب الدكتور نور الدين ثنيو: "إن رؤية الحزب للجزائر في بعديها الجغرافي والتاريخي العربي والإسلامي يعتبرها (كذا) (= يعترضها- يعترضها) النقص في الطرح والتقييم، فالقول بغياب القاعدة المكنية في البلدان العربية، مثل سورية ومصر مثلاً، يجرمها بالتالي أي مطالبة أو تحقيق للاستقلال وبناء الدولة الوطنية، وهو دعوة إلى الاستعمار

(1) بن يوسف بن خدة، المصدر السابق، ص 453.

(2) Claude collot, le mouvement national, appel du 5em congrès du p.c. a (29-05-1949), malgré la répression et les préparatifs de guerre impérialistes, nous ferons de l'Algérie un pays libre et heureux, opcit, pp281, 282.

وليس تحررا منه، اقتفاء بالحالة الجزائرية التي شوف يساعدها الوجود الفرنسي في نيل الحرية والتقدم"<sup>(1)</sup>، فالشيوعيون لم يتخلوا عن نظرتهم لمفهوم الأمة إلى غاية 1957 عندما خاطب موريس طوريز أمام مؤتمر اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفرنسي: "إنه بالتوافق مع تطور الواقع والتاريخ والحقيقة الوطنية الجزائرية، فإنه بإمكاننا اليوم الحديث عن أمة جزائرية انتهى تشكيلها وتكونها، وذلك بعد مزج عناصر من مختلف الأصول والأعراق، وهو مما يتأكد لنا يوميا من خلال تضحية الكثير من الجزائريين ذوي أصول أوروبية إلى جانب جزائريين مسلمين في الكفاح من أجل التحرر الوطني"<sup>(2)</sup>.

### 3-6- الاغتراب الثقافي والهوياتي في فكر بعض الشخصيات الجزائرية:

تغلغت الدعاية الفرنسية في صفوف كثير من المثقفين الجزائريين الذين إما ذابوا في الهوية الفرنسية، أو فضلوا القطرية على العمل الوجودي بناء على قناعات تعتمد على تصانيف عرقية أو جغرافية أو سياسية وحتى اقتصادية، فكثيرون هم الذين نفوا صفة الأمة عن الجزائر، أو انساقوا وراء التعصب للنزعة البربرية، ومنهم من كان يعتقد باستحالة تشكيل دولة جزائرية بعيدا عن فرنسا، وسياسة فرنسا واقتصاد فرنسا، و في هذا الصدد يقول الدكتور ناصر سعيدوني متحدثا عن التأثير بالاستشراق وكتابات المستشرقين: "إن النظرة الخارجية لتراث الإسلام وتاريخه (=الاستشراق) قد وجدت طريقها إلى بعض الباحثين العرب والمسلمين وغالبيتهم من الصنف الذي يمكن أن نطلق عليه طائفة المستعربين التي تعيش غربة مضاعفة فلا هي اندمجت في جو الاستشراق الحقيقي، ولا هي ارتبطت بواقع العالم الإسلامي، بل جعلها موقفها هذا محل نقمة ممن درس تراث الإسلام بعمق مثل أبي اليقظان الذي

(1) نور الدين ثنيو، المرجع السابق، ص256.

(2) رابح لونيسي، المرجع السابق، ص351.

آخذهم على موقفهم بقوله: "إن الألسنة الأوروبية في الأفواه الإسلامية أشد خطرا على المسلمين من الأوروبيين أنفسهم"<sup>(1)</sup>.

تغلغت الدعاية الفرنسية الرامية لإحياء النعرة البربرية، فحتى إن كانت تلك الدراسات من أجل البحث والعلم والتفتيش في أصول الساكنة والهوية والأصول، لكنها من دون شك كانت تحمل بذور الفرقة والشتات من أجل غرسها في الشبان الجزائريين، وطلبة الجامعات، والمتقنين الفرنكفونيين، فقد ذهب الكثيرون وراء مغالطات خطيرة، منبهرين في الحقيقة بنماذج معاصرة في تأسيس الدول، ومستندين على أطروحات رينان وهانوتو ولوترنو وغيرهم، ولكن بإعطائها صبغة تاريخية، أو عرقية قديمة من أجل تبريرها، كما فعل البعض عندما اعتقدوا أن قبيلة زواوة أو البربر عموما، كانت لهم تنظيمات على شكل دول، وبالتالي سبقوا من عاصريهم ومن بعدهم لذلك، من دون أن يكونوا على اضطلاع على تاريخ ثقافات الشعوب الأخرى التي عرفت تنظيمات تقليدية هي الأخرى كقبائل العرب في اليمن والحجاز ما قبل الإسلام<sup>(2)</sup>.

وقد ذهب الكثير من الطلبة المتجنسين المدعومين من طرف الإدارة الفرنسية إلى أبعد من ذلك، ومنهم المتطرف "حنفي لحمق" الذي كتب كتابا بعنوان: "رسائل جزائرية"، يطعن فيه في الإسلام معتبرا إياه سبب التخلف، وقد كتب مقدمة ذلك الكتاب موريس فيوليت، فحسني حنفي لحمق يعتبر أن العروبة والإسلام هما سبب انحطاط البربر، لأن التشريع الإسلامي يتعارض مع التمدن والعصرنة<sup>(3)</sup>، وأن الأمازيغ لاتينيون ووجب الاندماج في الأمة الفرنسية<sup>(4)</sup>، وأعجب من جهته بالثورة

(1) ناصر الدين سعيدوني، الجزائر منطلقات وآفاق، المرجع السابق، ص 508.

(2) رابح لونيبي، المرجع السابق، ص 163، 164.

(3) تزامن هذا الكتاب مع الاحتفالات المئوية الاستفزازية باحتلال مدينة الجزائر، والظهير البربري، وما لا شك فيه يكون تأثر لحمق كثيرا بمهدين القرارين، وساندهما بقوة.

(4) أحمد مريوش، الحركة الطلابية، المرجع السابق، ص 106.

التركية على الخلافة الإسلامية فقال: "إن النخبة التي تتولى مقاليد الأمور في تركيا تدرك جيدا أنها إذا سمحت للدولة والمجتمع باتباع توجيهات الإسلام حرفيا، فإن بلادها سوف تصبح أرضا مخربة بعد عشرين أو ثلاثين سنة"، وقد تعرض بالنقد والتشويه للجزائر المتمسكة بالعروبة والإسلام، وقال بأن الجزائر هي منطقة ذات أصول رومانية، وستصبح رومانية، وبالتالي فرنسية وسكانها مسيحيون، وما الإسلام إلا مرحلة انتقالية سيتجاوزها الزمن (1).

كما اعتبر المحامي القبائلي "بلقاسم ابايزن" أحد رواد المدرسة البربرية المسيحية من الأصناف التي سعت لتشويه صورة العرب والمسلمين، من خلال التحليل الذي قدمه سنة 1930 عن الشبيبة القبائلية والذي يقول فيه: "تطمح الشبيبة القبائلية إلى التفرنس... القبائلي ليس من الجنس السامي ولكنه متوسطي أرغمه التاريخ على اللجوء إلى أعالي جبال جرجرة، وهو ذو حساسية من الشعوب الأتينية ولأسباب تاريخية، فإن الفرق بين القبائلي والعربي هو أن الأول لا يقدر ماضيه التاريخي الذي لا يراه متعارضا مع تاريخ فرنسا... ليس للشباب القبائلي آلهة ولا حضارة إسلامية ولا عبادة محمد... الروحانية الإسلامية لا تحمس الشباب القبائلي... فالمسيحية إذن هي الأيديولوجية الوحيدة التي تسمح لشخصيتهم باكتساب كرامة كاملة... إن الكتلة القبائلية المدمجة في فرنسا... أفضل أية حركة قومية إسلامية نبعت من الشرق للوصول إلى شمال إفريقيا عن طريق تونس لإدماج الشعب القبائلي برمته" (2).

فنحن هنا أمام حملة شرسة ليس على القومية العربية الإسلامية فقط، بل هو هجوم على الإسلام والعرق العربي، وشخص محمد عليه الصلاة وسلم، ومحاولة تمسيح قبائل زواوة وما جاورها، وكل بربر الشمال الإفريقي، وهذا الطرح من بين أهم الآثار السلبية لعملية التنصير، والتعليم، والفرنسة التي ركزت على منطقة القبائل بصفة خاصة، وهو بالرغم من أنه حالة نادرة لأن القبائل عرفوا تاريخيا

(1) Lehmek hesney hanafi, lettres algériennes, pref. m. violette, Edition joume

نقلا عن: نفيسة دويده، المرجع السابق، ص 160. 1931, pp17-50, paris

(2) غي برفيلبي، النخبة، المرجع السابق، ص ص 405، 406.

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب الجزائرية:

بخدمتهم للقضية الإسلامية، إلا أنه كان في تزايد مستمر مدعوما من طرف اللوبيات المتطرفة التي سعت لاحتواء القومية العربية، وحتى الوحدة المغاربية بعزل وتهميش العنصر العربي من الشمال الإفريقي لتحقيق المغرب الأمازيغي الكبير<sup>(1)</sup>.

ولقد كتب رابح زناتي سنة 1928 قائلا بأن: "طموحنا على المستوى الشخصي حول سياسة الأهالي هو القضاء وبسرعة على كل الفوارق الموجودة، والتي منها بعض الأشخاص عائقا يمنع تكوين شعب فرنسي على هذه الأرض الجزائرية"<sup>(2)</sup>.

وذهب عبد القادر حاج حمو المدعو عبد القادر فكري<sup>(3)</sup> إلى نفس الطرح، حينما حلم بجزائر فرنسية فكتب سنة 1933 يقول: "إنني أحلم بقيام جزائر فرنسية إلى الأبد... أنا من أنصار المساواة والقانون العام، بصفة مطلقة، وليكن ذلك لفائدة نخبنا في انتظار ميلاد الجزائر كمنطقة فرنسية شاملة وكاملة... لا يتعارض الإسلام مع هذا في شيء، ولا يطرح أي حاجز أمام فرنستنا لأنه دين يحث على التطور لا على الجمود"<sup>(4)</sup>.

---

(1) سعت الجهات الإعلامية (=الصحف قديما) الفرنسية دائما وحتى إلى يومنا هذا(الإعلام المرئي ومواقع التواصل الاجتماعي حاليا) إلى تشويه صورة القبائل وخاصة قبائل زاوية، فهي تحاول دائما إبرازهم على أنهم مسيحيو الديانة لاتينو الهوى، ويمقتون الشرق والعرب والإسلام، ويحلمون بوطن مستقل، وهذه السياسة تطبق وتنتظر نتائجها عادة بعد عقود، وهو ما يحصل اليوم في المغرب والجزائر، حيث ظهرت عديد الجمعيات والفرق التي تسعى من أجل تلك الفكرة وتتهجم على كل ما هو عربي وإسلامي واصفة إياه بالتخلف والهمجية، وهي في الغالب لا تستند أو تعتمد على دراسات تاريخية أكاديمية تعتمد الوسطية، بل تنهل من مصادر مجهولة ومنحرفة همها ليس الهوية كما تدعي، بل هي معاول للفرقة عن شعور وغير شعور من أجل تشتيت الوحدة الوطنية، لذلك وجب على الأكاديميين بالخصوص الكتابة بحذر في الموضوع واسداء نصائح في الكتب والأطروحات وخاصة مواقع التواصل الاجتماعي من أجل تجاوز هذه المشكلة العويصة التي باتت تهدد وحدة الأمة الإسلامية (الباحث).

نقلا عن: نفيسة دويبة، ص 161. *zenati, notre ambition, la voix des humbles, n°58, mars 1928*.

(3) أول جزائري كتب الرواية باللغة الفرنسية. برفيلي، المرجع السابق، ص 412.

(4) غي برفيلي، المرجع السابق، ص 412.

فكرة القومية العربية الإسلامية لم تكن مطروحة تقريبا عند هؤلاء، لذلك لم يفكروا في وحدة على الصعيد الإقليمي كما ذكرنا، لكن لظالما فكروا في فرنسا إلى أن وصلوا لنفي أمتهم، أو إعطائها صبغة جديدة كما كتب العربي طهرات في مجلة صوت المستضعفين، متفائلا بالاندماج مقالا جاء فيه: "سيسمح بتكوين أمة تضم الأجيال الفرنسية المولودة في الجزائر مع جماهير الأهالي المشبعة بالثقافة الفرنسية، وستؤدي لإقامة روابط فكرية وشراكة مصلحة جد قوية تقرض عليها الحياة المشتركة"<sup>(1)</sup>.

#### خلاصة:

● لا يمكن أن نعرض كل تلك الكتابات أو النصوص التي صدرت من قبل النخب المثقفة والتي دعت لمفاهيم ومشاريع كالتجنس، والاندماج، والمساواة، أو الاتحاد الفدرالي بعيدا عن كل النداءات الوجودية التي كانت تسعى لربط الجزائر ببلاد المغرب والمشرق، فمن خلال ما رأينا في هذا الفصل من سياسات استعمارية سعت من أجل جزائر فرنسية، تبين لنا كيف أن تلك السياسات تغلغلت فعلا في أوساط عديد المثقفين، وطلاب الجامعات، وهو ما خلق صراعا ثقافيا وأيديولوجيا انعكس على المجتمع الجزائري ومكوناته، وقد راهن الفرنسيون في الحقيقة على ذلك الصراع ولايزالون من أجل من أجل فصل الجزائر عن فضائها الجغرافي والتاريخي المغربي والإفريقي والعربي الإسلامي، لا لشي سوى لاستغلال خيراتها أولا ومحاربة الثقافة العربية والإسلامية.

● إن المثقفين الفرنكفونيين الذين راحوا وراء الدعايات الفرنسية قد انساقوا وراء مغالطات، فوجدوا أنفسهم عن دراية وعن غير دراية يصطدمون التوجه الوجودي المغربي العربي الإسلامي، ففي حقيقة الأمر أن تلك الأعمال والنشاطات السياسية النخبوية كان يقودها التحمس للدفاع عن مصالح الجزائريين، إلا أنها بطريقة في الحقيقة لم تستطع أن تكسب لهم أنصارا لا من طرف

نقلا عن: نفيسة دويذة، المرجع السابق، ص 184. *la voix des humbles*, decembre 1927 (1)

## الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة النزعات الوجودية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب الجزائرية:

---

الجزائريين الذين كانوا ينظرون إليهم بتوجس، ولا من طرف الكولون الذين كانوا يحتقروهم ويعتبرونهم في النهاية أهالي دخلهم التمدن، ويسعون للوصول إلى مصافهم، لذلك وجب على الباحثين والأكاديميين تفكيك خطابات هذه الشريحة بشكل أفضل لفهم مساهم بتأني وروية.

# خاتمة

## خاتمة:

قبل أن نورد بعض الملاحظات والاستنتاجات التي توصلنا إليها في هذه الطرح، بودنا القول أننا حاولنا جاهدين في هذه الدراسة إعادة تفكيك الخطاب السياسي والفكري الجزائري الذي تميزت به الحركة الوطنية طيلة الفترة الممتدة من 1920 إلى غاية 1954، بغية معرفة التوجهات الوحدوية التي كانت تفرض نفسها على القضية الجزائرية، فنعيد ونكرر إلى أن هناك من دعا إلى التمسك بالخلافة الإسلامية، وهناك من دعا إلى عقد وحدة مغاربية، وهناك من دعا إلى وحدة أشمل في إطار الأمة العربية الإسلامية، كما أن هناك من كان يرى في وجوب وحدة جزائرية أو حتى مغاربية في إطار اتحاد فدرالي مع فرنسا، لذلك ومن خلال ما سبق، حاولنا التعرض إلى هذا التوجهات، وقدمنا عديد النصوص والوثائق للشخصيات الفاعلة، وعرضناها للتحليل والتفسير، ومنه وصلنا إلى ما يلي:

- إن دعوات ونداءات التحرر الجزائرية الأولى لم تفصل بينها وبين فكر الوحدة الإسلامية من البداية، فالجزائريون منذ سقطوا تحت قبضة الاستعمار وهم يمنون الأنفس باتحاد اسلامي، يضم جميع الأقطار لتخليصهم وتخليص الإسلام من بلاء الصليب، ولكن ما يجب الإشارة إليه هو أن مسألة اختلاف الآراء والكيفيات في طرح مشروع الوحدة الإسلامية كانت واردة، وذلك باختلافها عند منظريها وزعمائها.
- كانت مطالب الوحدة بين الأمة العربية-الإسلامية شديدة في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية أكثر من أي قطر آخر، ليس بدافع عرقي أو قومي بقدر ما هو دافع جهادي-مقاوماتي بحكم أقدمية الاستعمار، يسعى إلى التحرر واستعادة أمجاد العرب والمسلمين، فبالرغم من اكتشاف الهوة الكبيرة بين المشرق والمغرب لعدم اهتمام المشاركة بشأن المغرب العربي، فإن رواد الحركة الوطنية استطاعوا أن يميزوا جيدا بين الخطابات الديماغوجية، والشعارات الملفقة والرنانة وبين العمل الميداني، فمطلب الوحدة العربية الإسلامية، بالنسبة للنخب الجزائرية، كان

يتطلب محلية العمل أولاً، والوحدة داخليا لطرد الاستعمار، ثم التفكير في وحدة مغربية أولاً ثم التفكير في الوحدة مع الأمة العربية الإسلامية.

● لا يمكن أن نحصر مواقف أطراف الحركة والوطنية وشخصياتها النضالية في ازدواجية الدعوة إلى الاستقلال والبحث عن وحدة مغربية في إطار عربية إسلامية من جهة، ودعاة الإدماج في الأمة الفرنسية من جهة أخرى، بل يجب أن نقر بأن هذين الوترين لطالما كانت لديهما فروع أخرى، فظهرت عدة مواقف متباينة بين هذين النقيضين، وكثيرا ما سعى الطرفان التوصل إلى حل وسط مرضي وربما هو ما تمثل في تلك الصيغ الوحودية التي عرفتها الحركة الوطنية الجزائرية.

● إن الضعف الذي دب في القوى الوطنية والشعبية المقاومة، و ما نتج عنه من إحساس للجزائريين بالتقهقر، ألزم اتخاذ سبل ووسائل أخرى للمقاومة، تمثلت في العرائض والمنشورات والصحف أو ما يصطلح عليه بالمقاومة السياسية، لذلك نالت الوحدة دائما أكبر نصيب من هذه الانتاجات لأن سياسة المستعمر أصبحت تفرض الوحدة الداخلية أولاً (= بين الجزائريين) ثم الخارجية ثانيا (مع سقوط تونس والمغرب في الاحتلال)، خاصة مع تزايد فرص الاستجابة للوحدة من الطرفين الأخيرين، وقد كانت الحرب العالمية الأولى فرصة لاضطلاع المغاربة على أوضاع بعضهم البعض، فالجزائريون الذين استنزفت طاقتهم البشرية في ساحات المعارك اكتشفوا العالم الآخر، وتعرفوا على حقوقهم المهضومة، فأنشأوا الجرائد والصحف والمجلات واتصلوا بالمشرق وتبنوا أفكار الوحدة الإسلامية، والوحدة العربية ودافعوا عنها بدفاعهم عن وحدة المغرب العربي الذي هو جزء من الكل، لكن فترة الحرب العالمية الثانية شكلت مرحلة فترة انكماش لنشاط ومطالب الحركة الوطنية الجزائرية، وتقلص المطلب الوحدوي المغربي في إطار الأمة العربية الإسلامية، إلى مغرب متحد فدراليا مع فرنسا ذات السياسة الجديدة،

ومن جهتها فرنسا لم تكن لتقبل لا بالخيار الأول ولا بالثاني لأن كلاهما يهدد مستقبلها ومصالحها في المنطقة.

● إن التيار الاستقلالي الذي تمثل خصوصا في النجم ثم حزب الشعب وحركة الانتصار، لم يتخل أبدا عن الوحدة المغاربية ورافع من أجلها على الصعيدين الداخلي والخارجي ، وترك لنا رصيда وثائقيا ثريا جدا في عمله من أجل القومية المغاربية، لكن النزعات القطرية التي كانت تفرضها الأحداث وتدخلات المستعمر أفسدت كثيرا هذه المشاريع، والتي بالرغم من أن غالبها كان حبرا على ورق، إلا أنها كانت قواعد أساسية للعمل الوحدوي المستقبلي لو تمّت كما يجب، لكن وللأسف الشديد فإن التضييق الكبير الذي كانت تعانيه وسائل نشاطه في عهد الاستعمار جعلت العديد منها يضيع، بالإضافة إلى عدم الاهتمام بأدبيات الحركة الوطنية بعد الاستقلال حينما تحكمت الأيديولوجيا والجهوية في عملية الكتابة.

● إن التيار الإصلاحية ومثله الرسمي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أولى اهتماما كبيرا للوحدة العربية الإسلامية والوحدة المغاربية، لكن من النادر ما كانت تضع منشورات أو وثائق باسمها أو باسم مكاتبها عن وحدة المغرب (=السياسية)، واعتمدت عادة على آراء علمائها ومثقفها وكتاباتهم المتباينة الاتجاهات في جرائدها، لطرح هذه القضية وقضايا داخلية أخرى، عكس النجم الذي كان يشير إلى ذلك مباشرة في منشوراته ووثائقه الرسمية ناهيك عن الكتابات الصحفية، وهو ما عرض النجم (=حزب الشعب) للحل عدة مرات وتعرض مناضلوه للمضايقات والسجن والنفي كما تعرضت جرائده للمصادرة والتوقيف، بالعكس فإن جمعية العلماء نجحت من التوقيف أو التعطيل إلى غاية الثورة.

● تصدرت جمعيات الطلبة ومن جملتها العناصر الجزائرية المنخرطة فيها، قوائم المدافعين عن الوحدة العربية الإسلامية والوحدة المغاربية، فقد نادى هذه الجمعيات مبكرا بالوحدة وهي لازالت في طور النمو والنضج، لذلك سيشكل هؤلاء الطلبة فيما بعد الدعامة الكبيرة

للحركة الوطنية، لذلك عدّ النشاط الطلابي تربصاً جد قويم لبناء النخب المغاربية من أجل مقاومة الاستعمار.

● انسقت النخب المثقفة ثقافة فرنكوفونية بصفة خاصة وراء الشعارات الفرنسية الرنانة، ووجدت نفسها تتصدى بشكل شعوري ولا شعوري للهوية الجزائرية، بأن دعت تارة للإندماج والمساواة، وتارة أخرى للوحدة مع الشعب الفرنسي، ومهما كانت المسميات الكثيرة لهذه التحالفات التي لم تكن في الواقع تلبّي رغبات الجزائريين المتمسكين بثقافتهم العربية الإسلامية والمعتزين بها، فإنها كانت تقف كعقبة في وجه الوحدة المغاربية و العربية الإسلامية من خلال النزعات التغريبية التي كانت تظهر في خطاباتها وأنشطتها، فهي بالرغم من أن هذه النخب كانت تسعى للدفاع عن حقوق الجزائريين، إلا أن الطرق المتبعة من قبلها لم تكن في الحقيقة لترقى إلى مستوى مطالب العامة التي كانت ترى في حزب الشعب و جمعية العلماء الأمل في تحقيق تلك الرغبات على المستويين القريب والبعيد.

● إن المؤرخ المتابع للمواقف الفرنسية اتجاه القضايا الدولية، والمهتم بالحراك السياسي الحاصل في العالم اليوم لا يجعله يتفاجأ من تحالفات غريبة، ظاهرها تفاهم وتعاون مشترك، وباطنها تناقض وتحالف صارخ، ففرنسا تدعم الثورة اليوم، وتحتويها وتقزمها وتحاربها غداً، فقد ساندت الدولة العثمانية ومشروع الخلافة الإسلامية للتصدي للأطماع الروسية، وبعدها انقلبت عليها، ثم دعمت الثورة العربية على الأتراك لاقتسام أملاك الرجل المريض والاحتياط من مشاريع بريطانيا في المنطقة العربية، ثم ساندت أو احتوت القضية المغاربية خوفاً من تأثرها بالحركات السياسية والاصلاحية الواقعة بالشرق، ولعزل الجسد المغاربي عن الأمة العربية الإسلامية، ثم بثت بعدها الفرقة والشتات بين الحركات الوطنية المغاربية نفسها، وبين أبنائها للتفرغ لكل قضية على حدا، ولم تكتف بذلك بل فرقت بين أبناء القطر الواحد فجعلت من هذا عربياً وهذا أمازيغياً والآخر كرغلياً، فكل هذا وذاك كان تحت مظلة وشعار "فرق تسد"، فأى

مطلب وحدة أيا كان شكله أو مضمونه، كان ولا زال يشكل خطرا على الوجود الفرنسي بالجزائر والمغرب العربي وبقية الأقطار الأخرى.

- لعل ما جعل مطلب الوحدة يعرف تذبذبا كبيرا وهلامية في الطرح، هو أن الحركة الوطنية الجزائرية نفسها لم تكن متحدة بالداخل، فكيف لها أن تتحد مع القوى والأحزاب في الخارج، يعني أن كلام الوحدة دائما ما كان يبقى حبرا على ورق، وذلك لعدة عوامل منها طبيعة الاستعمار واختلاف الرؤى، وكذا الضعف الذي كانت تعيشه هذه الأحزاب، والأقطار وشعوبها، كما أن غالبية الأقطار المستقلة في الحقيقة كانت لاتزال تنظر بعين الريبة والتعقيد للقضية الجزائرية التي كانت تبدو وكأنها شبه مستحيلة شأنها شأن القضية الفلسطينية اليوم.

الملاحق

- 1) ابن باديس، الوحدة العربية: هل بين العرب وحدة سياسية؟، الشهاب، م13، جانفي 1938
- 2) رسالة استخباراتية مرسله إلى الإقامة العامة بتونس توضح النشاط الوطني المغاربي في كنف التيار الشيوعي واتحاد الشعوب المستعمرة (ورقتين).
- 3) رسالة نجم شمال افريقيا إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.
- 4) تقرير أمني حول المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين المنعقد بالجزائر 1932
- 5) مذكرة استخباراتية عن نشاط الجبهة المغربية المؤسسة من طرف الأحزاب المغاربية الاستقلالية الثلاثة وجمعية العلماء، بمباركة شكيب أرسلان (ورقتين).
- 6) مذكرة استخباراتية عن زيارة وفد من نجم شمال افريقيا إلى تونس (ورقتين).
- 7) مذكرة استخباراتية عن نشاط خلايا حزب الشعب والحزب الدستوري والريف المغربي قبيل الحرب العالمية الثانية وبوادر العلاقات الوطنية المغاربية مع ألمانيا وإيطاليا.
- 8) مذكرة استخباراتية عن التحاق مناضلي حزب الشعب الجزائري بلجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة.
- 9) عقيدة التوحيد لشباب شمال افريقيا.
- 10) الصفحات الأولى من الأعداد الأربع الصادرة من أسبوعية "ذو الفقار" لعمر راسم
- 11) لوحات فنية للفنان محمد راسم تمجد الخلافة والوحدة الإسلامية
- 12) صور فوتوغرافية لشخصيات مغاربية وحدوية في جريدة الأمة لنجم شمال افريقيا.
- 13) صورة فوتوغرافية للقادة المغاربيين الوحدويين في المشرق.
- 14) مذكرة استخبارات عن تأسيس اتحاد عربي لشمال افريقيا وفيها المسؤولون المغاربيون عن ذلك: ابن باديس والعقي من الجزائر
- 15) مذكرة استخباراتية عن وجود مراسلات جديدة بين القادة المغاربيين بعد الحرب العالمية الثانية، من أجل مواجهة سياسة الحكومة الفرنسية الجديدة في شمال افريقيا: الحبيب بورقيبة- مصالي الحاج- علال الفاسي.

الملحق رقم 01:

إذا قنا العرب فإننا نعني هذه الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الاطلنطي غربا، والتي فاقت السبعين مليوناً عدداً تنطق باللغة العربية وتفكر بها وتتغذى من تاريخها، وتحمل مقدارا عظيما من دمها وقد صهرتها القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة. هذه الأمة العربية تربط بدينها-زيادة على رابطة اللغة-رابطة الجنس ورابطة التاريخ، ورابطة الأمل، ورابطة الامل، فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها لا محالة. ولكن هل بينها وحدة سياسية؟ هذا الموضوع الذي طرقه الأمير شكيب أرسلان وقال فيه كلمة السياسي العملي والخبير المحنك فتعرض له سليمان باشا الباروني بمقال نقضناه عليه في الجزء الماضي وفضحنا ما فيه من خطأ وتحامل.

الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها فتضع خطة واحدة تسيير عليها في علاقاتها من الأمم وتتعاقد على تنفيذها وتكون كلها في تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة فهي مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة في وضعها. وأما الأمم المغلوبة على امرها فهذه لا تستطيع ان تضع امرا لنفسها فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها في داخلتها، فكيف يعتمد عليها في خارجيتها، فالوحدة السياسية بين هذه الأمم أمر غير ممكن ولا معقول ولا مقبول.

وإذا نظرنا على الأمة العربية على ضوء هذه الحقيقة فإننا نجد منها شعوبا مستقلة استقلالاً حقيقياً فهذه تمكن بينها الوحدة السياسية وتجب، وقد وقعت هذه الأيام-والحمد لله-فعلا بين المملكة العربية السعودية والعراق واليمن ومن المنتظر انضمام مصر والشام إليهما يوم يتم استقلالهما. ثم نجد شعوبا أخرى وهي شعوب الشمال الإفريقي المصابة بالاستعمار فهذه لا وحدة سياسية بينها ولا بين غيرها ولا يتصور ان تكون. ومن الخير لها أن تعمل كل واحدة منها في دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبها من الخطط السياسية التي تستطيع تنفيذها

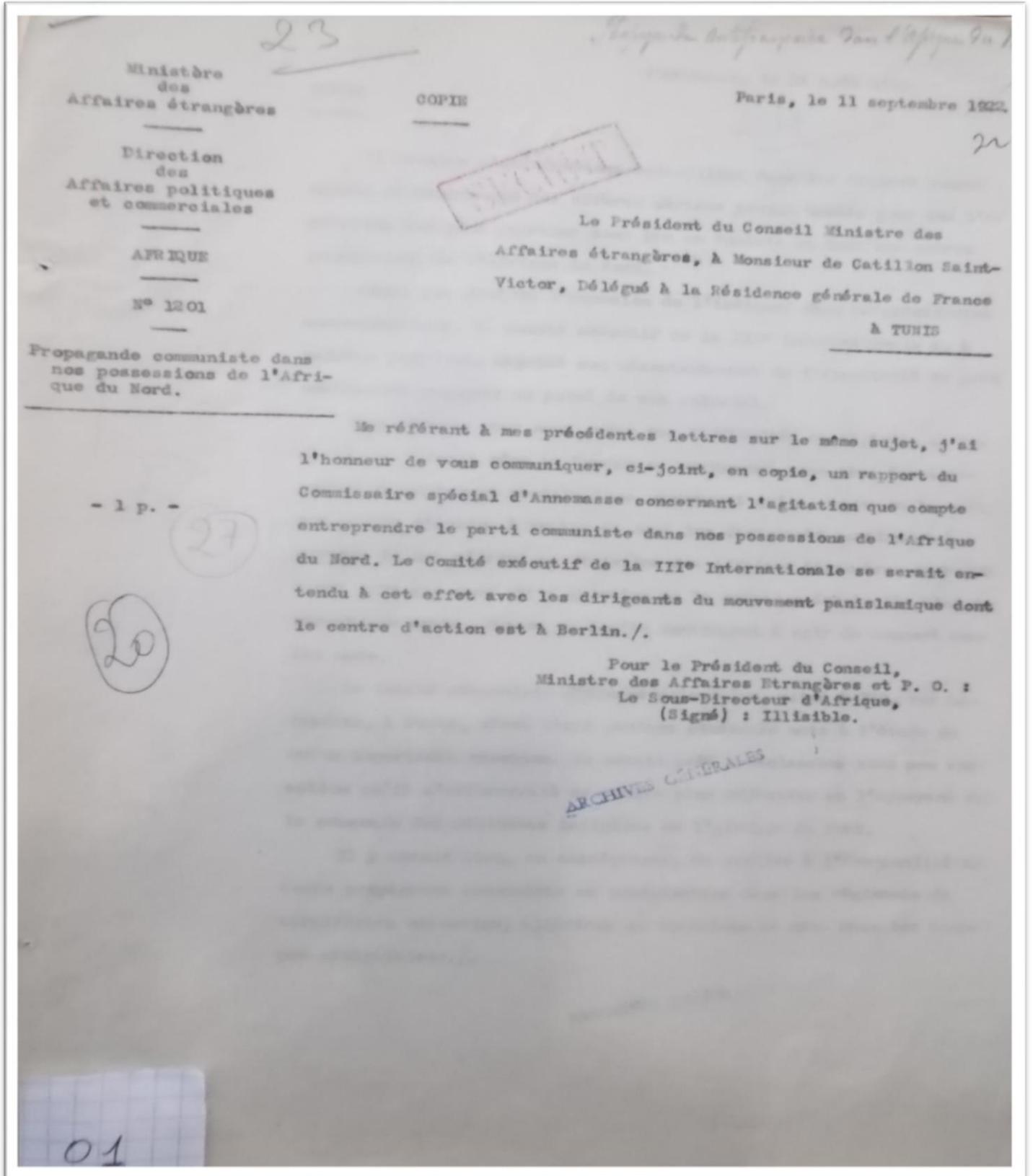
بالطرق المعقولة الموصلة، مع الشعور التام بالوحدة القومية والادبية العامة والمحافظة عليها والمجاهرة بها، ونحن نعلم أن الواقع اليوم في شمالنا الإفريقي العربي هو هذا بعينه. فنقول- بكل صدق وصراحة- أن كل شعب من شعوب هذا الشمال مستقل تمام الاستقلال بخططه في سياسته، لا نعرف هيئة منهم تتصل بهيئة مع عمل الجميع على تغذية الشعور بالوحدة القومية والأدبية العامة.

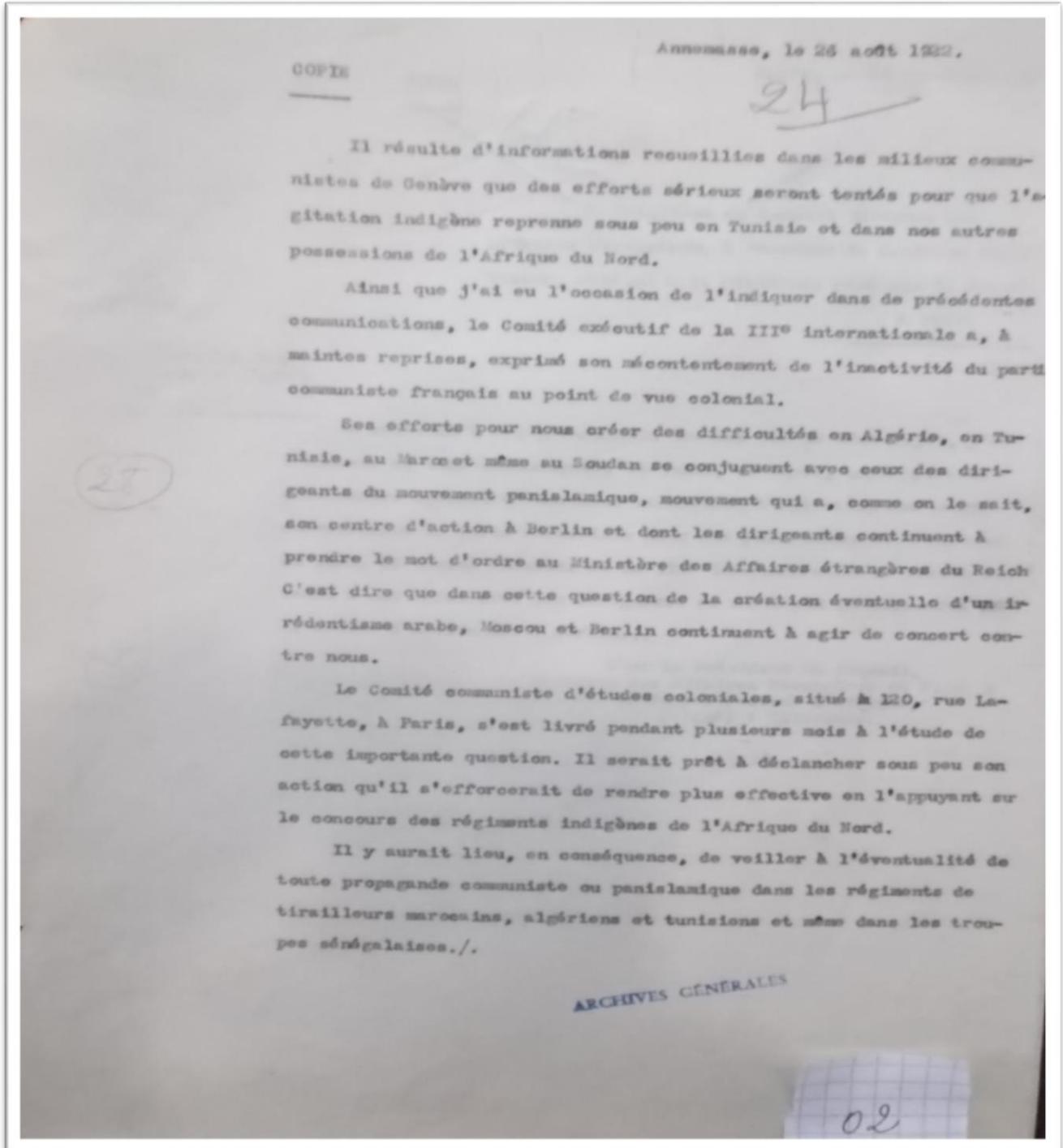
والأمير شكيب أرسلان الذي تعده الدول المستعمرة ألد أعدائها ونسب إليه- ظلما وزورا- كل حركة تقع في الأمم المصابة باستعمارها- يصرح في خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة لأنه- وهو أكبر مدافع عن العرب والإسلام في الغرب والشرق- رجل عملي ليس بخيالي مجرب خبير يعرف ما يقول ويفرق بين العمل المثمر والقول الفارغ الذي يثير الضجيج لينسب صاحبه إلى الغيرة والحماس، وإذا كان يثير الغبار ويكدر الجو في نواح أخرى. هذا رأينا في الوحدة السياسية بين شعوب العرب ونحن نعتقد أنه هو رأي جميع اخواننا العاملين في هذا الشمال.

ابن باديس، الوحدة العربية: هل بين العرب وحدة سياسية؟

المصدر: الشهاب، م13، جانفي1938، ص ص524،523.

الملحق رقم 02:





رسالة استخباراتية توضح النشاط الوطني المغاربي في كنف التيار الشيوعي واتحاد الشعوب المستعمرة. 2/2

A .N.T, série : mouvement national, carton 18, dossier n° 1, rapport de président du conseil des affaires étrangères, n°1201, propagande communiste dans nos possessions de l'Afrique du nord, paris, le 11 septembre 1922.

### الملحق رقم 03:

#### رسالة مفتوحة إلى العلماء:

أيها الإخوة. إن الحالة خطيرة. إن برنامج قانون يهدد وحدة الشعب الجزائري، ويريد- في بدئه- إخراج عدد من المنتورين 22000 ودمجهم في مجتمع آخر، وهذا القانون- نفسه- آلة تفرقة وشقاق بين الأمة الإسلامية في وطننا.

وإن جمعية العلماء التي لا تجهل أن الجزائر تضم ستة ملايين ونصف من المسلمين يتحاكمون إلى القانون الإسلامي وتوحدهم اللغة والدين والتقاليد الإسلامية وأنها تعلم أيضا أن هذا الشعب بقي متعلقا بقوانينه وجنسيته وتاريخه الماضي الإسلامي. وبروجي فيوليت يريد أن يمسخ هذه الوحدة بضمه 22000 وهو لا يهدد وحدة الأمة فقط بل يضحي بالأغلبية الساحقة من الشعب للحصول على ورقة انتخاب لنخبة معروفة بمولاتها للاستعمار. في هذه الظروف الخطرة من التاريخ فإدارة جريدة الأمة رغم اختلاف الوجهة السياسية التي تفصلها عن جمعية العلماء التي شاركت في المؤتمر الإسلامي الجزائري فإنها تهيب بالجمعية وتنبهها إلى خطر هذا البروجي وخطورة الساعة الحاضرة. فالعلماء الذين يتمتعون بتقديرنا يجب عليهم أن يقولوا رأيهم في بروجي فيوليت ويأخذوا مسؤوليتهم أمام الشعب الجزائري، وأمام التاريخ وأمام الإسلام، اننا نعرف بأن جمعية العلماء- وهذا يظهر من خلال مجلة الشهاب. أنهم ضد كل اندماج للشعب الجزائري ولهذا نريد منهم الآن أن يفصحوا عن رأيهم قبل فوات الأوان ومن ناحية أخرى فإن المؤتمر الإسلامي الجزائري هو أيضا يطالب بتوحيد هيئة الناخبين، ولهذا فهو ضد برنامج فيوليت الذي لا يفكر إلا في عشرين ألف من الجزائريين. فبعد قرن من الاستعمار المتمثل في الاستغلال الوحشي وفي الفقر المدقع يراد بنا اليوم بواسطة هذا البروجي- محو تاريخنا ووجودنا من اللوحة الجغرافية في الوقت الذي ينتظر فيه الشعب إصلاحات تناسب ما يصبوا إليه من كرامة وطنية وإسلامية. وها هو الوقت الذي يمكن لنا أن نغتنم هاته الظروف الحالية لنوجه الشعب إلى الطريق الذي يناسبه والذي يصبأ إليه من قديم.

فجميع الأمم العربية وجميع الأمم المضطهدة لم تتنازل عن وطنيتها ولا عن سيادتها، وبتقديم التضحيات الغالية كافحت لتحفظ بما هو غال ونبيل وفوق كل شيء. وليس بعيدا عنا ما أحرز عليه الشعب المصري والسوري والعراقي بعد كفاح مرير حتى توصلوا إلى تحريرهم. هل استولى عليكم الفرع كما استولى علينا عندما سمعنا مؤخرا في دمشق تصريح أول حكومة وطنية لم ينس فيه ابن عربي؟ وهل علمتم أن النائب فخر البارودي قد ألقى خطابا في البرلمان السوري يقول فيه: عن واجبنا لم يتم ولن يتم إلا إذا لم

يبقى أي عربي مضطهد أو مستعمر؟ وان المتجنسين التونسيين قد ندموا على عملهم واجتمعوا في منظمة موحدة ليطلبوا من الباي ومن رئيس الجمهورية الفرنسية الرجوع إلى العائلة الإسلامية. وجمعية الطلبة المسلمين لشمال إفريقيا لم يقبلوا الاندماج في جمعية الطلبة مع أن بعض أعضائها من المتجنسين.

وكيف بعد هذه الأحداث التي ليست بأقل أهمية، أنتم العلماء الذين لهم مسؤولية أمام الله وأمام الشعب وأمام الأمة الإسلامية. لماذا لا تصرحوا على مستوى الأمة وبشجاعة ضد هذه الفضيحة التي هي الاندماج وهي تريد تقسيم الأمة الجزائرية إلى قسمين متناطحين وخلق طبقتين واحدة ممتازة والأخرى ضحية في سبيل نخبة تعرفونها حقيقة والشعب لا يترجى منها أي جديد، وليس الأمير عبد القادر الذي واجه الاستعمار مدة ثمانية عشر سنة ولا القائد محمد المقراني بطل ثورة 1871، ولا بطل الريف عبد الكريم الذي وقف في وجه قوتين غريبتين ولا الزعيم الثعالبي التونسي ولا مبعدي برج البوف ولا مبعدي الصحراء الجزائرية براضين عن اتخاذ مثل الموقف.

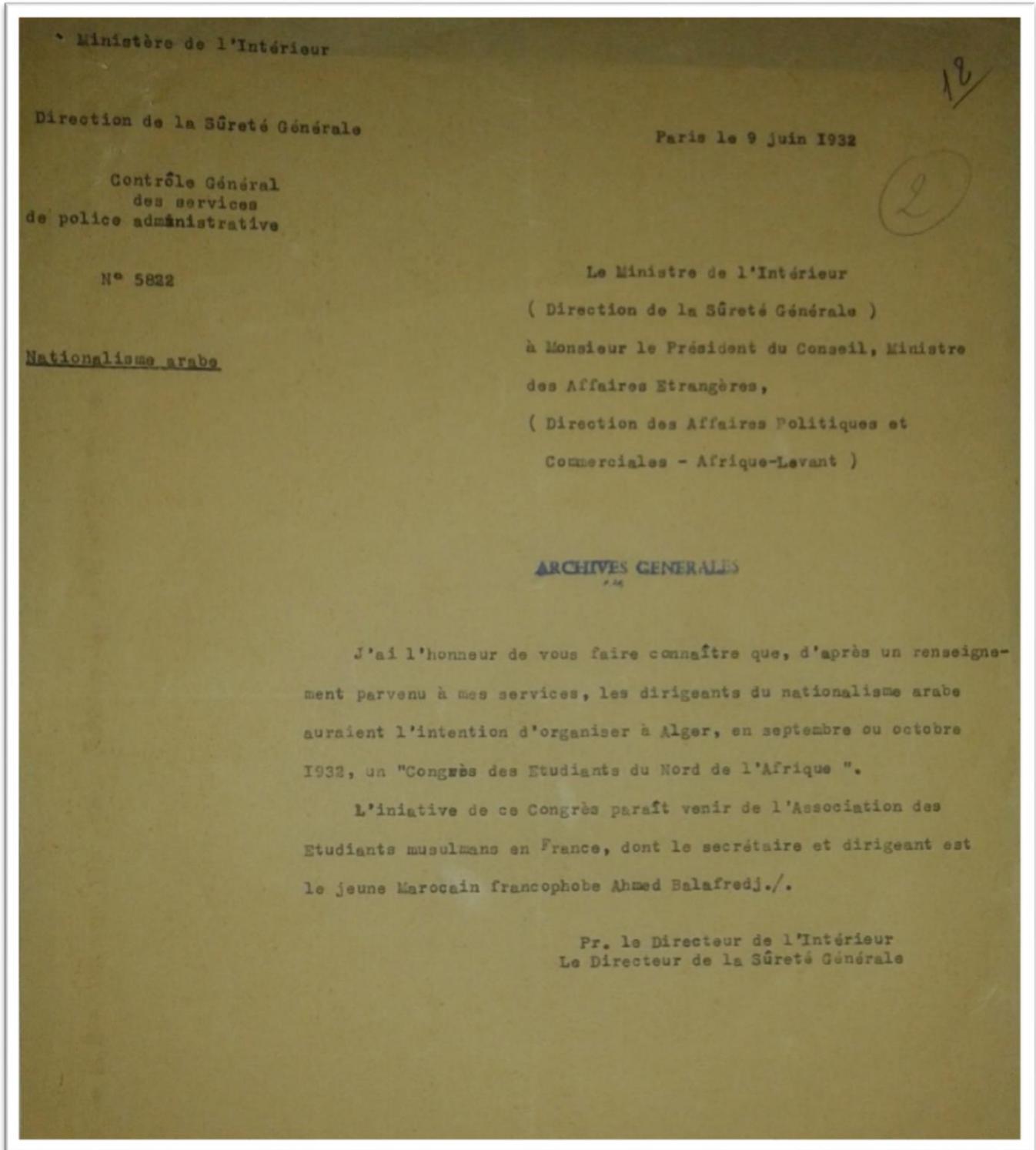
أنتم العلماء الذين تعرفون الإسلام وما قاله الإله في القرآن وأنتم الذين تعرفون التاريخ العربي وخاصة تاريخنا الوطني الغالي لا يمكن لكم ان تبقوا صامتين أمام هذا الخطر وأكثر من هذا وأن تؤيدوا هذه الفضيحة. ولا يوجد مسلم يعتز بهذا الاسم يرضى أن يتنازل عن كرامته ليتوصل على ورقة انتخاب. اننا نقوم بواجبنا-نحن الوطنيين-حينما نحذركم مغبة هذه الألاعيب السياسية التي تهدد وحدتنا ومستقبلنا. اننا نرغب منكم ونتضرع إليكم-في فائدة هذه الأمة-أن تأخذوا نداءنا الوطني موضع الجد في هذه الظروف الخاصة الخطرة وتتمنى في عملية مراجعة ومحاسبة للنفس جدية بالتقدير أن تتفهموا نداءنا وقلقنا. لقد قمنا بواجبنا وبمسئوليتنا امام الله وأمام الرجال وبضمير مرتاح ننتظر بفارغ الصبر وبشجاعة تصرحاً واضحاً ومجدداً تظهرون به موافقتكم على رفض محاولة التقسيم والشقاق. إن الذين جعلهم القدر على رأس منظمات في قيادة هذا الشعب وتوجيهه من واجبه ان يأخذوا مسؤوليتهم امام كل خطر مع التفكير دائما في فائدة الشعب ولا شيء غير فائدة الشعب.

احذروا من مجاري التيارات السياسية التي هي في غير فائدة شعبنا والشعب الجزائري لا يمكن ان يكون مخدوما ومدافعا عنه إلا بأبنائه قاداته وأصدقائه الحقيقيين. اننا نريد إصلاحات حقيقية ومناسبة لمطامحنا الوطنية ورفض بروجي فيوليت كعضم نتلهى به. هذه هي احساساتنا وهذا هو موقفنا.

إدارة التحرير

المصدر: محمد قنانش-محفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي، المصدر السابق، ص ص 64-66.

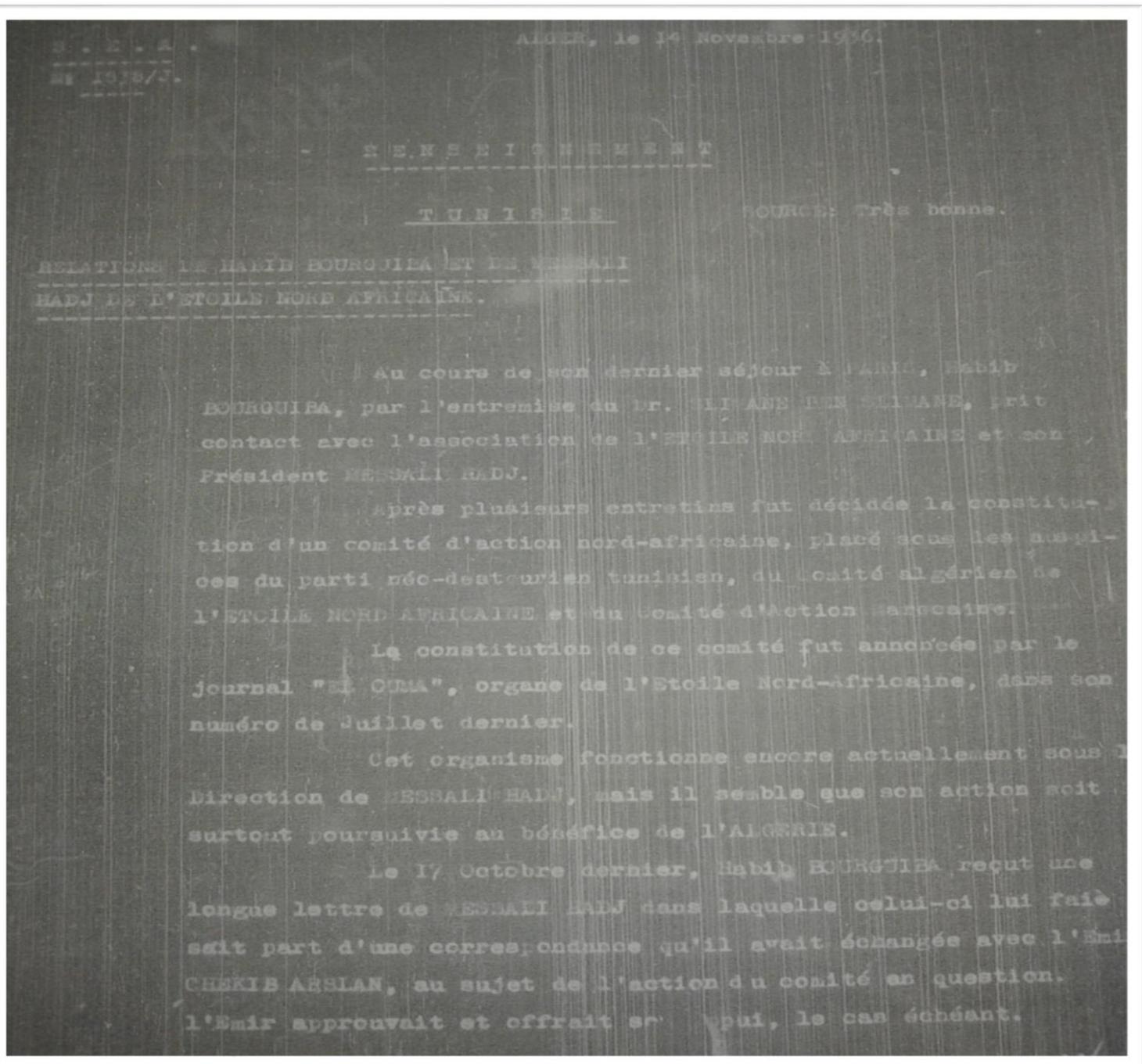
الملحق رقم 04:



تقرير أممي حول المؤتمر الثاني لجمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين المنعقد بالجزائر 1932

A.N.T. série : mouvement national, carton 25, dossier n° 4, lettre de direction de sûreté générale ; nationalisme arabe, paris le 9 juin 1932

الملحق رقم 05:



- مذكرة استخباراتية عن نشاط الجبهة المغربية المؤسسة من طرف الأحزاب المغاربية الاستقلالية  
الثلاثة وجمعية العلماء، بمباركة شكيب أرسلان.

CAOM, A46-25H 32, dossier n°12, renseignement, relations Habib Bourguiba et messali hadj, Alger le 14 novembre 1936.2p

## الملحق رقم 06:

1149

R/C. 15/3/10.

ALGER, le 15 Mars 1937.

S. S. A.  
E1601/K.

R E N S E I G N E M E N T

T U N I S I E

SOURCE: Très bonne.

TOURNER DE NATIONALISTES ALGERIENS.

Les nommés MOFEDI ZAKARIA, algérien, poète, auteur de l'hymne National algérien, rédacteur à la revue "LA VIE" d'ALGER et correspondant algérien de la WAHIA, membre de "l'Etoile Nord-Africaine" et du "Parti National Algérien" récemment créé par HESSALI HADJ; EL HAQUEL, algérien, membre du Comité Directeur du "Parti National Algérien"; SEMANECH MOHAMED, algérien, président de la cellule de TLEMCENE du parti précité et membre de l'Etoile Nord-Africaine; Ahmed EL MAGAGI et Omar ALI AVICI, algériens, membres des deux groupements, sont arrivés à TUNIS vers le 20 Février écoulé, arborant l'insigne vert et blanc de "l'Etoile Nord-Africaine".

Fréquentant particulièrement le café d'Alger, Place BabSouika, tenu par Hassen BOUJEDRA, qui les aurait invités à dîner à son domicile, ils se sont également rendus fréquemment chez NELICHE SINE, algérien, tailleur, 132, Bab Souika.

Le 26 Février ces personnages ont été reçus au cercle néo-destourien 29 bis, Rue du Tribunal, par les leaders BARRI GUIGA, Youssef ROUMI, Khemis BELHASSEN, Monnaji SLIM, Allala LAQUITTI et quelques autres membres du comité de propagande du néo-destour. Au cours de cet entretien, les algériens exprimèrent leur satisfaction des déclarations énergiques faites par Habib BOURGUIBA au sujet de la solidarité existant

entre les nationalistes tunisiens et l'"Etoile Nord-Africaine" et précisèrent qu'ils n'attendaient pas moins de sa part, en raison des services éminents rendus au Destour dans le passé par "l'Etoile Nord-Africaine".

Les nationalistes algériens tentèrent ensuite, au nom de l'union panarabe entre les nationalistes tunisiens, algériens et marocain de recueillir des fonds au profit de "l'Etoile Nord-Africaine", mais leurs démarches ne furent pas couronnées de succès, ce qui engagea la plupart d'entre eux à repartir pour l'ALGERIE dans les premiers jours du mois en cours, regagnant leurs localités respectives : TLECEM, SÉTIF, CONSTANTINE, BLIDA et ORAN.

Demeuré seul à TUNIS, MOFIDI ZAKARIA entra en contact avec les étudiants algériens de la Grande Mosquée et tint récemment, en présence d'un public assez restreint, une conférence à l'Université de la Khaldounia, au cours de laquelle il engagea les musulmans de l'Afrique du Nord à s'unir en un groupe panarabe pour défendre avec efficacité les intérêts de leurs pays respectifs. Il rendit ensuite visite à différents directeurs de journaux arabes, puis quitta TUNIS vers le 4 courant, se rendant en ALGERIE en passant vraisemblablement par HIERTE où résident quelques membres de sa famille.

A noter que MOFIDI ZAKARIA était déjà venu en TUNISIE au cours du dernier trimestre de 1932 pour tenter de réaliser une union entre les intellectuels tunisiens et algériens.

Destinataires: E.A. PARIS 5 ex.  
M. MILLIOT  
E.L. HAMAT  
Arch.

2/2

مذكرة استخباراتية عن زيارة وفد من نجم شمال افريقيا إلى تونس

CAOM. A46, 25h32, dossier 12, renseignement Tunisie, n°601, tournée de nationaliste algérien, Alger le 15mars1937

PRÉFECTURE de CONSTANTINE  
Centre d'Informations  
et d'Etudes

Constantine, le 21 Mai 1938

N° 538

**SECRET**

REMERCIEMENTS

Source: bon informateur indigène de  
Constantine.-

A/S. P.P.A. - NÉO-DESTOUR - MAROC.-

Les militants Constantinois du P.P.A., dans leurs conversations privées, avouent que, pour l'instant, ils ont intérêt à observer une attitude calme, mais qu'il y aura lieu d'envisager une reprise de l'agitation dès que les circonstances le permettront;

qu'en tout état de cause, ils doivent avoir les yeux fixés sur le Néo-Destour et agir en synchronisme parfait avec les membres de ce parti dont les gestes de rébellion ou de feinte soumission doivent être exactement imités.

D'autre part, l'informateur a pu converser en toute confiance avec la plupart des Djerbiens installés à Constantine comme commerçants.

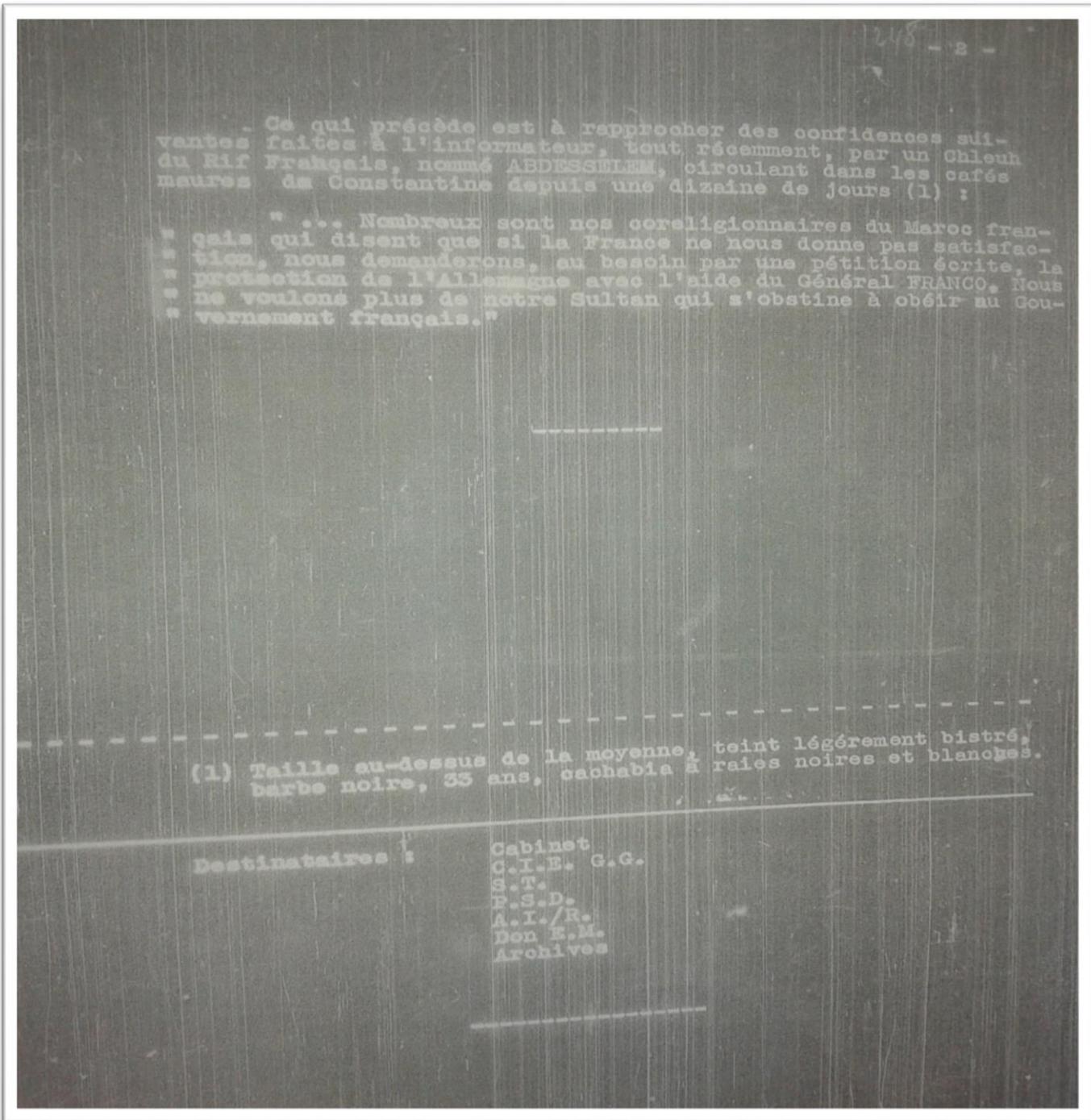
L'un d'eux, nommé AYED (1), qui se déplace fréquemment entre cette dernière ville, AIN Fakroun et la Tunisie, lui a tenu le propos suivant :

" ... jamais le mouvement néo-destourien ne prendra fin. Nous luttons tant que nous pourrons malgré les mesures de répression, et nous reprendrons notre action dès que possible jusqu'à ce que nous ayons satisfaction. Nous attendons que le Général FRANCO ait ramporté la victoire et, à ce moment, nous solliciterons nettement ~~son appui~~ son appui, et celui de l'Allemagne, pour obtenir, dans une action commune avec nos frères du Maroc, ce que nous réclamons vainement."

L'informateur ajoute que presque tous les Djerbiens de Constantine tiennent à peu près le même langage.

Il indique aussi qu'en causant avec ces derniers, il a pu comprendre qu'il existe actuellement, à Tozeur un nommé SI el HADI chargé d'assurer la liaison entre les néo-destouriens et les gens de l'Oued Souf.

(1) Ce nommé AYED se voit souvent dans une épicerie située faubourg Saint Jean, dans une rue transversale à celle où se trouve le commissariat de police.

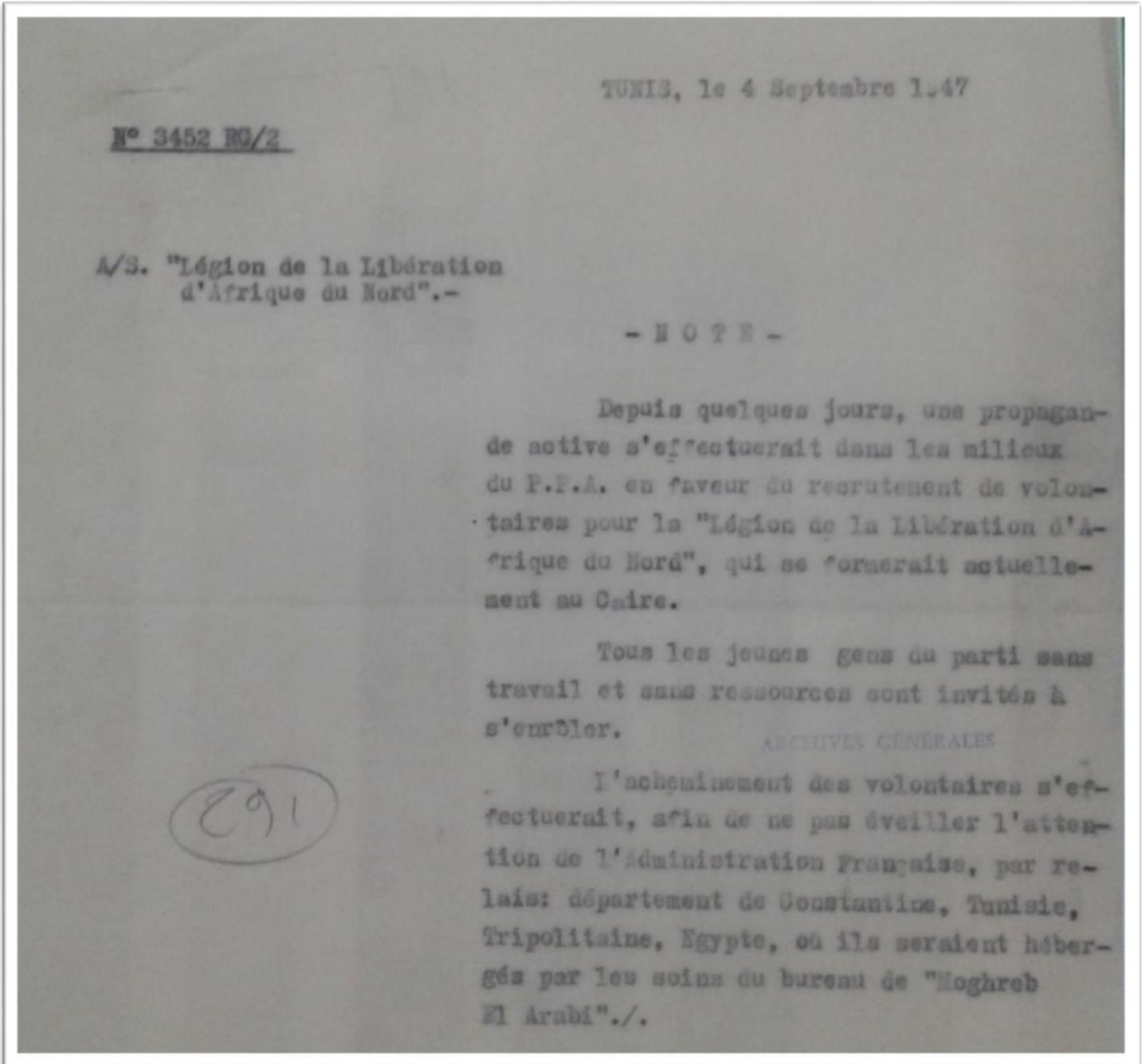


2/2

مذكرة استخباراتية عن نشاط خلايا حزب الشعب والحزب الدستوري والريف المغربي قبيل الحرب العالمية الثانية وبوادر العلاقات الوطنية المغربية مع ألمانيا وإيطاليا

CAOM, A46, 25h32, dossier n°12, rapport de (CIE), A/S : P.P.A-NEO-DESTOUR-MAROC, Constantine le 21mai1938

الملحق رقم 08:



مذكرة استخباراتية عن التحاق مناضلي حزب الشعب الجزائري بلجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة.

A.N.T, série : mouvement national , carton 54, dossier n° 4, note n°3452,  
A.S /légion de la libération nord-africaine, Tunis le 4 septembre 1947.

## الملحق رقم 09:

### عقيدة التوحيد لشباب شمال افريقيا

- 1- آمنت بالله ربّنا، وبالإسلام ديننا، وبالكعبة قبله، وبالقرآن إماما، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلّم نبيا ورسولا، وبشمال افريقيا وطننا واحدا لا يتجزأ.
- 2- أقسم بوحداية الله اني أؤمن بوحداية شمال افريقيا وأعمل لها مادام فيّ قلب خافق، ودم دافق ونفس عالق.
- 3- الإسلام ديننا-شمال افريقيا وطننا-العربية لغتنا.
- 4- لست مسلما ولا مؤمنا ولا عربيا، إذا لم أبذل نفسي ومالي ودمي في سبيل تحرير وطني العزيز (شمال افريقيا) من أغلال العبودية وإخراجه من ظلمات الجهل والفاقة إلى نور العلم والرفاهية والعيش السعيد.
- 5- كل مسلم بشمال افريقيا يؤمن بالله ورسوله ووحدة شماله هو اخي وقسيم روحي، فلا أفرق بين تونسي وجزائري ومغربي، ولا بين مالكي وشافعي وإباضي وحنبلي، ولا عربي وقبائلي، ولا بين مدني وقروي، ولا بين حضري وآفاقي، بل كلّهم إخواني أحبهم وأحترمهم وأدافع عنهم ما داموا يعملون لله وللوطن، وإذا حالفت هذا المبدأ فإنني اعتبر نفسي أعظم خائن لدينه ووطنه.
- 6- كلّ من عمل للتفرقة بين أجزاء وحدة وطني (شمال افريقيا) اعتبره أكبر عدوّ لي ولوطني وأحاربه بكلّ وسيلة ولو كان أبي الذي أنجبني أو أخي من أمي وأبي.
- 7- وطني شمال افريقيا، وطن ماجد له ذاتيته المقدسة وتاريخه الباذخ ولغته الكريمة وجنسيته العربية الشريفة، وكل من سولت له نفسه الانسلاخ عن هذه الجنسية أو المروق من هذه الذاتية اعتبرته أبقا من وحدة وطني، وخارجا عن جماعة المسلمين ليدخل لقيطا ملحقا بجنسيته، فعليه غضب الرّب وغضب الشعب.
- 8- قد تبين الرشد من الغيّ فلا سياسة اندماج ولا سياسة استجداء، نحن طلاب حق مغضوب وتراث مسلوب، فيجب أن نناله وكفى، فلا منزلة بين المنزلتين إما وطني صميم، وإما خائن أثيم.
- 9- نحن لا نبغض الأجناس، فالكلّ عباد الله والأجانب الذين يعيشون في بلادنا نحترمهم ما داموا يحترمونا ولا نؤذيهم ما داموا لا يآذوننا في حرياتنا وكرامتنا وخيرات بلادنا، فإذا راعوا حق صاحب الدّار راعينا حق الضيوف لهم مالنا وعليهم ما علينا، بهذا أمر ديننا الحنيف وبهذا تأمر ضمائرنا الطاهرة.
- 10- وطننا شمال افريقيا جزء لا يتجزأ من جسم الشرق العربي نفرح لفرحه ونتألم لآلامه ونتحرك لتتحركه ونسكن لسكونه تربيكنا به إلى الأبد روابط اللغة والعروبة والإسلام.

المصدر: محمد قنانش، محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري، المصدر السابق، ص 92-93.

الملحق رقم 10:

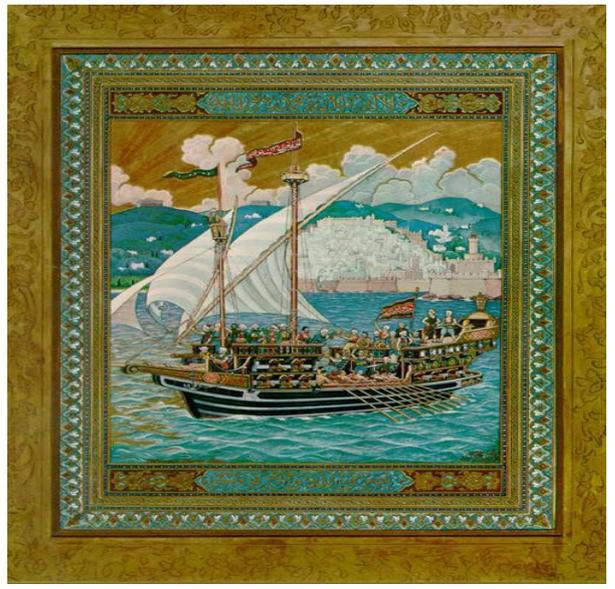
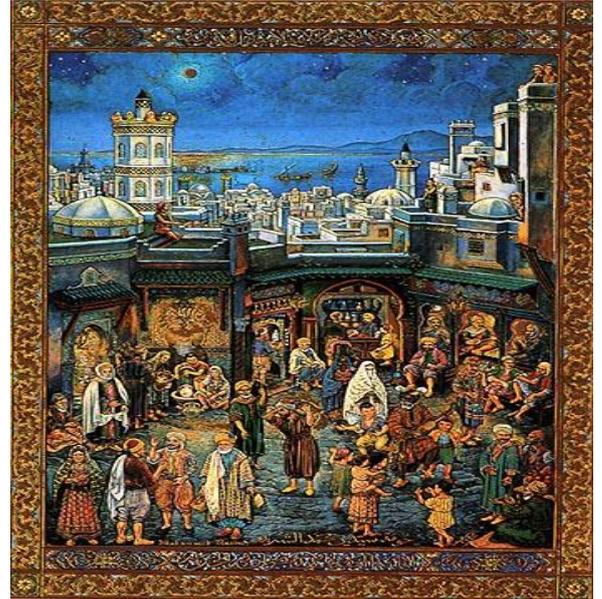


- الصفحات الأولى من الأعداد الأربعة الصادرة من أسبوعية "ذو الفقار"

عن: شرقي الرزقي، الصورة الفنية عند عمر راسم من الرمزية الواقعية إلى التجريد المطلق (تأملات

واستنباطات حول بعض ابداعاته الخاصة)، الملتقى الدولي: عمر راسم، مرجع سابق، ص 330.

الملحق رقم 11:



1- لوحة للحياة اليومية في الجزائر العاصمة وتعلوها المآذن (الإسلام دين الجزائر)

2- لوحة للأمير عبد القادر على جواده (=نعتقد أنها معركة سيدي إبراهيم)

3- سفينة البحارة المسلمين أيام القوة في الدولة العثمانية

4- خير الدين وخلفه السفينة والمدينة، وعليهما علم الدولة العثمانية وهو دليل على حنين محمد راسم للخلافة الإسلامية

لوحات فنية للفنان محمد راسم تمجد الخلافة والوحدة الإسلامية

المصدر: <http://www.startimes.com>

الملحق رقم 12:



الصفحة الأولى من جريدة الأمة: وفيها نجمة وهلال وعليها الآية التي تدعو إلى الوحدة

"واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا"

المصدر: الأمة: ع 27 ماي 1938



صور قادة حزب الدستور الجديد: الحبيب بورقيبة، صالح بن يوسف، سليمان بن الشيخ

المصدر: جريدة الأمة، ع 22 أبريل 1938

الملحق رقم 13:



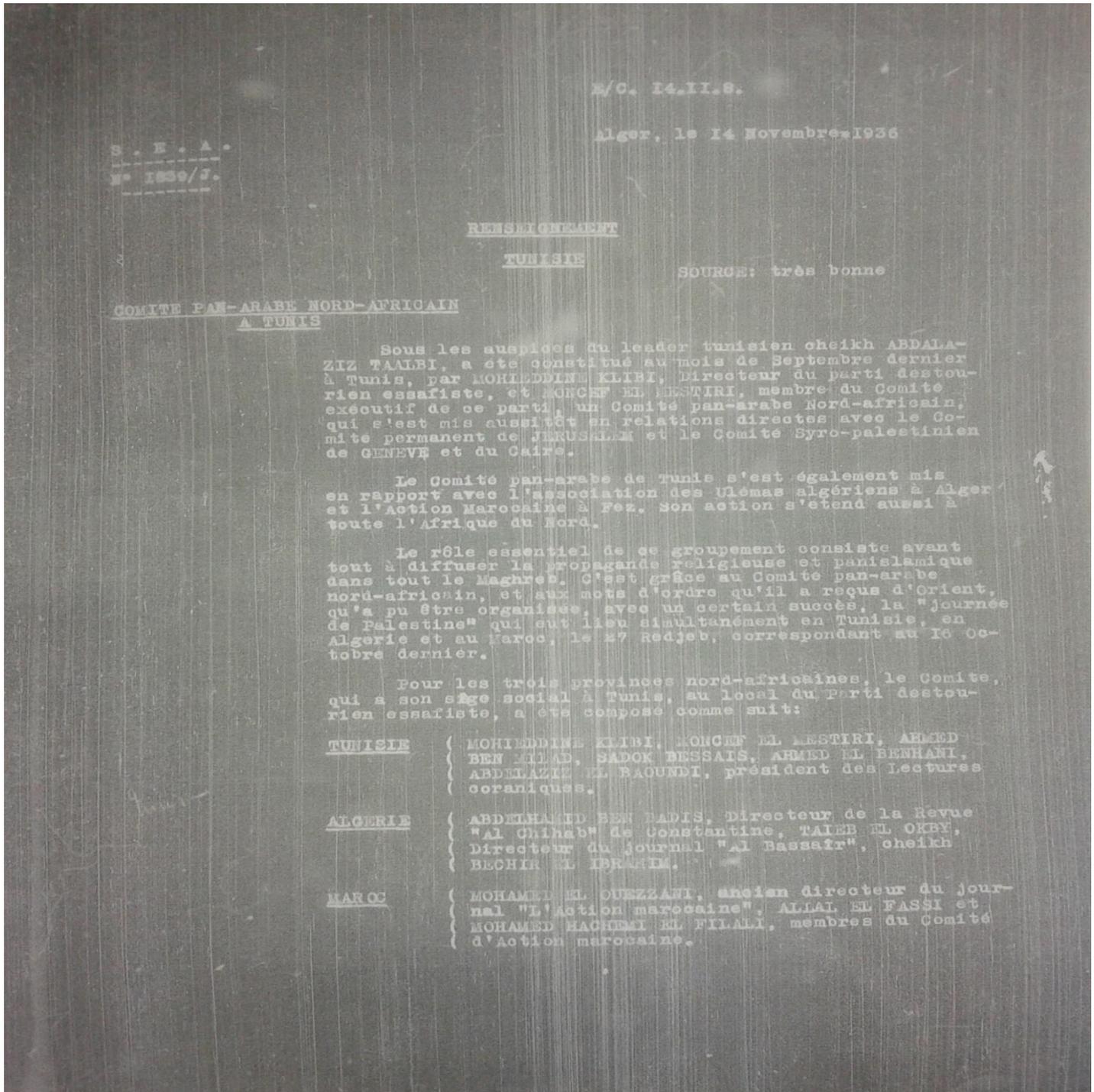
جاء على ظهر الصورة: أعضاء مؤتمر المغرب العربي الذي عقد بالقاهرة من ممثلي الأحزاب الاستقلالية في تونس والجزائر والمغرب من اليمين: الشهيد أحمد بن عبود (الثالث) - الأستاذ عبد الكريم غلاب (السابع) - الأستاذ الرشيد ادريس من تونس (الثامن) - الأستاذ محمد الفاسي الحلفاوي التطواني (العاشر واقفا) - الأستاذ عبد المجيد بن جلون (الثالث من اليسار) - الأستاذ الشاذلي المكّي من الجزائر. المصدر: أحمد بن عبود، مكتب المغرب العربي بالقاهرة، المصدر السابق، ص 156.



الشهيد أحمد بن عبود (المغرب) مع الأستاذ الفضيل الورثلاني (الجزائر) وشخصيات مصرية وعربية

المصدر: أحمد بن عبود، المصدر السابق، ص 168

الملحق رقم 14:

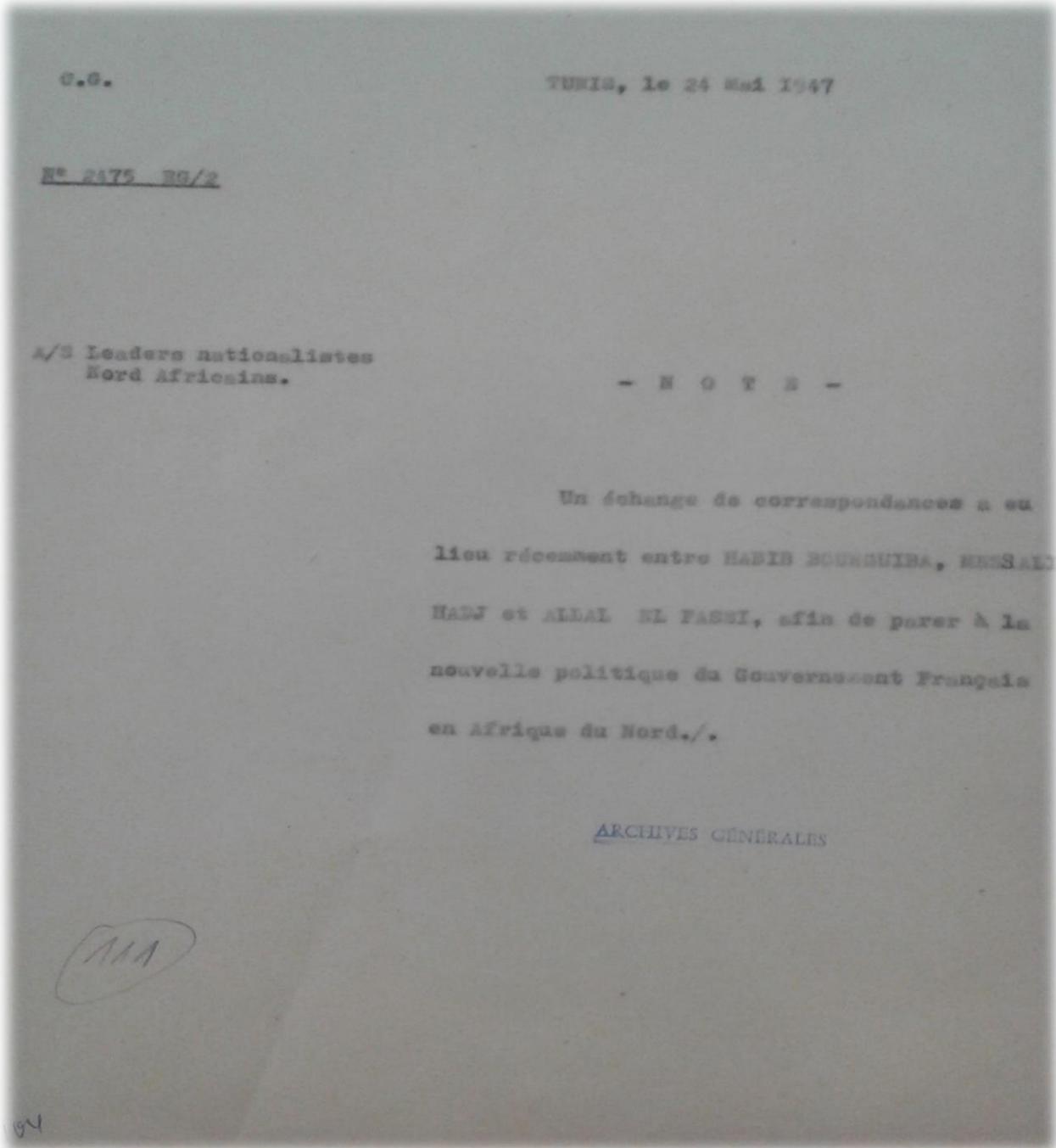


مذكرة استخبارات عن تأسيس اتحاد عربي لشمال افريقيا وفيها المسؤولين المغاربة عن ذلك: ابن

باديس والعقي من الجزائر

CAOM. bob a45-25h32. dossier3. renseignement n°1839 /j Alger le  
14 septembre 1936.

الملحق رقم 15:



مذكرة استخباراتية عن وجود مراسلات جديدة بين القادة المغاربة بعد الحرب العالمية الثانية، من أجل مواجهة سياسة الحكومة الفرنسية الجديدة في شمال افريقيا: الحبيب بورقيبة-مصالي الحاج-علال الفاسي

A.N.T, série : mouvement national , carton 54, dossier n° 4, note n°2475,  
A.S/leaders nationalistes nord africaines, Tunis le 24mai1947.

# البيولوجيا الجزيئية

**1- les archives :**

● **archives national de France-paris (A.N.F)**

**Bobine n° f145-F60-807 :**

Chemise : Ferhat Abbas et cheikh ibrahimi

1- rapport de police de renseignement généraux, préfecture d'Alger, n°4554, Alger le 13 septembre1944.

2- renseignement de CIE d'Alger, n°799, Alger le 25-08-1944.

3- lettre de préfet de Constantine a m le général d'armée gouverneur général de l'Algérie, n°1225, Constantine le 24-05-1944.

Chemise : oulémas.

1-discours prononcé par le cheikh el okbi a la grande mosquée, 1944.

Bobine n° f208 : cote f/60/888 :

1- comité de l'Afrique du nord, rapport de directions de réformes : problème algérien après les élections du juin1946.

2- comité de l'Afrique du nord, rapport : Ferhat Abbas, juin1946.

● **Centre d'archives d'autre mer (Aix en province-France- caom) :**

**Bob A45-25h32, dossier n°3 :**

1. renseignement n°1839 /j, Alger le 14 septembre 1936.

2. renseignement sur l'activité du destour et a une agitation prochaine en Tunisie, Alger le 10octobre1936.

**Bob A46-25h32, dossier n°12 :**

1. rapport de (CIE): traduction d'un article signé ;Mohamed bendiba ;paru dans le journal tunisien «el Amel» du 1-4-1938 sous le titre «écho de l'Afrique du nord» ,Constantine le 22avril1938.
2. renseignement a.s du départ en France de messali hadj, Alger le12septembre1936.
3. renseignement Tunisie, n°601, tournée de nationaliste algérien, Alger le 15mars1937.
4. extrait du procès-verbal n°380/s de réunion entre autorités civiles et militaires. Souk-Ahras, le22décembre1937.
5. l'action tunisienne : Messali ne doit pas mourir de faim en prison le22-10-1937.
6. lettre de directeur des affaires musulmanes et des territoires du sud : Berque, le 28 aout 1944.
7. lettre de résidence générale à M : le gouverneur général de l'Algérie : du nommé Zaccaria moufdi, Tunis le 24juin1937.
8. parti du peuple algérien, projet de charte revendicative, brochure n°01, Edition du journal E louma, 2pages.
9. rapport A/S : d'une réunion chez tewfik el Madani, rapport de 14 octobre1938.
10. rapport analyse de presse tunisienne, 15 avril 1937.
11. rapport de (CIE) Alger : hymne nationaliste tunisiens, Alger le 22novembre1939.
12. rapport de (CIE) Alger : venus prochaine à l'Algérie de mahieddine elklibi président de vieux- deustour, Alger le1juillet1937.
13. rapport de (CIE) Alger, messali hadj, Alger le 1juillet1937.

14. rapport de (CIE) Alger : as/du parti du peuple algérien, Alger le 1avril1938.
15. rapport de (CIE) Constantine, analyse de journal ez Zohra, Constantine le 10 aout 1937.
16. rapport de (CIE) Constantine, traduction du journal ez Zohra, Constantine le 4 aout 1937.
17. rapport de (CIE) Constantine, le 20 octobre 1937.
18. rapport de (CIE) Constantine, renseignement : nouveau journal tunisien -le destour -, Constantine le31 aout 1937.
19. rapport de (CIE) : intention prêtée à habib Bourguiba de se rendre incessamment a Biskra, le 02 décembre1937.
20. rapport de (CIE), A/S : P.P.A-NEO-DESTOUR -MAROC, Constantine le 21mai1938.
21. rapport de (CIE), liaisons entre oulémas et milieux nationalistes tunisiens, Constantine le 7 février 1939.
22. rapport de commissaire de police de Biskra, le 8 décembre 1937.
23. rapport de préfet de Constantine, le 16 décembre 1937.
24. rapport de secrétaire-interprète bouras mazouz, Mostaganem le29 octobre 1938.
25. rapport de services des affaires indigènes nord-africaines. paris le18 janvier 1937.
26. rapport de(CIE) d'Alger, Arrivée en Algérie d'un groupe de tunisiens, Alger le 10 mars 1937.
27. rapport de(CIE) : relations entre nationaliste algériens et tunisiens, le 9-12-1937.
28. renseignement Tunisie : déplacement d'intellectuels tunisiens en Algérie, Alger le 8 mai 1937.

29. renseignement, associations d'ulémas Tunisie, Alger le 19 février 1937.
30. renseignement, relations Habib Bourguiba et messali hadj, Alger le 14 novembre 1936.

● **Archives national de Tunis A. N. T**

**Série : Mouvement National :**

Carton 18, dossier n°1

1. rapport de président du conseil des affaires étrangères, n°1201, propagande communiste dans nos possessions de l'Afrique du nord, Paris, le 11 septembre 1922.

- Carton 23, dossier n°3.

1. -note n°21-05 : politique musulmane, information divers : lettre d'ampliation à la résidence générale, Tunis le 3 janvier 1930.
2. note n°1003-5 : politique musulmane : l'Islam et les musulmans de l'Afrique du nord, note de résidence générale, Tunis le 31 mars 1930.

- Carton 24, dossier n°3.

1. note n°252-6.A/S : du cinquantenaire, Tunis le 10 -2- 1931.
2. note n°322-6.A/S : politique musulmane, lettre d'ampliation à la résidence générale, Tunis le 1 août 1930.
3. rapport de directeur de la sûreté publique n°666-5 : affichage de placards contre le cinquantenaire, Tunis le 17- 3 -1931.

-Carton 25, dossier n°4.

- 1- lettre de direction de sûreté générale ; nationalisme arabe, Paris le 9 juin 1932.

- Carton 53, dossier n°4.

note n°1354, A/S : manifestations communistes à Alger le 14 juillet, Alger le 27 juillet 1944.

Carton 54, dossier n°4.

1- note n° 2482, A.S : déclaration de messali hadj, Tunis le 24 mai 1947.

2- note n° :1536A/S : ligue arabe, Tunis 14 juin 1946.

3- note n°1414A/S : ligue arabe, Tunis 3 juin 1946.

4-note n°1515A/S : ligue arabe, Tunis 13 juin 1946.

5- note n°,1716 A/S : tract du P.P.A, Tunis le 16 juillet 1946.

6- note n°,2475 A.S/leaders nationalistes nord africaines, Tunis le 24 mai 1947.

-Carton 65, sans numéro de dossier :

1. article de président Bourguiba publié par le quotidien cairote « al ahram »-en arabe-
2. mémoire présenté à la commission d'enquête pour la Palestine 4 mars 1946 par une délégation des 4 pays arabes de l'Afrique du nord : tripolitaine-Tunisie-Algérie-Maroc.

**• Directions d'archives de la wilaya d'Oran(AWO)**

BOITE N 2260 :

-CHEMISE7.

1. Problème nord-africain, 2eme partie : la religion et les religieux, p4.
2. charvin, influence de L'orient sur la presse : de la langue arabe en Algérie (tendances et programme des oulamas), mai 1936.
3. Etude de : Capitaine Wonder, la presse indigène en Algérie, expose fait au cycle d'études sur les problèmes du monde musulman contemporain, mai 1936, p4

4. rapport de CIE, gouvernement général de l'Algérie, direction général des affaires indigène et destertoires du sud/ n110 .31-05-1936.
5. renseignement : activité des anciens éléments de l'Etoile nord-africaine.,2S.C.R/N3094,exempalire n 2, source : S.N7-04-1937 :  
- Dossier 15 :

chemise170

1. rapport de CIE, n° 335, Oran le 7juillet1938.
2. causerie faite par m le bachagha Smati au cours de perfectionnement de affaires indigènes, le disque de langue arabe, Alger, février 1937.

Chemise i62 : confréries religieuses

- rapport de CIE, n°142, Oran le 7mai1941

**BOITE N 2261**

1. rapport de CIE, conférences données aux cycles d'études sur les problèmes de l'évolution du monde musulman contemporain, N° interne b51, 5.
2. rapport de sureté département d'Oran n°4406, notice de renseignement de 24mai1937
3. rapport (CIE) de préfecture d'Oran, Oran de 16septembre1937  
- chemise presse : el Maghreb l'Arabie :
  1. rapport de commissaire de police lavage Maurice commissaire centrale par intérim de la circonscription de police de mascara a le préfet de l'arrondissement de mascara, n5106.
  2. rapport de chef de poste Casanova sidi bel abbese, n°16, le 14janvier1948
  3. rapport de commissaire principale central de la circonscription de police de Tlemcen, n°4579, Tlemcen le 10mars1948.

**BOITE N 6987**

I12-chemise : Tlemcen.

1. rapport de la police de marnia n17/5, marnia le 17janvier1949
2. renseignement de services des laissons nord-africains, Oran, le 17avril1952.
3. rapport de l'administrateur de commune mixte de sebdou, Tlemcen le 7juin1952
4. rapport de l'administrateur de commune mixte de sebdou, Tlemcen le 8avril1952
5. rapport de l'administrateur des services civils chef de la c.m de nedroma, n245/s, nedroma le 9novembre1953

**2-المصادر بالعربية :**

1. الإبراهيمي محمد البشير، الآثار جمع وتقديم نجله: أحمد طالب الإبراهيمي، الأجزاء: 1-2-3-4-5، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، لبنان، 1997.
2. أجيرون شارل روبير، الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871-1919)، الجزء الثاني، نقله إلى العربية: م. حاج مسعود و ع. بلعربي، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
3. (—)، تاريخ الجزائر المعاصرة، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، بيروت-باريس، 1982.
4. أرسلان شكيب، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم؟ مكتبة رحاب، ساحة بور سعيد، الجزائر، 1989،
5. أركون محمد، الفكر العربي، ترجمة: عادل العوّا، منشورات عويدات، ط3، بيروت-باريس، 1985،
6. الأشرف مصطفى، الجزائر: الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، دار القصب، الجزائر، 2000.
7. آيت أحمد حسين، روح الاستقلال-مذكرات مكافح (1942-1952)، ترجمة: سعيد جعفر، منشورات البرزخ، الجزائر، 2002.

8. بن العقون عبد الرحمن بن ابراهيم، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، جزءين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
9. بن عبود محمد، مكتب المغرب العربي بالقاهرة (دراسات ووثائق)، مطابع منشورات عكاظ، الرباط. د.ت
10. بن بلة أحمد، مذكرات، أملاها على روبر ميرل، ترجمة: العفيف الأخضر، منشورات دار الآداب، بيروت، (د.ت).
11. بن خدة بن يوسف، جذور أول نوفمبر 1954، ترجمة: مسعود حاج مسعود، دار الشاطبية، ط2، الجزائر، 2012.
12. بن عاشور محمد الفاضل، الحركة الادبية والفكرية في تونس، الدار التونسية للنشر والتوزيع، تونس، 1983.
13. بن نبي مالك، شروط النهضة، ترجمة: عبد الصبور شاهين-عمر كامل مسقاوي، دار الفكر، إصدار ندوة مالك ابن نبي، دمشق، 1986.
14. (—)، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان-دمشق، سورية، ط2002.
15. بوعزيز يحيى، الاتجاه اليميني في الحركة الوطنية من خلال نوصه ووثائقه (1912-1948)، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
16. (—)، الاتهامات المتبادلة بين مصالي الحاج واللجنة المركزية وجبهة التحرير الوطني (1946-1962)، دار هومة، الجزائر، 2001.
17. (—)، الإيديولوجيات السياسية للحركة الوطنية الجزائرية من خلال ثلاثة وثائق جزائرية، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
18. (—)، حروب المقاومة بالجزائر كما صورتها الكتابات الفرنسية: كتاب: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، دار البصائر، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
19. (—)، دور الطلبة الجزائريين في ثورة التحرير الوطني، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، طبعة منقحة ومزودة، دار البصائر، الجزائر، 2009.

20. (—)، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية الجزائرية من 1830 إلى 1954، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
21. الجندي أنور، العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار الكتاب اللبناني-مكتبة المدرسة، الطبعة الثانية، لبنان، 1983.
22. جوليان شارل أندري، إفريقيا الشمالية سير، ترجمة: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، 1976.
23. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ج1-ج2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت-مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، ط2، 1965.
24. الحاج مصالي، مذكرات (1898-1938)، تصدير عبد العزيز بوتفليقة، ترجمة: محمد المعراجي، منشورات anep، الجزائر، 2007.
25. الحمامي علي، ادريس (رواية شمال افريقية)، تعريب: محمد ناصر النفزاوي، معهد الهقار، تونس. 2011.
26. (—)، ادريس، ترجمة: محمد يحياتن، منشورات anep، الجزائر، 2007.
27. حوحو أحمد رضا، غادة أم القرى، سلسلة الانيس، الجزائر، 2007.
28. الخطيب أحمد، حزب الشعب الجزائري، جذوره التاريخية والوطنية ونشاطه السياسي والاجتماعي، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
29. خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تعريب: محمد العربي الزبير، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984.
30. دبوز محمد علي، نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، الجزء الأول والثاني، المطبعة التعاونية، ط1، الجزائر، 1965.
31. زكريا مفدي، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر: جمع وتحقيق: أحمد حمدي، مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003.
32. سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، الجزء الرابع، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1984.

33. (—)، الحركة الوطنية الجزائرية، الجزء الأول، الجزء الثاني، الجزء الثالث (1930-1900)، دار الغرب الاسلامي، الطبعة الرابعة، لبنان، 1992.
34. (—)، تاريخ الجزائر الثقافي، الأجزاء: 5-6-7-8-9-10، (1954-1830)، دار البصائر، الطبعة السادسة، الجزائر، 2009.
35. (—)، دراسات في الأدب الجزائري، (مجموعة أعمال الدكتور) عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
36. (—)، شاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة (مجموعة الدكتور أبو القاسم سعد الله)، عالم المعرفة، الجزائر، 2011.
37. الشيخ أبو عمران - جيجلي محمد، الكشافة الإسلامية الجزائرية (1935-1955)، دار الأمة، الجزائر، 2007.
38. عباس فرحات، ليل الاستعمار (حرب الجزائر وثورتها1)، ترجمة أبو بكر رحال، دار الجزائر للكتب، الجزائر، 2001.
39. (—)، الشاب الجزائري، ترجمة: أحمد منور، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
40. الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، مؤسسة علال الفاسي، مطبعة النجاح الجديدة، ط5، الدار البيضاء 1993،
41. (—)، المغرب العربي منذ الحرب العالمية الأولى، معهد الدراسات العربية العالمية، القاهرة، 1955.
42. القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية من 1930-1940، ج1، مطبعة النجاح العربية، 1992.
43. قداش محفوظ - صاري الجيلالي، الجزائر في التاريخ (المقاومة السياسية 1954-1990)، الطريق الإصلاحية والثوري، ترجمة: عبد القادر حراث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص229.
44. قنانش محمد، الحركة الاستقلالية في الجزائر بين الحربين 1919-1939، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

45. (—)، المسيرة الوطنية وأحداث 8 ماي 1945 (آفاق مغربية)، منشورات دحلب، (د.ت)، الجزائر.
46. (—)، المواقف السياسية بين الإصلاح والوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، المكتبة الشعبية، الجزائر، 1985.
47. قنانش محمد، محفوظ قداش، حزب الشعب الجزائري 1937-1939، وثائق وشهادات لدراسة التيار الوطني الجزائري، ترجمة: خليل أوزاينية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2013.
48. قنانش محمد-محفوظ قداش، نجم الشمال الإفريقي (1926-1937)، وثائق وشهادات لدراسة تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985.
49. المدني أحمد توفيق، المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1985.
50. (—)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا (1492-1792)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (د.ت).
51. (—)، حنّبل (رواية تاريخية)، المطبعة العربية بالجزائر، 1950.
52. (—)، كتاب الجزائر، دار البصائر، طبعة بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، الجزائر، 2009.
53. (—)، مذكرات (حياة كفاح)، جزئين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة الثانية، الجزائر، 1988.
54. (—)، هذه هي الجزائر، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 138.
55. مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
56. مصايف محمد، دراسات في النقد والأدب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
57. مهساس أحمد، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، الجزائر، 2007.
58. المليي مبارك بن محمد الهلالي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1964.

59. نويهض عادل، معجم أعلام الجزائر: من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، ط3، بيروت، لبنان، 1983.

### 3-الجرائد والصحف:

#### ✓ جريدة الحق الوهراني:

• أعداد: 11-03-1912 / ع39، بتاريخ 6-13 جويلية 1912/عدد41، 20-07-1912.

#### ✓ جريدة الفاروق:

1. عدد 22 جويلية 1914

2. ع66، بتاريخ: 22-06-1914.

3. عدد 15، بتاريخ: 6 جوان 1913.

#### ✓ جريدة المنتقد 1925: دار العلا، (طبعت بمناسبة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية)،

الجزائر، 2015.

1. عبد الحميد ابن باديس، أبناء الجزائر خارج بلادهم، أو تقرير مجلة المنهاج، المنتقد، ع7، الخميس، 13 أوت 1925.

2. (—)، حول النادي لا تفاهم بغير العربية، المنتقد، ع9، الخميس 27 أوت 1925.

3. (—)، إفريقيا الشمالية الناكرة للمعروف، المنتقد، ع16، بتاريخ: الخميس 15 أكتوبر 1925

4. (—)، شيء عن الحجاز، المنتقد، ع2، الخميس 9 جويلية 1925.

5. (—)، نعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية، المنتقد، ع14، بتاريخ:

الخميس 1 أكتوبر 1925

6. (—)، ملاحظاتي، ع 09 بتاريخ: 27 أوت 1925،

7. محمد الصالح خبشاش، نكبات الأمة الجزائرية، المنتقد، ع4، الخميس 23 جويلية 1925.

8. أيضا: عدد الخميس 23 جويلية 1925 / عدد09، الخميس 27 أوت 1925.

9. الخطاب المفتوح من ابن عبد الكريم إلى مجلس الأمة الفرنسي بباريس، المنتقد،

ع11 بتاريخ: 10 سبتمبر 1925

10. عبد الكريم يقول، المنتقد، ع12، بتاريخ: الخميس 11 سبتمبر 1925،
11. الحرب في طرابلس الغرب: الثورة مندلعة اللهب في إيطاليا-الحكومة ترسل عشرين ألف جندي و300 طائرة، المنتقد، ع16، بتاريخ: الخميس 15 أكتوبر 1925.

✓ جريدة النجاح:

1. ابن باديس، الفاجعة الكبرى أو جنایات الكمالين على الإسلام والمسلمين ومروقهم من الدين، جريدة النجاح، عدد52، 28 مارس 1924.
2. (—)، ردّ على مقالنا السابق في جنایات الكمالين ومروقهم، ع 53، 04 أبريل 1924
3. الجيلالي أحمد بلعابد، مجلس تركيا وأعداء الإسلام، ع155، 18 أبريل 1924.

✓ جريدة وادي ميزاب:

1. أبو اليقظان، ماذا يراد بسكة حديد الحجاز"، ع 70، بتاريخ: 17-02-1928.
2. ع 1: 1 أكتوبر 1926، ص01/ العدد 88، بتاريخ: 22-06-1926/ ع 17، بتاريخ: 21-01-1927/ العدد 116، بتاريخ: 11-01-1929/ ع 119، بتاريخ: 01-02-1929/ ع 116، بتاريخ: 11-01-1929.

✓ جريدة الشهاب: للشيخ عبد الحميد ابن باديس، مطبوعة، مقدمة: عبد الرحمن شيبان،

تصدير أبو القاسم سعد الله، فهرسة: محمد مولودي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،

الطبعة الأولى، 2001.

1. ابن باديس، الحركة العلمية والسياسية في القطر الجزائري، الشهاب، م13، 10 جويلية 1937
2. ابن باديس، الخلافة أم جماعة المسلمين، الشهاب، ج2، م14، ماي 1938
3. ابن باديس، الشمال الإفريقي: كيف يجب أن يعالج، الشهاب، م13، نوفمبر 1937
4. ابن باديس، الوحدة العربية: هل بين العرب وحدة سياسية؟، الشهاب، م13، جانفي 1938
5. ابن باديس، رجال الإسلام ونساؤه، الشهاب، م10، ع جانفي 1934.
6. ابن باديس، مسألة عظيمة بين رجلين عظيمين، الشهاب، م13، ديسمبر 1937.

7. ابن باديس، مصطفى كمال رحمه الله، الشهاب، الجزء التاسع، م14، نوفمبر1938
8. ابن باديس، وحدة الشمال الإفريقي: أبناء المغرب العربي في الشرق العربي، مجلة الشهاب، م13، 10 جويلية 1937.
9. أحوال المسلمين في روسيا(منقول)، الشهاب، م2، ع37-38: 12-15-جويلية1926
10. أرسلان شكيب، خطبة، الشهاب، م13، جانفي1938.
11. الإسلام دين الإنسانية(منقول)، الشهاب، م2، ع16:47أوت1926
12. الأمين العمودي، شهر في تونس أو تونس في شهر، الشهاب، م2، ع38، بتاريخ: 15جويلية1926
13. الأيام الخالدة في تاريخ المغرب الحديث، الشهاب، م12، جانفي1937.
14. باشا أحمد زكي، في سبيل الله ومن أجل الوحدة العربية، الشهاب، م2، ع29:27نوفمبر1926.
15. تقويم المنصور وشعاره الصادق، الشهاب، م2، ع51، بتاريخ:30أوت1926
16. الجزائري، جزيرة العرب والنفوذ الإنجليزي الفرنسي، الشهاب، م2، ع6:53سبتمبر1926.
17. الحوادث التونسية، الشهاب، م9، جويلية1933
18. حوادث سوريا وحوادث تونس، الشهاب، م9، جوان1933.
19. ذكرى مرور مائة عام على احتلال الفرنسيين لبجاية، الشهاب، م9، ماي1933.
20. رأي الأستاذ الثعالبي في إصلاح الأزهر، الشهاب، م7، د.ع. أبريل1931.
21. الزواوي أبو يعلى، الخلافة أو الإمامة العظمى، الشهاب، ج1، 28ماي1926.
22. شكيب أرسلان، حول الوحدة العربية، الشهاب، الجزء 11، المجلد 13.
23. الشهاب وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، الشهاب، م7، ع سبتمبر1931.
24. الشهاب، م3، ع115، بتاريخ:29سبتمبر1927
25. العنف والاضطهاد ببلاد المغرب الأقصى، الشهاب، م12، ديسمبر1936

26. في المغرب الأقصى، الشهاب، م12، جويلية1936
27. القضية العربية (قسم نظرة عالمية)، الشهاب، م7، ع أوت1931.
28. ماذا يقولون عنّا (يقظة العالم العربي - الجامعة الإسلامية)، الشهاب، م14، سبتمبر1938.
29. مجالس التذكير، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: باكورة أعمالها، الشهاب، م7، أوت1931.
30. ملخص محاضرة ألقاها عبد الحميد على أعضاء جمعية التربية والتعليم الإسلامية، الشهاب، م12، جانفي1937.
31. منشور من حزب الإصلاح الديني بالمغرب الأقصى، مالكم كيف تحكمون؟ أفلا تذكرون؟، الشهاب، م3، ع102، بتاريخ: 23 جوان1927.
32. المؤتمر الإسلامي العام بالقدس الشريف، الشهاب، م8، ع فيفري1932.
33. المؤتمر العام الإسلامي بمكة 1926 (منقول)، الشهاب، م2، ع7:32 جويلية1926.
34. الملي مبارك، المؤتمر الإسلامي للخلافة، الشهاب، ج1، 22 أفريل1926.
35. نحن صرحاء والصريح لا يخاف (سياستنا واحدة من يوم التأسيس)، الشهاب، م2، ع2:2 سبتمبر1926
36. نحو الاستقلال السوري، الشهاب، م7، ع ديسمبر1931.
- أيضا:
- ✓ م13، ع108، 4 أوت1927-م8، س8، ج5، ماي1932-س11، ج6، م11، سبتمبر1935-س11، ج7، م11، أكتوبر1935. م14، الجزء6، أوت1938-م13، جانفي1938.
- ✓ جريدة البصائر: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:
- مجموعة جريدة البصائر الأولى: لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السنة الأولى (شوال1354-1355هـ/ديسمبر1935-جانفي1937 م)، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر، دون تاريخ.

1. ابن باديس عبد الحميد، ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان، البصائر، السلسلة الأولى، ع3 بتاريخ: الجمعة 17 جانفي 1937.
2. العقبي الطيب، مطالب الأمة الجزائرية التي قررها المؤتمر وجاء الوفد إلى باريس لمطالبة الحكومة الفرنسية بتنجزها والحصول عليها، البصائر. سل 1، ع 31 جويلية 1936.
3. الحسن الرامي، البصائر كيف يراها إخواننا بالمغرب الأقصى؟ ع9، بتاريخ: 28-02-1936

#### ● البصائر الثانية:

1. الإبراهيمي، الهيئة العليا لإغاثة فلسطين (ج2، ع21، 41 جوان 1948).
2. (—)، فلسطين 1: تصوير الفاجعة (ع5، 5 سبتمبر 1948).
3. (—)، فلسطين 2: وصف قرار تقسيمها (ع22، 21 فيفري 1948).
4. (—)، فلسطين 3: العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء (ع9، 22 فيفري 1948).
5. (—)، فلسطين 4: ماذا نريد لها وماذا يريدون (ع16، 23 فيفري 1948).
6. (—)، فلسطين 5: الانكليز حلقة الشر المفرغة (ع24، 23 فيفري 1948).
7. (—)، فلسطين 6: واجباتها على العرب (ع1، 25 مارس 1948).
8. (—)، فلسطين 7: أما عرب الشمال الأفريقي (ع25، 30 أبريل 1948).
9. (—)، فلسطين 8: قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا (ع7، 38 جوان 1948).
10. (—)، فلسطين 9: عيد الأضحى وفلسطين (ع18، 53 أكتوبر 1948).
11. (—)، كيف تشكلت القيادة العليا لإغاثة فلسطين، البصائر، ع11، 52 أكتوبر 1948
12. (—)، جمعية العلماء: أعمالها ومواقفها: موقفها من السياسة والساسة، ع3، جريدة البصائر، 8 أوت 1947.

13. منبر السياسة العالمية، البصائر، ع147، بتاريخ: 19 مارس 1951.
14. أبو محمد، في الشمال الإفريقي، البصائر، ع145، بتاريخ: 4 مارس 1951.
15. (—)، في الشمال الإفريقي، البصائر، ع151، بتاريخ: 16 أبريل 1951.

أيضا:



✓ جريدة المنهاج:

1. طفيش ابراهيم، الانقلاب التركي الاخير، المنهاج، ج1، العدد 03، ربيع الأول 1344/1925
2. ع03، ربيع الأول 1344/1925.

✓ جريدة السنة، ع4، بتاريخ:1ماي1933.

- ✓ جريدة الزمان: السعيد الزاهري، هل البربر عرب؟ وهل لغتهم لغة ضاد أخرى؟ س6، ع221، بتاريخ:14-08-1934

✓ جريدة المغرب العربي:

1. الزاهري السعيد، نحن أمة واحدة في هذا المغرب العربي، س2، ع35، بتاريخ:26-11-1948
  2. ضد تقسيم فلسطين، يجب أن تبقى عربية مستقلة، ع15، بتاريخ:15-12-1947.
- جريدة الشعب: ع1، بتاريخ:27 أوت1937/ الشعب، ع27:1 أوت1937.

جريدة التلميذ: ع2-12-1931

4-الشهادات الحية والحوارات:

1. حوار مع السيد البشير حاجيات بقلعة المشور، تلمسان، ديسمبر2014(حاورة الباحث).
2. حوار مع السيدة حماد خديجة أرملة المجاهد بن عبد المومن الطيب، ببيتها بزورانة، بلدية جبالة، بتاريخ:20مارس2013(حاورها الباحث)
3. حوار مع الشيخ بن يونس آيت سالم (نائب رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين)، دار الحديث تلمسان،24أفريل2016(حاورة الباحث).
4. حوار مع الشيخ يخلف البوعناني، يوم24أفريل2015، بمنزله بمغنية-تلمسان (حاورة الباحث).
5. حوار مع المجاهد: مشماش الميلود، قرية زورانة ماي2013(حاورة الباحث).
6. شهادة سمعية بصرية: حوار بن بلّة لأحمد منصور، حصة: شاهد على العصر، قناة الجزيرة الفضائية،2002.

5-المراجع:

1. الأوراغي محمد، التعدد اللغوي: انعكاسه على النسيج الاجتماعي، منشورات كلية الآداب، جامعة محمد الخامس، الرباط، 2001.
2. أوليفي دارد، في قلب منظمة الجيش السري، مطبوعات سيديا، الجزائر، 2012.
3. برفيلبي غي، النخبة الجزائرية الفرنكوفونية (1880-1962)، ترجمة: م. حاج مسعود، أ. بكلي، ع. بلعربي، دار القصة، الجزائر، 2007.
4. بصري مير، أعلام الوطنية والقومية العربية، دار الحكمة، ط1، لندن، 1999.
5. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية في الجزائر، مؤسسة دحلب، (د.ت).
6. بلاسي نبيل، الاتجاه العربي الإسلامي ودوره في تحرير الجزائر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1990.
7. بلغيث محمد الأمين، الجزائر في باندونغ مذكرة الشاذلي المكي إلى المؤتمر، دار الغد للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2007.
8. بلقاسم محمد، وحدة المغرب العربي فكرة وواقعا (الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954)، البصائر الجديدة الجزء 1، ط1، الجزائر، 2013.
9. بلقيروس عبد الغني إبراهيم، صفحات من جهاد الجزائريين بفلسطين (1948-1949)، دار الخلدونية، ط1، الجزائر، 2010.
10. بن الشيخ التلي، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة (1830-1945)، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
11. بن قينة عمر، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام... وقضايا... ومواقف)، دار كولوريوم، الجزائر، 2012.
12. بوضرساية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1930-1962) وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010.
13. بوطيبي محمد، دور المثقفين الجزائريين في الحركة الوطنية التونسية ما بين 1900-1930، دار الهدى، الجزائر، 2012.

14. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.
15. التركي عروسية، الحركة اليوسفية في تونس (1955-1956)، مكتبة علاء الدين، صفاقس، تونس، 2011.
16. التميمي عبد الجليل، دراسات في التاريخ العربي العثماني (1453-1918)، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات (سيرمدي)، زغوان، تونس، مارس 1994.
17. التيمومي الهادي، في أصول الحركة القومية العربية (1839-1920): نحو إعادة التأصيل، ط2، دار محمد علي، تونس، 2006.
18. ثليلاني أحسن، المسرح الجزائري والثورة التحريرية (دراسة تاريخية فنية)، الطباعة الشعبية للجيش، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
19. ثليلاني أحسن، جريدة النجاح: حقيقتها ودورها، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
20. ثنيو نور الدين، إشكالية الدولة في الحركة الوطنية الجزائرية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط 1، الدوحة، قطر، 2015.
21. الجابري علي محمد صالح، الأدب الجزائري المعاصر، دراسة، منشورات السهل، الجزائر، 2009.
22. (—)، التواصل الثقافي بين الجزائر وتونس، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
23. جغلول عبد القادر، الاستعمار والصراعات الثقافية في الجزائر، ترجمة: سليم قطن، دار الحدائث للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، بيروت، لبنان، 1984.
24. جويبة عبد الكامل، الحركة الوطنية الجزائرية والجمهورية الفرنسية الرابعة (1946-1954)، دار الواحة للكتاب، 2013.
25. حاجي فريد، السياسة الثقافية الفرنسية في الجزائر (1837-1937): المنطلق-السيرورة-المآل، دار الخلدونية، الجزائر، 2013.

26. حباسي شاونسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر، (1830-1962)، دار هومة، الجزائر، (د.ت).
27. حسين محمد الخضر، جبهة الدفاع عن شمال افريقيا الشمالية، موسوعة الأعمال الكاملة للإمام(12)، اعتنى به ابن أخيه: المحامي علي الرضا الحسيني، دار النوادر، سورية-لبنان-الكويت، 2010.
28. حميدي أبو بكر الصديق، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي (1947-1956)، دار المتعلم للنشر والتوزيع، صدر الكتاب في إطار تظاهرة قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، الجزائر، 2015.
29. حميطوش يوسف، منابع الثقافة السياسية والخطاب الوطني عند كل من مصالي الحاج وفرحات عباس، دار الأمة، الجزائر، 2013.
30. الحواس الوئاس، نادي الترقى ودوره في الحركة الوطنية الجزائرية(1927-1954)، دار شطايب للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
31. حيدر ناصر، العالم العربي بين القومية العربية والجامعة الإسلامية (دراسة تاريخية تحليلية حول تطور العلاقة بين التيار القومي العروبي والتيار الأممي الإسلامي في القرن العشرين)، دار الهدى، الجزائر، 2014، ص 15.
32. خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
33. (—)، في رحاب المغرب العربي، دار الإسلامي، بيروت، 1985.
34. (—)، عبد العزيز الثعالبي (من آثاره وأخباره في المشرق والمغرب)، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1995.
35. (—)، عمر بن قذور الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
36. خلف بشير، الفنون لغة الوجدان، دراسة، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009.
37. درار أنيسة بركات، محاضرات ودراسات تاريخية وأدبية حول الجزائر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، 1995.
38. ده ده أغلو عبد القادر، السلاطين العثمانيين، ترجمة: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، 1990.

39. دويدة نفيسة، النخبة الجزائرية: مسار وأفكار، ملامح التكوين، النشاط والمواقف، دار ثالثة، الجزائر، 2014.
40. ركيبي عبد الله، تطوير النشر الجزائري الحديث (1930-1974)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983.
41. (\_\_\_\_)، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، مطبعة القلم، تونس، 1983.
42. الزبيري محمد العربي، تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999.
43. زرهوني الطاهر، التعليم في الجزائر قبل وبعد الاستقلال، موفم للنشر، الجزائر، 1993.
44. زوزو عبد الحميد، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين (1919-1939)، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
45. الزيدي مفيد، الزيتونيون: دورهم في الحركة الوطنية التونسية (1904-1945)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية صفاقس، مكتبة علاء الدين، صفاقس، 2007.
46. سطورا بنيامين، مصالي الحاج 1898-1947 (رائد الوطنية الجزائرية) ترجمة: صادق عماري-مصطفى ماضي، دار القصة للنشر، الجزائر، 2007.
47. سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (بداية الاحتلال)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 1982.
48. سعيدوني ناصر الدين، الجزائر منطلقات وآفاق: مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية"، عالم المعرفة، ط2، الجزائر، 2009.
49. سعيدوني ناصر الدين، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
50. سلام صادق، فرنسا ومسلموها "قرن من السياسة الإسلامية" 1895-2005، ترجمة: زهيدة درويش جبور، أبو ظبي للثقافة والتراث-كلمة، ط1، 2012.

51. سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009.
52. شاوش بن رمضان محمد - بن حمدان الغوثي، إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، المجلد الثاني، الجزء الثالث والرابع، دار البصائر، الجزائر، 2011.
53. شترة خير الدين، اسهامات النخبة الجزائرية في الحياة السياسية والفكرية التونسية (1900-1939)، دار البصائر للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، الجزائر، 2009.
54. (—)، المهاجرون الجزائريون إلى البلاد التونسية، دار كردادة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة بخمسينية الاستقلال، الجزائر، 2013.
55. الشرباصي أحمد، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1963.
56. شكري غالي، أدب المقاومة، دار المعارف بمصر، القاهرة، (د.ت).
57. شيبان عبد الرحمن، مقدمة مجلة الشهاب، م16، المقدمات والفهارس العامة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 2001.
58. الصلابي علي محمد، السلطان عبد الحميد وفكرة الجامعة الإسلامية وأسباب زوال الخلافة العثمانية، المكتبة المصرية، ط1، بيروت، 2010.
59. طوران مصطفى، أسرار الانقلاب العثماني، ترجمة: محمد كمال، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط4، بيروت، 1985.
60. العايش بكار، حزب الشعب الجزائري ودوره في الحركة الوطنية (1937-1939)، دار شطايب، الجزائر، 2013.
61. عبد القادر حميد، فرحات عباس رجل الجمهورية، دار المعرفة، الجزائر، 2001، ص108.
62. عبد الله ركيبي، الفرنكوفونية مشرقا ومغربا، دار الأمة، الجزائر، 1993.
63. العجيلي التليلي، صدى حركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي (1876-1918)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات بمنوبة، دار الجنوب للنشر، ط1، تونس، 2005.

64. عمر بن قينة، صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث (أعلام... وقضايا... ومواقف)، دار كولوريوم، الجزائر، 2012.
65. عينا تابت رضوان، 8 أيار/ماي 45 والإبادة الجماعية في الجزائر، ترجمة: محمد سعيد اللحام، منشورات ANEP، ط1، الجزائر، 2005.
66. فرصوص أحمد محمد، أبو اليقظان كما عرفته، دار البعث، قسنطينة، 1991.
67. فركوس صالح، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، مطبعة جامعة قلمة، الجزائر، 2011.
68. فيطس عبد القادر، الشعر الملحون الديني الجزائري، قضايا الموضوعية وظواهره الفنية، ج1، دار سحنون للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
69. لونيبي إبراهيم، بحوث في التاريخ السياسي للجزائر المعاصرة، دار هومة، الجزائر، 2013.
70. لونيبي رابح، التيارات الفكرية في الجزائر المعاصرة بين الاتفاق والاختلاف (1920-1954)، دار كوكب العلوم، ط1، الجزائر، 2009.
71. مالكي محمد، الحركات الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، ط2، لبنان، 1994.
72. مامي ألبير، صورة المستعمر، توطئة: عبد الزيز بوتفليقة، ترجمة: سمير سطوف، مراجعة وإشراف: ميشال سطوف، منشورات anep، الجزائر، 2007.
73. محافظة علي، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية (1919-1945)، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 1985.
74. محمود عبد الحليم، شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث ومعراجه إلى الله، دار المعارف، القاهرة، 1985.
75. مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر: بحث في التاريخ الديني والاجتماعي من 1925 إلى 1940، ترجمة: محمد يحياتن، دار الحكمة، الجزائر، 2007.
76. مرتاض عبد المالك، أدب المقاومة الوطنية في الجزائر، ج1، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر، 2003.

77. (—)، نفضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر(1925-1954)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر.
78. (—)، نفضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2، الجزائر، 1983.
79. (—)، الثقافة العربية في الجزائر بين التأثير والتأثر، دار الحدائث بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، الجزائر، 1982.
80. مزهود سليم، الخطاب الإصلاحى عند مبارك الميلي، دار الواحة للكتاب، الجزائر، 2013.
81. مصايف محمد، النقد الأدبى الحديث فى المغرب العربى، المؤسسة الوطنية للكتاب، ط2، الجزائر، 1984.
82. منور أحمد، الأدب الجزائرى باللسان الفرنسى (نشأته وتطوره وقضاياها)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 2007.
83. مباد رشيد، اسهامات جمعية طلبة شمال افريقيا المسلمين فى الحركة الوطنية الجزائرية، دار شطايبى، الجزائر، 2013.
84. ناصر محمد، أبو اليقظان وجهاد الكلمة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
85. (—)، المقالة الصحفية الجزائرية (نشأتها-تطورها -أعلامها) 1903-1931، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
86. (—)، عمر راسم المصلح الثائر، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007.
87. ونوس سعد الله، الأعمال الكاملة، المجلد 3، دار الأهالى للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1996.

## 6- الرسائل والأطروحات الجامعية:

### ✓ أطروحات الدكتوراه:

1. بديدة لزهري، الحركة الديغولية في الجزائر(1940-1945) من الظهور إلى المواجهة مع الحركة الوطنية، أطروحة دكتوراه في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2010.

2. بلخامسة كريمة، إشكالية التلقي في أعمال كاتب ياسين، أطروحة دكتوراه في اللغة والأدب العربي، قسم الأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة مولود معمري، تيزي وزو (د.ت).
3. بلوفة جيلاني عبد القادر، حركة الانتصار للحريات الديمقراطية في عمالة وهران: الخروج من النفق/من اكتشاف المنظمة الخاصة إلى اندلاع الثورة التحريرية 1954، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2008.
4. بن عدّة عبد المجيد، الخطاب النهضوي في الجزائر (1925-1954)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2005.
5. بوعباش مراد، الدولة والمجتمع في برنامج الحركة الوطنية الجزائرية (1919-1962)، أطروحة دكتوراه في العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، كلية العلوم السياسية والإعلام، جامعة الجزائر 3، 2011.
6. دبي رابح، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها (1830-1962)، دراسة نظرية تحليلية، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر، 2011.
7. دهّاش الصادق، مشروع الوحدة التحرري لحركة الجامعة الإسلامية في بلدان المغرب العربي بين (1876-1919)، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009.
8. العمري مومن، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري قسنطينة، ص 299.
9. قبائلي هواربي، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر (1894-1962)، أطروحة دكتوراه في التاريخ، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2014.

10. قدارة شايب، الحزب الدستوري الجديد وحزب الشعب الجزائري 1934-1954، دراسة مقارنة، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
  11. مريوش أحمد، الحركة الطلابية ودورها في القضية الوطنية وثورة التحرير 1954، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2006.
  12. بشرير وهيبية، النشاط الإصلاحي والسياسي للإمام محمد البشير الإبراهيمي (1940-1962)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.
  13. بلحاج صادق، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي (1919-1939)، دراسة مقارنة، مذكرة ماجستير في تاريخ الجزائر الثقافي والتربوي، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، 2012.
- ✓ رسائل الماجستير:
1. بلعجال أحمد، الخطاب الإصلاحي عند الشيخ محمد السعيد الزاهري، مذكرة ماجستير في تاريخ وحضارات البحر الأبيض المتوسط، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، 2006.
  2. بوجليدة يمينة، الحركة الوطنية الجزائرية، مسار وتصور (1950-1954)، مذكرة ماجستير في تاريخ الثورة، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.
  3. بوطبة عمار، المجتمع القسنطيني من خلال جريدة النجاح (1919-1956)، ماجستير في تاريخ المجتمع المغاربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2010.
  4. الحاج صادق، الرحلات المغاربية إلى الحجاز إبان القرن التاسع عشر الميلادي وأثرها على البيئة الحجازية، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2012.

5. خليفى عبد القادر، أحمد توفيق المدني ودوره في الحياة السياسية والثقافية بتونس والجزائر(1899-1983)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ وعلم الآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007.
6. خليل كمال، المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر: التأسيس والتطور(1850-1951)، ماجستير في تاريخ المجتمع المغربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.
7. دراوي محمّد، الجزائر والجامعة الإسلامية(1876-1924)، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2008.
8. زاوي سعد، القضية الفلسطينية في اهتمامات الشيخ البشير الابراهيمي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ والجغرافيا، المدرسة العليا للأساتذة في الآداب والعلوم الإنسانية، بوزريعة، الجزائر، 2011.
9. شعشوع معمر، الشيخ أبو اسحاق اطفيش وقضايا المشرق العربي في مجلة المنهاج(1925-1931)، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.
10. فنانة ميلود، نظرة الحركة الوطنية الجزائرية لقضايا التحرر في المشرق العربي(1930-1954) ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2008.
11. قرقوي إدريس، النص المسرحي في منطقة سيدي بلعباس-جمع ودراسة-رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، 2000.
12. قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية الكبرى(1945-1954)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، 2002.
13. نجاة عبو، التحرر الوطني ووحدة المغرب العربي لدى أحمد بن بلة وصالح بن يوسف (دراسة تاريخية مقارنة)1945-1961، مذكرة ماجستير في التاريخ المغربي الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014.

14. يطغان جمال، الشخصية التاريخية في المسرح الجزائري، مسرحية يوغرطة أنموذجا، مذكرة ماجستير، قسم الفنون الدرامية، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة وهران، 2012.

### 7-الدوريات والمجلات:

1. إبراهيم بن عبد المومن، المدرسة التعليمية الحرة في منطقة جباله بين التيار الإصلاحية والتيار الاستقلالي الثوري(1951-1953)، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، ع7، السداسي الأول، 2016.

2. بلهوارى فاطمة، الشيخ عبد الرحمن الجيلالي ومنهجه في تدوين تاريخ دول الجزائر خلال العصر الوسيط، مجلة عصور، ع18-19، منشورات مخبر البحث التاريخي (مصادر وتراجم)، جامعة وهران، ديسمبر-جانفي 2012

3. بن أبي شنب سعد الدين، المسرح العربي لمدينة الجزائر، ترجمة: عائشة خمار، مجلة الثقافة، ع55، يناير-فبراير، 1980.

4. بن ذياب أحمد، فرحات بن الدراجي الأديب العالم، مجلة الثقافة، س6، ع35، أكتوبر-نوفمبر، 1976.

5. بن صفية إسماعيل، قناع التاريخ وقضايا الثورة في مسرحية يوغرطة لعبد الرحمن ماضوي، مجلة الأثر، جامعة ورقلة ع13، مارس 2012.

6. بن عيسى حنفي، الرواية الجزائرية المعاصرة، مجلة الثقافة، ع8-9، ماي-جويلية، 1972.

7. بن قدور عمر الجزائري "الشعور الإسلامي" إعداد وتعليق: صالح خرفي، مجلة الثقافة، ع7، الجزائر.

8. بن قدور عمر، ليتقوا الله في طرابلس، مجلة الثقافة، ع1، الجزائر، مارس 1971

9. بن نعمان أحمد، ابن باديس والمغالطة العرقية في القومية، مجلة الوعي: مجلة فكرية ثقافية شهرية تصدر عن دار الوعي، ع1، جويلية 2010، عدد خاص بعبد الحميد ابن باديس، الجزائر، 2010.

10. (—)، مقاومة المجتمع الجزائري لسياسة الفرنسة، مجلة الثقافة، س9، ع52، جويلية-أوت 1979.

11. بوشوكة حمزة، الأمين العمودي (شخصيات منسية)، مجلة الثقافة، س1، ع6، جانفي 1972
12. بيان عام عن حوادث سطيف الدامية بالجزائر ماي 1945 (مذكرة حزب الشعب الجزائري إلى أعضاء مجلس الجامعة العربية)، لجنة تحرير المغرب العربي، قسم الجزائر، مجلة الذاكرة: مجلة الدراسات التاريخية للمقاومة والثورة، يصدرها المتحف الوطني للمجاهد، السنة 2، ع2، ربيع 1995
13. تركي رابح، الشهاب: لسان الإسلام والعروبة والوطنية في الجزائر (1925-1939)، دورها في نهضة الجزائر الحديثة، مجلة الثقافة، ع81.
14. تركي رابح، وضعية النساء والفتيات الجزائريات في التعليم في عهد الإحلال وبعد الاستقلال، مجلة الثقافة: مجلة تصدرها وزارة التعليم القومي والشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975، ص128.
15. التميمي عبد الجليل، التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19، المجلة التاريخية المغربية، ع1، تونس، جانفي 1974.
16. الجناحاني الحبيب، حركة التبشير والسياسة الاستعمارية الفرنسية في المغرب العربي في القرن التاسع عشر، مجلة الأصالة: مجلة ثقافية تصدرها وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، السنة الثالثة، العدد 16، سبتمبر - أكتوبر، الجزائر، 1973
17. الريداوي محمود، المجهول من أدب حوحو المسرحي - تعريف وتحليل - مجلة الثقافة، ع17، أكتوبر - نوفمبر، 1973.
18. رخيلا عامر، انفتاح التيار الوطني الاستقلالي على الفضاء العربي (1945-1954)، مجلة المصادر، مجلة يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ع6، مارس 2002
19. رمضان محمد الصالح، تاريخ وتطور الحركة الكشفية بالجزائر، مجلة الثقافة، ع ماي - جوان 1982.

20. الرويسي يوسف، نشاط مكتب المغرب العربي بدمشق، الحلقة الرابعة (دور مكتب المغرب العربي بدمشق في انعقاد مؤتمر المغرب بالقاهرة)، المجلة التاريخية المغربية، س6، ع15-16، مؤسسة عبد الجليل التميمي، تونس، جويلية1979.
21. سعد الله أبو القاسم، سليمان الباروني: أضواء وملاحظات، مجلة الثقافة، ع110-111، الجزائر، 1995.
22. سعيدوني ناصر الدين، صدى كفاح عمر المختار في الجزائر، مجلة الثقافة، ع56، مارس-أفريل، 1980.
23. شريط أمين، الدولة والتنظيم الدستوري للسلطة في فكر ابن باديس، مجلة الأمير عبد القادر، د.ع.
24. شلبي محمد الحبيب، محاولة فرنسية لتأسيس جامعة عربية مغاربية، المجلة التاريخية المغربية (للعهد الحديث والمعاصر)، س9، ع27-28، مؤسسة عبد الجليل التميمي، ديسمبر1982.
25. شنتي أحمد، الجزائر والقضية الفلسطينية...صفحات من الجهاد المشترك، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، قسم العلوم الاجتماعية، ع13، جانفي. دون تاريخ.
26. الشيخ أبو عمران، علي الحمامي وقصة إدريس، مجلة الثقافة، ع42، ديسمبر-يناير1978.
27. صليبا جميل، في ذكرى الإبراهيمي، مجلة الثقافة، عدد8-9، الجزائر، 1972.
28. العايب معمر، التباين الإيديولوجي لقيادات مكتب ولجنة تحرير المغرب العربي في القاهرة يرهن مشروع مستقبل وحدة المغرب العربي السياسية، دورية كان التاريخية، ع16، يونيو.
29. (—)، التوجه المغاربي في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية: حزب الشعب الجزائري وجمعية العلماء نموذجاً، المجلة التاريخية المغربية، ع119، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، 2005.
30. عجالي كمال، من أعلام الجزائر في الحجاز: الطيب العقبي، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة قسنطينة1، ع14، 2000.
31. فيلهلم هوزباخ، محمد العيد آل خليفة "دراسات في الشعر الجزائري الحديث"، ترجمة: أبو العيد دودو، مجلة الثقافة، ع19، فيفري-مارس، 1974.

32. قرين أرلوند، سياسة فرنسا الإسلامية بتونس (1881-1918)، المجلة التاريخية المغربية، ع3، مؤسسة التميمي، تونس، 1975.
33. قنان جمال، نظرة حول حركة الاصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر، مجلة المصادر، ع11، مجلة يصدرها المركز الوطني للبحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2005.
34. كركيل عبد القادر، نشأة الصحافة في الجزائر، مجلة المصادر، ع11، عدد خاص بالمقاومة والحركة الوطنية، مجلة سداسية يصدرها المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، السداسي الأول، الجزائر، 2005.
35. محمد الصالح رمضان، الأديب الشهد حوحو وآثاره، مجلة الثقافة، ع54 نوفمبر-ديسمبر 1979.
36. مرتاض عبد المالك، الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر قبل الثورة، مجلة الأصالة، ع5، س1، الجزائر، نوفمبر 1971.
37. (—)، دور الادب الشعبي في التعبير عن الحياة العامة في الجزائر، مجلة الثقافة، ع23 أكتوبر-نوفمبر 1974.
38. مريوش أحمد، القضية الفلسطينية واهتمامات الشيخ الطيب العقبي، مجلة الدراسات التاريخية، ع9، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 1995.
39. مهديد ابراهيم، الصراع حول الهوية والانتماء العربي الإسلامي من خلال الصحافة الجزائرية جريدة الحق الوهراني نموذجاً، (1911-1912)، مجلة عصور، ع6-7، جوان-ديسمبر، 2005، مخبر البحث التاريخي: مصادر وتراجم، جامعة وهران، الجزائر.
40. (—)، الطرح الوطني للهوية الوطنية، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، ع1، جانفي، 2014.
41. (—)، مقارنة حول النخب والمثقفين الجزائريين خلال الحقبة الكولونيالية الاولى (1850-1912)، مجلة المرأة للدراسات المغاربية، ع3، مختبر الدراسات المغاربية، النخب وبناء الدولة الوطنية، جامعة وهران 1-أحمد بن بلة، جوان، 2015.

42. الميللي محمد، المغرب العربي في منظور المؤرخين الاستعماريين، مجلة الثقافة، ع12، جانفي 1973.
43. ناصر محمد، عمر راسم المصلح الثائر، مجلة الثقافة، ع 30، ديسمبر، جانفي، 1976
44. (—)، عمر راسم: المصلح الثائر، ج2، مجلة الثقافة، السنة السادسة، ع34، أوت-سبتمبر 1976.
45. هوزباخ فيلهلم ، محمد العيد آل خليفة "دراسات في الشعر الجزائري الحديث"، ترجمة: أبو العيد دودو، مجلة الثقافة، ع19، فيفري- مارس، 1974.
- 8-الملتقيات العلمية:**
1. احساين عبد الحميد، سياسة فرنسا البربرية (1913-1930)، ندوة المقاومة المغربية ضد الاستعمار-الجدور والتحليلات-(1904-1930)، أعمال الندوة 13،14،15، نوفمبر 1991، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أقادير، 1997.
2. أعمال الملتقى الدولي: أحمد بن بلة في بعدية الوطني والدولي، المنظم من طرف جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان 2-3 ديسمبر 2016.
3. أعمال الملتقى الدولي: عمر راسم الفنان المزخرف والمصلح الثائر، بقصر مفدي زكريا، الجزائر العاصمة يومي 14 و15 فيفري 2009، منشورات مخبر البناء الحضاري للمغرب الاوسط(الجزائر) إلى نهاية العهد العثماني، جامعة الجزائر 2، دار هومة، الجزائر، 2009.
4. عبد الكريم بوصفصاف، المؤرخون الجزائريون ومنهجية الكتابة في الحركة الوطنية في عهدي الاحتلال والاستقلال، أعمال المؤتمر الأول لمنتدى التاريخ المعاصر حول: منهجية كتابة تاريخ الحركات الوطنية في المغرب العربي، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر 1998.
5. اللغة العربية من محنة الكولونيالية إلى إشراقة الثورة التحريرية، مؤلف جماعي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، دار الأمة، الجزائر، 2007.

6. مالكي أحمد، صورة المغرب العربي في الكتابات الاستعمارية، أعمال الملتقى الدولي حول: الاستعمار بين الحقيقة التاريخية والجدل السياسي، 02-03 جويلية / 2006، منشورات وزارة المجاهدين، الجزائر.
7. مداخلة الأستاذ الطاهر بلقاسم " محمد لّوآج-الرائد فراج " اليوم الدراسي "عين غرابة-منطقة الشهداء"، تنظيم: المتحف الجهوي للمجاهد، قصر الفنون والمعارض(تلمسان)، بمقر المكتبة العمومية للمطالعة -عين غرابة(تلمسان)، 20 أوت 2016.
8. مصلحة البحوث والتوثيق بالمركز الوطني للبحوث، دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية الجزائرية، الكشافة الإسلامية الجزائرية: دراسات وبحوث الندوة الوطنية الأولى حول الكشافة الإسلامية الجزائرية، المركز الوطني للدراسات والبحوث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1999.
9. ندوة الحوار القومي -الإسلامي: بحوث ومناقشات الندوة الفكرية التي نظمها مركز دراسات الوحدة العربية بالتعاون مع المعهد السويدي بالإسكندرية، ط1، بيروت، لبنان، 2008.
10. وحدة المغرب العربي (ندوة)، مركز دراسات الوحدة العربية-مركز الدراسات العربية المتوسطة، ط1، لبنان، 1987.

#### 8-التصريحات الصحفية:

7. تصريح بولرباح عثمان، لمنتدى الخبر الجزائرية، الاحد 2 فيفري 2014.
8. تصريح توفيق ومان، " لمنتدى الخبر"، جريدة الخبر الجزائرية، ع يوم: الأحد، 2 فيفري، 2014.
9. تصريح خطيبي أحمد، لصحفي الخير، جريدة الخبر الجزائرية، ع يوم: الإثنين، 3 فيفري 2014.
10. تصريح دحو قادة لمنتدى الخبر الجزائرية، ع الاحد 2 فيفري 2014.

#### 9-الموسوعات والمعاجم:

1. الكيالي عبد الوهاب، موسوعة السياسة، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1981.
2. موسوعة الشعر الجزائري، مجموعة أساتذة من جامعة منتوري (قسنطينة)، ج1، دار الهدى، الجزائر، 2002.

**10-مواقع الانترنت:**

1. التصوير الفوتوغرافي وأهميته في التوثيق، جريدة الجماهير، ع14438، الأحد 20-12-2015. الموقع الإلكتروني:  
<http://jamahir.alwehda.gov.sy/node/3971601>
2. الحسني محمد الهادي، تحرير التاريخ، الشروق أون لاين، بتاريخ: 2010/03/10 .
3. عبيد أحمد، التاريخ الجزائري: نقد وتقييم- حالة الجزائر العثمانية، مجلة انسانيات، المجلة الجزائرية في الأثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية، 2010، نشر في الإنترنت 09 août 2012 تاريخ الاطلاع janvier 2017. URL : <http://insaniyat.revues.org/4843> ; 04  
DOI : 10.4000/insaniyat.4843
4. عويمر مولود، مالك بن نبي شغلته مهمة تغيير العالم الإسلامي، جريدة البصائر... تاريخ أعلام... وصحوة. نقلا عن منتدى طلبة علوم الإعلام والاتصال، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم: قسم علوم الاعلام والاتصال: تاريخ التسجيل: 08-06-2009.
5. قن محمد، عبد الحميد ابن باديس ومسألة إلغاء الخلافة الإسلامية، مقال علمي منشور في:  
[www.binbadis.net](http://www.binbadis.net)
6. كنعان أحمد محمد، الإسلاميون والقوميون (جسور التلاقي والاختلاف)، ص1، بتاريخ: 10-08-2010  
عن موقع: [www.islamsyria.com](http://www.islamsyria.com)
7. المساري محمد العربي، مع الجزائري علي الحمامي في روايته "إدريس": بحث في الجذور، مقال بعث للنشر في مجلة
8. للتاريخ تحت رعاية المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية. موقع: [www.zainab-an-nefzaouia.com](http://www.zainab-an-nefzaouia.com)

1. [gallica.bnf.fr/bibliothèque nationale de France](http://gallica.bnf.fr/bibliothèque nationale de France).

2. <http://www.startimes.com>.

## En français :

### 1- sources

1. Basset renet, nedroma et les trara Ernest lerousc éditeur, paris, 1901.
2. Derouiche Mohamed, le scoutisme école du patriotisme, office des publications universitaires, Alger, 2010 pp42-45
3. harbi Mohamed, aux origines du FLN, la session du MtlD, contribution à l'histoire du populisme révolutionnaire en Algérie, Christian Bourgois (éditeur), paris1975
4. harbi Mohammed ,le Fln mirage et réalité, des origines a la prise du pouvoir 1945-1962, pp 14-15.
5. imache Amar, l'Algérie au carrefour ,la marche vers l'inconnu, librairie de travail ,paris.
6. julien Charles Andrée, le Maroc face aux impérialisme (1915-1956) , paris, jeune afrique,1978,p99.
7. Lehmek hesney hanafi, lettres algériennes, pref. m. violette, Edition joume, paris ,1931
8. Michel deveze, la France d'outre-mer de colonial a l'Union farincaise, 1938-1947, hachette, paris, 1948.
9. Maurice ajam : problèmes algériens (impressions de voyage), perf, joseph, Caillaux ,imp, e ,larose, paris ,1913
10. Kaddache Mahfoud, histoire de nationalisme algérien, tome1, enal Edition, Alger, 1993.

### -Journaux

1. zenati, notre ambition, la voix des humbles, n°58, mars1928

2. La justice, n 01-01-1935
3. L'entente, n 24-2-1936
4. l'écho d'Oran, n°30374–lundi3novembre1955 /n°30379–mercredi9 novembre 1955.
  - République algérienne, n105, le 5-12-1947

### **3 – les ouvrages :**

1. belkhodja Amar, Ali el hammamy et la montée du nationalisme algérien Ed dahleb ,Alger ,1991.
2. Collot Claude – Henry jean. Rober, le mouvement national algérien (textes1912–1954) 2 Edi, office des publications universitaires, Alger, 1981, p34.
3. histoire de mouvement national tunisien, (document), pour prépare la troisième épreuve, le néo –destour brise le silence (1944–49), textes réunis et commentés par Mohamed sayah, imprimerie officielles, janvier1972.
4. Sliman ben sliman, souvenirs politique, Edition productions Tunis, 1989.
5. Stora Benjamin, les sources du nationalisme algérien, parcours idéologique origine des acteurs, édition l'harmattan, paris, 1989, p137.

### **4–les périodiques :**

- a. Ageron Charles Robert, l'Association des Etudiants Musulmans Nord Africains en France durant l'entre Deux Guerres, In, Revue d'Histoire d'Autre Mer t, IXX, 1983, no 08, le 23 Juillet 1983, p36.
- b. Ageron Charles robert, Ferhat abas et l'évolution politique de l'Algérie musulman pendant la deuxième guerre mondiale, revue d'histoire maghrébine, n4, juillet, 1975.

- c. Marangé Céline , André ferrat et la création du parti communiste algérien (1931-1936) ,histoire @politique en ligne, n° 2/29 mai-aout2016, pp190-219. [www.histoire-politique. Fr.](http://www.histoire-politique.fr)
- d. Revue de monde Musulman ,deuxième trimestre ,tome 64, les deux congrès généraux de 1926, procès-verbaux, analysés et traduits par : Achille Sekaly ,Editions Ernest Leroux, paris, 1926. Télécharger de site : [www.bnf .Fr.](http://www.bnf.fr) mai 2016.

# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

### فهرس الموضوعات

- مقدمة.....أ
- الفصل التمهيدي: مشروع الوحدة تحت راية الخلافة العثمانية والجامعة الإسلامية 1900-1920.... ص9
- 1- السّيق التاريخي للمرحلة (1900-1920) ..... ص10
- 2- أسباب ومنطلقات نمو التوجه الوحدوي الإسلامي تحت راية الخلافة..... ص16
- 1-2- العوامل الداخليّة ..... ص16
- 2-2- العوامل الخارجيّة ..... ص24
- 3- مظاهر تفاعل الأدبيات الجزائرية مع حركة الجامعة الإسلامية الوحدوية ..... ص34
- 1-3- التوجّه الوحدوي الإسلامي لبعض الشخصيات الإصلاحية الجزائرية مطلع القرن 20م..... ص35
- 2-3- المهاجرون الجزائريون والوحدة الإسلامية..... ص49
- 3-3- الوحدة وقضايا الإسلام والمسلمين في أعمدة الجرائد الجزائرية (1911-1915) ..... ص52
- خلاصة..... ص58
- الفصل الأول: مشروع الوحدة في إطار الأمة العربية - الإسلامية: ..... ص60
- 1- مواقف رجال الإصلاح من مسألة إلغاء الخلافة العثمانية..... ص61
- 1-1- جماعة المسلمين بديل الخلافة..... ص73
- 2- الوحدة العربية - الإسلامية في أدبيات الحركة الوطنية الجزائرية..... ص75
- 2-1- عوامل نموّ وتطوّر التيار الوحدوي العربي - الإسلامي في الجزائر..... ص75
- 2-2- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات التيار الإصلاحي..... ص83
- 2-2-1- النوادي والجمعيات: لبنة الصحوّة العربية الإسلامية..... ص84

## فهرس الموضوعات

- 2-2-2- الوحدة العربية الإسلامية في صحافة العشرينات.....ص87
- 2-2-3- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.....ص93
- 2-3- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات التيار الاستقلالي.....ص113
- نجم شمال افريقيا(1926-1937) .....ص115
- أ- تنامي النزعة العربية الإسلامية للنجم في الثلاثينات: إشكالية العروبة والإسلام ولقاء مصالي الحاج بشكيب أرسلان .....ص121
- ب- العروبة والإسلام والوحدة في أدبيات النجم.....ص129
- حزب الشعب الجزائري(1937-1939) .....ص134.
- حركة الانتصار للحريات الديمقراطية(1946-1954) .....ص139
- 3- القضية الفلسطينية محرمة الشعور الوحدوي العربي الإسلامي لرواد الحركة الوطنية الجزائرية: ... ص153
- 4-4- الوحدة العربية الإسلامية في أدبيات الجمعيات الطلابية والكشفية.....ص163
- خلاصة.....ص172
- الفصل الثاني: مشروع الوحدة في إطار الأمة المغاربية: .....ص174
- 1- أسباب وعوامل تنامي النزعة الوحدوية المغاربية لدى الجزائريين.....ص175
- 2- الوحدة في أدبيات التيار الإصلاحية.....ص179
- 2-1- مرحلة ما قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1920-1930) .....ص180
- 2-2- الوحدة المغاربية في أدبيات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين(1931-1954) .....ص188
- 2-3- اسهامات إصلاحية أخرى عن الوحدة المغاربية.....ص213

3-الوحدة المغاربية في أدبيات التيار الاستقلالي:.....	ص218
3-1-نجم شمال افريقيا (1926-1936).....	ص218
3-2-حزب الشعب الجزائري(1937-1945).....	ص233
3-3-الوحدة المغاربية في أدبيات حركة الانتصار للحريات الديمقراطية(1946-1954).....	ص253
4-الوحدة المغاربية في أدبيات الجمعيات الطلابية والشبابية والكشفية.....	ص279
خلاصة.....	ص288
الفصل الثالث: الوحدة المغاربية والعربية الإسلامية في أدب النضال الجزائري.....	ص289
تمهيد.....	ص290
1-الوحدة في التأليف والكتابات التاريخية.....	ص292
1-1-عملية التأريخ عند رجال الإصلاح.....	ص293
1-2-عملية التأريخ عند رواد الاستقلال.....	ص305
1-3-المؤلفات وموقع الوحدة فيها: مالك بن نبي أمودجا.....	ص309
2-مضامين الوحدة في الأدب الجزائري.....	ص314
2-1-حضور المغرب العربي والعالم الإسلامي في الشعر الجزائري.....	ص314
2-1-1-الشعر العمودي.....	ص315
2-1-2-الشعر الشعبي.....	ص330

- 2-2- التوجهات الوحدوية في الأدب الروائي والقصصي الجزائري.....ص336
- 3-رمزية الوحدة في الفنون الجزائرية.....ص348**
- 3-1- الهوية والوحدة في المسرح التاريخي الجزائري.....ص348
- 3-2- فنون الزخرفة، والرسم، والصورة، ورمزية الوحدة فيها.....ص358
- 3-2-1- الرسم والزخرفة الإسلامية عند الأخوان "راسم" ورمزية الوحدة في أعمالهما.....ص359
- 3-2-2- الصورة الفوتوغرافية ودورها في ترسيخ أفكار التعاون والوحدة.....ص365
- خلاصة.....ص369
- الفصل الرابع: السياسات الفرنسية في مواجهة التوجهات الوحدوية وانعكاساتها على مواقف بعض النخب الجزائرية.....ص371**
- 1-مواقف وردود فعل فرنسا من مشروع الخلافة والجامعة الإسلامية في الجزائر.....ص372
- 2-مواقف وردود فعل فرنسا من تيارات القومية العربية والوحدة المغاربية في الجزائر.....ص385
- 3-انعكاسات السياسات الفرنسية على مواقف وآراء النخبة الجزائرية الفرنكوفونية.....ص426
- 3-1-الشبان المسلمون الجزائريون.....ص427
- 3-2-فدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين.....ص431
- 3-3-النخب الاندماجية في الثلاثينيات.....ص438
- 3-4-آراء النخبة أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية.....ص451
- 3-5-الحزب الشيوعي ومسألة الانتماء.....ص454
- 3-6-الاغتراب الثقافي والهوياتي في فكر بعض الشخصيات الجزائرية.....ص460



## ملخص:

هذه الأطروحة هي دراسة لأهم النزعات الوحدوية التي برزت في الحركة الوطنية الجزائرية من خلال أدبيات الأحزاب، والجمعيات، والنخب الوطنية التي خاضت معركة الكفاح السياسي ضد فرنسا، ونقصد بذلك تيارات الجامعة الإسلامية، والقومية العربية، والوحدة المغاربية، والاتحاد الفدارلي الجزائري-الفرنسي، فقد تجاذبت هذه التيارات القوى الوطنية لعدة عقود فأثرت عليها، وتأثرت بها، وهو ما جعل الصراع يحتدم حول عدة قضايا كالهوية، والانتماء، وفرض هذا سياسات التحالف والتنافر، وحثم التوقع الذاتي من جهة، و السعي وراء التموغع الإقليمي من جهة أخرى.

## الكلمات المفتاحية:

الحركة الوطنية، التيارات، الجامعة الإسلامية، القومية العربية الإسلامية، الوحدة المغاربية، الجزائر، المغرب، الأدبيات.

## Summary

This thesis is a study of the most important unitary tendencies that emerged in the Algerian national movement through the literature of parties, associations and national elites that fought the battle of political struggle against France, namely the flow of the Islamic University, Pan-Arabism, Maghreb unity and the Algerian-French Federal

Union. These national currents attracted the national powers for several decades, influenced, and be influenced by them, which made the conflict glowing on several issues, such as identity and belonging. This imposed the policies of alliance and dissonance, and the inevitability of self-insularity on the one hand, and the pursuit of regional location on the other hand.

## Résumé:

Cette thèse est une étude des principaux conflits unionistes qui se sont manifestés à l'intérieur du mouvement national algérien à travers les documents des partis, des associations ainsi que les élites nationalistes qui menaient la lutte politique contre la présence française en Algérie. Nous voulons dire par cela : les courants de panislamisme, panarabe, l'Union Maghrébine, et l'Union Fédéral Franco-algérien.

Pendant des décennies, ces courants ont entraîné les forces nationalistes, tantôt en les influençant et tantôt en les suivant.

En conséquence, le conflit s'est intensifié autour de nombreuses questions, tel que l'identité et l'appartenance. Ceci a favorisé aussi bien des stratégies de l'union que de la désunion ; en rendant fatal l'enferment identitaire, d'une part et le positionnement régional, d'autre part.